يوليو (تموز) ١٩٩١ - ذو الحجّة ١٤١١

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest July '91 N° 152

أوسع المجلات انتشاراً في العالم

الكوكايين نشوة في جهنّم

(ص ٧)

أوهام تدمّر الزواج

(ص ٣٦)

رسالة من الفضاء

(ص ٩٣)

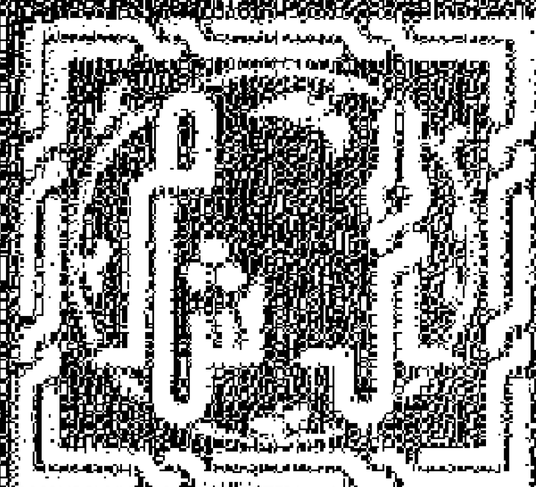
٦ إرشادات لنحافة دائمة

(ص ٥٤)

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . صمم على أحدث طراز في ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكا في عملك . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية ... ولا ننس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها



للحجز : فندق الشام - ص.ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد، أمينة التحرير: نهلا رزق، محررة مساعدة: لورا نفاع، الاشتراكات: فريال علاف.

مدير القسم الفني: جورج غالي، الخطوط: عبد القادر اسماعيل.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.

التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE

التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.



AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

July '91 N° 152 (New Series) Vol. 13

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كنيث توملنسون. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والاسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضا في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة.

لبنان ١٠٠٠ل – سورية ٤٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف
السعودية ١٢ر – مصر ١٫٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – الجمهورية اليمنية ١٥ ر – مسقط ٨٠٠ ب – قبرص ٧٫٥ ب



■ كلما تقدمتُ في العمر ازددتُ يقيناً ان ما يدوم حقاً هو أحلامنا.

جان كوكتو، شاعر وروائي وكاتب مسرحي فرنسي

■ ان أصعب امتحان لعلاقة ما هو القدرة على الاختلاف مع الاحتفاظ بتماسك الايدي.

ا.ب.

■ البيروقراطية فن يجعل الممكن مستحيلا!

خ.ب.س.

■ توقعوا الافضل من الناس، فهذا يساعدهم على التقدم. ولكن لا يخيبنَّ ظنكم ان لم يفعلوا، فذلك يشجعهم على الاستمرار في المحاولة.

م.ب.

■ لنعلِّم أطفالنا أن يحلموا وعيونهم مفتّحة.

هـ.ا.

■ السعادة محطة بين القلّة والوفرة.

ش.ب.

■ علينا أن نتعلم أن نكون خير الاصدقاء لأنفسنا، لأننا معرضون دائماً للسقوط في فخ يجعلنا الدّ أعدائنا.

ر.ت.

■ المماطل امرؤ يرجىء الى الغد اموراً ارجاها أمس الى اليوم.

ت.ب.

■ تذكّرْ أنك تبدأ زيادة سرعتك عندما تتخطى ريعان شبابك.

تشارلز شولتز، مبتكر رسوم متحركة

ضيَاء

انساب بي الزورق في سكون الليل
فاستغرقت في تأملاتي
وأنا أشاهد خسوف القمر

في احدى ليالي أغسطس (آب) وجدت نفسي أنساق خارجاً الى ضياء القمر. ومع أن الساعة قاربت العاشرة فقد رأيت ظلال الغنم في حقلي ونباتات الزينيّة والقطيفة قرب الجدار الحجري. كان من المتوقع حصول خسوف كامل تلك الليلة. حملت مشعلي الكهربائي وهبطت السلَّم المؤدية الى الرصيف الخشبي الضيق حيث أربط زورق التجذيف.

كنت أحب أن يرافقني بول في مثل هذه النزهة. فلطالما خرجنا فجراً نجذف في الضباب الصاعد من الماء حتى انبثاق الشمس من وراء الهضاب التي تسوِّر البحيرة الطويلة الضيقة.

لكنني بدأت أعتاد خفة الزورق الذي لم يعد يحمل سواي. كان إنجازه جزءاً من عمل بول في فترة علاجه الكيميائي. إذ ما أن يعود من المستشفى حتى يسوّي بدن الزورق ويصقله بالرمل ثم يطليه بالورنيش اللماع طبقة فوق طبقة.

كان يعاني غثيانا سببته له الأدوية، فيخفي انزعاجه ويتابع أعماله اليومية متجاهلا ما يحدث. تحمل خلال ثلاث سنوات كل ما قدمه اليه الطب الحديث. وفي العام ١٩٨٨ عوَّم زورقه وبدأ ممارسة التجذيف كي يسترجع قواه التي امتصّتها منه الأدوية وعملية الاستئصال في رئتيه.

إذ أدركتُ منتصف البحيرة كان الظلام لف قسماً كبيراً من القمر. وفاضت الأنوار الصفراء من نوافذ الأكواخ المجاورة للشاطىء متمايلة على صفحة الماء كرايات. أدخلت المجذافين الى المركب وجلست بلا حراك.

كنت أسمع أبواب بيوت تُصفق بعنف وأصوات أناس تنساق نحوي. ثم سمعت رنين ضحكات خلفي، فأدركت أن ثمة زورقا ورائي مع أني لم ألحظ أنواراً. وبدأ الظلام يقتحم القمر.

انجرف زورقي الصغير في دائرة واسعة بطيئة، وتلاشت النسمات التي رافقتني في البداية. وامتد وجه الماء أمامي أسود كالحبر. أسندت ظهري الى المقعد. وعاليا في وسط السماء أمسى القمر أحمر كالدم ولم يبق منه غير هلال رفيع كشعرة. راقبت الظلام يطبق عليه حتى اختفى كليا في العتمة.

في تلك الأثناء دوَّت مفرقعات نارية قرب الشاطىء وأطلقت صيحات ابتهاج. ثم خبت الأصوات وأغلقت الأبواب وتلاشت الأكواخ في الظلمة واحداً تلو آخر.

أضأت مشعلي الكهربائي كي أنظر الى ساعة يدي: انه منتصف الليل. تمددت في الزورق ووجهي الى السماء. لقد مضت ثلاثة أشهر على وفاة بول. كان في التاسعة والثلاثين من عمره فقط، ومنذ وفاته ينتابني أحيانا هذا الشعور بالظلمة، حتى في الأيام المشمسة المشرقة.

كنت أنساب وحيدة في الزورق، لكني شعرت بثقله قربي وبيده تضغط يدي.

تحركت سمكة في الماء. ونشط النسيم مجدداً فعاد التيار وعادت الأمواج الصغيرة تنقر الزورق برقة. وبزغ نور بحجم ظفر في الناحية الأخرى من القمر. ثم اتسع واندفق الضياء على الماء كبريق نجوم تهبط الى الأرض.

أدركت آنذاك السبب الذي اضطرني الى المجيء. أنا لم آتِ لأرى الظلام يلف الأرض، بل أتيت لرؤية النور يعود اليها. استويت في جلستي وانزلت المجذافين في الماء، ثم بدأت التجذيف عائدة الى الرصيف فيما النور آخذ بالانتشار.

ادي كلارك ■

شعر مسروق

جاء في باب "الطرائف" في احدى الصحف: "اليوم سرقت ثلاثة أطنان من الشعر مخصصة لصنع الشعر المستعار، وتمشط الشرطة المنطقة بحثاً عنها."

ا.ن.

Reader's Digest
المختار
يوليو (تموز) ١٩٩١
ذو الحجة ١٤١١
السنة الثالثة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

الكوكايين نشوة في جهنم!

"الكوكايين كذبة كبيرة. انه يعدك بالجنة بينما يدمر حياتك"
مدمنة سابقة

لم يكن ينقص كيري ميلر[1] شيء. فهي صبية جميلة طويلة القامة تتمتع بشعبية بين زملائها وتنتمي الى عائلة سعيدة. كانت طالبة ورياضية متفوقة في المدرسة الثانوية. التحقت بالجامعة في العام ١٩٨٠ لدراسة العلوم السياسية كخطوة نحو كلية الحقوق. لكن خطأ ما وقع...

تعرفت كيري خلال دراستها الجامعية الى رجل من عائلة ثرية يكبرها بعشرين عاماً وله طفلان. فأحبته وتزوجته.

عرض توبي عليها بعض الكوكايين مباشرة بعد زواجهما. فماشته رغبة منها في أن تلقى قبولاً في عالمه "العصري" المترف. استخدمت كيري قشة لاستنشاق المسحوق الناعم، فأحست بوهج يملأ جسدها، وسرعان ما كانت تفيض ثقة ونشاطاً. انه شعور لم تعهده من قبل.

(١) الشخصيات في هذا المقال واقعية لكن اسماءها مستعارة.

FOR THEIR ASSISTANCE IN PREPARING THIS ARTICLE, READER'S DIGEST WISHES TO THANK JAMES COCORES, M.D., AUTHOR OF THE 800-COCAINE BOOK OF DRUG AND ALCOHOL RECOVERY; JOHN C. FLYNN, PH.D., AUTHOR OF COCAINE: AN IN-DEPTH LOOK AT THE FACTS, SCIENCE, HISTORY AND FUTURE OF THE WORLD'S MOST ADDICTIVE DRUG; AND COCAINE ANONYMOUS WORLD

عندما استنشقت كيري المسحوق، اذابته الاغشية الرطبة التي تبطّن الجيوب الانفية بسرعة، فانزلقت جزيئات الكوكايين عبر هذه الاغشية كما الرمل من خلال ثقوب المنخل، وملأت دورتها الدموية في أقل من ١٥ دقيقة.

عندما وصلت هذه الجزيئات الى الدماغ، واجهت حاجزاً مهمته اعاقة دخول المركّبات الضارة. لكن عدداً من العقاقير المخدرة يستطيع اختراق هذه الدرع بالعوم عبر جزيئات المادة الدهنية التي يتكوّن منها الحاجز. ومن المركّبات القادرة على ذلك الكحول والنيكوتين والكوكايين.

دامت نشوة كيري عشرين دقيقة فقط. لكن الكوكايين كان في هذا الوقت – بعد تجربة واحدة فقط – بدأ يحكم قبضته على عقلها. فلما عُرِضَ عليها مزيد منه بعد أيام قبلته بحماسة. ومن جديد أحست أنها تطفو في اللذة الجسدية.

استنشقت كيري تلك الليلة جرعة أخرى، وفي السرير مع زوجها بدا كأن المخدر جعل اللذة تعلو الى حدود لم تختبرها من قبل.

ان الجهاز الهامشي[٢] أي "الدماغ الحيواني" البدائي الذي ينظم المشاعر والعواطف والغرائز الرئيسية الضرورية لاستمرار الحياة مثل الاكل وتفادي الاخطار، يقع في عمق دماغ كيري. وهو على ارتباط وثيق بمناطق أخرى في الدماغ مسؤولة عن توليد مشاعر اللذة.

يسبب الكوكايين نوعاً من "التماس الكهربائي" في هذه النشاطات البيولوجية الحيوية فيعوقها بتزويده الجسم متعة فورية. يثير المخدر مراكز اللذة في الدماغ الى حد أن الحيوانات المخبرية، التي تعطى مورداً غير محدود من الكوكايين، تهمل الطعام والجنس كلياً لتغرق في المخدر الى أن تصاب "الدورات الكهربائية" المثقلة في أدمغتها بالتشوش مسببة الوفاة. لكن كيري لم تكن تعرف شيئاً عن هذا!

أصبح الكوكايين ضرورة لكيري خلال أشهر قليلة، ولم تعد تتعاطاه من أجل المرح بل غدت مضطرة الى تناوله: تتنشقه في الصباح لتتمكن من بدء يومها، وتتنشقه خلال النهار لتحافظ على توازنها، وتتنشقه في المساء للاسترخاء.

بدأت تبرر تعاطيها الكوكايين فتتساءل: "ما العيب في أن يشعر الانسان بالراحة والابتهاج؟" ثم تقنع نفسها بأنها ليست مدمنة بل تستطيع التوقف ساعة تشاء، فالمدمنون هم أبناء أزقة يستخدمون الحقن، لا نساء محترمات مثلها.

داخل دماغ كيري نحو عشرة مليارات خلية عصبية[٣] تعمل في الحفاظ على أداء الأنظمة الحيوية في جسمها وفي تنظيم أفكارها ومشاعرها. عندما تستقبل واحدة

(٢) Limbic system

(٣) Neuron. وتدعى ايضا عَصَبَة وعصبونا.

من هذه الخلايا رسالة من احدى الحواس الخمس، تطلق اشارة كهربائية صغيرة عبر فروعها في اتجاه خلايا عصبية مستقبلة أخرى.

يفصل بين الخلايا العصبية فراغ مجهري الحجم يدعى نقطة الاشتباك،[٤] كالفاصل بين قطبي شمعة احتراق (بوجي). ولا تستطيع الاشارة الكهربائية القفز عبر هذا الفراغ، لكنها تطلق مواد كيميائية، أو ناقلات عصبية،[٥] من عقالها لتنقل الرسالة عبر هذا الفراغ.

واحد من مئات الناقلات العصبية يدعى "دوبامين"[٦]، ومعروف أن أمراضاً عقلية خطيرة مثل الفصام (شيزوفرينيا)، واضطرابات في الحركة الجسدية مثل مرض باركنسون، تنتج من نقص غير طبيعي في امدادات الدوبامين.

تتولى "مضخة" جزيئية في الدماغ السليم تَقْنية فائض الدوبامين وارجاعه بسلام الى الخلية العصبية المرسلة لاعادة استخدامه في المستقبل. ويعتقد بعض الخبراء أن الكوكايين يسدّ هذه المضخة فيمنع عودة الدوبامين الى مقره الاساسي، ويعتقد البعض الآخر أن الكوكايين يسرِّع عمل المضخة مما يرفع كمية الدوبامين المتوافرة. وفي كلتا الحالين تبقى هذه المادة الكيميائية داخل نقطة الاشتباك تهيّج الخلايا العصبية باستمرار. هذه الوفرة المفرطة في المواد الكيميائية الدماغية هي التي منحت كيري ذاك الشعور الطاغي بالارتياح والبهجة.

(٤) Synapse

(٥) Neurotransmitters

(٦) Dopamine

EDWIN HERDER

في نهاية عامها الاول من تعاطي الكوكايين صارت كيري تستنشق غراماً منه كل يوم، ثمنه نحو ١٤٠ دولاراً. ونمَّت في نفسها أوهام مناعة من الادمان، رافقتها فورات من النشاط الفائض وحالات أرق حادة. ثم بدأت التشاجر مع زوجها توبي لاعتقادها أنه يستهلك أكثر من حصته من المخدر. فعملت عارضة أزياء وصارت تشتري مخزونها الخاص من الكوكايين. وكانت، عندما ينقصها المال، تنفق من المبلغ الموفور لتغطية تكاليف دراستها المنتظرة في كلية الحقوق.

لم يدرك أحد، حتى كيري نفسها، درجة الادمان التي بلغتها، اذ استطاعت احراز علامات مقبولة في الجامعة والاهتمام بطفلي توبي والعناية بشؤون البيت في آن. بدت الامور طبيعية، وخيل الى كيري أن حياتها لم تكن أبداً أفضل مما هي. لكنها مع ذلك كانت تعاني هَوَساً: تتخيل أنها تسمع صفارات سيارات الشرطة فتختبىء في الخزانة ظنا منها أن رجال الشرطة آتون للقبض عليها.

بدأت كيري تخسر من وزنها في عامها الثاني من تعاطي المخدر. وهالها أن تلاحظ بقعاً حمراً على وسادتها في الصباح: لقد بدأ أنفها ينزّ دماً.

يقلّص الكوكايين الاوعية الدموية عند الملامسة مما يعوق الدورة الدموية الى حد خطير. كانت الاغشية المخاطية في أنف كيري تذبل لافتقارها الى التغذية. وعندما تموت الانسجة تنسلخ عن مواقعها وتترك آثار دم على الوسادة.

في بعض الحالات تموت كمية كبيرة من الانسجة مما يحدث ثقوباً في الحاجز الغضروفي بين المنخرين. وقد يحفر خرّاج في عظم التجويف الانفي، لكن المدمن لا يحس الالم أثناء تعاطيه الكوكايين لأن هذا مخدر موضعي قوي.

فاقت رغبة كيري في الكوكايين رغبتها في الطعام، لان الكوكايين كاتم قوي للشهية كذلك.

في محاولة لحل مشكلة النزف من الانف، علَّم توبي زوجته طريقة تحضير الكوكايين المنقّى[٧] بازالة المواد الغريبة – كالسكر والكاز والاملاح الحمضية – التي يضيفها مروجو المخدرات الى الكوكايين لمضاعفة أرباحهم. وباستخدام مواد محلّلة متطايرة لتنقية الكوكايين استطاع توبي انتاج مخدر تقارب درجة نقائه ١٠٠ في المئة هو أشد فاعلية بخمسة أضعاف من الكوكايين المخفف. المهم في عملية التنقية أنها تتيح تدخين الكوكايين مما يريح أنف كيري المعطوب.

وضع توبي الكوكايين النقي المتحجر في غليون قدَّمه الى كيري، فأخذت منه نفسا عميقا. وفي لحظات جُنّت الدوائر الكهربائية التي تتحكم بمشاعر اللذة في دماغ كيري وحملتها الى نشوة لم تعرفها من قبل.

أحست كيري تلك الليلة ضيقا في

(٧) Free base

التنفس كأن فيلا يجثم على صدرها. ولم يفارقها هذا الشعور في الصباح، فطمأنها توبي الى أنه طبيعي للمبتدئين وأن الانقباض في صدرها سيختفي خلال ساعات.

لم يقتصر مفعول الكوكايين المنقّى على حمل كيري الى "أعالٍ" جديدة. فالكوكايين يؤثر مباشرة في عضل القلب ويدفع القلب الى الخفقان من غير فاعلية ويضيِّق أوعيته مما يحدّ من كمية الاوكسيجين الضرورية لأداء أمثل. في هذه الاثناء يسرِّع القلب خفقانه لمجاراة السريان المقيَّد للدم في أنحاء الجسم. انها حلقة مفرغة، اذ سرعان ما يصبح القلب المتعطش للاوكسيجين عاجزاً عن ضخ الدم الذي يدخله بسرعة كافية، فيرتد هذا الدم الى الرئتين مما يجعل التنفس مجهداً ومؤلماً، ويبدأ المدمن "الغرق" في سوائل جسمه.

وتتضاعف احتمالات الاصابة بنوبة قلبية أو بسكتة دماغية (فالج). لقد حالف الحظ كيري حتى الآن، فلم تعانِ الّا ألماً في صدرها.

لم تلتحق كيري بكلية الحقوق مع أنها أنهت دراستها الجامعية وإن بصعوبة. فقد أصبح الكوكايين همها الوحيد، ثم انها استنفدت المبلغ المخصص لدفع رسوم الكلية.

وبدأ الشجار بينها وبين توبي يأخذ منحى عنيفاً. ولجأت كيري مرتين الى مركز يعنى بالنساء اللواتي يتعرضن للاذى في منازلهن، لكنها سرعان ما كانت تعود يحدوها الامل في الحصول على مزيد من الكوكايين. وعندما اشتكى الجيران الى الشرطة من الشجارات المتكررة بين الزوجين، أُرسل الولدان للعيش مع أمهما الحقيقية.

انقطعت كيري عن أصدقائها وعائلتها. كان والدها قضى بنوبة قلبية بعد صراع مرير مع ادمان الكحول، وفقدت والدتها وشقيقتها الامل في شفائها.

وصلت كيري في هذه الاثناء الى درجة عالية من الادمان بحيث كانت تحتاج الى تنقية ٣،٥ غرامات يومياً من الكوكايين يبلغ ثمنها ٥٠٠ دولار. ولدفع نفقات ادمانها اضطرت الى أن تصبح شريكة في أعمال الرجل الذي كان يزودها المخدر في متجر لبيع التحف هو في الواقع واجهة لعمليات ترويج المخدرات وتبييض النقود.[٨] كانت حصتها من الارباح جيدة، أكثر من ٥٠ ألف دولار سنوياً، اضافة الى ما تستطيع أختلاسه من مخدر ونقود.

بدأت كيري تعاطي الكحول الى حد السكر كلما زالت نشوة الكوكايين، فالكحول يقاوم الهبوط النفسي الذي يعقب نشوة الكوكايين. وغالباً ما كانت تتناول أقراص "ڤاليوم" المهدئة مع

(٨) تبييض النقود (laundering) يعني توظيف اموال من مصادر غير شرعية وتنقيلها بين مؤسسات مالية مختلفة لاخفاء مصادرها. أهم مصادر هذه الاموال: المخدرات والعاب الميسر و"الرقيق الابيض" والتهرب من دفع الضرائب.

الخمرة لزيادة مفعولها، وسرعان ما تحس بالحاجة الى الكوكايين مرة أخرى لكي تفيق من سكرتها، مما أوقعها في شرك دوامة انحدارية بشعة.

كانت مستويات الدوبامين في دم كيري تنخفض مع كل زوال لتأثير الكوكايين، مما سبب لها هبوطاً نفسياً وجسدياً. فالدماغ، عادة، يعوِّض الدوبامين المستهلك من طريق البروتيينات الموجودة في الطعام. لكن الدوبامين يُستنزف بسرعة لدى مدمني الكوكايين بسبب سوء التغذية، ولأن الكوكايين يعطل الآلية التي تعيد "تدوير" هذا الناقل العصبي للاستخدام المستقبلي.

وبما أن الكحول وعقار الفاليوم يحدّان من فعل الجهاز العصبي المركزي، فانهما يقاومان تأثير انخفاض مستوى الدوبامين وإنْ موقتاً. التناقض العجيب هو أن الآثار المتأتية من الافراط في الكحول والفاليوم - الرجفة التي يسببها السُكْر مثلا - ضاعفت حاجة كيري الى الكوكايين.

بدأت كيري تحس بحكاك و"تنميل" في جلدها، فصارت تستحم بهوس نحو اثنتي عشرة مرة في اليوم، من دون أن تتخلص من هذا الاحساس. ثم بدأت تتخيل رؤية أشياء، كامرأة مقطعة الاوصال تحوّم فوق رأسها بشعرها الاحمر وعينيها السوداوين الغائرتين. أصبحت الوهدات المظلمة التي تهبط اليها كيري بعد كل نشوة لا تطاق، حتى انها حاولت الانتحار مرتين: الاولى عندما ابتلعت ليتراً من الويسكي مع حفنة من المهدئات والمسكنات، والثانية عندما التهمت كمية من المسكنات التي تباع من دون وصفة طبية، أبقتها ستة أيام مربوطة الى جهاز غسل الكلى.

أصبح الكوكايين الآن ضرورة للبقاء. لم تعد كيري تشعر بالنشوة، بل تحولت كتلة مشدودة من الاعصاب، وطغت شهوتها الى المخدر على أي اهتمام بالجنس أو بالطعام أو بالعائلة أو بالعمل. صارت ترتجف وتتلوى وتتقيأ ما في معدتها، وكلّما حاولت انقاص كمية الكوكايين التي تتعاطاها يصرخ جسدها طالباً المزيد.

ان تخيلات كيري هي نتيجة التشوش الذهني الذي يسببه الكوكايين. فبقاء كميات كبيرة من الدوبامين لفترة طويلة طافية في نقاط الاشتباك العصبية في دماغها خلال كل نشوة كوكايين، كان يدفعها الى الجنون. وكانت مسالكها العصبية التي يستثيرها المخدر ترسل الى الدماغ معلومات حسية كاذبة. ان الشعور بنمل يزحف على جلدها ظاهرة طبيعية تدعى "نمل الكوكايين."

في هذه الاثناء، عندما يزول مفعول المخدر يهبط مستوى الدوبامين أكثر فأكثر، فلا يعود في استطاعة خلايا الدماغ تعويض الكميات التي استهلكها المخدر، ومن الطبيعي أن يتناقص الاحتياط من هذا الناقل العصبي الى حد أن الكوكايين

لا يعود يثير كثيراً من اللذة. وبدلا من ذلك، أصبح الاختلال الكيميائي في دماغ كيري يغرقها في كآبة عميقة.

استطاعت كيري، بجهد خارق، أن تصالح توبي مرة أخيرة وتحبل. لكنها أدركت خطأها في شهر الحمل الرابع. فقد أخافها ادمان توبي ومزاجه المتقلب وخشيت على جنينها، فانتقلت لتعيش مع احدى صديقاتها. واستمرت في تنقية الكوكايين وتدخينه وتعاطي المشروبات الكحولية. لم تفكر في احتمال ولادة طفلها مدمناً أو مشوهاً الا عند المخاض، فراحت تصلّي وتبتهل الى الله لكي يولد طبيعياً، وأقسمت أنها لن تتعاطى المخدرات بعد ذاك.

ولدت كيري طفلا صحيحاً وفي موعده، فسمته جوشوا. لكنها سرعان ما نسيت قسمها وعادت تستنشق الكوكايين حتى قبل مغادرتها المستشفى.

في المنزل كانت كيري تزعق في وجه طفلها كلما أصدر صوتاً وتهمله عندما يهدأ وتنسى وجوده كلياً.

أما في العمل فقد بدأت تراودها وساوس بأن شريكها يعد للايقاع بها اذا ما أغارت الشرطة على محل بيع التحف، فتركت العمل. ولما كانت في حاجة الى المال ثمناً للمخدر، فقد عملت مع مروج مخدرات جديد هو مدمن هيرويين وسمسار بغاء.

بدأ تدخين الكوكايين بواسطة الغليون يسبب لكيري تسارعاً في نبضها ونوبات سعال، اضافة الى شعور بالخدر في فكها وعنقها. وأحياناً كانت قوة المخدر تركعها.

ان الخدر في فكّ كيري وعنقها هو من أعراض نوبة خفيفة هي أمر عادي بين مدمني الكوكايين. فالمخدر كان يدمر أعضاءها الحيوية. بدأت الخلايا العصبية "تشتعل" في فورات متزامنة محدثة عواصف كهربائية في دماغها. كان قلبها المتعطش للاوكسيجين يصارع ارتفاعاً حاداً في ضغط الدم فيخفق من غير انتظام، كما انهار أداء رئتيها لامتلائهما بالسوائل المرتدّة من القلب. كانت كيري تشهق طلباً للهواء وتسعل في محاولة للتخلص من هذه السوائل.

أما ألد أعداء كيري فكانوا من بنات خيالها. لذا اشترت كلب حراسة ومسدساً لحماية نفسها من "مطارديها."

مضى على ادمان كيري ست سنوات، خسرت خلالها كل شيء بما في ذلك زوجها توبي الذي نجح في الانتحار حيث فشلت هي. لم يبق لها سوى طفلها، لكن الكوكايين أخذه منها في النهاية، اذ قررت دائرة الخدمات الاجتماعية في المدينة وضعه في رعايتها لان كيري كانت أماً مهملة ومدمنة مخدرات ولها سجل اجرامي (دينت أربع مرات بتهمة قيادة سيارة وهي في حال سكر، وقبض عليها مرتين في قضايا تتعلق بالمخدرات.)

صادف عيد ميلادها السابع والعشرون ١٦ أغسطس (آب) ١٩٨٨،

فأعدت لها زميلتها في المسكن حفلة في مطعم قريب. أخبرتها كيري أنها ستلحق بها الى المطعم، ثم دخلت الحمام وأقفلت الباب وأسندته بكرسي. كانت في حاجة الى وقت بمفردها لتنقية الكوكايين. توهمت عفاريت تتسلل عبر الباب، فانزوت في حوض الاستحمام مذعورة.

سحبت كيري نفساً عميقاً من الغليون، فبدأ قلبها الخفقان بشدة كأنه سينفجر، وأحست بدوار. عندما حاولت الوقوف وقعت على حافة الحوض فاقدة الوعي.

حين استعادت وعيها زحفت الى الهاتف واتصلت باحدى صديقاتها طالبة المساعدة، ثم غابت عن الوعي ثانية.

ارتفعت حرارة كيري الى ٤٠،٥ درجة مئوية، وكانت الموجات الكهربائية في دماغها في ثورة فوضى فيما ملايين الخلايا "تشتعل" بجنون. انتقلت كيري الى حال غيبوبة وبدات اطرافها تنتفض متشنجة، لكن المخدر لما ينتهِ من مهمته التدميرية.

عندما استعادت كيري وعيها ودبّت الى الهاتف، تشنج شريان صغير في الجهة اليمنى من دماغها كان ضاق بسبب تعاطي الكوكايين. فتحركت جلطة دموية من مكانها بفعل التشنج وسدت الشريان الضيق، فتوقف سريان الدم كلياً في الجانب الايمن من الدماغ. لقد أصيبت كيري بسكتة دماغية (فالج).

خلال ثوان بدأت الخلايا العصبية التي تتحكم بالعضلات تموت. فارتخى فم كيري ولم تعد ذراعها اليسرى وساقها اليسرى تستجيبان. ثم توقفت عن التنفس. وبدأ قلبها المجهد يخفق من دون انتظام حتى لم يعد قادراً على ضخ الدم الى جسمها.

لم تكن كيري تعي أياً من هذه الامور، فقد كانت ميتة فعلاً.

عندما وصل المسعفون الطبيون بدأوا انعاشها بواسطة التنفس الاصطناعي، واستخدموا جهازا خاصاً يولِّد صدمة كهربائية لوقف الرجفان القلبي. وتنفسوا الصعداء عندما عادت المؤشرات الحيوية في جسمها تظهر بضعف.

أفاقت كيري في المستشفى لتجد أنبوبا رغاميا يمرّ في حنجرتها. وأخبرها الطبيب المناوب في غرفة الطوارىء أنه يستغرب نجاتها من السكتة الدماغية المتأتية من تعاطي الكوكايين. كانت أطرافها اليسرى أصيبت بالشلل، والوقت وحده كفيل بمعرفة ما اذا كانت ستستطيع السير ثانية. لكن الطبيب حذرها من أن الثابت الوحيد هو أنها اذا لمست الكوكايين ثانية فسوف تكون المرة الاخيرة.

خرجت كيري من المستشفى في كرسي متحرّك، وعادت الى منزلها وكلها تصميم على ألا تبقى أسيرة الكرسي طوال حياتها. وتولت ممرضة مرافقتها الى مركز لاعادة التأهيل. وبحلول عيد الميلاد عادت كيري تمشي باستخدام عكازتين ومشبك معدني لاثبات ركبتها.

وعاد الكوكايين يغريها. كانت ستة أشهر مرت من دون أن تتعاطى المخدر،

عندما دعاها أصدقاء الى حفلة في أحد فنادق المدينة في فبراير (شباط) ١٩٨٨. أحضر أحد المدعوين غليوناً وعرض عليها نفساً من الكوكايين. ظنت كيري أن في استطاعتها أخذ نشقة من دون أن يفلت زمام الامور من يدها، فتناولت الغليون وأخذت نفساً. دار رأسها بنشوة تعرفها جيداً. فأخذت نفساً آخر من الغليون، وآخر وآخر...

بعد سبعة أيام كانت كيري الوحيدة التي بقيت في الفندق. مر أسبوع من دون أن تعي شيئاً، فلم تستحم ولم تتناول طعاماً لايام، وعندما وقفت أمام المرآة صعقت لصورة المرأة الخائرة المحدقة اليها.

أحست كيري فجأة أنها وصلت الى نهاية علاقتها، ليس بالكوكايين فقط، وانما بالكحول والفاليوم وكل العقاقير الاخرى. أدركت أنها وصلت الى الحضيض بعدما أهدرت ست سنوات من عمرها خسرت خلالها عائلتها وبددت أكثر من مئتي ألف دولار على المخدرات.

حضرت، بعد ثلاثة أيام، اجتماعاً لـ"مدمني الكوكايين المجهولين."[٩] ثم دخلت مستشفى للمعالجة من آثار السموم، وغادرته بعد أسبوعين لتعاود علاجها الطبيعي. عملت بجهد الى أن استطاعت، بعد تسعة أشهر من اصابتها بالسكتة، رفع كوب قهوة الى فمها بيدها اليسرى، وبعد ١٦ شهراً خطت خطوتها الاولى من دون عكاز.

بدأ دماغها يصطلح فيما جسدها يستعيد حاله الطبيعية. أقامت صداقات مع مدمنين سابقين في طريقهم الى الشفاء، وقطعت كل اتصال بمعارفها أيام الادمان، وقاومت كل اغراءات الكوكايين.

تبدو كيري اليوم طبيعية، وتعمل مديرة في مؤسسة للخدمات المالية. لكن الكوكايين ترك فيها بصمة لن تمحى: هناك ضعف في ساقها اليسرى، والضرر الذي أصاب دماغها يسبب لها نوبات دورية من التشنج وفقدان الوعي. وفي ذاكرتها ثغرات كبيرة.

لقد مرت سنتان على كيري لم تتعاط خلالهما مخدرات ولا كحولاً، لكنها تعلم أنها لحظة تتخلى عن حرصها سيعود "الوحش" ليجثم على صدرها.

تبدو على كيري مسحة من حزن، مع شعور بالامل وايمان روحي متجدد. انها مخطوبة لستيف، زميل لها من المدمنين السابقين يعالج كآبتها بالزهور. وهما يأملان أن يعيشا بقية حياتهما خالية من المخدرات.

قصة كيري ليست فريدة، انما المميز فيها شجاعة كيري واستعدادها لمشاركة الآخرين في تجربتها. وهي تقول: "الكوكايين كذبة كبيرة. انه يعدك بالجنة بينما يدمر حياتك. انني موقنة من ذلك، فلقد رأيت الشيطان. انه يأتي في قمقم زجاجي صغير."

بير أولا واميلي دولير ■

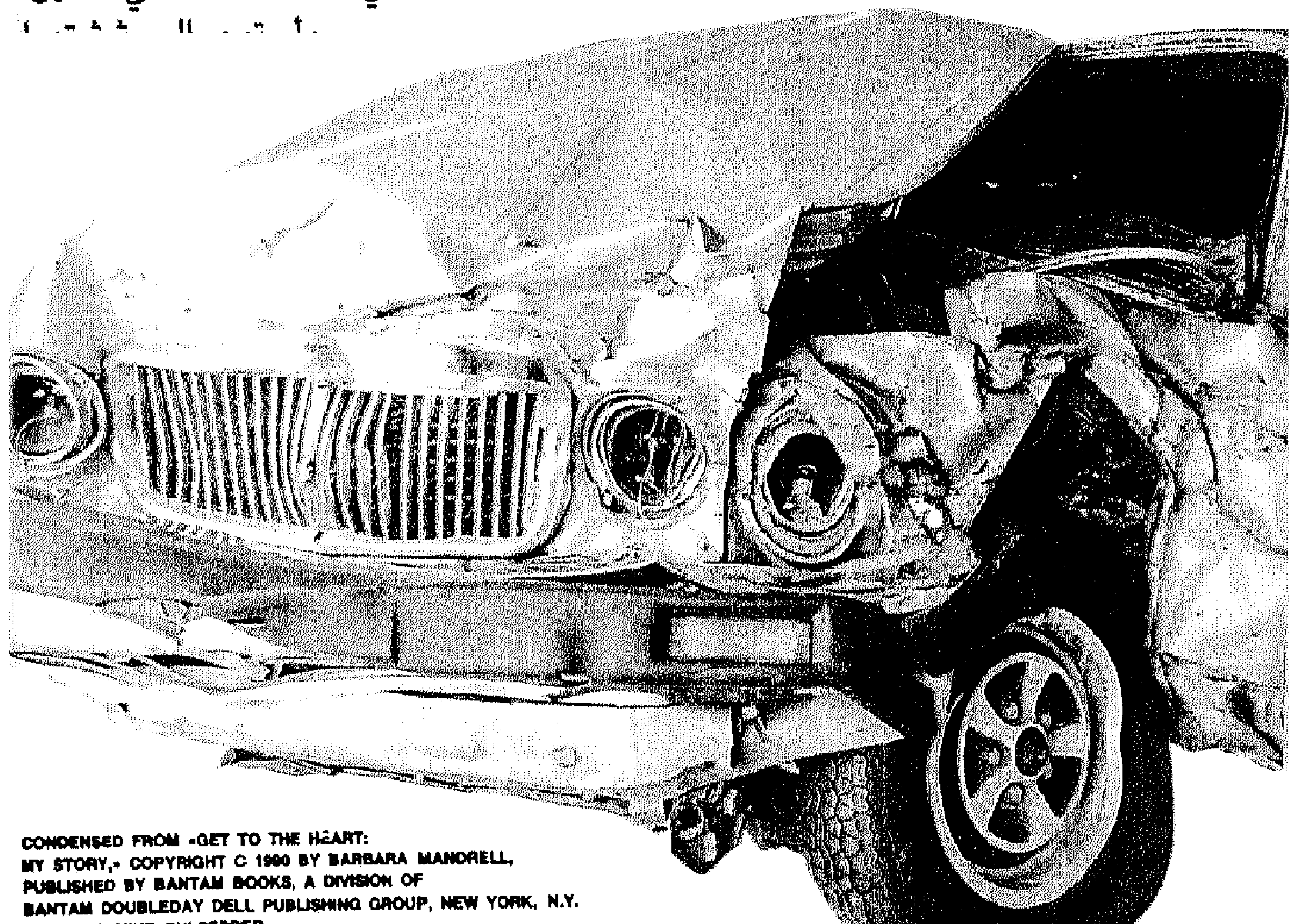
(٩) Cocaine Anonymous وهي مجموعة من المدمنين تجتمع لمناقشة مشاكلها في محاولة لمساعدة أفرادها على التخلص من الادمان.

لطالما هزأت هذه الفنانة المعروفة من فكرة حزام السلامة... حتى بدّلت الاحداث رأيها وحياتها

"شدّوا الأحزمة!"

غمرتني كآبة ووحشة الى بيتي وعائلتي وأنا في جولة موسيقية في مساتشوستس في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٤. كان زوجي كن في ولاية واشنطن يشرف على بناء بيت لجدته، فيما بقي ولداي، مات (١٤ عاما) وجايمي (٨ أعوام) في البيت في غالاتين بولاية تنيسي.

اعتاد الولدان في صغرهما أن يسافرا معي خلال جولاتي، يغنيان ويمرحان ويراجعان دروسهما. أما الآن فقد كبرا. أحسست تلك اللحظة بشوق عارم الى رؤيتهما: الى أن أكون معهما في المنزل، أحتسي القهوة



CONDENSED FROM «GET TO THE HEART: MY STORY,» COPYRIGHT C 1990 BY BARBARA MANDRELL, PUBLISHED BY BANTAM BOOKS, A DIVISION OF BANTAM DOUBLEDAY DELL PUBLISHING GROUP, NEW YORK, N.Y.
PHOTO: C MIKE CULPEPPER

وهما يعدان فروضهما ويتشاجران. فقلت لمديرة أعمالي جوان بيري: "دعيني أرى دليل الجولة." ظهر في الدليل اننا سننتقل من مساتشوستس الى كنساس. تتبعت الخريطة واكتشفت أننا سنمر على بعد ١٥٠ كيلومتراً الى الشمال من غالاتين.

سألت جوان: "هل من مانع في المرور ببيتنا؟"

فأجابت: "أبداً، لكنك لن تستطيعي البقاء هناك أكثر من ثلاثين ساعة."

"يكفيني هذا!"

تذكرت نفسي وأنا في الحادية عشرة من عمري نجمة في فرقة "ستيل غيتار." كانت والدتي تعزف في فرقتنا العائلية، لكنها مع ذلك ملأت حياتنا بالوجبات الشهية وهدايا أعياد الميلاد والكلمات الحنونة. كنت أتوق لان أكون مع ولديّ أعاملهما بالطريقة ذاتها.

وصلنا الى البيت مساء الاثنين في ١٠ سبتمبر (أيلول) واندفعت لاعانق مات وجايمي. خامرني شعور رائع لكوني في بيتنا، على رغم غياب كن. وكان رائعاً التلهي في أرجاء المنزل صباح اليوم التالي، وكأن حياتي الحقيقية بدأت ثانية. وفي المساء قدت السيارة لاحضار الولدين من المدرسة، ومن ثم الذهاب الى السوق لشراء أثاث لمنزل جدة كن.

لم أربط حزام السلامة، اذ لم أكن أؤمن بجدواه.

في محل لبيع التحف لمحت بيت دمى اشتريته لجايمي. وأخبرتنا البائعة أنها سوف تشحن مشترياتي الاخرى الى واشنطن، فشكرتها وعدنا الى السيارة.

كانت الساعة تقارب السادسة مساء ولم يحلّ الظلام بعد. اتجهنا الى المنزل عبر طريق غالاتين، حيث كان الجد ماندريل يركب حصانه في أوائل القرن، أما الآن فثمة شارع عريض ذو خمسة مسارات مع مقطع للالتفاف في الوسط. جلس مات في المقعد الامامي الى جانبي وجلست جايمي في الخلف تقرأ، اذ كان عليها أن تحفظ بعض المقاطع غيباً وكانت تتلوها بصوت مرتفع ونحن في طريقنا الى البيت.

يخبرني ولداي أنني، أثناء مرورنا قرب مقبرة، قلت: "هنا أود أن أُدفن." أنا لا أذكر شيئاً من هذا القبيل، لكن جايمي تذكر أنها اعتبرت كلامي غريبا. أظن اننا كلنا نبدأ حياتنا بالاعتقاد أننا خالدون.

لقد تلاشت في ذاكرتي تفاصيل ما حدث بعد ذلك، لكنني أذكر أنني توقفت عند اشارة مرور ضوئية. كانت أمامنا سيارة "ستايشن" فُتح بابها الخلفي وجلس أطفال في صندوقها يمرحون على بعد سنتيمترات من حافتها. وفكرت: لو انطلق السائق بسرعة أو انحرف فجأة فقد يقذف بهؤلاء الاطفال الى الطريق أمام السيارات الاخرى.

قالت جايمي: "انظري اليهم يا أمي!"

هتفت: "انهم مجانين! أعتقد أننا يجب أن نربط أحزمة السلامة."

نظر الولدان اليَّ كأنني أصبت بمس، فحتى تلك اللحظة كنت أتذرع بأي حجة



بربارة ماندريل وابنتها جايمي وابنها مات.

لكي لا أربط الحزام: انه مصمم للرجال وغير مريح، أو انه يخرب شعري، أو انه يغضن ثيابي، أو انني أريد أن أكون قادرة على الخروج من السيارة اذا حدث اصطدام أو شب حريق، أو... لماذا يحب موظفو الحكومة أن يعلمونا دائما كيف نحيا حياتنا؟

يمكنني ذكر عشرة أسباب أخرى لتبرير عدم استعمال الحزام، لكن الصوت في تلك اللحظة لم يكن صوتي بل صوت شقيقتي لويز. فلا أحد يستطيع ركوب سيارة مع لويز من دون أن يضطر الى ربط حزام السلامة، لانها سوف تبدأ محاضرة: "ان الحزام، في حال توقف مفاجىء، يحفظ رأسك من التشقق كبيضة مسلوقة على لوحة القيادة أو الزجاج الامامي. وقد ينقذ حياتك!" وكنت أردّ ساخرة: "بالتأكيد!" لكنها تأخذ في التلويح بمفاتيح السيارة أمام عيني حتى أربط ذلك الحزام اللعين.

هكذا، عندما رأينا الاطفال في سيارة الستايشن وهتفت أنا: "اربطوا الاحزمة!" خرجت الكلمات من فمي بصوت لويز ماندريل الحازم الملح الذي يفرض نفسه على حريات الآخرين. وربط ولداي الاحزمة.

كنا نتجه شرقاً في طريق غالاتين على بعد دقائق من البيت، عندما وقع الحادث. ذكر تقرير الشرطة أن السيارة الاخرى عبرت مقطع الاستدارة واتجهت نحو خط السيارات المقبلة. انحرفت الشاحنة الصغيرة أمامي فأصبحت سيارتي هدفا مكشوفا. واصطدمت السيارتان رأسيا بسرعة ٩٠ كيلومتراً في الساعة.

قتل سائق السيارة الاخرى من فوره، واسمه مارك هوايت وكان طالبا جامعيا في التاسعة عشرة من عمره. وأكد تقرير الطبيب الشرعي انه لم يكن تحت تأثير الكحول أو المخدرات.

كل ما أعرفه عن الحادث عرفته من آخرين. تهشم مقدم سيارتي واصطدم غطاء المحرك بالزجاج الامامي وتحطم الباب الى جانبي. أصبت أنا بكسور في عظم الفخذ والاضلاع والكاحل وأصابع القدمين، وبجروح في ركبتي وذراعي اليسرى وكدمات في وجهي، اضافة الى جروح داخل فمي من جراء اصطدامي بعجلة القيادة، كما عانيت ارتجاجا دماغيا خطيرا.

هنا ما تذكره جايمي:

"أحسست صدمة، ربما اثنتين. كانت عنقي تؤلمني، ورأيت وجه مات والدم

ينزف من جروح كأنما سببتها شفرات حادة. أما والدتي فكانت ملقاة على عجلة القيادة وهي تئن. ففككت حزامي وخرجت من السيارة.

"كنت أرتجف بشدة، فاستلقيت على العشب فيما أخرج ولد صغير وأمه بيت الدمى من السيارة.

"أذكر أنني سمعت رجلا يقول: "انها ميتة." فشعرت بالهلع لأنني اعتقدت أنه يقصد أمي."

نقلنا رجال الاسعاف بسرعة الى المستشفى حيث عالجني الاطباء من الصدمة وثبتوا دبوساً فولاذياً في عظم فخذي المصاب بكسور مضاعفة ورفعوا رجلي بواسطة أثقال. أصيب مات اصابات داخلية، كما كسر عظم خده وجرح وجهه. أما جايمي فسمح لها بمغادرة المستشفى لتقضي الليلة عند أصدقاء. وأسرع كن عائداً من واشنطن ليبقى بجانبي.

كل ما أعرفه أن أحزمة السلامة أنقذت حياتنا، بمشيئة الله. فلولاها لطُوِّحنا في الهواء وتحطمنا مثل دمى رخيصة.

عانيت، خلال فترة نقاهتي الطويلة، تقلبات مزاجية نتيجة الارتجاج الدماغي العنيف. كنت في لحظة أشيد بتصرفات ولديّ، وفي اللحظة التالية أزعق في وجهيهما. كما كنت قاسية على كن. لكنهم تحملوني بصبر لا يوصف، وقد استعدت الآن ٩٩ في المئة من طبيعتي القديمة.

مضى وقت طويل وأنا أتألم في داخلي ولا أستطيع الكلام عن الحادث. ومرت أربع سنوات لم أتجرأ خلالها على قيادة سيارة. كنت، حتى وأنا في المقعد قرب السائق، أحس بقشعريرة خوف كلما رأيت سيارة مقبلة. ولم أستجمع شجاعتي لتجديد رخصة القيادة حتى العام ١٩٨٩.

لم أكن أطيق ما يذكرني بالحادث، لكنني تطوعت لتمثيل دور في اعلان تلفزيوني عن السلامة العامة يدور حول أهمية حزام السلامة. وخيل الي أن وقع الاعلان سيكون أقوى اذا ما تم تصويري قرب سيارتي.

كان حطام السيارة محفوظاً في متحف شقيقتي لويز لتذكارات الموسيقى الريفية في بيدجون فورج بولاية تنيسي. ذهبت الى هناك ذات نهار مع مصور ليلتقط صوراً لي بجانب السيارة. لم أستطع تصديق ما رأيته عندما نظرت، عبر الزجاج المحطم والمعدن الملتوي، الى مقعد السائق: لم يعد هناك مكان للسائق، ولم يبق أي فراغ حيث يضع قدميه.

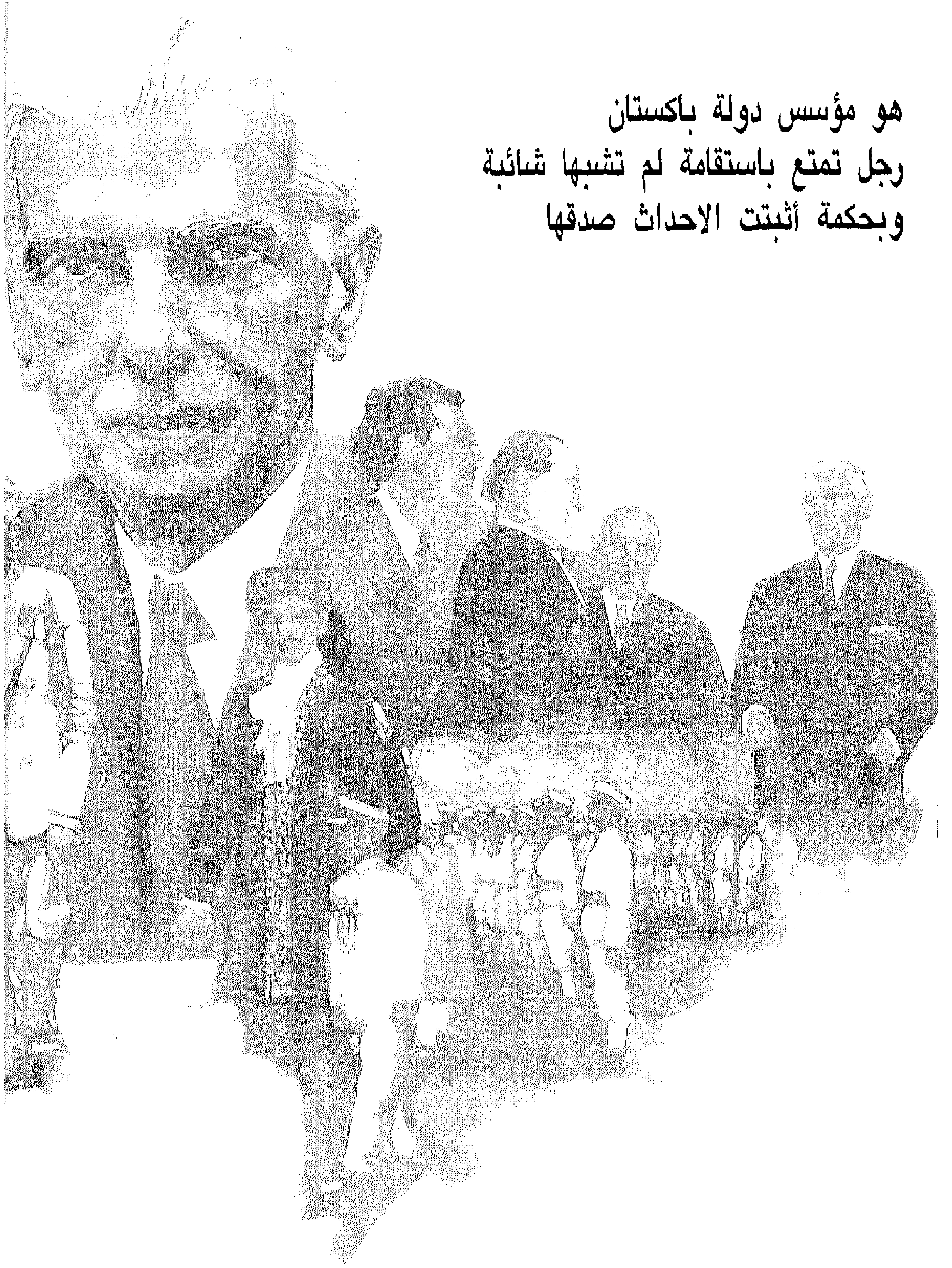
أدركت في تلك اللحظة كم دنوت من الموت، وأيقنت أنني سأظل بقية عمري أردد لنفسي كلما آلمتني ركبتي أو كاحلي: "الحمد لله، فأنا ما زلت حية!"

انني اليوم أرفض ركوب سيارة من دون أن أربط حزام السلامة، وإن تكن سيارة ليموزين.* ويخبرني الناس أحياناً كيف أنقذت الاحزمة حياتهم، فتبتهج نفسي. قد أكون ساعدت أحدهم... مثلما أنقذتني لويز.

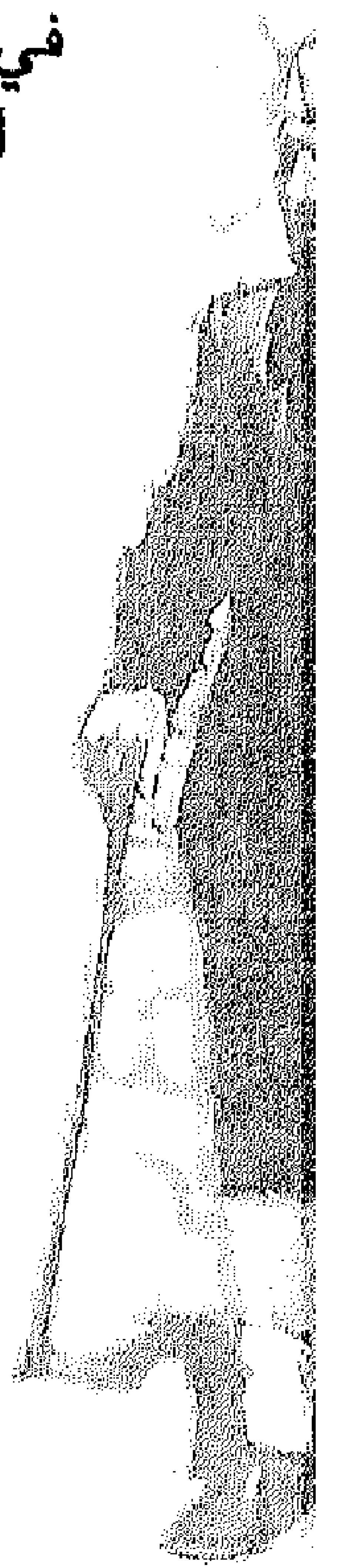
بربارة ماندريل وجورج فكسي ■

(*) الليموزين سيارة ركاب مترفة.

هو مؤسس دولة باكستان
رجل تمتع باستقامة لم تشبها شائبة
وبحكمة أثبتت الاحداث صدقها



محمد علي جناح



[و]جهت الي الحكومة دعوة لتمثيل [ا]لهند في مؤتمر دولي للسلام يعقد في سان فرنسيسكو، لكن زعيم الحزب السياسي الذي انتمي اليه أخبرني بأنني لا أستطيع الذهاب. لماذا؟ لان حزبنا، "رابطة مسلمي عموم الهند،" ملتزم قرار عدم التعاون مع حكام الهند البريطانيين، وبصفتي عضواً نظامياً، لا يمكنني أن أشارك في وفد حكومي. كنت أتوق الى الذهاب، فسألته: "ألا يمكنني أن أشارك من غير أن أبحث في الامور السياسية؟"

رد محمد علي جناح بحدة: "عم تتحدثين اذاً؟ عن الحياة على سطح القمر؟" ثم لانت ملامح وجهه وأضاف: "انني أدرك مدى خيبتك، لكن هذه مسألة مبدأ. أعدك بأنك ستشاركين يوماً في مؤتمر دولي وأنت تحملين شرف تمثيل بلدك."

حدثت هذه المواجهة في العام ١٩٤٥، لكن روعتها لا تزال تهزني حتى اليوم. أيُعقل أن محمد علي جناح، مؤسس باكستان و"القائد الاعظم" الذي يتمتع باجلال عشرات ملايين المسلمين، يتحمل مشقة تعليم واحدة من أصغر أتباعه درساً قيماً بأن الالتزام يتطلب انضباطاً وتضحية؟

لم يكن القائد سهل المعشر الى هذا الحد مع الجميع، فقد كان رجلاً حيياً، وكمعظم الرجال الجدِّيين، نادراً ما كان يبتسم. هابه الناس لفكره الخارق وأسلوبه المتحفظ، ولم يجرؤ كثيرون من كبار أعضاء "الرابطة الاسلامية" على مقابلته من دون موعد. أما مع صغار أتباعه فكان لطفه وصبره باديين للعيان. كنت عندما أرغب في سماع وجهة نظره في مسألة معقدة أو مثيرة للجدل، أدخل

عليه من دون موعد. ولم يرفض مرة واحدة استقبالي.

سمع يوما أن محمد نعمان الأمين العام لـ"اتحاد الطلبة المسلمين لعموم الهند" يجيد تقليده، فأرسل في طلبه. وعندما مثل أمامه بادره: "فلنرَ عَرْضك." بدأ نعمان، محرجا، تمثيل الدور. وعندما انتهى قال له القائد بابتسامة: "رائع!" ثم أعطاه قبعته الاستراخان[1] ونظارته ذات العدسة الواحدة قائلا: "خذ، انهما تجعلان المشهد حقيقيا أكثر."

كنت أشعر باطمئنان لا يوصف في رفقة القائد، لان ايمانه بصحة معتقداته كان مطلقاً. قد تبدو هذه الثقة بالنفس غروراً في رجل أقل صدقاً وذكاء، لكنها في القائد كانت مبعث ارتياح. كان الواحد منا يحس فعلا بأن حقوق مسلمي الهند الثقافية والسياسية هي في أمان في ظل قيادته، فلا عجب اذاً أن تجتذب مواهبه القيادية هذا العديد من الشباب المسلم الى العمل السياسي. أما من جهتي، فلا أظنني كنت سألتزم الصراع من أجل الحرية، أنا زوجة أحد كبار رجال الدولة وقد اعتدتُ الحياةَ المرفهة... لو لم ألتقِ محمد علي جناح.

وطن جديد. ولد محمد علي جناحباي (اختصرها لاحقا لتصبح جناح) في ٢٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٨٧٦، وكان الابن البكر لتاجر غني من كراتشي. كان الصغير محمد كثيراً ما يتغيب عن المدرسة مفضلا البقاء في المنزل ليدرس على هواه. وأخيراً ألحقه والده بمؤسسة تجارية في لندن كمتدرب. وافقت والدته على ذلك بشرط أن يتزوج قبل أن يسافر الى لندن. وهكذا عُقد لمحمد، ابن السادسة عشرة، زواج مدبَّر في العام ١٨٩٢. وكتبت شقيقته فاطمة جناح: "ربما كان هذا القرار المهم الوحيد في حياته الذي سمح لآخرين باتخاذه نيابة عنه."

لم يمضِ وقت طويل على وصول محمد الى لندن حتى تخلى عن التجارة لدراسة القانون، لانه أراد مهنة فيها تحدٍ فكري يَعْبُر من خلالها الى الحياة العامة. ثار والده وأمره بالعودة الى بلاده للحال، لكن ذلك لم يجدِ اذ ان والده كان أعطاه مبلغاً من المال يغطي اقامته في لندن مدة ثلاث سنوات.

كان محمد خلال اقامته في لندن يستمع الى نقاشات أعضاء مجلس العموم البريطاني. وتأثر عميقاً بالسياسيين الليبراليين (الاحرار) كما وقع في هوى المسرح وبقي طوال حياته متعلقا بمسرحيات شكسبير. الواقع أن القائد ينتمي الى ذلك الجيل من الهنود الذي تعلق أفراده بالطريقة البريطانية في العمل بعد دراستهم في بريطانيا. وكان يبدو، بثيابه الانيقة ونظارته ذات العدسة الواحدة على عينه اليمنى، كأحد النبلاء البريطانيين. كان غربياً في كثير من مناحي حياته، دقيقا في المواعيد وفي شؤون العمل.

(١) الاستراخان وبر من صوف حملان الكراكول.

أبحر محمد عائداً الى كراتشي في يوليو (تموز) ١٨٩٦ بعدما أمضى ثلاث سنوات ونصف سنة في بريطانيا. كانت عودته كئيبة، فقد توفيت والدته وزوجته خلال غيابه وانهارت أعمال والده.

اختار المحامي الشاب أن يبحث عن مستقبله في بومباي على رغم توافر عمل جيد له في مكتبي محاماة في كراتشي. وما ان استقر في حقل المحاماة حتى بدأ دوراً نشيطاً على الصعيد السياسي، منضماً عام ١٩٠٦ – ويا للعجب – الى حزب "المؤتمر الوطني" ذي الغالبية العظمى من الهندوس. وأصبح من غلاة الداعين الى الوحدة الهندوسية – الاسلامية، وكان رأيه أن المجموعتين لو تكاتفتا لاستطاعتا ممارسة ضغوط أكبر على البريطانيين لكي يغادروا الهند. لكنه توصل تدريجاً، بعدما رفض حزب المؤتمر آراءه غير مرة، الى اقتناع بأن المسلمين لن يحظوا بتمثيل عادل أبداً في هند تهيمن عليها طائفة الهندوس، ولذا أصبح داعية بليغاً لبناء وطن جديد – باكستان – يتشكل من مناطق الهند ذات الغالبية الاسلامية.

تتابعت المواجهات بين القائد ومهندَس كرمشاند غاندي مع تنامي الفرقة بين المجموعتين. ظاهرياً، كانت بينهما قواسم مشتركة كثيرة: فلهجتهما كليهما هي الغوجاراتية السائدة في ولاية غوجارات شمال الهند، وكلاهما درس الحقوق ومارسها في بريطانيا. أما من جهة المزاجية، فقد كان القائد منطقياً وصاحب حجة، بينما اعتمد غاندي الحدس أو "الصوت الداخلي" كما وصفه، وعندما اتهمه القائد مرة بأنه تراجع عن كلامه، رد غاندي بأن "النور الداخلي" أمره بذلك، فثار جناح قائلا: "تبا له وللنور الداخلي، لمَ لا يستطيع الاعتراف بأنه أخطأ؟"

كذلك اختلف الرجلان في أساليب ممارسة السياسة. فقد كان القائد يؤمن بالتغيير التدريجي المنظم، وصحّت توقعاته في أن سياسة العصيان المدني التي اعتمدها غاندي سوف تنتهي الى مزيد من العنف والمرارة. وعندما تبنى حزب المؤتمر في اجتماعاته عام ١٩٢٠ خط غاندي بأكثرية ساحقة، عارض القائد القرار بشدة وقال لغاندي: "ان طريقتك خطأ، والطريقة الصحيحة هي الطريقة الدستورية."

"الله أكبر!" انتقد القائد السياسة الاعتباطية للحكومة باستخدام القوة، معتبراً التوقيف الاحتياطي والرقابة السياسية ومنع التجمعات انتهاكات لحقوق كافح البريطانيون أنفسهم لاحقاقها خلال الحرب العالمية الاولى، وهاجم السلطات حتى عندما كانت اجراءاتها التعسفية تستهدف خصومه السياسيين.

لم يدَّعِ القائد يوماً أنه متديِّن متشدد على رغم أنه كان يمثل حقوق المسلمين وتطلعاتهم. وعندما هلل له الجمهور مرة على أنه كذلك، رد قائلا: "أنا لست

زعيمكم الديني، انني زعيم سياسي."

كان القائد منفتحاً، حتى انه أرسل شقيقته الى مدرسة داخلية للبنات وشجعها لاحقاً على دراسة طب الاسنان. ويعود الفضل الى دعمه المستمر في توجه مسلمات كثيرات – وأنا منهن – الى النشاط السياسي.

كان عشرات الالوف من الفقراء الاميين يتدفقون الى اجتماعاته العامة وهم يهتفون بأصوات تصم الآذان: "الله أكبر!" و"عاش القائد!" كان يخطب بالانكليزية، لضعفه بالاوردية.[2] ومع أن الجماهير لم تكن تفهم شيئاً مما يقوله، فقد كانت تصغي الى صوته الموزون الواضح بانتباه كلّي.

انتفاضة كرامة. لم يسيء القائد استغلال مركزه أبداً، مع أن استحواذه على الجماهير منحه قدرات كبيرة. في اجتماع لحزب الرابطة الاسلامية عام ١٩٤٢ في الله اباد اقترح البعض أن يكون القائد الممثل الوحيد للحزب في المفاوضات مع الحكومة البريطانية، وأن يخوَّل صلاحيات كاملة لأخذ القرارات المتعلقة بمستقبل الدولة الاسلامية. لكن مولانا حصرت موهاني، أحد زعماء الرابطة، احتجّ قائلاً: "القائد ليس ديكتاتوراً، ولا يجوز منحه هذه الصلاحيات."

عم الهرج والفوضى قاعة الاجتماع، وظهر القائد فجأة على المذياع داعياً الى عودة النظام، ثم قال: "ان لمولانا كل الحق في التعبير عن وجهات نظره. وأنتم أيضاً لكم الحق عينه وقتَ التصويت."

وقد صُدِّق القرار بأكثرية ساحقة، لكن القائد لم يأتِ أي عمل من دون موافقة مجلس الرابطة الاسلامية.

كان الخلاف الصادق في الرأي بالنسبة الى القائد شيئاً، والاساءة المتعمدة شيئاً آخر. دعي القائد وزوجته روتي، بُعيد زواجه الثاني في العام ١٩١٨، الى مأدبة عشاء في دار حاكم بومباي البريطاني اللورد ولنغتون. كانت روتي ترتدي ثوباً انحسر عن كتفيها. وعلى مائدة العشاء، طلبت الليدي ولنغتون، في تلميح واضح، وشاحاً للسيدة جناح "لئلا تبرد." فانتفض القائد واقفاً وانتهر الليدي ولنغتون قائلاً: "عندما تحس السيدة جناح بالبرد سوف تعلن ذلك وتطلب وشاحاً بنفسها." ثم انسحب وزوجته من القاعة، ولم يدخلها ثانية الا بعد رحيل آل ولنغتون.

تسلمت فاطمة جناح مسؤولية بيت شقيقها محمد بعد وفاة زوجته روتي في العام ١٩٢٩، ووقفت الى جانبه خلال الصراع السياسي الحاسم الذي امتد عبر العقدين التاليين. دعي جناح في العام ١٩٣٦ الى تسلم قيادة حزب الرابطة الاسلامية، فوضع نصب عينيه هدف توحيد المسلمين لئلا يطغى عليهم الهندوس سياسياً، وهم يفوقونهم عدداً، متى تخلى البريطانيون عن السلطة. كانت مهمته شاقة، فالمسلمون فقراء وغير

(٢) الاوردية هي اللغة الادبية في باكستان.

منظمين. وقد لخص القائد الوضع في جوابه عن سؤال عن سبب بقائه مستيقظاً معظم الليل فيما غاندي ينام، قال: "في استطاعة السيد غاندي أن ينام لأن شعبه مستيقظ، أما أنا فمضطر الى البقاء مستيقظاً لان شعبي نائم." وعندما فازت الرابطة بأقل من ربع عدد المقاعد في انتخابات ١٩٣٧ الاقليمية، شن القائد حملة شعبية مكثفة، فارتفع عدد أعضاء الرابطة، في ثلاث سنوات، من بضعة آلاف الى قرابة المليون.

أيام معدودة. التقيت القائد للمرة الاولى في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٠. كان والدي مستشاراً لدى الحكومة البريطانية آنذاك، ويأمل أن يقرب وجهات النظر بين الحكومة والرابطة الاسلامية، واقترح أن أرافقه الى اجتماع مع القائد. وافقت بعد تردد، لانني كنت سمعت أنه رجلٌ متعجرف وخشيت أن يعاملني باحتقار.

ولكم كنت مخطئة. فقد غمرني القائد وشقيقته فاطمة باللطف ومشاعر الصداقة حتى وجدتني أغرق القائد بالاسئلة. وأصغيت اليه مأخوذة وهو يجيب بعناية عن كل سؤال. تركت تلك التجربة أثراً عميقاً في نفسي، ولما جاءتني فاطمة بعد أيام تسألني المساعدة في تأسيس اتحاد طلبة تابع للرابطة، وافقت من دون تردد.

بازدياد مشاركتي في نشاطات الرابطة، تعلمت الكثير من القائد. في أوائل الاربعينات، خلال فترة تنامي التوتر في الهند، نشرت صحيفة "هندوستان تايمز" مقالة تهاجمني لانني أشارك في العمل السياسي على رغم كوني زوجة مسؤول حكومي. لم تكن التهمة منصفة، لان كثيرات من زوجات المسؤولين الهندوس كن يعملن لحزب المؤتمر من دون أن يتعرضن لأي انتقادات. ذهبت لمقابلة القائد وأنا أستشيط غضباً، فقال لي بواقعية: "ان الصحف تنشر عني يوميا اتهامات أفظع من هذه كثيراً، فلا تدعي الامور الصغيرة تستثيرك." وقد ساعدتني نصيحة القائد عندما واجهت انتقادات جارحة في وقت لاحق.

فازت الرابطة في انتخابات ١٩٤٥ — ١٩٤٦ بنحو ٨٥ في المئة من مقاعد المسلمين، وهذا برهان دامغ على أن الغالبية الواسعة للمسلمين في الهند أيَّدت إحداث دولة باكستان. كان الانتصار بالغ الاهمية، لكنني لم أشك لحظة في عظم الصعوبات الشخصية التي كان القائد يصارعها. فقد كانت صحته معتلة منذ أوائل الاربعينات، وكشفت صور الاشعة في يونيو (حزيران) ١٩٤٦ أن القائد يعاني حالة متقدمة من مرض السلّ. أُبقيت نتيجة الفحوص الطبية سراً، فلو عرف قادة حزب المؤتمر أن أيام القائد باتت معدودة، لاعتمدوا سياسة التأجيل ابان المحادثات النهائية مع البريطانيين. ففي غياب القائد كان من الممكن أن يذعن قادة الرابطة لضغوط البريطانيين فلا تبصر دولة باكستان النور أبداً.

باكستان جديدة. أحزنني ألا أتمكن من الحضور الى كراتشي في ذلك اليوم العظيم، ١٤ أغسطس (آب) ١٩٤٧، يوم مولد باكستان. وصلت الى باكستان في منتصف سيتمبر (أيلول)، والتقيت القائد الذي أصبح حاكمها العام. كان مرهَقاً، مجهَداً. فقد أدى الانفصال الى مذابح واسعة النطاق. وتدفق ملايين اللاجئين المسلمين من الهند، فأثقلوا كاهل الاقتصاد الباكستاني المنهار. سألني القائد عن مشاعري فأجبته: "لقد اشتقت الى دلهي."

صمت القائد هنيهة ثم قال: "انني أدرك ما تعنين، ولكن أكنت تحتفظين بالحجار وتخسرين الروح؟"

انتُدبت في أغسطس (آب) ١٩٤٨ لتمثيل باكستان في مؤتمر للامم المتحدة عُقد في باريس. وأدركت أن القائد كان يفي بالوعد الذي قطعه في العام ١٩٤٥.

لم تسنح لي فرصة لسؤال القائد عن رأيه في أدائي في الامم المتحدة، فقد سمعت النبأ الفاجع في ١٢ سبتمبر (أيلول) وأنا لا أزال في لندن: لقد توفي القائد في كراتشي بالأمس، وكانت آخر كلماته كلمتان كرَّس لهما حياته: "الله... باكستان."

كان القائد يردد أنه أقام وطناً من الفوضى. لكنني أحس الآن، وأنا أرى نزاعاتنا الداخلية، أننا عدنا الى الفوضى. قد لا يجدينا أن نطمح الى زعيم آخر كالقائد، لكننا الآن أمة حرة، ونستطيع على هديه أن نبني باكستان جديدة.

شايستا اكرام الله

كما رَوَتْ لأشوك مهاديفان ■



جدول هادىء!

خلال تطوافنا في ولاية فلوريدا الامريكية توقفنا بالقرب من جدول متلوّ تظلله الاشجار. كانت مياهه صافية مغرية، فنزع زوجي ثيابه وراح يسبح جذلاً. وفيما انا استطلع الضفة، توقفت مصعوقة وصرخت بأعلى صوتي. فرفع زوجي راسه من الماء ورآني اشير الى لافتة على بعد أمتار كتب عليها: "الرجاء عدم اطعام التماسيح."

ا.ا.

مسكين!

في اثناء زيارة عمل خارج مدينتنا تعرضت لحادث بسيط استدعى نقلي الى المستشفى. فاتصلت الممرضة بزوجتي تنبئها بما حدث، وعادت الي وعلى وجهها نظرة اشفاق: "نقلت رسالتك الى رجل رد عليّ وقال انه والد احد اولاد زوجتك!" وخرجت الممرضة قبل أن اشرح لها أن زوجتي تدير حضانة اطفال.

ت.و.

صور من الحياة

مثل "بابا"

■ لي ابن عم شاب أصلع، كثيراً ما تعرض لمواقف ساخرة بسبب صلعه. ذات يوم اصطحب طفلته ذات السنوات الاربع الى صالون الحلاقة لقص شعرها. ولما سألها الحلاق عن القصة التي تحب، ردت: "أيمكنك أن تقصّه بحيث تبقى على ثقب في الاعلى، تماماً كشعر بابا؟"

ج.ب.

طويلة البال

■ كنا في طريقنا الى المدينة لارتباط أمي بموعد مع طبيب الاسنان. وفي منتصف المسافة تذكرت اني تركت محفظتي في المنزل. فانعطفت عائداً بالسيارة. وبعدما أحضرت المحفظة واجتزنا معظم المسافة الى المدينة، اعترضتنا بقعة من الجليد. ضغطت دواسة الكابح فاستدارت السيارة وفتلت بنا مرتين وتوقفت في الاتجاه المعاكس. فتنهدت أمي قائلة: "والآن، ماذا نسيت يا بني؟"

س. هـ.

ممثلة قديرة

■ عدت الى الوطن في اجازة قصيرة، فزرت والدتي البالغة من العمر ٩٢ عاماً وفي حوزتي آلة تسجيل لاقتناص بعض طرائفها الشائقة واسماعها لاحفادها في كندا. وقبل بدء التسجيل حذرتها قائلة: "أمي، سوف أطرح عليك بعض الاسئلة التي أعرف أجوبتها، لكن تظاهري بأني مندوبة من الاذاعة."

وتحدثنا طويلا، وأخيراً سألتها: "وكيف التقيتِ والدي؟" فسرَّحت نظرها هنيهة ثم قالت بوقار: "والدك؟ آه، أتقصدين زوجي، السيد حمدي؟"

ف.ح.ر.

ماذا في القمقم؟

■ دخلت مجمعاً تجارياً لشراء بعض الاغراض ووضع فيلم للتظهير. وكنت في عجلة من أمري، فوضعت العلبة البلاستيكية في المغلف الخاص وملأت القسيمة المرفقة ذاكراً اسمي ورقم هاتفي، وأسرعت عائداً الى المنزل. وبعد ساعات تلقيت اتصالا من قسم التصوير في المتجر يأسف فيه الموظف لعدم قدرته على "تحميض" قمقم الدواء الموضوع في المغلف.

ر.ب.

هموم الطبخ

■ اعتزمتُ زيارة أهلي المقيمين في مدينة بعيدة لتمضية تسعة أيام معهم. فطلبت من بناتي الثلاث أن تعدّ كل منهن ثلاث وجبات عشاء خلال فترة غيابي. فقالت الكبرى انها ستحضّر يخنة وسمكاً وعجّة بيض. واختارت الوسطى تحضير طبق سردين وفطائر جبنة ومعكرونة. وعندما سألت الصغرى عن اختياراتها أجابت من دون تردد: "الفضلات يا أمي."

ا.ف.



انطفأت مصابيحهم داخل الكهف المظلم فقبع المستكشف وولداه على صخرة باردة ينتظرون النجدة... أو الموت

ثلاثة في متاهة

سأل غاري لوتس ولديه وهو يقود شاحنته الزرقاء الصغيرة في الطريق الجبلية: "هل تَريان أي معالم تشير الى اقترابنا من تلك الدرب الترابية؟" هز بادي (١٣ عاماً) وتيم (٩ أعوام) رأسيهما وأجابه تيم: "ليس بعد."

كانوا يبحثون عن الدرب المؤدية الى كهف "نيو تراوت" الذي خططوا لاستكشافه، وهو احد الكهوف الكلسية في ولاية فيرجينيا الغربية.

وغاري (٣٧ عاما) مسّاح أراض في فلوريدا، ترعرع في هرندن بفيرجينيا حيث تعرف الى المغامرات الكشفية عندما كان مراهقاً. والتقى في احدى هذه الرحلات زوجته ليندا التي شاركته في حبه للتخييم واستكشاف الكهوف. وهما خططا لاصطحاب ولديهما في رحلة استكشاف ذات يوم، لكن أمنيتهما لم تتحقق إذ توفيت ليندا وهي في الثانية والثلاثين بعدما أصيبت بالسرطان.

وكرّس غاري حياته للاهتمام بولديه خلال السنوات الأربع التالية.

لمح تيم أخيراً الدرب الضيقة المؤدية الى سفح الجبل، فحاد غاري عن الطريق العامة وأوقف الشاحنة. وأنزل الثلاثة عدتهم.

في التاسعة والنصف صباح الاثنين ١٨ يونيو (حزيران) ١٩٩٠ تسلق المغامرون الثلاثة الى مدخل الكهف. ووقّع غاري سجلَّ المستكشفين هناك. وما لبث أن اختفى مع الصبيين في عتمة المدخل.

كان بادي وتيم يرتديان سروالين من الجينز وواقيات للركب وقمصاناً ذات أكمام طويلة. أما غاري فارتدى قميصاً ذا كمين طويلين ورداء سروالياً[1] واعتمر كل منهم قبعة ثُبت عليها مصباح. وسرعان ما بدت مصابيح الكربيد الخافتة مشعة في ظلمة الكهف الحبرية.

واذ توغلوا داخل الكهف حيث بلغت الحرارة ١٢ درجة مئوية، كشفت فوانيسهم بخار نَفَسهم البارد.

كان غاري يستكشف الطريق من دون استعمال معلّمات اصطناعية، شأن معظم مستكشفي الكهوف ذوي الخبرة. لكنه كان يقف عند كل منعطف لحفظ بعض الشواهد، فهو لم يضع طريقه يوماً خلال عشرين عاماً من استكشاف الكهوف.

بعد اجتياز ٤٠٠ متر تقريباً داخل الكهف قرر غاري "تعبئة" المصابيح قبل بدء استكشاف المداخل الضيقة الملتوية المعروفة بـ"المتاهة." ففك القسم السفلي من مصباح بادي ووضع حبيبات جديدة من الكربيد مكان الوقود المستهلك. ثم فتح صماما لكي يقطر الماء على الكربيد، وينتج من ذلك المزيج غاز الأسيتيلين. نقر غاري حجر الانارة المستدير باصبعه فتوهجت الشعلة الضئيلة في المصباح مجدداً. وكرر غاري العملية في مصباح تيم ثم في مصباحه.

عندما انحنى الثلاثة استعداداً لدخول المتاهة لم يلاحظ أي منهم السجل الثاني للداخلين الموضوع على صخرة قريبة. فعلى كل من يدخل "المتاهة" أن يسجل اسمه وأوقات دخوله وخروجه، كاجراء احترازي.

سار الثلاثة وزحفوا عبر ممرات ضيقة متداخلة. واصطدمت قبعاتهم بهوابط كلسية خفيضة وخطط وجوههم غبار أسود كثيف.

وبعدما قطعوا مسافة مئتي متر داخل "المتاهة" دعا غاري الى استراحة قصيرة. كان عليهم، تالياً، تسلق مسقط حاد ثم اقتحام نفق صغير. ألقى غاري نظرة على صرّة النايلون المليئة بالطعام ووقود الانارة والشموع والماء، وأخذ قراراً سريعاً: "لنترك معداتنا هنا بينما نستطلع الأنفاق القليلة التالية." ثم حدد ثلاثين دقيقة على ساعة التوقيت وهي المدة المقدَّرة لدوام وقود الانارة في المصابيح. وانطلق الثلاثة من جديد.

بعد عشر دقائق كانوا قطعوا مسافة ستين متراً داخل المتاهة حينما بدأ النور

---

(١) Overalls



يتقطع في مصباح تيم مما أثار عجب غاري فقال: "لنعد أدراجنا. يجب ألا نجازف، اذ يبدو أن المصابيح لا تعمل جيداً." وبعدما ساروا مسافة عشرة أمتار انطفأ مصباح تيم كلياً.

أصبح تقدمهم أبطأ ببقاء مصباحين فقط. ثم بدأ النور في مصباح بادي يتقطع بدوره، فشعر غاري بلذعة ذعر باردة، وقال متوتراً: "حسناً أيها الشابان يجب أن نتحرك الآن."

حين انطفأ مصباح بادي اغتاظ غاري من نفسه لأنه ترك الصرة وراءه. وإذ به

ذعراً اذ أدرك حقيقية الوضع: لقد ضلّوا الطريق.

قال محاولا تهدئة صوته: "يا شباب، أعتقد أن علينا العودة من حيث أتينا."

حدّق اليه الصبيان متعجبين، وسأله بادي: "هل ضللنا الطريق يا أبي؟"

لم يكن غاري يريد اخافتهما فأجاب: "لا، كل ما في الأمر أنني لم أر هذا المكان من قبل."

لكن غاري كان يقاوم الخوف المتنامي داخله. لم يستطع العثور على علامة واحدة مألوفة. وعندما سلك نفقاً جانبياً ظنه واعداً، تراءت أمامه العصا الغليظة نفسها فحدق اليها مشدوهاً يكاد لا يصدق عينيه. ثم حاول أن يسلك ممرين آخرين، لكنه كان يجد نفسه دائماً في المكان ذاته قرب العصا الغليظة. فجأة بدأ نور مصباحه يتقطع، فقال بادي: "أريد الخروج من هنا يا أبي."

سمع غاري هذه الكلمات فسرت في جسده موجة ندم. وكان قميصه مشبعاً بالعرق على رغم البرودة. قال متصنعاً الهدوء: "لنتابع سيرنا."

لكن مصباحه ما لبث أن فرقع وانطفأ كلياً بعد دقائق. فتسمر الثلاثة في عتمة تامة مذهولين.

لقد توقفوا في حجرة وطيئة تكاد لا تعلو متراً ونصف متر، وقربهم هاوية حادة. حاول غاري الثبات كفاصل بين الولدين والهاوية، وخاطبهما: "لا تتحركا!" وفكر في أن يزحف بينما يتعلق الصبيان بساقيه. لكنهم عجزوا عن



يصلي: "ساعدني يا رب على إخراج ولدي من هنا."

دخلوا ممراً ضيقاً، فكشف نور مصباح غاري عصا غليظة أسندت الى حائط الكهف. ولم يكونوا مروا بهذه العلامة أثناء الدخول. فتحول قلق غاري

الخروج عندما كانت لديهم إنارة، فما هي فرص نجاحهم وهم في الظلام؟ ان خطوة خاطئة واحدة قد تؤدي الى كارثة.

خفافيش! خاطب غاري نفسه: "يجب أن أحل المشكلة." وخطرت بباله فكرة فقال: "لننخل الوقود الذي في حوزتنا ونحاول الحصول على قليل صالح. فقد يتوافر لنا بذلك نور كاف يساعدنا في العثور على مكان أكثر أماناً."

جعل غاري يتحسس حبيبات الكربيد الرملية. التقط بعض الأجزاء الصالحة ووضعها في مصباحه. فما لبث أن اشتعل اللهب الوامض في المصباح بعد ثوان.

صرخ غاري: "هيا بنا!" وشرع يستعجل الصبيين في السير عبر قنوات قصيرة الى أن بلغوا حجرة واسعة، فقال مشيراً الى صخرة ملساء بحجم طاولة: "يمكننا الجلوس هنا." وتسلق الصخرة وتبعه ولداه. وعندما انطفأ النور في المصباح بعد دقائق أدركوا أنه لن يعود أبداً.

أرهق غاري شعوره بالندم والذنب، فهو بتخليه عن تجهيزات الطوارىء أخلّ بأهم القواعد الكهفية: احمل دائماً مصدرين اضافيين للانارة. لكنه اعتاد الاعتماد على معداته الشخصية بعد سنوات من الخبرة. وبعد صمت طويل سأل ولديه: "هل أنتما بخير؟"

أجابا بنبرة قوية مطمئنة: "نعم، نحن بخير." لكن تيم أضاف: "أبي، متى تظن أننا سنخرج من هنا؟"

أجاب غاري: "يُفترض أن يعثروا على شاحنتنا غداً أو بعد غد فيرسلوا فريقاً لانقاذنا."

لكن فكرة قاتمة خطرت له فجأة: "ماذا لو سُرقت الشاحنة المهجورة على الطريق المقفرة؟ بذلك نكون اختفينا من دون أثر، فلا أحد يعرف مكاننا بالتحديد."

كان غاري أخبر أخاه جيم بأنهم سيكونون يوم الخميس في منزل والدي ليندا في ريتشموند بولاية فيرجينيا. لكنه تساءل: "هل نبقى أحياء الى ذلك الحين؟"

شرع غاري يشرح للغلامين: "ان الخطر الكبير الذي نواجهه هو هبوط حرارة أجسامنا. لذلك تنبغي المحافظة على هذه الحرارة." وأشار عليهما بأن يستخدما واقيات الركب السميكة لعزل أجسامهما عن الصخرة الباردة، وأن يبقيا ساكنين ما أمكن.

جلسوا بهدوء في الظلام فغلب عليهم النوم. وفي التاسعة مساء، حسبما أشارت ساعة غاري ذات الأرقام المضيئة، سمعوا أصواتاً غريبة حادة.

قال غاري: "انها خفافيش!" وسرعان ما غطتهم غيمة من الأجنحة المرفرفة والصرخات الحادة وأحاطت بهم الكائنات الطائرة من غير أن يروها.

وما لبثت الخفافيش أن عادت في الخامسة صباحاً. فأصغى غاري وبادي وتيم الى أصواتها الحادة تخترق آذانهم وهي متشبثة بالجدران حولهم. ثم ساد الهدوء مجدداً.

مرت ليلتهم ببطء، فأدركهم الصباح وهم يرتعشون. وقد جفّ الريق في أفواههم.

وعند الظهيرة بدأت معدهم تقعقع جوعاً. وجاهد غاري لكي يبقى متفائلاً، فهو يعلم أن اليأس لا يجدي. وقال: "انه يومنا الاخير هنا، لحسن الحظ." وفي التاسعة والنصف مساء خرجت الخفافيش الضاجّة مرة أخرى.

ثم ما لبثت أن عادت معلنة بزوغ فجر الأربعاء، فنهض غاري وولداه مرتعشين في الجو الرطب محاولين نفض الخدر الناجم عن نومهم المتقلب. وكان توقهم الى الماء على أشده.

بعد ظهر الأربعاء أفاد أحد السكان قرب كهف "نيو تراوت" عن شاحنة مهجورة في الطريق العامة. وتبين بعد التحقق من لوحتها أنها تخص غاري لوتس من تامبا بولاية فلوريدا. فطلبت دائرة الشرطة في ولاية فيرجينيا الغربية من سلطات تامبا تقصّي مكان وجود لوتس.

قرابة الثالثة قصد شرطي منزل غاري، فأعلمه أحد الجيران أن العائلة في اجازة.

صحو وغيبوبة. أصبح صوت غاري أجشّ، وأحس آلاماً حادة في صدره. وبحلول المساء لم يعد يقوى على الجلوس، فقال لولديه: "اذا متّ في الليل فخذا قميصي واستدفئا به." شرع بادي وتيم يبكيان، لكن غاري تابع بألم: "أنا أوقعتكما في هذه الورطة."

عانق بادي والده بقوة وقال وهو يجهش بالبكاء: "انها ليست غلطتك."

وأضاف تيم بنبرة متهدجة: "انك أفضل أب في العالم. لا يمكن أن تموت."

استرخى غاري على الصخرة الباردة والصبيان حوله يعانقان صدره. توسلا اليه لكي يجلس لكنه لم يستجب، فبقيا متقوقعين قربه.

صباح الخميس استيقظ بادي مجفلا فمد يده الى والده وقال مذعوراً: "أبي! هل أنت بخير؟"

أجاب غاري: "أنا هنا يا بني."

عانق الصبيان والدهما فرحين، فقد بدا لهما أن صوته أقوى.

كان الثلاثة يرتجفون وهناً وبرداً. وكانت ألسنتهم كالمبرد تكشط الحَلْق كلما بلعوا ريقهم.

عصر الخميس تلقت دائرة الشرطة في ولاية فيرجينيا الغربية برقية من تامبا. وقطب الشرطي ريك غيلسباي حاجبيه عندما علم أن لوتس في اجازة مع ولديه. وفكر في نفسه: "أشعر بأنهم في ورطة." واذ لاحظ قرب شاحنتهم من كهوف عدة، اتصل بالجمعية الوطنية لاستكشاف الكهوف فعلم أن لوتس عضو قديم فيها، فطلب معلومات عنه.

في ذلك الوقت كان تيم وبادي يهذيان، وبين الصحو والغيبوبة يحلمان بأنهما أنقذا.

أما غاري فكان يفكر: "لا يمكن أن

نستمر هكذا مدة أطول." وتذكر صلاة رددها مراراً بعيد وفاة ليندا: "يمكنني القيام بأي شيء بمعونة الله عز وجل. فهو يمدني بالقوة." وها هو الآن يصلي: "أعطنا القوة يا رب."

أمضوا ليلة الخميس في هذيان. وأضناهم العطش وانسّدت حناجرهم من الغبار ولازمهم السعال.

في ساعة متقدمة من عصر الجمعة بدأوا يدركون أن أي محاولة لانقاذهم باتت متأخرة.

سأل بادي بنبرة فاترة: "كيف هو الموت يا أبي؟"

فأجاب غاري بألم محاولا انتقاء الكلمات المناسبة: "ان فقدان الماء من الجسم يضفي علينا شعوراً بالدفء والنعاس في البداية، ثم نفقد الوعي تدريجاً الى أن تتوقف قلوبنا عن الخفقان."

صمتا يتأملان كلماته، ثم سأله تيم: "وبعد ذلك؟"

أجاب غاري بصوت خافت: "سنكون في الجنة. لن يكون هناك عطش ولا عتمة. نحن الأربعة – مع أمكما – سنكون معاً." ثم تعانقوا مجدداً وتمددوا على الصخرة غافلين عن البرد.

"نحن هنا!" في السادسة من مساء الجمعة بُثَّ خبر عبر اذاعة صغيرة لمستكشفي الكهوف أن مستكشفاً من زملائهم قد اختفى. فسمع طوني وليمس النبأ، وهو عضو في الجمعية الوطنية لاستكشاف الكهوف في خليج تامبا، فقرر الاتصال بكل الأسماء المدرجة في سجل الهاتف والتي تحمل اسم "لوتس" عله يعثر على قريب لغاري.

في السابعة والنصف كان جيم يرد على المكالمة الهاتفية. قال له وليمس انه يود التأكد من اختفاء غاري. فاتصل جيم بوالدي ليندا ثم عاود الاتصال بوليمس ليخبره: "انهم ليسوا هناك."

تجمع خلال الساعتين التاليتين مستكشفون من "البعثة الوطنية لانقاذ رواد الكهوف" عند الهضبة القريبة من الكهوف الثلاثة "تراوت" و"نيو تراوت" و"هاملتون." لفت انتباههم توقيع غاري في السجل الخارجي في "نيو تراوت"، لكنهم لم يجدوه في السجل الداخلي فركزوا تفتيشهم على الكهفين الآخرين.

قبيل منتصف الليل قرر جون همبل، المنسِّق الاقليمي في البعثة، معاودة التفتيش في "نيو تراوت" بمساعدة مارتي هاردي وريك باكاس. وفي الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل كان جون ومارتي وريك قطعوا حوالى خمسين متراً داخل "المتاهة" عندما وقعت أنظارهم على صرّة حمراء من النايلون.

هتف جون: "ها هي!"

صاح المنقذون: "غاري! تيمي! اصرخا ان كنتما تسمعاننا!" لكن الصمت ظل سائداً على رغم نداءاتهم المتكررة. وفي الاولى صباحاً بدأ المنقذون يخشون ما حصل.

أفاق غاري من غيبوبته فسمع اسمه،

لكنه اعتقد أن الهذيان يعاوده. ثم تحرك تيم وبادي بالقرب منه.

"غاري! تيم! هل تسمعاننا؟"

جلس تيم لاهثاً وصاح: "نحن هنا!"

انتبه أبوه وأخوه لدى سماع رده المهتاج واشتركا في صراخ أجش.

بعد دقائق أضاءت مصابيح المنقذين ثلاثة أجسام غطاها غبار أسود كثيف. فتمتم هاري: "الحمد لله."

أُدخل آل لوتس المستشفى وعولجوا من جفاف حاد. كان من جراء محنتهم أن عانى غاري وتيم تلفاً في الأعصاب بسبب تعطل الدورة الدموية، وانهارت رئة بادي.

ويؤكد غاري اليوم أنهم، على رغم التجربة التي كادت تودي بحياتهم، يخططون لاستكشاف الكهوف ثانية في يوم من الأيام. وهو لا يزال يجهل سبب تعطل مصابيحهم، لكنه يعتقد أن الكربيد الذي كان في حوزتهم ذاك اليوم كان رطباً. ويضيف أن المحنة التي مر بها وولديه قرَّبتهم أكثر: "أعتقد أننا أقوى الآن، كأفراد وكعائلة. فمهما تكن الصعاب التي قد تواجهنا، فسوف نتذكر دائماً هذه المحنة فندرك أن النجاح لا بد حليفنا. اني أحمد الله كل يوم لأننا ما زلنا معاً."

ديبرا موريس ■



فندق الاموات

قالت صاحبة الفندق للنزلاء: "نحن هنا نحب الهدوء. هل معكم اجهزة راديو؟"
اجاب النزلاء: "لا."
"وهل يضج الاولاد؟"
"لا، انهم في منتهى الهدوء."
"وماذا عن ذلك الكلب؟ هل ينبح؟"
"كلا." اجاب احدهم، "لكني أود ذكر امر واحد، وهو أن لدي قلم حبر يحدث صريراً عندما أكتب."

ا.ف.

زوجة ديبلوماسية

كنا نسكن شقة صغيرة جداً. وقد اعتاد زوجي رمي صفحات الصحف على الارض بعد قراءتها. كان ذلك العمل يثيرني، فصممت على معالجة الأمر ديبلوماسياً. ولدى عودته من عمله ذات يوم استقبلته بالتحية: "طاب مساؤك يا سيدي. ارجو المعذرة لهذه الفوضى التي تراها، فزوجي يرمي الصحف على ارض الغرفة."
فاجاب: "لا حاجة الى المعذرة يا سيدتي، فهذا العمل هو من عادتي انا ايضاً."
ضحكنا طويلا وحلّت المشكلة.

أحذروا هذه المعتقدات المضللة

قد تكون العلاقة الزوجية أسعد العلاقات في حياة الفرد، وقد تكون أشدها خيبة. فالاعتقادات الخاطئة والافتراضات المضللة تخلف عدداً لا يحصى من الزوجات والازواج المخيَّبين المتفقين مع الكاتب الساخر الذي قال: "الزواج يشبه حمّاماً ساخناً، متى اعتدته وجدته أقل حرارة."

أوهام تدمر الزواج

والجميع يعلم أن ماء الاستحمام عندما يبرد يضاف اليه مزيد من الماء الساخن. فاذا رغبتم في ابعاد البرودة عن العلاقة الزوجية فعليكم أن تتخلصوا من الاوهام. هنا خمس من الخرافات الشائعة التي يمكنها أن تدمر الزواج.

١ . يجب تحديد النواقص الزوجية واصلاحها.

من المؤسف أن أزواجاً كثيرين نادراً ما يتحادثون الا عندما يقع الخطأ. وهم يقعون ضحية الخرافة القائلة بوجوب التخلص من النواقص الزوجية بأي ثمن.

اعترفت لي امرأة كانت تنتقد زوجها باستمرار، قالت: "ترعرعتُ في منزل سادته فوضى دائمة. كنت أشعر بحرج كلما دعوت أصدقائي. وكان حلمي بالزواج يتمثل في امتلاك بيت نظيف. الا أن زوجي نشأ في بيت شديد الترتيب وكان يمقته، ورأى في منزل أحلامه مكاناً للاسترخاء والراحة. هكذا تحطم تصورنا للزواج المثالي بعد عودتنا من شهر العسل، وراحت الامور تسوء تدريجا."

حاول الزوجان تبديد هذه الافكار المتناقضة، لكن حياتهما لم تتحسن الا عندما استرخيا وتركا المسألة تتلاشى.

وتابعت المرأة روايتها: "أصبحت علاقتنا الزوجية أسعد عندما بدأنا نعالج الامور بحسب أهميتها." وبعبارة أخرى، تحسنت أحوالهما عندما تخطيا نقطة الضعف هذه في زواجهما وأمضيا مزيداً من الوقت للنظر في نقاط القوة.

تنجح العلاقات الزوجية وتستمر عندما يشدد كل شريك على نقاط القوة لدى شريكه ويقلل من شأن نواقصه، أو كما

عبر الفيلسوف الامريكي وليم جايمس: "فن الحكمة هو فن معرفة الامور التي يجدر اغفالها."

٢ • المرح ينتظر.

في سياق تخطيط المشاريع المستقبلية، ينزع كثير من الازواج الى تأجيل متعتهم الآنية. هناك دائماً أمور تدعو الى القلق، كتربية الاولاد وشراء منزل والتقدم في العمل.

بن رجل أعمال ناجح كدّ طوال حياته الزوجية. وهو يقول: "لم أمضِ وقتاً كافياً مع زوجتي ايفلين. كنت منشغلاً جداً في تأمين نجاحي المهني. ثم توفيت ايفلين بعد مرض عضال، وتقاعدت أنا بعد وفاتها بسنة واحدة. انني الآن نادم أشد الندم، وأتحسر دائماً لانني لم أقضِ مزيداً من الوقت معها ومع أولادنا. ليتني مارست بعض الهوايات. فلطالما اعتقدت أنني أستطيع تحقيق هذه الامور لاحقاً. لاحقاً هو الآن، لكن الاوان قد فات."

لا بد من أن يكون لدى الازواج بعض التخطيط للمستقبل. فالزوجان اللذان لا يخططان اطلاقاً يتجهان نحو الكارثة، مالية أم عاطفية. الا أن الزوجين اللذين يركزان على المستقبل أكثر مما يركزان على التمتع بالوقت الراهن هما أيضاً يترجحان على حافة الكارثة. أورد الدكتور سبنسر جونسون في كتابه "الحاضر الغالي"[١]: "من الحكمة أن أفكر في المستقبل وأن أهيىء لمستقبلي. ولكن من البلاهة أن أعيش في المستقبل، لانني بذلك أخسر نفسي."

عندما سئلت الممثلة شيرلي تمبل بلاك عن سر سعادتها الزوجية، روت قصة عن زوجها تشارلز ووالدته: "عندما كان تشارلز صبياً سأل أمه عن أسعد لحظة في حياتها، فأجابته: "هذه اللحظة بالذات." سألها: "ولكن ماذا تقولين عن يوم زواجك؟" أجابته: "في ذلك الحين كانت تلك أجمل لحظات عمري. لا يمكنك أن تتمتع كليا الا باللحظة التي تكون فيها. بالنسبة الي، تلك هي دائماً أسعد لحظة في حياتي."

٣ • من السهل رؤية العلامات المنذرة بفشل الزواج.

من المؤكد أن ثمة علامات تنذر بفشل الزواج، كالتوعد والتورط بعلاقة عاطفية. لكن المحاذير ليست حاضرة دائماً. فمن الصعب عادة توقع حصول انفصال أو طلاق، اذ ان اشارة انذار في علاقة ما قد تكون نمطاً حياتيا مقبولا في علاقة أخرى.

احتفلت احدى صديقاتي باليوبيل الفضي[٢] لزواجها. أخبرتني أن بينها وبين زوجها قليلا من الاهتمامات المشتركة. هذا الامر قد يدمر بعض العلاقات الزوجية، لكنه في هذه الحال كان عاملا

---

(١) The Precious Present

(٢) اليوبيل الفضي هو ذكرى مرور ٢٥ سنة على مناسبة ما.

مساعداً. قالت لي صديقتي: "الوقت الذي نمضيه معاً ينعشنا ويبهجنا."

من ناحية أخرى، ثمة أشخاص مثل ديفيد وسارة اللذين كانا مرشحين مثاليين لاتحاد زوجي هانيء دائم. كانا ناضجين عاطفيا، ورزقا طفلهما البكر بعدما رسّخ ديفيد مركزه المهني طبيب أسنان. لكنهما تطلقا بعد اثنتي عشرة سنة. تقول سارة: "انجرف واحدنا بعيداً عن الآخر."

دونالد هارفي مؤلف كتاب "الزواج المنجرف"[٣] يعتبر هذه الظاهرة احدى أشكال الفشل الزوجي الاكثر شيوعاً وخطورة: "انها ظاهرة رقيقة خادعة غير عدوانية، لا تطلق انذارا لكنها تزحف تدريجاً الى حياتنا فتدمرها."

العلاقات الزوجية الجيدة تتطلب أكثر من غياب التهديدات الخطرة. انها تتطلب تغذية دائمة.

٤ • الزواج أمر جدي.

لا شك في أن علينا التزام تعهدنا الزوجي بجدية. ولكن علينا أيضا أن ندرك قيمة القليل من الفكاهة لمساعدة أنفسنا وشركائنا في كفاحنا اليومي. كثير من الازواج جديون الى حد أنهم ينسون كيف يسترخون ويستمتعون بالضحك، فتصبح حياتهم الزوجية باهتة لا تألُّق فيها.

كتبت فيليس ماغينلي: "العائلات السعيدة تتشابه في أمور عدة، أحدها وجوه أفرادها المرحة. هؤلاء يتمتعون عادة بروح عائلية مرحة يختزنونها لمواجهة الاوقات الحرجة. ليس ضرورياً أن يكون المرح ذكياً، فقد تكون النكات غير مفهومة للغرباء. وقد ينبثق الضحك من أسباب تافهة، الا أن للنكات والضحك قيمة غالية لانها تخص العائلة."

أحيانا يشكل المرح الزوجي صمام أمان. عملتُ لمدة سنتين مساعدة لمديرة تتعاطى الكحول. كانت غريبة الاطوار في مواقفها وتصرفاتها وقراراتها. وفي بعض الايام، حين كنت أتوقع اجهاداً استثنائياً، كان زوجي يقول لي وأنا أغادر البيت الى عملي: "تذكري أنك أنت الصاحية!" هذه العبارة المرحة كانت تشجعني على مواجهة ما يأتيني به نهاري.

٥ • العلاقة الجنسية الجيدة تصنع زواجاً جيداً.

الواقع أن العكس هو الصحيح. فالعلاقة الزوجية الجيدة هي أساس علاقة جنسية جيدة. وعلى رغم أن الجنس قد يوفر الانجذاب الاولي، فالازواج الذين يعجزون عن اقامة روابط غير جنسية يجدون أن العلاقة الجنسية الجيدة لا يمكنها التعويض عن علاقة زوجية رديئة. عندئذ تنقلب العلاقة الجنسية الجيدة علاقة رديئة، مثلها مثل بقية جوانب العلاقة الزوجية.

بدأ ريك وجين حياتهما الزوجية بعلاقة جنسية رائعة. ولكن بعد فترة، مثل كثير من الازواج، راحا يتجادلان حول كل

(٣) The Drifting Marriage

الامور اليومية. وانتقلت هذه المشاحنات الى غرفة نومهما. يقول ريك: "ذات ليلة قالت لي جين: "لو كنت تحبني كما في السابق لرغبت أكثر في معاشرتي." ثم أوت الى سريرها بعدما أخبرتني أنها تعبة. صدَّقت حقاً أنها تعبة، فهذا ما قالته. لكنها صباح اليوم التالي بدت غاضبة ولم تنبس بكلمة. لامتني لأنني لم ألحق بها الى السرير مباشرة. وساءت علاقتنا شيئاً فشيئاً. لكن سوءها يظهر أكثر وضوحاً في السرير."

وعكس ذلك صحيح أيضاً، اذ عندما تتحسن العلاقات العاطفية يتحسن الجانب الجسدي أيضاً.

باختصار، يحتاج الزواج الى أكثر من حب رومنطيقي أولي ليبقى نابضاً بالحياة. الازواج السعداء هم الذين يستنبطون نمط حياة يلائمهم أكثر. وهذا يعني، أكثر من أي شيء، التعالي عن الخرافات المدمرة والمفاهيم الخاطئة للتوصل الى أسمى ما يقدمه الزواج: العلاقة الاكثر فرادة وخصوصية بين العلاقات الانسانية كلها.

بربارة راصل تشيسر ■



مجنونٌ في مِصْعَد!

كنت وحيداً في مصعد لمَّا سمعت عبر جهاز الاتصال الداخلي صوتاً يسأل ان كان أحد الازرار الكهربائية مضاء، موضحاً أن عطلا طرأ على كمبيوتر المصعد. وفيما كنت أرد على الصوت، وَلَج المصعد رجل تبينت من التعبير المرتسم على محيّاه أنه خالني أخاطب نفسي. فأوضحت له اني أكلم جهاز الاتصال الداخلي. وكَمْ كانت خيبتي كبيرة عندما ظل الجهاز أبكم لا ينبس بكلمة، فناشدته: "هيا، لا تخذلني، إن هذا الرجل يظنني مجنوناً." لكني لم ألقَ رداً.

واذ غادر الرجل المصعد دوّت ضحكة عبر جهاز الاتصال تلاها سؤال: "هل خرج صاحبنا؟ اعذرني، لكنها فرصة لم أرغب في تفويتها."

م.ب.

طفل ودودة أرض!

كانت ابنتي وطفلها الصغير يبحثان في تربة حديقتي الناعمة عما يمكن استخدامه طعماً لصيد السمك. فعثر الصبي على حشرة كثيرة القوائم رفعها بزهو أمام عيني والدته التي أخبرته بلطف: "كلا يا حبيبي، انها لا تصلح طعماً، فهي ليست دودة أرض."

اتسعت عينا حفيدي وشهق قائلا: "ليست دودة أرض؟ من أي كوكب أتت اذاً؟"

ر.ج.

كيف تصبح مليونيراً؟

لا حظّ للمقاولين المنفردين في هذا العصر، عصر الشركات العالمية الكبرى التي تديرها جيوش من أصحاب الشهادات العالية في ادارة الاعمال. أم ان ذلك غير صحيح؟

هنا قصص ثلاثة ناجحين بدأوا من الصفر، وبدعم من الأهل والأصدقاء وقليل من الخبرة والمرونة المكتسبتين خلال الممارسة، استطاعوا أن يثبتوا أن الفكرة الصحيحة لا بد من أن تنجح في النهاية.

فتاة المواقف

ذات يوم من العام ١٩٨٣ سمعت ليزا رينشو أحد الاصدقاء يقول انه في حاجة الى من يساعده في ادارة مرأب للسيارات يملكه بالقرب من محطة "بن" للسكك الحديد في بلتيمور. بدا ذلك تحدياً مثيراً للفتاة التي كانت في ذلك الحين تعمل في دق المسامير في شركة مقاولات يملكها والدها.

وكانت ليزا في ربيعها الحادي والعشرين تحمل شهادة المدرسة الثانوية ولا تملك أي مؤهلات خاصة. فعرضت أن تعمل لمدة ثلاثة أشهر من دون أجر. فقبل الصديق عرضها.

كان العمل في البداية مثبطاً لا يبشر بمستقبل واعد، ولم تكن ليزا تتقن قيادة سيارات تتطلب تحريك ناقل السرعة يدوياً. وعلّمها أحد زملائها في المرأب صف السيارات. وثابرت بعزم على عملها.



وعندما شارفت مدة تمرُّنها النهاية عرض عليها رئيسها وظيفة ثابتة في المرأب، كما عرض عليها مشكلة. فالمرأب رازح تحت ديون، وصاحبه عاجز عن تسديد الفواتير، وهو طلب منها أن تقرضه ٣٠٠٠ دولار.

فاستدانت ليزا المبلغ بفائدة ٢١ في المئة وقدمته الى صاحب المرأب لكن هذا توارى صباح اليوم التالي مخلفا لها ملكية المرأب ومشاكله وديونه. فصدمت ليزا لهذه المفاجأة وتساءلت بمرارة: "ماذا أفعل الآن؟"

ولكي تبقى "عائمة" ماليا صرفت جميع مستخدميها الا واحدا وعقدت اتفاقا جديداً للايجار. كان المرأب يبعد عن السكة الحديد أكثر من معظم المرائب الاخرى، لكنها سعت الى جعله محطة خدمة للسيارات وليس مرأبا فحسب. ورأت أن في امكانها اجتذاب الزبائن اذا قدمت خدمات أفضل من سواها.

فأطلقت اسماً جديداً على مؤسستها: "مرأب بن للسيارات" ووزعت مناشير ترويجية على السائقين: غسيل مجاني لكل سيارة تقف في المرأب لخمسة أيام متتالية، الى خدمات أخرى تشمل تغيير الاطارات الفارغة وتعبئة البطاريات الميتة.

وأبقت المرأب مفتوحا من الخامسة صباحا الى الاولى ليلا. وكانت تنام في المكتب الضيق وتطهو طعامها بنفسها وتستدفىء شتاء على سخّانة كاز.

في السنتين الأوليين استطاعت رينشو الاستمرار في العمل بشق النفس. واجتذبت خدمات مرأبها السائقين المتنقلين يوميا الى أعمالهم، لكن أعباء الايجار والتأمين وزيادة المستخدمين والترقيات ساهمت في ابتلاع الارباح.

وبلغ بها اليأس حد الانهيار الكامل ذات ليلة قارسة البرد حين لاحظت أن قهوتها متجمدة في الفنجان. فشعرت بمرارة الاحباط وراحت طوال الليل تناقش ذاتها وتقلّب الأمور على جميع وجوهها.

وفي الصباح كانت عقدت العزم على مواصلة الكفاح والمثابرة حتى تحقّق حلمها. فاستأجرت مرأبا آخر للسيارات ثم ثالثا فرابعا. وها هي اليوم تخطط لتوسيع فكرة إقامة مرائب خدمات للسيارات في أنحاء شمال شرق الولايات المتحدة. وقد تجاوزت أرباحها السنوية مليون دولار، وينتظر أن ترتفع الى ثلاثة ملايين في السنة ١٩٩١. وقد منحتها "مديرية الاعمال الصغيرة" في الولايات المتحدة "جائزة المقاولين الشباب" للعام ١٩٨٧.

كان سعي ليزا رينشو مذلا أحيانا، لكنه كان دائماً مشفوعاً بالثقة والايمان ومثالا يحتذى في بلوغ الهدف. وهي تقول: "غسلت السيارات ورميت النفايات وساومت أقوى الشركات، واكتشفت كم هو عظيم ما أستطيع تحقيقه لنفسي."

بائعة اللعب

قبل ١٣ سنة ذهبت لاين نيميث للتسوّق مصطحبة طفلتها. وراحت تبحث

عن لعب متينة وغير معقدة كتلك التي في حضانة الاطفال في كونكورد بكاليفورنيا حيث تعمل. لكنها لم تجد في المتاجر المحلية سوى لعب بلاستيكية أشبه بالخردة.

وحَداها الاحباط على التفكير في صنع لعب متينة جذابة للاولاد. وشجعها أنها تعرف ماذا تطلب الامهات. لكن الاصدقاء ألحوا الى انعدام مؤهلات لديها للنجاح في عمل كهذا.

إلا ان زوج نيميث ووالدها رأيا أن فكرتها جديرة بالاهتمام. فاقترحا أن تبدأ ببيع اللعب على طريقة أدوات "تابروير"[١] أي عرض البضاعة لمجموعة من الناس في المنازل.

فاشترت نيميث لعباً من مزودي حضانة الاطفال وطلبت من صديقاتها اقامة "حفلات" ألعاب. وشجعها نجاحهن المتواضع، فاقترضت ٥٠٠٠ دولار من جدتها لاستيراد مجموعة مختارة من الالعاب. وأسست شركة "ديسكافيري" للالعاب.

ثم حولت مرأبها مستودعاً. واذ كانت غير قادرة على استخدام عمال، منحت ثلاثاً من صديقاتها لقب "مستشارة ثقافية" مع نسبة مئوية من مبيعاتهن.

وكانت حماستها معدية. ففي السنة الاولى بلغت مبيعاتها ٢٠ ألف دولار، فتركت وظيفتها. واقترضت بعض المال من أهلها واستأجرت مستودعاً صغيراً في كونكورد في أغسطس (آب) ١٩٧٨ ووضعت نصب عينيها هدفاً هو تحقيق مبيعات بقيمة مئة ألف دولار في نهاية السنة.

وازدهرت تجارتها ونفد معظم مخزون الالعاب لديها بحلول اكتوبر (تشرين الاول)، فكيف تلبي طلبات عيدالميلاد؟ وهي تذكر: "كان الامر مرعباً: يأتيني طلب لاربعين لعبة فلا أقدر أن أسلّم الا اثنتين."

في السنة التالية صمّمت نيميث على الا تباغَت بنقص في عدد اللعب. فاستأجرت مستودعاً أكبر وحشته باللعب، فحقّقت مبيعاتها متجاوزة المليون دولار. ولكن في نهاية السنة كان لا يزال لديها مخزون غير مبيع في المستودع وعليها دين بمبلغ ١٠٠ الف دولار. ولم يقرضها أي مصرف، فتدبرت قرضاً من شركة تسليف بفائدة ٢٧ في المئة.

مضت ستة أشهر وازدادت نيميث غرقا في عمق المشاكل المالية. ثم تلقت اتصالا من رجل أعمال في سان فرنسيسكو كان حضر أحد عروض "ألعاب ديسكافيري" فخلّف العرض في نفسه انطباعاً قوياً حفزه على عرض انقاذ نيميث من مشاكلها المالية، فباعته ٢٠ في المئة من أسهم الشركة.

تحسَّن الوضع فوسّعت نيميث عملياتها ثانية، لكن الديون المتراكمة عادت فدفعتها الى حافة الافلاس.

وللمرة الاولى رأت نيميث أنها بلغت الحضيض وأن لا بد لها من الاقرار بالهزيمة والتخلي عن مشروعها. لكنها

(١) Tupperware

ثابت الى نفسها واستيقظت داخلها روح الكفاح والتحدي التي رافقتها منذ البداية.

وتقول: "كنت دائماً أفكر في ألعاب ديسكافيري كأنها ولدي الثاني. فلو كانت ابنتي مريضة وفي خطرٍ، فماذا كان يتعين علي عمله؟ وحين نظرتُ الى مشكلتي من هذه الناحية اتضحت لي الطريق التي يجب سلوكها."

وصممَتْ على الاستمرار في الكفاح. فعمدت الى خفض الرواتب وحظيت بمصرف قبل بمساعدتها. وفي العام ١٩٨٥ بلغت قيمة مبيعات "ألعاب ديسكافيري" ٣٧ مليون دولار. وفي العام ١٩٨٩ قفزت الى ٧٠ مليون دولار حصيلة بيع كتب وألعاب وتسجيلات سمعية في أنحاء البلاد، جنّدت لها ١٨ ألفا من الباعة العاملين بدوام جزئي.

وتستخلص نيميث من تجاربها وأخطائها التي كادت تحطمها وتقضي على حلمها الكبير "ان الاخطاء لا بأس فيها ولا بد منها، إنما احرصوا على ألا تقعوا في خطأ واحد مرتين."

شاي من القفر

أصيب موريس "مو" سيغل في طفولته بداء الربو. وبدلا من الاستسلام للمرض شرع في التنزه في سفوح جبال روكي بجوار منزله في كولورادو. وأثمرت نزهاته الطويلة حين راح يجمع الاعشاب البرية مع بعض أصحابه.

كان سيغل طالبا فاشلا، فترك الجامعة وبدأ يمزج الأعشاب لتحضير تركيبات مبتكرة للشاي. وتحداه أصحابه مشجعين: "مو، يمكنك أن تبيع هذه البضاعة فعلا."

كان سيغل في السن العشرين حين حضَّر خليطاً من البرسيم والنعنع وباعه باسم "شاي مو – ٢٤ عشبة." وكان التوقيت مناسباً لان الناس عام ١٩٧٠ كانوا مهتمين بصحتهم أكثر من قبل ومهيئين لقبول شاي لذيذ خال من الكافيين.

في البداية كان سيغل واصحابه يجمعون الاعشاب ويمزجون العناصر بأنفسهم. وكانت تلك عملية مرهقة. لكنهم توقفوا عن جمع الاعشاب حين اكتشف سيغل أن في امكانه شراء البرسيم الاحمر من مزارعين يوغوسلاف بدولارين فقط لكل كيلوغرام.

سمّى سيغل شركته "سيلستيال سيزوننغز"[٢] وأطلق حملة دعائية تحت شعار "شاي مهدىء لعالم قلق."

وهو تحاشى المتاجر الكبرى، وقصد بسيارته القديمة متاجر الاغذية الصحية على الطرق الرئيسية بين كولورادو ونيويورك.

بحلول العام ١٩٧٤ بلغت قيمة مبيعات شركة "سيلستيال" ثلاثة ملايين دولار لكنها أوشكت على الانهيار. ويشرح سيغل ما حدث: "قررنا شراء النعنع من ويسكونسن فكانت الكارثة، اذ أتلف الصقيع معظم المحاصيل."

(٢) Celestial Seasonings

نمت شركة سيغل وأصبحت مكانا يطيب العمل فيه. وهو ألغى ساعات ضبط الوقت وأعطى كل عامل علاوة في عيد مولده. لكنه شدد على أن يكون الانتاج صحيحاً تماماً خاليا من كل عيب، فسبق عصره بوقت طويل.

عام ١٩٨٤ أُعلنت شركة "سيلستيال سيزوننغز" احدى فضلى الشركات في أمريكا كمكان للعمل.

في تلك السنة باع سيغل شركته لشركة "كرافت" بمبلغ ٣٦ مليون دولار، وانصرف لقضاء وقت أوفر مع عائلته. وازدادت المبيعات بادارة "كرافت" لكن مجموعة من المستثمرين اشترت "سيلستيال" ودعت سيغل الى ادارتها. وهلّل العاملون في الشركة، وعددهم ٢٢٥، لدى تلقيهم النبأ. ولا يزال سيغل مديراً للشركة التي أسسها بجمع الاعشاب في البراري وسفوح الجبال.

غالباً ما تغيب عن بالنا الطاقة الكامنة التي تستنهض فينا الرغبة الملحّة والهمّة الصادقة في المخاطرة توصلا الى النجاح. لكن قصص نجاح ليزا رينشو ولاين نيميث ومو سيغل وآخرين تظهر أن الفكرة الصحيحة، اذا تعهدها شخص كفي، هي الأداة الاقوى والافعل للنجاح.

دوغ غار ■

لقاء عدّاء ودراجة

كانت إحدى صديقاتي تقودُ درّاجتها داخل حرم الجامعة، فشاهدت عدّاء يركض في اتجاهها. وإذ اقترب منها حاولت تفاديه. لكن الاصطدام حصل. ولما لم يُصب اي منهما بأذى يذكر فقد مضيا كل في سبيله.

وبعد عودة صديقتي الى منزلها تبينت جرحاً في جبهتها، فتوجّهت الى قسم الطوارىء في المستشفى. وسألها الطبيب عمّا أصابها، فأخبرته مضيفة، على سبيل المزاح، انها كان يجدر بها ألّا تدع الشاب الوسيم يغادر المكان قبل أن تاخذ رقم هاتفه.

فعلّق الطبيب: "إنه لأمرٌ عجبٌ، فهو قال لي الكلام إياه عنكِ." وازاح الستار عن سرير آخر انطرح فيه العدّاء.

ك.ن.

صحافي عتيق

امضيت عطلتي السنوية في بلدة بحرية صغيرة. وذات يوم دخلت متجرا لاشتري صحيفة، ولمّا كنت قليل الاطّلاع على الصحف المحلية، سألت صاحب المتجر عما إذا كان يبيع صحفاً صباحية أو مسائية. فأجابني بشيء من الفتور: "توزَّع الصحف علينا مرة في اليوم. فاذا قرأتها في الصباح كانت صباحية، وإذا قرأتها في المساء كانت مسائية."

ا.غ.

امتحان في الخُلق البيئي

كثيرون منا باتوا حريصين على الاقتصاد في استهلاك الطاقة والمواد الخام. وثمة عدد متنام من المجتمعات حيث تتوافر مستوعبات خاصة لانواع مختلفة من النفايات وتنفّذ برامج لاعادة تصنيعها.

أمام كل عائلة امكانات متعددة لسلوك بيئي نافع. ومن خلال الامتحان الآتي يمكنكم اختبار معلوماتكم واغناؤها. لبعض الاسئلة أكثر من جواب.

١. أي أداة منزلية تستهلك أكبر مقدار من الكهرباء؟

أ. الثلاجة.

ب. الطبّاخ الكهربائي.

ج. التلفاز.

د. الغسالة.

٢. متى يستحسن تشغيل الادوات الكهربائية الضخمة، كمجففة الغسيل وغسالة الصحون؟

أ. ليلا.

ب. أيام العطلات.

ج. صباح أول أيام العمل.

٣. بلغت كثافة الثلج في ثلاجتكم نصف سنتيمتر. ماذا تفعلون؟

أ. نذيب الثلج، لأن الطبقة الكثيفة تستهلك طاقة اضافية.

ب. نتركه كما هو لأنه يزيد البرودة.

ج. نذيبه بعد أن تصبح سماكته حوالى سنتيمتر.

٤. اذا تُرك التلفاز دائما في حال

"اطفاء موقّت"[1] بعد الانتهاء من مشاهدة البرامج، فما الكلفة الاضافية للكهرباء المترتبة سنويا؟

أ. لا شيء.
ب. نحو ١٥ دولارا.
ج. مئات الدولارات.

٥. أي التجهيزات المنزلية تزيد فاتورة الماء أكثر من غيرها؟

أ. الغسالة.
ب. المرحاض.
ج. حوض الاستحمام أو المرشة (الدوش).

٦. هل يجدي استعمال مركّب مزيل للكلسيوم مع مواد التنظيف؟

أ. نعم.
ب. فقط اذا خفضت كمية المنظف.
ج. كلا.

٧. في أي مجال يمكنكم استعمال ماء المطر؟

أ. لغسل الشعر ولحوض السباحة الخاص بالاطفال.
ب. لري الحديقة والنباتات المنزلية.
ج. لري النباتات بشرط تجمّع المياه بعد ساعة على الاقل من بدء هطول المطر.

(١) Stand — by

٨. ما أفضل السبل للتوفير في التدفئة؟

أ. اطفاء جهاز التدفئة ليلا.
ب. تخفيفه ليلا.
ج. ابقاؤه مشعلا على الدوام.

٩. هل يجب ترطيب الهواء اصطناعيا داخل المنزل؟

أ. نعم، لأن الهواء الرطب يدفأ على نحو أسرع.
ب. كلا، لأن الهواء الرطب يجعل البيت يبدو أبرد مما هو فعلا.
ج. نعم، لأن الهواء الرطب يجعل البيت يبدو أكثر دفئا.

١٠. قد يحتوي هواء المنزل على مواد مؤذية للاطفال. أيها أكثر ضررا؟

أ. أبخرة الفورمالديهايد من خشب الاثاث.
ب. أبخرة المذيبات من مواد لصق السجاد.
ج. أبخرة مواد حفظ الخشب.
د. دخان السجائر.

١١. بعد مرور خمس سنوات على كارثة تشيرنوبيل، لا تزال بعض الاطعمة ملوثة بالاشعاع الذري. هل تستطيعون تحديدها؟

أ. الطرائد.

ب. الحليب المعلب.
ج. الفطر.
د. الجوز والبندق واللوز.

١٢. هل يستحسن استعمال الخضر الطازجة لتحضير طعام الاطفال؟
أ. نعم، لأن الخضر الطازجة تغذي أكثر من الوجبات الجاهزة.
ب. فقط اذا كانت الخضر منتجة بالزراعة البيولوجية أو مقطوفة من حديقة المنزل.
ج. كلا، الخضر الموضبة أفضل عموما بسبب الضوابط الصارمة والمعالجة الفورية بعد القطف للحفاظ على الفيتامينات.

١٣. ما هي الوسيلة الفضلى للف الشطائر التي يأخذها أولادكم الى المدرسة؟
أ. ورق الالومنيوم.
ب. العلب البلاستيكية.
ج. الورق المشمع أو الاكياس البلاستيكية المحكمة السد.

١٤. تخصص مجتمعات كثيرة مستوعبات للزجاجات التي لا تردّ. هل تعرفون نسبة الزجاج المبيع في المانيا "الغربية" الذي يجمع من هذه المستوعبات كل سنة؟
أ. أكثر من ٩٠ في المئة.
ب. قرابة النصف.
ج. قرابة الربع.

١٥. كم من هذا الزجاج يعاد تدويره؟
أ. أقل من النصف، لأن الزجاج الذي يعاد تصنيعه يصعب بيعه.
ب. ثمانون في المئة.
ج. مئة في المئة.

١٦. ثمة قرابة مليوني رضيع وطفل في المانيا الغربية. ما نسبة الحفاظات الورقية من مجمل كمية النفايات المنزلية؟
أ. ضئيلة جداً بحيث يستحيل قياسها إحصائيا.
ب. اثنان أو ثلاثة في المئة.
ج. أكثر من عشرة في المئة.

١٧. فضلات الطعام يجب أن تذهب الى كومة النفايات في حديقتكم، ولكن ثمة استثناءات. هل يمكنكم تحديدها؟
أ. قشور الليمون (الحمضيات).
ب. الفواكه والخضر المتعفنة.
ج. قشور الموز.

١٨. ما أفضل السبل للاعتناء بتراب الحديقة؟

أ. الحراثة العميقة مرتين في السنة.
ب. نكش التربة السطحية قليلا في الربيع.
ج. الحراثة في الخريف فقط.
د. التسميد بالنفايات العضوية المتحللة مرتين في السنة على الاقل.

١٩. على سطح سيارتكم حامل أمتعة نادراً ما تستعملونه. ما نسبة الكلفة الاضافية في الوقود التي يرتبها هذا الوزن الاضافي؟

أ. نحو ثلاثة في المئة.
ب. نحو ستة في المئة.
ج. نحو ١٢ في المئة.

٢٠. هل تنفث السيارة المجهزة بمحوّل حفّاز[٢] كمية أقل من المواد الضارة؟

أ. نعم، دائماً.
ب. فقط عندما تزيد السرعة على ٦٠ كيلومترا في الساعة.
ج. فقط بعد قطع مسافة كيلومترين.

الاجوبة الصحيحة

١ • (أ) تستهلك الثلاجة نحو ٤٧٥ كيلوواط ساعي في السنة، والطباخ الكهربائي ٤٤٠، والغسالة ٢٦٠، والتلفاز ١٧٠.

٢ . (أ وب) يعتبر صباح أول أيام العمل إحدى اكثر الفترات استهلاكاً للطاقة الكهربائية.

٣ . (ج) كلما بردت الثلاجة الى ١٨ درجة مئوية تحت الصفر بعد تذويب ثلجها، احتاجت الى استهلاك كهربائي إضافي. لذلك، الخطوة الاقتصادية هي الانتظار حتى تبلغ سماكة الثلج حوالى سنتيمتر.

٤ . (ب) أبقوا التلفاز مطفأ دائماً في الليل. إن أنبوب أشعة "كاثود" لا يتأثر بالتشغيل والاطفاء المتكررين.

٥ . (ب) تستهلك الغسالة نحو ٧،٥ في المئة من كمية المياه المستهلكة في المنزل. ويستهلك المرحاض الثلث. ويتطلب الاستحمام في الحوض ١٥٠ ليتراً من الماء، بينما تتطلب المرشة (الدوش) ٦٠ ليتراً. اذاً، ما يمكن توفيره يعتمد على عاداتكم.

٦ • (ب) المركبات المزيلة للكلسيوم "تطري" المياه فتتطلب، بالتالي، حداً

(٢) Catalytic converter

أدنى من كمية المنظف المشار اليها على العلبة.

ويحتوي فطر الغابات والمروج على ٤٠٠٠.

٧. (ج) المواد الضارة في الهواء تتجمع على السطوح. انتظروا حتى يغسل المطر هذه المواد قبل أن تجمعوا المياه. ولأن مياه المطر حمضية، فيجب استعمالها لري النباتات فقط.

٨. (ب) التدفئة الدائمة مكلفة، لكن اطفاء الجهاز ليلا مكلف ايضاً لأنه سيحتاج الى طاقة إضافية في الصباح. دعوا اختصاصياً في التدفئة يتفحص منزلكم ويفيدكم بدرجة الحرارة الاكثر توفيراً خلال الليل.

٩. (ج) اذا بلغت نسبة الرطوبة ٥٠ في المئة، تدنت حرارة المنزل درجتين. ركّبوا جهازاً لقياس الرطوبة، فكلفته لا تزيد على ٢٠ دولاراً.

١٠. (د) ثبت أن دخان السجائر هو ذو التأثير الاسوأ.

١١. (أ و ج) لا يزال لحم الطرائد يحتوي على ٥٥٠٠ بيكريل (أشعة ألفا ببيتا وغاما) في الكيلوغرام الواحد.

١٢. (ج) تضمن وسائل الفحص الشاملة التي يلتزمها المنتجون عدم وجود تلوث كثير. الخضر المنتجة بالزراعة البيولوجية او تلك المقطوفة من حديقتكم لم تفحص، فربما كانت نسبة التلوث فيها مرتفعة.

١٣. (ب) الصناديق البلاستيكية يمكن استعمالها ثانية، والمحافظة عليها أفضل من اعادة تصنيعها. أما ورق الالومنيوم فيتطلب انتاجه كثيراً من الطاقة، فضلا عن أنه يسبب التلوث أثناء إتلافه لأنه يتلف بالحرق.

١٤. (ب) إن نسبة ٥٣،٥ في المئة من الزجاج المبيع في المانيا "الغربية" تعود فتظهر في المستوعبات.

١٥. (ج) الزجاج مادة أولية قيمة يمكن إعادة تصنيعها على الدوام. صنّفوا الزجاجات بحسب لونها وضعوها في المستوعبات المناسبة.

١٦. (ب) تشكل الحفاظات الورقية

نحو ٣ في المئة من مجمل النفايات، لكن إحراقها لا يسبب تلوثا يذكر.

١٧ (أ) المبيدات في قشور الحمضيات مؤذية للكائنات المجهرية في كوم النفايات العضوية المسمَّدة.

١٨. (ب) نكش التربة السطحية يبقيها مهوّأة. أما الحراثة العميقة فتقضي على الجراثيم والكائنات المجهرية المفيدة.

١٩. (ج) تستهلك السيارة المزودة حامل أمتعة فارغاً كمية اضافية من الوقود قد تصل الى ١٢ في المئة.

٢٠. (ج) يصبح المحول الحفاز دافئا كفاية للعمل بانتظام بعد قطع مسافة كيلومترين فقط.

لا يتطلب تطبيق هذه الافكار إلا قليلا من الجهد. فاذا طبقتموها ساهمتم في استهلاك المواد الخام على نحو مقتصد وأخلاقي، وربما حسَّنتم موازنتكم المنزلية أيضا.

روبرت بولر
وروز ماري فتشر ■



ماما ذكية

قصدت احدى العائلات متنزهاً فوق جرف يشرف على شاطىء البحر. فجلست الأم والاولاد يمتعون انظارهم بالمشاهد الرائعة فيما توجه الأب الى حافة الجرف وتطلع الى اسفل، وكان يحمل حقيبة النزهة على ظهره.
فمشى اليه ابنه الصغير بحذر وقال له: "بابا، تقول لك ماما ابتعد عن حافة الجرف، والا فاعطني شطائر الغداء."

ا.ف.

شرطي من برلين

كان سائح كندي يجول في أوروبا فيما جدار برلين يتهدم. فقرر التوجه الى المانيا ليحظى بتذكار من الجدار التاريخي. وإذ وجد الاقامة في فنادق برلين مكلفة جداً، سأل شرطياً شاباً عما اذا كان يعرف فندقاً متواضعاً ينزل فيه. فعرض عليه الشرطي النزول في شقة يملكها، فقبل السائح شاكراً. ولما عرض على الشرطي بعض المال أبى هذا أخذه قائلاً: "غداً عندما ازور كندا أود النزول في بيتك."

ل.ك.



خواطر أب

رُزق طفلة، وها هو يحكي "معاناته"

بلغت آلام المخاض ذروتها قبل مولد ابنتنا بدقائق. وكنت وزوجتي فيرجينيا دخلنا المستشفى ظهراً، وبحلول منتصف الليل جاءها المخاض عسيراً، وهو الطور الذي يدفع بعض أنصار الولادة الطبيعية الى طلب استخدام العقاقير. وأظهرت زوجتي قوة رائعة طوال الصباح الباكر، فعصرت يدي بقبضة كادت تسحق عظمي مع كل نوبة تقلّص. وفي الرابعة الا خمس دقائق فجراً عدّلت وجهة تصريف طاقتها. واذ التفتُّ لأرى كم الساعة اختطفت ذراعي اليسرى غارزة أصابعها في الفرجة بين العضل والعظام. وبكل ما أوتيتْ من قوة حاولت أن تنزع العضلة من ذراعي.

عين الصواب أن آلام الولادة مبرحة، اذ كاد يغمى علي. ثم ولدت ميغان في تمام الرابعة فجراً.

بعد بضع دقائق سألت فيرجينيا عن شعورها. قالت لي: "حالي ليست بالغة السوء. أظنني أرغب في اعادة الكرّة. أخبرني أنت حين تكون مستعداً لذلك."

ولأني أب للمرة الأولى، ثمة مادة جديدة لها دور رئيسي في حياتي: الغائط. هذا اسمه لدى الاطباء. وأنا ألهج به، فأثني عليه واستمطر اللعنات. وحين أعود من عملي الى المنزل فان أول سؤال أبادر به فيرجينيا: "مرحباً يا عزيزتي، هل أخرجت ميغان ما في الحشا؟"

قبل أن نغادر المستشفى أخبرنا الطبيب أن الرضيعة يجب أن تتغوط ثلاث مرات أو أربعاً كل يوم. وأضاف: "إن لم تفعل، اتصلا بي."

مرّ يوم، ثم ١٢ ساعة أخرى، ولا غائط. اتصلت بالطبيب، فأجابني صوت رجل. قلت: "زوجتي ولدت طفلة قبل يومين، وهي لم تتغوَّط بعد... أقصد الطفلة." وفصّلت له بسرعة كل معلومة ارتأيت أن على الطبيب أن يحيط بها، بما في ذلك

وضعية نوم ميغان، وأن فيرجينيا أصيبت بحمى خفيفة مساء. لم أترك شاردة ولا واردة.

قال لي الصوت على الهاتف: "هنا الاستعلامات، انتظر وسأصلك بالدكتور بنجامين."

وكلمني الطبيب وأكد لي أن كل شيء طبيعي على الأرجح، وقد أثبتت الأيام صواب كلامه.

واني حين أسمع الزعيق الوحشي تطلقه ميغان يتناهى إلي أيضاً صوت حاسبة المتجر مسجلة ثمن "الحفاظ."

يا حديثي العهد بالأبوة، احذروا الغم الذي يصيب زوجاتكم بعد الولادة. فالتغيرات الهورمونية في الأمهات بعد الوضع تدفعهن الى الكآبة وسرعة الانفعال لغير ما سبب ظاهر.

ذات مساء كنت وزوجتي نشاهد المسلسل التلفزيوني الفضائي "ستار تريك." وفي تلك الحلقة انتدب الضابط الأول في المركبة الفضائية "انتربرايز" للعمل موقتاً في مركبة جديدة. وأدى ذلك الى افتراقه عن الضابطة التي كان يواعدها. وفيما هو يودعها سمعت شهيقا. التفت فرأيت الدموع تنهل على وجه فيرجينيا.

قلت مهدئاً خاطرها: "اني أشعر بما تشعرين، فهذا المشهد هو من أكثر المشاهد رومنطيقية في تاريخ التلفزة." شجعها كلامي فأقرت بأنها تبكي أحيانا لدى مشاهدة اعلانات تجارية، ومن بينها اعلان يصور حال زوج وزوجة يعلمهما الطبيب بأنهما سيرزقان توأمين، فتنتابهما فورة تبضع، فيشتريان زوجين اثنين من كل شيء.

وشراء زوجين من كل شيء يجعلني أجهش بالبكاء أنا أيضاً.

الجهاز الجديد الذي يرصد أحوال الطفل يتيح للمرء أن يسرح في البيت والحديقة فيما الطفل يغط في النوم. وما عليك سوى أن تضع جهاز ارسال قرب الطفل وتحمل أنت لاقطاً.

جهاز الرصد سريع التأثر، فهو يلتقط تنفس ميغان. ولكن حين يكون اللاقط قرب سريرنا نخال من صوته أن غوريلا تنام معنا.



في احدى العشايا جاءني صوت امرأة عبر اللاقط: "ما نوع معجون الاسنان الذي تريده يا بيلي؟" لقد اعترضنا موجة البث لجهاز راصد آخر. وأسررت الى نفسي: ياه، يمكن أن نلهو كثيراً! لكن حماستي تلاشت حين أدركت أن الجيران منفتحون على خفايا محادثاتنا الخصوصية.

دأب الرجال عبر العصور على التمعن في السؤال الآتي: "ما أفضل السبل لجذب الفتيات؟" لقد تبصّرت في الموضوع واهتديت الى جواب. احمل معك طفلاً، في أي وقت من النهار وحيثما كنت، في الشارع أو في السوق. فإن النساء ينحرفن عن سبيلهن ويقتربن من رجل معه طفل. وإن لم تكن زوجتك في مكان قريب اصطفّت النسوة لمشاهدتك أنت والطفل وأنعمن عليك بنظرة ود كالتي يحطنه بها.

لا شك في جنون من صمّم ملبوسات الأطفال ذات الأكمام الطوال الضيقة المستدقة الاطراف، اذ يطفح جلدي عرقاً وأنا أحاول حشر ذراعي ميغان في أكمام طويلة. تزعق أحياناً، ويلتبس عليها الأمر أحياناً اخرى. وقد تتصلب، أو ترتخي، أو تخفق ذراعيها. لا يمكن التكهن بردّ فعلها. كأنني أحشو قشة بالمعكرونة. وأصعب الأمور اخراج يدها من الكم، اذ أستخرج اصبعين، وأزيدهما اثنتين، فتنجذب أصابع ثلاث داخل الثوب. وبعد أن أدخل ذراعيها في الكمين تطل فيرجينيا من فوق كتفي قائلة: "الازرار الى خلف يا عزيزي."

تجلس ميغان قربنا الى طاولة الغداء وتصرخ حين نأكل. هي لا تريد أن تكون معنا بل في سريرها. لكن ينبغي للعائلة أن يأكل أفرادها معاً.

وأسأل: "هل من جديد؟"

فتجيبني فيرجينيا: "لا جديد. ماذا استجد معك أنت؟"

"لا شيء."

وهذا ختام حديثنا، اذ يطبق علينا صراخ ميغان.

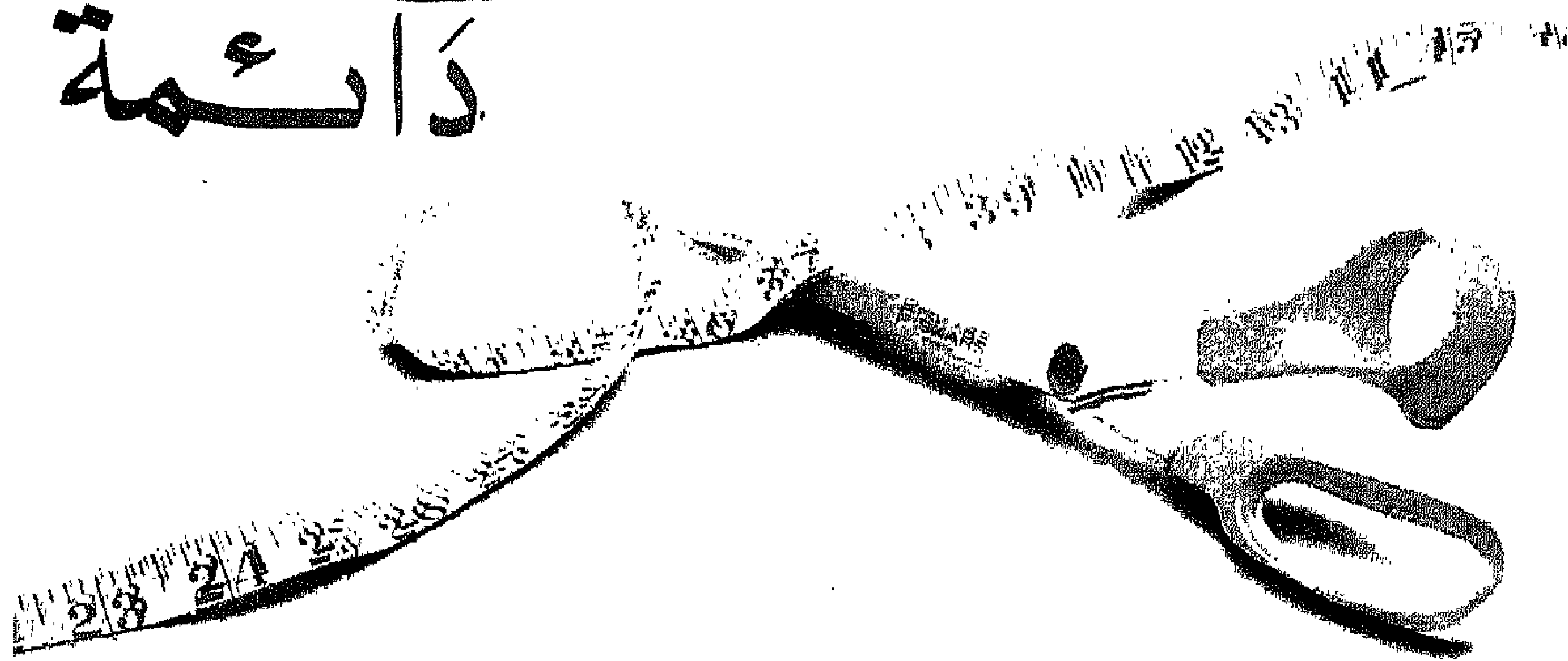
ولكن ثمة لحظات لها وقعها في النفس. ميغان، ذات الاشهر الثلاثة، تبتسم حين تستيقظ وتراني. أبدل حفاظها فتزيدني ابتساما. أحملها وأطوّح بها في الغرفة. تمنّ علي بتكشيرة عريضة خالية من الاسنان... ثم تقذف ما في معدتها.

أنظف المكان وأعيدها الى غرفتها. ميغان ترسم في ذهني سؤالا: كيف يغير الطفل حياة الانسان؟

عيناه يجفوهما النوم وهو يفتقد طعم الهدوء. لكنني لا أود أن أكون في مكان آخر. فعلى رغم كل اللهوجات الخرقاء التي بدرت مني والتي قد تبدر مستقبلا يا ميغان، أظن أني بدأت أحسن التصرف. ألا ترين ذلك؟

سكوت كرامر ■

٦ ارشادات لنحافة دائمة



اذا نجحتم في خفض وزنكم بالحمية فحافظوا على لياقتكم المكتسبة

يعلم كل من يتبع نظام حمية أن التخلص من الكيلوغرامات الزائدة أمر صعب، لكنه ليس مستحيلا. والجزء الاصعب يتمثل في عدم استرداد ما فقد من وزن. فمن بين كل خمسين "محميا" واحد فقط يتمكن من المحافظة على ما أنجزه.

خلال السنوات العشرين الماضية عمل مئات الباحثين في مشاكل السمنة، ونحن منهم، على الاسباب التي أدت الى عجز الفاشلين عن المحافظة على وزن مناسب. لكن قلة من هؤلاء الباحثين فكرت في سؤال الناجحين عن سبب نجاحهم في هذا المضمار.

في العام ١٩٨٢ قررنا أن نأخذ تلك الخطوة. وبعد "غربلة" مئات المتطوعين وجدنا ٥٦ منهم يطابقون متطلباتنا الصارمة، أي المحافظة على وزن صحيح لمدة سنتين على الاقل بعد فقدانهم ٢٠ في المئة أو أكثر من وزنهم السابق. راوحت أعمار هؤلاء بين الحادية والعشرين والتاسعة والستين، وكان معظمهم في الثلاثينات والاربعينات. وهم فقدوا تسعة كيلوغرامات على الاقل وظلوا ينحفون لمدة ست سنوات متتالية.

لو أردنا معرفة سر النحول الدائم لوجدناه لدى هؤلاء الاشخاص المميزين. اليكم بعض خطواتهم نحو حمية ناجحة:

١. انظروا الى أنفسكم كما ينظر اليكم الآخرون.

غالبية المحميين الفاشلين يدورون في حلقة مفرغة، اذ ان بدانتهم تضعف من تقديرهم لذواتهم فيعمدون الى اللامبالاة ويفرطون في الاكل. كثير من الناجحين يتذكرون اللحظات المحرجة التي نقلتهم من خداع الذات الى الصدق معها.

تتذكر ماري (٣٧ عاما): "كنت أرى نفسي في المرآة وأقول: لست بشعة. وذات يوم كنت في مطعم حيث لفت نظري طفل في حضن أمه. سألتني أم الطفل عن موعد ولادة جنيني. تلك كانت البداية. في تلك الليلة بكيت كثيراً."

أجبرت ماري على مواجهة الحقيقة، فراحت تخفض وزنها. ومنذ أربع سنوات توصلت الى الوزن الذي تبغيه، وها هي تحافظ عليه من خلال التمارين الرياضية واجتناب الاطعمة الدهنية.

٢. تحمَّلوا المسؤولية.

بالصدق مع النفس يحدث تحول من الاتكال على حكم الآخرين الى الاعتماد على النفس. مهما أولاك الآخرون اهتماما فهم لا يملكون جسمك. قالت ماري: "لا يمكنك أن تنقص وزنا لترضي أهلك أو زوجك أو أصدقاءك. عليك أن تفعل ذلك لنفسك."

يوافق الناجحون على أن تحمُّل مسؤولية انقاص الوزن هو عامل حاسم. ونحن توصلنا الى هذا المفهوم نتيجة شهادات أشخاص شملتهم دراساتنا.

المحميون الناجحون غالبا ما يضعون خططهم الخاصة. وهذا لا يعني أنهم جميعاً حققوا غاياتهم من دون مساعدة خارجية متخصصة. ولكن إن هم استعانوا ببرنامج حمية، فقد فعلوا ذلك كمبتدئين يتعلمون من محترفين وليس كمتلقي علاج سلبيين كوفئوا لتوافقهم مع أهداف شخص آخر.

انجرف بوب نحو البدانة مثل كثير من الناس. وذات يوم، بعد عطلة تميزت بالاسراف في الطعام، قرر القيام بعمل حيال ذلك: "تناولتُ كتاب الطبخ ووضعت لائحة بالاطعمة التي أحبها والتي تحتوي على كمية ضئيلة من الوحدات الحرارية. فعلتُ ذلك غير متسلح بأي معرفة غذائية. "بدأت بالتهام فروج كامل مطبوخ كوجبة مسائية. وتناولت مثلجات ذات نسبة متدنية من الوحدات الحرارية."

جرب بوب النظام النباتي وغيره من الاساليب، لكنه لم يتعلم شيئاً عن التغذية الا بعدما قصد وزوجته مركز "مراقبي الوزن." وهو اليوم عدّاء ملتزم يأكل بتعقل.

يبلغ طول بوب ١٨٠ سنتيمتراً ووزنه ٦٨ كيلوغراما. كان في السابعة والثلاثين عندما التقيناه وبدا كأنه خريج جامعة شاب، وقد استطاع المحافظة على نحافته طوال ست سنوات.

٣. قوموا بواجباتكم.

حين خطا متطوِّعونا خطواتهم الاولى نحو خفض الوزن الدائم، قال ٣١ في

المئة من النساء و٤٧ في المئة من الرجال انهم لا يعرفون الا القليل عن التغذية. كثيرون منهم وقعوا في حيرة أمام مئات الكتب التي تتناول موضوع الحمية، وعشرات البرامج التجارية، وتنافر النصائح ممن يسمّون خبراء. معظمهم تعلموا بعد عذاب مرير أنهم يستطيعون خفض وزنهم بتناول كمية أقل من الطعام، لكنهم لا يستطيعون المحافظة على وزنهم الجديد.

السر الذي اكتشفه متطوعونا الناجحون هو أن خفض الوزن الدائم يأتي فقط بالتعديل الدائم لاصناف الطعام المفضلة. وذلك يتطلب معرفة.

مفتاح السر هو دهنيات وسكّريات أقل ومزيد من الكربوهيدرات المركبة كالخضر والحبوب الكاملة والفواكه. ان ثلاثين غراما من الخضر تحتوي على نحو عشر وحدات حرارية، بينما تحتوي كمية مماثلة من الزيت على نحو ٢٢٥ وحدة. في امكانكم ان تتناولوا ٢٥ غراما من الخضر في مقابل غرام واحد من الدهنيات. على نحو مماثل، يمكنكم ان تتناولوا خمسة غرامات من الفواكه في مقابل غرام واحد من السكر.

٤. اعتمدوا على الانتصارات الصغيرة.

قال هنري فورد مرة: "ليس من أمر صعب في ذاته اذا جزأته مهمات صغيرة." ان اعادة صوغ الامور الكبيرة بخطوات صغيرة تعني نشوء مهمة يمكنك مباشرتها فوراً ويكون لها مردود سريع يمكن ادراكه.

وجدت جوان أن مشكلتها تتمثل في جهلها أمور الغذاء. هذا وضع مثالي لنجاح صغير.

طبقت جوان ما تعلمته، فبدأت الاستغناء عن السكر والدهنيات المشبعة في طعامها. ساعدها التقليل من السكر في تخفيف جوعها، وأدى خفض السكر والدهن الى خفض كبير للوحدات الحرارية التي تدخل جسمها. نقص الوزن الناتج من ذلك بدا نجاحا صغيرا آخر لم يحصل من طريق محنة. وتلك هي الفكرة بمجملها: المشاكل الكبيرة تُحل بخطوات صغيرة.

الخطوات الصغيرة تنجح لانها تبعد الضغط (نقول: "ليس هذا بالامر الصعب") كما أنها تقلل من ثمن الفشل ("يمكنني أن ابدأ من جديد.") يقول كميل: "كنت في الماضي كلما أفسدت حمية شعرت بالاحباط وتخليت عن الفكرة. أما اليوم، وعلى رغم شعوري بالمرارة أحيانا، فانني أبدأ من جديد."

قليل من التغيير في الاطعمة المفضلة، وبعض الزيادة في التمارين الرياضية، وتعزيز طفيف للثقة بالنفس، تبني ببطء أساسا صلبا. والمتغيرات المكتسبة بانتصارات صغيرة تتحول عادات.

٥. قللوا من أهمية الطعام.

قالت سالي (٣٧ عاما): "مشكلة الحمية هي الطعام الذي تتضمنه. اذا

جعلت الطعام مسألة أساسية فسوف تفشل حتماً. في المرة الاولى حين اتبعت حمية تساءلت كما يتساءل معظم الناس: ماذا يمكنني أن آكل؟ أي كمية؟ هل طعمه لذيذ؟ هل سأشبع؟ انه لعذاب مضن حقاً. استحوذت أفكار الطعام على حياتي. ثم قررت التقليل من أهمية الطعام وابعاده عن تفكيري."

من الواضح أن لما تأكلونه تأثيراً كبيراً، لكنكم عندما تصبحون محميين عليمين فلن تعودوا في حاجة الى الاهتمام كثيرا بحميتكم. ما اكتشفته سالي والناجحون الآخرون هو أن عملية فقدان الوزن تصبح أسهل اذا أوليتم الطعام اهتماما أقل. بالنسبة الى كثيرين، كان عدم احصاء الوحدات الحرارية بدقة طريقة لتجنب استبداد الحمية بالتفكير.

٦. مارسوا الرياضة.

لم يمارس كل النحلاء الناجحين تمارين رياضية خلال فترة فقدان الوزن، الا أنهم بعدما أتموا مهمتهم بصدق أصبحوا جميعا يمارسون التمارين بحماسة. تقول لوسي: "جربت رياضة العدو وتابعتها. عندما يقول لك أحدهم: أنت تبدو أحسن شكلاً مما كنت طوال حياتك، فانك سوف تقفز من فراشك في اليوم التالي لممارسة العدو."

معظم المحميين الناجحين يتمرنون باعتدال، فيحرقون ما بين ١٥٠٠ و٣٠٠٠ وحدة حرارية أسبوعيا من دون تعقيدات. ورياضة المشي هي الاكثر شيوعا لانها لا تتطلب ثيابا خاصة ولا مكانا خاصا ولا تتسبب بايذاء أعضاء الجسم.

ما أهمية الرياضة في الحؤول دون استرداد الوزن الزائد؟ ان لها أهمية كبيرة، ولكن مما يثير الاهتمام أن المحميين الناجحين الذين قابلناهم لم يعودوا يهتمون لهذا السؤال كثيراً. انهم، ببساطة، يتمتعون بشكلهم اللائق.

نانسي (٥٦ عاما) تمارس العدو يوميا، وقد قال لها طبيبها انها تملك جسد امرأة في الثلاثين، وهي تلخص الامر بمهارة قائلة: "عندما ترى نفسك في المرآة وتبتسم لشكلك الحسن وتدرك أنك أنت السبب، فلن ترضى بعدئذ بأقل من ذلك."

روبرت كولفن وسوزان أولسون ■

كولفن أستاذ العلوم الاجتماعية والسلوكية في كلية الطب بجامعة ايلينوي الجنوبية، واولسن مديرة الخدمات السيكولوجية (النفسية) في "مركز بارياتريك للتغذية" في اريزونا.

تركها أصلح

ذهبت للتسوق مع صديقة لي، فاشترت قبعة مستديرة من القش لا حافة لها، ولم تنزعها عن راسها طوال النهار. وعندما عادت الى بيتها اتصلتُ بها لاستطلع راي زوجها في القبعة، فتنهدت قائلة: "انها الآن على المائدة، وفيها زهور اصطناعية."

ج.ا.



الخمسُون سن رائعة

أصحيح أن الخمسين هي بداية النهاية أم أن الافضل آت؟

ولدتُ في الثامن من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٧. وأتساءل أحياناً ان كنت الوحيدة التي تقر بسنها، فالاخريات اللواتي أعرفهن لا يأتين أبداً على ذكر تاريخ ولادتهن، بل يوحين اليك أن أعمارهن هي أكثر أسرارهن احراجاً. وقد يفضلن ألف مرة مباغتتهن في وضع محرج على أن يكشفن وثيقة ولادتهن. ولكن بحسب نظرتي الى الامور، ثمة كثير من الهموم في الحياة ولا حاجة الى افتعال المزيد. ويبدو أن الامريكيات سبقن الجميع في هذا المجال. فكثيرات من النساء الجميلات والشهيرات أمثال جين فوندا وراكيل ولش وبربارة بوش تخطين الخمسين وما زلن يرفعن رؤوسهن عالياً. وهذا لا يعني بالضرورة أنهن أكثر ذكاء، لكنهن أكثر راحة هكذا.

وفي فرنسا يتأكل معظم النساء خوف من فكرة تجاوز الاربعين. وهذا أمر مفهوم طبعاً. فسنوات الاربعين تجعل المرء

متوتراً أكثر من سنوات الخمسين. أما بالنسبة الي فقد كان تجاوزي الاربعينات بداية عهد "الرائعة في خطر"، اذ اقتصر تفكيري على الوسيلة الممكنة لاسترجاع ما فقدته.

وكنت أحيانا أبالغ في مزاجي فأدعي أنني في الستين من عمري، فأسمع صوتا يهمس: "هل رأيت كلير غالوا كم تبدو شابة؟" وكأن المرء يستطيع أن يكون شاباً في الستين. الامر يدعو الى السخرية. فكلمة "شاب" هي أهم كلمة في عصرنا. ففي أيامنا يعني توقف المرء عن أن يكون شاباً انتقاله ببطء الى داخل ضباب يمحوه من اعتبار الآخرين. انه يعني تقهقراً مستمراً لمصادر القوة كالحب والصحة والعمل والاحلام والحماسة. ان بقاء الشباب على رغم كل شيء هو أكثر المزاعم برودة وغرابة في مجتمع يدعي اللاأنانية ويدعو الى تخفيف الفوارق الاجتماعية، في حين يخدع نفسه بفكرة أن السعادة تقضي بتجاهل أمور مثل الشيخوخة. الواضح أنه لا يحق لنا بعد اليوم أن نكون بدينين او ناقلي عدوى أو أغنياء أو فقراء. واذا ساءت الامور أكثر فان مجتمعنا الذي يبدو حراً وكريماً سيصبح الاكثر تزمّتاً على وجه الارض.

أنا إذاً تخطيتُ الخمسين وبتُّ قريبة من الشيخوخة. لكن ذلك لا يزعجني، فأنا أشعر بالارتياح. لقد حققت بعض التقدم مع مضي السنين، وراحتي الكبرى أنني تخليت عن معظم الاوهام. تعلمت أن من تحسبهم أنزه الناس وأكرمهم قد يكيلون لك أوجع اللكمات. والنتيجة أن الحياة اليومية لا تأتيني الا بمفاجآت سارة. ولم تعد الخدع الدنيئة تستذرف الدمع من عيني، بل ايماءات اللطافة وحدها تفعل ذلك.

وبديهي أن يزداد قلقنا على وقتنا المهدور مع مرور السنين، كذلك الخوف من أن يصيبنا مرض خطير أو حادث مريع أو أن نضطر الى التخلي عن أحاسيسنا ومنطقنا واكتشافاتنا ولذاتنا البسيطة كرشف فنجان قهوة أو التمتع بلون السماء. وهذا سبب اضافي يدعونا الى الانتفاع بالوقت الحاضر.

الخمسون سن ممتازة. والتطور الاجتماعي يجعل مشاكل الخمسين الآن أسهل من مشاكل الاربعين قبل عشر سنين. فالشكوك والمخاوف التي قيل انها ترافق السن الخمسين هي مجرد خرافات. سيغادر الاولاد المنزل؟ نعم، لكن ذلك قد يكون انتصاراً، لأنه برهان على أنك منحتهم الحب الكافي والثقة بالنفس لبدء حياتهم الخاصة. الرجال؟ غريب هو الموقف تجاه الرجال في الخمسين. من ناحيتي، ألاحظ أنهم أقل اهتماماً بي، لكن ما يفرحني أني بتُّ لا أهتم الا لقلائل منهم. فالقَسَمات الوسيمة والشهوة المادية لا تعني لي شيئاً في هذه الايام. أنا الآن أكثر حصانة وأصعب ارضاء. وفوق ذلك كله أنا أبحث عن محدِّث جيد، عن رجل رفيع المنزلة يتمتع بذكاء وطيبة وروح مرحة.

الخمسون سن رائعة

على المرء أن يلاحظ أن السن الخمسين قد تكون هي الذروة، أي أفضل ما في النهاية. ولا ننسَ الكلمات الرهيبة التي تفوه بها الرئيس الفرنسي الاسبق شارل ديغول: "الشيخوخة حطام سفينة."

حسناً، اذا كتب لسفينتنا أن تتحطم في النهاية فلا مفر من هذا المصير. ولكن لماذا العجلة؟ في الخمسين تبقى أمام المرء عشر سنين أو عشرون سنة رائعة. وفي هذا المجال، كما في غيره، ثمة فوارق كبيرة. ولكن في وسع المرء أن يهدف دائماً الى أن يكون بين الناجين. وثمة ناجون دائماً. وقد عرفت واحدة منهم عن كثب هي جدتي.

زرت جدتي ذات أمسية شتائية. وانتظرتها ريثما وضعت طقم أسنانها الاصطناعية في فمها وتبرجت وارتدت ثوبا أنيقا. كانت جميلة دائماً وتعتني بنفسها على الدوام. بسمَت عندما رأتني وقالت: "أوه يا حبيبتي، أعتقد أنني بدأت أشيخ، اذ انني أشعر بالنعاس."

صباح اليوم التالي لم تستيقظ جدتي. كانت في الثانية والتسعين من عمرها.

ان كلمة "عجوز" تزعجني ولا أحب أن أخاطب بمثل هذه العبارة وأنا في هذه السن. ولكن لا غنى للمرء عن بعض المرح لكي لا ينتحب على نفسه ولكي يظل قادراً على التغاضي عن بعض متاعب الحياة. وقد قلت لابني مرة في لحظة ضعف: "حين تأتي ساعتي أود أن أموت مثل جدتي."

فأجابني: "حقاً؟ وأنت متبرجة وفي ثوب أنيق؟"

كلير غالوا ■

زوجة بمئة جمل

كنت وزوجي في رحلة سياحية وسط الصحراء. وبينما نحن ننتظر خارج دكان لبيع الهدايا التذكارية في احدى الواحات، اقترب منا بائع بدوي يحمل احزمة جلدية. وبعدما فشلت محاولاته في بيعنا اياً من احزمته، سألنا من أي بلد نحن.

"من امريكا." اجابه زوجي.

لكن البدوي لاحظ شعري الاسود وبشرتي السمراء فاشار الي قائلا: "لكنها ليست امريكية!"

قلت: "بلى، انني امريكية."

فصمت البدوي لحظة ثم سألني: "هل هذا زوجك؟"

"نعم."

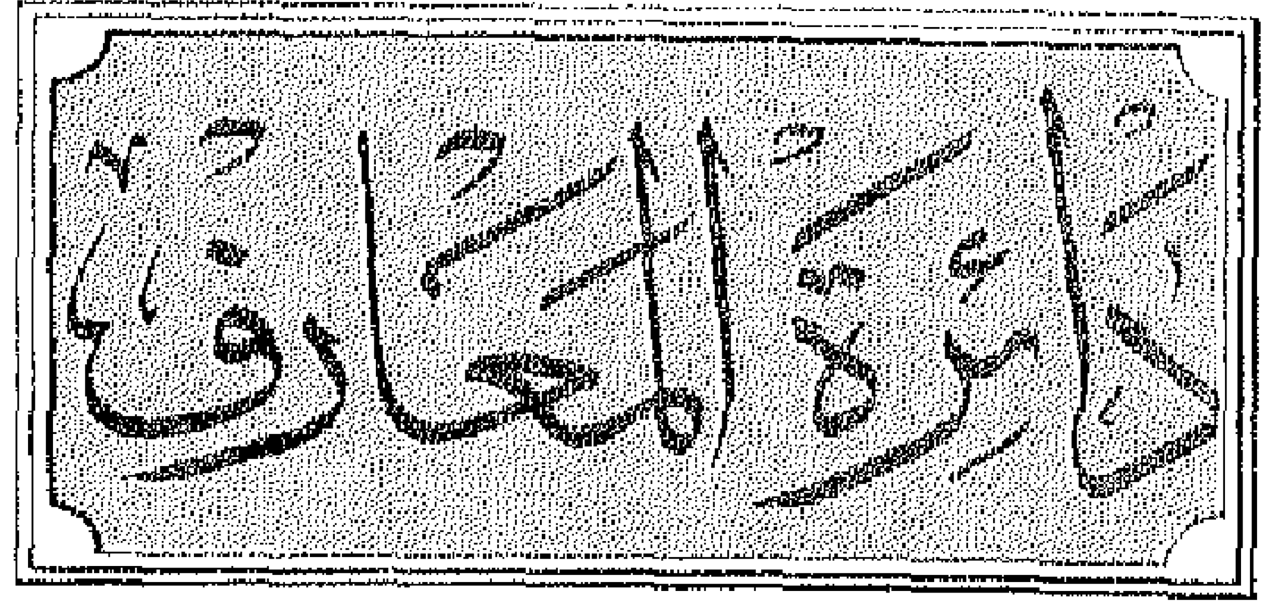
فاستدار نحو زوجي قائلا: "انها تساوي حقا مئة جمل."

بدا الذهول على زوجي، واعقبت ذلك فترة صمت، واخيراً اجاب: "لكنها ليست للبيع!"

بعدما انصرف الرجل سألت زوجي بشيء من السخط: "لماذا تلكأت في الاجابة؟"

فابتسم قائلا: "كنت افكر في طريقة لنقل مئة جمل معي الى امريكا."

ل.م.



اشتُهرت اقطار من الارض بخيراتها ومنتجاتها المختلفة. هنا بعض ما نسب اليها.

زيت الشام: يُضرَب به المَثَل في الجودة والنظافة، وإنما قيل له الزيت الرِّكابي لأنه كان يُحمَل على الابل من الشام، وهي أكثر بلاد الله زيتوناً، وفيه ما فيه من البركة والمنفعة، قال الأصمعي: حدثني شَيْخان من أهل البصرة، أحدهما هارون الأعور، أن قتيبة بنَ مُسْلِم قال: أرسلني أبي الى هزار بن القعقاع بن سعيد بن زُرارة، وقال: قل له: أرسلَني إليك أبي في أنه قد صارت في قومك دماء وجِراح، واحبوا أن تحضر الجامع فيمن يحضر. قال: فأبلغته الرسالة، فقال: يا جارية غدِّينا. فجاءت بأرغفة خُشْن فَثَرَدها في تمر ممروس وماء، ثم صبّ عليها زيتاً، وعرض عليّ الغَداء معه، فتذكرت ما في منزلي مما أعدّ لنا من الدجاج، فقلت: ما لي حاجة بهذا، وصَغُر في عيني، وأنا يومئذ حَدَث، قال: فأكل ثم قال: يا جارية اسقيني، فجاءت بماء فشرب ومسح بفَضْله وجهه، ثم قال: الحمد لله، حنطة الأهواز، وماء الفرات وزيتُ هَجَر، وتَمْر الشام، ومتى نؤدي شكر هذه النعمة! ثم قال: عليَّ بردائي. فارتدَى وانتَعَل، ثم اتى المسجد فصلى ركعتين، ثم احتبَى، فما بقيت حلقةٌ الا تقوّضت اليه، واختصموا، فتحمّل جميع ما كان عليهم وانصرف، وتفرّق الناس.

سيوف الهند: يُضرَب بها المثل في الجودة والصفاء، يقال: ان السيف اذا كان من صُنع الهند ومن طَبْع اليمن فناهيك به!
قال الفرزدق:

كذاك سيوف الهند تَنْبُو ظُباتُها
ويقطعنَ أحياناً مناطَ القَلائدِ

وقال الصاحب من أرجوزة:

* اجفانُ هندٍ كسيوفِ الهندِ *

وقال ابو محمد الخازن من نُتَفِه ولطائف ظرفه:

هندٌ ترى بسيوفِ مُقلتها
ما لا ترى بسيوفها الهندُ

ياقوتُ سَرَنْديب: زعم الجوهريون ان الياقوت لا يكون الا من جبل سَرَنْديب بالهند، وخيره الاحمر البَهْرَماني، ثم الوردي، ثم الرمّاني.

وسأل المقتدرُ ابنَ الجّصاص فقال: بِمَ تَعرف فضلَ الياقوت؟ قال: يا أمير المؤمنين، بحُسنه وصفائه في العين، ورَزانته في اليد، وبُرودته في الفم، وصبره على النار، ونبوّ المِبرَدِ عنه. فاستحسن ذلك من قوله.

وَرْد جُور: جُور من كُور فارس، مخصوصةٌ بالورد الذي لا أطيبَ منه في سائر البلاد، يُضْرَب به المثل، ويقدّم مع بنفسجِ الكوفة، ومَنْثور بغداد، وزَعفران قُمّ، ونَيْلوفر السِّيرَوان، ونارَنْج الصَّيْمَرَة، وأتْرُجّ طَبَرستان، ونَرجس جُرْجان. وماء وَرْدِ جُور موصوف مضروب به المَثَل في الطِّيب، مجلوب الى أقاصي المشرق والمغرب، وقد أكثروا مِن ذِكره.

وكان يُحمَل من فارسَ الى الخلفاء كل عام من خراجها – وهو سبعةٌ وعشرون ألف – الفُ قارورة، ومن الزبيب الأسود عشرون الف رطل، ومن الانبجات[1] خمسة عشر الف رطل، ومن الرّمّان والسفرجَل مائة وخمسون ألفا عددا، ومن التين السِّيرافيّ خمسون الف رطل، ومن الجَلَنْجبين[2] الف رِطل، ومن الموميا رِطل واحد.

(١) الانبجات هي المربيات.
(٢) الجلنجبين كلمة فارسية تفسيرها الورد والعسل.

بُرود اليَمَن: يقال لها: وَشْي اليَمَن، وعَصْب اليَمَن. ويُضرب بها المثل في الحسن، وتُشبَّه بها الرياض والألفاظ، كما قال البحتري:

جئناك نحمل ألفاظاً مدبَّجة
كأنما وشْيُها مِن يَمْنَةِ اليَمَنِ

ويقال في نفائس الملابس: برود اليمن، ورَيط الشام، وأردية مِصر، وأكسيةُ الدّامغان، وتِكَك ارمِينية، وجوارب قَزْوين.

مِسْك تُبَّت: تُبّت مخصوصة من بين بلاد التُّرك بالمِسك الأصهَب المضروب به المثل في الطِّيب والجَودة، كما أن خَرْخِير منها مخصوصة بالسنجاب الفاخِر، وكيماك بالسمّور الفائق. وبلاد الترك تُوازي بلادَ الهند في كثرة الخصائص كالمِسك والسّمّور والسِّنجاب والقاقم والفنَك والثعالب السود، والأرانب البيض والختوّ واليشم والخدنك والبزاة البيض.

طرائف الصين: كانت العرب تقول لكل طُرْفة من الأواني وما أشبهها صينية، وقد بقي هذا الأسم الى الآن على هذه الصوانيّ المعروفة. وأهل الصين مختصون بصناعة اليد، والحِذْق في عمل الطُّرَف، يقولون: أهل الدنيا ما عدانا عُمْي، إلا أهل بابل فانهم عُور. ولهم الاغراب في خَرْط التماثيل، والابداع في عمل النقوش والتصاوير، حتى إن مصوِّرَهم يصوِّر الإنسان ولا يُغادِر منه شيئا، ثم لا يَرضَى بذلك حتى يصوّره ضاحكا أو باكيا، ثم لا يَرضَى بذلك حتى يفصل بين ضحِك الشامت وضحِك الخجل وبين المبتسم والمستغرب وبين ضحِك المسرور وضحك الهازىء، فيركِّب صورة في صورة. ولهم الغضائر المستشفة يطبخ فيها الطبيخ فتكون الواحدة قِدْرا مرة، وقصعةً أخرى، وخيرُها المشمشي اللون، الرقيق الصافي الشديد الطَّنين، ثم الزبَديّ على هذا الوصف. ولهم الفرِنْد الفائق، والحديد المدفون الذي تَخفَى فيه الصوَر وتظهر، ويقال له: الكيمخاو[٣]، وهو في شعر لابن الرومي. ولهم المماطِر المشمَّعة التي لا تبتلّ على الأمطار الكثيرة، ولهم مناديل الغَمَر[٤] التي اذا اتّسخت ألقيتْ في النار فنَقِيتْ ولم يحترق منها شيء. ولهم الحديد المصنوع يُعمَل منه المرائي والتعاويذ. وربما اشتُرِيَ بأضعاف وزنه فضة، ولهم السِّنجاب الفارماني الذي هو من أنفس الأوبار، ولهم اللبود التي تفضّل على اللبود المغربية. وذكر الجاحظ في كتاب التبصّر بالتجارة ان خير اللبود الصينية، ثم المغربية الحمر، ثم الطالقانية البيض. وذكر غيره أن أجوَد الصوف صوفُ مصْرَ، ثم أرمينية، ثم تَكرِيت، ثم رُويان.

كُحل أصفهان: يُوصَف بالجودة مع عسل المَوصِل. وكان يُحمَل من أصبهانَ الى حضرة السلطان كل سنة مع خراجها، وهو أحد وعشرون ألف ألف درهم، ومن العسل عشرون ألف رطل، ومن الشمع عشرون ألف رطل، ومن المَوصل مع خراجها وهو أربعة وعشرون ألف ألف دِرهم.

ويُحكى أن الحجاج قال لعامله على أصبهان: قد ولّيتك بلدة حَجَرُها الكُحْل، وذُبَابُها النحل، وحشيشها الزعفران، وذلك أن كُحلَها موصوف بالجودة، والزعفران بها كثير، وكذلك النحل.

بُسُط أرمينية: يذكر في الفُرش الفاخرة مع زلّالي قاليقَلا، ومطارح مَيْسان وحُصْر بغداد، وسُتُور نَصيبين. وكان يحمَل الى السلطان مع خراج أرمينية كل عام منه بقدر ثلاثة عشر الف ألف درهم، ومن البسط المحفورة ثلاثون بساطا، ومن الرقم خمسمائة وثمانون قطعة، ومن البُزاة ثلاثون بازيا.

داء مميت أقعد الناس وحار فيه علماء الطب ثم وجدوا السبب قابعاً على رفوف المتاجر

بوني بيشوب رياضية في التاسعة والثلاثين. كانت تمضي عطلتها في لايك باول بولاية يوتا في أغسطس (آب) ١٩٨٩ حين لاحظت أن لمس وجهها يؤلمها فلا تطيق حتى وضع نظارات شمسية.

خلال الاسابيع التي أعقبت أوبتها إلى المنزل في سانتا في بولاية نيومكسيكو، انتشر الألم الى أسفل عنقها وفشا في بدنها. وسرعان ما شعرت، وهي أم لوحيد في السادسة، أن أدنى حركة تؤلمها.

زارت طبيباً تلو آخر شاكية من عياء وألم عضلي وطفح والتهاب في الفم. ولم يعرف أحد السبب. وفي نهاية المطاف، في مستهل أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩، أخبرها أحد الاطباء انها قد تكون

"تريبتوفان قاتل خفيّ"



مصابة بالسرطان وأحالها على عالم بالأورام اسمه الدكتور بروس غرينفيلد.

بعد بضعة أيام راقب غرينفيلد مريضته الجديدة تجرّ قدميها بوهن الى غرفة المعاينة. كان بطنها منتفخاً لتورم في الكبد، ووجهها مشدوداً من الألم. مرّ الطبيب بنظره على لائحة فحوصها، فلفته ارتفاع عدد خلايا بيض في الدم تسمى "حمضات."[1] ان الجسم ينتج أعداداً متزايدة من هذه الخلايا استجابة لإلتهابات أو تفاعلات حساسية أو لأورام خبيثة معينة. لكن الفحوص لم تشر إلى أي من هذه الحالات، ومع ذلك بدا واضحاً أن جسم بيشوب ينهار.

"يظنون أني أحتضر." قد يصادف الطبيب العادي حالة من تكاثر الحمضات في الدم[2] مرة في عمره، لذا شعر غرينفيلد أنه في حاجة الى معونة. وبعد رحيل بيشوب اتصل بالمكتبة الطبية في مستشفى سان فنسنت في سانتا في طالباً مقالات منشورة حول تلك الحالة. فسمع اسم مؤلف واحد يرد مراراً: الدكتور جيرالد غليش من عيادة مايو في روشستر بولاية مينيسوتا.

صباح اليوم التالي كانت بيشوب، بايعاز من غرينفيلد، تدخل المستشفى لاجراء فحوص وهي تمشي بشق النفس. ثم هاتف غرينفيلد عيادة مايو للتحدث إلى غليش، وهو بحّاثة في علم المناعة عكف على دراسة داء تكاثر الحمضات ما ينيّف على ٢٠ عاماً. والعلاج الأوحد الذي أوصى به زميله غرينفيلد اعطاء المريضة جرعات كبيرة من الستيرويد[3] لتخفيف الالتهابات والآلام، مضيفاً أن من سوء الطالع أن تلك المريضة بلغت درجة من الاعتلال قد تودي بها في غضون أشهر معدودات.

تملّك بيشوب ذعر وهي مضّجعة في سريرها بالمستشفى ترى جسدها في تحول، فذراعاها وساقاها متورمة بالسوائل وتنفسها عسير. واذ حاولت أن تستوي جالسة خرّت كدمية، إذ ان عضلات ظهرها بالغة الوهن. ولم يخفف عقّار الستيرويد من أوجاعها إلا النزر اليسير.

وأكثر ما أقلقها خشية الطبيب على حياتها. أسرّت في نفسها: "يظنونني أحتضر، لكني لا أقوى على ذلك، فلا أريد أن أترك ابني."

حالتان لا تكفيان. في شهر أكتوبر (تشرين الاول) من ذلك العام ظهرت أعراض ربو على كاثي لوريو وهي في الرابعة والأربعين وأم لأربعة أولاد تسكن في لوس آلاموس. كانت عدّاءة مولعة بالجري، وقد اشتكت من آلام حارقة في ساقها انسابت إلى بدنها. وبينت فحوص الدم تركزات مرعبة من الحمضات، واشتبه طبيبها فيليب هيرتزمان في اصابتها بمرض في النسيج الضامّ،

(١) Eosinophils. وتدعى ايضا "خلايا مستحمضة" او اليفة الايوسين.
(٢) Eosinophilia
(٣) Steroids

فأرسلها إلى طبيب الرثية (الروماتيزم) جايمس ماير في سانتا في يوم ٢٦ أكتوبر (تشرين الأول).

لم يجد الدكتور ماير أثناء المعاينة أي علة جسمانية للآلام الممضّة التي تشعر بها لوريو. لكنه ارتاع اذ لاحظ أوجه الشبه بين أعراض دائها وأعراض أصابت امرأة أخرى بلغ من وهنها الاضطرار الى تغذيتها بالحقن الوريدي. وتلك المرأة هي بوني بيشوب. فسأل الطبيب لوريو: "هل تستعملين ل – تريبتوفان؟"[٤] فردت بالايجاب مضيفة أن ذاك العقار يعينها على النوم.

"ل – تريبتوفان" حمض أميني وأحد مكوِّنات البروتيين ويتوافر في أطعمة مثل لحم الديك الرومي والحليب. وقد دأبت جمهرة من الناس على تناوله لاكثر من عشر سنين من دون ظهور أي آثار مَرَضية. وهو، كالفيتامينات، متوافر في الصيدليات من دون وصفة طبية. واذ يتحلل في الجسم يفرز مادة كيميائية تدعى سيروتونين يظن أن لها دوراً في تخفيف الشهية وتسكين الأوجاع والمساعدة على النوم.

في ٢٧ أكتوبر (تشرين الاول) أشار ماير على هيرتزمان بأن يتداول الأمر مع الدكتور وليم بليفنز الذي تابع معاينة بيشوب في غياب الدكتور غرينفيلد. أقلقت المحادثة بليفنز، لأن طبيب زوجته كان أوصاها بتناول التريبتوفان علاجاً متعارفاً عليه لأعراض ما قبل الحيض.

هاتَفَ بليفنز من توه الدكتور غليش في مينيسوتا الذي أجابه بأن حالتين اثنتين لا تكفيان للحكم على العقار، ولا بد من الانتظار لجلاء الأمر.

زوبعة اهتمامات. في اليوم عينه وردت على بليفنز مكالمة من طبيب آخر يعاين مريضة تشكو من نسبة حمضات أكبر مما لدى كاتي لوريو. سأله بليفنز: "هل تتناول تريبتوفان؟"

ردّ الطبيب بالايجاب.

أصبحت الحالات ثلاثاً. هاتف بليفنز الدكتور غليش الذي اتصل بدوره بمراكز مكافحة الأمراض في أطلنطا وبدائرة الصحة والبيئة في نيومكسيكو. وأخطرت "المراكز" دوائر الصحة في كل الولايات.

في مستشفى سان فنسنت أتى بليفنز على ذكر الحالات الثلاث لتكاثر الحمضات في معرض حديثه مع صديق، فاتفق مرور الدكتور دونالد روميغ الاختصاصي بالامراض المعدية الذي سمع الحديث فتدخل مقاطعاً: "يا بيل، أعتقد أن لدي حالة رابعة. العوارض: أوجاع عضلات وتكاثر حمضات. والمريضة تتناول تريبتوفان."

في غضون ذلك، حمل زميل من عيادة مايو الى غليش خبراً عن رجل في ولاية ميسوري مصاب بتكاثر الحمضات ويتعاطى التريبتوفان. وأعلمه زميل آخر أن لديه مريضة في ولاية ميسيسيبي تتناول العقار. هاتف غليش أطلنطا على

(٤) L-tryptophan

عجل، اذ ان اصابات ظهرت خارج نيومكسيكو.

وانهالت المكالمات الهاتفية على مراكز مكافحة الأمراض من أرجاء الولايات المتحدة عن حالات تكاثر الحمضات في الدم. وأدرجت مجلة في ألبوكيرك مقالة عن الداء مما أثار انتباه الاعلام واهتمام عامة الناس.

باتت الأجوبة مطلوبة بسرعة.

سحب المادة من الأسواق. يوم الخميس ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) طار إلى نيومكسيكو محقق من مراكز مكافحة الأمراض يرافقه مندوبون من مديرية الاغذية والادوية. عاين الفريق مجموعتين، أولاهما مرضى بداء تكاثر الحمضات والأخرى مجموعة للمقارنة لا تظهر عليها أعراض الداء. واقتضى الاختبار سؤال أفراد المجموعتين عن بعض عوامل الخطر المحتملة، بما فيها استعمال التريبتوفان. فان تبين أن المادة مسببة للداء، فسيكون عدد متعاطيها في مجموعة المرضى أكبر من عدد متعاطيها في مجموعة المقارنة.

دأب موظفو مديرية الاغذية والادوية على أخذ عينات تريبتوفان من مرضى مصابين بكثرة الحمضات، فيما نقّب المحققون الآخرون في سجلات فحوص الدم في تسعة مختبرات في نيومكسيكو بحثاً عن تعدادات استثنائية للحمضات. وبحلول ليل الجمعة تجمعت لديهم اسماء عدة.

صبيحة السبت انتشر المحققون للعمل ومعهم فريق من الممرضات. كان عليهم أن يعثروا، في مقابل كل مريض بالحمضات، على شخصين خاليين من أعراض الداء، ويدرسوا حالهما، شرط أن يكونا من الجنس نفسه وفئة العمر ذاتها ومن المنطقة نفسها.

وفي منتصف ليل الأحد تحلق المحققون حول الكمبيوتر الذي سيوافيهم بالنتائج. فتبين أن المرضى العشرة في مجموعة المصابين بتكاثر الحمضات قد تناولوا التريبتوفان، وأن اثنين فقط من عشرين شخصاً في مجموعة المقارنة قد استعملوه. التريبتوفان اذاً هو المسبب حتماً.

يوم الاثنين ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) حظرت دائرة الصحة والبيئة في نيومكسيكو بيع "ل – تريبتوفان." وتبعتها مديرية الاغذية والادوية بسحبه من أسواق البلاد كلها.

وفي ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) بلغت مراكز مكافحة الأمراض تقارير عن ٢٤٣ إصابة محتملة بكثرة الحمضات في ٣٥ ولاية وفي مقاطعة كولومبيا. وسمي الداء الجديد "متلازمة الألم العضلي وتكاثر الحمضات."[٥] لكن بقي سؤال كبير مطروحاً: هل العقار خطر في ذاته، أم أن ثمة دفعة فاسدة؟

اكتشاف الملوّث. خفّ تفشي المرض حين سحب التريبتوفان من السوق، مما

(٥) Eosinophilia-myalgia syndrome «EMS»

أثبت ريبة العلماء في وجود "تلوث" حديث العهد. لكن ما أُشكل على المستقصين عدم ظهور علاقة بين كمية التريبتوفان التي يتناولها المريض أو "الماركة" التجارية للعقار، ومبلغ اعتلاله. في بعض الحالات اعتلّ أحد الزوجين ولم يعتلّ الآخر، مع أنهما تناولا الجرعات نفسها من القوارير عينها. أضف إلى ذلك أن حالات "متلازمة الألم العضلي وتكاثر الحمضات" التي ترقى إلى بداية الثمانينات ولم تلقَ تعليلا آنذاك، انعقدت لها الآن صلة بالتريبتوفان.

لكن التعليل بيِّن في جزء منه: ان حبوب التريبتوفان تصنّع في الولايات المتحدة من ذرور مستورد من ستة منتجين يابانيين. وبعض الصناعيين الأمريكان يمزجون الذرور الآتي من أكثر من مصدر واحد ويوزعونه بأسماء تجارية شتى.

تبين للبحاثة أن معظم المرضى تناولوا حبوباً مصنوعة من ذرور أنتجته شركة "شوا دينكو ك.ك." احدى كبرى الشركات البتروكيميائية في اليابان. وباستخدام التحليل الكروماتوغرافي السائل،[٦] وهذه عملية تبين الفوارق الجزيئية بين المواد الكيميائية وتبرزها ذُرى على رسم بياني، عمد العلماء إلى عزل نحو ٤٠ مادة في الذرور، إضافة إلى التريبتوفان. وأحاطت الشكوك احدى هذه المواد وتدعى "بيكْ إي"[٧] على أنها المادة الملوِّثة.

بدأت تظهر نسب مرتفعة من "بيك إي" في وقت شرعت شركة "شوا دينكو" في اجراء تغييرات في طرق التصنيع، بما فيها عمليات تحوير في أساليب التنقية وإضافة "سلالة" جديدة من الجراثيم (البكتيريا) المهندسة وراثيا. وفي اعتقاد بعض البحاثة أن الملوث تسبب على نحو ما في انفلات خلايا "ت"[٨]، وهي جزء من نظام المناعة، من سيطرة الجسم. فتكون متلازمة الألم العضلي وتكاثر الحمضات الناجمة عن ذلك داء منيعا ذاتيا،[٩] بحيث يعمد نظام المناعة في جسم الانسان الى مهاجمة أنسجته.

ويطرح علماء عدة تعليلا مفاده أن ثمة عاملا خاصا يؤثر في درجة تفاعل المريض مع الملوِّث. وما زالت الدراسات جارية لتحديد السبب على وجه الدقة وايجاد علاج شافٍ.

مزاعم علاجية. في منتصف يناير (كانون الثاني) بُلِّغ عن ١٥٤٢ إصابة بمتلازمة الألم العضلي وتكاثر الحمضات في الولايات المتحدة، وتوفي ٢٨ شخصا بالداء. ولن يعرف العدد النهائي للضحايا قبل مرور سنين. وثمة مصابون يشفون بادىء الامر، لكنهم يموتون لاحقاً من جراء مضاعفات أخرى. ويصاب بعضهم بشلل في النصف السفلي من الجسم أو

(٦) High-performance liquid chromatography
(٧) Peak E
(٨) T-cells
(٩) Auto-immune disease

بشلل في الاطراف الاربعة. ويدور على ألسنة الناجين كلهم سؤال واحد: كيف حدث ما حدث؟

في باكورة السبعينات أكبّ باحثون على دراسة التريبتوفان علاجاً للأرق والكآبة واضطرابات أخرى. وسرعان ما وردت أنباء نجاح هذه المادة في مكافحة آلام ما قبل الحيض واضطرابات عقلية عدة، وبدت الآثار الجانبية لاستعمالها ضئيلة جداً.

في الثمانينات تسربت تقارير عن التريبتوفان الى الصحافة، فنشرت مقالات وكتب كثيرة امتدحت المادة وروّجتها علاجاً لا للأرق وللوجع فحسب، بل لارتفاع ضغط الدم والكولسترول والسمنة أيضاً. وأوصى أطباء الأمراض النسائية وعلماء النفس باستعمالها.

وخلافاً للاجراءات التي تتناول العقاقير، لم تختبر مديرية الاغذية والادوية التريبتوفان عيادياً لمعرفة مدى سلامته وفاعليته، بل صنِّف "غذاء" ولم يتطلب الحصول عليه موافقة المديرية. وبما أنه لم يعدّ عقاراً، فقد حظر على صانعيه وموزعيه أن يبيعوه علاجاً للأمراض أو واقياً منها. ولم تُذكر أي مزايا طبية على رقعته، لكن التجار نسبوا اليه مزاعم علاجية في الاعلانات والمقالات. وجاء في احدى النشرات الاعلانية الصادرة عن شركة "شيف بروودكتس" مسوِّقة التريبتوفان: "ورد أن المسنين المصابين بضعف الذاكرة والهذيان والاكتئاب تحسنت أحوالهم بعد تناول التريبتوفان."

أما خبراء التدليس الصحي فيستشهدون بتفشي متلازمة الألم العضلي وتكاثر الحمضات من جراء استعمال التريبتوفان، مثالا على مخاطر تصنيف الملحقات الغذائية أطعمةً والسماح بتسويقها مع الزعم أن لها مفعولا علاجياً. ويضيف الدكتور ستيفن باريت: "المنتجات الصحية كالتريبتوفان تسوّق بمزاعم تجعل منها عقاقير جديدة غير مرخَّص لها." والدكتور باريت عضو في "المجلس الوطني لمكافحة التدليس الصحي" الذي يعنى بحقوق المستهلكين.

حظر التريبتوفان مستمر. ولن تسوّق هذه المادة ثانية إلا إذا تبين للباحثين حقيقة ما جرى تماماً.

أما بوني بيشوب فقد فاتها الأوان، اذ انها أصيبت بعطب عصبي دائم. وتقول أن ليس في وسعها العمل في وظيفة ثابتة. وهي تخصص ساعات للتمرين كل أسبوع من أجل بناء قوتها الجسدية والمحافظة عليها على رغم التشنجات الاليمة. وهي تجهد لاستبعاد التفكير في المستقبل.

بربارة دين ■

من بين رسائل الاطراء الغريبة والمحيرة التي تلقيتها واحدة من سيدة جاء فيها: "آه، يا سيد راتل، ان فرقتك الموسيقية رائعة. هل تعلم أنني كنت اسمع كل عازف بمفرده؟"

المايسترو سيمون راتل

تأملات معاصرة

سحر اللباقة

■ من المفيد لكلّ منّا أن يتطلع ملياً الى ذاته الحقيقية من وقت الى آخر، ويتساءل عما اذا كان أهلا لأن يعرفه البشر، أو ما اذا كان حقق تقدماً. فالشخصية الفذة تُبرز المرء في هذا العالم.

كانت لأبي قدرة الحصول على أي غرض يشاء ممن يشاء لجاذبيته ولباقته اللامتناهيتين. وهو قال لي مرة: "انت تعرف، يا بني، انني لم أولد بهذه الصفات، لكنني اعتقدت أنها تستحق عناء الصقل والتهذيب."

م.م.

أزواج وزوجات

■ لا يكون زواج الا بشخصين، ولكن يكفي واحد منهما لتغييره. ينتهي بنا الامر لا حول لنا في حياتنا الزوجية لاننا نعجز عن السيطرة على شركائنا. والحقيقة أننا نحتاج الى تعلم كيف نملك على أنفسنا.

واذ نتخلى عن محاولاتنا تغيير الشريك ونركز، بدل ذلك، على ذواتنا، تحصل التغييرات في زواجنا على نحو مفاجيء ومتوقع في آن.

ك.ك.

البدء بالذات

■ اذا كان لا بد من بسط النظام في العالم، فعلى أمّتي أن تتبدّل باديء بدء. واذا كانت أمتي ستتبدل، فمسقط رأسي حري بالتغيير. واذا كان لمسقط رأسي أن ينتظم، فعلى عائلتي أن تُضبط أولا. واذا لعائلتي أن تتجدّد، فعليّ أن أكون طليعة التجدد.

جنرال صيني


وقت للهدر

■ كانت الأمور الحياتية تستهلك جزءاً كبيراً من ساعات اليقظة عند معظم المواطنين قبل شيوع اجهزة التلفاز والراديو. فالمزارع الذي لم يكن في حقله كان يأكل أو ينام، وكان العمال في المدن يعملون ما لا يقل عن الساعات العشر يومياً.

اذاً، ما الذي كان يفعله المواطنون العاديون في الوقت الذي يخصصونه اليوم لمشاهدة التلفاز؟ لا شيء، لأنهم لم يكونوا يملكون الوقت. وعلينا أن نتهلّل لذلك، لا أن نتذمر، لأن هذا الوقت المخصص للهدر هو اليوم في متناول الاكثرية لا الاقلية.

هودينغ كارتر

في "وول ستريت جورنال"



مدينة عريقة على شاطىء البلطيق هي مركز تجاري يصل غرب أوروبا بشرقها

وقع نظري على المدينة للمرة الاولى حين كنت في القطار المندفع عبر أرياف ولاية شلسفيغ – هولشتاين في شمال ألمانيا. وفي وقت لاحق، لدى توجهي نحو وسط المدينة، استوقفني منظر الـ"هولشتنتور"، أي بوابة هولشتاين، ولم أكن رأيتها الا على الاوراق النقدية من فئة ٥٠ ماركاً.

اكتمل بناء الهولشتنتور عام ١٤٧٨، وهي احدى أجمل بوابات القرون الوسطى في ألمانيا. وقد بنيت للدفاع عن المدخل الغربي للمدينة، ولكن لم تخرج طلقة واحدة من برجيها التوأمين. وأخطر التحديات التي واجهها هذا النصب التذكاري لم يكن إبان الحروب وانما في العام ١٨٦٣ حين نقض مجلس الشيوخ اقتراحاً بهدم البوابة الهرمة المتداعية، وذلك بغالبية صوت واحد. وبدلا من هدمها جُدّد بناؤها وهي تضم الآن "متحف التاريخ البلدي."

تشمل "لوبيك الكبرى" المدينة وثماني ضواح ومنتجع "ترافيموندي" على شاطىء البلطيق، وتبلغ مساحتها حوالى ٢١٤ كيلومتراً مربعاً ويقطنها ٢١٥ ألف نسمة. وهي مركز لبناء السفن وفيها ثلاثة أحواض، وتنتج كمية كبيرة من السمك المعلّب.

ولدى المدينة ما تقدمه علاوة على الصناعة. ففي المنطقة التجارية القديمة كثير من الآثار التاريخية، مما حدا منظمة "اليونيسكو" في العام ١٩٨٧ على اعلانها مَعْلماً تراثياً عالمياً مثل الأكروبوليس في أثينا وجدار الصين العظيم.

وسيط تجاري. تأسست بقعة المدينة عام ١١٤٣ ودعيت "ليوبيشي" أي الجميلة. ونظرا الى موقعها المثالي على بحر البلطيق وقوانينها العصرية التي تبنتها لاحقاً أكثر من ١٠٠ بلدة ومدينة، قُدر للوبيك أن تصبح مركزاً تجاريا ضخماً. ومنذ القرن الثالث عشر هيمنت على "الرابطة الهانزية"[١] وهي رابطة مدن انشئت في القرون الوسطى بهدف تعزيز التجارة وحمايتها، وكانت تضم نحو ٢٠٠ مدينة عضو في ألمانيا وهولندا وأسوج (السويد) وبولونيا. وفي القرن الخامس عشر كانت لوبيك ثانية كبرى المدن الالمانية بعد كولونيا، وكان ميناؤها أهم من ميناء هامبورغ. وكانت سفنها تجوب البلطيق والبحار الشمالية ووصل تجارها الى بريطانيا وروسيا.

وفي العام ١٦٦٩ انحلّت "الرابطة الهانزية" لان الدول الاسكندينافية وروسيا أصبحت أكثر استقلالية كما قلّص اكتشاف العالم الجديد أهمية تجارة البلطيق.

لكن لوبيك عادت الى الواجهة في دور عصري مماثل. ففي سبتمبر (أيلول)

(١) Hanseatic League

١٩٨٠ أضافت الاحتفالات السنوية لثالثة لـ"أيام الرابطة الهانزية في لعصر الحديث" التي جمعت نحو مئة من مدن الرابطة السابقة وشريكاتها في التجارة في عشرة بلدان. وأعلن عمدة المدينة مايكل بوتييه (٤٧ عاما) الذي رأس اللقاء: "لقد أصبحنا الوسيط بين المجموعة الاوروبية والبلدان التي لا تنتمي اليها مثل دول اسكندينافيا وأوروبا الشرقية."

وبُذلت جهود جبارة لبلوغ هذا المقام، لأن المنطقة الخلفية الزاهرة اقتصادياً كانت اقتطعت من لوبيك على أثر تقسيم ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، فخسرت لوبيك كثيراً من تجارتها. وأمرّ من ذلك أن الحدود المحصّنة لجمهورية ألمانيا الديموقراطية (الشرقية) لم تكن تبعد في بعض الاماكن الا خمسة كيلومترات عن المنطقة التجارية. يقول أولريك فون در ليبي المدير العام لشركة ميناء لوبيك: "تعيّن علينا ايجاد زبائن جدد وطرق جديدة لكي نستمر في العمل. فعمدنا الى توظيف أموال كثيرة في تحديث الميناء القديمة وبناء الرصيف الاسكنديناڤي في ترافيموندي."

واليوم تقوم التجارة على النقل البحري بالمعدِّيات. وتفيد التسهيلات البحرية الحديثة من الطرق البرية المتوافرة لتأمين النقل بالشاحنات والقطارات. فكبرى بواخر الشحن في العالم التي تتسع لنحو ٨٠ شاحنة، ترسو الى الرصيف فتفرغ الورق والسيلولوز



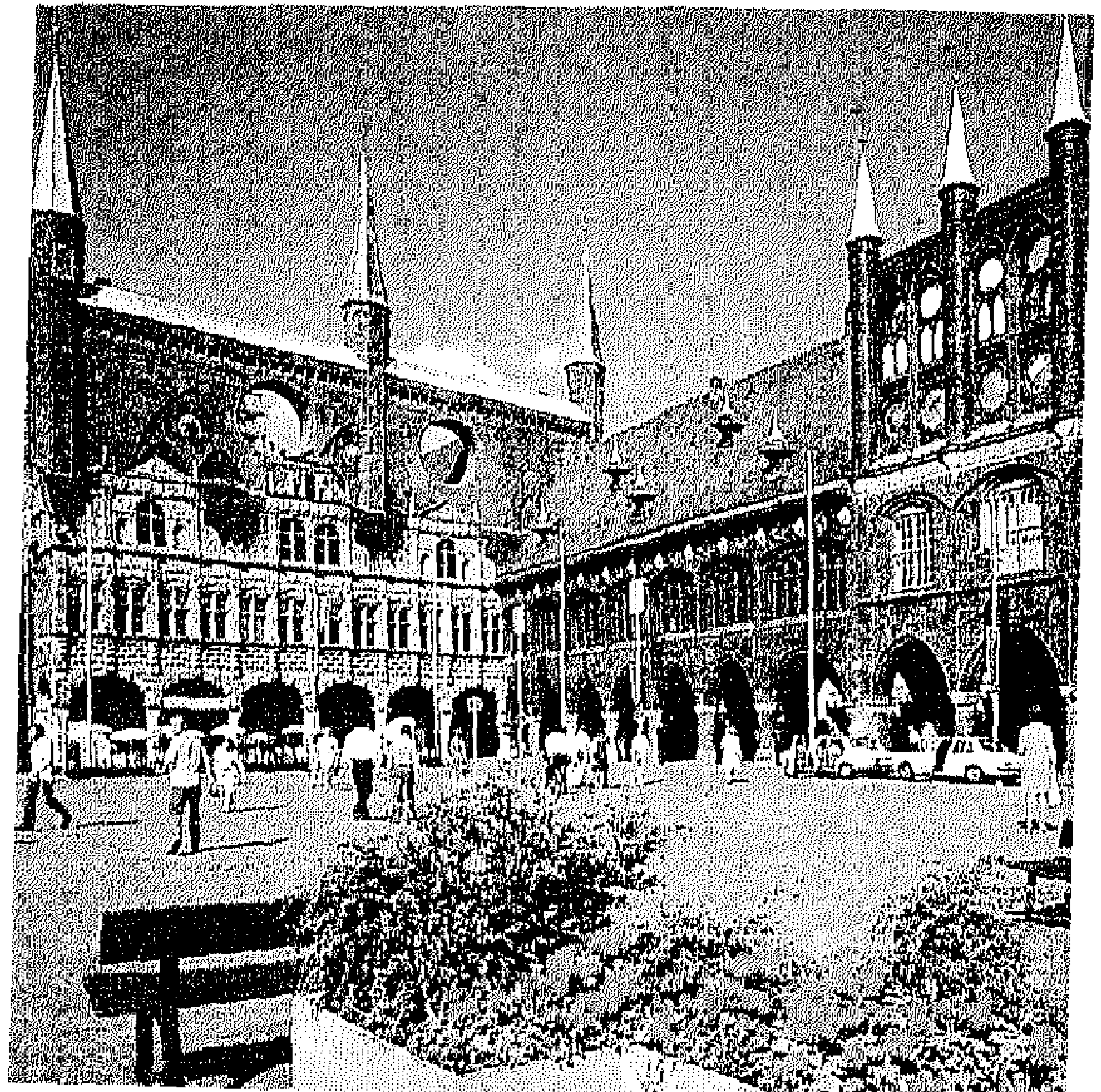
وتغادر محملة آلات ومواد كيميائية. ويعبر المرافىء سنوياً نحو ١٧ مليون طن من البضائع. وكان تطور الرصيف الاسكنديناڤي مثيراً للاعجاب على نحو خاص. فهو كان وضيعاً في أول عهده عام ١٩٦٢ ولا يقيم الا اتصالا واحداً مع أسوج (السويد). والآن فيه سبعة أحواض لرسو السفن تحتضن أكثر من ٥٠٠٠ معدِّية سنوياً آتية من ٢٠ ميناء على البلطيق وناقلة مليونين وأربعمئة ألف راكب في الاتجاهين.

دمار الحرب. بقيت ترافيموندي منتجعا صحياً وشعبياً يقصدها عشرات الالوف من الزوار سنوياً للتنزه على شاطئها والتمتع بحفلاتها الموسيقية. وقال فيها طوماس مان الحائز جائزة نوبل: "في ترافيموندي حيث صرفت اسعد ايام حياتي تآلف في قلبي البحر والموسيقى."

هذا الروائي العالمي هو أشهر أبناء لوبيك.

من هنا تمشي لبضع دقائق فتصل الى الساحة العامة نواة الحياة في لوبيك، حيث تقصد ربات البيوت منصات الفاكهة والخضر المقامة في ظل أحد أقدم المباني البلدية في ألمانيا، وهو مُشاد بالقرميد انسجاماً مع الطابع النموذجي للمنطقة. وقد بدأ بناؤه عام ١٢٣٠، ووسِّع وأدخلت عليه تعديلات على مر القرون بمزيج من النمطين القوطي والنهضوي.

وحين دخلت الصرح التذكاري رأيت جرسين محطّمين هما تذكار من الغارة الجوية على المدينة في ٢٩ مارس (آذار) ١٩٤٢ حين دمر خُمس أبنيتها القديمة. ونجت المدينة من الدمار الشامل بفضل



الساحة العامة حيث المبنى البلدي. وهي محور النشاط في المدينة.

(اقصى اليمين) ترافيموندي منتجع شعبي وصحي على شاطىء البلطيق.

المؤرخ السويسري كارل جاكوب بوركهارت الذي كان آنذاك رئيس منظمة الصليب الاحمر الدولي. فهو سعى الى جعل المدينة مخزناً للمساعدات المرسلة الى أسرى الحرب الحلفاء في ألمانيا. وهكذا نجت لوبيك من غارات جوية أخرى.

أغنياء وكرماء. بعد الحرب توجه الاهتمام الى اعادة بناء "وجه" لوبيك الشهير الذي تتخلله سبع قباب مستدقة بقيت اثنتان منها سالمتين. فتبرع المواطنون بمليون ومئتي ألف مارك أضيفت اليها مساعدات الدولة، واستُكمل التجديد عام ١٩٦١. ولم تحظَ الابنية الخاصة الا بقليل من الاهتمام. وكما جرى في مدن ألمانية أخرى، شيدت أبنية عصرية في الضواحي لايواء المشردين الذين فقدوا منازلهم. ولم تعلن سلطات لوبيك اعتبارها بعض المناطق مدمَّرة وتنبغي اعادة بنائها الا في العام ١٩٧٢. وبدأ العمل الخاص المنظم بعد ثلاث سنوات حين أسس ٣٠٠ من السكان "مبادرة المواطنين لانقاذ لوبيك" بهدف حماية القسم القديم من المدينة وتفادي اقامة أبنية جديدة بشعة. ورُممت منازل خاصة قديمة فاستعادت المدينة طابعها الاصلي وواجهاتها القوطية والباروكية والنهضوية والكلاسيكية.

وبفضل التزام التجار الأثرياء مساعدة الفقراء، نشأت في لوبيك ميزتان تراثيتان فريدتان هما الـ"غانج"[٢] أي الممرات والـ"شتيفتونغشوف"[٣] أي الأفنية الخلفية. ففي الايام السالفة كان أصحاب الاعمال يبنون مساكن صغيرة لمستخدميهم في أفنية بيوتهم. وقد ولجتُ مدخلا واطئاً لممر ضيق في شارع انغلسفيش قادني الى أحد هذه العوالم المحجوبة: ساحة صغيرة حميمة المنظر مكتظة بالاشجار والزهور والعرائش تحفّ بها بيوت فاتنة من طبقة واحدة.

وهناك اليوم نحو أربعين ممراً من نوع "غانج" جُددت ويسكنها أناس من جميع الاعمار والطبقات الاجتماعية. لكن قلة من أفنية الـ"شتيفتونغشوف" تلتزم دورها التقليدي. فالـ"غلاندورهوف" الفخم، على سبيل المثال، لا يزال "فناء المتقاعدين" كما كان حين وهبه التاجر يوهان غلاندورب في العام ١٦١٢. وقد فتنني هذا الفناء الآسر حيث تحتضن حدائق الزهور الزاهية البيوت المطلية بالكلس بنوافذها وأبوابها الزرقاء.

قصة المرصبان. تبقى أعمال كثيرة في لوبيك يتعين انجازها.

وتنمو قائمة الابنية التاريخية التي تضم نحو ١٢٠٠ مَعْلم أثري ثمين.

وتتجلى سياسة المحافظة والتقدم في معهد لوبيك الموسيقي الذي يتوسط شارعي غروسي بيترسغروبي وديبينو الجميلين ويمتد عبر مجموعة من ٢٢ منزلا قديماً. وقد جلت مع المستشار

(٢) Gange
(٣) Stiftungshöfe

ماريلس بيلز، فارتقينا سلالم كبيرة صعوداً ونزولا مروراً بقاعات ضيافة ذوات سقوف عالية وبساحات فاتنة. وقادنا المطاف الى القسم الجديد من المعهد حيث قُوِّضت خمسة أبنية متداعية من الداخل وأعيدت هندستها عصرياً. وهناك استوديو للصوت وقاعة استماع مفتوحة حاليا، وثمة قاعة للعزف قيد الانشاء ستضم ٥٠٠ مقعد. وحين يكتمل المشروع في العام ١٩٩١ سيكون مثالا للانسجام في دمج القديم بالجديد.

ظهر اليوم التالي تناولت طعام الغداء في البناء القرميدي الفخم لجمعية قباطنة السفن، حيث يلتقي القباطنة وصانعو الاشرعة منذ تأسيس الجمعية عام ١٥٣٥. وتتدلى نماذج سفن من سقف قاعة الطعام.

وقد شُهرت لوبيك بمرصباتها. وكانت هذه الحلوى أدخلت أوروبا لدى رجوع الصليبيين من حملاتهم على الشرق. ولكن سكان لوبيك يروون قصة مختلفة: يزعمون أن مجاعة رهيبة حلّت بالمدينة عام ١٤٠٧ فنفدت مؤونة القمح كلها، ولكن بقي مخزون كبير من اللوز في المستودعات. وفي بادرة يأس طلب مجلس الشيوخ من الخبّازين أن يصنعوا خبزا باللوز المتوافر. فكانت الحصيلة انتاج المرصبان. وهناك اليوم ثلاث شركات كبرى تعمل في هذه التجارة، أقدمها شركة "نيدريغر" التي تأسست عام ١٨٠٦. وفي موسم الميلاد وحده يصنع عمالها الخمسمئة ٣٠ طناً من المرصبان يومياً للمستهلكين في ٤٢ بلداً.

وحدة وسلام. في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩ حين فتحت ألمانيا الشرقية حدودها، استعادت لوبيك منطقتها الخلفية الغنية اقتصاديا. واستُقبل الزوار الالمان الشرقيون بحماسة خاصة لان ثلث سكان المدينة هم أنفسهم من دول شرقية، وكثيرون منهم انفصلوا عن أقربائهم وأصدقائهم قبل نحو ٣٠ سنة.

وازدادت الروابط الثقافية والاقتصادية مع ألمانيا الشرقية. واجتمع الخبراء للتباحث في المشاكل المشتركة المتعلقة بتجديد المباني التاريخية وحماية البيئة. ونشأت اتصالات تجارية ووُضعت خطط مشتركة لاقامة معارض فنية وعروض مسرحية ومباريات رياضية.

والعلاقات التجارية الجديدة تبعث الامل لدى مواطني ألمانيا الشرقية والتفاؤل لدى سكان لوبيك. ويقول العمدة بوتييه: "أما وقد استعدنا منطقتنا الخلفية، ففي امكان مدينتنا استعادة دورها التقليدي كمركز للتجارة بين الشرق والغرب."

ويبدو أن الكتابة اللاتينية المنقوشة على بوابة "هولشتنتور" تأخذ معنى جديداً في ألمانيا وأوروبا ككل. وترجمتها: "وحدة في الداخل وسلام في الخارج."[٤]

روي فرغسون ■

(٤) Concordia Domi Foris Pax

الألعاب الأولمبيّة حيث الكل رابحون



أدريانو باليزي (السادس من اليسار في الصف الخلفي) مع أعضاء الفريق الايطالي في غلاسغو

دورة مخصصة للمعاقين تعيد ذكرى الروح الرياضية التي سادت الالعاب الاولمبية في الماضي

أدريانو باليزي فتى ايطالي معاق عقلياً، قام في شهر يوليو (تموز) ١٩٩٠ برحلة الى غلاسغو في اسكوتلندا للاشتراك في الدورة الثالثة للالعاب الاولمبية الصيفية الاوروبية الخاصة التي تدوم ستة أيام.

كانت هذه الرحلة بالنسبة اليه ضربا من السحر: فقد أتاحت له، للمرة الاولى في حياته، أن يركب طائرة وأن يلمح المحيط الاطلسي وأن يستمع الى مزمار قربة وأن يرى التنورة الكلتيّة وأن يمشي في استعراض.

افتتن أدريانو بهذه المباهج حتى كاد ينسى الغاية من قدومه الى اسكوتلندا. ففي منتصف المباراة النهائية لسباق الـ ٨٠٠ متر سبقه جميع العدّائين، وبلغت المسافة الفاصلة بينه وبين عدائي الطليعة حوالى ٥٠



باليزي يعدو في دورة الالعاب الاولمبية الايطالية الخاصة التي اجريت في بيسكارا عام ١٩٩٠.

متراً. بدا غافلا عن صراخ مدربه وزملائه وهم يحثونه على الاسراع: "هيا، هيا!" الى أن انبعث صوت يائس من الخط الجانبي صرخ فيه بالايطالية: "بالله عليك يا أدريانو، حاول على الاقل."

كان لهذا الصوت مفعول عجيب، اذ أطلق أدريانو العنان فجأة لطاقة كبرى دفعته متخطياً منافسيه المذهولين وعابراً خط النهاية. وتدحرجت عبرات الفرح على خديه فيما علّق مسؤول حوّل عنقه ميدالية ذهبية، وراح ينشج باكياً: "لقد فزت! لقد حاولت!"

المحاولة هي قوام الالعاب الاولمبية الخاصة. فبعد الخيبات المحبطة التي وصمت الالعاب الاولمبية الاساسية من فضائح مخدرات وروحية تجارية وسياسات ضيقة الآفاق، أعادت هذه الالعاب الى الاذهان ذكرى المثل العليا التي جسدتها الالعاب الاولمبية في ما مضى. فالفوز، وفقاً لمعيارها، هو دون الجهد والزمالة والاحترام أهمية. ففي المباراة النهائية في كرة السلة التي انتهت بفوز يوغوسلافيا على اليونان، اصطدم لاعب يوناني بخصم ووقع على الارض يتلوى من الالم. وللحال تحلق حوله لاعبو الفريقين غير آبهين باشارات الحكم الداعية الى متابعة اللعب، وسندوا رأسه وراحوا يدلكون رسغه الملوي حتى تمكن من السير مجدداً.

وانتقلت الروح الرياضية الى المتفرجين أيضاً. ففي سباق السباحة لمسافة ١٥ متراً، فازت القبرصية فانولا الكسندرو التي قطعت المسافة في ٢٢،٩١ ثانية. لكن هتافات الابتهاج علت وواكبت ماري تيريزا برادي، وهي امرأة ايرلندية مصابة باعاقة بالغة أصرت على اكمال السباق واجتازت المسافة في ٣٧،٣ ثانية. وأشرق وجهها بابتسامة عريضة لدى بلوغها نهاية الحوض.

قد تكون الارقام التي يسجلها الرياضيون في غلاسغو دون المستوى العالمي، لكنها بلا شك أرقام قياسية في السعادة.

معاقون عقلياً. أقيمت أولى مباريات الالعاب الاولمبية الخاصة في شيكاغو عام ١٩٦٨، وجاءت ثمرة مخيم صيفي للمعاقين عقلياً أسسته يونيس شرايفر، شقيقة الرئيس الامريكي الراحل جون ف. كينيدي، في أوائل الستينات، في فناء

منزلها في ميريلاند. وكانت شقيقتها روز ماري معاقة عقليا.

الالعاب الاولمبية الخاصة بالنسبة الى يونيس ليست سوى فعل محبة. ويرئس زوجها سارجنت شرايفر منظمة "الالعاب الاولمبية الدولية الخاصة" ومركزها واشنطن، وهي تنظم دورة عالمية كل سنتين (تقام هذه السنة في مينيابوليس) وتجيز اجراء دورات أوروبية كل بضع سنوات.

عام ١٩٦٨ جذبت هذه الالعاب "الدولية" نحو ١٠٠٠ رياضي من الولايات المتحدة وكندا. وبالمقارنة، استقطبت ألعاب غلاسغو ٢٢٠٠ رياضي من ٣١ بعثة أوروبية بمن فيهم، للمرة الاولى، رياضيون من الاتحاد السوفييتي وجمهوريات استونيا وليتوانيا ولاتفيا. وتولت مجالس اختيار محلية انتقاء المشاركين. فكانوا جميعا من المعاقين عقليا، ومنهم من يعاني عجزا جسديا منذ الولادة. وتنافسوا في ١٣ مباراة راوحت بين سباقات المضمار والميدان والبولينغ. وتوافرت مستويات متفاوتة للمنافسة من أجل اعطاء كل مشترك فرصة.

أطفال وشيوخ. خيم جو احتفالي على غلاسغو فيما زحف جمهور غفير بلغ تعداده نحو ٣٥ ألفا على "سلتيك بارك" لحضور حفلة الافتتاح. قرعت الطبول وانبعثت الالحان من مزامير القربة فيما راح الرياضيون يدورون حول الملعب المدرَّج وقد تأنقوا بملابس حملت ألوان



(اقصى اليسار) رياضي ايرلندي خلال الحفلة الختامية في غلاسغو. (الى اليمين) سباق المضمار. (أسفل اليسار) الاسكوتلندي بيتر ميشان يتبارى في القفز الطويل.

أعلام بلادهم. ورفرفت الرايات وانطلقت الالعاب النارية وتوهجت الشعلة الاولمبية عاليا فيما أعلن دوق ادنبرة الذي رعى هذا الحدث، بدء المباريات. ومشى مع الرياضيين كل من ملكة الاردن نور والامير ألبير دي موناكو، وحضر الاحتفال عدد كبير من المشاهير.

تزامنت هذه المباريات مع الاحتفالات بتكريس غلاسغو "مدينة الثقافة" في أوروبا للعام ١٩٩٠. وقد لُحظت لها موازنة بلغت ٣،٣ ملايين جنيه استرليني (نحو ٦ ملايين دولار). وكان مايكل دايل، المدير التنفيذي لهذه المباريات، فاتَح أصحاب المشاريع الكبرى في غلاسغو للمساهمة في اقامتها، فلم يلق منهم تجاوبا.

لكن سكان غلاسغو سدوا هذه الثغرات. وكم من الاعمال والنشاطات نفذت في سبيل جمع المال: رجال اطفاء يهبطون بالمظلات، في عروض خيرية، وموظفون ينزلقون على واجهة مبنى بواسطة حبال، وسعاة بريد يغسلون



JOHN PAUL





RANDOLPH CAUGHIE

السيارات، ورجال شرطة يلعبون البادمنتون ٢٤ ساعة متواصلة. وجمع برنامج "تبنّوا لاعبا رياضيا" أكثر من مليون جنيه (نحو مليوني دولار) لتأمين اطعام اللاعبين ونقلهم. وأطلق نداء لطلب نحو ٢٠٠٠ متطوّع فلقي تجاوبا ساحقا. ويقول غوردون ماكورماك وهو اسكوتلندي مرح ومنظم ألعاب للمعاقين: "لبى النداء مراهقون وآباء وأمهات وجدات، فتجمع لدينا جيش من سكان غلاسغو وقفوا أنفسهم على مساعدة المعاقين."

"لست عاجزاً." فرح الرياضيون بكرم السكان ومودتهم. ومنهم من كان يعاني مصاعب عائلية وأُدخل مصحّات. فعندما بلغ "البطل" الايطالي أدريانو باليزي الرابعة من عمره عهدت به أمه الى كاهن المحلة. وانقضت عشر سنين قبل أن تعلم السلطات المختصة بأمره، وحين عثرت عليه كان منطويا لم يدخل أي مدرسة وشبه عاجز عن التفاهم مع الآخرين.

أدريانو اليوم في الثامنة عشرة من

عمره ويعيش في مركز لاعادة التأهيل حيث يتلقى دروساً في الميكانيك. تقول ميشال جورجيو رئيسة الاتحاد الرياضي "س. جيوفاني دي ماتا" في فينوسا: "لقد غيرت حلبة الركض مجرى حياته، اذ خرج من عزلته الكاملة وبات محاطاً بالمحبين ويلقى الدعم والتشجيع باستمرار. ومنحته الرحلة الى غلاسغو دفعاً جديداً. لا يزال أدريانو خجولا ومنطويا، لكن الحشود والتصفيق أثّرا فيه كثيراً."

بيتر ميشان (٣٠ عاما) اسكوتلندي معاق عقليا ويعاني شقاً حلقيا منذ الولادة. يقول: "خضعتُ لعشر جراحات، ونادراً ما كنت أخرج من المنزل. وفي المدرسة كان الاولاد يسخرون مني قائلين ان ميشان ولد غبي. لكن عائلتي وقفت دائما الى جانبي وآزرتني."

اعتاد بيتر الركض مع أشقائه ومنافستهم في الالعاب الرياضية، فوجد متنفّساً في المباريات الخماسية، وهي أكثر الرياضات ارهاقاً اذ تستمر طوال يومين وتتضمن خمس مباريات: سباق قصير لمسافة ١٠٠ متر، قفز طويل، رمي الكرة الحديد، قفز عال، سباق لمسافة ٤٠٠ متر. وقد فاز بيتر بميدالية ذهبية في غلاسغو بعدما تأهل للمشاركة وربح في المباريات الخمس.

يقول بيتر: "لقد أعطتني الرياضة هدفاً." وهو يتمرن أربعة أيام في الاسبوع في اشراف المدرب طوم بويل الذي يضم فريقه اثنين من أشهر عدائي بريطانيا هما طوم ماكين وايفون موراي. ويكرس بيتر يوماً آخر في الاسبوع للعمل مع رياضيين معاقين آخرين. ويمضي أوقات فراغه في مساعدة جيرانه المتقدمين في السن. ويضيف شارحا طبيعة أعماله: "أنكش تراب حدائقهم وأجزّ عشبها. أنا لا أنظر الى نفسي كعاجز، والناس لم يعودوا يهزأون بي بل يعاملونني باحترام."

دموع العقيد. تظهر هذه المباريات أهمية منح المعاقين عقليا حياة هادفة. لكنها تكشف أيضا التخلف المريع الذي تتخبط فيه بعض المجتمعات في هذا المجال. وتتحسر ناتاليا سلادكوفا الامينة العامة لاتحاد الرياضة للمعاقين في الاتحاد السوفييتي: "هؤلاء الاشخاص غير مقبولين في مجتمعنا. عندما يقع نظر البعض على معاق يتبادر الى أذهانهم السؤال الآتي: ترى، أي ذنب اقترفه؟ من الصعب علينا تغيير هذه المواقف بسرعة، ولكن في اعتقادنا أن الرياضة قادرة على ازالة هذه الحواجز."

ويضيف ميكي هانوري قائد الفريق الهنغاري (المجري): "معظم المعاقين عقلياً عندنا يلزمون المصحّات، وكانوا يُحجبون عن الانظار تماماً. لكن الوضع تغير الآن، وقد رافقَنا فريق من التلفزيون الوطني الهنغاري."

الميزة التي لم تخِبْ يوماً في التأثير على الناس الذين يهتمون بالمعاقين هي عمق تجاوب هؤلاء حيال الرقة. تقول ماريا

فيكتوريا غريل مدربة الفريق الاسباني لكرة السلة: "هؤلاء الاولاد يقدِّرون أقل اهتمام بأمرهم. والملاطفة هي جل ما يحتاجون اليه حافزاً."

ولا ريب في أن الرياضيين الاكثر سعادة في غلاسغو كانوا أولئك الذين حضر ذووهم وأصدقاؤهم المباريات وشجعوهم. فقد حضرت عائلة كارولين راصل الايرلندية (١٥ عاماً) وأصدقاؤها من مقاطعة دونيغل لمشاركتها في فرحتها بميدالية فضية في مباراة الفروسية للمبتدئين. وانهار ادغار بولشو، وهو عقيد الماني قاسي القسمات، واخذ يبكي عندما فاز ابنه غارت (٢٨ عاماً) بميدالية ذهبية في السباحة، وتنهد قائلا: "كان سليماً معافى حتى بلغ عامه الثاني عندما أعطي حقنة لقاح عادية ضد الحصبة والشاهوق. فاللقاح ألحق أذى بدماغه، مع أن حوادث كهذه تكاد لا تحصل. وهو لا يزال عاجزاً عن القراءة والكتابة، لكن الرياضة باتت كل شيء في حياته."

قبعات في الهواء. "الغلبة للجميع." تصدر هذا العنوان صحيفة "دايلي ريكورد" الصادرة في غلاسغو ناقلا الحقيقة بصدق. ففي "لغة" هذه المباريات، الرياضيون الذين يحتلون المرتبة الثامنة، مثلا، يعتبرون "رابحي" المرتبة الثامنة ويفوزون بأوشحة تذكارية. أما الرابحون الاوائل فقد حققوا انجازات باهرة فعلا:

□ بيدرو هنريكس (١٧ عاماً) سباح برتغالي معاق عقلياً منذ الولادة فاز بميدالية ذهبية في سباح البدل (٤×٢٥) وبأخرى برونزية في السباحة الحرة لمسافة ٢٥ متراً. وكان قبل يومين من المباراة غطس في حوض سباحة في مارينا غراندي بالبرتغال وأنقذ فتى من الغرق.

□ آلن ستروفن (٢٠ عاماً) لاعب جمباز بلجيكي فاز في اليوم الاول من المباريات بميداليتين برونزيتين في التمارين الارضية وتمارين العارضة الافقية. واتصل بعائلته ليزف اليها البشرى. وبعد فوزه بميداليتين ذهبيتين في اليوم التالي في تمارين القفز والمتوازيين قال وقد افترّ ثغره عن ابتسامة عريضة: "يبدو أن علي اجراء مكالمة أخرى."

□ ميشال أورلاندو (٢٤ عاماً) فتاة مرحة سوداء الشعر أتت من جنوب فرنسا وأحرزت فوزاً ساحقاً في دورة كرة الطاولة. وهي خسرت مباراة واحدة أمام منافستها اليونانية ماريا بروكوبا التي كانت تثب بخفة فرحاً كلما سجلت نقطة. وفي النهاية تمكنت ميشال من التغلب على ماريا (٢١ — ١٠) فرقصت بدورها.

وتكررت العناقات العفوية في غلاسغو. وعندما خسر فريق كرة القدم الفرنسي، المؤلف من خمسة لاعبين أكبرهم في الخامسة عشرة، أمام لاعبي الفريق الاسكوتلندي الاكبر سناً، بهدف سجله هؤلاء في الثواني الاخيرة من المباراة، ارتمى حارس المرمى الفرنسي على الارض محبَطاً. فتحلق رفاقه حوله، كذلك

لاعبو الفريق الاسكوتلندي ولاعبو الفريق البرتغالي، يخففون عنه.

أما لاعب الجمباز كريستوف ايرانو (٨ أعوام) الآتي من امارة موناكو فخطف الاضواء لدى توزيع الجوائز، اذ رفعه اثنان من أنصاره من ذراعيه ليقلّد ميداليته الفضية للالعاب البهلوانية. وكان ايرانو أصغر الرياضيين المشاركين في دورة غلاسغو للالعاب الاولمبية الخاصة.

أخيراً زال السحر، وتبادل الاصدقاء الجدد القبلات والعناوين خلال الحفلة الختامية. ورقصوا الكونغا الافريقية والميداليات تجلجل على صدورهم الشامخة. وصرخت فتاة فرنسية: "نحبك يا غلاسغو!" وقذفت قبعتها عالياً في الهواء. وللحال حذا المئات حذوها وتطايرت القبعات وعلت الاصوات: "نحبك! نحبك!"

غلاسغو أيضا أحبتهم، فرداً فرداً.

تشارلز بارميتر ■

داوِها بالتي كانت...

فجر يوم قارس البرودة دوى صوت عظيم مزق صمت حيِّنا. فوثبت من فراشي واتجهت بخطى متعثرة نحو نافذة غرفتي، واكتشفت أن مصدر الصوت هو بوق الشاحنة الصغيرة التي اشتريناها حديثاً. فارتديت معطفي واندفعت خارجاً. رفعت غطاء المحرك ورحت أعمل على فصل سلك البوق الى أن نجحت في ذلك بعد جهد، وعاد الصمت يخيم من جديد.

وفي وقت متقدم من ذلك الصباح اخذت الشاحنة الى الكاراج وشرحت للميكانيكي ما حدث. وعندما عدت لآخذها استفسرت منه عن سبب العطل فأجاب: "كل ما في الأمر انني وجدت سلكاً فالتاً فوصلته بالبوق."

ب.م.

الخيزران الياباني

تزدهر زراعة الخيزران الياباني في منطقة لاند جنوب غرب فرنسا. ويترقب مارسيل بواسو، مدير مؤسسة "فرانس - أغروم" والقيّم على ثلث غابة لاند، أن يُزرع ٢٠٠٠ هكتار من الارض خيزراناً يابانياً. ويضيف بحماسة: "هذا الخيزران الذي يرتفع ٢٥ متراً ينمو في مناخنا كأنه في بيئته الطبيعية، فيعطي من السيلولوز في الهكتار الواحد ثمانية أضعاف ما يعطيه شجر الصنوبر."

ومصانع الورق هي الاكثر اهتماماً بهذا الخيزران، اذ ينتج منه معجون ورق رفيع النوعية. وفي الامكان ايضاً تحويل الخيزران الواحاً ليفية. والى ذلك، فان جذوع الخيزران تُنبت فروعاً ريانة نضرة تعتبر مقبِّلا شهياً. وقد أبدى الطاهي الشهير ميشال غيرار اهتماماً بهذا الأمر.

صحيفة "لو بوان"، فرنسا

أضواء من عالم الطب

الفاكهة والخضر تبعد السكتة

■ استناداً الى دراسات غذائية طويلة الأمد، يمكن خفض خطر الوفاة المرتبطة بالسكتة الدماغية (الفالج) باضافة حصة من الفاكهة أو الخضر الى الطعام اليومي.

ففي تقرير قدمته عام ١٩٨٧ كايتي خاو من جامعة كمبريدج في بريطانيا والدكتورة اليزابيث باريت كونور من جامعة كاليفورنيا في سان دييغو بالولايات المتحدة، نتائج دراسة شملت ٨٥٩ رجلا وامرأة في منطقة بكاليفورنيا قسموا ثلاث فئات يتناول أفرادها مقادير مرتفعة، ومتوسطة ومتدنية، من البوتاسيوم. فبعد ١٢ سنة سُجّلت ٢٤ وفاة مرتبطة بالسكتة، لكن أياً منها لم تحصل في فئة البوتاسيوم العالي. وكانت منافع البوتاسيوم الوافر "عميمة على نحو مدهش" كما قالت خاو، واضافت: "قُدِّرت كمية البوتاسيوم استناداً الى الطعام المتناوَل. فالفاكهة والخضر هي أغنى مصادر البوتاسيوم، وقد يكون لمقوِّماتها الغذائية الأخرى تأثير نافع في السكتة."

وفي تقرير لـ"برنامج القلب في هونولولو" عام ١٩٨٨ أنه وفقاً لدراسة شملت ٧٥٩١ رجلا واستمرت ١٦ سنة، انخفضت السكتات الانسدادية التخثّرية المميتة بارتفاع مستويات البوتاسيوم. الا أن النسبة الادنى من أخطار السكتات عموماً سجلت بين أفراد يتبعون أنظمة غذائية غنية بالكلسيوم والبروتيين. وسجلت دراسة بريطانية أدنى نسبة من السكتات الدماغية في الجماعات التي تستهلك أكبر كمية من الفاكهة والخضر. وتقترح خاو ابدال المآكل غير الصحية، من معجنات ووجبات سريعة، بتشكيلة من الفواكه والخضر قد تساعد في الحفاظ على صحة شراييننا وحمايتنا من السرطان في آن.

صحيفة "ميديكال وورلد نيوز"

صغار لا يتكلمون

■ جرت العادة أن ينصح الاطباء والدي الاطفال الذين بلغوا السنتين وما زالوا لا يقوون على الكلام، بأن ينتظروا بلوغ الطفل الثالثة من عمره قبل مباشرة علاجه. لكن أبحاثاً حديثة تشير الى أن أطفالا كثيرين لا يخلصون من هذه المشكلة.

عمدت أستاذة علوم الكلام والسمع، ريا بول، الى درس حالات ٣٦ طفلا في عامهم الثاني تأخروا في الكلام. وبعد مرور سنة تبين أن نصف هؤلاء ظلوا متخلفين عن أترابهم. تقول البروفسورة بول: "يجب فحص سمع الاطفال الذين يظلون عاجزين عن الكلام بعد بلوغهم السنتين، كما يجدر التفكير في معالجة أولئك الذين بلغوا السنتين ونصف السنة وما زالوا عاجزين عن الكلام."

صحيفة "ديلي نيوز"

عبور أنتارتيكا

راودني حلم أنتارتيكا[1] طوال ثلاثين عاما. ومنذ صباي أتأمل صور صدوعها وجبالها وأتساءل كيف تمكن عظماء المستكشفين من البقاء على قيد الحياة في هذه البيئة الموحشة.

وتوالت السنون وأصبحت مستكشفا وترأست بعثة الى القطب الشمالي عام ١٩٨٦. خلال هذه الرحلة التقيت، بمصادفة غريبة، الفرنسي جان ـ لوي اتيان الذي اعتزم الوصول الى القطب متزلجا وحيداً. وتسامرنا تلك الليلة، واكتشفنا أننا شريكان في حلم واحد: أن نكون الاوائل في اجتياز أنتارتيكا بمزالج تجرها كلاب.

هناك، وسط المحيط المتجمد الشمالي، تبادلنا أرقام الهاتف. وبعد عودتنا من القطب أطلقنا مشروع "عبور انتارتيكا."

تخطى تصورنا لهذه البعثة حدود المغامرة البحتة

(١) انتارتيكا هي قارة القطب الجنوبي.

ستة رجال من ستة بلدان جمعهم حلم واحد: أن يجتازوا القارة القطبية... على أقدامهم



وأردناها مثالا للتعاون الدولي. حرصنا على أن نبرهن أن في امكان ستة رجال من ستة بلدان العمل على هدف مشترك في أقسى الظروف. لذا كان علينا اختيار أعضاء مناسبين للفريق. ونجحنا في مسعانا.

جيف سومرز بريطاني أمضى ثلاث سنوات في أنتارتيكا عضواً في فريق الابحاث البريطاني. نيطت به مهمة "الملاحة"[٢] وتدريب الكلاب.

فيكتور بويارسكي سوفييتي متمرس شارك في ستة مشاريع في القطبين الشمالي والجنوبي. عني بالاشراف على تجارب الارصاد الجوية في بعثتنا.

كين داه اختصاصي بعلم المجالد والثلوج من جمهورية الصين الشعبية، أمضى سنة في أنتارتيكا مديراً لمحطة الابحاث الصينية.

أما أنا فلم تطأ قدماي أرض أنتارتيكا من قبل، كذلك جان - لوي اتيان الاختصاصي بالطب الرياضي وكيزو فوناتسو وهو ياباني وأصغر أعضاء الفريق سناً (٣٢ عاماً) وخبير في تدريب كلاب المزالج.

عندما سئلنا عن أسباب قبولنا هذا التحدي أجاب جان - لوي نيابة عنا: "إما أن تحلم بالاستكشاف واما ألا تحلم. فان حلمت كان الانجذاب قويا جداً ولازمك طوال حياتك."

بدأت رحلة "عبور أنتارتيكا" رسميا


كيزو فوناتسو

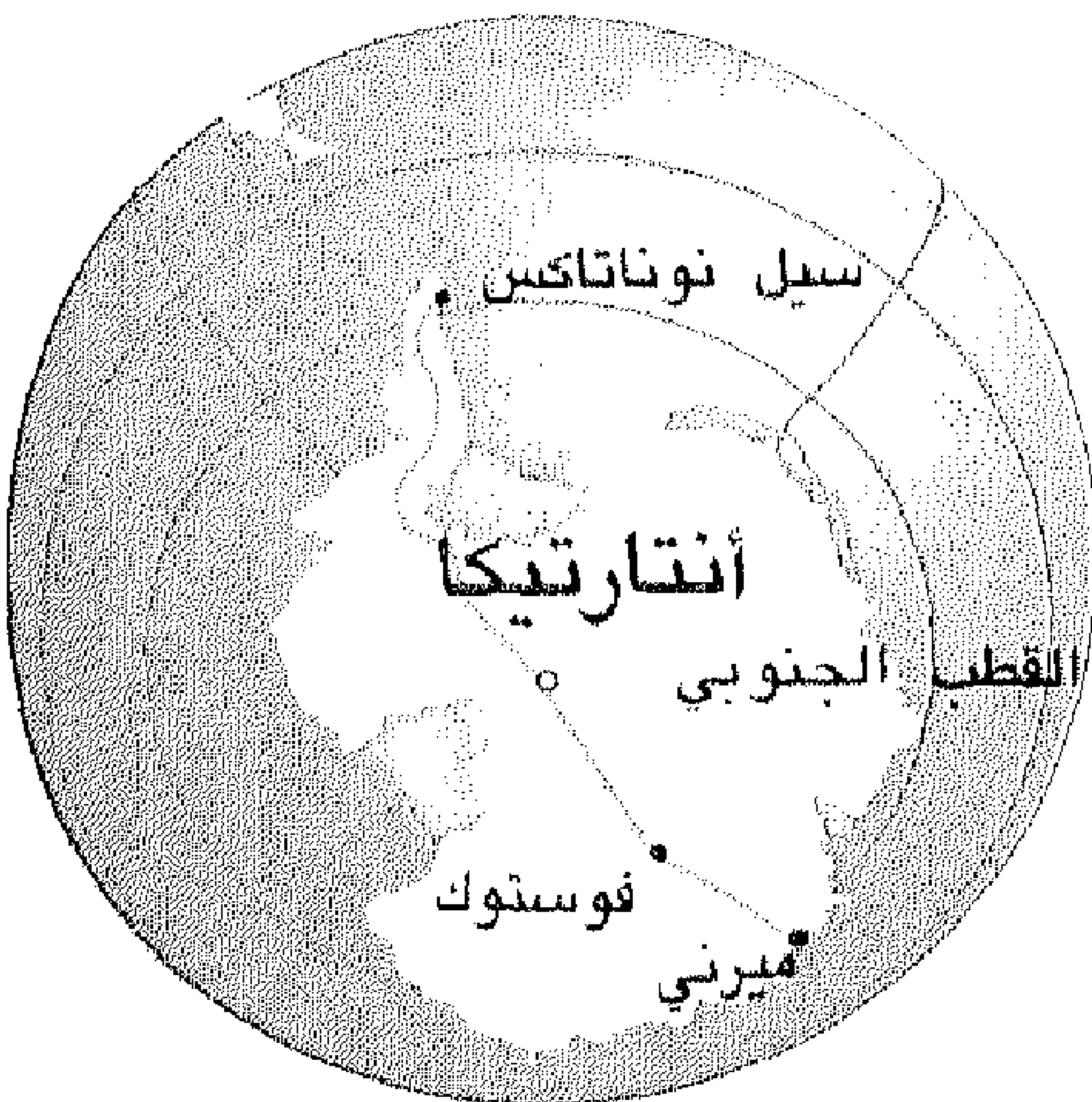

ويل ستيغر


جان - لوي اتيان


فيكتور بويارسكي


جيف سومرز


كين داه



(٢) الملاحة هنا تعني مهمات تحديد الاتجاه والمسار والمسافات.

في "سيل نوناتاكس" يوم ٢٧ يوليو (تموز) ١٩٨٩: ستة رجال واربعون كلباً وثلاث مزالج تزن الواحدة منها نصف طن. بلغت الحرارة لدى انطلاقنا درجتين مئويتين تحت الصفر. وسلكنا المحور الاطول في القارة، بدءاً من جوار رأس شبه الجزيرة الجنوبية التي يبلغ طولها ١٣٠٠ كيلومتر، في اتجاه القطب الجنوبي، مروراً بما يسمى "المنطقة التي يتعذر سلوكها"، وصولا الى قاعدتي الابحاث العلمية السوفييتية في فوستوك وميرني، أي ما مجموعه ٦٠٠٠ كيلومتر.

لعبور هذه المسافة في سبعة أشهر تقريبا، تحتم علينا التزلج بمعدل ٣٠ كيلومتراً يوميا. ومسألة التفاهم في ما بيننا لم تكن دون المسائل الاخرى أهمية. فالانكليزية كانت لغتنا "الرسمية"، لكن فيكتور وداه كانا لا يزالان يتعلمانها.

في اليوم الحادي عشر انخفضت الحرارة الى ١٨ درجة مئوية تحت الصفر. وعصفت رياح عاتية بسرعة ١٢٠ كيلومتراً في الساعة. وحجبت الثلوج المنهمرة الرؤية وكثرت متاهات الصدوع التي بلغ عمق بعضها ٣٠ متراً فتوقفنا مرغمين. وفيما رحنا نكافح لتثبيت خيمتنا صاح فيكتور بلكنته الطريفة: "أهلا بكم على شاطىء ميامي."

في الشتاء السابق طار جيف الى أنتارتيكا وزرع ١٢ مخبأً للمؤن على طول الطريق التي نسلكها الآن. وباتت هذه المخابىء قوام حياتنا، اذ لم يسعنا الاعتماد على طائرة تزودنا المؤن وسط هذه العواصف المستمرة. وعجزنا طوال أربعة أيام عن الاتصال لاسلكيا بقاعدتنا بونتا أريناس في تشيلي، ولكن كانت في يدنا وسيلة اتصال فريدة هي مرشد لاسلكي ينقل موقعنا الى قمر اصطناعي في المدار القطبي.

في ٢١ اغسطس (آب) هبت تيارات هوائية عاتية بلغت سرعتها ٢٥٠ كيلومتراً في الساعة، فنفضت الثلوج عن جبال شبه الجزيرة وانعدمت الرؤية. ووصلت سرعة الرياح الى ٩٥ كيلومتراً في الساعة واقتلعت خيمة كنا نحاول نصبها. فقفز جيف عليها لتثبيتها وركزنا أنا وفيكتور أعمدتها. كان عملنا مثالا للتعاون الدولي.

شكلت الصدوع غير المرئية خطراً خفياً علينا وعلى الكلاب والمزالج. وغالباً ما كانت الكلاب تسقط اذ تخترق قوائمها الرفيعة الثلج، لكنها سرعان ما تثب سليمة فتنفض عنها الثلج غير آبهة. أما الرجال فكان ثقلهم موزعاً على المزالج فلا خطر كبيراً أن تغور المزالج في الثلج.

كنا نجمع عينات من الثلج يومياً ونبوِّبها وفقا لموقعها وعمقها، ليتم فحصها لاحقا في المختبرات لاستقصاء المعطيات المناخية.

اليوم الثالث والخمسون، ١٧ سبتمبر (أيلول). دوَّنت في مفكرتي: "اجتزنا اليوم حد الـ٨٠٠ كيلومتر. سرنا معظم النهار وسط البياض القارس." ووصف كيزو وضعنا بطريقته الخاصة:

"اننا كمن يعيش داخل كرة بينغ – بونغ."[٣] وكلما عمينا عن رؤية أعضاء الفريق الطليعيين كنا نركع على الثلج لتقفي آثارهم الواهية.

لقد أضعنا حتى الآن مخبأين للطعام اذ دفنت الاعلام التي تشير الى موقعيهما تحت الثلج المتراكم. بدأنا نقنن ونطعم الكلاب من قوتنا الاساسي المكون من اللحم المقدد والدهن. وكان تذويب الثلج للحصول على الماء يستغرق ثلاث ساعات يومياً.

واستمرت حال الطقس ١٧ يوماً شبيهة بعاصفة رملية في الصحراء. وتسلل الثلج الناعم الى ملابسنا والى الخيم وأكياس النوم. وتشققت شفاهنا وقضم الصقيع وجناتنا وتجلدت نظاراتنا الواقية من الشمس. وغاصت الشقوق في

(٣) الـ"بينغ – بونغ" هي كرة الطاولة.



أصابعنا حتى باتت قيادة الكلاب ونصب الخيم وتحضير الطعام أعمالا شاقة ومؤلمة جداً. وللمرة الاولى في حياتي افتكرت في ماهية الموت.

اليوم الثالث والستون، ٢٧ سبتمبر (أيلول). دونت في مفكرتي: "انه أسوأ طقس عرفناه. ثلوج كثيفة وضباب ورياح عاتية. أمس أحجمت كلاب كيزو عن متابعة السير، فاضطر أربعة منا الى دفع المزلجة لحملها على الانطلاق ثانية."

بقي في حوزتنا طعام للكلاب يكفي يومين فقط. ولا ريب في أن مخبأ المؤن التالي دفن تحت الثلوج. عجزنا طوال أسبوع عن اجراء اتصال لاسلكي. لا طائرة تعثر علينا في طقس كهذا.

لم نقطع ثلث المسافة بعد. اجتمعنا



لمناقشة الخيارات المتوافرة. درسنا حتى فكرة شحن الكلاب جواً من فوستوك واكمال المسافة المتبقية بأنفسنا – ١٣٥٠ كيلومتراً. ولم يغب عنا أن التخفيف من أعداد الرجال أيضاً من شأنه خفض الحمولة وتسريع الخطى. واقترح جان ـ لوي بلباقة أن تنقل طائرة اثنين أو ثلاثة من الاعضاء الذين يستطيعون الانضمام الى الفريق لاحقاً.

لكن جيف أصر على موقفه: "إما أن ننجز هذه الرحلة معاً وإما ألا ننجزها. هكذا خططنا لهذه البعثة."

وأضاف فيكتور: "دعونا لا نستسلم للهلع، فروح البعثة ستحضنا على المضي." وأومأ كيزو وداه موافقين. عندئذ أدركت صلابة الوشائج التي تربطنا. وقررنا بالاجماع متابعة طريقنا أيا تكن الصعاب.

اليوم السادس والستون، ٣٠ سبتمبر (أيلول). دونت في مفكرتي: "لا تقدم. نفد طعام الكلاب... الثلج يصل الى الخصر... التقدم مستحيل."

في ذلك اليوم عثرت علينا طائرة محملة بطعام للكلاب. لقد كتبت لنا النجاة لفترة قصيرة. تنفسنا الصعداء وتعانقنا دامعين.

المثير للسخرية أن التكنولوجيا الحديثة ذاتها شكلت خطراً علينا، اذ مكنتنا من الابتعاد عن أي وسيلة انقاذ حتى بات التراجع مستحيلا. وسبيلنا الوحيد هو المضي قدماً في اتجاه مخبأ تالٍ للمؤن. كان علينا أن نصل الى الجانب الآخر من القارة قبل عودة الشتاء القطبي الهادر في مارس (آذار).

كنا كل ثلاثة أيام نتوقع هبوب العواصف ونأخذ تدابير الوقاية اللازمة. غير أن العاصفة التي تحاصرنا الآن ستستمر ٦٠ يوماً. ولكم اضطررنا في الصباح الى الحفر مدة ساعتين لتحرير المزالج وكشط الثلوج عن الكلاب النائمة. ذات يوم بعث جان ـ لوي برسالة بسيطة موجزة الى القمر الاصطناعي: "عظام متجلدة."

أدركني اليأس في أواسط أكتوبر (تشرين الاول) عندما عثرت على كلبي "تيم" نافقاً وقد أعياه الثلج المتجلد في فروته. ولكم حاولت ابقاءه داخل الخيمة في المساء وحمله على مزلجتي، لكن قواه خارت وقضى متجلداً. كان "تيم" نجم رحلتي الى القطب الشمالي.

ظهر ١١ ديسمبر (كانون الاول) رصدنا هوائيات القبة الجيوديسية في محطة "أمندسن – سكوت" الامريكية. ثم رأينا القطب ذاته: نقطة شُكَّت فيها سارية في أعلاها مرآة كروية، وحولها أعلام مرفرفة وحشد من نحو ستين شخصاً ولافتة حمراء كبيرة كتب عليها: "تحية من مينيسوتا." موطني! وألقى كين داه خطاباً قصيراً: "عندما كنت صبياً تمنيت أن تطأ قدماي كل بقعة في الارض. لكني لم أحلم يوماً بالوصول الى القطب الجنوبي على مزلجتين." والحقيقة أن داه لم يتزلج من قبل.

أمضينا في المحطة ثلاثة أيام انطلقنا بعدها من جديد. وعندما ولجنا "المنطقة التي يتعذر سلوكها" بدأنا نتسلق أعلى مرتفع في رحلتنا وعلوه ٣٥٠٠ متر. في هذه المنطقة تطلب جر المزالج ونصب الخيم جهوداً جبارة، وخصوصاً مع نوبات الدوار التي انتابتنا وأنفاسنا المتقطعة من شدة الارهاق.

صادفتنا أيضاً أمواج جليد شبيهة بأمواج المحيط جعلت التزلج شبه مستحيل.

اليوم المئة والحادي والستون، ٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠.

"أصبحت الايام أقل ايلاماً." معدل الحرارة هنا في منتصف صيف أنتارتيكا ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر.

المناظر المتشابهة والمتكررة يوما بعد يوم جعلتنا فريسة الضجر. ورحت أمضي الوقت محاولا استرجاع ما ينقص هذا العالم الابيض الاجرد: أصوات الصيف وعبير الغابات ولمسة الشمس الصباحية في مايو (أيار). ان لحظات عادية كهذه في تلك المنطقة من العالم تضاهي الجواهر الثمينة.

أما جان ـ لوي فكان يتخيل نفسه كل يوم في وظيفة مختلفة: اليوم عامل منجم، وغداً رئيس لفرنسا. واسترجع داه تفاصيل حياته ووجوه أفراد عائلته وأصدقائه والامكنة التي عاش فيها وزارها. وفكر كيزو في وطنه اليابان وفي منزله وصديقته، وأدى بعض المحاولات الغنائية. أما جيف، المنهجي أبداً، فاحتسب مراراً وتكراراً المسافة المتبقية والطعام الذي سنحتاج اليه.

وصلنا الى فوستوك في ١٨ يناير (كانون الثاني) وكنا أول من اجتاز "المنطقة التي يتعذر سلوكها" على الاقدام. فاستقبلتنا مجموعة من ٤٠ سوفييتياً بالالعاب النارية، ومنهم من كان يعرف فيكتور. وقدموا الينا الخبز المغمس بالملح، ونعمنا بحمام دافىء.

بلغت الحرارة صبيحة وصولنا ٤٤ درجة مئوية تحت الصفر واستمرت في هبوط سريع. وأدركت أن الصقيع سيزداد حتى نصل الى الشاطىء على بعد ١٣٥٠ كيلومتراً. وفعلا، كان السادس من فبراير (شباط) اليوم الاكثر صقيعاً اذ تدنت الحرارة الى ٤٨ درجة مئوية تحت الصفر. وفي ١٥ فبراير (شباط) بلغت الحرارة الظاهرية[٤] ٨٧ درجة تحت الصفر، فكانت أسوأ ما خبرناه.

ذات يوم، وكنا بدأنا نقترب من ميرني، أفقت مذهولا اذ خيل الي أنني سمعت سقسقة عصافير. فرأيت جان ـ لوي يبتسم وهو يستمع الى تسجيل لاصوات عصافير كان خبأه حتى ذلك اليوم.

وبعد أسبوع شاهدنا طائراً للمرة الاولى منذ سبعة أشهر. فكان محور حديثنا لأيام. وارتفعت الحرارة الى ١٨ درجة تحت الصفر للمرة الاولى منذ أغسطس (آب).

---

(٤) الحرارة الظاهرية هي تلك التي يحسّها الجسم البشري نتيجة اتحاد الحرارة الفعلية وسرعة الرياح.

في ١ مارس (آذار) على بعد ٢٦ كيلومتراً فقط من ميرني هبت عاصفة هوجاء اضطرتنا الى البقاء في المخيم. وفي الرابعة والنصف عصراً زحف كيزو خارج خيمته ليطعم كلابه. وفي السادسة أدركنا أنه ضل الطريق، فبحثنا عنه ليلا وطُفنا نناديه وننتظر سماع رد. لكن جهودنا ذهبت هباء. وقد تمسكنا بحبل طويل ربط الى مزلجة لكي لا نتيه وسط البياض الثائر.

وبحثنا عنه مجدداً لدى بزوغ الفجر. وراودتني أفظع التخيلات: كيزو يقطع الكيلومترات الباقية ملفوفاً بعلم بلاده. فاعتصرني الالم وصرخت عاليا: "كيزو! كيزو!"

لم أصدق عيني حين لمحته كالطيف يخرُج من حجاب الثلج العاتي. فتعانقنا وبكينا.

عندما ضل كيزو الطريق حفر خندقا ضحلا بواسطة كماشة صغيرة كانت في حوزته، وتكوَّر فيه ككلب مزلجة تاركاً العاصفة الثلجية تدفنه طوال الليل. لكن ما دوَّنه في مفكرته يعبر أكثر عن معاناته:

"عندما أصبحت في الخندق، طمرني الثلج خلال خمس ثوان. وتمكنت من التنفس من خلال فجوة. عرفت أن رفاقي سيبحثون عني. لكني شعرت بأنتارتيكا حقا وأنا في الخندق. أحسست وسط الثلج والسكون كأنني في رحم أمي. كنت أسمع دقات قلبي: بوم! بوم! كقلب طفل صغير. وبدت حياتي تافهة بالمقارنة مع الطبيعة... مع أنتارتيكا."

في ٣ مارس (آذار) ١٩٩٠، بعد انقضاء ٢٢٠ يوماً واجتياز ٦٠٢٠ كيلومتراً، أدركنا الجانب الآخر من القارة. واجتاحنا شعور عارم بالسعادة عندما وصلنا الى ميرني.

بعد استقبال رائع جلسنا الى طاولة مع السوفييت الذين احتفوا بنا. فنظرت الى رفاقي متأملا، لقد تحدينا أحلك الظروف وخرجنا بوشائج عميقة باقية حبكتها الشدة والمصاعب.

ستة رجال من ستة بلدان خاضوا أعنف طقس في العالم فخرجوا منه اخوة حقيقيين.

ويل ستيغر ■

تُحَف للأكل

قصدت متجراً أعرفه لبيع التحف الاثرية، فلاحظت أمراً غير مألوف لحظة دخولي. كانت التحف الصغيرة لا تزال على الرفوف، لكن الطاولات بدت مغطاة بشراشف وعليها سكاكين واكواب. وبعدما استعرضت السلع سألت البائعة هل لديها طاولة تُطوى عند اللزوم، فأجابت: "نحن هنا لا نبيع طاولات، ولكن تفضلي وتناولي الغداء إن شئتِ." لقد تحوّل متجري المفضل مطعما!

ت.ن.



حفرة الرّيس رسالة غامضة من الفضاء؟

زرت قبل أشهر مدينة نوردلنغن الالمانية الواقعة في منتصف الطريق بين شتوتغارت ونورمبرغ. يقطن المدينة ١٨ ألفاً من السكان، وهي تكاد تبدو كما كانت في العصور الوسطى، بمتاهات أزقتها الضيقة وسطوحها المتحدّرة المثلّثة الزوايا وبنزل للمسافرين بني في القرن الخامس عشر ومبنى للبلدية من الطراز القوطي. ولكن كان في فكري ما يتجاوز دراسة هذه الجوهرة القديمة العهد. فقد جئت لأشاهد احدى العجائب الطبيعية في العالم، أعني حفرة الريس[1] التي أحدثها قبل ملايين السنين سقوط نيزك ضخم في تلك البقعة من الارض.

لمشاهدة الحفرة تسلّقت ٣٥٠ درجة في برج كنيسة تعود الى القرن الخامس عشر. من هناك شاهدت الجدار الدفاعي

(١) The Ries Crater

الذي يطوق المدينة، ووراءه طوق آخر هو سلسلة من الروابي المشجرة، وهي بانت أشبه بحافة طبق عملاق والمدينة في وسطه ضمن حوض مستدير يبلغ قطره ٢٥ كيلومتراً.

قال لي وولف – ديتريش كافاش وهو طبيب بيطري محلي وجيولوجي هاو: "الريس هي احدى كبرى الحفر التي سببتها النيازك، وهي محفوظة أفضل من أي حفرة أخرى في الارض." وقد قدم مئات العلماء الى هنا لاثبات نظريات عن النظام الشمسي. وهنا تدرب ملاحو "أبولو" تمهيدا لرحلاتهم الى القمر.

ولما كانت الريس لا تشبه فوهة بركان فقد مضى وقت طويل والعلماء في حيرة من أصلها. تكلموا عن "لغز الريس" وكثرت النظريات وعنف الجدل الى أن توصل جيولوجيان أمريكيان الى حل اللغز قبل ٣٠ سنة فقط.

يد جبارة. منذ القدم عرف المزارعون الساكنون في سهل نوردلنغن أن هناك شيئاً مختلفاً يميز منطقتهم. فالتربة غنية الى حد عجيب، وهي تفوق خصباً منطقة الجورا الجبلية المحيطة بها. وداخل الحلقة نشأت قرابة ١٠٠ قرية يمتهن أهلها الزراعة.

وثمة ميزة عجيبة أخرى هي التركيب الجيولوجي. فقد كانت طبقات الصخر الجوراسي الاسود والبني الاقدم عهداً متراكمة فوق الطبقات الكلسية الجوراسية[٢] الاحدث عهداً. وكانت الصخور البلورية الأساسية القديمة في قشرة الارض، كالغرانيت والنايس وهما من الصخر الصواني، مختلطة بالطبقات الجوراسية أو مكدسة فوقها. وكأنما يد جبارة التقطت هذه البقعة من الارض فسحقتها ثم رمتها. والامر الذي كان أكثر غموضاً لعلماء القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هو نوع من الصخر لم يُعرف في أي مكان من العالم. سمي الصخر "سويفيت"[٣] وهو يبدو كحجر التوف المسامّي المكوَّن من رماد البراكين ويكثر في حفرة الريس. وقد أصبح اقتلاعه صناعة محلّية. في القرون الماضية استخدمه الرومان في بناء منازلهم حول نوردلنغن. وثمة أبنية كثيرة في المدينة وفي قرى منطقة الريس مشادة بكاملها من حجر السويفيت.

والسويفيت مشابه للحجر البركاني، لذا ساد اعتقاد لدى الجيولوجيين في البداية أن الحفرة أحدثها أحد البراكين. لكن غياب الحمم البركانية لم يشفع بهذه النظرية.

قوة خارجية! في مطلع القرن العشرين ارتأى بعض العلماء أن اختلاط الصخور الجيولوجية نشأ من انفجار عظيم لأبخرة مائية أو غازات تحت الارض كالانفجار الذي دمر القسم الاكبر من جزيرة كراكاتوا في اندونيسيا عام ١٨٨٣. وتعهّد والتر كرانز اثبات هذه

(٢) أي العائدة الى العصر الجوراسي.
(٣) Suevite

النظرية، وهو جيولوجي ألماني وخبير انفجارات. ففي العام ١٩١١ فجّر شحنة من البارود تحت الارض في نموذج يشبه أرض الريس، فنتجت حفرة تشبه الحفرة الحقيقية كثيراً. وبقيت نظرية الانفجار مقبولة في الكتب المدرسية حتى أواخر الستينات. ولكن نشأت نظرية منافسة لها هي أن اختلاط الصخور كان سببه نهر جليدي من العصر الجليدي رفع صخر السويفيت الى السطح.

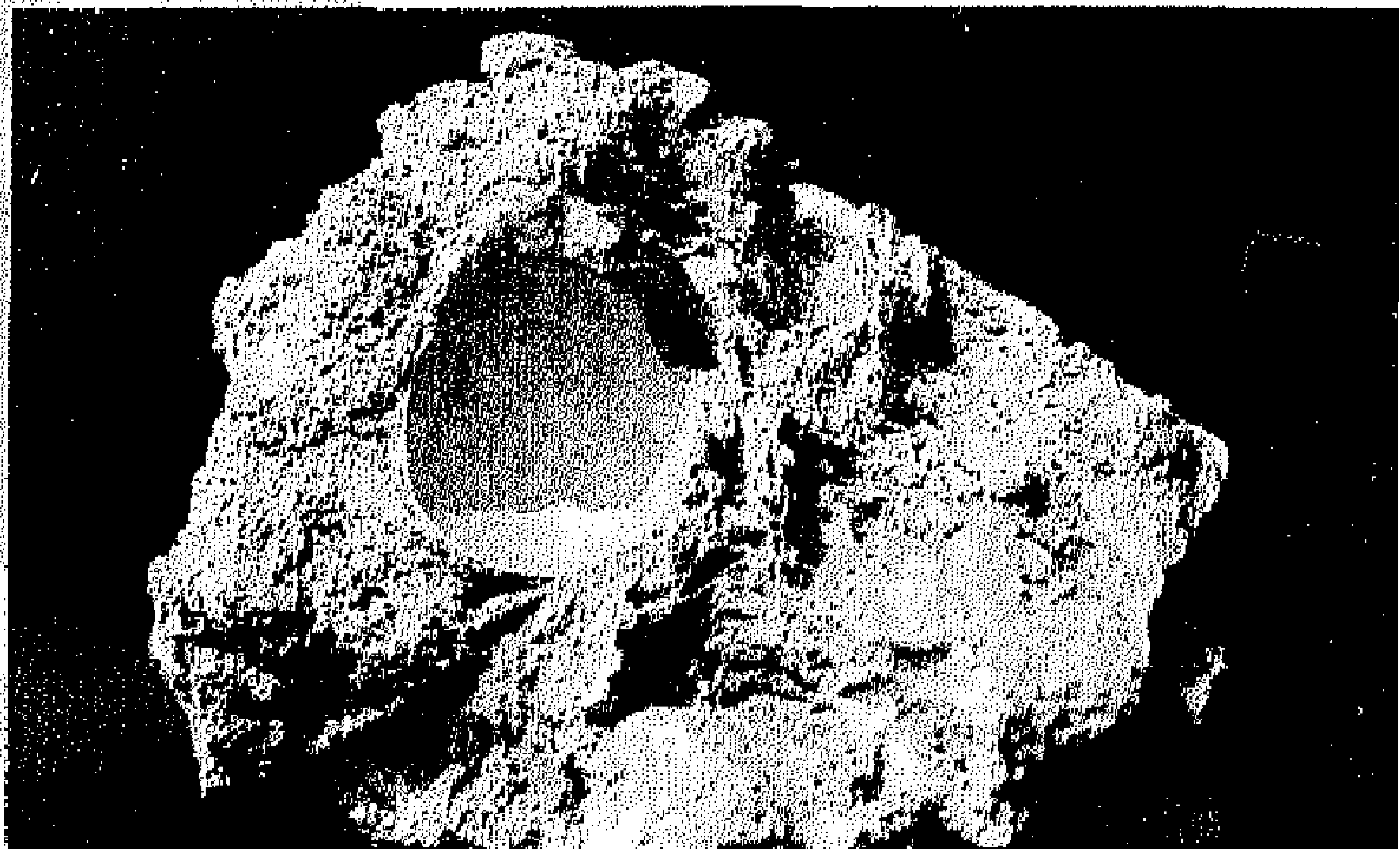
ولم يكترث أحد لما ذكره أحد الجيولوجيين الهواة المحليين عام ١٩٠٤ عن نظرية سقوط نيزك. وبعد ٣٢ سنة تبنى هذه النظرية أوتو ستوتزر من فرايبورغ في ساكسوني. لكنه حين عرض فكرته في مؤتمر "الجمعية الجيولوجية الالمانية" قوبل بسخرية كادت تحمله على مغادرة المنبر.

ثم اكتُشف معدن الكويسيت[٤] في أواسط الخمسينات، وهو نوع ثقيل من الكوارتز يكوَّن اصطناعيا في حرارة شديدة الارتفاع وتحت ضغط هائل من ٢٠ ألف بار[٥] على الاقل. وبينت اختبارات الضغط العالي أن لا شيء يسخن

(٤) Coesite

(٥) البار وحدة لقياس الضغط تساوي مليون "داين" في السنتيمتر المربع.





WULF-DIETRICK KAVASCH

بيضة متحجرة من حفرة الريس.

ويسحق على هذا النحو الا قوة خارجية ما، كنيزك ضخم.

حل اللغز. شاء الحظ أن كان أمريكيان من علماء الجيولوجيا هما يوجين م. شومايكر من منلو بارك بكاليفورنيا وادوارد ك. ت. تشاو من ريستون بفيرجينيا، منصرفين الى اجراء ابحاث على حفرة النيزك العظيم في أريزونا بالقرب من ونسلو. ومع أن هذه الحفرة هي الاكثر شهرة في العالم فان قطرها لا يتجاوز الكيلومتر وعمرها ٥٠ ألف سنة، وهي تشبه تلك الحفر على سطح القمر. وفي العام ١٩٦٠ اكتشف العالمان حجر الكويسيت هناك. وفي وقت لاحق من تلك السنة ذهب شومايكر الى كوبنهاغن لاطلاع "المؤتمر الجيولوجي الدولي الحادي والعشرين" على نتيجة أبحاثه، وقرر القيام برحلة الى نوردلنغن.

وصل العالم الجيولوجي عصر ١٧ يوليو (تموز) ١٩٦٠ الى أرضية الحفرة الشرقية بالقرب من أحد المقالع. فأخذ عينات منها عند مغيب الشمس وأرسلها الى تشاو الذي فحصها بالاشعة السينية (إكس) وحدد هويتها على أنها كويسيت. وأخيراً حُلّ "لغز الريس."

شتاء ذري. مرت سنوات أجرى خلالها علماء ألمان وأمريكيون وآخرون تحقيقات ميدانية حول نوردلنغن وأثبتوا الحقائق الآتية:

قبل ١٤،٨ مليون سنة ضرب المنطقة نيزك ساقط على الارجح من حزام الكويكبات ما بين المريخ والمشتري (جوبيتر) ويقدر قطره بحوالى ٨٠٠ متر وسرعة اندفاعه عبر الفضاء ٣٠ كيلومتراً في الثانية. ولدى حفره في الارض ولّد ضغوطاً بلغت عدة آلاف من الكيلوبار[٦] وحرارة بلغت عشرات آلاف الدرجات المئوية، فتبخر حوالى خمسة كيلومترات مكعّبة من الحجار وذاب أكثر من ١٠٠ مليار طن من الصخور، ونتجت غيمة من الغاز والغبار تشبه نبتة فطر ارتفعت ٢٠ كيلومتراً على الاقل.

فقضي للحال على كل النبات والحيوان في دائرة قطرها مئات الكيلومترات، ويؤكد بعض العلماء أن "شتاء ذريا" تبع ذلك. يقول البروفسور هانز هرمان شليخ من معهد البليونتولوجيا (علم الاحاثة) والجيولوجيا التاريخية في جامعة ميونيخ: "ان غياب متحجرات التماسيح والسلاحف العملاقة في بافاريا وسوابيا حيث عاشت بكثرة الى ما قبل نحو ١٥ مليون سنة، يحتمل أن يكون بسبب هذا الحادث الكوني."

سببت الغيمة أمطاراً جارفة، وغيَّرت الصخور المقذوفة مجرى النهرين الصغيرين فورنيتز وإيغر. وغدا تصريف المياه صعباً، فتجمع الماء والطين في الحفرة التي تحولت بحيرة. تقول يوهانا غنكبوش مديرة متحف مدينة نوردلنغن: "لم يكن للبحيرة منفذ، فازدادت كمية الملح. وعلى مدى مليوني سنة امتلأت

(٦) الكيلوبار يساوي الف بار.

البحيرة ترسّبات، منها بقايا نباتية وحيوانية. لذلك لا تبدو ريس نوردلنغن حفرة نموذجية."

حطام فضائي. عام ١٩٧٠ قررت وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) ارسال ملاحي "أبولو" الى الحفرة للتدرب ميدانياً. فأتى آلن شيبرد وادغار ميتشل، وكلاهما شاركا في رحلة "أبولو ١٤" ونزلا على سطح القمر، ويوجين سرنان من رحلة "أبولو ١٧"، وجو إنغل قائد المكوك الفضائي "كولومبيا" الثاني. يقول البروفسور ديتر ستوفلر، مدير معهد علم الكواكب في جامعة مونستر الذي أرشد الملاحين هو وعلماء ألمان آخرون: "لقد تعلموا عما يبحثون على القمر، كما تمرنوا على أخذ عينات صخرية."

حين عادت "أبولو ١٤" من رحلتها تبين أن بعض عينات الصخور التي جلبها الملاحون معهم كانت في كثير من النواحي شبيهة بصخر السويفيت من حفرة الريس. يقول الجيولوجي كافاش: "في غضون ذلك كُتبت تقارير علمية لا تحصى عن الريس لانها تعطي مثالا حسياً عما حدث على الارض والقمر والكواكب في العصور السالفة."

فعلى سبيل المثال، ارتطمت بالقمر وبكوكب عطارد نيازك أكثر من تلك التي ضربت الارض وكوكب المريخ، اذ ليس للأوَّلين غلاف جوي تحترق فيه غالبية النيازك الصغيرة قبل ارتطامها بسطح الكوكب. والى ذلك فان المياه تغطي ٧١ في المئة من سطح الارض، وغالبية الاجسام الفضائية الكبيرة تسقط في المحيطات ولا تترك أثراً. ويقول ستوفلر: "لا يزال الحطام الفضائي يضرب كوكبنا على الدوام، فيسقط منه نحو ٢٠ طناً يومياً في شكل غبار. وتبقى قطع في حجم كرة قدم، لكنها نادراً ما تسبب أي ضرر."

شاهد حي. من خلال البحث الدقيق والتصوير الفوتوغرافي من الجو وبواسطة الاقمار الاصطناعية، تم اكتشاف مزيد من الحفر التي تحاكي فوهات البراكين. وتبين خريطة العالم حاليا نحو ١٢٠ حفرة ارتطام نَيْزكي. ففي مقاطعة كيبيك بكندا، مثلا، حلقة مائية تدعى "خزان مانيكواغان" حول جزيرة قطرها ٥٤ كيلومتراً. وتظهر صور الاقمار الاصطناعية ان هذه "البحيرة الحلقية" هي ما تبقى من حفرة واسعة أحدثها كويكب صغير سقط قبل أكثر من ٢٠٠ مليون سنة.

وقصة حفرة الريس مدوَّنة في متحف افتتح في نوردلنغن في شهر مايو (أيار) ١٩٩٠، وهو أحد المتاحف القليلة المخصصة كليا للنيازك والحفر وظواهر النظام الشمسي. وجوهرة المتحف الاغلى محفوظة داخل زجاج لا يخترقه الرصاص وحراستها مؤمنة الكترونيا، وهي قطعة صخر من القمر تزن ١٦٥ غراماً مستعارة من "ناسا."

يقول كافاش صاحب فكرة انشاء

متحف "ريسكراتر": نحن نعرض أيضاً أفلاماً وثائقية، وشرائح (سلايد) لصور التقطتها الاقمار الاصطناعية لحفر مختلفة، وأشياء للّمس، ونموذجاً للنظام الشمسي. ويجد الجيولوجيون الهواة معروضات غنية من الصخور، وفي امكانهم الحصول على معلومات عن "الخط الجيولوجي" الذي يؤدي الى مقالع الريس. فهناك يشاهدون بأنفسهم كيف قُلبت قشرة الارض قبل نحو ١٥ مليون سنة، كما يمكنهم أن يكسروا رقاقات صغيرة من وجه الصخور لأخذ عينات من السويفيت."

وأنا أيضاً أخذت قطعة صغيرة من الحجر النادر أحتفظ بها في منزلي. أخذتها بيدي فدهشت لروعة تركيبها المعقد من الصخر البلوري وخيوط الزجاج. يقول شومايكر: "حفرة الريس حقل اختبار لدراسات حفر الارتطام النيزكي، وهي ساهمت كثيراً في معرفتنا عن الفوهات المنتشرة على سطح القمر."

جون دورنبرغ ■



"احذروا الكلاب"

مهما قيل في الكلاب، فانها طيّعة سهلة الانقياد، وحريّ بنا ان نخجل من الاعمال التي ندفعها الى تاديتها. حين اقرأ على بوابة دارة فخمة عبارة "احذروا الكلاب" اتصوّر صاحب الدار مكشراً عن انيابه يعدو نحوي على قوائم اربع وهو يرغي ويزبد.

ب.غ.

ثمن الشهرة

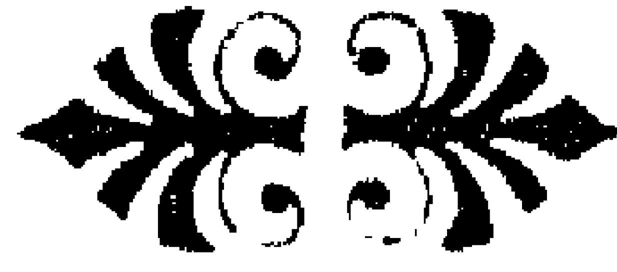
ان للشهرة سيئاتها. يتذكر الكاتب اريك أورسنا الحائز جائزة "غونكور" للعام ١٩٨٨: "ذات يوم توقفت عند اشارة المرور، فعرفني احد السائقين. فانتظر الى ان تحولت الاشارة خضراء، وعندئذ انزل زجاج نافذته وصاح في وجهي: "انا اكره كتبك."

صحيفة "لو فيغارو"، باريس

لا تحبّوا!

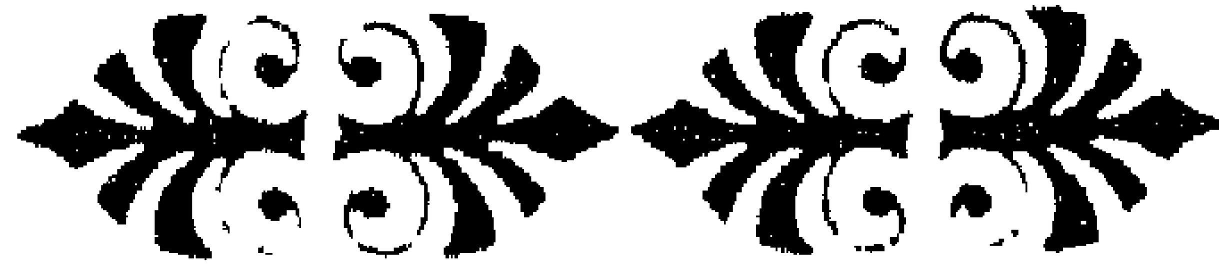
يدعونا بعض الحكماء الى عدم الزواج عن حب لان الحب زائل لا يدوم. ويشبه ذلك نُصح الاطباء إيانا بعدم النوم لاننا سنستيقظ بعد قليل. لكن الرجل الذي ينام يستيقظ بمزاج افضل. والزوجان اللذان صهرهما شغف الحب ينعمان بـ"موارد" اوفر كثيراً من تلك التي ينطوي عليها الزواج المبني على العقل. المحبة تولّد الحنان الذي يدوم بعد ان تخمد جذوة الشهوة.

ك.ر.



سحر الكلمات

بضع كلمات بسيطة قد تدوم الى الأبد



"يمكنك القيام بذلك"

تقيم في مدينة فوجيساوا باليابان امرأة اسمها أتسوكو سايكي. كان حلمها وهي في سن المراهقة زيارة الولايات المتحدة الأمريكية، وقد اكتسبت معلوماتها عن أسلوب الحياة هناك من خلال الكتب، فهي تقول: "كانت في ذهني صورة أب قاعد في غرفة الجلوس، وأم تخبز الكعك، وقد خرجت ابنتهما المراهقة الى السينما مع أصدقائها."

انتسبت أتسوكو الى جامعة كاليفورنيا. لكنها لم تجد يوم وصولها عالم الأحلام الذي تراءى لها. تقول: "كان الناس يصارعون المشاكل وقد بدا عليهم التوتر معظم الأحيان. فشعرت بوحدة طاغية."

وكانت الرياضة البدنية احدى أصعب المواد التي صادفتها: "كنا نمارس رياضة الكرة الطائرة. وقد أجادتها رفيقاتي جميعهن لكنني لم أبرع فيها."

أوكل المدرب الى أتسوكو مرة مهمة ضرب الكرة الى زميلاتها في الفرقة لكي يقذفنها فوق الشبكة. لم يكن هذا الأمر ذا أهمية بالغة بالنسبة الى معظم الناس، لكنه أثار الهلع في نفس أتسوكو التي كانت تخشى الشعور بالخزي اذا فشلت.

أحست فتاة في فريقها بما ينتابها. وتذكر أتسوكو: "مشت الي وهمست: هيا، يمكنك القيام بذلك."

وتتابع: "لا يمكنكم أن تتصوروا كم أثرت فيَّ كلمات التشجيع هذه. كلمات ثلاث فقط: يمكنك القيام بذلك. تمنيت آنذاك أن أبكي تعبيراً عن فرحي."

ونجحت أتسوكو في مهمتها ذلك اليوم. وبرعت في لعبة كرة الطائرة مذ ذاك.

ومرت ست سنوات وعادت أتسوكو الى اليابان، وهي اليوم في السابعة والعشرين من عمرها وتعمل موظفة في متجر، تقول: "لم أنسَ أبداً هذه الكلمات. انني أفكر فيها كلما ساءت أموري."

وهي متأكدة أن تلك الفتاة غير عليمة بالمعروف الذي أسدته اليها: "ربما لا تتذكر الحادث البتة."

لكن في الأمر عبرة. فكلمات المرء ترافق سامعها الى درجة لا يمكن تصورها، سواء أكانت قاسية أم لطيفة.

ها هي أتسوكو الآن بعيدة في اليابان، لكنها لا تزال تسمع هذه الكلمات الثلاث البسيطة: "يمكنك القيام بذلك."

قصيدة الى شرطي

رجال الشرطة يبكون. لكن أفلام السينما وبرامج التلفزة تصورهم رجالا قساة، لذا اختلف اقتناع الناس في شأنهم.

في ٢٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ أصيب جاي برونكيلا، وهو شرطي من شيكاغو، برصاصة أثناء دهم عصابة مخدرات، وتوفي على الأثر. وبعد فترة وجيزة عاد زميله الشرطي كين نابسك الى منزله فوجد على المائدة رسالة من ابنته وعمرها ١٥ عاماً، جاء فيها:

"أبي. هذه القصيدة نبعت من قلبي. أحبك كثيراً. ويخيفني، كما يدهشني، ذهابك كل يوم مخاطراً بحياتك لكي توفر لنا كل ما نملك. كتبتُ هذه الكلمات تعبيراً عن مدى حبي لك ومدى ضياعي لو فقدتك. لورا."

كان عنوان قصيدة لورا "الشرطي المثالي." وهي مهداة "الى جميع رجال الشرطة في العالم ممن لهم بنات يحببنهم ملء قلوبهن... وخصوصاً الى والدي." وتحكي القصيدة قصة ابنة شرطي علمت بمصرع والدها في نشرة الأخبار التلفزيونية. وجاء في أحد المقاطع: "أبي، يا أبي، هل تسمعني أبكي؟ يا رب، أنا في حاجة الى أبي. أرجوكم، لا تدعوه يموت!"

وقف كين نابسك وحيداً يقرأ القصيدة. وهو يقرّ: "قرأت قسماً منها واضطررت الى التوقف قبل أن أتمكن من متابعتها. كنت أبكي. فابنتي لم تذكر لي يوما أنها تخاف."

وفي اليوم التالي حمل كين القصيدة الى دائرة الشرطة ليقرأها زملاؤه. يقول: "لم أشاهد من قبل بكاء هذا العدد من الرجال الناضجين. لقد عجز بعضهم عن اكمال قراءتها."

يحتفظ نابسك بقصيدة لورا في جيب سترته، فيحملها معه كلما غادر المنزل.

يقول: "لا أريد الخروج من دونها. وأظنني سأحملها معي الى الأبد."

"أخبار العائلة"

يفرض علي عملي قراءة كثير من المنشورات، لكن أحبّها الى قلبي مجلة "أخبار العائلة." ومحررتها تدعى هيذر كوك من ليل بولاية ايلينوي، وعمرها ١٣ عاما.

ترى هيذر أن على جميع أقربائها متابعة أخبار أفراد العائلة. لذلك تعدّ "أخبار العائلة" كل بضعة أشهر فتسحب عنها والدتها خمسين نسخة ترسلها في البريد. يتلقى هذه النسخ ٧٣ شخصا موزعون على تسع ولايات وتراوح أعمارهم بين الرابعة والرابعة والتسعين. وقد شدت هذه المجلة أواصر عائلة هيذر على نحو تفتقده معظم العائلات.

ما يجعلني أحب "أخبار العائلة" لهجتها. فمعظم المنشورات الأخرى تشعرني بالقنوط لما تورده من حكايات عن القسوة الانسانية، لكن "أخبار العائلة" قادرة دائما على رسم ابتسامة على وجهي. وهاكم بعض النماذج من موضوعاتها:

"كيفن يتبوأ المركز الأول في فريق الغولف. انه سعيد!"

"ظهرت سن ثانية في فم مات. وهو يدبّ على الارض الى حيث يريد."

"جدتي، لقد جمع هيذر وكيفن أوراق الأشجار وحرقاها في الفناء الخلفي، فتصاعد الدخان حتى بلغ الطريق."

"ابتاع ستيف شاحنة جديدة. لونها أزرق قاتم وتمكن الاقامة فيها."

تقول جين آلتندروف والدة هيذر: "بدأت هيذر إصدار أخبار العائلة وهي في السابعة من عمرها. ولم أكن أتوقع لهذه الصحيفة الديمومة. لكن يبدو أنها تعني الكثير لها ولجميع أفراد عائلتنا. فهي الرابط بينهم. وقد تبرع صهري طوم بثمن الطوابع البريدية لارسالها. أما عمي فرانك، الذي لم يكتب يوما الى أحد، فقد بعث برسالة الى هيذر يطلب منها الاستمرار في إصدار الصحيفة لأنها تحمل أهم ما يتلقاه من أخبار."

لا تجد هيذر عملها شاقا أو واجبا مملا، بل تقول: "انه ممتع. وأنا أتصل بالاقرباء كلما سنحت لي الفرصة لكي أسأل عن أي جديد فأنشره في العدد التالي. والامر المفضل لدي هو سماع ما تعنيه هذه الصحيفة لعائلتي. أخطط للاستمرار في هذا العمل حتى أصبح مسنّة حقا، كأن أبلغ الثامنة عشرة."

لحظة حياة

كانت المناسبة مناقشة عامة شارك فيها نحو مئتي شخص. تداول الخطباء موضوع المناقشة خلال أربعين دقيقة، ثم جلسوا لسماع أسئلة الجمهور. فكان الرجال والنساء يطرحون جميع أنواع الأسئلة التي تخطر ببالهم فيجيبهم عنها الخطباء. وكان أن حان موعد اختتام المناقشة، فاقترح رئيس الجلسة على الحضور طرح السؤال الأخير.

وقف عندئذ رجل في السبعينات كان يجلس في الصف الأمامي. وقال انه لا يريد طرح سؤال بل يود سرد حكاية. ثم التفت الى الجمهور وبدأ يتحدث. بدا رجلاً محبباً، لا صخّابا ولا بغيضاً، لكن قصته المفككة لم تكن مختصرة على الاطلاق، ومرت الدقائق وهو يروي: "... وكانت هناك ساعة كبيرة خارج المخزن..."

شعر الجميع برغبة في حصول شيء ما يُسكت الرجل، لكن أحداً لم يود أخذ مبادرة. فكيف يعالَج مثل هذا الوضع؟ أراد الناس الذهاب الى بيوتهم، وكان في امكان الخطباء على المنصة وضع حد لحديث الرجل، ولكن من يقدم على عمل قاس كهذا؟ فقد بدا الرجل جدياً ويكبر الجميع سناً. وهو تابع روايته: "... فسأل أحدهم الرجل في المخزن عن عمله..."

غادر المكان خمسة أشخاص أو ستة وظل الباقون يتململون في مقاعدهم. وكان هناك احتمال أن يبدأ الحاضرون يهزأون منه أو أن يغادر القاعة عدد أكبر. وبدا أن الرجل غافل عما يجري.

كانت تجلس بالقرب منه امرأة في السبعينات من عمرها أيضاً، ربما كانت زوجته. ترى هل تقدم المرأة على شدّه من كم قميصه فتحمله على الجلوس؟ الا أن النظرة في عينيها أوضحت أن رواية تلك الحكاية حاجة ملحة بالنسبة الى الرجل.

لم تكن تلك سوى غرفة واحدة في مبنى واحد في مدينة واحدة. ومجرى الاحداث الانسانية لن يتغير اذا ما أسكتت الرجل صيحات استهجان او اذا ما غادر الحاضرون القاعة جميعاً. فالأمر ليس مهماً في نظرة شاملة الى الأمور، لكنه بدا مهماً في هذه الغرفة بالتحديد. فالرجل كان في حاجة الى مخاطبة الآخرين لسبب من الأسباب، وقد أدرك الحاضرون حاجته واحترموها.

وعلى حين غرة أنهى الرجل حكايته، تماماً كما بدأها، وانحنى لجمهوره. خيم الهدوء للحظات، ثم بدأ الخطباء يصفقون على المنصة. وفهم الحاضرون مغزى الاشارة، وفي غضون ثوان راح الجميع يصفقون. فغرق الرجل في هذا النعيم وابتسمت زوجته.

بعد انتهاء المناقشة، أزيحت الكراسي وتوجه الجميع الى منازلهم. كانت تلك لحظة صغيرة على مسرح الحياة.

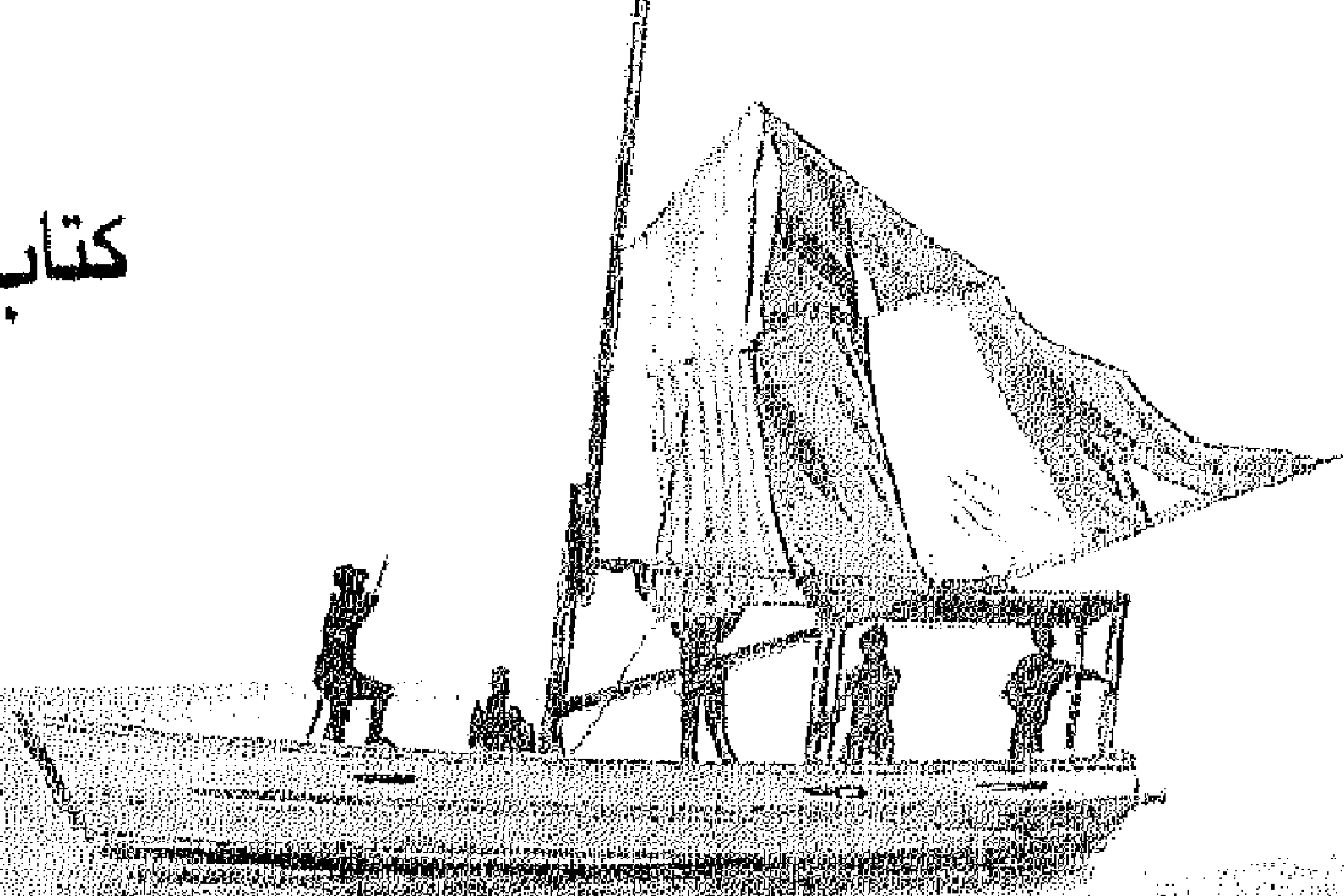
بوب غرين ■

عيد "لويز"

انتسبت الى صف لتعليم اللغة الفرنسية. فاطلقت مدرِّسة المادة على كل طالبة اسماً فرنسياً، فكان اسمي لويز. ويوم عيد ميلادي احضر لي زوجي قالب حلوى كُتب عليه على سبيل المزاح: "٢٨ سنة!عيد سعيد يا لويز." فنظر ابني الى القالب ثم الي وقال بحزن: "لا بأس يا أمي، على الاقل هي في عمرك."

ل.ك.

كتاب الشهر



١٤٢ يوماً في سجن أزرق

ملخص من كتاب
"خمسة يصارعون البحر
قصة شجاعة وصمود"
بقلم رون ارياس

١٤٢ يومًا في سجن أزرق



بحارة المركب "كايرو – ٣"
(من اليمين): باستور لوبين، جويل عمر غونزاليس، جيراردو أوبريغون، خوان بوليفار وهورهي هيرنانديز.

تلك كانت مشيئة الله، وذلك كان قدرهم، أن يكافحوا بمرارة للبقاء على قيد الحياة. ذلك ما علّلوا به أنفسهم، أولئك الصيادون المنهكون في مركبهم التائه وسط العواصف الهوجاء.

أيقظت الأخطار المحدقة في صدورهم روح التحدي والعزيمة والتضامن، فكانوا يتقاسمون الماء والطعام والعمل والآلام والدموع والرجاء، بل كانوا مستعدين حتى لتقاسم الموت، لكنهم تعاهدوا على أن يموتوا مناضلين.

صباح الاحد في ٢٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ حدَّق القبطان جيراردو أوبريغون عبر النوافذ البلاستيكية الكثيفة في قمرة قيادة المركب "كايرو – ٣." فشاهد الأمواج تتلاحق سلسة هادئة، والجو صافيا. كان وبحارته الاربعة يصطادون السمك منذ خمسة أيام في المياه العميقة قبالة ساحل كوستاريكا. لكن حظهم كان عاثراً والصيد ضئيلا محبطاً كما في الرحلتين السابقتين. لكن القبطان جيراردو (٣٢ عاما) اذ أجال بصره

متجهماً في مياه المحيط الهادىء المنبسط أمامهم، صمّم على تفادي تكرار الاخفاق ما استطاع الى ذلك سبيلا.

وفيما المركب يبتعد أكثر عن الشاطىء، سمع جيراردو عبر الجهاز اللاسلكي تقريراً من مركب صيد آخر مفاده أن بحارته عائدون جذلين الى الميناء ومعهم ٢٧٠٠ كيلوغرام من السمك صادوها قبالة رأس بونتا غيونس. وأرفق التقرير بتحذير من اشتداد الريح التي كانت تهب "على نحو غريب."

وللحال يمّم جيراردو صوب بونتا غيونس. وهناك أسرع البحارة الى رمي شبكتهم البالغ طولها ٦٠٠ متر.

صباح اليوم التالي تعاظمت الامواج وزخرت الشبكة بالسمك، فراح البحارة يشدونها الى المركب مكافحين لحفظ توازنهم على متنه الذي ما عتم أن امتلأ بالاسماك، ومنها قروش ضخمة بلغ طول بعضها مترين. وتكدَّس السمك حتى كاد الرجال لا يجدون متسعاً للتحرك. فقال جيراردو مسروراً: "لقد فعلناها هذه المرة."

بلغ ما التقطوه في ذلك المكان ٥٥٠ كيلوغراماً، فارتفع مجموع صيدهم الى ١١٠٠ كيلوغرام، وهو أكثر مما تغلّه عادة رحلة تدوم ثمانية أيام. ومتى تقاسموا ثمن الصيد فسيحصل صاحب المركب على ٩٠٠ دولار وجيراردو على ٣٠٠ وكل من البحارة على ١٥٠ دولاراً. واذا حالفهم الحظ يومين آخرين فسينالون ضعفي هذه المبالغ.

هنأ جيراردو الجميع، وبدا جذلا هو المتّسم عادة بالرزانة والهدوء. وهتف بصوته الأجشّ: "أخيراً ربحنا ورقة يانصيب! انه لصيد عظيم!"

مع الظهر اشتد النوّ، فولج البحارة الجائعون المنهكون قمرتهم لتناول الغداء الذي هيأه لهم الطاهي خوان بوليفار (٤٦ عاماً) أكبرهم سناً. واشتمل الغداء على البطاطا والرز والدجاج والفاصولياء.

أدار جيراردو جهازه اللاسلكي محاولا التقاط نشرة جوية عن حال الريح الشمالية "إل نورتي" التي تهبّ عادة غير مصحوبة بأمطار وتدفع الامواج الى ارتفاع ١٢ متراً.

فجأة هتف باستور لوبيز (٣٠ عاماً) الذي كان في الخارج، اذ شاهد مركبي صيد على بعد حوالى كيلومترين: "يبدو أنهما عائدان!"

فخرج جيراردو لكي يتحقق الخبر، وقال: "لا، لا، ان نظرك ضعيف، فهما باقيان."

فرد باستور قلقا: "لا أظن ذلك. ما رأيك في العودة الى الشاطىء؟"

وقال هورهي هرنانديز (٢٦ عاماً) أصغر البحارة سناً، مبديا مخاوفه: "الريح تعصف بشدة."

فرد جيراردو متطلعاً من فوق ذرى الامواج الداكنة الى الشاطىء البعيد: "لقد مرّ علي أسوأ من ذلك كثيراً."

فهتف خوان، الاكبر سنا: "أما أنا فلم أرَ في حياتي أسوأ من هذا الاعصار، وقد كنت هنا أصطاد السمك قبل أن تولد أنت."

فرد جيراردو بحدة: "كفى! هذا المكان ليس للمتخاذلين الجبناء. سنمضي هنا ليلة أخرى ونرحل صباح غد."

وعاد القبطان الى قمرة القيادة فيما استمرّ البحارة في التذمر. وأخيراً قر رأيهم على أنه ربما كان أجدى لهم البقاء ليلة أخرى لجمع صيد وافر كالذي حظوا به الليلة السابقة، فيصبحوا "أثرياء." انها ليلة واحدة فحسب.

ريح غاضبة

قبيل الثامنة مساء دخل البحارة مخادعهم للنوم. ونظراً الى ان الشبكة تقوم مقام مرساة، فقد اطمأنوا الى انهم لن يجنحوا بعيداً.

ازدادت الأمواج ارتفاعاً وأخذ المركب يتمايل بعنف، فحُرم البحارة النوم على رغم عيائهم. وغمرت المياه سطح قمرة القيادة وتسرّبت الى الداخل من خلال شقوق.

وكان البحار جويل عمر يردد: "الحال مريعة حقاً."

فيهيب باستور برفاقه أن يصلّوا.

أما جيراردو فأصاخ بسمعه متنصتاً الى صرير المركب وهو يصارع الأمواج، لكي يستشف ما اذا كان ثمة تحطم أو تمزق في أي من أجزائه.

قرابة منتصف الليل ساد المركب فجأة هدوء مريب، لكن الرجال ظلوا يسمعون صفير الرياح. وبدا أن الأمواج الثائرة سكنت. قال جويل: "الحمد لله، يبدو أن العاصفة هدأت." وما هي إلا بضع دقائق حتى استسلم الجميع للنوم.

في الرابعة فجراً هبّ جيراردو من مخدعه وتلمّس خطاه في الظلام وفتح الباب الخلفي، فرأى أن الأمواج تعاظمت لكن حركة المركب ما زالت سلسة. فتساءل: "تُرى هل هدأت الريح؟"

وأصغى الى صوت الشبكة التي تضرب مقدم المركب عادة. ولما لم يسمع شيئاً هرع خارجا الى مقدم المركب وهو ممسك بالحاجز على متنه، وانحنى مستكشفاً فوجد أن الشبكة أفلتت.

عاد جيراردو الى الحجرة وأيقظ البحارة معلنا: "الشبكة أفلتت، ولا ريب في أنها تمزقت."

فوثب البحارة الاربعة من مهاجعهم. وقال هورهي: "ربما استطعنا العثور عليها."

أدار جيراردو المحرك وسلّط الانوار الكاشفة موجها مقدم المركب الى صدر الموج وقال: "سنبحث عنها، وان لم نجدها فسنعود الى الشاطىء."

تبادل الرجال نظرات القلق وهم يناضلون لحفظ توازنهم على متن المركب المترجرج. وصاح بهم جيراردو محذراً لكي يتمسكوا بأي شيء تحسباً لموجة عملاقة مندفعة نحوهم. فارتمى هورهي وباستور على الارضية، وتسلّق خوأن الى مهجعه، وتمسك جيراردو وجويل بدفة القيادة. وقبل أن تضربهم الموجة الجبارة غطس مقدم المركب في الماء، فخيم الظلام وغاب كل شيء.

في هذا الوقت كان الأفق الشرقي يتوهج بحمرة الفجر الطالع.

"لا تذهب يا أبي"

قبل أيام من بدء الرحلة ساور البحارة قلق حول متانة المركب "كايرو – ٣"، اذ انهم كانوا اكتشفوا، وهم في الميناء في مدينتهم بونتاريناس، ثقوباً في هيكل المركب بثخانة أصابع اليد، حفرتها قشريات بحرية في الخشب على الجانبين وقريباً من المقدم. وكانت الشقوق أسوأ حالا في الألواح الخشبية العليا المعرَّضة للشمس والقريبة من المؤخر. فأسرع الرجال الى سدّها بخيوط القنب. الا أن القلق لم يفارقهم.

وكان جويل (٢٧ عاماً) وعد امرأته بأن تكون هذه خاتمة رحلاته اذا حالفهم التوفيق، اذ اعتزم تأسيس مصلحة خاصة يفيد فيها من دراسته الثانوية.

كذلك أمل باستور التخلي عن صيد السمك وسيلة لكسب العيش في أيام العطل. وكانت هذه رحلته الثالثة على المركب "كايرو – ٣" وقد صمم على أن تكون الاخيرة. وكان لا يزال قلقاً، اذ لاحظ وهو يحرس المؤونة على متن المركب عشية الانطلاق ان المياه تتجمع تحت حجرة المحركات بمقدار ينذر بالخطر.

قال له ابنه الصغير ساعة الوداع: "لا تذهب يا أبي."

فرد مطمئناً: "اصغ اليَ يا بنيّ. أعدك بأن تكون هذه رحلتي الأخيرة. لذا أريدك أن تصلي من كل قلبك لكي يوفقنا الله. فهل تفعل ذلك من أجلي؟"

أومأ الصبي برأسه، فقبّله باستور وعانق زوجته وحمل كيسه وودعهما مبتسماً.

بعيد الظهر تهيأ البحارة للانطلاق. فعلى رغم الشقوق البادية كان المركب صلباً متين البناء. فطوله تسعة أمتار، وهو يضم حجرة تتسع لستة مهاجع ومطبخاً صغيراً وخزانة طعام. وكانت دفة القيادة في المقدم من الخشب، وثمة باب يؤدي الى مؤخر المركب حيث يخزن السمك في ثلاجة كبيرة تعلوها ظلّة متينة من الخشب المعاكس.

كان الجو صافياً والهواء رطباً دافئاً. واستعدّ البحارة للانطلاق عبر القناة المؤدية الى عرض البحر. ونادى مالك المركب، كارلوس رحمان، من الرصيف: "يبدو أن كل شيء على ما يرام، أليس كذلك؟"

فأجاب جيراردو: "بلى... حتى الآن."


فلوّح رحمان بكلتا يديه مشجعاً والقلق باد عليه: "ترفّقوا بالمركب في هذه الرحلة. وعندما تعودون سنجري له فحصاً كاملا يشمل الشقوق والمحرك وكل جزء."

فغمغم باستور من تحت الظلة: "بكل تأكيد، ترفقوا به يا شباب، ولكن عليكم أولا تلاوة صلواتكم الاخيرة." وكان خوان واقفاً الى جانب باستور يلف حبلا، فحملق فيه مستطلعاً مغزى كلامه وقد خامره الخوف. فربت باستور كتف زميله قائلا: "لا تقلق أيها العجوز، انني أمزح."

وفيما انطلق المركب في القناة لوح جويل بيديه مودعاً زوجته وبناته الواقفات على الرصيف. كذلك فعل باستور الذي "طيّر" قبلة الى زوجته وابنه الذي وقف يهز رأسه راجياً أن يحجم والده عن الذهاب. واذا بسحابة عابرة تلقي ظلاً قاتماً على المركب "كايرو – ٣." فتشاءمت زوجة باستور وضمت ابنها اليها. وما لبث المركب أن انعطف في آخر القناة وتوارى.

مصارعة الامواج

وصلت الموجة الجبارة التي نبّه اليها جيراردو وضربت جانب المركب، فصاح جيراردو: "هيا ننزح الماء!" فهرع الجميع الى الدلاء لغرف الماء الذي غمر أقدامهم. وتعاظم ارتفاع الموج حتى بلغ بعضه تسعة أمتار وأخذ يتقاذف



المركب كدمية، فما ان يرتفع من وهدة حتى تبتلعه موجة أخرى في قرارة غورها.

رأى جيراردو الأمواج المزبدة تضرب مقدم المركب من الجانبين، فراح يدير الدفة محاذراً أن يُضرب المركب جانبيا ثانية. فلو حدث ذلك وانقلب المركب فلن يكون لهم أمل بالنجاة.

منذ صباح الثلثاء في ٢٦ يناير (كانون الثاني) وحتى الاولى بعد الظهر والأمواج الجبارة تتتالى وجيراردو منتصب يدير عجلة القيادة مكافحاً لتوجيه المركب نحو الشاطىء. وهو اعتاد الصيد والشاطىء دائماً في نطاق رؤيته، لذلك لم يكن في حاجة، خلال الابحار، الى سوى نظر جيد وبوصلة. لكنه في هذا النهار، حتى عندما كان المركب يرتفع الى أعلى ذرى الموج، لم يشاهد الا امتداداً غير متناه من الامواج المتدافعة الكاسحة تحت سماء زرقاء. فأين الشاطىء؟ وكم يبعد عن المركب؟ اذا طال الأمر على هذه الحال فانه يخشى نفاد الوقود، وتلك هي الطامّة الكبرى.

أخيراً سلَّم جيراردو قيادة المركب الى جويل الذي ظل يكافح طوال فترة بعد الظهر. وفي الخامسة مالت الشمس نحو المغيب فأشعل أحدهم الضوء في الداخل. وحاول جويل تبيّن ما في الخارج من خلال النافذة البلاستيكية، لكنه فوجىء بموجة شامخة دهمتهم ودفنتهم في طياتها.

ضربت الموجة بعنف فحطمت الباب والنوافذ الأمامية ورمت جويل أرضاً وأغرقت حجرة النوم وحجيرة المحرك. وتمسك الرجال بما طالته أيديهم، لكن المركب مال الى جنبه ثم استقام وأخذ يغرق.

علا صياح الرجال واستماتوا في نزح الماء عبر النافذة والباب الخلفي وبالوعة المطبخ. وعمد جيراردو وجويل الى دقّ مسامير كبيرة في هيكل المركب وفي الابواب والنوافذ الأمامية لتثبيتها وتفادي تدفق المياه. وفي أقل من نصف ساعة نزح البحارة من المياه ما أبعد خطر الغرق. وكانت أجسادهم شبه العارية تلمع في الضوء الخافت وهم يروحون ويجيئون عاملين كآلات.

وما لبثت أن ضربتهم موجة عاتية كالاولى عنفاً، فاقتلعت النوافذ والابواب وبعثرت مساميرها. فتدفقت المياه الى حجرة المهاجع. وكاد المركب ينقلب ثانية، فعاد الرجال يصرّفون المياه بهمة لا تعرف الكلل. وظلوا على هذا المنوال ثلاث ساعات متواصلة وهم يصارعون الأمواج في سباق يائس مع الغرق.

ولا بد ان فكرة جالت في رؤوسهم جميعا: إن تكن موجتان هائلتان غمرتاهم وكادتا تغرقانهم، فماذا لو اجتاحتهم دفعات متلاحقة من أربع موجات عاتية أو خمس؟

قرابة الثامنة هدأت الامواج الغاضبة قليلا، فطلب جيراردو من الرجال أن يرتاحوا، وأخبرهم أنه يعتزم القاء المرساة في البحر علّ ذلك يبطىء جنوح المركب. وبقي

الجميع صامتين وهم ممددون في مهاجعهم فيما تمتم باستور صلاة شكر وابتهال لكي يبقى الحظ حليفهم.

تكوّم هورهي تحت بطانية مشبعة بالماء. وكان خشي الغرق عندما ضربتهم الموجة الجبارة الاولى، لكن الخشية فارقته في غمرة الانهماك في نزح الماء من المركب. وها هو الخوف من الموت غرقاً يعاوده وهو يصغي الى صرير المركب وتكسر الامواج المتلاطمة على الحجرة حيث كان راقداً.

أين "كايرو - ٣"؟

في ٢٧ يناير (كانون الثاني) هبت "إل نورتي" عنيفة على بونتاريناس بسرعة ١٢٠ كيلومتراً في الساعة، فاقتلعت ألواح السقوف المعدنية وكسرت أغصان الاشجار وحطمت النوافذ.

وكان جيراردو وعد زوجته بألا يطول غيابه أكثر من ثمانية أيام. وها قد مرّت تسعة أيام، وزوجته قلقة وهي تشاهد العاصفة خارج النافذة، تلوي الاشجار. فطلبت من أمها أن تهتم بالاولاد وخرجت للاستطلاع علّ أحدهم شاهد المركب عائداً.

وكانت ايديث، زوجة جويل، تطعم بناتها فطور الصباح وهي تسمع أغصان الاشجار تضرب سقف المنزل كالسياط والنوافذ تهتز وتقعقع. وهي، منذ اشتداد الريح، لم تتناول من الطعام الا القليل، وراحت تهمس: "يا الهي، متى يعود؟"

دهشت الفتيات لرؤية والدتهن تروح وتجيء وهي تهمس وتعصر يديها. وكنَّ اعتدن أن يرينها، قبل عودة والدهن من البحر، بشوشة فرحة تسرع الى الباسهنّ أحسن الثياب والخروج معهنّ الى الميناء لانتظاره.

بعد فطور الصباح خرجت ايديث الى رصيف الميناء خلف المنزل تتسقط أخبار جيراردو ورجاله من بحارة المراكب العائدة. لكنها ما التقت أحداً رآهم أو عرف شيئاً عنهم. الا أنها سمعت البحارة يسردون روايات مرعبة عن أنواء تجتاح السفن فتغمر متونها وتحطم حجراتها. وتراجعت صامتة وهي تشاهد الرجال العائدين يعانقون زوجاتهم.

في اليوم التالي علمت ايديث أن جميع مراكب بونتاريناس عادت الى الميناء الا مركب جويل. فتعاظم يأسها. وحاول الصيادون طمأنتها قائلين ان بحارة "كايرو – ٣" ربما لجأوا الى أحد المراسي الآمنة على الشاطىء ينتظرون العودة حين تهدأ الريح. وربما كان الجهاز اللاسلكي في المركب معطلاً ولا سبيل لهم الى الافادة عن مكانهم.

حاولت ايديث أن تبعد عن مخيلتها صورة المركب وهو يصارع الامواج في عرض المحيط فيتحطم، وزوجها جويل يتخبط في اللجج مكافحاً للبقاء حياً. كانت تلك الرؤية

فوق قدرتها على التحمل، فركبت الحافلة الى مركز خفر السواحل في وسط بونتاريناس وأفادت الضابط المسؤول عن تأخر المركب "كايرو – ٣": "من الواضح أن ثمة خطبأ جللا. فهل لحرس الشواطيء أن يبحثوا عنه؟"

وعدها الضابط بتنظيم عملية بحث وانقاذ ما ان يبادر مالك المركب كارلوس رحمان بالابلاغ عن فقدانه.

لكن رحمان تريَّث علَّ الرجال يعودون نهار السبت في ٣٠ يناير (كانون الثاني) وفق ما بثَّه جيراردو سابقاً عبر الجهاز اللاسلكي. واذ لم يعودوا يوم السبت قدَّم التقرير المطلوب عن المركب المفقود. وأكد المسؤولون في مركز خفر السواحل لرحمان ولزوجات البحارة أن عدداً من المروحيات وزورقاً واحداً على الاقل ستتولى البحث عن المركب الصغير.

الفرصة الاخيرة

في الصباح الباكر من نهار الاربعاء ٢٧ يناير (كانون الثاني) أدار جيراردو المحرك وأمر برفع المرساة. كانت الريح لا تزال تعصف بالمركب، وواصل الرجال نزح الماء. وحاول جويل اصلاح جهاز اللاسلكي فباءت جهوده بالفشل.

في اليوم التالي اكتشف الرجال بعد ساعات من الكفاح الشاق أنه لم يبق في خزان الوقود الذي يتسع لـ٣٤٠ ليتراً الا ٣٠ ليتراً. فأوقف جيراردو المحرك لعلمه أنه يستحيل بلوغ الشاطيء بهذا المقدار الضئيل من الوقود، فمن الاجدى ابقاء المركب طافيا تتقاذفه الرياح والتيارات في انتظار احدى السفن العابرة. عندئذ يُستخدم ما بقي من وقود في دفع المركب نحو سفينة الخلاص.

في ١١ فبراير (شباط) خفَّت حدة العاصفة. وكان التيار المائي يسوق المركب في اتجاه الغرب، فخشي البحارة الانحراف عن خطوط الملاحة الساحلية الشمالية – الجنوبية لانها أملهم الوحيد في النجاة.

انطرح البحارة الخمسة منهكين على متن المركب مستسلمين لمشيئة القدر. وكانت أشعة الشمس الحارقة تكوي وجوههم الرمادية. خلال الاسبوع المنصرم نال كل منهم كوبين من الماء يومياً، ولم يبق لديهم سوى ليترين. فوافقوا على ألا تزيد حصة كل منهم على نصف كوب يوميا. لكن بعضهم، ولاسيما هورهي، رأى أن اطالة أمد العطش ليست الا تأخيراً لموعد القدر المحتوم.

ورأى باستور "ان الله يمتحننا، فاما أن ننجح في الامتحان واما أن نسقط."

"حسناً،" قال هورهي وهو يتسلق سقف الحجرة ليراقب الافق. وقرابة الرابعة عند الاصيل ألقى نظرة أخيرة قبل أن ينزل الى رفقائه، فشاهد خطين من دخان مرتفعين

في سماء الجنوب. فصاح: "سفن! هناك سفينتان!"

فنهض الجميع للحال، وهتف جيراردو: "بل ثلاث سفن، أترون الدخان؟"

صاح خوان: "هذه فرصتنا!" وأسرع الى الحجرة لاحضار مشعل من خرق باليه مشبعة بمادة الديزل لارسال اشارة استغاثة الى السفن.

مرت باخرتان على بعد حوالى كيلومتر غربا فيما اتجهت الثالثة نحوهم، وبدت لهم ناقلة نفط.

أرسل بحارة "كايرو – ٣" اشارات استغاثة وراحوا يصيحون مسعورين. ولما أصبحت الناقلة الضخمة على بعد ٨٠ متراً عنهم شاهدوا على منصة القيادة رجلين يحدقان اليهم بمنظار.

لبث بحارة الناقلة، الذين بدوا آسيويين، دقائق عدة يحدقون الى المركب بحذر شديد. لكن الناقلة تجاوزت المركب بعد قليل، فكاد الصيادون الخمسة يجنّون وجثوا على ركبهم ورفعوا أيديهم ملتمسين العون وهم يلاحقون السفينة بأنظارهم.

"مهلاً،" قال هورهي، "انها عائدة."

وتمتم باستور: "حقاً انهم عائدون."

اقتربت الناقلة الى بعد ٤٠ متراً، فرمى أحد بحارتها حبلا وصل طرفه الى مسافة ثمانية أمتار من مقدم المركب.

ناشد خوان وجويل القبطان جيراردو لكي يقترب من الناقلة. فأدار هذا المحرك، وترنح المركب الى مسافة ٢٠ متراً من الناقلة. وللحال ربط باستور الحبل الى احدى قوائم الظلّة. وبان المركب "كايرو – ٣" كزورق تجذيف صغير الى جانب الناقلة العملاقة، وكان يعلو ويهبط مع حركة الأمواج فيما الناقلة جاثمة كالطود تكاد لا تتحرك.

فصاح أحد بحارة الناقلة: "ما بكم؟"

فردّ عليه جويل باكيا، شارحاً معاناة الرجال الخمسة والخطر المحدق بهم وملتمساً العون. لكن بحارة الناقلة لم يفهموا شيئاً مما قاله جويل. وأخيراً صاح جويل بالانكليزية: "ماء!" فردد البحار الكلمة التي فهمها. وما هي الا لحظة حتى رمي خرطوم ماء الى باستور الذي التقطه وراح يملأ خزان المركب الذي يتسع لـ١٧٠ ليتراً. وفي تلك اللحظة خرج الى متن الناقلة ضابط في بزة رسمية وراح يأمر والغضب باد عليه، فأدرك جويل أن الضابط يرفض انقاذ بحارة المركب.

وللحال سُحب خرطوم الماء. لكن جويل لم ييأس، بل حاول القفز الى الناقلة حين ارتفع المركب بفعل الموج الى مستوى متنها، فصدّه بحارتها رافعين سواعدهم مهددين بدفعه الى الوراء. وعبثا توسل السماح له بالصعود الى الناقلة، لكن هذه انسحبت على مهل وتابعت رحلتها دونما اكتراث. فعلا صراخ رجال "كايرو – ٣"

وظلوا على هذه الحال الى أن أصبحت الناقلة خارج مرمى السمع. فانهار البحارة على ظهر المركب منهكين محبطين تتأكلهم المرارة. ووقف جيراردو طويلا يحدق الى السفينة المتوارية حتى أصبحت نقطة ضبابية متلاشية في ظلام الافق.

لقد مرّ عليهم ١٧ يوماً وهم عائمون تائهون في مجاهل المحيط. وقال جيراردو وفي قرارته حطام أمل تألق ثم خبا سريعاً: "هذه مشيئة الله."

"لننشر شراعاً"

جثم جيراردو على ركبتيه يتفحص مستوى الماء المرتفع حول المحرك، ثم قال: "سنغرق ما لم نواصل تفريغ الماء. فالثقوب تزداد اتساعاً."

نظم البحارة في ما بينهم فرق عمل من رجلين تتناوب النزح كل ساعتين ليلا ونهاراً: رجل يغرف الماء ويرفع الدلو من الحجرة، فيتناوله رفيقه ويطرحه في المحيط. كان ذلك الجهد مضنياً. وقد اختلف الرجال حول أمور كثيرة، لكنهم لم يختلفوا في هذا الشأن.

وكانت الامواج الهائجة خفّت ارتفاعاً، وتحولت الريح نسيماً ثابتاً، فراح الرجال يبرِّدون أجسادهم المكتوية بصبِّ ماء البحر على رؤوسهم. تلك كانت الراحة الوحيدة التي نعموا بها منعتقين من افراغ الماء ومراقبة السمك لاصطياده.

ومرت أيام لم يذوقوا فيها الا فتات الاسماك الباقية من صيد سابق. فعضّهم الجوع ووهنوا واسترخوا على ظهر المركب ساهمين يرقبون الصفحة الخضراء وهي تعلو وتهبط علّهم يرون شيئاً يقتنصونه.

وما لبثوا أن شاهدوا سلحفاة رمادية تتهادى في المياه، فرأى فيها الرجال الخمسة الجياع مأدبة عائمة. فتناول باستور لفة من خيط الصيد النايلون وربط الى طرفها عقيفة وأثقالا من رصاص. ورمى الخيط على السلحفاة، فانزلق على ظهرها، وفي الرمية الثانية علقت العقيفة في ثنيات الجلد في رقبتها.

أخذ باستور يداعب السلحفاة وهو يسحبها الى جانب المركب كأنها متاع عزيز. ثم ساعده جيراردو في انتشالها.

اقترح جويل على رفقائه: "دعونا نحتفل بعيدنا الاول، فاليوم يصادف مرور شهر على بدء رحلتنا."

فقال خوان: "بل دعونا نأكل فحسب." وكان لديه من الغاز كفاية لطهو ما يصطادونه.

بعد ساعة أطلّ خوان على البحارة حاملا قدراً مغطاة وقال ضاحكاً: "أتيتكم بمفاجأة." وكشف الغطاء عن يخنة شهية ساخنة ينبعث منها البخار. وأضاف: "لقد ادخرت قليلا من الرز لمثل هذه المناسبة."

وزع خوان الحصص. ولم تستغرق الوجبة سوى عشر دقائق، لكنها رفعت معنويات الرجال وأنستهم مأساتهم لبرهة، واستطابوا طعم الرز اللذيذ الذي ذكرهم بمنازلهم.

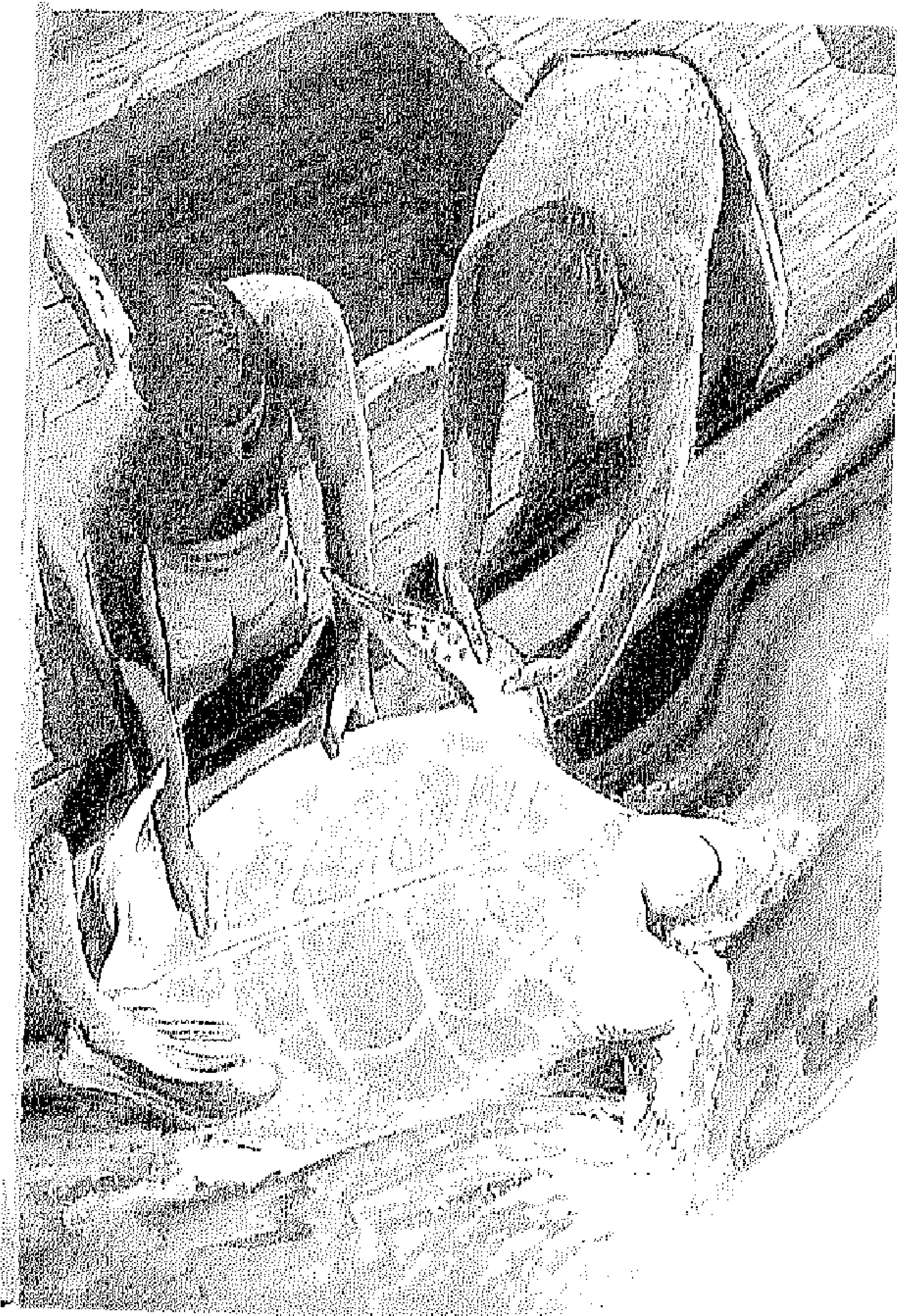
في اليوم التالي لم تفارقهم روح الثقة والامل، وظلت معنوياتهم مرتفعة، فتفتقت لباستور فكرة: "لماذا لا نرفع سارية وشراعا؟" فهكذا يستطيعون الابحار في اتجاه المطر الذي يأتي عادة من الجنوب.

قال أحدهم: "لنبدأ العمل الآن. دعونا نهدم الحجرة أولا."

انطوت الفكرة على تفكيك القسم الاكبر من الحجرة وتوفير فسحة للسارية وذراع التطويل، وهي عمود يستخدم لاطالة قاعدة الشراع، على أن تصنع السارية والذراع من عارضات السقف الخشبية، وما بقي من الخشب يستخدم وقوداً لطهو الطعام.

أما الشراع فيصنع من البطانيات ونسيج الفينيل، وتستخدم خيوط الصيد في خياطتها. وتصنع الدفة وذراعها من ألواح خشب. ولا يترك من الحجرة الا قسمها الامامي ليكون قاعدة للسارية التي سترتفع ستة أمتار.

بدأ جيراردو تحطيم الحجرة بالمطرقة الوحيدة في المركب، واشترك الباقون في الهدم والتفكيك بواسطة أنابيب ومفاتيح انكليزية (رنش) ثقيلة. فاقتلعوا المهاجع والنوافذ وحطموا الجدران ومنضدة المطبخ بهمة لم يشعروا بها منذ أسابيع. لقد دب فيهم العزم وزال عنهم الهمود واليأس. وها هم يلوّحون بأسلحتهم ويضربون كسجناء يهدمون جدران سجنهم للانطلاق الى الحرية.



بعد خلع العارضات والألواح الخشبية ورمي أجزاء لا فائدة منها في البحر، بات المركب شبيهاً بزورق "غندول"* ضخم ارتفعت في مؤخره ظلة خشبية على أربع قوائم. وأنهى خوان وجيراردو صنع السارية والشراع، فرُكِّبا في اليوم التالي. وكم كانت دهشة البحارة كبيرة عندما تحرك المركب والشراع يخفق مصفقا للريح باعثا في الصدور أملا كبيراً بالنجاة.

(*) الغندول زورق طويل يستخدم للتنقل في قنوات البندقية في ايطاليا.

استمر نزح الماء بلا هوادة، وبات أكثر سهولة بعد ازالة الحجرة فاقتصرت المناوبة على رجل واحد كل أربع ساعات. ولكن قامت حاجة جديدة الى رجل يدير الدفة، فنُظمت مناوبة أخرى يتبادل فيها الرجال العمل كل أربع ساعات. وهكذا أصبح نصيب كل من الصيادين الخمسة في العمل تسع ساعات ونصف ساعة يومياً.

خلال الابحار جنوباً لم يظهر أثر للمطر أو الغيوم. وخوفاً من نفاد الماء سطّر جويل على علبة معدنية فارغة رسالة استغاثة: "من المركب "كايرو - ٣"، بونتاريناس، كوستاريكا. اذا التقطتم هذه الرسالة أبلغوا المسؤولين أننا لم يعد لدينا من الماء الا ما يكفي لمدة ١٥ يوما. ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٨٨."

ورمى العلبة في البحر.

ملعقة ماء!

كان القبطان جيراردو ينام في مقدم المركب وتحت مهجعه أسوأ شق في القعر، تنبعث منه قرقرة وهسهسة متواصلتان مما عكر نومه وأحلامه على الدوام. وحاول جيراردو تكراراً سد الشق بالاسفنج والحبال ورقع القماش، لكن الخشب كان تالفا وعليه سدّه برفق خشية ان يؤدي الضغط الشديد الى توسيع الخرق بحيث يتعذر سدّه.

في أوائل مارس (آذار) تعين على البحارة تقنين الماء بمعدل ملعقة لكل رجل كل ساعة، وبذلك يكون لديهم من الماء ما يكفيهم أقل من أسبوع. فغلب اليأس على البحارة وراحوا يتساءلون: أيموتون عطشاً أم غرقاً أم فرائس لسمك القرش؟

قال باستور لجويل: "لا تقلق على الموت، فهو في يد الله. وليكن همك الاوحد أن تعيش."

فهز جويل رأسه: "اني أحاول ذلك، لكني لا أعتقد أننا سنتمكن من الاستمرار طويلا على هذه الحال. وأشد ما يؤلمني هو فكرة ترك زوجتي وأولادي." ثم استدار حاجبا وجهه.

عثر جويل لاحقاً في كيسه على ورقة وقلم، فانتحى زاوية في مؤخر المركب وراح يكتب بأحرف صغيرة، سطراً بعد سطر، رسالة الى زوجته جاء فيها:

"العاشر من مارس (آذار). زوجتي الحبيبة،

أحسّ رغبة عارمة في البقاء حياً، ولكن في حال موتي لا تدعي حياتك تنهار. كوني قوية واقبلي حكم الله، انه العارف بكل شيء. اعتني بالبنات وقولي لهنّ إني قضيت في سبيل تأمين حياة فضلى لهنّ. اني في انتظار ما قدّره الله لي. نحن تائهون منذ شهرين، لا طعام لدينا ولا ماء، وحولنا متاهات زرق لا نهاية لها. مياه، مياه، لا شيء الا المياه. لقد كافحت حتى النهاية. إنما، وان كنت على شفير الهلاك، فما زالت في حنايا ضلوعي شعلة تضطرم. أحبك يا عزيزتي ايديث. جويل عمر."

أنهى جويل الرسالة وأعاد قراءتها ثم زجّها في قارورة بنية صغيرة أخفاها بين أمتعته.

أيام ضائعة

رأت ايديث وليديا، زوجتا جويل وجيراردو، ان لا جهود كبيرة تبذل لانقاذ الرجال المفقودين. فطائرات ألاستكشاف لم تقم الا بجولتين وجيزتين، فيما لم يبدُ أن زورق خفر السواحل شارك في البحث. وقيل للمرأتين ان لا معنى لهدر أموال في البحث عن مركب قد لا يظهر أبداً. أخيراً قررت المرأتان تنظيم حملة خاصة، فنُشرت قصتهما في الصحف وبثت محطات الاذاعة مقابلات أجريت معهما. فكانتا تكرران السؤال: "لماذا لا تنظِّم عملية بحث وانقاذ جدية وشاملة؟ فكل يوم يمضي من غير ان يفعل رجال خفر السواحل شيئاً هو يوم ضائع."

في أوائل مارس (آذار) بعد زيارة غير مثمرة الى نائب الوزير المعني بشؤون خفر السواحل، طلبت ايديث مقابلة الوزير نفسه. وفي غضون ذلك كانت هي وليديا تجوبان الشوارع وتسألان كل من تتنسّمان فيه صلة بالبحر عن المركب "كايرو – ٣." فاعتبرهما الناس في عداد الأرامل، يقيناً منهم أن زوجيهما هلكا. فالاحتمال كبير أن تكون العاصفة المدمرة أدركتهما فابتلعهما البحر.

على رغم ذلك ظلت ايديث تصلي بحرارة لعودة جويل. ونصحتها أمها ألا تنتظر من السلطات انقاذ البحارة، وألا تكف عن الصلاة لكي يعيدهم الله سالمين الى منازلهم. فابتهلت ايديث: "يا رب، أعطني القوة لكي لا أفقد الرجاء."

بات المركب "كايرو – ٣" تائهاً على صفحة المحيط، فلا البحارة حظوا بالمطر الموعود ولا هم اتفقوا على مسار ثابت. وخشوا أن ينتهوا الى الدوران في حلقة مفرغة إن هم واصلوا تغيير مسارهم. وأخيراً اختاروا الانسياب مع التيار شمالاً فشمالاً – غرباً (٣٣٠ درجة) لان ذلك هو المسار الطبيعي والأسهل. وهم قرروا الاتكال على الله وحده يقودهم الى حيث يشاء.

وأمل جيراردو، اذا طال أمد الرحلة، أن يصلوا الى جزيرة مأهولة يكثر فيها الطعام. فهتف جويل: "هاواي ربما."

صار لهم هدف يتطلعون اليه، فتجددت ثقتهم بالنجاة، لكنها لم تدم الا برهة عادوا بعدها الى وهدة اليأس. فقد كاد ماء الشفة ينفد. انهم قاسوا كثيراً من الاهوال والمشقات حتى وصلوا في معاناتهم الى هذا الدرك. فهل يقضون ظمأ؟ كيف يعيشون من دون ماء؟

واذا بزخة مطر تنهمر ذات ليلة في الأسبوع الثاني من مارس (آذار). واحتجب

القمر وهدأ البحر، فانتعشت نفوس البحارة وفتحوا أفواههم ورفعوا وجوههم لاستيعاب المطر، وهرعوا الى الدلاء والقدور يملأونها بالماء المنسكب. وبسط اثنان قماشة وحولا الماء المتجمع الى الخزان. واقام الرجال أخدوداً على جانب من السطح جمعوا فيه الماء بإمالة المركب مجتمعين في جانب واحد منه.

بعثت الزخة العابرة في البحارة الخمسة نشاطاً وحيوية كانوا في أشد الحاجة اليهما. فشربوا حتى الارتواء ثم راحوا يتعانقون ويرقصون. ورفعوا الشكر الى الله العلي القدير.

هجوم القرش

هتف جويل ورمى نفسه في البحر، فشعر ببرودة الماء، وكان كل شيء حوله ساكناً. وانتصب أمامه بدن المركب الظليل وقد تدلت منه حصيرة من النبت الاخضر والبني. فركّز قناع الغوص على وجهه ودنا من قعر المركب المنساب بهدف تفحصه.

كان جويل يواجه في الماء خطر القرش ويخشاه أكثر من أي خطر آخر، اذ أن قرشا متوسط الحجم يستطيع تمزيقه إرباً في ثوان.

حكّ جويل قعر المركب بسكينه، ففرت أسراب من السمك الصغير من "عرائش" الأعشاب المتدلية من طبقة القشريات على بدن المركب. ثم عاد الى المؤخر وطفا وتسلق حافة المركب وأبلغ زملاءه أن البدن مكسو بطبقة كثيفة من القشريات والديدان التي تنخر الخشب الى حد الاتلاف. وبات سد الشقوق والثقوب يحتم عليهم الغطس تحت المركب لكشط بدنه.

كان التضامن غير المعلن بين البحارة يقضي بأن يعمل الجميع سواسية في كل شيء. لذلك حملوا جميعاً أدوات الحك والكشط. وتفحص جيراردو الماء للتأكد من عدم وجود أسماك قرش، ثم غطس وتبعه جويل وهورهي. وتردد خوان قبل أن يغطس بحذر. أما باستور فأوكلت اليه مهمة البقاء على ظهر المركب ومراقبة القرش.

في البداية خشي البحارة أن يجتذب بياض الجلد في باطن أقدامهم أسماك القرش. فانتظروا هجومها في أي لحظة.

ثم لم يبقَ الا جويل وجيراردو في البحر، فيما راح الباقون يفرغون الماء ويراقبون القرش من مقدم المركب ومؤخره. كان نزع الاعشاب والقشريات عن البدن في منتهى الصعوبة، وظل جويل وجيراردو ساعات يحفران ويكشطان ويطفوان على سطح الماء للتنفس.

وأخيراً أعلن جيراردو لاهثا: "يكفي الآن، لقد أنجزنا المهمة."

ثم صعد الى ظهر المركب وارتمى الى جانب جويل المنهك. بازالة القشريات زال



خطر الكارثة الى حين، وان يكن ذلك أضعف متانة المركب.

ولم يطل الوقت حتى أخذ البحارة يصطادون سمك القادوح والدورادو والقرش، فتوافرت لهم كفاية من الطعام للمرة الاولى منذ بدء محنتهم. وفيما كان باستور يملّح بعض السمك ويقدده، اذا به يشاهد ثلاثة قروش تروح وتجيء على بعد ٢٠ متراً. فجأة هاجمت المركب فضربته بخطومها وارتدت ثم عاودت هجومها المسعور.

وانصرفت القروش بعد ذلك ولم يعرف أحد سبب الهجوم. لكن الحادث أثار القلق والخوف في صدور البحارة، فلو تحطم أحد الألواح الخشبية بفعل ضربات القرش لتدفقت المياه وحلّت الكارثة.

عاد القرش الى الهجوم بأعداد كبيرة بعد الظهر. وكان انقضاضه وجيزاً الا أنه كان عنيفاً روّع البحارة الذين راحوا يراقبون الاسماك القاتلة وجلين وكأنها ستندفع الى ظهر المركب وتقضم سواعدهم.

بعد هذا الهجوم الغريب شنّ جيراردو حملة وقائية، فراح كالمسعور يسدّ الشقوق والثقوب في خشب المركب مستخدماً مطرقة ومفكاً للبراغي وقطعاً من القماش والاسفنج والحبال. وتفحص البدن من الداخل وحشا كل الشقوق والثقوب الدقيقة التي يتسرّب منها الماء. ثم تدلى الى جانب المركب وحشا الشقوق الظاهرة فوق الماء. وكان أحد الرجال واقفاً فوقه متحفزاً لكي يسحبه في حال هجوم جديد للقرش.

هلَّ شهر ابريل (نيسان) بريح قاسية، فارتفعت الامواج عاتية جبارة كتلك التي أهاجتها ريح الشمال "إل نورتي" وراح المركب "كايرو – ٣" يعلو ويهبط ويرتج

متواثباً بجنون. وعلى رغم تسرب المياه اليه ظل عائماً يقاوم الغرق، كزجاجة فارغة فوق الامواج.

خلال الليل دأب الرجال على نزح الماء بهمة لا تعرف الكلل. وكانوا يعملون في الظلام وهم مبللون يرتجفون برداً. وكلما اندفع المركب في حنايا الموج كانوا يتمسكون بأي شيء ثابت لكي يظلوا واقفين. ومرت ساعات وهم يكافحون العاصفة بجلد. ومع الفجر عبرت العاصفة فهدأت الريح واستكان البحر ورفع البحارة الشراع. لقد كافحوا طويلا وانتصروا.

بدت عاصفة ابريل (نيسان) نقطة تحول للبحارة الخمسة التائهين في مجاهل المحيط. فحتى ذلك التاريخ كانوا يتبادلون الاتهامات ويرون في كل مشكلة نهاية محتومة وينظرون شزراً الى من فاته اصطياد سلحفاة أو زاد أكله وشربه على حصة رفقائه. ولكن بعد اجتيازهم تلك العاصفة غاب عنهم شبح الهلاك واطمأنوا وعاد اليهم الامل بالبقاء أحياء.

بعد بضعة أيام سنّ جيراردو سكيناً وقطع خصلة من شعر رأسه ورفعها معلناً: "قذارة!" ثم قصّ خصلة ثانية واغتسل بماء البحر من دون صابون. ودار في خلده أن بقاءه حياً رهن ببقائه سليما معافى.

وحذا الآخرون حذوه فقصوا شعورهم واستحموا. كانت هذه الرغبة الملحة المفاجئة في النظافة بداية موقف أكثر ايجابية. لقد مرت بهم فترات قاسية من الظمأ والجوع واليأس، تحملوها بشجاعة وخرجوا منها أشدّ تصميماً على البقاء. وقرروا البقاء مجموعة متضامنة، فعينت لكل رجل واجبات محددة، وصار مفهوماً أن كل شيء يجب أن يُعمل لمصلحة الجميع.

وما عتمت هذه الثقة الجديدة المكتسبة أن امتُحنت حين شاهد البحارة في الماء جسماً ضخماً أسود متجها نحوهم، ثم صعد الى السطح وأطلق نافورة هائلة في الهواء. فصعقوا حين رأوا أنه حوت. وتجمدوا في أماكنهم مترقبين الصدمة القاتلة. وتملكهم الرعب، اذ ان ضربة واحدة من ذنب الحوت أو لطمة من رأسه كافية لتحطيم هيكل المركب وارسالهم الى الهلاك.

وفي اللحظة الاخيرة غاص الحوت في الماء وكاد ذنبه الهائل يلامس بدن المركب. وظل الرجال صامتين لا يبدون حراكاً حتى بعدما هدأت دوامة المياه التي رافقت غطسة الحوت.

لكنه عاد الى الظهور بعد خمس دقائق وراح يقضم الأعشاب النابتة على بدن المركب. فلبث البحارة مترقبين يرتعدون خوفاً. واذا به يطفو على بعد ثلاثة أمتار ويطلق نافورة هائلة ويحدق الى المركب الصغير بعين واحدة.

هتف جيراردو: "يا الهي! انه جزيرة عائمة!"

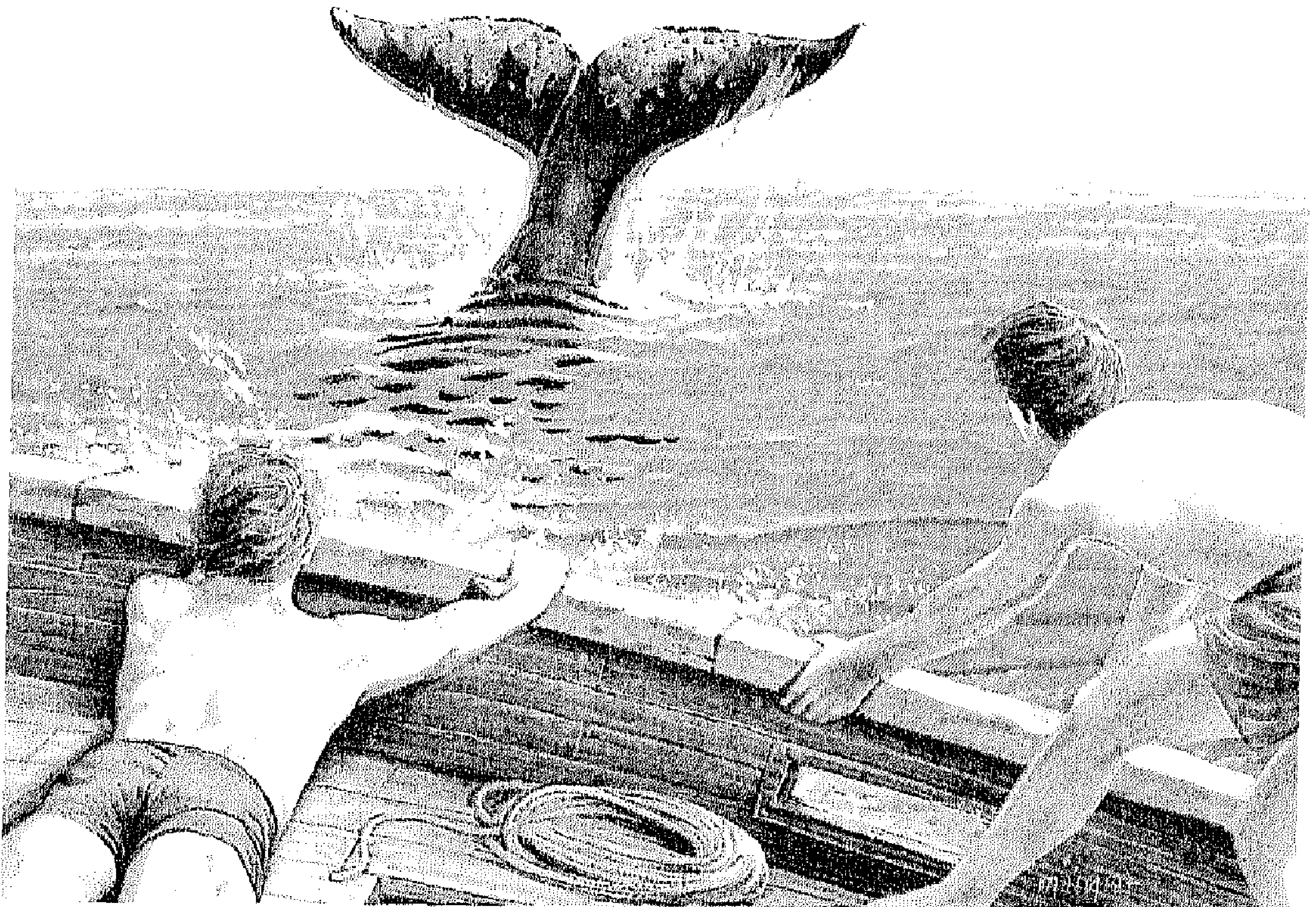
ظل الحوت الضخم على مدى ٢٠ دقيقة يغطس ويسبح حول المركب ويقترب منه ثم يبتعد كأنما طابت له مداعبة البحارة، وكاد هؤلاء يقضون هلعاً وهم يراقبونه منتظرين انقضاضه عليهم في أي لحظة.

وأخيراً غطس الحوت ولم يعد، فتنفسوا الصعداء وراحوا يهنئون بعضهم البعض بالسلامة.

وجوه مخيفة

في ١٠ مايو (أيار) سطّر جويل رسالة ثانية الى زوجته وبناته علّهن يتلقينها وإن بعد سنوات، فهو أراد أن يتذكرنه زوجاً وأباً محباً لا بحاراً منبوذاً يائساً قذفته الاقدار الى مجاهل المحيط.

ثم أولج الرسالة في القارورة البنية مع بضعة دولارات، وأحكم ختم القارورة ووضعها جانبا ليلقيها في المحيط عندما يحين الوقت. وأمل أن تكون الدولارات كافية لكي يرسلها من يلتقطها بالبريد الى زوجته.



حدّق جويل الى رفقائه فرأى في وجوههم انعكاساً لوجهه هو، منظراً مثيراً للشفقة. كانت الشمس الحارقة لوحت أجسادهم بسمرة قاتمة، ونفرت أضلاعهم وتشعثت شعورهم وبانوا كرجال بدائيين مخيفين لا يفكرون ولا يكترثون الا للأكل والشرب والبقاء أحياء.

لم تظهر في السماء الا مشحات بعيدة من الغيم لا توحي أملاً. وراح الرجال يتساءلون: "من منا سيموت أولاً؟"

في منتصف مايو (أيار) انكسرت دفة المركب فلم تعد هناك وسيلة لضبط الاتجاه. وازداد تسرّب الماء واشتدت الحاجة الى نزحه.

في هذه الاثناء أعلن باستور أن الغاز وحطب الوقود نفدا، مضيفاً: "من الآن فصاعداً علينا أن نأكل الطعام نيئاً." وهكذا كان. لم يستسيغوا ذلك بادئ الامر، الا أن الجوع الكافر دفعهم الى التهام كل ما تيسر لهم اصطياده.

ولم يبق لديهم من الماء الا ما يكفي لبضعة أيام. فخفضت الحصص الى كوب واحد في اليوم.

ومن جراء النقص المريع في الشرب ازداد جفاف أجسامهم فعنف ذعرهم واشتدت نزاعاتهم. فمنهم من شرب كامل حصته دفعة واحدة ومنهم من شرب نصفها في الصباح واحتفظ بالنصف الآخر لليل. وكانوا جميعهم يتبادلون الاتهام والملامة.

أخيراً نفد الماء كلياً. فبرَّح بهم العطش وقلّت رغبتهم في الاكل وصيد السمك وتملكهم اختناق حارق جاش في صدورهم ونال من حناجرهم وسرى في وجوههم. وكان مرُّ شهر على هطول آخر مطرة، ففكر جيراردو: "ربما كان الموت أهون من هذا الانتظار." واستنزفت طاقاتهم وضاقت حناجرهم وثقلت ألسنتهم وراحوا يفرغون الماء المتسرب وهم في شبه غيبوبة.

وسط هذا الجو القاتم جمع باستور طاقته وطرح تحدياً على رفقائه: "دعونا نصلح الدفة."

فنظروا اليه ذاهلين، فتابع: "لن يحدث شيء ما لم نجعله يحدث. لنصلح الدفة ثم نرفع الشراع فنتوجه الى حيث الغيوم ونحظى بالمطر. قد نواجه الموت، ولكن لنمت مكافحين كالرجال لا كالجبناء الخانعين."

حدق اليه رفقاؤه غير مصدقين. لكن تحدّيه انتشلهم من وهدة الخمول والاستسلام. فتولى جيراردو وخوان إصلاح الدفة فيما أصلح الآخرون الشراع ورفعوه فنفخت فيه الريح ووجهت المركب غرباً. وجلس جويل يدير الدفة وقد خامره احساس متجدد بالثقة. فها هم سائرون الى حيث الغيوم والمطر والامل المنشود.

ولكن ما ان حلّ أصيل اليوم الثالث حتى كان الرجال يدبّون على أيديهم وركبهم،

باكين احياناً، متضرعين الى الله بأصوات خفيضة ملتمسين أن يمنَّ عليهم بالمطر. وتملكهم الدّوار والغثيان وتورمت ألسنتهم وثقل عليهم الكلام.

صباح اليوم الرابع كان البحارة في المركب العتيق التائه وهنوا الى حد كادوا لا يقوون معه على التحرك. ولم يعد في إمكان أفرقاء المناوبة تفريغ الماء الا لمدة ساعة أو ساعتين. واجتاز الرجال نوبات هذيان محموم ونوبات دوار.

وثقلت ألسنتهم فعجزوا عن النطق بوضوح. فاقترح أحدهم أن يتحضروا للموت. وكانت عيونهم جاحظة كأنها زجاجية، وصعب عليهم التنفس فراحوا يتجرعون الهواء على دفعات. ونبشوا أحسن ثيابهم من حقائبهم الصغيرة، وهي سراويل قصيرة وقمصان رياضية متغضنة لكنها نظيفة.

وعملا باتفاق بينهم، ارتدوا "ثياب الموت" لكي يبدوا في أحسن حللهم اذا اكتشفتهم سفينة ما أو قذفتهم الامواج الى احدى الجزر.

بعد ذلك اضجعوا تحت الظلة جنباً الى جنب ووجوههم نحو العلاء. وضم جويل الى صدره القارورة التي تحوي رسالتيه الى زوجته ايديث، وفي نيته رميها في البحر لحظة وعيه الأخيرة التي تسبق إغماض عينيه الى الابد.

ووفق ما خططوا، لم ينبس أحد بكلمة ولم يقم أي جدل بينهم. سيواجهون الموت بهدوء وسلام، ويرحلون الواحد بعد الآخر الى رحاب الابدية.

نعمة من السماء

بعد ظهر ٤ يونيو (حزيران) كان جيراردو مستلقياً تحت الظلة شاخصاً الى السماء متسائلا عما اذا كانت الاطياف السود التي يلمحها في السماء غيوماً تحمل المطر. ولكن لطالما تبين له أن تلك الاطياف لم تكن الا سراباً خادعاً.

وحان دوره في تفريغ الماء بدل خوان، فنهض وتبادلا المواقع. لقد واصل الرجال نزح الماء وهم مرتدون بذلات الموت. لعلّهم ارتأوا أن الموت ظمأ أهون من الموت غرقاً وطعاماً للاسماك.

لذا سكب جيراردو على جسمه بعض ماء البحر وراح يغرف ويفرغ بهمة اليائس. وكاد الدوار لا يفارقه، فاشتدتْ به الرغبة في الاسترخاء والتنكّب عن العمل، لكنه قاوم هذه الرغبة وواصل الكفاح. ورأى في ابقاء المركب عائماً تحدياً للمحيط والأخطار المحدقة، وشدد ذلك من عزيمته وعناده.

عصر ذلك النهار أحسّ بحارة المركب بأولى شآبيب المطر تسقط عليهم، فطاروا فرحاً وخرجوا مترنحين من تحت الظلة فاتحين أفواههم رافعين وجوههم نحو السماء. فانهمر المطر على وجوههم وعيونهم وشفاههم المتشققة كأنه اكسير الحياة ينسكب في

حناجرهم. وتحولت قطرات المطر زخّات، فهرع الرجال الى أباريقهم يملأونها بالماء الجاري من سطح الظلّة. كان مذاق الماء حمضياً مالحاً، لكنهم رشفوا منه حتى الارتواء، وبلغت غبطتهم ذروة الانتشاء وان مازجها الالم. ومع أن الزخة لم تدم الا عشر دقائق فقد كانت كافية لارواء ظمأهم وجمع ليترين من الماء المالح الكريه المذاق.

ظل الرجال واقفين ووجوههم مرفوعة الى العلاء. قال هورهي: "كنت أعلم أنها ستمطر."

ورد خوان بصوت كالصفير: "الحمد لله."

مضى الليل والرجال يترقبون المطر ويتناوبون النوم وتفريغ الماء. وكانوا يرون في أفق الجنوب خطاً بعيداً من السحب. وعاودهم الظمأ بعد حين، فاقترح أحدهم التوجه نحو السحب، لكنهم كانوا في منتهى الضعف عاجزين عن بلوغ تلك الغاية.

رفع جويل الابريق البلاستيكي ونصفه ماء وقال: "لنشرب ما بقي لدينا." فشربوا جميعهم غير مبالين بمذاق الملح والشحم والاوساخ.

وما عتمت أن ظللتهم سحابة سوداء هائلة وهطل المطر غزيراً. فحاول الرجال الخمسة اطلاق صيحات ابتهاج لكن حناجرهم خذلتهم من جراء الجفاف الذي كاد يفقدهم الكلام. وندت عنهم أصوات جشّاء خفيضة كنعيب الغربان. فسارعوا الى توجيه المياه الجارية الى الخزان والاوعية الصغيرة، وبلغ ما جمعوه خلال المطرة العاصفة ٢٧ ليتراً.

كان جيراردو وباستور أول الذين عاودوا الاكل. ولم يكن الطعام كثيراً، واقتصر على قطع صغيرة من لحم السلاحف النيء استطاعا بلعها من غير أن يتقيأاها. وحذا الآخرون حذوهما، وأدركوا جميعا أن مصيرهم قد لا يكون الهلاك وأن حظهم العاثر ماض الى التحسن.

بعد ثلاثة أيام هطل المطر طوال النهار، فملأوا خزان الماء وخزانا احتياطيا وآخر نظيفاً لوقود الديزل، كما ملأوا الاوعية الصغيرة. فبلغ مجمل ما جمعوه ٢٦٥ ليترا تكفيهم أسبوعين أو ثلاثة أسابيع. وفي اليوم التالي أنزلوا الشراع وانصرفوا الى صيد السمك والسلاحف.

بعد خمسة أيام من الانجراف تحت سماء صافية ازداد تسرّب المياه، فتدنى المركب عن مستوى صفحة البحر مما حفز الرجال على تسريع النزح. ولم تغب عنهم معاناة الظمأ التي مروا بها خلال أربعة أيام، فالتزموا تقنينا صارماً وعُين أحدهم قيما على صرف الكمية المحددة لكل منهم.

كانوا يعملون كفريق متضامن في صيد الاسماك وشقها وتنظيفها وتقديدها. وباتوا يعرفون مواهب كل منهم وامكاناته ويحترمونها، فخفّت المنازعات بينهم.

ذات يوم قراية الحادية عشرة قبل الظهر علق قرش بصنارة جويل، فسحبه الرجال الى متن المركب وأكلوا منه كفايتهم وناموا طوال بعد الظهر. فجأة شعر جويل باهتزاز سلك الصيد، فتطلع الى الماء وقال بلامبالاة: "قرش آخر!" ولم ينهزّ أي من الرجال لمساعدته.

مرت عشر دقائق وجويل منهمك في انتشال السمكة الكبيرة العالقة في الشص، فلم يرفع رأسه لحظة وفاته أن يلاحظ الشيء المقترب من المركب.

"ها هي تعود!"

الخامسة الا ربعاً عصر ١٤ يونيو (حزيران) ١٩٨٨ كان المهندس الشاب فوميا ساتو (٢٢ عاماً) على أهبة مغادرة منصة القيادة في سفينة الصيد اليابانية "كيناي مارو ١٢٨." فوقف محدقاً من خلال الزجاج الكثيف الى الزبد الابيض المتكسر على ذرى الامواج.

كانت السفينة غادرت ميناءها الياباني في كيسينوما قبل أقل من ثلاثة أسابيع وشاءت المصادفات أن تكون بلدة كيسينوما سُمِّيت قبل عشر سنين "شقيقة" لمدينة بونتاريناس.

حين شاهد ساتو طيفاً أسود يتواثب فوق الأمواج ظنه زورقاً مهجوراً أو جذع شجرة ضخماً. ولكن حين سدد منظاره رأى شخصين يلوّحان باهتياج، فأعلم القبطان تاتسو كوياما الذي تباحث ومعاونه أوساو كوماغاي.

في البداية كان الرجلان غير مرتاحين الى المركب الغريب الشكل وركابه الذين بدوا متوحشين مخيفين. لكن الظلام أوشك أن يبسط جناحيه، واذا تقرر انقاذهم فستكون العملية صعبة وخطرة في الليل.

اقترح كوياما: "لنُحضر أحدهم ونرَ ما يقول."

في المركب "كايرو – ٣" كان جويل أول من شاهد السفينة "كيناي مارو" اذ رفع رأسه عن سلك الصيد فرأى الهيكل المستطيل الابيض على بعد نحو كيلومتر. فهتف غير مصدق: "سفينة! يا إلهي، كيف فاتتني رؤيتها؟"

حنق جويل من ذاته ومن رفقائه لتقصيرهم في مراقبة الافق، وصاح محذراً من أن السفينة تكاد تتجاوزهم من دون أن تعيرهم انتباهاً. فاعتلى باستور وخوان الظلة وراحا يلوحان ويصرخان كمجنونين.

بعد قليل هتف جيراردو: "ها هي تدور عائدة." واستمر الرجال في صياحهم واهتياجهم. وتذكر جويل القرش العالق بصنارته فربط خيطها بوتد. وكانت قروش أخرى تحوم حول المركب.

رست السفينة على بعد ٥٠ متراً. وشاهد الرجال الخمسة بحارة السفينة اليابانية يصيحون ويومئون بأيديهم.

قال جيراردو: "انهم يريدوننا أن نسبح اليهم."

تفحص جويل الماء حول المركب فلم يرَ أسماك قرش. أتراها كامنة تترصد تحت سطح الماء؟

واذا ببحارة السفينة يرمون حبلا سقط وسط المركب الصغير وفي طرفه عوّامة. فسارع الرجال الى التقاطه. ووقع اختيارهم على جويل ليكون أول الذاهبين.

لفّ جويل السلك حوله وأمسك بالعوامة ثم أُدلي الى الماء. وحذّره باستور: "لا تدع القرش يلمح بياض باطن قدميك."

أحس جويل بدفء المياه على ساقيه العاريتين، لكنه كان يرتجف خوفاً من القرش، وكان جل ما خشيه أن يهاجمه القرش قبيل انتشاله، فملأته هذه الفكرة رعبا. لقد عانى الكثير وكابد الأهوال وانتظر طويلا هذه اللحظة الفاصلة بين النجاة والهلاك. راح يجذف بيديه بقوة مهيبا ببحارة السفينة أن يسرعوا.

هلل الرفقاء على متن المركب حين رأوا جويل يُنتشل الى السفينة. ثم رمي الحبل ثانية فالتقطه جيراردو.

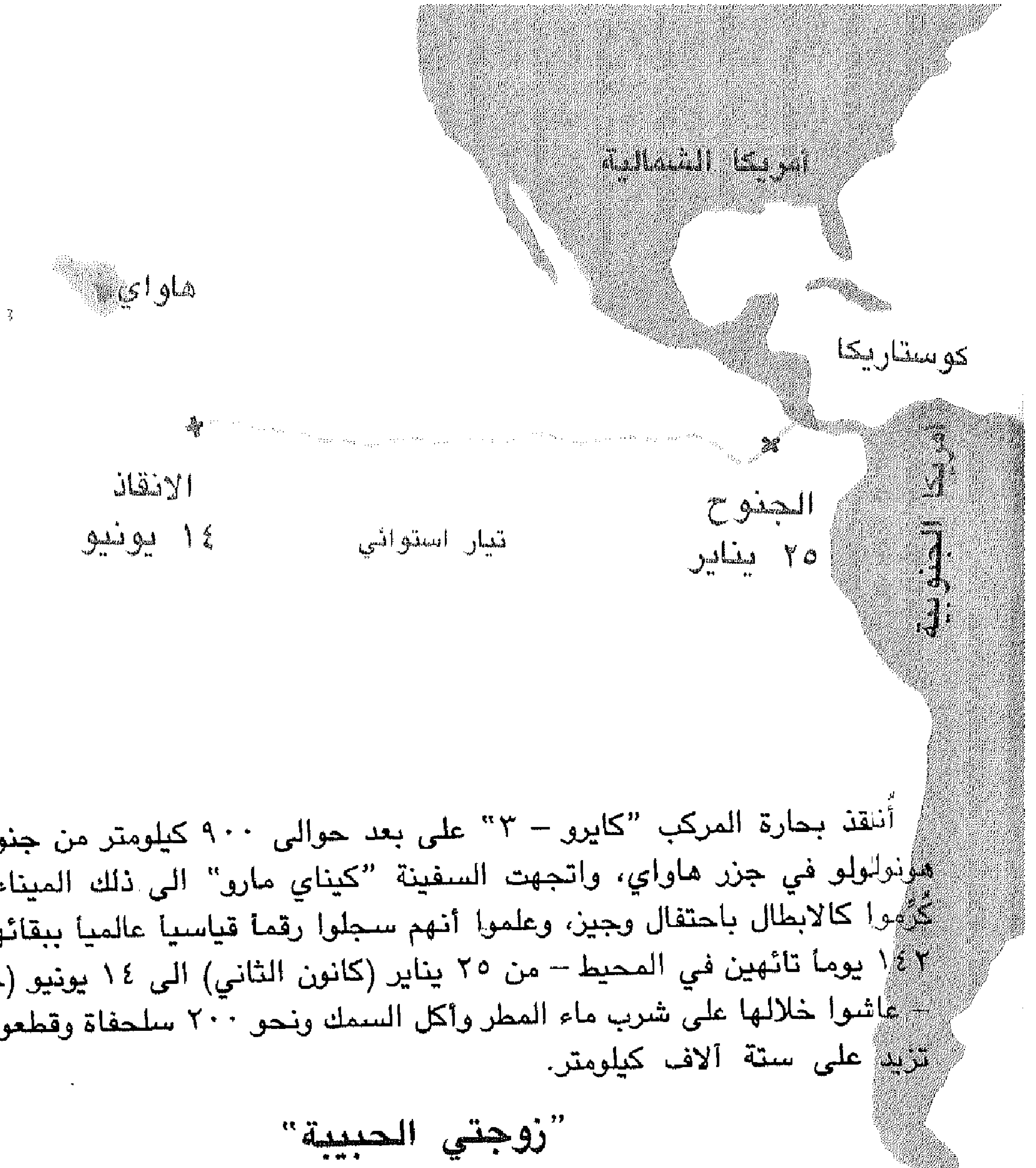
ناداه جويل: "هيا، تعال، نحن عائدون الى منازلنا."

وأُنقذ الباقون على النحو ذاته، واحداً بعد آخر، ومعهم بعض أمتعتهم الخاصة. وحين صاروا جميعهم على متن "كيناي مارو" وقفوا ينظرون الى المركب "كايرو – ٣" الذي بدا زرياً مثيراً للشفقة بهيكله الابيض الملطخ بالدم والزيت والصدأ والطحالب والقشريات. وارتفعت السارية القصيرة الموصَّلة بالمسامير فوق هيكل مفرَّغ مشبع برائحة نتنة. وتدلت راية كوستاريكا فوق الظلة ممزقة وقد ابيض لونها.

وقف الرجال الخمسة بضع دقائق على ظهر السفينة المنقذة شاخصين الى المركب المقوَّض الذي حضنهم خمسة أشهر وهو يخوض اللجج المزبدة متواثبا مترنحاً.

وفوقهم، في طبقة عليا، وقف أحد البحارة يلتقط صوراً للمركب وهو يبتعد نحو مصيره المحتوم، ومن حين الى آخر يسدد آلته الى البحارة الناجين. وصوّر خوان الذي بدا ذاهلا عاري الصدر حافي القدمين، وبعد لحظات غلب عليه التأثر فجلس يبكي.

تلقى الرجال معاملة حسنة، فاغتسلوا وأُعطوا ملابس نظيفة وقدم اليهم الطعام حتى شبعوا. لم يغمض لهم جفن طوال الليلة الاولى، وقبل طلوع الفجر وجدهم الطاهي شينجي ايواتسوكي راكعين كلهم ووجوههم نحو الشمس الطالعة، يصلّون ويرفعون شكرهم الى الله المنعم عليهم بالنجاة.



أُنقذ بحارة المركب "كايرو – ٣" على بعد حوالى ٩٠٠ كيلومتر من جنوب شرق هونولولو في جزر هاواي، واتجهت السفينة "كيناي مارو" الى ذلك الميناء. وهناك كُرِّموا كالابطال باحتفال وجيز، وعلموا أنهم سجلوا رقماً قياسياً عالمياً ببقائهم أحياء ١٤٢ يوماً تائهين في المحيط – من ٢٥ يناير (كانون الثاني) الى ١٤ يونيو (حزيران) – عاشوا خلالها على شرب ماء المطر وأكل السمك ونحو ٢٠٠ سلحفاة وقطعوا مسافة تزيد على ستة آلاف كيلومتر.

"زوجتي الحبيبة"

صباح ١٥ يونيو (حزيران) تلقت ايديث زوجة جويل اتصالا هاتفياً من هورهي رحمان شقيق مالك المركب "كايرو – ٣" الذي قال لها: "هللي وارقصي يا ايديث، لقد عثر على رجالنا وأُنقذوا."

فسألته وقد كاد يغمى عليها: "أين؟ وكيف؟"

فرد هورهي: "الخبر صحيح، لقد وجدوا تائهين في المحيط قريبا من جزر هاواي."

ألقت ايديث السماعة جانبا واندفعت الى منزل ليديا زوجة جيراردو لتزفّ اليها الخبر. فراحت ليديا في نشوة فرحها تعدو في شوارع بونتاريناس صائحة مهللة ناشرة الخبر في كل مكان. وكانت زوجة باستور خارج المنزل فهرعت اليها امرأة صارخة: ريتا، لقد عثروا على زوجك. عودي الى البيت."

MAP: BETTE DUKE

العاشرة صباح الاربعاء ٢٢ يونيو (حزيران) وصل بحارة المركب "كايرو - ٣" الى مطار "خوان سانتا ماريا" في سان هوزيه عاصمة كوستاريكا. نزلوا من الطائرة منهكين مضطربين، فأدخلوا قاعة للمؤتمرات ازدحمت بمراسلي الصحف المصورين والمسؤولين الحكوميين... وبأهلهم. ولمح جويل زوجته ايديث فاندفع اليها شاقاً طريقه وسط الجمع المحتشد، فعانقها ورفع ابنته الصغرى بين يديه. وفي احدى الزوايا تعانق هورهي وأبوه، وفي مؤخر القاعة جلس خوان مع ابنه البكر يبكيان جهاراً.

سُئل البحارة أن يسردوا وقائع رحلتهم الملحمية. فتكلم جويل معظم الوقت شارحا التفاصيل ومشدداً على تضامنهم الذي يعود اليه الفضل الاكبر في بقائهم أحياء، قال: "تقاسمنا كل شيء بعدل ومحبة: الطعام والشراب ونزح الماء وصيد السمك والنوم. لقد أنقذنا تضامننا وعملنا كفريق موحد."

بعد انتهاء المؤتمر الصحافي توجه الرجال الخمسة الى قاعة الاستقبال الكبرى في المطار حيث رحّب بهم حشد صاخب من المهنئين بسلامة العودة. ورُفعت فوق رؤوسهم لافتة ضخمة كتب عليها "أهلا وسهلا." ثم توجه الجميع في قافلة سيارات الى المدينة.

في المساء تمدد جويل على سريره يرتاح من ضجيج ذلك النهار ومن صخب بناته الاربع الفرحات بعودته. ومد يده الى كيسه وأخرج قارورة بنية وقال لزوجته: "افتحيها، لك شيء داخلها."

سألته: "وماذا عساه يكون؟"

أجاب: "رسالة سطرتها لك... حين كنت هناك."

ثم جلسا على السرير جنباً الى جنب وشرع يقرأ لها: "العاشر من مارس (آذار). زوجتي الحبيبة..."

رون أرياس ■

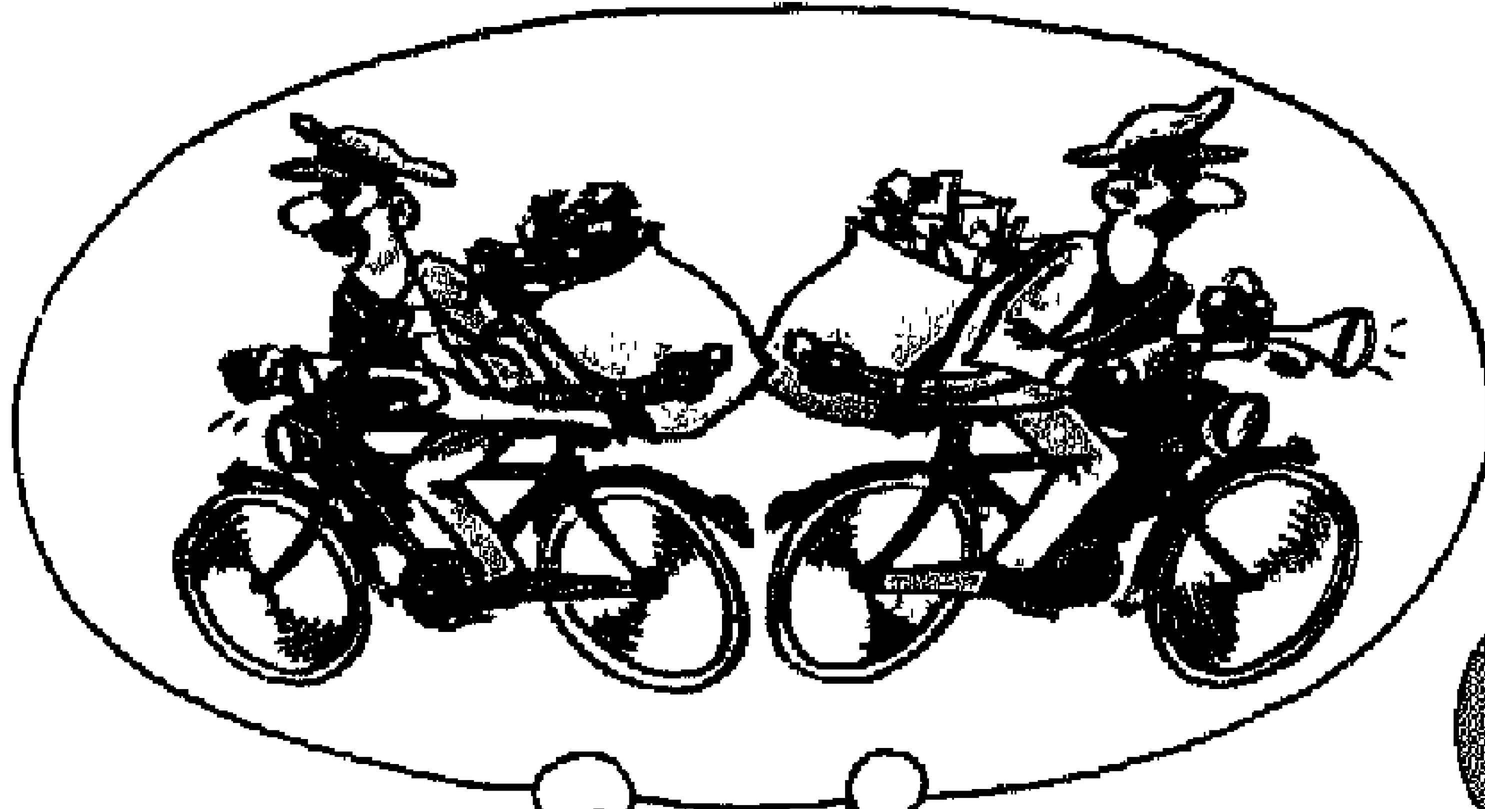
ترجمة الياس عقل

المعرفة كنز لا ينضب

كلما ازدادت قراءاتك تبين لك كم هي زهيدة معرفتك. ثق بانك لن تقدر على قراءة كل الكتب، وان ثمة روائع لن تتسنى لك مطالعتها. انا انام اربع ساعات كل ليلة، وأنهض في الرابعة صباحاً فاقرأ ساعتين، واقرأ احيانا اثناء الحلاقة او الاكل. وفي امكاني القراءة والتكلم في آن. اشتري طبعات رخيصة لانها عملية اكثر، واحب ثني زوايا الصفحات، واطلق لنفسي حرية التمتع بالكتب على هواي.

صحيفة "باري ماتش"، باريس

اكتب واربح




هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- ★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- ★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- ★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- ★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت.



"سمكات" - زيتية للفنان الفرنسي هنري ماتيس

اغسطس (آب) ١٩٩١ - محرَّم ١٤١٢

Reader's Digest
المختار

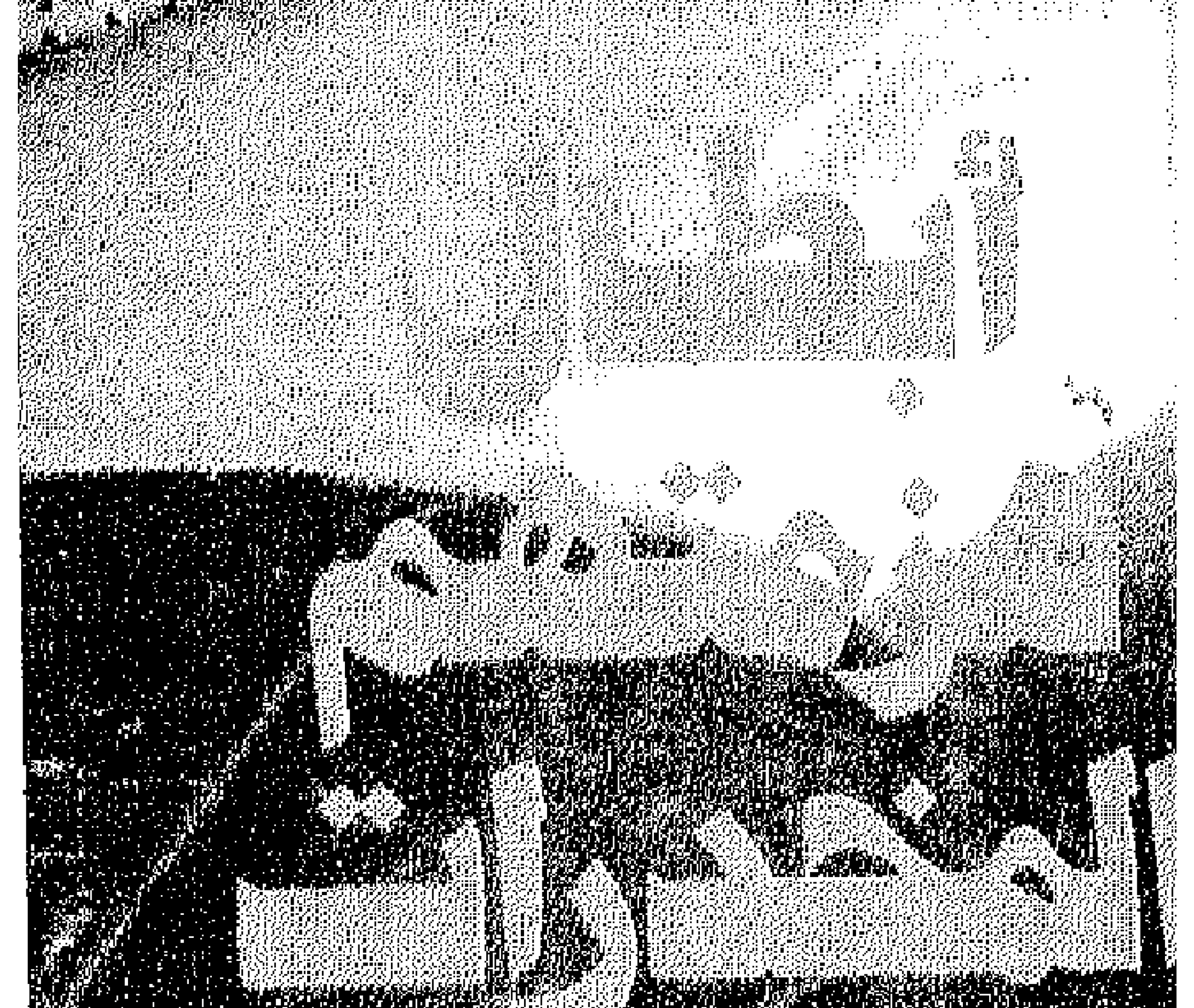
AL MUKHTAR min Reader's Digest August '91 N° 153

أوسع المجلات انتشارًا في العالم

"النجدة... طار القبطان!"

(ص ٢٦)





(ص ٨٩)

باتريوت

جم "العاصفة"

Reader's Digest

المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير راغدة حداد أمينة التحرير: نهلا رزق. محررة مساعدة لورا نفاع. الاشتراكات. فريال علاف.
مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ابيراك" للمنشورات الدولية - بيروت
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.
التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE. الهاتف. ٣٧٠٥٧٥/٣٥٠٧٦٠
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية. شارع مصرف لبنان. بيروت:
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية. المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707. Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE. Tel. 350760 / 370575



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

August '91 N° 153 (New Series) Vol. 13

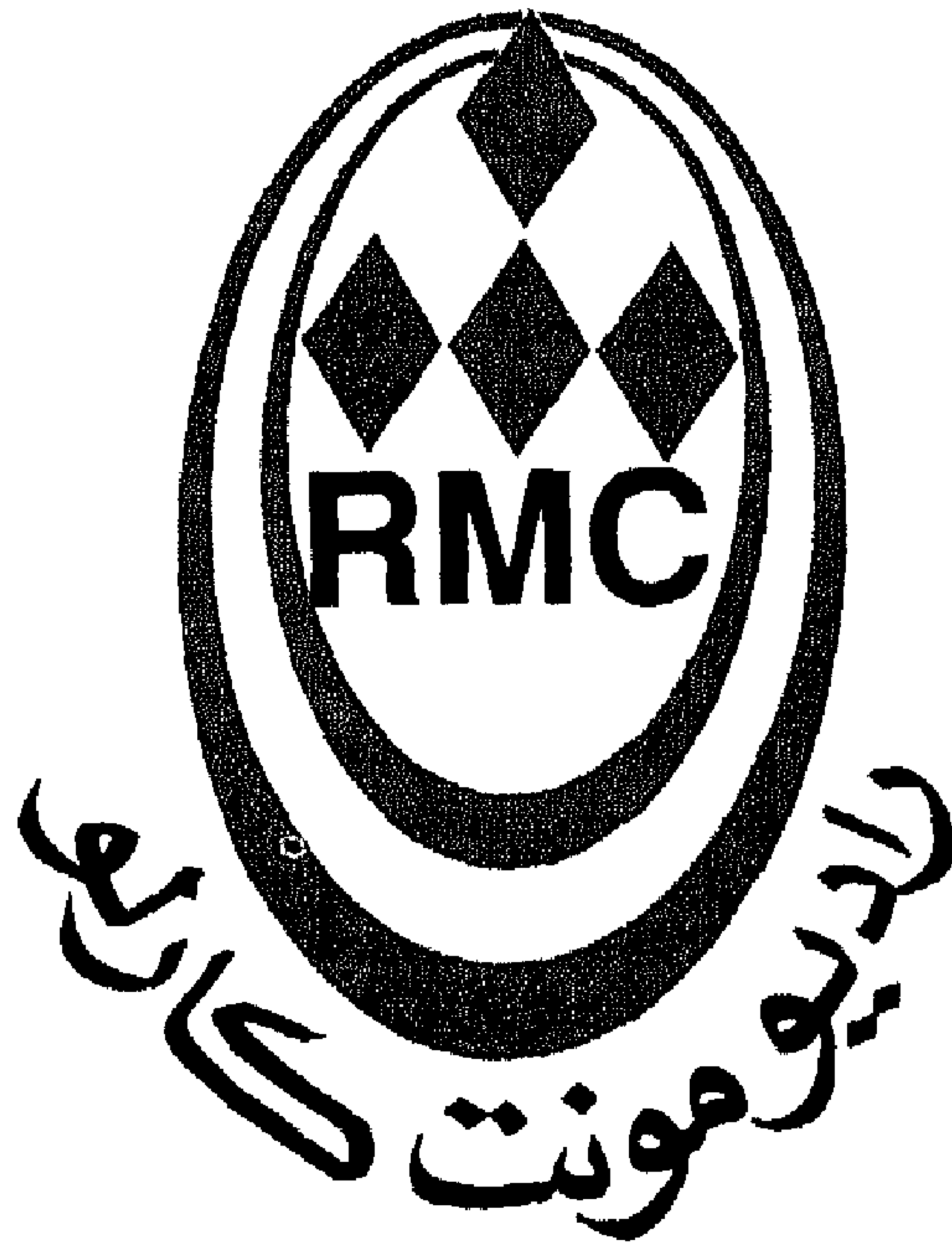
ريدرز دايجست
المؤسسان. دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كنيث غيلمور. مدير التحرير. كريستوفر ولكوكس. المدير العام. جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والاسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية، والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والروسية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضا في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل. وعلى اشرطة مسجلة

لبنان ١٠٠٠ل - سورية ٤٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٩ر - البحرين ٩٠٠ف
السعودية ١٢ر - مصر ١،٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - الجمهورية اليمنية ١٥ ر - مسقط ٩٠٠ ب - قبرص ١ ج

مـــع الحدث دائـــماً
قبـل الحدث غالبـاً



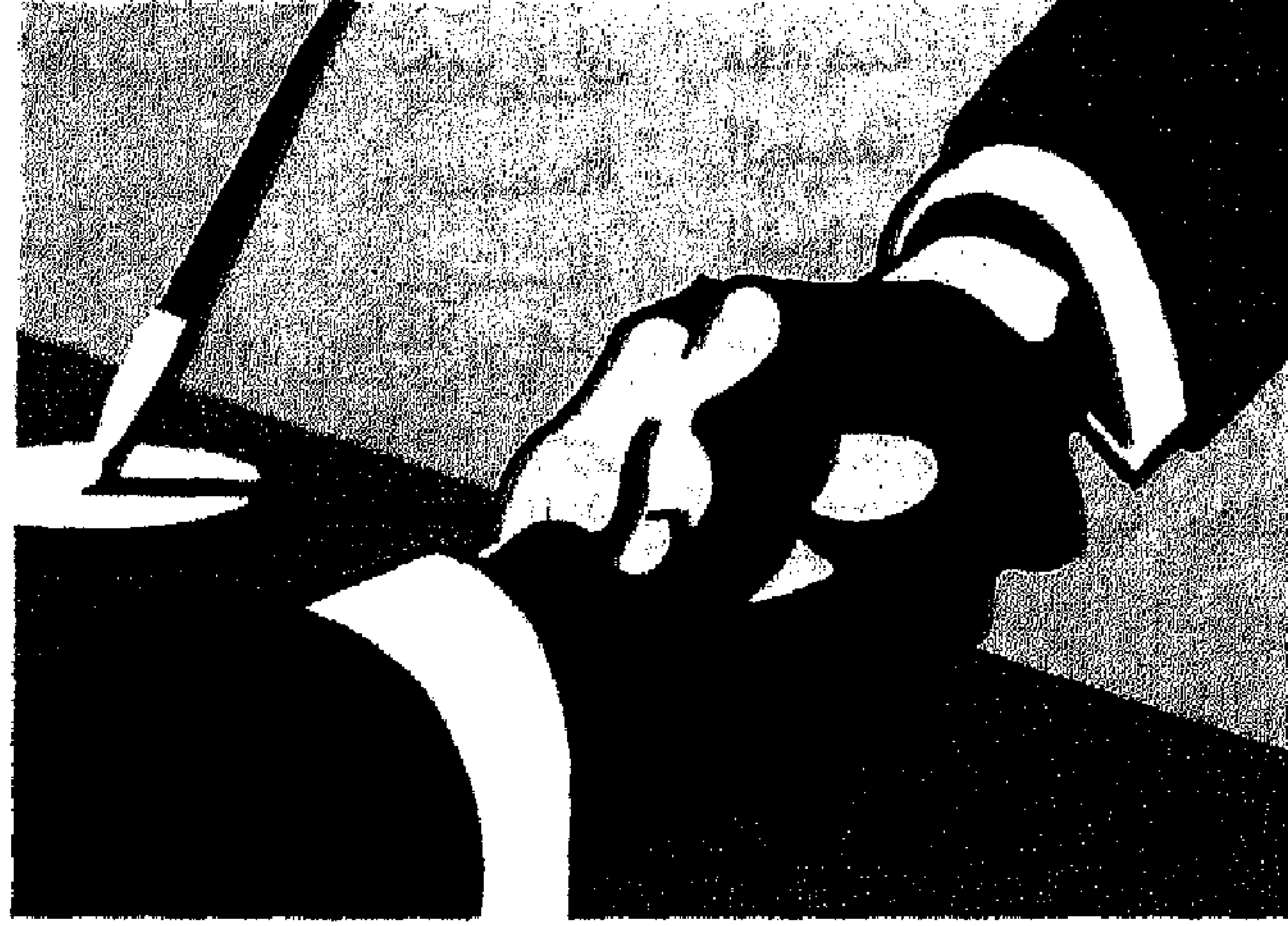
موعدكم الصيفي مع اذاعة مونت كارلو في جنوب فرنسا

على موجة متوسطة ٢٠٥م (أي ١٤٦٧ كيلو هيرتز)

LINKS

36 RUE WASHINGTON 75008 PARIS FRANCE · TÉLÉPHONE (1) 45 63 58 25 TÉLEX 648730 LINKS F TÉLÉFAX (1) 42 89 85 81

تريدون شراء سيارة؟
أو الحصول على زيادة في الراتب؟
فاوضوا بلباقة ولا تتحدوا



فن المفاوضة

يشكل التفاوض جزءاً مهماً من الحياة اليومية، سواء أردت شراء منزل أو طلب زيادة على راتبك أو حتى مجرد محاولة اقناع أطفالك بالذهاب إلى الفراش. ومع ذلك يرهب التفاوض معظم الناس إذ يخشون الوقوع أسرى تجاذب الرغبات.

خلصت، بعد ٢٧ سنة من عملي وكيل أعمال لكثير من الرياضيين والنجوم، الى أنّ التفاوض هو فن الممكن. فأنت لا تنال كل ما تبغيه، ولكن يمكنك اقناع الفريق الآخر بعمل ما ترغب انت فيه من غير أن تطلب منه ذلك.

يدعي البعض أن الطريق الوحيد إلى بلوغ غاية ما، يكون عبر التهديد والمراوغة. لكن الامر ليس كذلك. فالتفاوض الحقيقي ليس معاكسة. انه العمل معاً للتوصل الى اتفاق. لذلك ينبغي أن نسأل أنفسنا دائماً: "هل الجميع

راضون؟" لا أن نسأل: "من الرابح؟"
بعض وسائلي الاهم، هذه القناعات الثلاث الفاعلة:

- لست في حاجة الى أن تكون صعب العريكة لكي تعارض.
- عامل الآخرين كما تحب أن يعاملوك.
- أخلص لقناعاتك.

ويمكنك أنت أيضا، جاعلا هذه الفلسفة نصب عينيك، أن تواجه حتى المواقف الاكثر اثباطا للعزيمة. وإليك السبيل الى ذلك:

أعدد نفسك تمام العدة.

يستهل كثيرون مفاوضاتهم متعجلين بالاعلان: "أنا في حاجة الى زيادة على الراتب." أو "كم تريد ثمنا لهذا المنزل؟" وهم يجهلون تماما قيمة خدماتهم أو السلع المعروضة.

من المبادىء الاساسية أن تتقصى المعطيات كلها قبل الشروع في أي مفاوضة. فاذا ما بزّك خصمك دهاء أمكنك أن تفوقه استعدادا.

من يطمح الى زيادة على راتبه عليه أن يحتفظ بسجل كامل عن عمله وبمعلومات أكيدة عما يتقاضاه أناس يشغلون مراكز مماثلة. فاذا كان مديرك مرشحا للحصول على ترقية واحتاج الى مساعد، تحرَّ الامر. واذا تدنت العائدات ولزم القسم الذي تعمل فيه اعادة تنظيم، كن على بينة. فالأخبار تتنقل باستمرار، وآخرها متوافر دوما في مكان ما، في وسائل الاعلام أو في ثرثرة المكاتب. فابق مطّلعا.

كن ايجابياً.

أخاطب نفسي لدى الشروع في أي مفاوضة: "سأنجح في عقد هذه الصفقة." وأنت أيضا، عندما تتوقع النجاح تجيء ردود فعل الآخرين ايجابية. لذلك ترى أن معظم الناجحين في أي مهنة يتمتعون بموقف ايجابي من عملهم.

وتتوقف نتيجة مفاوضاتك، في معظم مراحلها، على أسلوبك في العرض. فعوض أن تحدد مطالب، تقدم باقتراحات أو توصيات. وسؤالك: "هل لي أن اقترح هذا الامر؟" أليق كثيرا من القول: "هذا ما أريده." واذا ما توصلت الى موقف نهائي من عرضك فقل: "أمل أن تتفهموا أن هذا كل ما يسعني تقديمه. وأرجو أن نتمكن من العمل معا." هذا أفضل كثيرا من القول: "يمكنكم أن تختاروا بين القبول والرفض."

احتفظ بنبرة ودية في صوتك فهذه ميزة يجلّها الناس، واذا كنت ممن يتكلمون بحدة، فتمالك نفسك لانه بمقدار ما تبدو أقل توعداً يكون الطرف الآخر أكثر استرخاء.

التزم اهدافك.

قد يكون التفاوض أحيانا اختبارا عاطفياً وانفعاليا، إذ تدفعك رغبتك الشديدة في الحصول على شيء ما الى تقديم أكثر مما ينبغي من تنازلات. لذلك لا

تغفل عن هدفك الأساسي والا صرت مثل ذلك الرجل الذي ذهب لشراء سيارة "شفروليه" فعاد إلى منزله بسيارة "مرسيدس." لا بد أنه أتمّ صفقة جيدة، لكن هدفه الأساسي كان شراء سيارة مستعملة لأولاده المراهقين.

حدد أهدافك، ودوِّنها اذا لزم الامر، قبل بدء أي محادثات. فلربما أردت انفاق عشرة آلاف دولار لشراء سيارة جديدة، أو طلب زيادة على الراتب مقدارها خمسة آلاف دولار سنويا. من المرجح أن تتغير هذه التقديرات، لكن ذلك سيبقى في حدود معينة. ولك أيضا أن تضيف بعض "الزيادات" التي يمكن اسقاطها عند الحاجة. فقد ترغب مثلاً في الحصول على جهاز راديو من نوع ممتاز يقدم مجانا مع السيارة، أو تود الاحتفاظ ببعض أثاث المنزل الذي تحاول شراءه في مقابل كلفة اضافية دنيا. فاذا وجدت أن هذه الزيادات قد تؤثر سلبا في الصفقة أمكنك الاستغناء عنها، فهي مجرد زيادات. وتكون في الوقت نفسه لزمت أهدافك.

أصغِ أكثر وتكلم أقل.

أخبرني أحد زبائني، لاري كنغ، وهو مضيف برنامج مقابلات تلفزيونية: "حللت مرة ضيفاً على أحد البرامج الصباحية المتلفزة في دالاس، وكانت مضيفتي من النوع الذي يطرح السؤال ثم يلتفت الى مكان آخر من دون سماع الجواب. وكان سؤالها الثالث: "ما سر نجاحك مضيفا في برنامج مقابلات؟" وقد لاحظت أنها لم تكن تعيرني أي انتباه فأجبت ممازحاً: "أعمل في خدمة وكالة الاستخبارات المركزية. فهم يرسلون الي ضيوفاً بارزين كل ليلة، وأتفوه أنا، في المقابل، برموز الى عملائهم." وللحال عاجلتني بسؤال آخر فيما ضج المصورون والفنيون ضاحكين في الاستوديو.

وإلى ذلك، إذا أنت أكثرت الكلام فقد تخطىء القول. وأسوأ من ذلك انك تمنع الآخر من الكلام، وهذا خطأ فادح، لأن الذي يصغي جيدا يلتقط بعض المعلومات المفيدة التي يمكن استخدامها عنصرا مؤثرا في الحديث. وكما يقول المثل. "إن قل كلامك، كثر سامعوك."

لا تغضب.

قد تشعر أحيانا برغبة في صب جام غضبك على الشخص الآخر. تحاش ذلك. لانك لن تحصل على ما تريد إن فقدت السيطرة على نفسك، والارجح انك ستطلق أحكاماً خاطئة.

قد يحدث بعض الصدامات خلال المفاوضات. ولا يتطلب الأمر في معظم الأحيان سوى مزيد من المرونة والتفكير الخلاق للمضي في طريق الاتفاق. وقد يكون جل ما نحتاج اليه دعوة من نوع: "لنفكر ملياً في هذا الموضوع ونعُدْ الى اللقاء غداً."

لكن مشاعر الاحباط تعترضنا أحيانا فترتفع حدة الغضب ويصبح التفاوض مهدداً بالانهيار. في هذه الحال أرى من

المجدي قيام مبادرة تعيد احياء حس بالتقدم، فأسأل نفسي: "هل هنالك مسألة جانبية أخرى لم تناقش بعد؟" باظهارك القدرة على الموافقة على نقطة ثانوية، يمكنك غالبا مقاربة النقطة الأساسية بنظرة متجددة.

اسع الى التفاوض وأنت في موقع قوة.

اذا كنت حققت لتوك رقما قياسيا في مبيعات الشركة التي تعمل فيها، أو ربحت جائزة ما، فلا تنتظر ريثما يلاحظ الآخرون ذلك، بل بادر الى طلب ما تريد لانك تكون اذذاك في موقع قادر.

أوفِ بتعهداتك.

التزم شروط الصفقة التي تعقدها، ولا تجعل كلماتك فارغة.

واذا أنت أظهرت استقامة وخلقا في كل معاملاتك، فسيلحظ الناس ذلك. وان بدلت مبادئك كما تبدل جواربك، فسيدرك الناس ذلك أيضاً. يمكنك أن تكون من الناجحين أبدا ان أنت كسبت ثقة الناس. وكن على يقين أن في وسعك أن تكون مفاوضا ناجحا حازما ذكيا، من غير أن تحيد عن الطريق السوي.

لم أعقد صفقة الا وشعرت أنه كان في مستطاعي كسب مقدار أكبر من المال أو الحصول على كسب اضافي. وهذا شعور طبيعي، فلا أحد يحصل على "القرش الأخير." والواقع أن ترك شيء على طاولة المفاوضات هو أحد الفنون التفاوضية الناجحة، لأنه يظهر عدم طمع ويُقابل دائماً بالتقدير.

قبل سنوات، عندما كانت ابنتاي صغيرتين، دار بينهما نقاش حاد. فطلبت منهما أن تتصالحا وتتبادلا القبل. ثم جاءت إلي احداهما محاولة استعادة رضاي قائلة: "أبي. أنا أحبك وسع الدنيا كلها."

قلت لها: "هذا جميل. وكم تحبين أختك؟"

لاحظت على وجهها ملامح تفكير عميق. وأخيراً أجابت: "أحبها وسع الحي كله."

أبهجني جوابها. كانت تلك طريقتها في ترك شيء على الطاولة.

بوب ولف ■

بين الجحيم والنعيم

خلال لقائنا الاسبوعي للبحث في سبل خفض الوزن، تحدثت احدى الزميلات عن مشقات ضبط الشهية، فقالت: "الاغراءات تطوقنا. انظروا الى كل هذه المطاعم التي تعرض البيتزا والدجاج والحلوى والمثلجات." ثم ختمت سائلة، وهي تطرق المنبر بيدها: "فماذا تدعون ذلك؟"

فأجابها صوت من عمق القاعة: "النعيم!"

م.م.



- الاولاد مرساة تشدّ الأم الى الحياة.

سوفوكليس. كاتب مسرحي يوناني (٤٩٦ - ٤٠٦ قبل الميلاد)

- لولا المكتبات لما كان لدينا ماض ولا مستقبل.

راي برادبري. كاتب روايات علمية - خرافية

- اللطف هو محبة البشر أكثر مما يستحقون.

ج.ج.

- يرى بعض الناس في المؤسسات الفردية نمراً مفترساً ينبغي إرداؤه. ويرى فيها آخرون بقرة تدرّ الحليب. قلة من البشر تراها كما هي تماماً، حصاناً قوياً يجرّ العربة بكاملها.

ونستون تشرشل، رئيس وزراء بريطاني راحل (١٨٧٤ - ١٩٦٥)

- التصورات المستبقة أقفال على أبواب الحكمة.

م.ب.

- انجاز المستحيل يعني أن رب العمل سيضيفه الى واجباتك العادية.

د.ل.

- الجمال الذي أرغب فيه حقاً هو ذلك النوع الصعب الآتي من الداخل، أي القوة والشجاعة والكرامة.

روبي دي، ممثلة أمريكية

- قل الحقيقة وعجِّل بالرحيل.

مثل سلوفيني

- الربيع هو أسلوب الطبيعة في الاحتفال.

روبن وليمس، ممثل كوميدي امريكي

Reader's Digest

المختار

السنة الثالثة عشرة
سلسلة جديدة

اغسطس (اب) ١٩٩١
محرم ١٤١٢

مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

اخرجوا المدخنين من حياتكم

في ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩٨٧ اتصلت مارغريت غراي، وهي مزخرفة في الستين من عمرها، بطبيبها تشكو من سعال مزعج فوصف لها دواء للسعال لم يُجدِها. وبعد أسابيع اقترح عليها الطبيب أن تجري فحصا لصدرها بالاشعة السينية، وجاءت نتيجة التقرير صدمة لها اذ تبين أنها مصابة بسرطان الرئة.

تقول مارغريت: "لم ادخن سيجارة واحدة في حياتي." لكن زوجها ادوارد كان يدخن علبة ونصف علبة على الاقل يومياً، طوال ٤٠ سنة من زواجهما.

الواقع ان مارغريت كانت تتنشق. معظم حياتها، مقدارا من الدخان.

بعد فترة قصيرة من تشخيص مرضها، خضعت مارغريت لجراحة استؤصلت فيها رئتها اليسرى. ويقول طبيبها الدكتور ديفيد كار الاختصاصي بعلم الأورام: "ما من أحد يمكنه أن يحدد جازماً الاسباب التي أدّت الى اصابة مارغريت بالسرطان. ولكن استنادا الى ما اكتشفه العلم حديثا حول تاثيرات تنشق دخان السجائر، يمكنني القول إن هذا، على الأرجح، هو المسبب الفعلي."

برزت أدلة جديدة في الأشهر الاخيرة على أن ضرر التدخين اللاإرادي، من طريق الآخرين، يفوق كل تصور. في العام ١٩٩٠، بعد تحليل ٢٤ مشروعاً للأبحاث في ثمانية بلدان مختلفة أعلن الاختصاصيون في الوكالة الامريكية لحماية البيئة أن دخان السجائر المنفوث هو "مادة مسرطنة من الفئة أ" أي انها، بلا ريب، تسبب السرطان لبني البشر. وجاء في التقرير الاولي للوكالة أن آلوفا من غير المدخنين يقضون سنويا بسرطان الرئة وأن آلوفا آخرين - معظمهم من الاولاد - يصابون بجملة علل لم يكن ليعزوها معظمنا الى التدخين، وذلك نتيجة تلوث البيئة بدخان التبغ. وقد خلص بحث حديث الى أن ثمة رابطا بين "دخان التبغ البيئي"[١] وامراض القلب وسرطان عنق الرحم وسرطان الجيوب الانفية.

من الواضح أن هذه المسألة ليست مجرد مشكلة صغيرة. ففي أوروبا، يستهلك نحو ثلث الذين تجاوزوا السن الخامسة عشرة ما يزيد على مليارين ونصف مليار سيجارة يوميا، الامر الذي يكره ملايين من "المدخنين اللاطوعيين" على تنشق الدخان أينما وجدوا، في المكاتب والمخازن التجارية والمعامل والمدارس والمنازل والمستشفيات.

انها لمشكلة لا يستهان بها في الولايات المتحدة أيضا، حيث يدخن نحو ٥٠ مليون شخص مليارا ونصف مليار من السجائر يوميا في الاماكن العامة والخاصة، فيرغمون آكثر من مليون شخص من "المدخنين اللاطوعيين" على تنشق نفثات دخانهم.

العناصر السامة. ان دخان السجائر هو في الواقع هباء (أيروسول)[٢] معلَّق في الهواء، مثل المواد التي تُرش لإبادة الحشرات أو لازالة الروائح الكريهة في الغرف. وهو مكوّن من جسيمات غير مرئية ممتزجة مع غاز. ويحتوي هذا المزيج القاتل على قرابة ٤٠٠٠ مركب كيميائي بينها ٤٣ مركبا تُعرف بالمسرطنات.[٣]

وينشق غير المدخنين، مرغمين، نوعين مختلفين من الدخان. يدعى الاول "الدخان السائد"[٤] وهو الذي تنفثه الرئتان، ويسمى الثاني "الدخان الجانبي"[٥] وهو الذي ينبعث من رأس السيجارة المشتعل.

يعتبر معظم العلماء أن الدخان الجانبي أشد خطرا على غير المدخنين من الدخان السائد الذي يصفّى عبر رئتي شخص آخر. (في امكانكم أن تتبينوا الفرق. فلون الدخان المنساب متموجاً من سيجارة مشتعلة رمادي ضارب الى الزرقة، اما لون الدخان الذي ينفثه المدخن فباهت ضارب الى الصفرة.) الى ذلك، لا يتولد الدخان المنفوث عبر الرئتين الا متى أطلق المدخن مجّاته، ويكون عدد

(١) Environmental tobacco smoke
(٢) Aerosol
(٣) المسرطنات (carcinogens) مواد تسبب السرطان.
(٤) Main-stream smoke
(٥) Side-stream smoke

هذه في حدود العشر بالسيجارة الواحدة، في حين أن الدخان الجانبي لا يتوقف عن الانبعاث ما بين خمس دقائق وعشر يستغرقها اشتعال السيجارة، فضلاً عن ان كميات كبيرة من المواد السامة تبقى منتشرة في المكان ساعات.

من العناصر السامة في الدخان المنبعث من اشتعال السيجارة اول أوكسيد الكربون وهو الغاز الذي ينفثه عادم السيارة أيضا، وسيانيد الهيدروجين وهي المادة الكيميائية التي تستخدم في اعدام المجرمين، والفورمالديهايد وهو سائل يستخدم للتحنيط، والنيكوتين وهو مبيد قاتل للحشرات.

ورجَّحت دراسة حديثة قدمها في جامعة هارفرد الفيزيائي جايمس ريبايس، أن احتمال اصابة غير المدخن بالسرطان نتيجة تعرضه لدخان التبغ البيئي، هو أكبر من احتمال اصابته بهذا الداء نتيجة كل الاسباب الأخرى المتصلة بالملوثات الخطرة في الهواء الطلق التي حدَّدتها "وكالة حماية البيئة" بما فيها الأسبستوس والزرنيخ والاشعاع.

دلَّت المقاييس الدقيقة على وجود مقادير مذهلة من المواد الكيميائية السامة والمسبّبة للسرطان، في دخان التبغ البيئي الذي ينفثه المدخنون في كل مكان، في المطاعم والمقاهي والملاعب والمخازن التجارية الكبرى وقاعات المؤتمرات.

ظل أركان صناعة التبغ لسنوات يصرون على أن تلك المواد الكيميائية لا تغزو أجسام الذين لا يتعاطون التدخين



بمقادير تؤثر في صحتهم. لكن الادلّة العلمية الحديثة نقضت ادعاءاتهم.

يتحول نيكوتين دخان التبغ البيئي الذي يتنشقه غير المدخنين الى كوتينين، المادة الكيميائية التي يسهل قياس نسبتها في الدم والبول. وتظهر مثل هذه القياسات أن معظمنا ينشق دخان السجائر، سواء أدركنا ذلك أو لم ندركه. وقد بيّنت دراسة أجريت في بفالو بولاية نيويورك على عينة من ٦٦٣ شخصا غير مدخنين، وجود كوتينين في البول لدى ٩١ في المئة منهم.

ولم يفُتْ ذلك التثّبت العلمي الشركات المصنعة للسجائر. وبعد سنوات من انكار حقيقة أن دخان التبغ البيئي لا يشكل خطرا، عمد صانعو السجائر الى حض المدخنين على سؤال المحيطين بهم، بلطف وكياسة: "هل أسبب لكم ازعاجا اذا دخّنت سيجارة؟"

واستنادا الى أحدث الدراسات، يجدر أن يطرح السؤال على النحو الآتي: "هل تمانعون في أن أنقل اليكم السرطان؟"

اساءة الى الاولاد. ان تفادي دخان السجائر البيئي ليس بالامر السهل كما اعتاد الناس الاعتقاد. فعملية فصل المدخنين عن غير المدخنين لا يمكن أن تنجح، لأن أجهزة التهوئة في المستشفيات والمكاتب والمدارس والمباني العامة قد تحمل جسيمات الدخان الخطر بعيدا عن مصادرها، الى أماكن حيث لا أحد يدخن. وقد أثبت ذلك تحليل الهواء في حجرات المسافرين في الطائرات التجارية. حتى ان مستويات النيكوتين في بعض الاقسام المخصصة بغير المدخنين كانت في الواقع أعلى منها في الاقسام التي يسمح التدخين فيها.

ولئن بدا صعبا على البالغين حماية أنفسهم من دخان التبغ البيئي، فان هذا الامر شبه مستحيل بالنسبة الى الاولاد. فثمة تسعة ملايين ولد أمريكي دون الخامسة من عمرهم يعيشون في منازل تضم مدخنا واحدا على الاقل، حيث يتنشقون دخان التبغ البيئي معظم فترات النهار. ولا قدرة لجهازي المناعة والتنفس غير المكتملين لديهم على اتقاء الغازات الضارّة.

وبحسب وزارة الصحة في الولايات المتحدة، يمضي أطفال المدخنين في عامهم الاول مُددا في المستشفيات لاصابتهم بالالتهاب الشعبي (برونشيت) وذات الرئة (نومونيا) أكثر من أترابهم أطفال غير المدخنين. وهم يصابون أكثر من هؤلاء بالتهاب الرغامى (القصبة الهوائية) والحنجرة والاذن الوسطى وبالسعال المزمن والربو.

ولا تنتهي آثار العلل التي يبتلى بها الأولاد بسبب دخان التبغ البيئي بعد أن يتخطوا مرحلة الطفولة. فبحسب دراسة أجراها دوايت يانريك، أستاذ علم الاوبئة في كلية الطب بجامعة ييل، تبين أن الاولاد الذين يتنشقون دخان التبغ معرضون للاصابة بسرطان الرئة بعد سن الرشد، أكثر بضعفين من أقرانهم الذين

ينشأون في بيئة خالية من الدخان. ويتعاظم الخطر على الولد خصوصا حين يتعاطى التدخين أكثر من شخص واحد في المنزل.

اظهرت دراسة رعاها المجلس البريطاني للأبحاث الطبية عام ١٩٨٧ ان الفتيات اللواتي تراوح أعمارهن بين الحادية عشرة والسادسة عشرة ويعشن في منازل يتعاطى فيها الوالدان التدخين، يتنشقن سنوياً ما يعادل الدخان المنبعث من ١٥٠ سيجارة.

"تكون الانسجة النامية أكثر تأثرا بالمسرطنات من الانسجة المكتملة النمو،" كما يقول الدكتور وليم كاهان المتخصص بسرطان الرئة في مركز "ميموريال سلون - كيترينغ" للسرطان وأستاذ الجراحة الفخري في كلية الطب بجامعة كورنيل. وهو يحذر من أن "الاهل الذين يدخنون في حضور أولادهم يرتكبون جريمة ايذائهم جسدياً."

سم مشروع. انعكس الوعي العام لاخطار دخان التبغ البيئي في أحكام قضائية أخذت أخيراً، اذ ان القضاة في ولايات كاليفورنيا ونيويورك ولويزيانا وماريلاند، لدى اصدارهم أحكاماً تتعلق بالوصاية على الاولاد، أخذوا في الاعتبار الاخطار الناجمة عن التدخين. وتفرض حالياً قيود على التدخين في الاماكن العامة في ٤٥ ولاية وفي مقاطعة كولومبيا (حيث العاصمة واشنطن) وفي أكثر من ٤٨٠ مدينة ومقاطعة. أما الاشتراع الأشمل فكان الحظر الاتحادي اخيرا على التدخين اثناء الرحلات الجوية المحلية التي لا تستغرق أكثر من ست ساعات.

ان الحظر المفروض في الرحلات الجوية هو حدث نادر في ذاته، اذ نجد، في المقابل، أن حظر التدخين مستثنى من نصوص القوانين الاتحادية التي تنظم تعاطي المنتجات الاستهلاكية والمواد السامة والعقاقير. وتنص قوانين الولايات المتحدة على منع انتشار السموم في البيئة، ويعتبر حرق أوراق النبات والنفايات في معظم التجمعات السكنية عملا مخالفاً للقانون، بينما نجد أن القانون، في المجموعات ذاتها، لا يزال يجيز للمدخنين أن يشعلوا سجائرهم الضارة ساعة يشاؤون.

يقول الدكتور رونالد ديفيس مدير مكتب الصحة والتدخين في وزارة الخدمات الصحية والانسانية: "ليس هناك ما يسمّى "حق" التدخين. وأي "حق" مفترض ينتهي حيث يبدأ أنف شخص لا يدخن."

"لوبي" السجائر. تضاعفت الاجراءات الهادفة الى حماية حقوق غير المدخنين بازدياد توافر الادلة العلمية على أخطار دخان التبغ البيئي. فكل بلد في أوروبا يفرض الآن عدداً من القيود على التدخين في الاماكن العامة، وإن تبايَنَ نطاق هذه القيود الى حد كبير. وعززت المجموعة الأوروبية هذه الاجراءات عام ١٩٨٩ باصدار قرار يدعو

الدول الاعضاء الى آخذ اجراءات لمنع التدخين في الاماكن العامة المغلقة، وخصوصا في وسائل النقل، والى توفير أقسام خالية من الدخان حيث لا يزال التدخين مسموحا به.

يحظى مثل هذه الاجراءات بتأييد شعبي قوي، وأظهر استطلاع أجري في دول المجموعة الاوروبية أن ٧٦ في المئة من السكان يؤيدونها. لكن صناعة التبغ، القوة الرئيسية التي تعارض فرض قيود على التدخين، نافذة وغنية.

وتقول الدكتورة أنّا كاراأوغلو نائبة مدير "المكتب الاوروبي للعمل على منع التدخين" ومقره بروكسل: "ان لوبي[٦] منتجي التبغ يعارض بقوة وضع قيود على التدخين، سواء على مستوى المجموعة الاوروبية كلا او في أي من الدول الاعضاء."

وقد برزت قوة هذا اللوبي في العام ١٩٩٠ على أثر اعلان شركة الخطوط الجوية الالمانية "لوفتهانزا" انها تنوي حظر التدخين في رحلاتها المحلية. ومع أن هذه الرحلات لا تستغرق، عادة، اكثر من ساعة واحدة، فقد كشف بيتر هوبل الناطق باسم "لوفتهانزا" أن "لوبي المدخنين مارس ضغوطا هائلة جعلتنا نخشى حصول مواجهات على متن الطائرات." وكان أن ألغي الحظر المقترح في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠، علما أن استطلاعا خاصا أجرته الشركة أظهر أن ٧٩ في المئة من الركاب، المدخنين وغير المدخنين على السواء، أبدوا تأييدهم لهذا الحظر. يقول الدكتور جون روبرتس المدير الاقليمي في اوروبا لبرنامج "التبغ أو الصحة" الذي ترعاه منظمة الصحة العالمية: "ان لوبي منتجي السجائر قوي في ألمانيا، في حين أن لوبي الصحة ضعيف."

ثمة قوانين سارية في البلدان الاوروبية تحظر انتشار المواد الضارة بالصحة في البيئة. ويحظر القانون رمي زيوت المحركات في أي مكان يشوه البيئة، أو افراغ السيانيد في خزان عام أو في مجاري المياه، ولكن لا يزال المدخنون في أوروبا يتمتعون قانونا بحق اشعال السجائر المؤذية كما يشاؤون.

ويحضّ قرار المجموعة الاوروبية الداعي الى حظر التدخين، على أن يتقدم حقُّ غير المدخنين في حماية صحتهم حقَّ المدخنين في التدخين.

تكلموا ولا تخافوا. ماذا تستطيعون أن تفعلوا لحماية أنفسكم وحماية عائلاتكم؟

ريجينا كارلسون المديرة التنفيذية لـ"جماعة محاربة تلوث التدخين" في نيوجرزي، وهي مجموعة عمل تضم ٣٠٠٠ عضو من المواطنين، تبدأ حملتها على دخان التبغ البيئي عند باب منزلها حيث تنتصب لافتة كتبت فيها: "أهلا وسهلا بكم في منزل آخر خال من دخان السجائر!" وتقول موضحة أسباب وضع

---

(٦) اللوبي (lobby) جماعة ضغط تحاول التأثير في أعضاء هيئة اشتراعية وما اليها من الهيئات التقريرية.

اللافتة: "كثيرون من الزوار يبدون اعتراضا على دخان السجائر، ولا أنوي تعريضهم لمزيد من أضرار هذا الدخان."

حين تجد كارلسون نفسها جالسة الى جانب أحد المدخنين، تقول له بتهذيب: "المعذرة، ان دخان السجائر يمرضني." فيبادر المدخن عادة الى اطفاء سيجارته.

وتقول كارلسون: "لهذا السلوك أثر ايجابي، اذ يتشجع غير المدخنين، وقد ادركوا مدى سهولة الامر، فيبادرون هم أنفسهم الى الالتماس في المرة المقبلة."

ان التشجيع ضروري بالتأكيد. ودلت دراسة وضعتها الحكومة الامريكية على أن ثمة أقل من واحد من ٢٥ من غير المدخنين يتحلّى بالشجاعة فيطلب من مدخن عدم التدخين.

وبالنسبة الى المشاكل التي يثيرها وجود مدخنين في مراكز العمل، تقترح كارلسون أن يرفع العاملون غير المدخنين أمرهم الى رب العمل ويشرحوا له أن تنشقهم دخان السجائر الضار يؤدي الى خفض انتاجيتهم. فاذا لم يلقوا استجابة أمكن الواحد منهم الحصول على تقرير طبي يثبت أن دخان السجائر في محيط عمله يهدد صحته. وقد يكون من الأجدى لفت الادارة الى أن العمل في جو نقي خال من الدخان سيؤدي الى زيادة القدرة الانتاجية وخفض تكاليف التأمين والطبابة.

اذا كان أحد الزوجين مدخنا، فليطلعه الآخر على هذه المقالة ويشرح له أنه يرغب، بدافع المحبة، في آن يعيشا طويلا وينعما معا بالصحة وبحياة راغدة هانئة.

واذا أعوزكم الحافز فاستشهدوا بما قالته مارغريت غراي التي عاودها السرطان بعد شفائها منه، للازواج والزوجات المدخنين: "ان التدخين خال من أي إثارة أو إغراء. توقفوا عن التدخين للحال. انكم لا تقتلون أنفسكم فحسب،.. انما دخان سجائركم يقتل الاشخاص الذين تحبون."

د. ديفيد روبن ■



للكلاب فقط

في منتجعي بياريتز وسيت على الشاطئ الفرنسي افتتحت مراحيض حديثة للكلاب اعتمدت فيها ابتكارات التكنولوجيا المتقدمة.

فبعد تدريب قصير يُلفت انتباه الكلاب الى هذه المراحيض بواسطة أصوات ذات توتر عال. وحين تقترب من المكان ترشّ أداة خاصة عطراً يجتذب الكلاب الى الداخل. ولكل مرحاض سجادة خصوصية، حالما ينزل عنها الكلب تشغّل أداة أوتوماتيكية تعمل بالرادار، فترشّ السجادة وتنظفها.

صحيفة "ديلي اكسبرس"، لندن

في كل حرب تسقط أسلحة وتعلو أسلحة

باتريوت سَهمٌ فوق

دغشة صباح ١٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٩١، انطلق صاروخ "سكود" عراقي عالياً فوق الصحراء السعودية مستهدفاً مركز القوات المتحالفة ضد الرئيس العراقي صدام حسين. لقد أثبت صاروخ "سكود" السوفييتي الصنع، خلال الحرب العراقية - الايرانية، انه السلاح العراقي الاكثر إرعاباً للايرانيين. لكن الطاقم الذي أطلق هذا الصاروخ لم يحقق كسباً. فقد رُصد الصاروخ بالضوء الكشاف غير المرئي لرادار أمريكي، وللحال اندفع لملاقاته صاروخ طوله خمسة امتار يدعى "باتريوت."

الواقع انه كلما بات صاروخ "سكود" أقرب واندفاعه أسرع صار تدميره أكثر حتمية. وعلى ارتفاع خمسة كيلومترات عن سطح الارض استقبل الـ "باتريوت" خصمه بكرة نار برتقالية هائلة، وهُزم السلاح المتفوق لصدام حسين.

يتمتع دونالد بانكس الذي يقارب السن السبعين، بحياة تقاعد هادئة مع زوجته في منزل يرتاح عند ضفة بحيرة وينيبيسوكي في ولاية نيو هامشير الامريكية. غير أن تدمير الصاروخ العراقي الأول من طراز "سكود" في سماء السعودية جعل بانكس ينعم بلحظات من الرضا الشخصي العارم، ذلك لان قدرته الابداعية تبقى وحدها وراء الدقة المذهلة لـ "باتريوت" في اعتراض الهدف، وان يكن الصاروخ نتاج مجموعة كبيرة من النظريات الفذة لفرق من المهندسين.

قلة معدودة هي التي كانت تعرف هذه القصة. فلم يسبق لبانكس ان تحدث عن دوره في تطوير صاروخ "باتريوت" لايصاله الى هذه القدرة الرائعة على اعتراض الاهداف، وذلك التزاما منه للقسم الذي يؤديه عندما يعمل على

وس "عاصفة الصّحراء"

مشاريع دفاعية سرية. ومع ذلك فان اسمه مسجل على براءة اختراع مؤرخة ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٣ ومحفوظة في الملفات السرية في واشنطن، وتتعلق بـ"نظام توجيه بسرعة صاروخ يتضمن جهازاً لابطال المدى"[١]، وهذا هو المبدأ العلمي خلف نظام التوجيه الثوري المعروف بـ"اقتفاء الأثر بواسطة صاروخ"[٢] والمستخدم في صاروخ "باتريوت."

خلف المظهر البارد للهيكل الفولاذي لصاروخ "باتريوت" والقرقعة التي يحدثها، كذلك دقته الفنية، يقف أناس مفعمون بالافكار والتفاني والايمان، أمثال دون بانكس.

السمكري. في العام ١٩٢٢ انتقل والدا دون، المهاجران الاسكوتلنديان، من وينيبغ في كندا الى شيكاغو. وكان دون لم يكمل عامه الاول بعد. وهو دأب منذ حداثته على "اصلاح الاشياء." وحوَّل الطبقة السفلى لمنزل العائلة مشغلاً سرعان ما ضاق بأجهزة راديو وقطع غيار مهملة. وهو صمم، مستعيناً بمعلومات استقاها من مجلات علمية، جهازاً صغيراً لتضخيم الصوت في شكل أنبوب خوائي[٣] لتحسين قدرة الاستقبال في جهاز الراديو القديم الذي تملكه العائلة. ومذذاك لم يفارقه افتتانه بالكهرباء والراديو.

عمل بانكس بعد تخرجه في المدرسة الثانوية في شركة صغيرة تنتج مكبرات صوت خاصة بأجهزة الراديو. ثم التحق بجامعة نورث وسترن في ايفانستون بولاية ايلينوي لدراسة الهندسة الكهربائية. لكن الهجوم الياباني على القاعدة البحرية الامريكية في بيرل هاربور بجزر هاواي في ٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤١ والذي عجل دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية، عرقل دراسته. وعندما توقف تدريب الطيارين بسبب تفشي الحمى القرمزية، أوفدته البحرية الامريكية الى معهد مساتشوستس للتكنولوجيا لدرس مبادىء الرادار وآليَّته وتقنية اصلاحه. تزوج فتاة من مساتشوستس، وعندما انتهت الحرب أكمل دراسته في نورث وسترن.

قاده بحثه عن عمل في العام ١٩٥٣

---

(١) Guidance system with missile speed and range — canceling apparatus

(٢) Track — via — missile guidance

(٣) Vacuum — tube amplifier

الى مصنع قديم للنسيج على ضفة نهر في والثام بولاية مساتشوستس، حُوِّل مبناه الى ما عُرف بـ"المختبر الرقم ١٦" مقر أبحاث الانظمة الصاروخية في شركة "ريثيون." ووظف بانكس مهندساً متدرجاً.

انسجم بانكس في جو العمل، وأحس من فوره أنه بين أهله مع نظراء يشاركونه في فضوله الذي لا يشبع وافتتانه بحل المشكلات المستعصية. وهو تقاسم وزملاءه المهندسين العمل واللهو، يخربشون معادلات على ألواح خشب او على مناديل ورقية، وفي نهاية كل يوم يتداولون افتراضاتهم العلمية بلا قيود.

أسئلة حرجة. بزغ فجر الحرب الباردة مع الاتحاد السوفييتي وعصر الصواريخ الموجهة. وأجرى الجيش الامريكي في الصحاري الغربية تجارب على صواريخ «V2» الالمانية التي أمطرت مدينتي لندن وأنفير رعباً ودماراً في الاشهر الاخيرة للحرب العالمية الثانية. وتبادر السؤال: هل يمكن بناء نظام دفاعي ضد مثل هذه الاسلحة؟ وكانت وزارة الدفاع الامريكية (البنتاغون) توزع عقوداً على الشركات في محاولة لايجاد الجواب.

وسرعان ما ألفى بانكس نفسه، مثل ألوف المهندسين الشباب في امريكا، غارقاً في لعبة شطرنج تقنية سرية وخطيرة. وبدأت أجواء التفكير الجامعي المتحرر بقسم الابحاث الصاروخية في "ريثيون" اعطاء مردودات غنية: في نهاية العام ١٩٥٦ طورت الشركة صاروخاً مضاداً للطائرات. وفي العام ١٩٥٩ أذهل فنيو "ريثيون" في وايت ساندز بولاية نيومكسيكو، الجيش باطلاق نموذج عادي من صاروخ "هوك" سجل اصابة مباشرة في صاروخ تكتيكي ذاتي الدفع[٤] في اثناء طيرانه. (لا يزال صاروخ "هوك"، بنماذجه الخاضعة لتحسينات مستمرة، العمود الفقري لانظمة الدفاع الجوي في كثير من البلدان.)

لكن تفكير بانكس كان منصباً على الدبابات – ألوف الدبابات السوفييتية. كان الجيش يرغب في تحديد مواقعها و"قتلها" من مسافات بعيدة في كل الاحوال الجوية، وفي الظلام او من خلف لبد دخان المعارك. وكرّس بانكس وقته لفكرة تطوير صاروخ مضاد للدبابات موجه بواسطة الرادار، وهو تصوَّر امكان تركيز رادارات في مواقع بعيدة تتولى توجيه صواريخ ضد الدبابات، وذلك قبل وقت طويل من شيوع تعبير "ميدان المعركة الالكتروني."[٥]

كان بانكس يدرك صعوبة اكتشاف الرادار عربة مدرعة معينة وسط غابة من الاجسام المتحركة على أرض المعركة. لكن نواة نظرية تشكلت في ذهنه اذ راح يتوسل السؤال العظيم الذي لا يني يطرح نفسه مبدأً للمبتكر: ماذا يحصل اذا...؟ لعلّه ليس ضرورياً أن ترتد موجات الراديو الى هوائي الرادار؟ ماذا يحصل اذا ارتد

(٤) Tactical ballistic missile
(٥) Electronic battlefield

بعض هذه الموجات الى جهاز استقبال في مقدم الصاروخ نفسه، ثم أرسل ثانية الى الهوائي الارضي؟ في هذه الحال سيندفع الصاروخ نحو الدبابة، وكلما اقترب منها اكثر صارت الاشارة أقوى، متيحة "صورة" أوضح للهدف. وفي النهاية تتجمع لدى الصاروخ كمية هائلة من المعلومات الدقيقة تمكنه من اعتراض الهدف بنفسه - نظرياً على الاقل.

عمد بانكس الى تجميع جهاز رادار وبعض معدات توجيه وثبتها داخل طائرة مقاتلة من طراز "دوغلاس F3D" قامت مقام صاروخ موجه يلاحق دبابة متحركة رصدها رادار ارضي. وعمل فريق بانكس على تحسين النظام الجديد وتنقيته حتى اصبح قادرا على التقاط الهدف واقتفائه.

تقدم بانكس بطلب تسجيل براءة اختراعه هذا، واصبح الجهاز جزءا من "جعبة الخدع" السرية لدى "ريثيون" في انتظار الموعد المناسب لاستخدامه.

الطبق الرئيسي. كان الجيش الامريكي مهتما بتطوير نظام دفاع جوي متحرك يحمل الى ارض المعركة راداراته وأجهزة الكمبيوتر ومولدات الطاقة ومنصات اطلاق الصواريخ الخاصة به. وسمي هذا النظام "سام - د."[٦]

أنفقت "ريثيون"، في ادارة مهندس لامع يدعى فلويد ويمبرلي، جزءا كبيرا من موازنتها على تصميم نظام كهذا يتضمن جهاز رادار يتولى عملية "التنظيم المرحل" وصاروخا قادرا على بلوغ



دونالد بانكس

سرعة الصوت فور انطلاقه. ولفت ويمبرلي أمر أخر أثناء بحثه في محفوظات الشركة: نظام التوجيه الذي صمّمه بانكس.

"ما لنا وللدبابات!" أدرك ويمبرلي سريعا القدرة الكامنة للنظام في مجال اعتراض الطائرات، لانه يتناول صاروخا أخف وأقل كلفة ويتمتع باستجابة أسرع للخطر، كما يمكن اجراء الحسابات النهائية لعملية الاعتراض داخل الصاروخ الذي يتلقى معلومات رادارية من الهدف تزداد تفصيلا مع اقترابه منه. أما التحفة الرئيسية فهي أن نظام بانكس

---

(٦) SAM-D من الاحرف الاولى في عبارة Surface-to-air missile-development التي تعني "تطوير صاروخ ارض جو"

للتوجيه يتسلّم، في الثواني العشر الاخيرة، مسؤولية اعتراض الهدف.

قرر ويمبرلي اعتماد فكرة "التوجيه عبر صاروخ" في مشروع "ريثيون" لتطوير نظام "سام - د."

وعندما حان الوقت لتختار المؤسسة العسكرية بين العروض المقترحة، فازت "ريثيون" بالمشروع على اثنتين من كبرى الشركات تعملان في حقل الانظمة الدفاعية: مؤسسة "هيوز" وشركة «RCA». لكن موظفين كباراً ومسؤولين في البنتاغون تدخلوا وأعاقوا المشروع لانهم استغربوا النظام المطروح، وخصوصاً آلية التوجيه عبر صاروخ "المعرضة لاعطال محتملة" وكان من نتيجة الجدل العقيم داخل بيروقراطية وزارة الدفاع أن أخضع مشروع "سام - د" لعملية "تطوير متقدم" استغرقت ست سنوات.

أخذ الكونغرس على "سام - د" انه برنامج عالي الكلفة وعديم الفائدة في النتيجة. وفي تقرير استند اليه السناتور جورج مكغفرن خلال جلسة مناقشة في العام ١٩٧٣، وصف الصاروخ "سام - د" بأنه "نظام معقد ذو فائدة هامشية." وقاد السناتور بيرش بايه حملة لسحب مخصصات تمويل المشروع. ثم أتت الضربة القاصمة في العام ١٩٧٤ عندما أمر وزير الدفاع جايمس شليزنغر بخفض نفقات المشروع وطلب اخضاع النظام الصاروخي لاختبارات صارمة وفي ظروف متغيرة.

فبات مصير الصاروخ "سام - د" رهنا بالقدرة العملية لاختراع بانكس.

اجريت التجارب في وايت ساندز تحت شمس الصحراء اللاذعة، في فصلي الربيع والصيف عام ١٩٧٥. ولبى صاروخ "ريثيون" كل متطلبات وزارة الدفاع بعدما نجح في تسجيل ست اصابات مباشرة متتالية بينها واحدة رائعة اسقط فيها طائرة من دون طيار حاولت الانحراف بحدة في مناورة للافلات. وأبلغ مسؤولون في البنتاغون الى مجلة "أفييشن ويك أند سبايس تكنولوجي" ان هذا هو "النظام الصاروخي المضاد للطائرات الانجح يُختبر اطلاقاً." وهكذا ثبتت فاعلية آلية التوجيه عبر صاروخ (وبقية اجهزة النظام) على نحو لا يقبل الشك. وفي أغسطس (آب) ١٩٧٦ عاد العمل ناشطاً في تطوير "سام - د" الذي عدِّلت تسميته فبات يدعى "باتريوت."

نقّاد مشككون. لم تنته مصاعب البرنامج. ففي عهد الرئيس جيمي كارتر حددت كمية الانتاج، كما أبطأت البرنامج أخطاء في تصنيع أجزاء الصاروخ. ولكن بحلول العام ١٩٨٥ باتت بطاريات صواريخ "باتريوت" التي نصبت في أوروبا قوية وصلبة وسهلة الاستخدام... وأهلا للثقة.

وفي العام ١٩٨٥ تسلَّم العقيد لاري ر. كابس (هو الآن برتبة عميد ويشغل منصب مساعد قائد سلاح الصواريخ في

الجيش الامريكي) ادارة برنامج "باتريوت." وهو كان شديد الثقة بالقدرات الكامنة للنظام فلم يتأخر في الالحاح على رفع هذه القدرات لاستخدامها في الدفاع ضد الطائرات والصواريخ التكتيكية الذاتية الدفع أيضاً. وتم ذلك على مرحلتين – دعيتا "باك ١" و"باك ٢"[٧] – عُدِّل خلالهما برنامج الكمبيوتر وصاعق التفجير والرأس الحربي. و"لكن..." كما يعتقد ويمبرلي، "الباتريوت هو أساساً كما تخيلناه للمرة الاولى."

ومع ذلك، ظل "باتريوت" عرضة للانتقادات داخل الكونغرس بحجة ارتفاع كلفته والشك في طبيعته التي لم تجرب بعد. وحاول الديموقراطيون في لجنة القوات المسلحة داخل مجلس الشيوخ خفض موازنة البرنامج غير مرة. وفي العام ١٩٨٧ ألغى مجلس النواب الامريكي المخصصات الملحوظة لرفع قدرة "الباتريوت" على اعتراض الصواريخ المهاجمة. وفي العام ١٩٨٨ خفضت مخصصاته الى خمسة ملايين دولار، من أصل ٢٩،٥ مليوناً، ولم ينقذ البرنامج الا اصرار مجلس الشيوخ على دعمه.

وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠ نشرت بطاريات من "باتريوت" معدَّلة في أنحاء المملكة العربية السعودية للدفاع عن القواعد الجوية ومنشآت أخرى. ولكن، قبيل بدء القوات الحليفة قصف بغداد، صرَّح نائب وزير الدفاع الامريكي لشؤون المشتريات روبرت كاستيلو، لصحيفة "لوس انجلس تايمز": "سيتبين لنا أن التفوق التقني الساحق ليس كذلك، أي كما يفترض أن يكون." ورأى كوستا تسيبس الخبير بشؤون الدفاع في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا: "أعتقد أننا سنتلقى مفاجآت غير سارة. فأسلحتنا شديدة التعقيد تقنياً، وستتعطل تكراراً في بيئة صحراوية قاسية."

كرة نار. "انذار! انذار! ضعوا الاقنعة الواقية من الغازات!" تردد هذا النداء عبر المخابىء المموّهة لكتيبة المدفعية الثانية (باتريوت) في الفوج السابع للدفاع الجوي في المملكة العربية السعودية. ولاحظ ملازمان ورقيب يتابعون شاشات الرادار في عربة مراقبة صغيرة، النقطة المتحركة بسرعة، وكان نظامهم جاهزاً، فانطلق صاروخ "باتريوت" من منصته محدثاً ارتجاجات وصوتاً هادراً.

وعلى سطح مبنى مجاور، شاهد فريق تلفزيوني من شبكة «ABC» الامريكية ما حدث بعد ذلك: اندفع "الباتريوت" كرة نارية الى السماء اخترقت جدار الصوت يرافقها دوي هائل وفجرت صاروخ "سكود" الآتي. للمرة الاولى في تاريخ الحروب يُعترض صاروخ ذاتي الدفع. وشاهد ملايين من سكان الارض الحدث مباشرة على شاشات التلفزة.

لم يكن دون بانكس بينهم، اذ كان يتمشى قرب منزله في نيو هامشير. الا

(٧) PAC 1 and PAC 2

أنه شاهد لاحقا شريطا متلفزا عن الحدث عرض في النشرة المسائية للاخبار. لم يتبادر الى ذهنه في تلك اللحظات جهد ٣٣ سنة عملا مع "ريثيون"، ولا ارثه السري من براءات الاختراع لأنظمة أسلحة مختلفة، بل فكر في مئات العلماء والمهندسين الذين ساهموا في انتاج "الباتريوت"، وفي المخططين العسكريين الذين وثقوا بقدراته وألوف العمال الذين جمّعوا عناصر لا تحصى من الاجهزة الالكترونية والمعدنية وأختبروها. قال في نفسه: "يا الهي! سيسعد هذا الحدث كثيرين!"

رالف كيني بينيت ■



صوت صغير

من دواعي البهجة في نفس المرء أن يرى كلماته مطبوعة، وأن يروّجها ليقرأها كل الناس، وأن يعلم أن بعضا منهم يقرأونها الآن فعلا بملء ارادتهم. فهذا لمما يثلج الصدر.

غير أني أدركت أن العالم لم يصبح أكثر مسالمة، على رغم نصائحي الكثيرة المفيدة فالحماقة غزيرة وسائدة، واللاكفاية رائجة، والاستقامة سقيمة، واللصوص كثر، والسلطة تفسد. وعظامي تئن في الصباح.

ومع ذلك فما زال الفضاء يشهد أمورا رائعة: أشكالا وألوانا وتحرّكات وتشكيلات غيوم ولوحات شمس شارقة وغاربة فيها من الروعة ما يحضني على انهاء كل يوم واقفاً على سطح البيت مصفقا وطالب المزيد. وعلى السطح سأصفق لأشكال الارض أيضا. البساتين الخضراء المنتشرة بتناسق بين الحقول السمر والسود، والهضاب المقفرة الطالعة من المنحدرات، والجدول الطويل المتلوي في قعر الوادي.

انني أستوعب بعضا مما أشاهد، ثم أنسى وأتعلم من جديد.

وأتعلم كذلك أن الموت هو قوام الحياة، وكم يُسرع العمر في رحلته بين الشباب والكهولة، وكم هي قصيرة هنيهة الابد.

حزين هو الوقوف فوق تلة ومشاهدة الانوار تنطفىء نوراً بعد نور. وكئيب أن تعرف أن الورقة بدأت تصفرّ قبل أن يصل اليراع الى أسفل الصفحة، ولا وقت كافيا لانهاء كل شيء: الاعمال اليومية، تربية الاولاد، الجلوس في الشرفة لمراقبة الطيور المارقة في دغشة الغسق، الاهداف الكبرى!

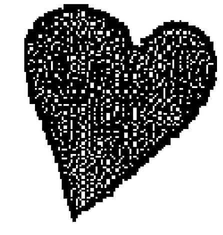
لكنّ ثمة أمرا مطمئنا حين ندرك أن الموت يعلمنا أننا لسنا معنيين بانقاذ العالم وحدنا، وبمنع الشمس من الهُويّ والكرة الارضية من التوقف عن الدوران.

ما نحن معنيون بفعله - وهذا رجائي - هو أن نملأ، موقتاً، شقّاً صغيراً ضيّقاً، أن نطلق ضوءاً صغيراً لبرهة قصيرة ثم نستريح.

أنا مرتاح الى ذلك، الى مفهوم كوني صوتاً صغيراً يلغو بلا تردد على حافة مرج في كوكب صغير، واحداً من أصوات كثيرة. ليس الأحكم ولا الأفضل، لكنه صوتي أنا.

جيروم لامب، صحافي أمريكي

طريق الحب



روائية تدل ولديها على طريق الحب الحقيقي

أنا كاتبة روايات عاطفية. بطلاتي جميلات وأبطالي مموهون بلمسة اسطورية وحبكاتي أضخم من الحقيقة.

يعتبرني بعض القراء خبيرة في شؤون الحب، لكن ابني وابنتي لا يطلبان مشورتي. وعندما أحاول نصحهما يقلبان أعينهما. فأنا بالنسبة اليهما أم رجعية وامرأة عادية لا تفهم نزعات عصرهما.

منذ بلوغهما سن المراهقة، يقضّ مضجعي بحثهما الشاق عن "الشخص المناسب." ثمة كثير من الامور أتمناها لهما، لكنني عاجزة عن توفيرها. أحياناً أتصورهما يطرحان علي هذا السؤال: "ماما، كيف أعثر على الحب الحقيقي؟" وهذا ما كنت لأقوله لهما:

اعرفا ان الحب حالة ذهنية وعاطفية.

الحب لا يرتكز على الجمال والقوة الجسدية والخلفيات الرومانسية التي استعملها في رواياتي. قد يبدأ الحب بالافتتان، الا أنه لا يلبث أن يتحول من الانجذاب الجسدي الى أعمق الروابط التي تشد شخصين.

للحب عندي معنى محدد. لنتكلم عن روبرت، والدكما وزوجي منذ ٢٣ عاماً. بالنسبة اليكما، علاقتنا الزوجية عادية جداً. أما بالنسبة الي فهي جوهر حياتي. انها علاقة لا تعدو الروايات العاطفية ان تكون مقدمة لها.

والدكما لا يقيم لي سهرات عشاء ولا يحيي لي أشهر عسل جديدة ولا يأتيني بالزهور، الا أنه يحرص على أن تكون سيارتي سليمة ومليئة بالوقود كي لا تخذلني. ينظف السجاد قبل زيارة جدتكما، ليس لأن الامر يهمه بل لعلمه أن الامر يهمني. ومع أنه لا يحب الحيوانات الاليفة فقد دفن هرتي عندما نفقت وتحمّلني وأنا أبكيها ثم شجعني على اقتناء هرة صغيرة. تذكرا أن الحب

الحقيقي، الطويل الامد، يأتي متخفيا بمهارة بحيث يسهل اغفاله.

❤❤ لا تقبلا بأقل من الالتزام الكامل.

شاهدت رجالا ونساء يعيشون "علاقة زوجية اختبارية." وهذا يشبه المنطق الذي يقول: "أقضم برتقالة لتكتشف ان كنت تشتهي تفاحة."

أعرف رجلا قضم برتقالة تلو أخرى لسنوات مدعيا أن النساء منهمكات في شؤونهن الذاتية ولا يستطعن التزام علاقة. لكنه فهم الامر معكوسا، اذ لا يمكن أحدا أن يستكشف أعماق قلب المرأة لمجرد الاختبار. الشريك هو العمود الذي نتكىء عليه والشخص الذي يظل يحبنا على رغم كل أخطائنا. والطريقة الوحيدة للحصول على شريك كهذا هي تنفيذ قفزة الثقة الرهيبة وتحولنا، نحن أيضا، ذلك النوع من الشريك.

❤❤❤ تحدثا في كل أمر الا الطلاق.

لم أكن محدثة لبقة حين التقيت والدكما. في طفولتي تعلمت أن من الافضل لي أن أبقى صامتة في حضور والدي القاسي الذي كان يحوِّل أي عبارة سلاحا فتاكا. لكن روبرت رفض أن يتقبل صمتي. وكانت تلك ايماءة أولى لحبه القوي.

اكتشفنا أن ثمة موضوعا واحدا ينبغي حظره في الاحاديث الزوجية، الا وهو الطلاق، إذ ان مجرد ذكره يضعه في حيز الممكن.

أنا ووالدكما تعلمنا هذا الدرس بطريقة صعبة. فخلال فترة عصيبة قبل سنوات وجدتني أقولها ببساطة: "ربما يجدر بنا أن نطلق." فرد روبرت: "نعم، ربما."

كيف توصَّلنا الى تلك النقطة؟ بمجرد الاتيان على ذكر تلك الكلمة في ساعات الغضب وبتمريرها هامشيا أثناء المناقشات.

يوم واجهنا خيار الطلاق لم نكن في حالة غضب عارم بل كنا سمحنا للطلاق تدريجا بأن يصبح خيارا حقيقيا في تفكيرنا. حينئذ تعاهدنا على ألا نأتي على ذكر تلك الكلمة في ما يخصنا. ولم ننقض هذه المعاهدة منذ ١٧ عاما.

❤❤❤❤ تمنيا الافضل لشريكيكما.

العلاقة الزوجية ليست تكبيلا للزوجين. فأحد أروع أمور الحب أنه يربط من دون أن يشلّ. تذكرا أن أصدقاءكما واهتماماتكما ونشاطاتكما لن تكون متطابقة تماما مع تلك التي تخص زوجيكما.

حين عاد والدكما الى الجامعة لتحصيل شهادة في التعليم كان ذلك يعني العودة الى البداية. لكنني أردته أن يتمم ما أراد. وحين قررت ترك الاسعاف الطبي لاصبح كاتبة شجعني.

محبتنا لشخص ما لا تعني أن أهدافنا

دائماً متطابقة. لكننا عندما نريد شيئاً فان الشريك يريده أيضاً من أجلنا.

♥♥♥♥♥ لا تفقدا أعصابكما معاً.

نادراً ما تكون الحياة طريقاً سهلا من التعاون. عندما يغضب المرء وينتاب القلق شريكه، قد يصبح أحد الزوجين بغيضاً. ولكن لا يحق للشريكين أن يفقدا أعصابهما في آن. على أحدهما أن يتصرف بنضج.

كونا حذرين، فأحيانا تستمر نوبات الغضب مدة طويلة، ربما أياما أو أسابيع أو أشهرا.

انتابتني احدى نوبات الجنون هذه في السبعينات عندما بدأت قراءة كتب ومقالات حول "العودة الى الارض." فأخذت أطلق نظريات مشوشة عن جمال الطبيعة مقارنة ببشاعة المدنية الحديثة، الى أن وافق والدكما على الانتقال بنا للسكن في مزرعة صغيرة.

اشتريت مئة صوص وخروفين وبذوراً للحديقة، وشرعت أتعلم بعض الحقائق كالعلاقة بين السماد والذباب وبين الري والاعشاب وبين تربية الحيوانات واعدادها للذبح. وعندما اقترحت العودة الى المدينة هز والدكما رأسه بارتياح.

اننا نضحك على ذلك الآن، مع أن ثمة احداثا أخرى لم يستطع، حتي الزمان، جعلها مضحكة.

كلما شعرتما بأنكما الضحية تذكرا أن دوركما آت. لذا تعلما باكراً أهم عبارتين في الزواج: "آسف" و"انني أسامحك."

تغضب احدى صديقاتنا اذا نسي زوجها ذكرى زواجهما أو ذكرى لقائهما الاول، فيسترضيها بدعوتها الى عشاء فاخر كل بضعة أسابيع. وفي ما عدا ذلك يقضي معها أقل وقت ممكن. لقد انجرا وراء المظهر السطحي للرومانسية، مخدوعين بخرافات عصر الاعلانات.

أما الجوهر فيتعلق بالحب. وهو ليس دائماً غامراً أو سهلا. الحب يساعدنا في دخول الحمام عندما نصاب بغثيان. الحب يوافقنا أو يخالفنا في أمور خطيرة، كحمل السلاح. وعندما نخرج من الباب غاضبين، يلحق بنا الحب صارخا: "لا تستطيع الهروب مني! انني أحبك، وسأتبعك أينما ذهبت."

وهكذا، في ساعات أرقي الليلي، أتمنى لكما يا ولديّ تلك اللحظة حين ترفعان نظركما فتريان شخصا يراقبكما كأنكما شمعة مضيئة، كأنكما النور الوحيد في عالم من الظلام.

نادين كرنشو ■

هواية واحتراف

قال الممثل الايطالي أوغو تونيازي في مهنته: "حين بدأت التمثيل قيل لي إني أجيد الأداء لاني لا أبدو كالهواة. وحين أصبحت محترفاً كتب النقّاد أن أدائي حسن لاني أعطي انطباعاً بأني ما زلت هاوياً."



قصة من واقع الحياة

الرحلة ٥٣٩٠

طار القبطان

بدأت الرحلة سلسة هادئة. وما هي الا دقائق حتى تحولت كابوساً رهيباً

ILLUSTRATION: PAUL JENNIS

كان الطقس في أتم صفائه في الثامنة والثلث صباح ١٠ يونيو (حزيران) ١٩٩٠ حين أقلعت طائرة الخطوط الجوية البريطانية في رحلتها الرقم ٥٣٩٠ من برمنغهام الى ملقة في اسبانيا. وكان على متنها ٨٢ راكبا معظمهم مسافرون لقضاء اجازاتهم. وعلت الابتسامات الوجوه حين أعلن القبطان تيم لانكستر "الطقس في ملقة حار جدا. استريحوا واستمتعوا بالرحلة."

وباشرت المضيفات تقديم طعام الفطور الى الركاب. أما لانكستر (٤١ عاما) القبطان المرح المحنك الذي لديه سجل بـ١١ الف ساعة طيرانا، فجلس في قمرة القيادة والى يمينه معاونه الاستير آتشيسون (٣٩ عاما) الذي يرافقه للمرة الاولى. وركز آتشيسون انتباهه على

الارشادات الصادرة عن برج المراقبة الذي كان يوجهه عبر جو لندن المزدحم بالطائرات.

وعلى ارتفاع ٥٢٠٠ متر، لدى انعتاق الطائرة من كثافة الطيران بعد ١٢ دقيقة من اقلاعها، استطاع الطياران الاسترخاء، ففك لانكستر حزام كتفيه وأرخى حزام مقعده وأشار الى بلدة أبينغدون التي كان يطير فوقها، قائلا لمعاونه: "هناك منزلي."

وما هي الا ثوان حتى سُمع انفجار عنيف. واختفى حاجب الريح الايسر أمام لانكستر، فاندفع الهواء المضغوط من داخل الطائرة و"شفطه" جزئيا الى الخارج عبر هيكل الحاجب، فالتصق على الهيكل الخارجي بفعل الهواء العاصف المنزلق على الطائرة بسرعة ٥٠٠ كيلومتر في الساعة.

وانخلع باب قمرة القيادة وضرب كتف أتشيسون ثم سقط محطما على خزانة الراديو والصمامات الخانقة، وتعطل الربان الآلي بضربة من ساق لانكستر، فترنحت الطائرة النفاثة مندفعة نزولا.

وكان المضيف نايجل أوغدن واقفاً في المطبخ الامامي خلف باب القمرة، فاذا به يسمع صوتا كقصف الرعد. فالتفت وشاهد لانكستر ينزلق خارج الحاجب المحطم. فوثب فوق خزانة الراديو ووقف على مقعد القبطان وأمسك لانكستر محاولا شدّه الى الداخل.

ولشدة الضغط أحس أوغدن أن كتفيه كادتا تنخلعان وأنه يكاد يلحق بالقبطان، فصاح مستنجداً: "بربكم، ساعدوني!" لكن الهواء الصاخب خطف صوته، وكان أتشيسون منهمكاً في ضبط مسار الطائرة.

"هذه هي النهاية." في حجرة المسافرين المذهولين امتلأ الهواء للحظات بسديم أبيض نتيجة تكثُّف بخار الماء بفعل امتزاج الهواء الخارجي البارد بهواء الحجرة الدافىء. وارتجت الطائرة وكادت تسقط. فقالت الراكبة ستيفاني جنكنز في نفسها: "يا الهي، انها قنبلة!" وكانت مسافرة لزيارة والدتها في ملقة. أما مايكل لورنس، وهو طيار سابق في سلاح الجو البريطاني، فعرف للحال أن ثمة انخفاضا في الضغط، فشد حزام مقعده حتى كاد يؤلمه.

وكان رئيس المضيفين جون هيوارد (٣٧ عاما) في الصف الخامس يسكب الشاي لاحد الركاب، فهرع الى قمرة القيادة حيث وجد أتشيسون يحاول الامساك بالصمامات الخانقة المغطاة بالباب المحطم. فرمى هيوارد ألواح الباب المكسَّر في الممشى، ثم ثبت نفسه وأمسك حزام أوغدن بيد وسروال لانكستر باليد الاخرى.

أدرك أتشيسون المأزق الذي هو فيه. فالطائرة «BAC 111» لم تكن مزودة كمامات للركاب تمدهم بالاوكسيجين في حال انخفاض مستواه. فرأى أن السبيل الاسلم هو الهبوط سريعا الى علو ٣٠٠٠ متر حيث تنتفي الحاجة الى كمامات

الاوكسيجين. كما رأى الخطر الداهم الذي يهدد القبطان، فقد أوشك الضغط الهائل أن يقذفه خارجاً، ثم انه قد يتجمد حتى الموت من جراء البرودة الخارجية الجليدية المتدنية الى ٢٢ درجة مئوية تحت الصفر.

خلال هبوط الطائرة بسرعة ٦٠٠ كيلومتر في الساعة، أدرك أتشيسون المعاناة التي يقاسيها لانكستر. فأرسل اشارات استغاثة ملحّة: "النجدة! النجدة! هنا الرحلة ٥٣٩٠. نواجه انخفاضاً في الضغط بسبب انفجار."

أما الركاب فلم يتملكهم الذعر فيما اندفعت الطائرة النفاثة نزولا بسرعة هائلة، اذ لفّتهم الصدمة بالصمت. وفكرت ستيفاني جنكنز: "هذه هي النهاية. لم أكتب وصيتي، ولن أرى غوردون والاولاد." أما مايكل لورنس فشعر بارتياح لدى رؤيته الكوابح الهوائية تنزلق من الجناح. فمال الى جاره مطمئناً: "كل شيء على ما يرام. لا تقلق."

خيار مريع. على علو ٣٠٠٠ متر كبح أتشيسون هبوط الطائرة، فاستوت في مسارها، وأبطأ سرعتها الى الحد الادنى للسلامة أملا مساعدة أوغدن وهيوارد في سحب لانكستر الى الداخل. ولكن على رغم جهودهم اليائسة وخفض سرعة الطائرة الى ما يقارب التوقف – ١٧٠ كيلومتراً في الساعة – فقد أخفقوا في زحزحة القبطان قيد أنملة. وبقي جسمه ملتصقاً بالهيكل الخارجي بفعل الضغط الهائل. وكانت يداه تضربان الهواء كأنهما يدا لعبة قماش. فقال أتشيسون في نفسه: "لا بد أن لانكستر مات." واذ التفت رأى عيون المضيفين متسائلة، فصاح بصوت علا ولولة الريح الصاخبة: "لقد مات."

ثم انضم سيمون روجرز الى أوغدن وهيوارد، وهو مضيف شاب في التاسعة والعشرين قوي البنية وأصغر أفراد الطاقم سناً. وحاول الثلاثة معاً انقاذ لانكستر فأخفقوا.

لكنهم نجحوا في رفع ساقه اليمنى مخففين الضغط عن جهاز القيادة الأيسر، مما أراح أتشيسون من احدى مشاكله. لكن الساق اليسرى بقيت عالقة، وواجه أفراد الطاقم احتمالا مريعاً: هل يضطرون الى دفع لانكستر خارجاً لكي يتمكنوا من تحرير أجهزة الضبط؟ حسم أتشيسون الموقف هازاً رأسه نهياً: "اصمدوا ما أمكنكم الصمود."

الى هنا كان أوغدن بلغ شفير اليأس. فقد انقطع أحد الاعصاب في ساعده اليمنى بفعل حركة الجذب والدفع، كالمنشار، على هيكل حاجب الريح. ومثل سائر أفراد الطاقم، كان يرتدي قميصاً قصير الكمّين، فسرى الخدر في ساعديه العاريتين بفعل الريح الجليدية التي جعلت التنفس صعباً. وخاطب نفسه: "لا يسعك التخلي عن تيم يا رجل. فكر فيه وفي عائلته." لكن ساعديه فقدتا كل احساس، فصاح في الآخرين: "لا يمكنني تحمّل المزيد!"

شدد هيوارد وروجرز قبضتيهما على ساقي لانكستر فيما أرخى أوغدن قبضته وانهار على مقعد في المطبخ الصغير. واذا بالمضيفة سوزان برنس (٣٢ عاماً) تنضم اليه، فاخبرها بهدوء: "نعتقد أن القبطان مات. ولكن هيا يا عزيزتي، لدينا عمل كثير "

غالبت برنس دموعها، ودخلت وزميلها حجرة الركاب الذين بدوا يائسين من النجاة على رغم أمارات الطمأنينة المرتسمة على وجوههم.

في قمرة القيادة ربط روجرز نفسه الى مقعد ثانوي متحرك خلف مقعد الربان، وانحنى فتمكن من الامساك برسغ لانكستر وتحرير ساقه اليمنى من أجهزة القيادة. وعلى الأثر شعر بجسم القبطان ينزلق ١٥ سنتيمترا اضافية الى الخارج، فتملكه الرعب اذ أصبح بدن القبطان بكامله خارج الطائرة. وبعد لحظات انعطفت الطائرة يسرة، فانزلق جسم لانكستر نزولا الى النافذة الجانبية. وللمرة الاولى شاهد روجرز وجه القبطان. ويا لهول ذلك المشهد!

كان وجهه مخططاً بالدم، وعيناه جاحظتين مخضّبتين بالسواد بفعل الرضوض، ولسانه ناتئا، وخدّاه يتموجان في مجرى الهواء العاصف. شعر روجرز بالغثيان فأشاح بوجهه.

النزع الاخير؟ في الثامنة والدقيقة الثانية والاربعين، بعد تسع دقائق من هبوط الضغط، أبلغ كريس روندل مدير المراقبة في مطار سوثمبتون، ان طائرة تابعة للخطوط الجوية البريطانية تعاني مشكلة ضغط، وهي حوّلت مسارها الى مطار سوثمبتون. فأعلن روندل حال طوارىء مستنفراً الشرطة وسيارات الاسعاف وسرية الاطفاء.

بعد دقيقتين سمع أتشيسون على اللاسلكي: "سوثمبتون، هنا الرحلة ٥٣٩٠، أرشدونا."

فأفاده روندل بالارتفاع والخط الذي يتعين عليه اتباعه، وسأله: "هل الضغط مشكلتكم الوحيدة؟"

أجاب: "كلا، فنافذة قمرة القيادة طارت وجسم القبطان مشدود الى الخارج، وأعتقد أنه ميت."

وفيما أتشيسون يتأهب للهبوط بالطائرة منفرداً في مطار غريب، توجه الى الركاب مطمئناً: "سيداتي، سادتي، هنا معاون القبطان، أرجوكم التقيد بكل التعليمات الصادرة عن طاقم الطائرة."

طلب من الطيار الحربي السابق مايكل لورنس التقدم والتمركز في مخرج الطوارىء الرئيسي. فهاله أن يرى جسم القبطان يلتمع كأنه مكسو بالجليد، وفكر: "ماذا لو أرخى المضيف قبضته؟ قد يطير جسم القبطان الى المحرك الايسر ويعطله."

بدأت المضيفة برنس هي وأوغدن وهيوارد تهيئة الركاب لهبوط طارىء. فراحوا يشرحون لهم طريقة التأهب: "الرأس بين الركبتين، والساعدان منثنيتان فوقه."

لكن راكباً ظل يردد: "سنسقط ونموت، أليس كذلك؟"

فابتسمت برنس وطمأنته: "لا، لا، أنظر، لقد استوت الطائرة وكل شيء على ما يرام."

انعطف أتشيسون بالطائرة في دائرة واسعة نحو مطار سوثمبتون وفق تعليمات روندل. فتطلع الركاب الجالسون قرب النوافذ الى أسفل والخوف في عيونهم. وكان ديفيد دونكان بين الخائفين، وهو مدير مبيعات في شركة الكترونيات، اذ خشي أن تسقط الطائرة في البحر وتتحطم. لكن قلقه تبدد حين رأى الى جانبه عجوزاً هادئة في مقعدها. فقال في نفسه: "إن تكن هي قادرة على الهدوء، فأنا قادر أيضاً."

في قمرة القيادة كان سيمون روجرز لا يزال ممسكاً بساقي لانكستر، فأحس رسغه ينتفض وقدميه تركلان، فعزا ذلك الى تشنجات النزع الاخير.

ولدى تخفيف السرعة استعداداً للهبوط، بدا اتشيسون قلقاً، لأن هبوطاً عنيفاً قد يطيح القبطان من الطائرة، كما أن قِصر مدرج مطار سوثمبتون حتّم الهبوط بأقصى درجات الدقة تفادياً لأي خطأ يودي بالطائرة. والى ذلك، قد ترتفع حرارة الكوابح الى درجة الاحتراق. كان أتشيسون يتطلع أمامه باحثاً عن المطار، فلم يسعه تفادي منظر جسم لانكستر وهو يخفق متدلياً خارج النافذة، فقال في نفسه: "اطمس هذه الرؤية داخلك وركّز أفكارك على الطيران."

نجاة عجيبة. أصبحت الطائرة على بعد خمسة كيلومترات من المطار، فأبلغ أتشيسون الى روندل أنه يشاهد المدرج. فطمأنه هذا: "لا شيء يعوق هبوطك."

شاهد هيوارد رؤوس الاشجار تنساب تحته، فأعلن عبر المذياع: "تهيأوا! تهيأوا! أحنوا رؤوسكم أدنى من المقاعد!"

تمَّ الهبوط بهدوء، ولم يحس ديفيد دونكان الا رجة خفيفة، واختبرت ستيفاني جنكنز أسلس هبوط عرفته. ولدى توقف الطائرة ساد داخلها صمت ذاهل بضع ثوان، ثم بادر المضيفون بانزال الركاب بسرعة.

كانت الساعة التاسعة الا خمس دقائق، وقد مضت ٣٥ دقيقة على اقلاع الطائرة من برمنغهام. وهتف روندل عبر اللاسلكي: "كان ذلك هبوطاً رائعاً."

لكن أتشيسون لم يردّ. كان يبكي.

وما ان توقفت عجلات الطائرة حتى ذهل الاطفائي جون فوسكيت لرؤيته تيم لانكستر يتحرك ويرفع رأسه. فتسلق احدى السلالم ولحق به آخرون، فرفعوا لانكستر وأدخلوه قمرة القيادة. وسمعه فوسكيت يتمتم: "أين أنا؟"

وما هي الا دقائق حتى كان لانكستر في الطريق الى المستشفى حيث أجريت له فحوص ووصفت حاله بأنها "ممتازة جداً!" والعجيب أن إصاباته اقتصرت على قضمة صقيع وكسور غير خطرة في ساعده اليمنى ومعصمه وابهام يده ورضوض في أنحاء جسمه.

ودعي الركاب الذاهلون الى اكمال رحلتهم على متن طائرة "بوينغ ٧٣٧" استدعيت من مطار هيثرو في لندن، فتخلف سبعة منهم في سوثمبتون.

اكتشف المحققون أن الكارثة التي كانت وشيكة نجمت عن خطأ بشري. فقبل ٣٠ ساعة من الحادث أبدل حاجب الريح في قمرة القيادة، واستخدم في العملية ٩٠ مسماراً مصوملا أصغر من الحجم المطلوب، مما أفقد الحاجب قدرته على مقاومة الضغط وجعل انفصاله أمراً محتوماً.

بعد خمسة أشهر من المعالجة الطبيعية المكثفة لاصلاح أعصاب الساعدين، عاد لانكستر الى وظيفته في قيادة الطائرات. ومُنح ألاستير أتشيسون عدداً من الجوائز، منها ميدالية ذهبية من "جمعية طياري الخطوط الجوية البريطانية" تمنح عادة للطيارين المتفوقين. كما منحت الجمعية جوائز لجميع أعضاء طاقم الطائرة.

وما زال لانكستر مدهوشاً لبقائه حيا بعد محنته القاسية والفريدة في تاريخ الطيران. وهو يقول: "لا بد أنني الرجل الأسعد حظا في العالم."

بيتر براون ■

زوجة... مفكّر

كنت اتصفح الجريدة ذات مساء فوقع نظري على مقالة مثيرة تتناول احصاءات حوادث السيارات. فقلت لزوجتي المنهمكة في تحضير العشاء: "اسمعي يا عزيزتي، يقولون هنا ان غالبية حوادث السير تقع ضمن نطاق ثمانية كيلومترات من المنزل."

فصمتت زوجتي مفكّرة لبرهة ثم قالت: "أتعتقد أن علينا الانتقال من هنا؟"

د.س.

بريد مضمون

حملت طرداً الى مكتب البريد، فقال لي الموظف المختص ان رسم التسليم السريع هو دولاران واربعون سنتاً في حين أن الخدمة الابطأ تكلف دولاراً وثلاثين سنتاً.

فقلت له: "لست في عجلة من امري، فما يهمني هو أن يسلَّم الطرد وأنا حيّ."

فرمقني بنظرة حادة ثم قال: "دولاران واربعون سنتاً من فضلك."

د.م.

تكنولوجيا الحب

قالت شابة لخطيبها بنبرة احتجاج: "ماذا تعني باننا لا نتحاكى؟ فامس بعثتُ اليك بالتلفاكس جواباً عن الرسالة التي تركتها لي على مسجّلة الهاتف."

"وول ستريت جورنال"



ضفادع أوستراليا

□■ استوردت مصانع السكر الأوسترالية في يونيو (حزيران) ١٩٣٥ مئة ضفدع قصب من هاواي أملة أن تقضي بها على خنافس القصب التي تهدد محاصيل السكر. لكن الضفادع لم تأتِ بالنتائج المرجوة، وقد "احتلت" نصف أراضي مقاطعة كوينزلاند وهي تنتشر في اتجاه نيو ساوث ويلز والاقليم الشمالي. وتضع أنثى الضفدع عشرين ألف بيضة دفعة واحدة. وقد تبيض مرتين في السنة.
وضفادع القصب خطرة، اذ انها تفرز سماً قادراً على قتل كلب في غضون ربع ساعة. وقد اقترح علماء الأحياء ادخال انواع من الطفيليات أو الأوبئة للقضاء على هذه الآفة. ولكن، ألم تأت الضفادع بهذه الطريقة؟

مجلة "ناشونال جيوغرافيك"

هاتف هونغ كونغ

□■ سجلت هونغ كونغ أعلى نسبة لاجهزة الهاتف النقالة في الكيلومتر المربع. فقد أصبح اقتناء هذه الأجهزة نمط حياة، اذ بات السكان يتحدثون عبرها أثناء تناولهم العشاء خارج المنزل أو مشاهدتهم فيلماً سينمائياً أو سيرهم في الطريق. ويقول فرد سوم مدير التسويق في شركة "هاتشيسون" أكبر مسوّقي أجهزة الهاتف النقالة في هونغ كونغ: "الناس هنا يعملون ليلا ونهاراً، ولا يمكنهم بالتالي أن ينقطعوا عن الاتصال بعضهم ببعض."

ومع اقتراب عودة هونغ كونغ الى السيادة الصينية سنة ١٩٩٧، ازدادت مبيعات أجهزة الهاتف. ويلاحظ الفرد هو مدير قسم المبيعات والتسويق في شركة "هاتشيسون": "لقد "ادت حركة الهجرة التي تشهدها المستعمرة الى ازدهار سوق الهاتف. لنفترض، مثلا، أن عشرة مندوبي مبيعات كانوا يعملون في شركة ما، ثم تضاءل العدد الى ثمانية. يكفي أن تعطي كلا من هؤلاء الثمانية هاتفاً فيقوموا بعمل عشرة."

صحيفة "واشنطن بوست"

قنابل فرنسا

□■ ليس من السهل تصوُّر فرنسا حقل الغام. لكن الواقع هو أن ١٢٠ خبير متفجرات محترفاً يفككون يومياً أطناناً من المخلفات المميتة للحروب الفرنسية - الالمانية الثلاث لا تزال منتشرة، من غابات اللورين الى رمال جزيرة كورسيكا. ويقول رئيس احدى فرق تفكيك القنابل: "لا نزال نعثر على قذائف مدفعية صالحة تعود الى زمن الحرب الفرنسية - البروسية عام ١٨٧٠. وهناك بحيرات زاخرة بالقنابل اليدوية السامة العائدة الى الحرب العالمية الاولى. وكثيراً ما يصادف أن يعبر مزارع بجراره فوق لغم مضاد للدروع من مخلّفات الحرب العالمية الثانية، فينفجر به."
وقد قضى ٦٠٨ خبراء متفجرات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وتم تفكيك ١٦ مليون قذيفة و٤٦٠ ألف قنبلة و٦٠٠ ألف لغم تحت الماء.

صحيفة "نيويورك تايمز"

هرمونات تبعد عنكِ "سن اليأس"؟

على كل امرأة أن تعرف هذه الحقائق قبل أن تبلغ "سن اليأس" وتغرق في معاناة صامتة

هيلاري غيبس ممرضة نشطة متزوجة ولها ثلاثة أولاد بالغين، شعرت فجأة بأن حياتها شارفت الانهيار. فمع انقطاع الطمث عنها وهي في التاسعة والاربعين ترقبت أن تعصف بها "هبّات" ساخنة بين حين وآخر، لكنها لم تكن مهيأة لأن "تشيخ" بين ليلة وضحاها.

بان جلدها قصفاً وشعرها كأنه كومة قش، وغلب عليها الانهاك، لا يفارقها. وأفظع من كل ذلك أنها فقدت قوة التركيز فباتت عاجزة عن تذكر الاسماء، وتحولت القراءة لديها احباطاً لانها صارت تنسى ما قرأت في الصفحات السابقة، وباتت الكلمات تخذلها أثناء المحادثات وعقلها يغيب في فراغ. تقول: "عرفت أني لست على ما يرام. واعتقدت أنّ الخرف دبّ فيَّ قبل الاوان، فارتعبت."

ولدى زيارتها احدى العيادات النسائية نمى اليها أن ثمة معالجة لمثل حالها تُعرف بتعويض الهرمونات.[1] لم يؤمن طبيبها بهذه المعالجة، فأقنعت طبيباً آخر باحالتها على عيادة تابعة لمصلحة الصحة الوطنية ومتخصصة بانقطاع الطمث.

أُخضعت هيلاري لفحص طبي دقيق، ثم اعطيت رقعاً مشبعة بالاستروجين[2] للصقها على الجلد في أي مكان تحت الخصر وابدالها مرتين في الاسبوع. ولأن الاستروجين يسبب نموّ بطانة الرحم وقد تصبح الخلايا سرطانية، فُرض عليها أيضاً تناول حبوب بروجستوجين[3] ١٢

---

(١) Hormone replacement therapy

(٢) Oestrogen. وهو هرمون جنسيّ انثوي.

(٣) Progestogen

يوما كل شهر، اذ ان هذه الحبوب تسقط بطانة الرحم فتقيه من السرطان.

تقول هيلاري، وهي ما زالت تستخدم الرقع منذ خمس سنوات: "بعد ثلاثة أسابيع من مباشرة المعالجة عدت كما كنت. فأنا أبدو على ما يرام وأشعر على ما يرام، والأهم أني استعدت قواي العقلية."

يعود سبب الأعراض البغيضة التي عانتها هيلاري، الى تقلبات في مستويات الاستروجين خلال فترة انقطاع الطمث[4] التي تحلّ قرابة السن الخمسين. وقد يسبب تدني مستويات هذا الهرمون هبّات ساخنة وعرقا ليليا وخفقانا في القلب وسرعة انفعال وألما في المفاصل وفقدان ثقة وانحطاطا وحكاكا في الجلد وجفافا في المهبل. وثمة واحدة من كل خمس نساء لا تعاني أي مشاكل خلال فترة انقطاع الطمث، وثلاث من كل خمس يعانين بعض الأعراض وخصوصا الهبات الساخنة والعرق الليلي، وواحدة من خمس تتعرض لمعاناة شديدة.

المعالجة بتعويض الهرمونات ترفع مستويات الاستروجين الى الحد الطبيعي، فتزيل تلك الاعراض التي يسببها انقطاع الطمث.

وتوصف للمعالجة حبوب أو رقع، أو تزرع حبوب استروجين تحت الجلد. وتوصف حبوب الاستروجين لمعظم النساء، ما عدا أولئك اللواتي خضعن لجراحة استئصال الرحم. وهذه الحبوب تسبب "نزفا" شهريا، لكنها لا تعيد الخصب.

حدبة العجوز. ربما كان الفعل الاهم لعلاج تعويض الهرمونات ابعاد داء ترقق العظم[5] الذي ينجم عن نقص تدريجي في الكلسيوم بعد انقطاع الطمث. والنساء البيض هن الاكثر تعرضا للخطر، خصوصا أولئك اللواتي لهن نسيبات قريبات ذوات عظام سريعة الانكسار، وهنّ نحيفات ويتبعن نظاما غذائيا فقيرا بالكلسيوم ويدخّنّ ولا يمارسن من الرياضة الا القليل وقد انقطع الطمث لديهن في وقت باكر. أما النساء اللواتي تناولن عقاقير "كورتيكوستيرويد"[6] للربو أو لالتهاب المفاصل الروماتزمي، فيرتفع احتمال اصابتهن بداء ترقق العظم.

وفي سنوات السبعين تكون واحدة من كل امرأتين قد رقّ عظمها وهشّ وانكسر مرة على الاقل. وحين يصبح العظم قصِفا سريع الانكسار، يتقلّص العمود الفقري فيقصر في حدود ١٥ سنتيمترا ويتسبب في ألم مبرِّح، وتتكون حدبة في أعلى الظهر تعرف بـ"حدبة العجوز."

يوقف تعويض الهرمونات ترقق العظم باعادة الاستروجين الى مستوياته الطبيعية. واذا استمرت المعالجة بالاستروجين ست سنوات انخفض خطر انكسار الورك في سن الشيخوخة الى النصف.

المعالجة الاكثر فاعلية تبدأ في غضون

---

(٤) Menopause. وهي ما يُعرف، بين العامة، بسن اليأس.

(٥) Osteoporosis. وهو يُعرف ايضا بمسامية العظم او نخره.

(٦) Corticosteroid drugs

ثلاث سنوات بعد انقطاع الطمث. وفي الامكان مباشرتها في أي وقت حتى السن الخامسة والستين، وتظل فاعلة في وقف خسارة العظم ما دامت مستمرة.

انقطع الطمث باكراً عن احدى النساء في نيوبورت، فظلت لسنوات تعاني آلاماً حادة في المفاصل. وهي تقول: "اشتد الألم في رسغيَّ فبتُّ عاجزة عن تسلق السلالم، وفي معصميَّ حتى استحال علي حمل الغسيل. وتصلَّب ظهري فعجزت عن الانحناء."

وبعدما سقطت مرة وانكسر ساعدها، سمعت بعلاج تعويض الهرمونات من طريق "الجمعية الوطنية لترقق العظم." وكانت في الثانية والستين حين اجري لها أول "زرع" للاستروجين في عملية خالية من الالم في عيادة خارجية بأحد المستشفيات. فبعد حقنها مخدراً موضعيا، يَضَع الطبيب شقاً دقيقاً في اسفل بطنها وزرع حبة صغيرة من الاستروجين تطلق الهرمون على مدى الأشهر الستة التالية.

وزالت أوجاع تلك السيدة. وفي أقل من سنة زادت كثافة عظمها، وهي تنوي متابعة العلاج واجراء الزرع كل ستة اشهر في المدى المنظور.

نادي المعجبات. تدّعي كثيرات من النساء البريطانيات اللواتي تراوح أعمارهن بين الخامسة والاربعين والستين ويخضعن لعلاج تعويض الهرمونات، أن هذا العلاج غيّر حياتهن.

وتقول الممثلة جيل غاسكوين: "أنا أبدو في شكل أفضل وأشعر بأنني أحسن حالا. لقد غيّر العلاج مجرى حياتي وأعادني الى ما كنته من نشاط وعزم قبل أن تخذلني هرموناتي."

تيريزا غورمان، عضو البرلمان البريطاني، متحمسة جداً لعلاج تعويض الهرمونات وتقول: "إنه أعادني شابة في العشرين." وبلغت حماستها حدًّ أنها أسست "صندوق أمارانت" في سبيل ترويج هذا العلاج عبر عيادة خاصة وبرنامج تثقيفي للاطباء والنساء.

لكن الاطباء حذرون، اذ يرون أن علاج تعويض الهرمونات يحمي العظام حقاً ويساعد الجلد والشعر من خلال تقوية الكولاجين.[٧] ولكن حتى أشد أنصار هذا العلاج يؤكدون أنه لا يستطيع "اعادة عقارب الساعة الى الوراء."

يقول جون ستود الطبيب النسائي والمستشار في مستشفى "كينغز كوليدج" في جنوب لندن وهو من المؤيدين البارزين: "علاج تعويض الهرمونات لا يوقف تقدم الشيخوخة لدى المرأة، ولا يحوِّلها رمزاً للصبا والجمال. لكنه قد يطيل عمرها سنوات."

في دراسة أجريت في جامعة جنوب كاليفورنيا تبين أن متوسط الوفيات بالنوبات القلبية بين النساء اللواتي تعاطين الاستروجين لعشر سنين كان أقل ٤٠ في المئة منه بين النساء اللواتي لم يتعاطينه. والوفيات بالسكتة الدماغية

(٧) Collagen

(الفالج) أقل ٥٠ في المئة. وقد عاشت أولئك النسوة، عموماً، نحو ثلاث سنوات أطول من الاخريات.

وثمة دلائل متزايدة تشير الى أن تناول الاستروجين يحمي النساء من مرض القلب ومن السكتات. ويتوقع البروفسور مارتن فيسي من مستوصف "رادكليف" في أكسفورد، وهو وضع تصوراً مستقبليا مبنياً على دراسات عالمية، أن النوبات القلبية القاتلة التي تصيب النساء اللواتي يتعاطين الاستروجين، ستقل ٢٣ ألفا في المليون عن تلك التي تصيب اللواتي لا يتعاطينه، وذلك خلال فترة ٣٠ سنة.

لكن الباحثين اكتشفوا أن تناول الاستروجين ربما زاد خطر الاصابة بسرطان الثدي. ويتوقع البروفسور فيسي أن تزداد الوفيات بسرطان الثدي في غضون ثلاثين سنة ١٠ آلاف في المليون بين النساء اللواتي يتعاطين الاستروجين. وفي دراسة أجراها بمشاركة كيت هنت العالمة في "مجلس الابحاث الطبية" في غلاسغو وشملت ٤٥٤٤ امرأة يُعالجن بتعويض الهرمونات، اكتشف أن خطر اصابتهن بسرطان الثدي أعلى أكثر من مرة ونصف مرة من خطره على النساء اللواتي لا يتبعن هذا العلاج.

يقر الاطباء أن الخطر يتنامى مع دوام المعالجة. ففي السنوات الخمس الاولى لا يظهر أي تأثير يذكر. لكن احدى الدراسات الامريكية التي أجريت على ٤٠٠ امرأة بيّنت أنه بعد عشر سنين من تناول الاستروجين زاد عدد النساء اللواتي أصبن بسرطان الثدي ٣٠ في المئة. وبعد مرور ٢٠ سنة ارتفعت النسبة الى ٥٠ في المئة.

لكن أيان فنتيمان الاختصاصي بالسرطان في مستشفى غاي في لندن، يعتقد أن العلاج بتعويض الهرمونات يزيد احتمال اصابة المرأة بسرطان الثدي في أي فترة من حياتها، إنما زيادة ضئيلة، بنسبة واحدة في كل ١٢ امرأة أو واحدة في كل ١١.

المعلّمات محميّات! الثابت هو أنه اذا كانت الاصابة بسرطان الثدي حاصلة فعلا فان خطره يتفاقم باتباع علاج تعويض الهرمونات. ويقول أيان بورن الجراح المتخصص بالسرطان ورئيس "الجمعية الاوروبية لجراحي الاورام": "المقلق هو أن بعض النساء اللواتي يباشرن المعالجة بتعويض الهرمونات قد يكنّ، من غير علمهن، مصابات بسرطان الثدي. ان تعويض الهرمونات خطوة متقدمة، ولكن يتعين اللجوء اليه بعد فحص دقيق للثدي يليه تصوير بالاشعة السينية (اكس)."

اذا كانت الافادة من تعويض الهرمونات متيسِّرة لغالبية النساء ما بين الخامسة والاربعين والستين من العمر، كما يدعي جون ستود، فلماذا لا تلجأ اليه الا ٨ في المئة من النساء البريطانيات؟

واحدة من كل امرأتين تفضل عدم اتباع علاج تعويض الهرمونات لصلته

بسرطان الثدي أو خشية الاعراض الجانبية كالصداع وأوجاع الثدي والغثيان والتوتر الذي يسبق الطمث. كما أن كثيرات لا يرغبن في العودة الى الطمث ولا في الخضوع لعلاج طبي مديد.

وتلفت الدكتورة بات لاست الى أن ثمة خيارات بديلة لمعالجة مشاكل انقطاع الطمث لدى النساء اللواتي لا يستطعن اتباع علاج تعويض الهرمونات أو لا يرغبن فيه، "فالفيتامينات والمكمّلات المعدنية تفيد بعض النساء، تماما كما تفيدهن لقاءات نسائية متعاطفة أو كما يفيدهن طبيب متفهّم يصغي الى كلامهن. وقد تختار أخريات المعالجة بوخز الابر."

وثمة عقاقير لا علاقة لها بالهرمونات قد تخفف الاعراض. العقار "ديكساريت"[٨] يخفف الهبّات الساخنة الى أكثر من النصف في أربع نساء من خمس. ويجوز وصف مُحصِرات بيتا[٩] للخفقان.

ومن العقاقير الواعدة في مكافحة داء ترقق العظم "اتيدرونات"[١٠] المرخّص له في بريطانيا لمكافحة خلل آخر في العظم يدعى "داء باجت."[١١] وفي دراسة أجريت في الولايات المتحدة لمدة سنتين وشملت ٤٢٩ امرأة يعانين ترقق العظم، تبين أن اعطاءهن عقار "اتيدرونات" ومكمّلات الكلسيوم أدى الى ازدياد كثافة عظم العمود الفقري وانخفاض حالات انكسار العظم الى النصف، بالمقارنة مع النساء اللواتي أعطين حبوبا تمويهية.

وتساعد الرياضة المعتدلة والمنتظمة في حفظ العظام قوية، وتخفض خطر انكسار العظم بعد تخطي السن الخمسين. وبينت دراسة لمجلس الابحاث الطبية في سوثمبتون شملت ٧٢٠ امرأة راوحت أعمارهن بين الخمسين والتاسعة والتسعين، أن احتمال انكسار العظم لدى العاملات الكثيرات الجلوس، كالسكرتيرات، يزيد ثلاثة أضعاف على ما هو لدى المعلمات، وهو أدنى من ذلك لدى الممرضات.

ماذا تسألين؟ يجدر بالنساء المتشوقات الى معرفة شيء عن علاج تعويض الهرمونات استشارة طبيبهنّ أولا، واذا لم يلقين تجاوبا منه فما عليهن الا التوجه الى طبيب نسائي.

وأيا يكن من تستشيرينه، فعليك الاخذ في الاعتبار الاجابات الآتية عن أسئلة تطرح عادة:

هل ثمة سبب يجعل تعويض الهرمونات علاجاً غير ملائم لي؟

لا تجوز معالجة النساء بتعويض الهرمونات اذا كنّ مصابات بسرطان الثدي أو سرطان بطانة الرحم أو بورم قتامي خبيث هو نوع من سرطان الجلد أو بمرض في الكلى أو الكبد أو بجلطة دموية حديثة أو بسكتة دماغية أو بنزف في

(٨) Dixarit

(٩) Beta-blockers

(١٠) Etidronate

(١١) Paget's disease. وهو داء يتسبب في تضخم العظام ووهنها وتشوهها.

المهبل لم يتم تشخيصه. لكن سرطان عنق الرحم، مثلاً، لا يمنع المعالجة بتعويض الهرمونات.

ماذا عن الاعراض الجانبية؟

الاعراض الجانبية الاولية، كالصداع والغثيان، تزول لدى معظم النساء في غضون أسبوع. واذا استمرت فاطلبي استشارة طبيبك لتغيير صيغة معالجتك. النزف الشهري هو العَرَض الجانبي الدائم، وقد يسبب توتراً ورخاوة في الثديين قبل الطمث.

ما هي الحسنات والسيئات في الطرق المختلفة للمعالجة؟

الحبوب هي الطريقة الاسهل والاكثر شيوعاً. فالرقع تولج الهرمون للحال في مجرى الدم، مما يجعل جرعة صغيرة فاعلة، لكنها قد تسبب حكاكاً في الجلد. الزرع يخدم ستة أشهر، وتجديده يستلزم جراحة بسيطة في عيادة خارجية. ومرهم الاستروجين طريقة فاعلة لمعالجة جفاف المهبل الذي يعتبر ظاهرة شائعة لانقطاع الطمث.

كم من الوقت يتعين عليَّ متابعة العلاج؟

يتفق الاطباء على ان النساء المعرّضات بنسبة مرتفعة لخطر الاصابة بداء ترقق العظم، وأولئك اللواتي توقّف انتاج الاستروجين لديهن قبل السن الخمسين بسبب انتزاع الرحم والمبيضين أو انقطاع الطمث في وقت مبكر، عليهن تناول الاستروجين على المدى الطويل لوقاية عظامهنّ. وتجدر مباشرة المعالجة في غضون ثلاث سنوات بعد انقطاع الطمث، وفي امكانهن الاستمرار فيها الى ما لا نهاية. ويجدر بنساء أخريات التفكير في اتباع علاج تعويض الهرمونات لتخفيف الاعراض الحادة التي ترافق انقطاع الطمث، ولكن لمدة سنة أو سنتين فقط، ثم يخفف العلاج تدريجاً.

هل أحتاج الى فحص منتظم؟

على كل النساء، أيا يكن عمرهن، اجراء فحص ذاتي للثديين مرة كل شهر لكشف الاورام، وهذا الفحص مهم خصوصاً لاولئك اللواتي يعالجن بتعويض الهرمونات. وكل امرأة تخضع لهذا العلاج يتعين عليها إجراء فحص شهري للوزن وضغط الدم وفحص سنوي للحوض والثديين.

قد تمر سنوات قبل أن تظهر جميع الفوائد والاخطار التي ينطوي عليها علاج تعويض الهرمونات، الا أن الوسط الطبي يزداد تحبيذاً له، والابحاث مستمرة على نطاق عالمي. في غضون ذلك تبقى النساء الخاضعات لهذا العلاج "حقول تجارب" بشرية. الا أنه قد يكون نعمة، كما في حال هيلاري التي تقول: "لقد جعل حياتي جديرة بأن تعاش."

فلور بريتان ■

إبني... معلّمي...

من قال إن الآباء هم المعلمون دائماً؟
نحن نتعلم من أولادنا من حيث لا ندري

اذكر اسطورة سمعتها يوما عن غلام اهدى اليه والده عجلا. وكان على الصبي أن يعلف العجل وينظفه ثم يرفعه فوق رأسه مرة كل يوم. وكبر الصبي وكبر العجل معه فثقلت حمولة الصبي نصف كيلوغرام يومياً. وحين بلغ ربيعه الخامس عشر أصبح بمقدوره رفع ثور تام النمو وقادر على الرفس.

مررت في حياتي بقصة مماثلة صنعها لي ابني. وأظن أن أطفالكم يصنعون لكم قصصاً حياتية من حيث لا تدرون أحياناً.

ذات يوم كنت ألعب بكرة المضرب في المدينة مع ابني ايفان البالغ من العمر عشرة اعوام. وكان ايفان رفيقي الوحيد في هذه الرياضة منذ بلوغه السن الخامسة. وكانت في الملعب المجاور زمرة من الاولاد الأعضاء في فريق محلي لكرة المضرب. وفيما أنا ألتقط بعض الكرات الشاردة اقترب مني مدرب الفريق قائلا: "الحقيقة أن ابنك يضرب الكرة جيدا."

أدركت أن المدرب لم يقصد الاطراء فقط، بل أراد ايفان عضوا في فريقه. لذلك أجبته بلا تردد: "لسنا سوى زائرين هنا."

قال: "خسارة!"

وفي طريق عودتنا الى بيت عم ايفان أخبرته بما قاله لي المدرب. لكن فضولي لم يهمد، اذ أردت معرفة الامر المميز الذي لاحظه المدرب في لعب ايفان.

وكان ابني خلال السنوات الفائتة يخبرني عن تقدمه السريع في رياضة كرة المضرب في المدرسة، فيروي لي كيف تقدم على هذا الفتى أو ذاك وكيف هزم أحد أبطال النادي. لكنني لم أكن أصغي اليه بانتباه لأنني، بصراحة، لم أكن أرى

لديه تقدماً ملحوظاً. صحيح أن أخطاءه قلّت وأن ضرباته أصبحت أقوى. ولكن كيف يمكنه أحراز تقدم ملحوظ ما دام والده - أنا - يهزمه باستمرار؟

لطالما آمنت بأن من المهين جداً للمرء أن ينافس أحداً من دون أن يبذل قصارى جهده. لذلك لم أكن أقدم الفوز هبة الى ايفان عندما كان في الخامسة، وإن كنت لا أكيل له الضربات أيضاً. كان عليه أن يقوِّم نفسه نظراً الى طريقة لعبه لا الى الربح أو الخسارة. والحقيقة أنه، عندما لعبنا في المدينة، لم يكن هزمني قط.

ثم حدث أمر غريب بعد عودتنا الى بلدتنا. فقد زارنا صديق قديم وتحداني للعب معه بكرة المضرب. وكان هذا الرجل يهزمني دائماً. لذلك سألته ان كان لا يزال محافظاً على مستواه في اللعب، فأجابني مبتسماً: "انني ألعب كل أيام السنة."

لن أطيل عليكم الحديث عن تفاصيل الهزيمة المنكرة التي ألحقتها بهذا الرجل. يكفيني القول ان النصر فاجأنا كلينا.

وسرعان ما أدركت السبب وأنا عائد إلى المنزل. انه ايفان! كنت أتقدم في هذه الرياضة كلما تقدم هو. مثلي كمثل الصبي والعجل الذي كان يزداد ثقلاً كل صباح. كان ايفان يتقدم في كل مباراة. وكنت أنا أرفع الثقل المتنامي، كالصبي الذي كان يرفع العجل.

كان ايفان يحملني على صقل قدراتي الخاصة وعلى اكتشاف قوى جديدة وحلول مستجدة. كان يعلمني أن في امكاني العمل بكد أكبر والتقدم أكثر والذهاب أبعد. وكان يفعل ذلك بجرعات صغيرة جعلتني أغفل عنها.

أراهن أن هذا ما يفعله أولادكم أيضاً. فهم يحملونكم على رفع أنفسكم درجة درجة بألوف الوسائل التي لم تخطر في بالكم قط. انهم يعملون على تحسين رعايتكم لهم وشحذ رباطة جاشكم، ويعلمونكم متى يجوز الاستسلام ومتى يتحتم الصمود.

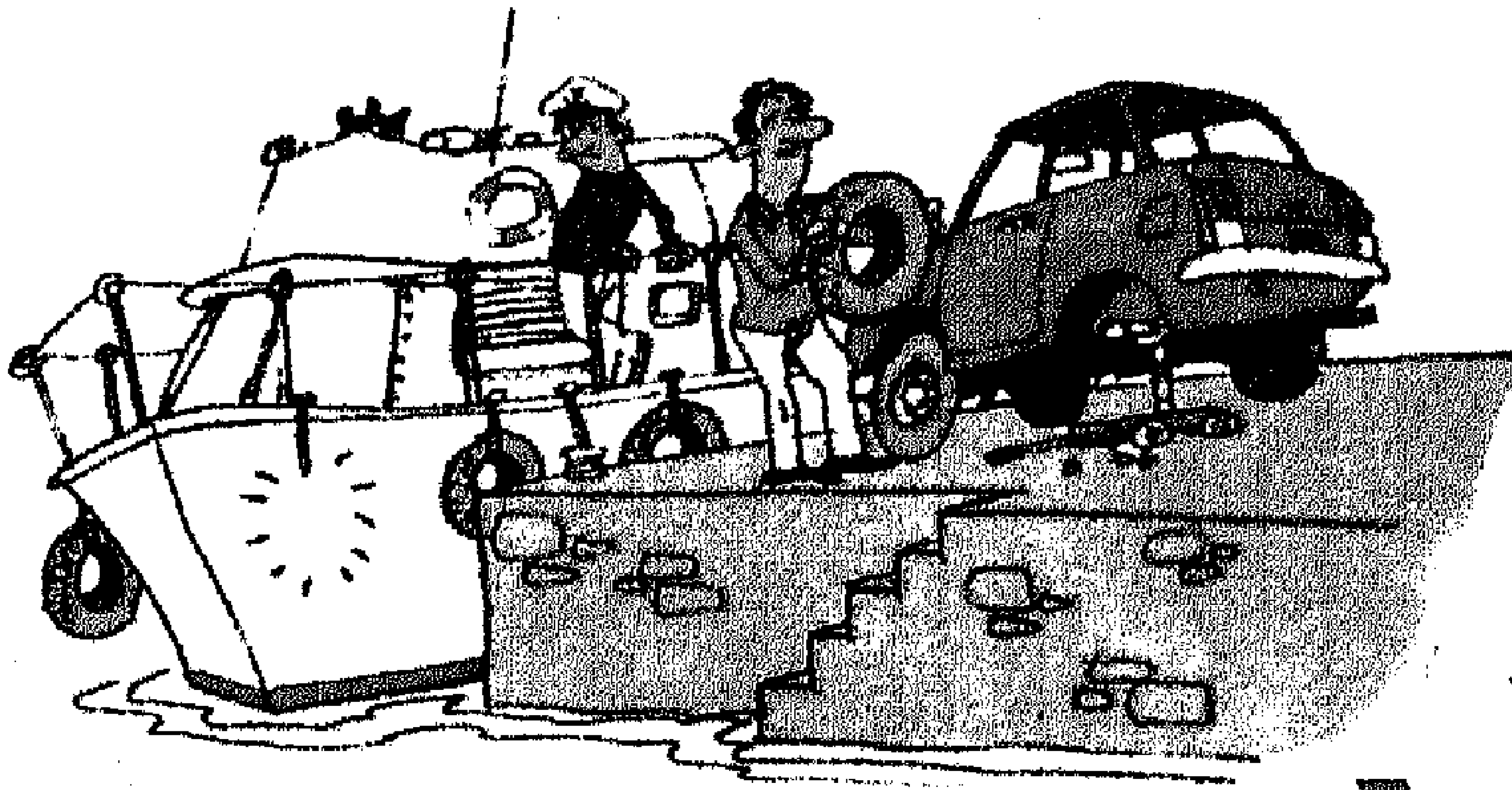
لقد واجهت ذلك في مباريات كرة المضرب، ومثل هذا الامر يحدث في كل مراحل حياتنا. فأطفالكم إذ تنشئونهم وترشدونهم يوسعون آفاقكم ويشحذون تصرفاتكم ويصقلون تفكيركم ليجعلوا منكم لاعبين أفضل ووالدين أفضل وأناساً أفضل.

بارني كوين ■

فرحة جدة

انتقل جدّاي للسكن في ناحية جديدة، وكانت اولى نزهاتهما جولة في الجوار. فاكتشفا سوقاً تجارية مزدحمة ومحطة لغسل السيارات. وقد استولت الدهشة على جدتي مما رأت فقالت لجدي: "في متناولنا هنا كل ما نحتاج اليه، حتى اننا نستطيع بلوغ محطة غسل السيارات... على الاقدام."

أ.ج.



سيارات

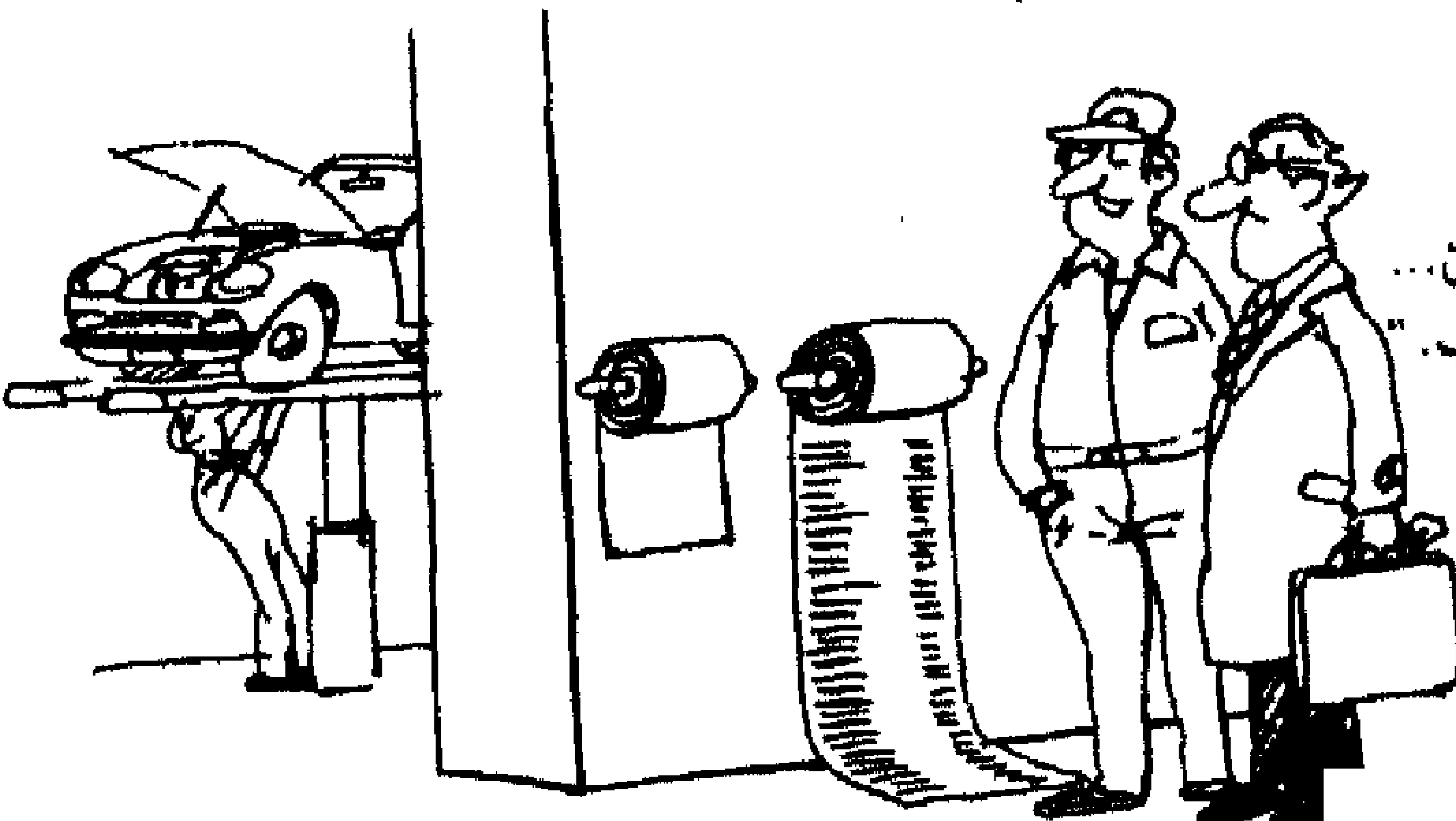


بدون تعليق.



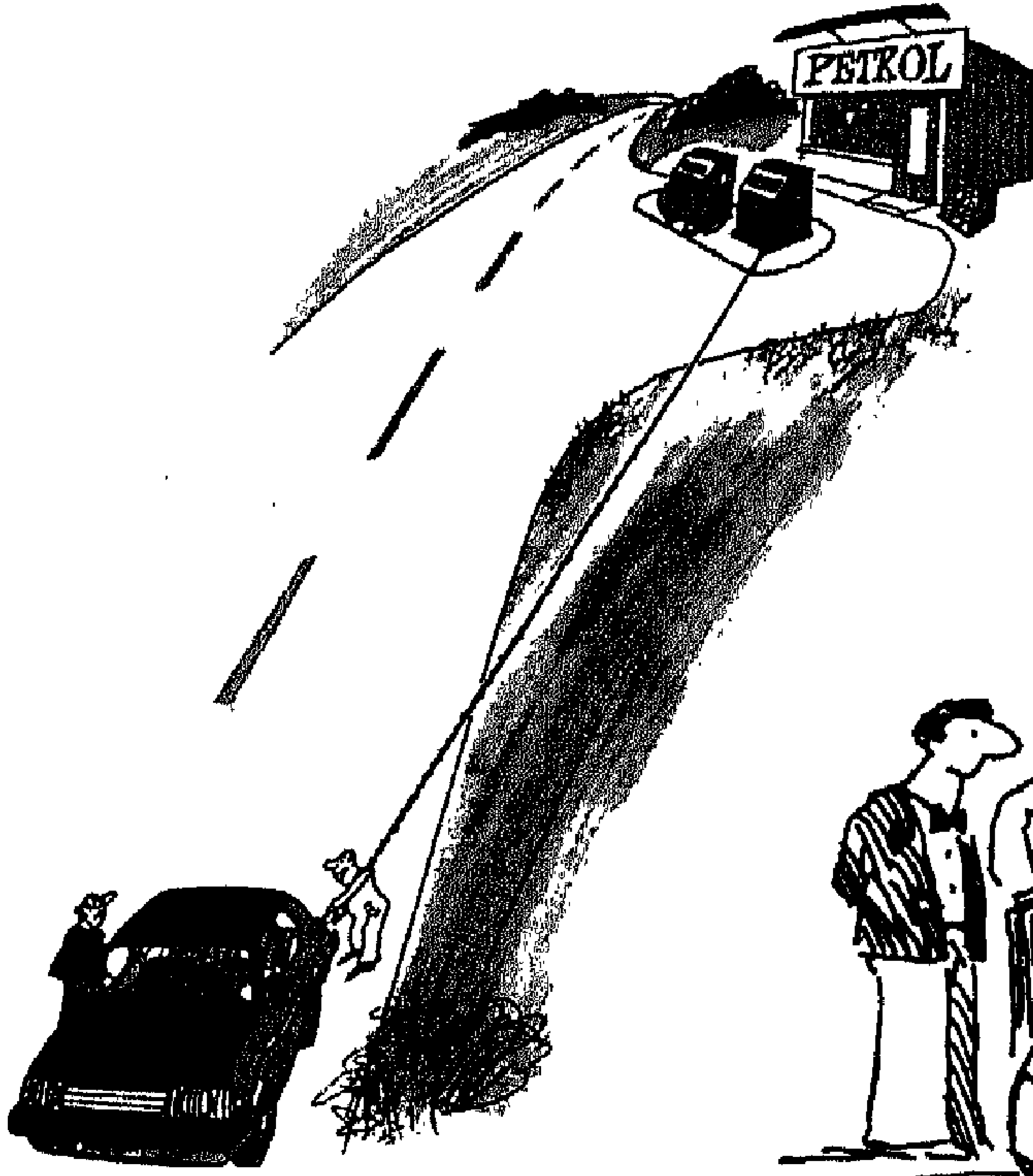
"حسنا، تصل اليكم بعد ٢٤ ساعة."

THE SUN

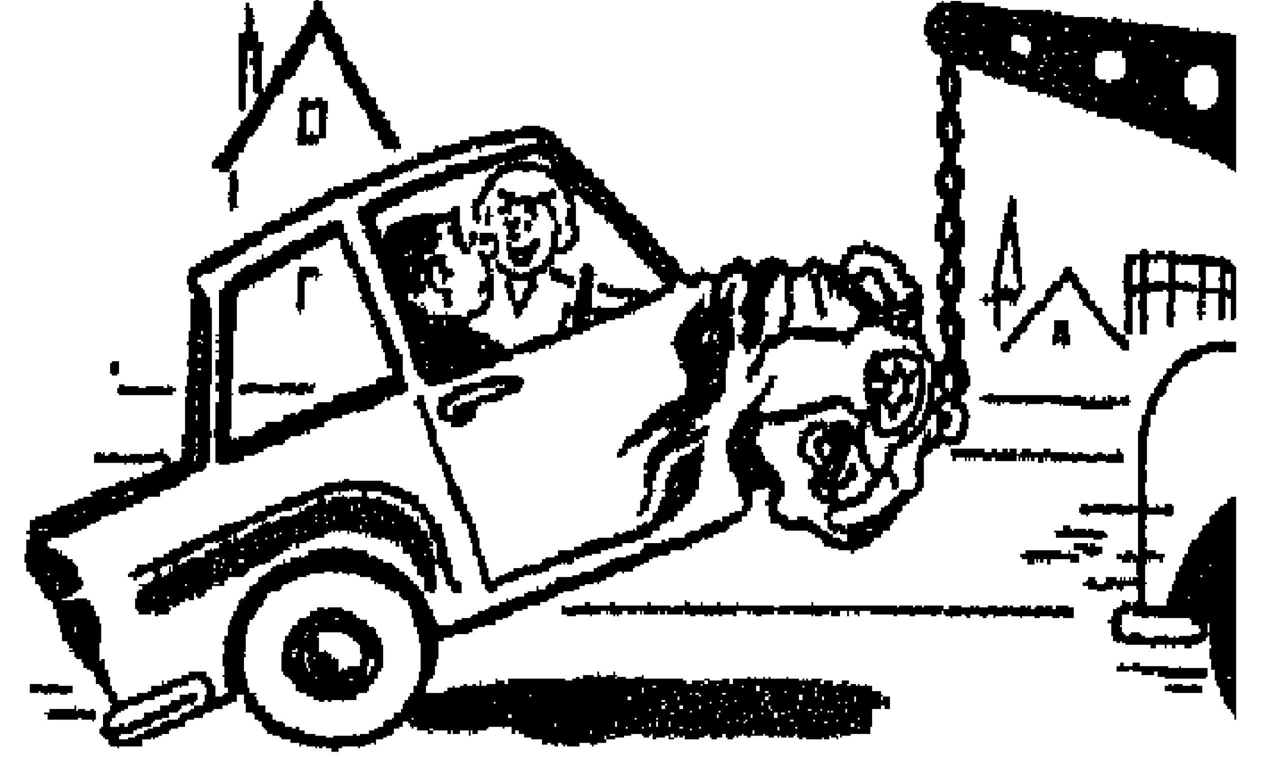


"تلك لتجفيف اليدين...
وهذه فاتورة الحساب."

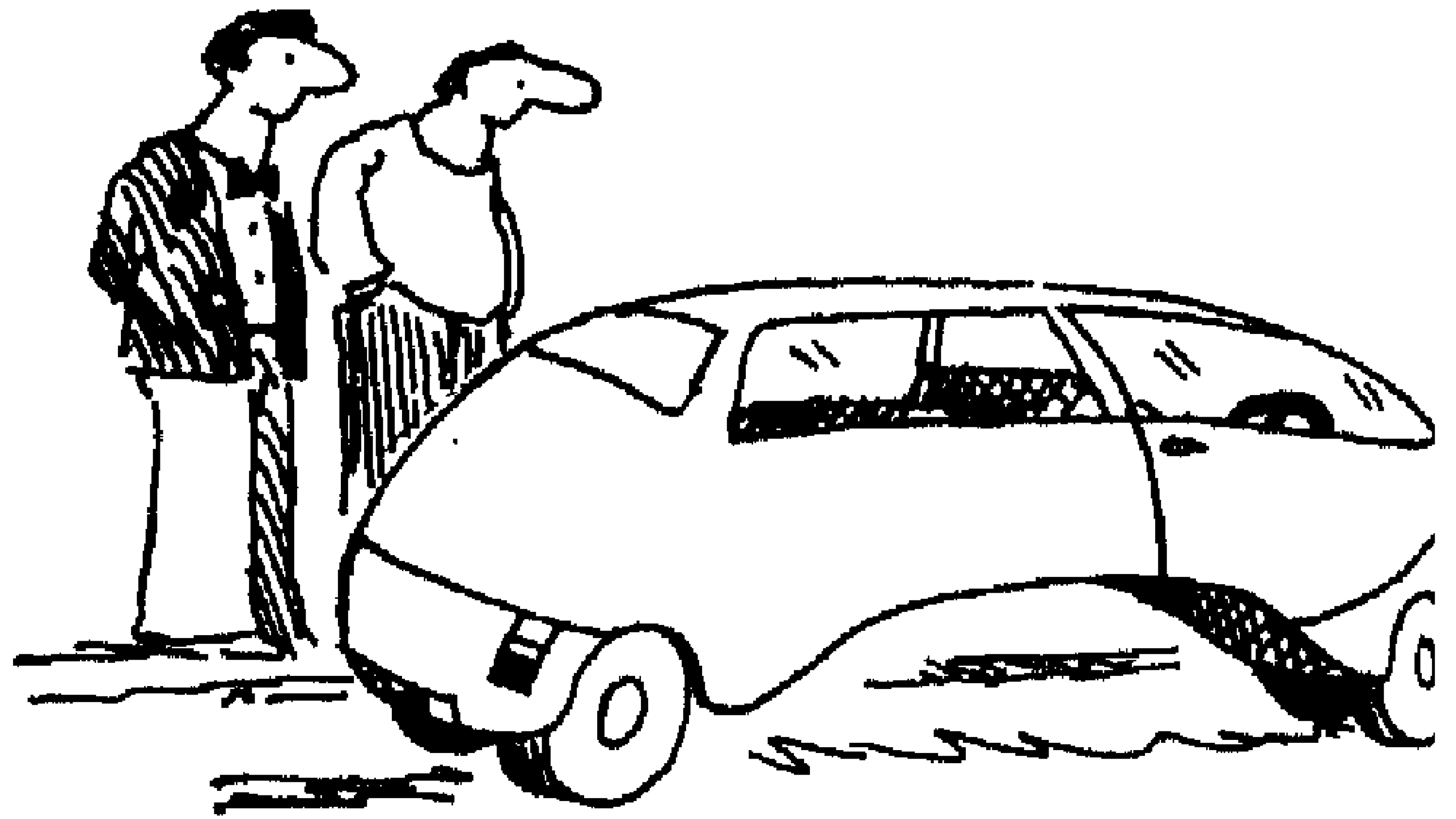
ROSS THOMSON



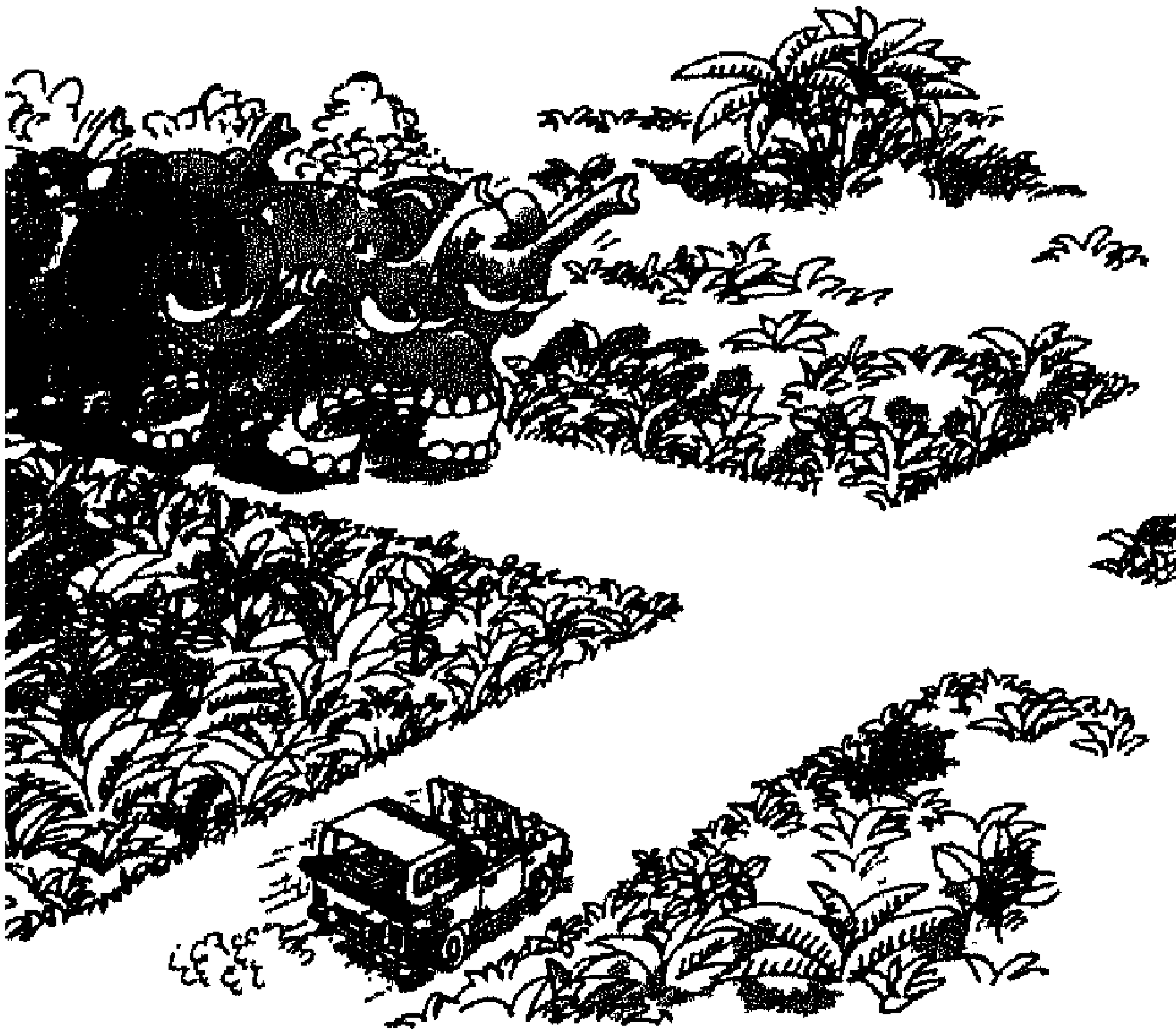
"لقد حذَّرتك يا سيدي. ان ليترا من الوقود
لا يذهب بك بعيداً هذه الايام "
KEN MAHOOP / PUNCH



"هه! لقد اشتغل جهاز الراديو الآن."
ANOTHER 1,000 LAUGHS / DAILY MIRROR



"مبروك! متى اشتريت هاتف السيارة؟"
TONY HUSBAND / PUNCH



"ترى لمن أفضلية المرور الآن؟"
WORLD WILDLIFE FUND



"هل انت أكيد من أن الشباب اتبعوا
تعليمات الغسل الخاصة بسيارتي؟"



قبل أشهر، لم يكن كثيرون
خارج بريطانيا سمعوا
باسم جون ميجور
واليوم يملأ هذا السياسي الشاب
مقعد "المرأة الحديد"

جون ميجور "عمّالي" في قلب المحافظين

العاشرة والدقيقة الثامنة صباح ٧ فبراير (شباط) ١٩٩١ دوّت فوق "وايتهول"[١] في قلب لندن ثلاثة انفجارات لقذائف هاون أطلقها مسلحو الجيش الجمهوري الايرلندي من منصة مثبتة في مؤخر شاحنة كانت متوقفة على مسافة ٦٠ متراً من "١٠ داوننغ ستريت."[٢]

سقطت واحدة من هذه القذائف في حديقة مقر رئيس مجلس الوزراء البريطاني واحدث انفجارها دوياً يصم الآذان على بعد ١٢ متراً حيث كان الرئيس جون ميجور مجتمعاً مع ١٤ شخصاً آخرين في "مجلس حرب" للبحث في النزاع في منطقة الخليج العربي فالتوت النوافذ المقوّاة الى الداخل. أما القذيفتان الاخريان فسقطتا

(١) "وايتهول" شارع في لندن تقوم فيه مباني وزارة الخارجية البريطانية.

(٢) 10 Downing Street هو مقر رئاسة الحكومة البريطانية.

PHOTOS: IAN BRADSHAW

في مرج قريب خلف مبنى وزارة الخارجية، ولم تنفجرا.

نهض ميجور وزملاؤه عن الارض، حيث كانوا منبطحين، وقال رئيس الوزراء بهدوء: "أرتأي، أيها السادة، أن نتابع نقاشنا في مكان آخر."

هذا الاسلوب البارد المقتضب هو سمة الرجل ابن السابعة والاربعين الذي حلّق الى مركز رئاسة الوزراء قبل ذلك التاريخ بعشرة أسابيع ليصبح أصغر رئيس وزراء بريطاني في ٩٦ عاماً.

لم يكن يخطر في بال جون ميجور، حتى قبل عشرة أيام من تسلمه المنصب، أن رئاسة مارغريت تاتشر الاسطورية التي بدت ثابتة كالصخر، كانت على شفير نهاية مأسوية. ولم يكن السباق الى الزعامة ليأتي في وقت أسوأ من هذا. فقد كان ميجور، لشهرين خلوا، يعاني آلاماً بسبب التهاب في أحد أضراس العقل، واقتلع الضرس أخيراً يوم السبت في ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) مع أوامر من طبيبه بوجوب اخلاده الى الراحة التامة عشرة أيام وبعدم القاء خطابات اطلاقاً.

لدى السيدة تاتشر قصّرت، يوم الثلثاء التالي، عن كسب الجولة الاولى من الاقتراع لزعامة حزب المحافظين في البرلمان، وأعلنت يوم الخميس أنها ستستقيل حالما يبرز خلف لها في الجولات التالية. وبدأ هاتف ميجور الرنين فوراً باتصالات من نحو مئة عضو في البرلمان تمنوا عليه أن يرشح نفسه للجولة الثانية.

نظرياً، كان على ميجور أن يمضي ثلاث سنوات أو أربعاً أخرى من الخبرة في مراكز وزارية قبل أن يدخل السباق الى مركز القيادة، ولكن، كما فسر الامر لزوجته نورما: "عندما تأتي الكرة في طريقك، عليك أن تلتقطها وتركض بها."

كان عليه، وهو لا يزال يترنح من جراء الجراحة التي أجريت له، أن يستجمع كل مخزونه من الطاقة والبأس ويسرع عائداً الى لندن — ويلمع هناك.

تبعت ذلك سلسلة من المقابلات التلفزيونية والصحافية المتهكة. وفيما عمد المنافس الرئيسي لميجور مايكل هزلتاين (٥٧ عاماً) الذي استقال من الوزارة في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦، والمتحدي الثالث وزير الخارجية دوغلاس هيرد (٦٠ عاماً)، الى التركيز على نضجهما وخبرتهما الاوفر وحظهما الاكبر في كسب الجولة التالية من الاقتراع الحزبي، وجّه جون ميجور نظره الى الافق البعيد، فتحدث عن تعجيل التحركية الاجتماعية التي بدأت أخيراً في قيادة تاتشر. وقال: "ان احدى الطرق التي لم تؤد الى أي فائدة لبريطانيا في السنوات الخمسين الاخيرة هي النهج الذي اتّبعه كثيرون في التمييز بين مهارات العمال أصحاب الياقات الزرق وأولئك أصحاب الياقات البيض.[3] انني أؤمن بأننا سوف نتابع خلال السنين العشر المقبلة احداث

---

(٣) "الياقات الزرق" كنية الطبقة الكادحة و"الياقات البيض" كنية المديرين وفئة الموظفين ذوي الرواتب الجيدة.

التغييرات التي ستؤدي الى مجتمع خال فعلا من الطبقات."

طبع حاد! وفيما الامة "تقضم أظافيرها" بقلق صبيحة الجولة الثانية من الاقتراع يوم الثلثاء ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني)، ظهر ميجور، بصفته وزيراً للمال، في حفلة افتتاح المقر الجديد لمصرف ياباني في لندن، وهو موعد تم الاتفاق عليه سابقا. فبدا هادئا ومقتضبا كالعادة، وقال بابتسامة: "انه لأمر سارّ جداً أن يكون لدى المرء عمل مثير يقوم به في فترة ركود وضجر."

واظهرت النتائج التي أعلنت في السادسة والثلث مساء ان ميجور خسر الجولة بفارق صوتين فقط. فاعترف هزلتاين بهزيمته بعد دقائق، وسرعان ما ألقى هيرد سلاحه هو أيضا، ليصبح ميجور زعيم المحافظين ورئيسا للوزراء.

انصبَّت هذه الخاتمة في منحى الصعود "الصاروخي" الاخير لجون ميجور ذي الاعصاب الباردة. ففي يوليو (تموز) ١٩٨٩ عُيِّن وزيراً للخارجية، واحتفظ بالمقعد، كما يقول هو ساخراً، "لفترة تكاد لا تكفي لأعرف أين تقع بوركينا فاسو." وعين بعد ثلاثة اشهر وزيرا للمال.

المدهش أن ميجور لم يثر حوله عداوات كثيرة خلال صعوده السريع، على رغم ما يقال من أن سحره الهادىء يخفي "بعضاً من طبع حاد" وأن في وسعه ان يكون لاذعا. وهو شبَّه مرة عضوا معارضا في البرلمان، دأب على مقاطعة مناظرة، بـ"ببغاء مهتاجة تعاني امساكا." ومع ذلك يعتبر ميجور أعضاء عماليين في البرلمان من بين أصدقائه القدامى.

وعلى رغم مظهر ميجور الرقيق، يبدو أن التعابير الهازئة التي أطلقتها الصحافة والمنافسون السياسيون خلال الحملة الاخيرة والتي اعتبرته "ابن تاتشر المدلل،" لا تقوم على حقائق. فعبر السنين، أثبت ميجور أنه لا يساوم في مبادئه السياسية: عطف على الضعيف وبناء بريطانيا تؤمن بالجدارة حيث يستطيع الناس من كل الخلفيات بلوغ القمة. وهو قال في مقابلة أجريت معه حديثا: "انني أقل اهتماما بالاغنياء والقادرين، فهم يتدبرون أمورهم دائما. اهتمامي منصب على الناس الذين يعملون بجهد ولم يصلوا بعد ويحسون أنهم عالقون في مصيدة."

حادث في نيجيريا. لا يختلف ماضي ميجور كثيراً عن ماضي أي عضو محافظ في البرلمان. كان أبوه طوم في السادسة والستين عندما ولد في العام ١٩٤٣، وقد عاش حياة قلقة كفنان بهلواني ومغن في مسارح المنوعات وكاتب أغنية ومدير فرق فنية ورجل أعمال متعدد الاهتمامات. لكن هذه الاعمال كلها اتخذت منحى انحداريا عندما كان جون في العاشرة، واضطرت العائلة (لجون شقيقة وشقيق أكبر منه سنا) الى الانتقال من منزلها المريح في

جنوب لندن الى غرفتين في منزل قديم من الطراز الفيكتوري في بريكستون، وهي ضاحية تقطنها غالبية من الطبقة العاملة. كان المرحاض دون الغرفتين بثلاث طبقات، والمطبخ مجرد موقد غاز في أسفل السلم.

منحت هذه التجربة ميجور نظرة عميقة الى "الحياة تحت" لم ينسها أبداً. وهو يعلن بانفعال: "ان معظم الناس يرفضون الرعاية، أو أن ينصّ عليهم البيروقراطيون ماذا يفعلون، أو أن ينتظروا المساعدة من الدولة. انهم، ببساطة، يتوقون الى مناخ من العدالة يسمح لهم بأخذ قراراتهم الخاصة وبادارة شؤون حياتهم. ان أقصى ما يمكن أن يأمله رجل السياسة هو المساهمة في خلق هذا المناخ."

لم يفلح ميجور في دراسته، مع أنه حاز منحة من مدرسة راتليش في ويمبلدون حيث تقطن غالبية من الطبقة الوسطى. كان يهتم باللغة الانكليزية والرياضيات والتاريخ، ويعترف بأنه لم يبذل أي جهد في المواضيع الاخرى. لكنه تميّز بلعبة الكريكيت.[٤]

كانت السياسة هواه الآخر. وهو وقف في طابور عام ١٩٥٦ لسماع جلسة الموازنة، ثم جلس مفتونا بالمبارزات البرلمانية الكلامية الحادة. يقول: "لا أعتقد أن لحظة مرت بعد ذلك لم تكن خلالها الرغبة في العمل في مجلس العموم كامنة في مؤخر عقلي."

ترك جون المدرسة في السن السادسة عشرة وعمل كاتباً في شركة تأمين. ثم تدبر وظيفة أكبر دخلا كعامل يدوي، لكنها لم تعمّر طويلا، فاضطر الى الاعتماد على الاعانة الحكومية للعاطلين عن العمل. وعاش تسعة أشهر على أقل من ثلاثة جنيهات استرلينية أسبوعياً قبل أن يجد وظيفة كتابية في مؤسسة الكهرباء الحكومية. ومن هناك انتقل الى أحد فروع مصرف "ديستريكت" ثم الى مصرف "ستاندرد تشارترد" الدولي حيث عمل في قسم القطع الاجنبي. وعندما طلب المصرف متطوعين عازبين للعمل في جوس بنيجيريا، اقتنص جون الفرصة، وكان آنذاك في الثانية والعشرين من عمره.

بعد ستة أشهر، بينما كان ميجور في سيارة أحد أصدقائه، انحرفت السيارة عن الطريق وسقطت عن جرف شديد الانحدار. قُذف جون من خلال الزجاج الامامي كاسرا ضلعين ومهشما ركبته، وأصيبت ساقه اليسرى بكسور متعددة. لم تسمح له حاله بمغادرة نيجيريا قبل ثلاثة أشهر عاد بعدها الى بريطانيا ليمضي سنة أخرى في المستشفى. لقد انتهت أيام الكريكيت، وهو لا يستطيع اليوم أن يسير أكثر من كيلومتر ونصف كيلومتر من دون أن تتورم ركبته.

صدام مع تاتشر. أغرق جون ميجور نفسه في عمله المصرفي وفي الشأن السياسي المحلي في جنوب لندن. خلال الانتخابات المحلية عام ١٩٦٨ تحوّل

(٤) الكريكيت لعبة بالكرة والمضرب.

"مجلس لامبث" المحلي الى المحافظين، وهو واحد من مجالس ضواحي لندن كان يدعم العماليين عادة. وهكذا قدر لميجور الذي رشح نفسه "بروح رياضية" لمقعد لا يمكن الفوز به، أن يجد نفسه عضواً في المجلس. واصبح خلال سنة رئيساً للجنة الاسكان، فمهد الطريق لبيع منازل يملكها المجلس من مواطنين اضطروا الى اخلاء منازلهم بسبب سياسة المجلس في اعادة تخطيط المنطقة. وانشأ مركز استشارات اسكانياً للمقيمين في منازل حكومية وخاصة، ثم بدأ عقد لقاءات شعبية يتمكن خلالها شاغلو المنازل الحكومية من بث شكاويهم. في واحد من هذه اللقاءات المزدحمة ألقت امرأة جرذاً نافقاً على ميجور احتجاجا على أوضاع السكن. فسألها بهدوء عن عنوانها وأدرك أنها تعيش خارج الضاحية فقال لها: "هذا، يا سيدتي، جرذ من ساوثوارك وليس من لامبث."

عندما خسر ميجور مقعده في المجلس عام ١٩٧١، ركّز على عمله كمستشار في شؤون التجارة والاستثمارات في مصرف "ستاندرد تشارترد." وفي السن الثالثة والثلاثين أصبح مدير الادارة في المصرف الذي ضم ٣٥ الف موظف، وكان يحضر المؤتمرات الدولية كمساعد شخصي لرئيس مجلس الادارة.

لم ينسحب ميجور من السياسة كليا. وفي العام ١٩٧٦ اختير مرشحاً لمقعد محافظ خال للانتخابات التالية. وكان جريئاً وصريحاً في اعلان عقيدته السياسية: "أريد أن أرى الناس يقفون على أرجلهم من دون أن تمسك الدولة المرضعة بأيديهم."

انتخب ميجور عضواً في البرلمان عام ١٩٧٩. وفي العام ١٩٨٣ أصبح "حامل سَوْط"[٥] متدرجاً، وهذا عضو في البرلمان يعهد اليه حزبه في تطبيق الانظمة الحزبية وحمل نواب الحزب على حضور الجلسات المهمة. ثم تولى الوظيفة ذاتها لدى وزارة المال في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٤. وبعد أشهر حصل اصطدامه الخطير الاول مع مارغريت تاتشر بعد عشاء لـ"حاملي السياط" الحكوميين. تحدث ميجور ناقلا قلق نواب القاعدة في حزب المحافظين حيال السياسة الانفاقية للحكومة ومعدلات الاستثمار ومسار الاقتصاد البريطاني. فأثار بعض ملاحظاته رئيسة الوزراء فعارضته.

لكن ميجور أصر على موقفه متبرئاً الى أنه مجرد ناقل لآراء الآخرين. وأبرزت تاتشر حقائق وأرقاماً لدعم موقفها، فرد ميجور بمعلومات من عنده، وتبادل الاثنان الآراء بحدة مناقشين الموضوع نقطة نقطة من دون أن يتراجع أحدهما قيد أنملة. وبعد انتهاء الاجتماع ربت دنيس تاتشر كتف ميجور مؤكداً له "ان مارغريت استمتعت بالنقاش. لقد أفادتها محادثتك الصغيرة كثيراً." الا أن الآخرين شككوا في ما اذا كان ميجور أفاد نفسه.

(٥) Whip



جون ميجور وزوجته نورما في حديقة بيتهما.

لكن تاتشر دعت ميجور بعد شهرين الى دخول الحكومة وكيلا لوزارة الضمان الاجتماعي. وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ أصبح وزير دولة لشؤون الضمان الاجتماعي والمعاقين، ثم عين في العام ١٩٨٧ وزيراً للمال.

حياة عائلية. في هذه الاثناء حلّقت غالبية ميجور الانتخابية عالياً. وفي انتخابات ١٩٨٧ فاز بفارق ٢٧٠٤٤ صوتا عن أقرب منافسيه، وهذه أعلى غالبية محافظة في البلاد. قالت فيه الناخبة إلسي ثولي: "انه لا يحشر السياسة في بلعومك. انه يعامل الناس كأفراد ويتحمل كل مشقة لمساعدتهم في حل مشاكلهم."

ويركز المطلعون على دور زوجته نورما ذات العينين العسليتين والقوام النحيف، فهي تعمل "دواماً كاملا" على قضايا الناخبين. التقى الزوجان للمرة الاولى خلال انتخابات مجلس بلدية "لندن الكبرى" عام ١٩٧٠. فعرفت نورما للحال أن ميجور هو الرجل الذي تريده. وهي أخبرتني ضاحكة عن الصعوبة التي واجهتها في لفت انتباهه: "أقمت حفلة رائعة، لكنه لم يحضر." الا أن الامور تحسنت قليلا عندما اعترف ميجور بمشاركتها في حب الاوبرا، لكنه نام خلال معظم حفلة موسيقية في حديقة "كوفنت."

بذلت نورما جهدها خلال حياتها الزوجية لتخليص ميجور من ضغوط عمله المنهك. تقول: "اننا لم نحتفل بأي من الترقيات التي حصل عليها جون، فكل وظيفة جديدة تتضمن كمية هائلة من القراءات، سبع حقائب من الاوراق يؤتى بها الى المنزل في نهاية كل أسبوع.".

وهي تمضي يوما أو نحوه أسبوعياً في ١٠ داوننغ ستريت، لكن "البيت" يبقى ذلك المنزل الذي يضم أربع غرف نوم في قرية غريت ستكلي في دائرة زوجها الانتخابية على بعد مئة كيلومتر من شمال لندن. وهي مصرّة بعناد على أن يعيش ولداهما، اليزابيث (١٩ عاماً) وجايمس (١٦ عاماً)، حياة عائلية طبيعية ما أمكن. تقول: "انهما ليسا ممتلكات تعرض على الجماهير."

ينتقل ميجور خلال عطل نهاية الاسبوع الى غريت ستكلي ليكون مع

عائلته فيسترخي ويتجول في الدائرة. وفي لحظات نادرة يغرق نفسه في غرامه المستمر بلعبة الكريكيت، يشاهدها حية على شاشة التلفاز أو يقرأ جداول المباريات.

حرب الخليج. على رغم تلهف ميجور لتأكيد استقلاليته، فهو استمر عموماً في اتباع سياسة سلفه المحلية والخارجية. وقد تحدث بحماسة عن رغبته في تملّك مزيد من البريطانيين عقارات ورساميل وأسهماً، ليس لكسب مادي وانما لصوت أفعل يكون لهم في ادارة شؤون وطنهم.

كبح التضخم هو أيضا ضمن أهدافه. يقول: "التضخم لا يؤذي الاعمال والقدرة التنافسية والاستثمارات بل هو قاس خصوصا على العناصر الاضعف في المجتمع، اي المتقاعدين وذوي المداخيل الثابتة." وعلى ميجور أن يواجه بطالة متفاقمة وركودا اقتصاديا متجذرا ومطالب شعبية متنامية لاصلاح النظام الضريبي المحلي بعد الغاء "ضريبة الاقتراع" المثيرة للجدل، وحاجة الى ابراز تعاون واضح حيال قرارات المجموعة الاوروبية، من دون تسليم ما يعتبره الناخبون والبرلمان قطاعات حيوية مما تبقى من سيادة بريطانيا.

استمر ميجور خلال حرب الخليج في دعمه الثابت لقرارات الامم المتحدة. قال: "لا مجال لعقد صفقات ولا لانسحابات جزئية." ولم تكد تمضي أيام على نهاية الحرب حتى ظهر ميجور في الكويت ليشكر الجنود شخصياً.

عندما تخلّت مارغريت تاتشر عن ١٠ داوننغ ستريت في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٠ بدت، للمرة الاولى في مدى احدى عشرة سنة ونصف سنة، مترددة قليلا، بل على حافة البكاء. لكنها كانت حازمة في نقطة واحدة خلال كلمتها الاخيرة: "في جون ميجور طاقات كامنة تجعل منه رئيس وزراء كبيراً."

ديفيد مولر ■



فوضى بيكاسو

التقى المصور الهنغاري براساي الرسام بيكاسو عام ١٩٣٢ واصبح مصوِّره "الرسمي" الاول. وكانت محاولاته التقاط صورة حقيقية لمحترف بيكاسو بمثابة تاطير فوضى عارمة، اذ ان بيكاسو لم يكن يرمي شيئا، لا عود ثقاب ولا قطعة كرتون ولا ايا من الصحف القديمة التي كان يستخدمها الواحا للالوان. فاذا غيَّر براساي شيئا في المحترف كان بيكاسو يصرخ، مثلا: "لن تكون الصورة دقيقة. لقد حرَّكت خُفَّي. انا لا اطرحه هكذا ابدا."

حتى الفوضى كان لها معنى في نظر بيكاسو.

صحيفة "الاكسبرس"، فرنسا

إعتمر خوذة إن كنت راكب دراجة

صباح أحد أيام يوليو (تموز) ١٩٨٦ انطلقت كريستي بريستر على دراجتها الهوائية ذات السرعات العشر الى مركز عملها في مارييتا بولاية جورجيا الامريكية. وعند أحد المنعطفات انحرفت لكي تتفادى الاصطدام بسيارة مقبلة، فصدمت حاجز الطريق بسرعة ١٦ كيلومترا في الساعة و"طارت" عن الدراجة وسقطت على رأسها في صندوق معدني لشركة الهاتف.

بريستر اليوم مشلولة من رقبتها نزولا، وقدرتها على استخدام ساعديها محدودة. وتقول وهي جالسة في كرسي للمقعدين: "ذلك الصباح عينه كنت أفكر في شراء خوذة."

في ٤ يوليو (تموز) ١٩٩٠ على بعد ٢٤ كيلومترا من مكان اصطدام بريستر، كان هيث واتسن، وهو رافع أثقال عمره



الخوذة المنقذة

PHOTO: © WHITNEY LANE

١٩ عاماً، راكباً وراء روبرت ليدبيتر على دراجته النارية. شاهد ليدبيتر سيارة شرطة، فتوترت أعصابه لكثرة مخالفات السرعة التي نظمت في حقه، فما كان منه الا أن أطلق العنان لدراجته مندفعاً بسرعة ١٣٧ كيلومتراً في الساعة. فاصطدمت الدراجة بشاحنة صغيرة وقتل ليدبيتر للحال. أما واتسن فطار حوالى ٢٠ متراً وسقط في الطريق المعبَّدة وانزلق على الاسفلت مسافة ١٠ أمتار، فأصيب بحروق وتأذت ركبته. وهو يقول: "لقد تآكلت خوذتي من جراء الانزلاق." لكنها أنقذت حياته.

في مايو (أيار) ١٩٨٦ كانت كاترينا كارتر (٥ أعوام) راكبة دراجتها ذات العجلتين على رصيف للمشاة في سياتل بولاية واشنطن. ففقدت سيطرتها على الدراجة وهوت واصطدم رأسها بالأرض، ولكن لم يظهر أثر لأي أذى لحق بها. وتتذكر أمها: "كانت تقود الدراجة بسرعة ثمانية كيلومترات في الساعة، ليس أكثر." لكن الصدمة مزقت أحد شرايين الجمجمة. وفي وقت لاحق من ذلك النهار تكوّنت جلطة ضخمة من الدم على دماغ الطفلة أعجزتها عن التنفس. وبقيت كاترينا ثلاثة أشهر في المستشفى في حال غيبوبة. وهي الآن تمشي مستعينة بسناد على عجلات، لكن ملكة النطق غابت عنها الى الأبد.

الثمن الغالي. يعتقد البعض أن هذه الحوادث الثلاثة مصادفات نادرة. ولكن علينا أن نعي أخطار السقوط عن الدراجات. ألم يكن هيث واتسن محظوظاً لنجاته؟

هذه الحوادث هي في الواقع ظاهرة نموذجية لوباء عصري. ففي كل سنة يقتل في الولايات المتحدة وحدها أكثر من ألف شخص نتيجة ركوب الدراجات الهوائية. ويقدّر عدد الذين تلحق بهم إصابات خطيرة بخمسمئة ألف. أما ركوب الدراجات النارية فيتسبب في مقتل ٤٠٠٠ شخص واصابة مئة ألف بأذى.

واصابات الرأس هي السبب الرئيسي للوفاة في حوادث اصطدام الدراجات النارية، وهي سبب رئيسي أو مساهم في ٨٠ في المئة من الوفيات الناجمة عن حوادث الدراجات الهوائية. لكن هذه الأرقام لا تكشف المأساة الواقعية بكاملها: أن غالبية القتلى والمصابين لم يكونوا معتمرين خوذاً واقية.

نُشرت في "نيو إنغلند جورنال أوف ميديسين" عام ١٩٨٩ دراسة عن حوادث الدراجات الهوائية أجراها الدكتور فريد ريفارا، وهو طبيب أطفال واختصاصي بالصدمات في مدينة سياتل. وقد تبيّن أن خوذ الدراجات خفضت خطر الاصابة في الرأس بنسبة ٨٥ في المئة. لكن الدراسة ذاتها بينت أن ٢٠ في المئة فقط من الراشدين و٥ في المئة من الاولاد في منطقة سياتل يعتمرون الخوذ.

يقول الدكتور ريفارا: "لو مات ٦٠٠ طفل سنوياً في هذه البلاد بسبب الالعاب الرياضية في المدارس، لألغينا الرياضة.

ان هذا العدد يموت حاليا بحوادث اصطدام الدراجات الهوائيـة، لكننا نتغاضى عنه ونبدو راضين."

لماذا لا يزداد عدد الدرّاجين الذين يعتمرون خوذا؟

مردّ ذلك الى أسباب مختلفة، منها أن الدراجين يجدون الخوذ سخيفة ومزعجة، فهي تضايقهم وتعبث بشعورهم. ثم انهم يعتقدون أن الحوادث تقع لأناس آخرين وليس لهم. ويتوهم البعض أن الخوذة تؤذي الرقبة أو تعوق السمع. ويتذرع آخرون بأن الخوذ غالية الثمن.

في الامكان شراء خوذة دراجة هوائية بنحو ٥٠ دولاراً وخوذة دراجة نارية بنحو ١٥٠ دولاراً. أما كلفة العناية مدى الحياة بشخص تلقى اصابة خطرة في رأسه فتناهز أربعة ملايين دولار.

سقوط على وسادة. يقول هاري هورت مدير مختبر أبحاث حماية الرأس في جامعة جنوب كاليفورنيا والمحقق الرئيسي في دراسات تشمل ٢٠٠٠ حادث اصطدام لدراجات نارية و٨٠٠ حادث لدراجات هوائية: "الاذى الذي يلحق بالرأس لا يعود الى سرعة الدراجة، بل الى المسافة العمودية، أي تلك التي يقطعها الرأس قبل أن يسقط ويضرب الارض. فاذا وضعت دراجة نارية الى جانب دراجة هوائية جيدة، تجد أن راكب الدراجة الهوائية يسقط عموديا مسافة أطول من المسافة التي يسقطها راكب الدراجة النارية."

ويضيف ديفيد ثوم الباحث المساعد في المختبر: "لا يستغرق سقوط رأسك عن الدراجة الهوائية الى أرض الشارع الا نصف ثانية، أو ما يعادل طرفة عين لا يتاح لك خلالها حماية رأسك."

لماذا تُحسب للمسافة العمودية تلك الأهمية؟

يجيب هورت: "إن متوسّط ارتفاع الجالس على دراجة هوائية هو ١٥٩ سنتيمتراً. فمن هذا الارتفاع يضرب الرأس الارض بسرعة ٢٠ كيلومتراً في الساعة، وهذه السرعة تلحق بالدماغ أذى يتعذر اصلاحه."

وأظهرت دراسات أخرى في جامعة جنوب كاليفورنيا أن سقطة من ارتفاع ١١٥ سنتيمتراً بسرعة ١٨ كيلومترا في الساعة قد تلحق بالدماغ أذى قاتلا. لكن توفير وقاية للرأس قد يغير ذلك كله. فالخوذة مبطنة غالبا بمادة "بوليستيرين" الشبيهة بالبلاستيك الاسفنجي الذي تصنع منه أكواب "الكرتون"، لكنها أكثر كثافة. وعند وقوع الاصطدام تُسحق حشوة البوليستيرين التي تبلغ سماكتها حوالى سنتيمترين فتمتص قوة الصدمة.

ويشرح جيم فيف ما يحدث، وهو مدير تنمية الانتاج في "مركز ماونتن لأبحاث السلامة" في سياتل: "ان اصطدامك بالارض وأنت معتمر خوذة يشبه، الى حد ما، سقوطك على رأسك على وسادة قاسية محشوة سماكتها ٣٠ سنتيمتراً."

ويضيف هورت: "تبين لنا أنه نادراً ما

يقتل راكب دراجة اذا سقط مباشرة على أرضية معبّدة وهو معتمر خوذة."

وبينت دراسة أجرتها شركة "جنرال موتورز" عام ١٩٨٨ انه كان في الامكان نجاة اكثر من ربع مجموع راكبي الدراجات النارية الذين قتلوا وهم لا يعتمرون خوذاء، لو كانوا يعتمرونها لحظة الاصطدام. وكانت وزارة النقل في الولايات المتحدة رعت تحقيقاً أجراه هورت وزملاؤه وشمل ٩٠٠ حادث اصطدام لدراجات نارية، استُنتج منه أن الخوذة الواقية هي العامل الاهم في تحديد فرص النجاة.

واذا اعتبرنا أن الاولياء هم المسؤولون مباشرة عن حماية أولادهم من الحوادث القاتلة، فماذا عسى هؤلاء ان يفعلوا؟

نقول للاولياء: شجعوا اولادكم على اعتمار خوذ. ففي امكانكم شراء خوذ للدراجات الهوائية من المتاجر المختصة.

ويُنصح راكبو الدراجات النارية باعتمار خوذ تغطي الوجه لانها توفر لهم حماية أكبر مما توفره الخوذ المفتوحة.

يقول الدكتور دونالد ليسلي المتخصص باصابات الرأس: "تنطوي حوادث اصطدام الدراجات النارية والهوائية على عوامل كثيرة لا يمكن التحكم فيها. ولكن ثمة شيء واحد يمكن التحكم فيه: الخوذة."

ويتني لين ■



"ماما" أخرى!

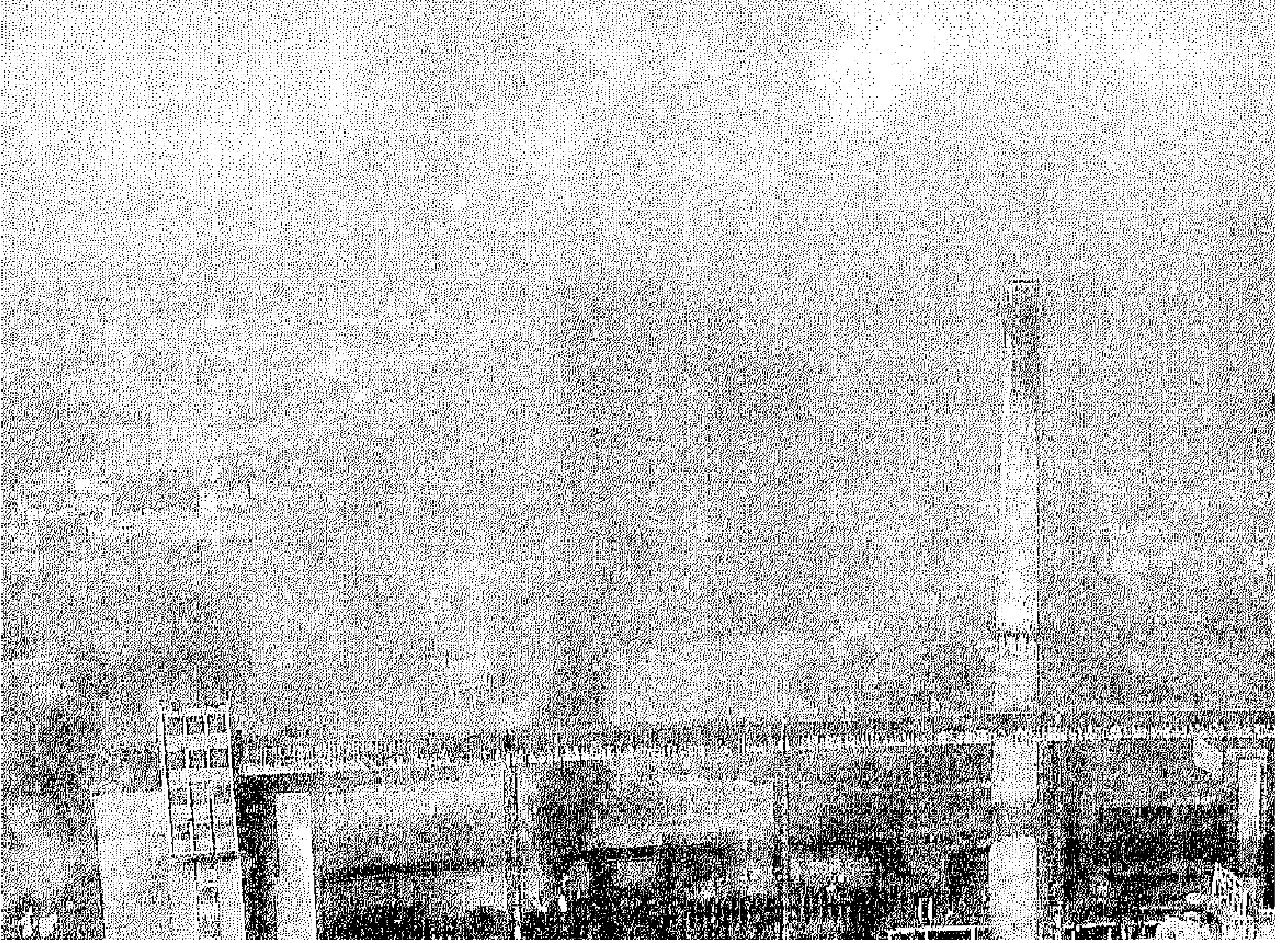
رددت يوماً على الهاتف حيث اعمل فكان الحديث الآتي:
"مرحبا ماما: ماذا تريدين مني ان افعل اليوم؟"
فاجبتها: "اعتقد اننا قررنا ذلك مساء امس، فانت ستغسلين الصحون وتمسحين ارض المطبخ وتنظفين الحمام."
وران صمت لبرهة ثم سمعت: "اوه، الرقم غلط." واقفلت المتكلمة السكة.

م.م.

اسباني من الهند

درّستُ الانكليزية لاجانب راشدين حضروا صفوفاً مسائية. وكان جميع الطلاب يتكلمون الاسبانية باستثناء شاب هندي كنا ندعوه مايك. وبعد اشهر ابدت احدى الطالبات ملاحظة مؤداها ان مايك "حين باشر التعلم كان عاجزاً عن تكلم الانكليزية، اما الآن فبات يتقن الاسبانية."

م.ف.



التلوث يعيدنا إلى الكهوف!

**من حرائق آبار النفط في الكويت
الى تطور التصنيع في العالم العربي، نجد أنفسنا مقبلين
على عصر يصبح فيه التلوث قضية حياة أو موت.
وهذا المقال عن أخطار التلوث في أوروبا - الغربية
والشرقية على السواء - يدق ناقوس... النجدة**

منجم في بولونيا ينفث الدخان في الهواء الملوّث اصلا.

في الرواق المعتم خارج احدى العيادات المتخصصة بالرئة في بودابست يتردد صَفير وأصوات تنفس مُجهَد. انها منبعثة من عشرات المجريين من كل الاعمار الذين احتشدوا منتظرين دورهم للدخول وتنشق أبخرة الملح لمدة خمس عشرة دقيقة في إحدى "حجرات التنشق" الخمس في العيادة، وهي بحجم اكشاك الهاتف. واذ خرجت امرأة من الضباب المنعش ومعها طفلها ابن السنتين المصاب بالربو، قال أحد الاطباء: "هذا يشبه الاغتسال في البحر."

في اشدّ ايام التلوث، تعالج العيادة اكثر من ١٨٠ شخصا ينشدون فترة راحة وفرج من الهواء الدبق البني في الخارج. وثمة أناس آخرون يلجأون الى الكهوف الجوفية المنتشرة في البلاد حيث يستطيعون تنشق الهواء النقي. ويقدر بعض العلماء والأطباء أن ١٠ في المئة من الوفيات في المجر (هنغاريا) تعود مباشرة الى التلوّث. ويضيفون أن المشكلة أكثر تفاقما في بعض مناطق تشيكوسلوفاكيا وبولونيا وألمانيا والاتحاد السوفييتي. أما أولغا بانلاكي (٧٥ عاما) التي تنتظر دورها في العيادة فتقول: "في هذا الجزء من العالم لا يمكنك الركون الى سلامة التنفس."

وعلى بعد حوالى ٢٥٠ كيلومتراً غربا تختنق غابات في النمسا تحت وطأة الهواء الملوّث. ويقول العالم ستين نيلسون من "المعهد الدولي لتحليل الانظمة التطبيقية" في لاكسنبرغ القريبة من فيينا: "ان كثيراً من الاشجار في هذه البلاد سقيم ومجهَد، ويعود معظم السبب الى تلوّث الهواء والى المطر الحمضيّ. وتنطبق هذه الحال على ٧٥ في المئة من غابات أوروبا."

مياه غير آمنة. الوضع خطير منذ وقت طويل في أوروبا الوسطى، لكن رياحا بغيضة تجتاح أجواء الغرب أيضا وتمطر مقادير كبيرة من الفضلات الكيميائية. أما الآن:وقد شرّعت أوروبا الشرقية أبوابها، فان فداحة كارثة التلوث التي ظهرت فيها أذهلت المتخصصين بشؤون البيئة. وتستنتج مجموعات علمية بارزة أن أوروبا الغربية لن تتقدم كثيراً في "تنقية أوساخ بيتها" ما لم تساعد جيرانها. ويقول العالم رود شو من "المعهد الدولي لتحليل الانظمة التطبيقية" الذي أدار دراسة لايجاد فضلى الطرق غير المكلفة والفاعلة في خفض تلوث الهواء في أوروبا: "ان مساعدة أوروبا الشرقية في تنقية أجوائها ستكون الطريق الأسرع والاقل كلفة لتخفيف تلوث الهواء في جزء من أوروبا الغربية."

ويفيد الباحثون الذين يدرسون شؤون الهواء في أوروبا، أن العقد الفائت شهد زيادة ملحوظة في تأثيرات تلوث الهواء. فالملوّثات التي تحملها الرياح وتسقط على الأرض مع المطر تتآكل الأبنية الحجرية وتسمّم التربة وتبيد الحياة في البحيرات والانهار... وأحيانا على بعد

مئات الكيلومترات من مصادرها. وهي تتجمّع أيضا في أنسجة الرئتين لدى البشر وتساهم في ارتفاع اصابات انتفاخ الرئتين والربو والسرطان.

ويضيف علماء في جامعة هامبورغ أن التلوث المحمول في الهواء هو أحد أسباب تحوُّل بحر الشمال أحدَ المجمَّعات المائية الرئيسية الاشد تلوثا في العالم. وثمة ٤٠ في المئة من شواطىء هذا البحر غير آمنة للسباحة.

وباستثناء الاتحاد السوفييتي، تنفث بلدان أوروبا الشرقية والغربية في الهواء أكثر من ٣٥ مليون طن من ثاني أوكسيد الكبريت سنويا. وهي تعادل في خطورتها مقادير أوكسيد النيتروجين الهائلة، وهو الغاز السامّ ذو اللون الاحمر القاتم وأحد مركّبات الابخرة التي تنفثها عوادم السيارات. وفي مثل خطورتها أيضا المعادن الثقيلة كالرصاص والزئبق والكادميوم والزنك والنحاس. يقول يان فرنسين الاختصاصي بتلوث الهواء في أحد معاهد البيئة* في أوترخت بهولندا: "من الواضح الآن أن الوضع أسوأ كثيرا مما كنا نعتقد قبل سنة فقط."

بقعة ساخنة. سيستمر تلوث الهواء قضية مقلقة تجدر معالجتها فيما تحاول دول أوروبا الشرقية كسب مساعدة الغرب لتجديد أنظمتها الاقتصادية المنهارة. فرغبة هذه الدول في شراء مزيد من السيارات والادوات المنزلية في فترة قصيرة الاجل تفرض على الغرب زيادة انتاجه من الطاقة زيادة كبيرة. وهناك مشروع لزيادة انتاج الطاقة الكهربائية في أوروبا الشرقية نحو ٥٠ في المئة بين ١٩٩٥ و٢٠٠٥. ويقتضي تحقيق هذا الهدف احراق مزيد من الفحم الحجري القاسي والفحم البنّي الذي يحوي نسبة مرتفعة من الكبريت. ويؤكد أحد خبراء البيئة في المجموعة الاقتصادية الاوروبية: "ثمة معالجات كثيرة تهدف الى انتشال أوروبا الشرقية من أزمتها الاقتصادية، لكنها تؤدي الى بروز مشاكل بيئية تفوقها ضخامة." والمجموعة الاوروبية عاكفة على تنسيق الاعانات الغربية الى دول أوروبا الشرقية، وقد انضمت اليابان وكندا والولايات المتحدة الى الجهود المبذولة لتنقية الهواء في أوروبا.

والداعي الملحّ الى هذا الكفاح هو الرغبة في انقاذ أشجار أوروبا وصناعتها الحرجيَّة التي تقدَّر بمليارات الدولارات. ففي العقدين الفائتين أدى تراكم ترسّبات ثاني أوكسيد الكبريت وملوّثات أخرى في تربة أوروبا، الى اعاقة نمو الاشجار في معظم غاباتها والى تقصير أجلها، فأصبحت أكثر استعدادا للابتلاء بالأمراض. و"البقعة الساخنة" المنبسطة عبر تشيكوسلوفاكيا وجنوب بولونيا وجنوب شرق المانيا قد تُبتلى قريبا بمستوى عال من الحمضيَّة في التربة والماء بحيث لا يبقى فيها شيء قابل للحياة.

(*) Stichting Natuur en Milieu

ويأمل الاختصاصيون، من طريق اعادة بناء الاقتصاد وأخذ قرارات اكثر ديموقراطية، وضع حد لبعض أسباب التلوث الرئيسية في أوروبا الشرقية، الا وهي النفايات الصناعية وانعدام الفاعلية. ويأملون أيضا أن تساهم التغييرات التي طرأت على أوروبا الشرقية في اقناع أوروبا الغربية بتبني سياسة أوروبية جامعة حقيقية تغني عن البرامج الفردية المعتمدة حاليا والباهظة التكاليف. ويرى روبرت براي مدير "المعهد الدولي لتحليل الانظمة التطبيقية" أن "مجرد التفكير انانيا في المشكلة يؤدي الى الاستنتاج أن الدول الغنية تحتاج الى مساعدة الدول الفقيرة في تنقية البيئة. وذلك لا يعدو كونه مصلحة ذاتية متنورة."

مشكلة موازنة. في دراسة حديثة اجراها علماء المعهد أن الاوروبيين، بالعمل معا في سبيل خفض التلوث في أوروبا الشرقية، لن يوفروا مالا فحسب، بل سيحققون نجاحا أكبر في مكافحة المشكلة الاجمالية التي تواجههم. فاذا اتخذت أوروبا منحى انفراديا، واتجهت كل دولة على حدة الى مكافحة التلوّث وتنقية الهواء الى مستوى آمن لمعظم الاشجار، فان الكلفة الاجمالية ستبلغ ٤٥ مليار دولار سنويا على مدى أجيال مقبلة. ولكن في المستطاع خفض هذا المبلغ الى ١٦ مليار دولار سنويا والحصول على النتيجة ذاتها لو حوّلت الدول الغربية قسما من موازناتها المخصصة للبيئة الى دول أوروبا الشرقية لمكافحة التلوث المنتقل عبر الحدود.

وهذا التفكير هو ما يحفز ألمانيا على التخطيط لزيادة الانفاق في جزئها الشرقي. ففي يوليو (تموز) ١٩٨٩ – قبل الاتحاد – اتفقت الالمانيتان على برنامج توظيف مشترك تساهم فيه ألمانيا الغربية بمبلغ ٣٠٠ مليون مارك (نحو ١٦٥ مليون دولار) وهدفه مساعدة ألمانيا الشرقية في تحويل مولداتها الكهربائية الى العمل بوقود أنقى من الفحم الحجري المستخدم حاليا. وذلك يؤدي الى خفض الضباب الدخاني المنتشر في أجواء الحدود المشتركة. لكن موازنات الدول الاوروبية الأخرى مشدودة الى أقصى الحدود، فمن الصعب حملها على المساهمة في مكافحة التلوّث. ويؤكد يان فرنسين أنه، شخصيا، لن يؤيد عصر النفقات في هولندا للمساعدة في خفض التلوّث الآتي من ألمانيا الشرقية. ويضيف: "مثاليا، يتعين علينا القيام بالامرين معا."

ويبرز التناقض ايضا في طريقة انفاق المال. فالبعض يقول بابدال كل معمل طاقة في أوروبا الشرقية بمحطات طاقة عصرية تستخدم محركاتها وقودا أكثر نظافة، كالغاز الطبيعي. لكن نفقات باهظة تترتب على هذا الاتجاه، مما يدفع الخبراء الى صرف النظر عنه باعتباره غير واقعي. الا أن خطة الغاء المعامل ومحطات توليد الكهرباء غير الفاعلة والباهظة التكاليف ليست الحل الافضل

المنشود، لانها تؤجّل – فقط – الانتقال الى استخدام مولّدات للطاقة أكثر فاعلية.

غيمة معلّقة. نظرة الى مصادر التلوّث في اوروبا تدل على مدى صعوبة ازالته. فمعظم السخام المحمول في الهواء يأتي عبر الحدود حيث ترمي البلدان مشاكلها على جيرانها مما يضفي على كل مشكلة تلوّث بعداً وتعقيدات دولية. فنهر الدانوب، مثلا، يجري متلويا من المانيا الغربية والنمسا عبر تشيكوسلوفاكيا والمجر ويوغوسلافيا ورومانيا وبلغاريا، مكوّناً جزءاً من حدود كل منها. وعلى ضفاف النهر معامل الخشب والورق والصلب والحديد ومصافي النفط ومصانع الاسمنت والمواد الكيميائية ومعالجة الفحم الحجري والمعادن وتكرير السكر والتعليب.

وثمة منطقة ساخنة أخرى تمتد من كراكوف في جنوب بولونيا نزولا الى جبال تاترا في شمال تشيكوسلوفاكيا. فوق هذه البقعة غيمة واسعة من ثاني أوكسيد الكبريت وأوكسيد النيتروجين ومواد كيميائية أخرى تبقى معلقة في الهواء على مدار السنة، فتظلل الصناعات الثقيلة على جانبي الحدود وتسبب توتراً بين البلدين وتقضي على السياحة.

اخبرني أحد موظفي الفنادق متحسّراً، أن المتزلجين والمتنزهين في التلال الجميلة القريبة من زيلينا في شمال تشيكوسلوفاكيا ليسوا بالكثرة التي كانت المنطقة تشهدها قبل عشر سنين. وتظلل البلدة غيمة مشبعة بالروائح المنبعثة من مداخن المصانع الكيميائية ومعامل الورق. وشاحنات النقل المتثاقلة في الطرق المتحدرة المتعرجة تنفث من عوادمها غيوما سوداً من الدخان الملوث بالزيت فيترسّب على كل شيء.

لا يزال، حتى على الدول الغربية، اجتياز مرحلة طويلة. ففي أحدث دراسة لمنظمة الصحة العالمية، بين ١٩٨٠ و١٩٨٤، تبين أن معدّل التلوّث بثاني أوكسيد الكبريت في ٢٣ مدينة كبرى كان أعلى من المستويات المقبولة. وقد شملت الدراسة سبع مدن أوروبية هي ميلانو وباريس ومدريد وفرنكفورت وبروكسل ولندن ودبلن. في الفترة ذاتها سُجّلت في اثينا ولشبونة مستويات تلوث غير صحية بمواد دقيقة أخرى معلّقة في الهواء.

يقول كارلو ريبا دي مينا مفوض البيئة لدى المجموعة الاوروبية، إنه سيسعى الى حمل البلدان الاعضاء على الاتفاق على تبني مشروع جديد أقوى لتنقية الهواء في الغرب ولمساعدة البلدان الشرقية أيضا.

ولكن ما لم تبادر الدول الاوروبية الى انفاق جزء أكبر من موازناتها المخصصة لمكافحة التلوّث في أوروبا الشرقية، فان خبراء كثيرين يتوقعون ان تزداد الحال سوءاً. وينبّه رود شو من "المعهد الدولي لتحليل الانظمة التطبيقية": "الامور تتغير، لكني لست متأكداً من أنها تتغير بالسرعة المطلوبة."

مارك م. نلسون ■

لمعات محببة

سائقون محسنون

جلست امرأة شابة في زاوية داخل مطعم قريب من موقف للشاحنات في شرق تنيسي واستسلمت للبكاء. ووقفت الى جانبها طفلتان في الرابعة والخامسة من العمر تراقبانها مهمومتين.

وكان ورد اتصال على المخفر يفيدنا بالوضع، فأُرسلتُ للاطلاع على الامر.

واذ دنوت من العائلة لاح الخوف في عيني الطفلة الكبرى فقالت بعفوية: "لقد تركنا أبي وأنزل أمتعتنا من السيارة ورحل بينما كنا في الحمام."

قلت لها: "هكذا اذاً يا سيدتي الصغيرة. هيا اجلسي أنت وشقيقتك هناك واطلبي طعاماً لكما."

فابتعدتا على مضض، وأشرت الى النادلة لكي تهتم بهما.

وسألت والدتهما: "ما المشكلة؟"

فأجابتني وهي تمسح عينيها بظاهر كفها: "كما قالت لك ابنتي. زوجي ليس قاسياً، ولكن لم يعد لدينا أي مورد للرزق، وهو ظن أننا سنلقى مساعدة ان هو تركنا."

– هل لديك أقارب؟

"أجل، ولكن في شيكاغو."

جلسنا نتداول أسماء الجمعيات والمؤسسات التي يمكن اللجوء اليها. وقدمت النادلة الى الطفلتين شطيرتي نقانق مع بطاطا مقلية. وحين توجهت الى الصندوق وأخرجت محفظتي لادفع ثمن الطعام بادرتني النادلة: "هذه تقدمة من صاحب المطعم، فنحن على علم بما يجري."

في تلك اللحظة اقترب من الصندوق رجل ضخم يرتدي سروال جينز وقميصاً قطنياً وقبعة رياضية وناداني: "حضرة الشرطي!"

لاحظت أن الاحاديث همدت وأن عيون الزبائن شاخصة الينا، وغالبيتهم من سائقي الشاحنات. ثم ناولني الرجل حفنة من الاوراق النقدية قائلاً: "لقد جمعنا ما يكفي لمساعدة السيدة وابنتيها على المضي في وجهتهن."

فقلت له: "أنا أكيد أن السيدة ستكون ممتنة. فهل أعلمها باسمك؟"

فرفع يديه متراجعاً: "لا، قل لها ان المبلغ من أصدقاء هم أيضا أرباب عائلات."

كان المبلغ كافياً لشراء بطاقات حافلة الى شيكاغو وما يلزم من طعام طوال الطريق. وبكت المرأة ثانية عندما أعطيتها النقود.

وبعد دقائق دنا زوجان وولداهما من الطاولة محاولين التخفيف عنها. واتصلت بالمخفر لابلغ عن تسوية الامر.

غالباً ما يتعرف الشرطي الى الناحية البغيضة من الناس، لذا من المفرح أن يجد من يذكّره بأن المحبة واللطافة موجودتان في الشارع، حتى في محطة للشاحنات شرق تنيسي.

ديفيد هانتر

في "نوكسفيل نيوز سنتينل"

عهد طبيب

روجر بيلي شخصية فريدة قلما يقدَّر لنا التعرف الى مثلها الا في الافلام السينمائية. فهو طبيب يعود المرضى في منازلهم ويعرف أسماء المئات منهم ويناوب ٢٤ ساعة في اليوم. ولا خوف عليه من ألا يحظى بتقدير سكان آشلاند ومين والبلدات المجاورة، فقبل ثماني سنوات رفع هؤلاء السكان ضرائبهم طوعاً للمساهمة في ارساله الى كلية الطب ليتعلّم ويصبح طبيبهم.

ففي تلك الفترة كان أقرب طبيب الى آشلاند وجوارها (٣٠٠٠ نسمة) يعيش في بريسك ايل على بعد ٣٠ كيلومتراً. وحده روجر بيلي، المساعد الطبي آنذاك، كان يعنى بمرضى آشلاند.

يقول راي بولييه آمر شرطة آشلاند آنذاك: "كان روجر يشارك في كل صغيرة وكبيرة بما في ذلك فرق الاسعاف وحركة الشبيبة. وكانت زوجته تدرِّس الاقتصاد المنزلي في المدرسة الثانوية، وكانا معروفين ومحبوبين."

شهد بيلي تعاقب الاطباء على آشلاند وأدرك أن حلم حياته في أن يصبح طبيباً ربما لم يمت، وكان تخلى عنه بسبب تكاليف التخصص الباهظة. يقول: "فكرت في أن البلدة اذا ساعدتني على دفع التكاليف ففي مستطاعي استدانة المبلغ المتبقي فأدرس وأعود لممارسة الطب هنا."

هكذا دوَّن بيلي عقداً رسمياً وتوجه الى مجالس البلدات الست في منطقة آشلاند شارحاً للاعضاء أن ارساله الى كلية الطب سيكلف كل رجل وامرأة وطفل ٥،٣٥ دولارات في السنة من ضريبة الملكية المضافة. وفي المقابل، تعهد بيلي العودة الى المنطقة وممارسة الطب لثماني سنوات على الاقل (أي سنتين لكل سنة تخصص دفع السكان تكاليفها). وتم الاتفاق على العقد بالاجماع في البلدات الست.

غاب روجر بيلي عن آشلاند سبع سنوات أمضاها في دراسة الطب

والتخصص. وعاد في أغسطس (آب) ١٩٨٩ ليبدأ ممارسة طبية حافلة. قال أحد زبائنه أخيراً: "لقد كان ارساله الى كلية الطب فكرة جيدة، بل جيدة جداً. أنا في التاسعة والتسعين من عمري، وأعرف ما هو جيد."

مايكل ريان

في "باراد"

جوهر التعليم

كان "تي جي" ضخم البنية، أشعث الشعر، هادئاً، منسياً. وكان يجلس وحيداً في مؤخر الصف حيث أعلِّم في المدرسة الثانوية، ولا يأتي أي حركة. فلا يشارك في النقاش ولا يكتب الفروض ولا يقدم الامتحانات ولا يحضر دروسه. فرسب.

أثار هذا الفتى الغريب فضولي فراجعت سجله. وتبين لي أن والدته توفيت وأنه يعاني مشاكل مع والده. فاتضحت لي أسباب استسلامه وأسفت لحاله. وفي السنة التالية عاد الى الانطواء. وذات يوم خلال نقاش في الصف حول موضوع "تقدير الذات"، طلبت من التلاميذ تثبيت ورقة بيضاء على ظهورهم والتفتيش عن خمسة رفقاء لا تربطهم بهم معرفة جيدة فيكتب كل منهم صفة حسنة عن حامل الورقة. ثم طلبت منهم قراءة أوراقهم بصمت وكتابة بضعة أسطر يصفون فيها أنفسهم من خلال نظرة الآخرين اليهم.

وللمرة الاولى امتثل "تي جي" لما طلب منه.

في ما بعد، سألني "تي جي" أن أسمح له بتقديم ملصَّقة* عن شخصيته في الصف. وعلى رغم انه كان يفترض تقديم الملصقة قبل شهر فانني رحبت بطلبه.

وفي اليوم التالي عرض "تي جي" ملصقته التي تضمنت ثلاث مجلات زراعية وُصلت بخيط قنَّب. وهو أخبرنا أن عائلته تعمل في الزراعة وأن الخيط يبقي حياته متماسكة. وعلّق في أسفل الملصَّقة الورقة التي كانت على ظهره وقد كتبت عليها عبارات: "لطيف"، "مضحك"، "شعر جميل"، "شخص ودود" و"محب."

علّقتُ الملصقة عاليا ليراها الجميع. وعندما عاد "تي جي" الى مكانه نقل كرسيه الى جانب التلاميذ الجالسين في الصف الاخير. ورحت أقاوم دموعي، بينما لزم التلاميذ الصمت وقد شعروا للمرة الاولى بأهمية حضور "تي جي."

أما "تي جي" فقد كانت تلك اللحظة بالنسبة اليه بداية ارتباط.

تخرج "تي جي" في المدرسة الثانوية. ولدى مروره أمامي خلال الاحتفال بردائه المتطاير وقلنسوته المنحرفة وشهادته التي رفعها عاليا، ابتسم لي وصافحني وغمزني بعينه.

لقد علّمني "تي جي" جوهر التعليم.

سوزان كانينغهام أوكر

في "بالتيمور ايفننغ صن"

(*) الملصَّقة (collage) رسم مؤلف من قصاصات صحف واعلانات وسواها ملصقة على سطح صورة.

دائرة المعارف

تضم دائرة هذا العدد مضافات نسبت الى اشخاص فشاعت حتى ضرب بها العرب المثل.

كنوز قارون: يضرب بها المثل في ما يستعظم قدره من نفائس الاموال. وجاء في رسالة للخوارزمي: "لو كنا نعمل على قَدْر النية لحملنا إليك خَراج فارس وعُشر الاهواز ودَخْل البصرة وتاج كسرى وإكليل شيرين وكنوز قارون وعرش بلقيس.

مواعيد عرقوب: يضرب بها المثل في الكذب والخلف. وعُرقوب رجل من خَيْبَر، أتاه أخوه يسأله، فقال له عرقوب: اذا أطلعت تلك النخلة فلك طلعها. فلما أطلعت أتاه فقال له: دعها حتى تبلح. فلما أبلحت أتاه فقال: دعها حتى تُزهي. فلما زهت قال: دعها حتى تُرطب. فلما أرطبت قال: دعها حتى تُتْمر. فلما أتمرت سرى اليها عرقوب من الليل فجدَّها ولم يعطِ أخاه شيئا. فسرت مواعيده مثلا سائرا في الامثال.

واو عَمْرو: تضرب مثلا لما لا يُحتاج اليه. وأول من ضرب المثل بها أبو نواس حيث قال لأشجع السُلَمي:

أيها المدعي سُليمى سَفاها
لستَ منها ولا قلامة ظُفرِ
إنما أنت من سُليمى كواو
ألحقَتْ في الهجَاء ظلما بِعَمْرِ

شبديز كِسرَى: مِن خصائص كسرى بن أبَرْويز أن الناس لم يروا أحدا قط في زمانه أمدَّ قامة ولا أتم خلقة ولا أوفر جسامة ولا أبرع جمالا منه، فكان لا يحمله الا فرسه شبدين، وكان في الأفراس كُهوَ، في الناس، يُضرب به المثل في عظم الخَلق وكرم الخلق، وجمع شرائط العِتْق.

ولما مات شبديز لم يَجسُر أحد على نعيه اليه، فضمِن صاحب الدواب للفلهيد المغني مالا، وسأله أن يعرِّض لأبرَويز بموت شبدين، فقال وهو يغنيه في مَجلسه:

شبديز لا يَسمَى ولا   يرعى ولا يَنامُ

فقال أبرويز: قد مات إذا! فقال الفلهيد: من المَلِك سمعت. ثم كان ابرويز بعدُ لا يحمِله إلا فيل من أفيلته، وكان ألطفَها بدنا، وأعدلَها جسما.

سيرة أزدشير: من حسن سيرته أن له كتابا في حُسن السيرة يُضرب المثل به، وتَقتَبس الملوك من أنواره، فمن نكته قوله: إذا رغب المَلِك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة. لا صلاح للخاصة مع فساد العامة، ولا نظام للدهماء مع دولة الغوغاء. أوحش الأشياء عند الملوك رأس صار ذَنَبا وذَنَب صار رأسا. لا سلطان الا برجال، ولا رجال الا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عِمارة إلا بعَدْل وحُسن سياسة.

ومن كلامه: القَتْل أنْفى للقتل. وأجلّ منه في معناه قولُ الله تعالى: ﴿ولكُمْ في القصاص حياة يا أولِي الألبابِ﴾.

حوليّات زُهير: يُضرب بها المثل في جيّد الشعر وبارعه: وهي أمهات قصائده، وغرر كلماته التي كان لا يعرض واحدة منها حتى

يحول عليها الحول. وهو يجتهد في تصحيحها وتنقيحها وتهذيبها. وكان يقول: خير الشعر الحوليّ المنقّح المحكّك.
وعهدي بالخوارزمي يقول: من روى حوليّات زهير، واعتذارات النابغة، واهاجي الحطيئة، وهاشميات الكُميت، ونقائض جرير والفرزدق، وخمريات أبي نواس، وزُهديات أبي العتاهية، ومراثي أبي تمام، ومدائح البحتري، وتشبيهات ابن المعتز، وروضيات الصنوبري، ولطائف كُشاجم، وقلائد المتنبي، ولم يتخرّج في الشعر فلا أشبّ الله تعالى قرنه.

بنات نُصيب: كان نُصيب عبداً أسود لبني كعب بن ضمرة وكان شاعراً مفلقاً، ولشعره ديباجة، ولما سئل عنه جرير، قال: هو أشعر أهل جلدته، ولا يقال: أشعر أهل بلدته، وقد يقال لمثله. هو أشعر الناس، وإن كان فيهم من هو أشعر منه. وكان لنُصيب بنات نفضَ عليهنّ من لونه، فهنّ يشبهنه في الادمة والدمامة، وكان يحبّهن جداً، وكان يربأ بهن عن العجم، ولا يرغب فيهن العرب، فبقين معنّسات، وصرن مثلاً للبنت يضنّ بها ابوها، فلا يرضى من يخطبها، ولا يرغب فيها من يرضاه لها.

يوم عبيد: يضرب مثلاً لليوم المنحوس الطالع. وكان عبيد بن الأبرص تصدى فيه للنعمان بن المنذر في يوم بؤسه الذي كان لا ينحو منه من لقيه فيه كما كان لا يخيب مَنْ لقيه في يوم نعيمه، فقال له. يا عبيد، إنك مقتول فأنشدني قولك:

﴿اقفر من أهله مَلْحوبُ﴾

فانشده:

اقفرَ من أهله عَبيدُ
فاليوم لا يُبْدي ولا يُعيدُ

ثم أمر به فقتل فسار يوم عبيد مثلاً.

دجاجة هِلال. هي كديك مُزَبِّد في البركة وحُسن الأثر على صاحبها. ومن قصتها أن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، بينما كان يتعشى على مائدته، إذ قُدِّمتْ له دجاجة فائقة مشويّة، فاستطابها، وسأل عنها، فقالوا له: إنّ هلالا أهداها للأمير، فقال يا غلام. أخرج كتابا من ثِني فراشي، فأخرجه. فاذا هو كتاب الحجاج إليه يأمره بقتل هلال، والبعث إليه براسه، فلما قرأه هلال تغيّر وارتعد، فقال له ابن الاشعث: لا عليك يا هلال! أقبل على طعامك. أترانا نأكل دجاجتك ونبعث اليه برأسك! والله لا يُوصَل إليك حتى يُوصَل إليّ.

هدهُد سليمان: يُضرَب مثلا للانسان الحقير يدل على الملك الخطير، قال بعض العلماء: للعلم دالّة يعتز بها الصغير على الكبير، والمملوك على المالك، ألا ترى أن الهدهد وهو من محقرات الطير قال لسليمان عليه السلام وهو الذي أُوتيَ مُلْكا لا ينبغي لأحد من بعده: ﴿أحَطْتُ بما لم تُحِطْ به وجئتُك من سبأ بنبأ يقين﴾.
قال الجاحظ: هدهد سليمان هو الذي كان يدل سليمان على مواضع المياه في قُعور الأرضين إذا أراد استنباط شيء منها.

شاة أشعب. يضرب بها المثل في الطمع، قيل لأشعب: هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم، شاة لي صعدت في السطح، فنظرت إلى قوس قزح، فظنّته حبل قتّ، فسقطت فاندقت عنقها.

حمق دُغَة: هي بنت منعج، زُوّجت وهي صغيرة في بني العنْبر، فحملتْ، فلما ضربها المخاض ظنّت انها تحتاج الى الخلاء، فبرزت الى بعض الغيطان ووضعتْ ذا بطنها، فاستهل الوليدُ، فجاءت منصرفة وهي لا تظنّ إلا إنها احدثت فقالت لأمها: يا أماه، هل يَفتح الجَعْرُ فاهُ؟ قالت. نعم ويدعو اباه، فسُبَّ بها بنو العنبر، فسُمُّوا بني الجَعراء.
ولها حماقات كثيرة، والمَثَل بحُمقها سائر.



رسم ذاتي، ١٨٨٤.
كانت الرسامة آنذاك في الثانية والعشرين وتعيش في باريس.

كرّست حياتها للرسم
وباتت من عظماء
الرسامين في بلدها

رسامة من فنلندا

عاشت هيلن شيرفبك* حياتين مختلفتين: الاولى رسامة في العقدين الاخيرين من القرن التاسع عشر في باريس وايطاليا وبريطانيا، والثانية رسامة في العقد الثاني والثالث والرابع من القرن العشرين في بلدها الام فنلندا. ولم تكن معروفة لدى جمهور الفن.

وشعرت أينما حلّت بأنها في موطنها، سواء وسط غابات الصنوبر في بلدة هيفينكا الصغيرة او على شاطىء البحر في بلدة تاميساري.

شاءت الاقدار أن تعيش هيلن حياتين يفصل بينهما زمان وظروف، ولكن جمعهما عامل حيوي مشترك هو الرسم الذي استحوذ على هيلن أيما استحواذ وبات الانسلاخ عنه يتطلب منها جهداً ذهنياً كبيراً.

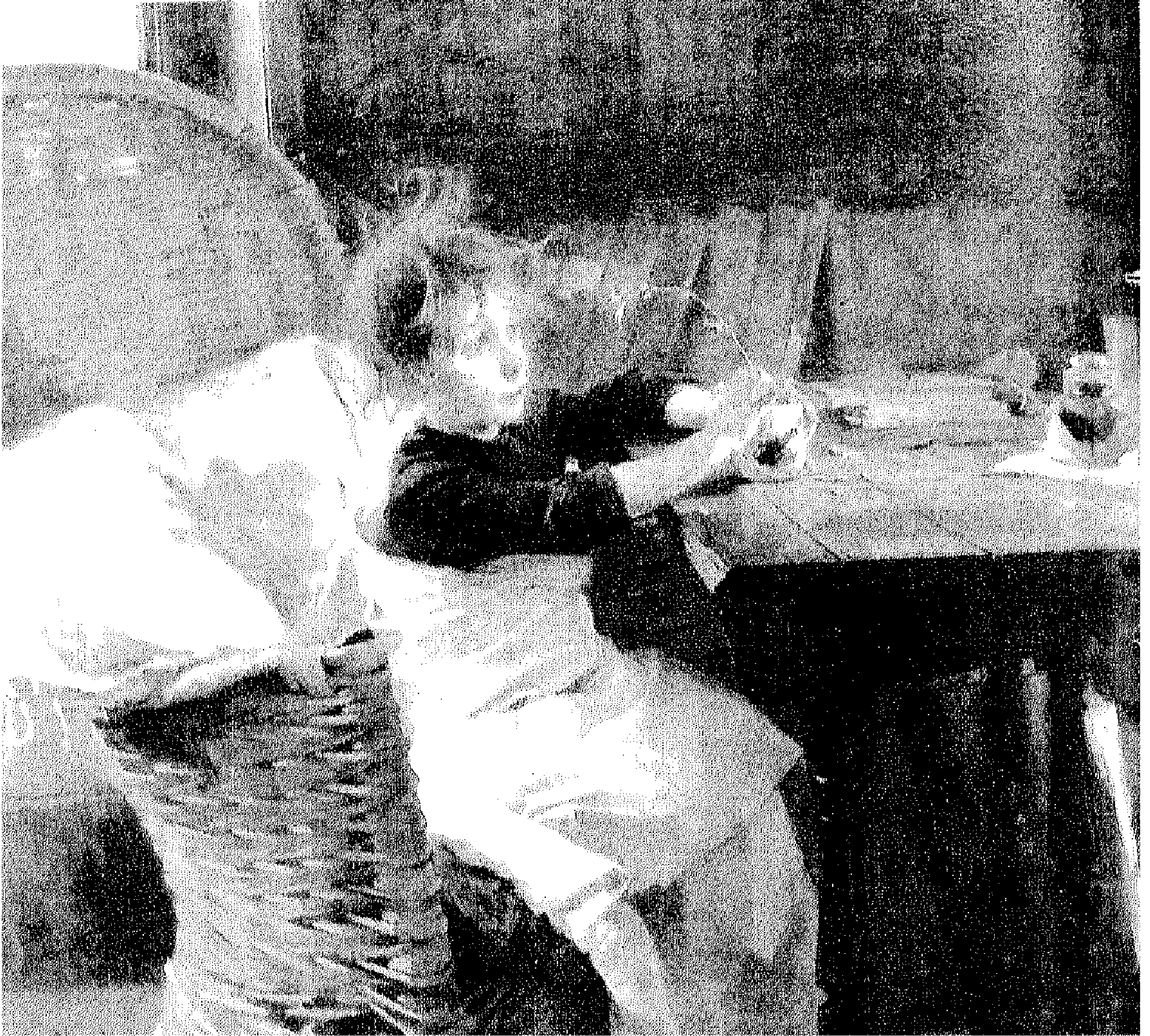
(*) Helene Schjerfbeck



صبيّان على الجرف في سانت ايف، ١٨٨٧. زيتية على الخشب. حذفت شيرفبك حرف «j» من توقيعها لاعتقادها انه صعب اللفظ على الانكليز.



"ورود صفراء في كاس" من أواخر ثمانينات القرن التاسع عشر. تبدو تركيبات "الحياة الساكنة" منسجمة وتتجلى فيها موهبة شيرفبك وابداعها ولمستها البارعة.



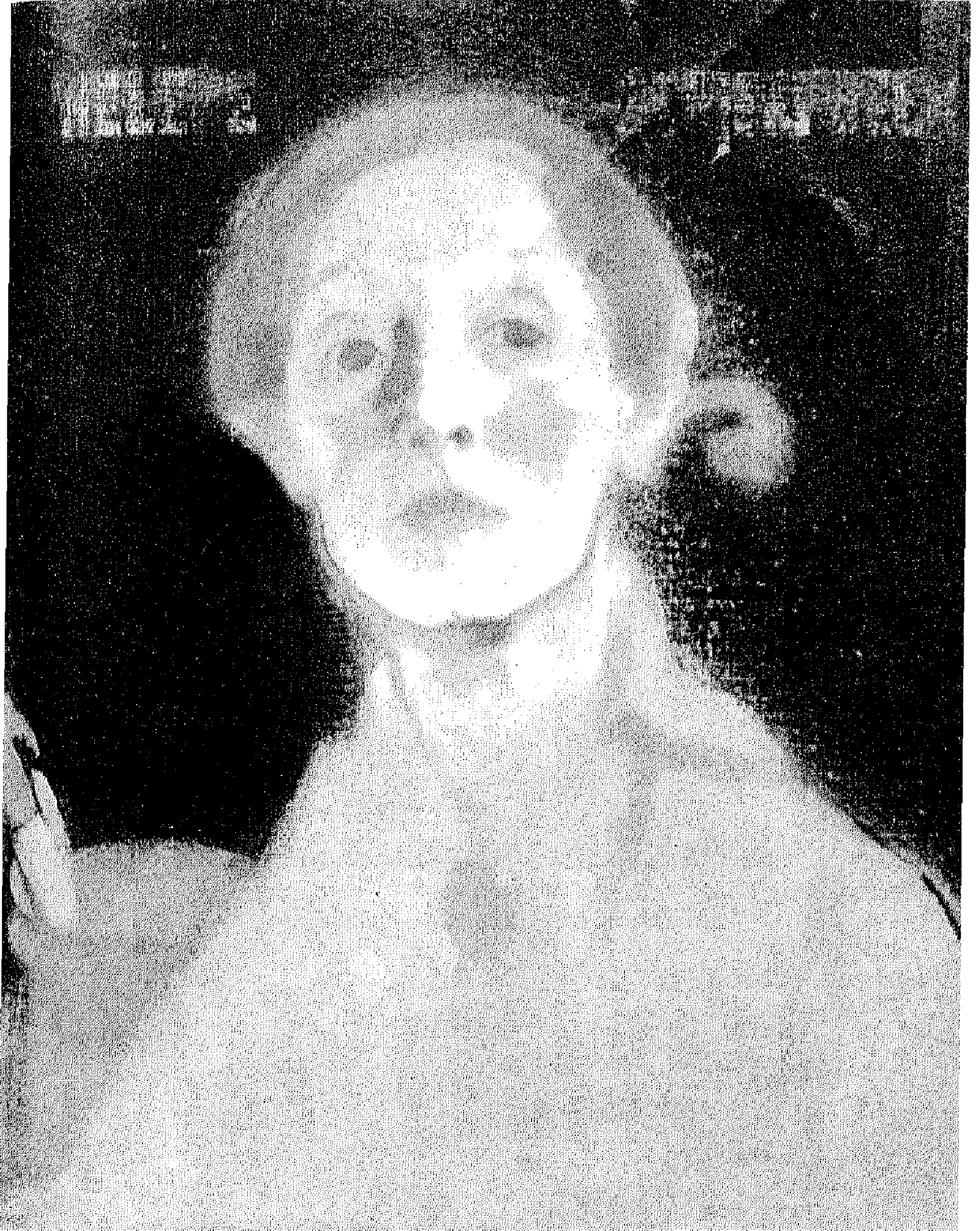
"الناقهة." رسمت في سانت ايف (كورنوال). عرضت للمرة الاولى في صالون باريسي ربيع ١٨٨٨ ونالت ميدالية في معرض باريس العالمي عام ١٨٨٩.

تقول مارياتا ليفانتو وهي محاضرة في "متحف أتنوم للفنون" في هلسنكي طالعت نحو ٢٠٠٠ من رسائل الرسامة: "كانت الاعمال المنزلية بالنسبة الى هيلن مثل غول يحرمها الانصراف الى هاجسها الاوحد: الرسم. كانت تتذمر من أبسط الاعمال اليومية التي ينجزها الآخرون في نصف دقيقة."

كانت هيلن تكره الالتزامات الاجتماعية على رغم أنها عاشت للناس. وقد كتبت في احدى رسائلها: "أستطيع السكن في أي زقاق حقير بشرط أن أرى مارة."

أجبت رسم الوجوه وحققت ٤٠ لوحة ذاتية أنجزت عشرين منها في السنتين الاخيرتين من حياتها. ولم تحظَ المناظر الطبيعية الا بقلّة من رسومها.

في البدء كان الرمادي مفضلا لديها، وأدخلت اليه لاحقا الاصفر الكبريتي.



رسم ذاتي، ١٩١٥. كلف "الاتحاد الفنلندي للفن" شيرفبك رسم لوحة ذاتية. ولما لم تحب الفنانة الخلفية الفضية للوحة الاصلية، اختارت رسم خلفية سوداء.

كان الاحمر يربكها وسمّته "المجهول الصعب." واستعانت بالكرتون لانه يمتص بعضاً من الالوان ويبقي تركيبتها الخشنة . ظاهرة. واستعملت تقنيات الالوان المائية تفادياً للرسوم اللماعة. وأشهر لوحاتها "الناقهة" وهي رسم لفتاة تحمل غصناً أخضر. النور في اللوحة هو نور الربيع الزاهي. وكما تفيق الطبيعة على دفء الربيع فان صحة الناقهة الصغيرة ستتحسن مع اقتراب الصيف. رسمت شيرفبك اللوحة عام ١٨٨٨ يوم كانت تسكن في بلدة سانت ايف الساحلية في كورنوال جنوب غرب بريطانيا. ولطالما فُسرت على أنها ترمز الى تعافي الرسامة نفسها من صدمة عاطفية بعد افتراقها عن رسام بريطاني.

رسمت شيرفبك في العشرينات والثلاثينات نسخات معدَّلة لهذه اللوحة على غرار ما فعلت لاحقاً بلوحات أخرى قبل وفاتها. وجاء النسخات الجديدة اعادات مبسَّطة للمواضيع السابقة. وكان هاجس النقص حافزها على التكرار: هل انتهى هذا العمل؟ هل يمكن اضافة شيء ما؟

كانت شيرفبك قادرة على رسم لوحات عدة في آن. وكانت ترسم لوحة وتعيد رسمها حتى يبلى قماش القنب. وراوحت تقنيتها بين الغسل والرسم فوق الرسم والخربشة والتنعيم.

لولا غوستا ستنمان لما اشتهرت شيرفبك وأصبحت موضع تقدير في بلادها. ففي العام ١٩١٣ قصد ستنمان هيفينكا لشراء بعض لوحات شيرفبك. وكان يحلم بأن يصبح تاجر قطع فنية ومؤسس متحف للفن المعاصر. ودهشت الرسامة لاهتمامه وقالت له: "أنت ما زلت



عام ١٩٢٧ رسمت شيرفبك نسخة جديدة للوحتها "الناقهة" فصغرت حجمها واستعملت الواناً اكثر دفئاً.



رسم ذاتي للفنانة في ايامها الاخيرة، بيع في صالة كريستي في لندن في مارس (آذار) ١٩٨٨.

شاباً يانعاً، لا تهدم حياتك بشراء لوحاتي، فهي ليست بذات شأن."

لم تكن شيرفبك كبيرة الثقة بموهبتها، بل كانت تفرط في انتقاد لوحاتها. وعندما نظم غوستا ستنمان عام ١٩١٧ أول معرض لها في هلسنكي، كتبت اليه في احدى رسائلها: "اخفض الاسعار، انني أكتفي بربع السعر الذي تطلبه."

انتقل ستنمان لاحقاً الى أسوج (السويد) حيث افتتح متجراً للقطع الفنية. وظل على اتصال وثيق بشيرفبك يشجعها ويثني عليها ويطلب منها لوحات جديدة. وشعرت شيرفبك أحياناً بأن ستنمان صارم لا يرحم، كتاجر رقيق. وكتبت ذات مرة باقتضاب: "ذهب ستنمان الى انكلترا. يومان من الراحة!" ولكن، من ناحية أخرى، كان تقديره يعني الكثير بالنسبة اليها: "كم أنا سعيدة لأن ستنمان اختارني لهذه المغامرة الكبرى."

عاشت هيلن شيرفبك حياة عادية ظاهرياً طوال عقود أمضتها في هيفينكا وتاميساري. لكن الجهد المتأجج في أعماقها كان عارماً. وتبدو الرسامة في أذهاننا امرأة رقيقة، ضعيفة البنية، ذات عينين أثيريتين وقسمات رقيقة غير مادية. أرغمتها أوجاع في حوضها على الاستعانة بعصا للمشي. وغالباً ما كانت تشتكي من قلبها.

وتقول مارياتا ليفانتو: "هناك، بلا ريب، أمور عدة أثرت في شخصيتها الحساسة. ومع ذلك يخيل الينا احياناً أنها، بحديثها المتواصل عن متاعبها الصحية، تمكنت من اقصاء الاشخاص المزعجين."

عندما نشبت الحرب بين فنلندا والاتحاد السوفييتي في العام ١٩٤٤، أقنعها غوستا ستنمان بالانتقال الى أسوج حرصاً على سلامتها. وكانت في الثانية والثمانين من عمرها عندما ركبت طائرة، ونزلت في فندق بالقرب من استوكهولم.

هناك واصلت شيرفبك الرسم حتى باتت عاجزة عن حمل فرشاة. وظلت وفيّة لنفسها حتى النهاية، فرسمت صورة أخرى لها فحمية لا تتضمن سوى بضعة خطوط، هي الجوهر الاساسي أو كل ما تبقى من امرىء قبيل وفاته.

أنتيرو رافوري ■

أضواء من عالم الطب

التصوير المبكر يخفض سرطان الثدي

■ كان الاطباء في الماضي يلحّون على النساء اللواتي تخطّين السن الخمسين في الخضوع سنوياً لتصوير بالاشعة بهدف كشف سرطان الثدي على نحو مبكّر. والآن وافقت بضع عشرة منظمة طبّية في الولايات المتحدة على جدول زمني للتصوير، مرة كل سنة أو سنتين، لنساء تراوح أعمارهن بين ٤٠ و٤٩ سنة ولا تظهر عليهن أعراض السرطان.

وتصوير الثدي بالأشعة السينية (اكس) يكشف سرطان الثدي في مراحله المبكرة قبل أن يتسنى تحسُّس التورم. (والفحوص الطبية الدورية ضرورية أيضاً لاجراء تقويم كلّي للثدي.) يقول الدكتور هارولد ب. فريمان رئيس "الجمعية الأمريكية للسرطان": "اذا شُخِّص ورم في الطور الاول، أي عندما يكون صغيراً ومحصوراً في الثدي، فان معدل البقاء قيد الحياة طوال خمس سنوات يراوح حينئذ بين ٨٠ و٩٠ في المئة."

وقد تابع باحثو "المعهد الوطني للسرطان" طوال ١٨ سنة دراسة أجريت في الستينات وشملت عيِّنة عشوائية من النساء، فتبين لهم أن حالات الموت بسرطان الثدي بين نسوة في العقد الخامس (بين ٤٠ و٤٩ سنة) خضعن لتصوير الثدي بالاشعة، تقل بنسبة ٢٤ في المئة عن مثيلاتها بين نسوة لم يجرين أي تصوير. وأظهرت دراسات أخرى أن تقنيات تصوير الثدي بالاشعة تحسنت كثيراً منذ الستينات، وأن من شأنها خفض الوفيات بمعدل كبير.

صحيفة "واشنطن بوست"

معالجة الاطراف المشوهة

■ هناك معالجة ثورية تحمل الامل الى الاشخاص الذين ولدوا باطراف مشوّهة أو الذين تكسرت أطرافهم أو أصيبت بالتهابات مزمنة نتيجة جروح.

فباستخدام أفكار معروفة في شفاء العظم وأداة تدعى "مثبتة دائرية خارجية"* ابتدعها الطبيب السوفييتي غافرييل اليزاروف، يتسنى للاطباء في الولايات المتحدة وايطاليا اصلاح الكسور الملتهبة وتطويل السواعد والأرجل المشوهة وتحسين شكلها بنجاح أكبر.

تتضمن تقنية اليزاروف قضباناً ملولبة تُولَج ضمن حلقات في أعلى وأسفل قالب خاص مثبَّت على الطرف المصاب. فبعد وصل الحلقات بأسلاك رفيعة مغروزة داخل الطَرف، يعمد الجرّاح الى إحداث شِق أو شقوق سطحية في طبقات العظم الخارجية القاسية. وكلما أدار المريض القضبان تباعدت أطراف العظم المشقوق قرابة ربع مليمتر. ولا يلبث أن ينمو، تدريجاً، عظم سليم وأوعية دموية وأنسجة جديدة لملء الفراغ.

هذه العملية بطيئة ومؤلمة أحياناً، لكنها أعانت مصابين بكسور ملتهبة مزمنة في "قصبات" أرجلهم على تفادي بترها، كما ساعدت مرضى مشوهين على اكتساب مظهر طبيعي.

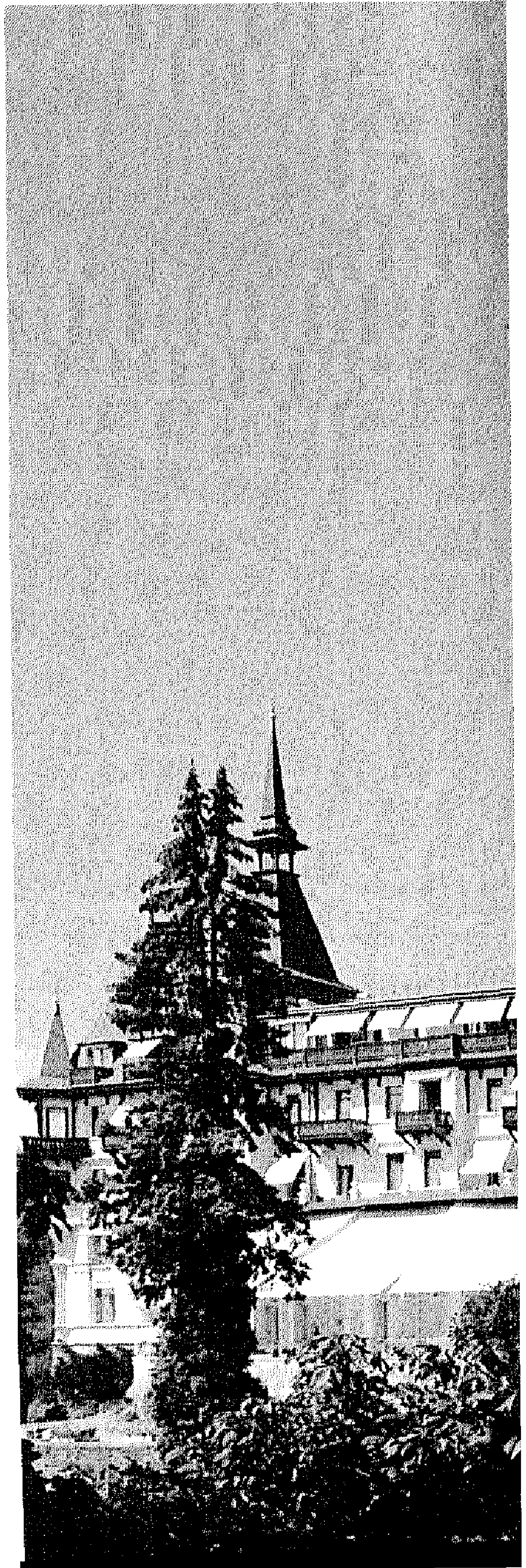
نشرة الاكاديمية الامريكية لجراحي العظم

(*) Circular external fixator.

دولـدر غـرانـد
فنـدق المحظوظين



فندق فخم في زوريخ يحل فيه الضيف سيداً لا يُرد له طلب



استقر الكاتب يوهان ماريو سيمل* وزوجته لولو في جناحهما في فندق دولدر غراند في زوريخ (سويسرا). واتصل يوهان بقسم الخدمة طالبا ارسال طعام العشاء الى غرفتهما. وكانت ادارة الفندق عودت هذين الضيفين العزيزين تنفيذ أبسط رغباتهما. غير أن يوهان فوجىء هذه المرة بصوت حازم:

"عذراً يا سيدي، لا خدمة للغرف اليوم، أرجو أن تنزلا الى المطعم."

دهش آل سيمل وتملكتهما الحيرة، لكنهما كانا يتضوران جوعاً فنزلا الى مطعم "لا روتوند." وفيما هما يدخلان القاعة، استقبلهما عازف البيانو بلحن مفضل لديهما. ثم تقدمهما رئيس الندل الى طاولة زينت بزهور الاوركيديا. وتعاقب الندل على خدمتهما، فقدموا اليهما الكافيار وأصناف الشراب والمقبلات، وأتبعوها بشرائح من لحم البقر اللذيذ وهو الطبق المفضل لدى لولو. كان ذلك أسلوب فندق دولدر في الاحتفال بعيد ميلادها. وقد أخبرني يوهان في ما بعد: "أنا لم أذكر لادارة الفندق أن عيد لولو يصادف ذلك اليوم، وما زلت أجهل كيف علمت الادارة بالامر."

(*) مؤلّف «Es muss nicht immer kaviar sein» أحد الكتب الاكثر مبيعا في العالم.

يقول مودست فولونييه رئيس حجّاب الفندق: "ان ضيفنا يحلّ علينا... مَلِكاً." وقد التحق مودست بالفندق قبل أربعة عقود عمل خلالها على ارضاء النزلاء الاكثر غرابة. ومن بين هؤلاء ملوك أمثال ملك اليونان بول وزوجته الملكة فريديريكا وأمير ويلز وملك أسوج (السويد) كارل غوستاف وزوجته الملكة سيلفيا والارشيدوق أوتو فون هابسبورغ. كما تتضمن لائحة النزلاء أسماءِ شخصيات تاريخية أمثال السر ونستون تشرشل وإليانور روزفلت وجون ف. كينيدي وألبرت أينشتاين، فضلا عن مشاهير الموسيقيين أمثال أرتورو توسكانيني وعظماء الرسامين على غرار مارك شاغال ونجوم السينما أمثال صوفيا لورين وغريغوري بيك وجيري لويس الذين اتخذوا هذا الفندق مقراً موقتاً.

عام ١٩٨٢ صنفت مجلة "انستيتيوشنال انفستور" النيويوركية فندق دولدر غراند (خمس نجوم) الفندق الافضل في أوروبا وفي النصف الغربي من الكرة الارضية. أما أسباب تدفق الاغنياء والمشاهير اليه فواضحة تماماً. لقد شيد هذا الفندق في "العصر الذهبي" مطلع القرن العشرين على قمة تلة زوريخبرغ المشجرة المطلة على المدينة وبحيرتها. وهو يضع في تصرف نزلائه غرفاً فخمة تطل على مناظر خلابة، ويدعوهم الى الافادة من التسهيلات ووسائل الترفيه التي يتضمنها، من ملاعب لكرة المضرب وحقل للغولف وحلبة للتزحلق على الجليد وحوض مفتوح للسباحة خلال الصيف، فضلا عن دروب في الغابة حيث يحلو العدو والتنزه.

وجوه باسمة. في العام ١٨٩٠ قرر هنريك هرليمن، وهو رجل أعمال من زوريخ، بناء مطعم وسكة عربات معلقة (تلفريك) فوق تلة زوريخبرغ، وكانت برية مقفرة آنذاك. وبعد نجاح هذا المشروع قررت شركة هرليمن عام ١٨٩٦ شراء قطعة أرض كبيرة وبناء "فندق أحلام" من تصميم المهندس المعماري جاك غرو.

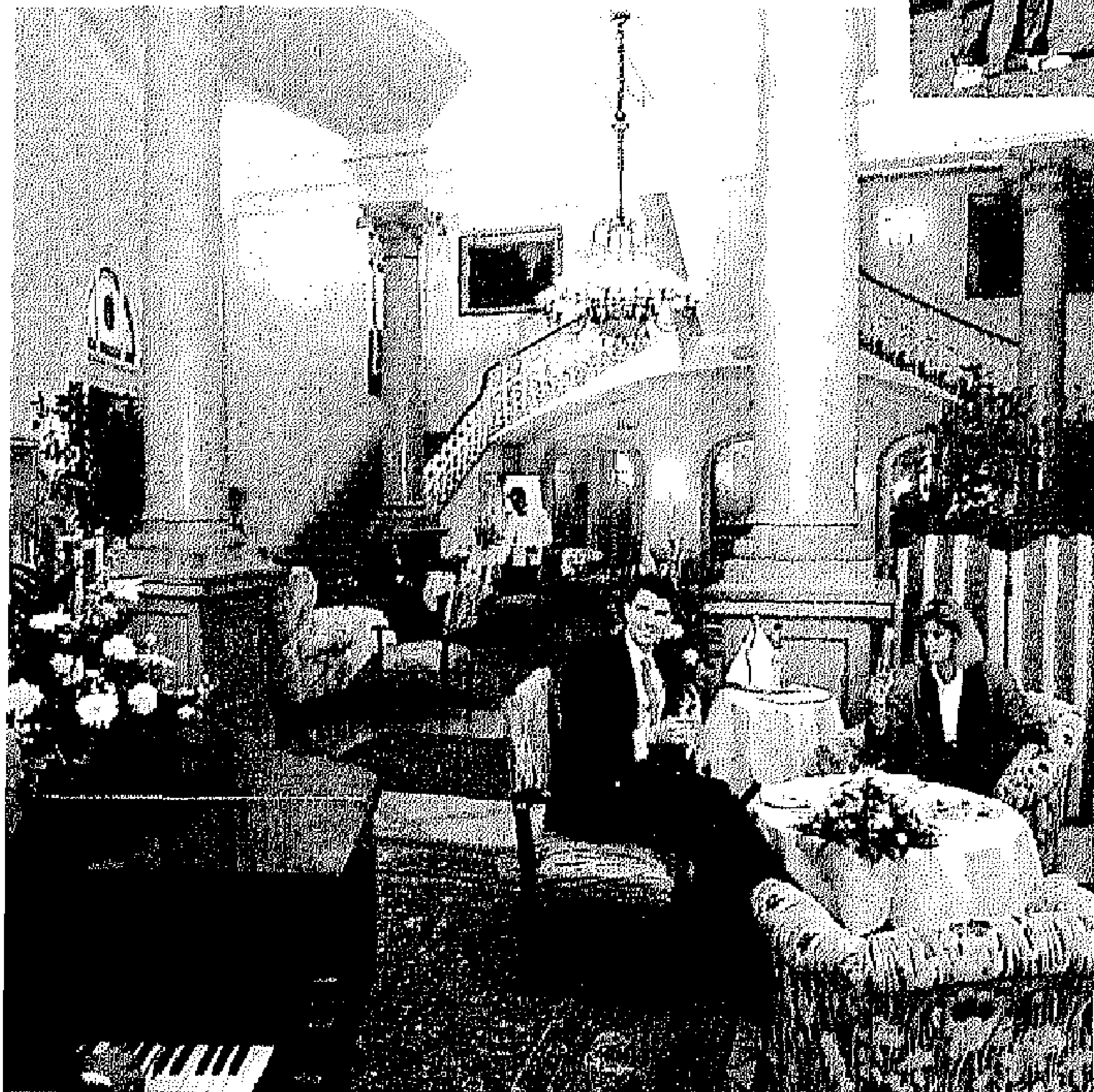
صمم فندق دولدر ليكون مقراً صيفياً لزوار أجانب وملاذاً لعائلات زوريخ الميسورة الهاربة من حرارة المدينة. وافتتح في مايو (أيار) ١٨٩٩ وظلت غرفه جميعها محجوزة طوال الموسم. وفي العام ١٩١٥ شرع أبوابه لاستقبال النزلاء على مدار السنة. وكان يضم آنذاك ١٢٠ غرفة، أما اليوم ففيه ١٨٥.

ويعمل في الفندق فريق من ٢٦٠ موظفاً. ويقول المدير هنريك ج. هونولد: "كل موظف لدينا مدرب بجهد وعناية ويعرف تماماً أننا نهدف الى ايلاء نزلائنا خدمة وعناية شخصيتين قد لا يحصلون عليهما في أي مكان آخر." ويضيف: "أود أن أرى حولي وجوهاً سعيدة باسمة."

ويجد النزلاء في غرفهم باقات من الزهر قطفت من مستنبت الفندق وفاكهة اختيرت لهم خصوصاً. أما الآنية الفضية البراقة والمناديل المنشّاة والزهور







حقل الغولف.

أحد الاجنحة الملكية الثلاثة
في البرج الاوسط.

ردهة الفندق الفخمة
وقد بنيت في "العصر الذهبي".

سكة حديد مسننة
تربط الفندق بمدينة زوريخ.

مطعم "لا روتوند" الهلالي
المطل على متنزه خلاب.





النضرة على المائدة فكلها مسائل بديهية. ويمكن استدعاء خدمة الغرف في أي لحظة وطلب زهرة ندية في أثناء جميل يزين الوليمة الفاخرة.

ومن المقومات الخاصة الاخرى التي يتميز بها الفندق، أسرَّة وأحـواض استحمام بقياسات أكبر من المعتاد، ومناشف مدفأة وأجهزة فيديو وتلفزة ملونة تلتقط ٢٠ محطة. ويراوح ايجار الغرفة المفردة بين ٢٤٠ فرنكاً و٣٠٠ فرنك (بين ١٧٠ دولاراً و٢١٠ دولارات) في الليلة الواحدة، فيما يبلغ ايجار الغرفة المزدوجة ٤٥٠ فرنكاً (٣١٥ دولاراً). أما الاجنحة المؤلفة من غرفة مزدوجة وغرفة استقبال وحمام أو حمامين، فيصل بدل ايجارها الى ١٣٠٠ فرنك (٩٣٠ دولاراً). وتقدر كلفة "الاجنحة الملكية" الثلاثة الواقعة في البرج الاوسط بنحو ٢٦٠٠ فرنك (١٨٦٠ دولاراً) في الليلة الواحدة.

شهادة كيسنجر. عمل لويجي انسيشي رئيساً لندل الغرف في الفندق طوال ٥٢ عاماً، وهو متقاعد اليوم. وقد تسنى له خلال خدمته الطويلة أن يقابل أناسا من جميع الطبقات، من مهراجات الهند الى أثرياء النفط. ويتذكر لويجي، على نحو خاص، رجلا يدعى الدكتور هاك نزل في الفندق خلال الحرب العالمية الثانية وكان مصدر ازعاج للآخرين، اذ كان يلقي عليهم تحية هتلر ويصر على الاستماع الى الدعاية النازية بصوت مرتفع على الراديو والتلفاز مما اضطر النزلاء الآخرين الى الاستماع اليها مكرهين. غير أن الدكتور هاك توارى يوم وضعت الحرب أوزارها. وبعد أسابيع وصل آلن دولز الى الفندق، وكان رئيس عمليات الاستخبارات الامريكية في برن، وتحدث الى لويجي ثم سأله: "هل تعرفت الى الدكتور هاك؟"

فأجابه لويجي: "أجل، انه نازي رهيب."

فأغرق دولز في الضحك وقال: "كان أفضل عملائنا."

ويقول لويجي: "كنت أوثق معرفتي بغالبية النزلاء." وذات يوم بادره الموسيقار اريك كليبر: "أنت تتمتع بالميزتين الاساسيتين اللتين يتمتع بهما قائد فرقة موسيقية، وهما الحدس وحاسة سادسة للموسيقى." ويستعيد لويجي ذكرياته: "كان كليبر يصفر مقطوعات من احدى السمفونيات أو معزوفات الاوبرا وأحاول أنا أن أحزر اسم المقطوعة، فيثني علي عندما أصيب."

وهيلغا ميرز موضع ثناء هي أيضاً. وتعمل هذه السيدة الشقراء الناحلة في الفندق منذ عشرين سنة، وترئس فريقاً من ٤٥ موظفاً تحرص على أن ينجز جميع الطلبات الاضافية. وهي تحتفظ بمفكرة مفصلة تتضمن الطلبات الخاصة للنزلاء. ولدى عودة هؤلاء بعد شهر أو سنة أو خمس سنوات يفاجأون بخدمة على الطريقة التي يحبذونها.

الكل في فندق دولدر يحصل على مبتغاه: وسادات ناعمة أو قاسية، أغطية

صوفية أو بطانيات مانعة للحساسية، مفروشات قديمة (ستيل) أو حديثة، مقاعد أو أرائك من كل لون. وقد أعلن هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكي السابق ذات مرة: "هذا هو الفندق الوحيد في العالم الذي تكوى فيه سراويلي في الاولى بعد منتصف الليل ويغسل قميصي ويعاد الي في الثالثة فجراً."

قبلة للمايسترو. الازمات التي تتحول كوارث في أمكنة أخرى، تُحل في دولدر غراند كما السحر. فخلال مأدبة رسمية تُلي خطاب طويل دام ساعة كاملة مما أخر تقديم الطبق الرئيسي. وتأكد للمدعوين أن عشاءهم قد فسد. ولكم كانت مفاجأتهم كبيرة عندما قدم اليهم الندل أطباقاً من لحم البقر الرخص الشهي. فالطعام لم يرفع عن النار الخفيفة الا قبيل تقديمه.

وذات مرة كان الموظف الليلي بيتر ريجان يقوم بجولة تفقدية في الثالثة صباحاً، فلاحظ أن أحدهم عبث بالاحذية التي وضعها النزلاء خارج غرفهم بغية تلميعها. فأغمض بيتر عينيه وأخذ يتذكر أي حذاء يخص أي نزيل في أي غرفة. وصباح اليوم التالي أفاق النزلاء وتسلموا أحذيتهم الملمَّعة. ولم يبدر من أحدهم أي احتجاج.

ويعود نزلاء كثيرون الى الفندق بانتظام. ومنهم من يختار الاقامة فيه، أمثال عازف البيانو الشهير أرتور روبنشتاين. وكان روبنشتاين يعاني ضعفاً في النظر في أواخر عقده التاسع. وبات يمضي فترات بعد الظهر جالساً في ردهة الفندق يرشف الشراب ويدخن السيجار. ولم يكن أحد يقترب منه احتراماً له ولعزلته. وذات يوم دنت منه شابة جميلة وبادرته مشيرة الى البيانو القريب: "سيد روبنشتاين، هلا عزفت لي مقطوعة فالس لشوبان؟"

فوجىء المايسترو بهذا الطلب وظل ساكتاً، ثم ابتسم وقال للشابة: "سأعزف لك ان تمكنتِ من حملي على ذلك. فهيا الهميني واطبعي قبلة على جبيني." ويذكر لويجي موليناري مدير ردهة الفندق: "عانقته الفتاة وقبلته، فوقف المايسترو ببطء، ومشى الى البيانو فيما اغرورقت عيناي وعيون النزلاء بالدموع. ولعل تلك كانت آخر مقطوعة فالس لشوبان عزفها روبنشتاين."

وكانت زيارة الممثل والكاتب والمخرج السينمائي وودي آلن أسعد حدث عرفه هنريك هونولد خلال السنوات الثلاث التي أمضاها مديراً للفندق. وهو يعترف: "لقد علمني آلن درساً من غير قصد." فهو قدم برفقة زوجته ميا فارو وأولادهما التسعة. وقبل وصول العائلة كان هونولد، كسواه من الفندقيين، متحفظاً عن استقبال أولاد في الفندق، "غير أن أولئك الاولاد جلبوا معهم الحياة والبهجة والمرح. وقد سعد بهم الجميع."

تقاليد لا تُكسر. دأبت عائلات كثيرة في زوريخ على الاحتفال بمناسباتها

الخاصة باقامة مآدب في مطعم "لا روتوند" الهلالي الشكل والمطل على متنزه خلاب. وتبهج هذه العادة والترك. دوبنماير نائب مدير دولدر، وهو يقول: "الفندق الذي لا يلاقي استحسان السكان المحليين ليس فندقاً جيداً."

ويخضع فريق الخدمة المؤلف من ٤٠ نادلا لتدريب يومي على آداب المائدة وأصول الطعام والشراب. ويوضح دوبنماير: "عليهم أن يتقنوا وصف كل طبق مذكور في لائحة الطعام، وخصائص كل شراب. فبهذه المعرفة وحدها يستطيعون مواجهة الضيوف بثقة."

وفي حين يسمح للنزلاء بارتداء ملابس عادية على الغداء، فانهم ملزمون بارتداء ملابس رسمية للعشاء. وقد يحتاج الرجال الذين يتوقفون في الفندق في طريقهم الى منتجع للتزلج، الى ربطات عنق وسترات أنيقة يجدونها بجميع القياسات والالوان لدى هيلغا ميرز. وتقول هيلغا: "قد يجدون الاكمام قصيرة قليلا والازرار ضيقة، ولكن هكذا يسمح لهم بتناول العشاء."

ويعمل غابريال زوفري رئيساً للندل (ميتر دوتيل) منذ عشرين سنة. ويعرف عنه انه عنيد لا يهاود، وهو يردد دائما: "لا نسمح لاحد بأن يخالف قواعدنا." وذات يوم حملت امبراطورة ايران السابقة فرح ديبا حقيبة جلدية كبيرة الى مائدة العشاء، فانبعث من داخلها نباح كلبها المالطي المدلل. فانحنى زوفري أمامها باحترام وذكّرها بأنه لا يسمح بادخال الكلاب الى المطعم. فسلمته الامبراطورة الحقيبة بلباقة.

أما الشخصية التي أدهشت مدير دولدر أكثر من سواها فهي أمير ويلز. فقد سأله: "هل تكسب مالا كثيرا؟" وبدا واضحا أنه أعجب بالفندق الانيق وبموقعه الرائع فأجابه المدير: "طبعا يا سمو الامير."

فابتسم الامير وصافحه قائلاً: "أنت محظوظ، محظوظ جداً."

ليلي فولدز ■

بوق في غابة

في التاسعة من مساء كل يوم، بين سبتمبر (أيلول) وفبراير (شباط) منذ ٧٠٠ سنة ونيف، يطلق أحد أفراد عائلة ميتكالف البريطانية ثلاث نفخات طويلة في بوق لارشاد المسافرين في الغابة القريبة من قرية بينبريدج في مقاطعة يوركشاير. وقد سئل جاك ميتكالف مرة، وهو توفي عام ١٩٨٣ بعد ٣٦ سنة من النفخ في البوق، هل صحيح أن النفخة الجيدة توصل النفير أبعد من أربعة كيلومترات، فأجاب: "لست أدري، اسألوا الواقف هناك."

د.ي.

العازب شخص لا يضطر الى ترك حفلة عندما تبدأ الامور تروقه.

ج.ن.



رشاقة بلاحمية



اليكم طريقة لوقف دوامة "الوليمة ثم المجاعة" وانقاص وزنكم طبيعياً

بدأت اتباع نظام حمية وأنا في المدرسة الثانوية. وانقضت خمس عشرة سنة وأنا أحاول انقاص وزني باتباع أنظمة غذائية مختلفة. كنت أعتقد أن العالم مقسوم فئتين: فئة الاجسام البدينة بطبيعتها وفئة الاجسام الناحلة بطبيعتها. وعندما أصبح وزني ٨٩ كيلوغراما تأكد لي أنني أنتمي الى الفئة الاولى.

وإذ صرت ممرضة قررت ألا أتبع نظام حمية آخر. أردت علاجا. ولما كنت أطالع كل ما يتوافر لدي عن الطعام والتغذية، استخلصت أن دورة "الوليمة ثم المجاعة" في أنظمة الحمية التقليدية قد تكون مسؤولة عن مشاكل الوزن المزمنة.

المرأة التي تتبع حمية تجوّع نفسها في البداية ثم تعاود الاكل عندما لا يعود جسمها قادراً على الاحتمال، فتثور أنظمة البقاء الذاتية ويخزن الجسم احتياطا من الدهن لكي يقوى على الصمود خلال فترة الجوع المقبلة، أي فترة الحمية.

تقول شايلا رامسي مديرة برنامج "ضبط الحمية واضطرابات الطعام" في جامعة جورجتاون بواشنطن: "ان الانظمة الغذائية القائمة على الوحدات الحرارية

(الكالوري) القليلة جداً مصيرها الاخفاق. فالاشارات العصبية والهرمونية الصادرة عن الجسم ستدفع المرء الى الاكل على رغم الحوافز المانعة وقوة الارادة."

حين طبقت هذه المفاهيم الجديدة توقفت عن اتباع الحمية. ورحت أصغي الى الاشارات التي يصدرها جسمي وأتناول الاطعمة المغذية. فتخلصت من دورة "الحمية والشراهة" واختبرت تغيرات تدريجية (اذ احتجت الى وقت للتخلص من عاداتي السيئة في الاكل). وانخفض وزني في النهاية وأصبح ٦٢،٥ كيلوغراماً أي ضمن النطاق الادنى للوزن المستحسَن لامرأة في طولي (١٧٣ سنتيمتراً). وانقضى أكثر من عشر سنين وما زلت محافظة على نحافتي.

اليكم طريقة التخلص من دوامة "الحمية والشراهة":

فأصيبت بجوع مزمن أفقدها السيطرة على نفسها، وراحت تلتهم الحلوى في عطل نهاية الاسبوع عندما طغا صوت جسمها على قوة ارادتها.

في امكانكم وقف دورة "الوليمة ثم المجاعة" بتناول الطعام وكأنكم لا تعانون أي مشكلة في وزنكم وبازالة "جوع الحمية" الذي اعتادته أجسامكم. عليكم باقناع أجسامكم بوقف تخزين الدهن. ويكمن الحل في الاكل جيداً عند الشعور بالجوع والتوقف عند الشبع.

ولعلكم تفكرون: سنصبح بدناء جداً إن أكلنا كلما شعرنا بجوع. لكن هذا غير صحيح. فقد يزيد وزنكم قليلا في البداية، ولكن عندما تعيدون "تدريب" أجسامكم فانكم لن تأكلوا طعاماً يفوق حاجتكم. وستتمكنون في النهاية من تجنب الافراط في الاكل والشروع في انقاص وزنكم.

١. لا تتجاهلوا الشعور بالجوع. كلنا نجوع، حتى ذوو الاجسام النحيلة. لكن الفرق بين جوع النحيل وجوع البدين هو أن الاول يأكل والثاني يكافح الجوع بأي وسيلة. البدين ينكر شعوره بالجوع ويكبته ويتجاهله. لكن الجوع يدركه دائماً في النهاية. وعاجلا أم آجلا يقر الذين يتبعون حمية أن الجوع الشديد أفقدهم زمام أنفسهم فأقبلوا على الاكل بشراهة.

ثمة امرأة في الثلاثين كانت غير راضية عن جسمها ومقاييسها، وحاولت التزام حمية خطرة وغير منطقية قائمة على ٦٠٠ وحدة حرارية في اليوم.

٢. تناولوا فطوراً مقوياً. ان تناول قليل من الطعام في الصباح للاحتفاظ بالوحدات الحرارية لوجبات لاحقة هو عمل محبط للنفس. فإن ألغيتم وجبة فطور هبط معدل السكر في دمكم وشعرتم برغبة ملحّة في الطعام.

لكي تخفضوا وزنكم، ابدأوا يومكم بتناول طعام "حقيقي." وتناولوا المقدار الذي يشعركم بالشبع، من دون زيادة ولا نقصان. وإن كنتم لا تشعرون بالجوع في الصباح، فحاولوا النوم مساء ومِعَدكم راضية ولكن خاوية نسبياً. ستشعرون براحة أكبر عندما لا تحتاجون الى هضم

نصف محتويات الثلاجة التي التهمتموها. وباتباعكم صوما خفيفاً كل ليلة، ستشعرون بقابلية للطعام في الصباح.

لنأخذ مثلا ذلك الرجل الذي اعتاد حذف وجبة الفطور بغية انقاص وزنه. باتباعه هذا المفهوم الجديد بات يتجنب تناول حصة اضافية على العشاء، فشعر بالجوع صباحاً للمرة الاولى منذ سنوات، وبدأ يتناول فطوراً جيداً. ولاحظ بعد فترة قصيرة أنه لم يعد قادراً على حذف وجبة الصباح، وتابع الاكل باعتدال في المساء. وفقد تسعة كيلوغرامات خلال ثلاثة أشهر من دون أن يرغم نفسه على الجوع. وأصبح وزنه ٧٧ كيلوغراماً، وما زال ثابتاً على هذا الوزن المثالي منذ أكثر من سنتين.

٣. كلوا فقط عندما تجوعون. معظم الذين يعانون مشاكل في الوزن لا يعرفون شعورهم الحقيقي بالجوع. فهم منهمكون في اتباع الحمية أو في تجويع أنفسهم، فيكبتون الشعور الطبيعي لاجسامهم بالجوع. وأظهرت الدراسات أن ذوي الاجسام البدينة ينزعون أكثر من سواهم الى الاكل استجابة لعوامل خارجية، كعقارب الساعة التي تشير الى موعد العشاء، وليس لآلام الجوع الداخلية.

اكتشفتُ أن ذوي الاجسام البدينة، عندما يتعلمون كيف يتغذون جيداً، تنخفض استجابتهم للعوامل الخارجية وتبدأ استجابتهم للجوع الحقيقي. وعندئذ فقط يتمكنون من انقاص وزنهم.

تعلموا التعرف الى الشعور بالجوع، واسألوا أنفسكم هل ما تشعرون به ناتج من الارهاق أو العطش أو الملل أو الوحدة. ولكن عندما تتأكدون من أنه الجوع فعلاً، كلوا وتوقفوا عندما تشبعون. اذ عندما تبدأون تناول الطعام وفقاً للاشارات الصادرة عن حاجة أجسامكم الى الطاقة، ستتلاشى حاجتكم الى التهام الطعام ليلاً.

٤. ضعوا حداً لاستهلاك أطعمة "المتعة." لقد قسمتُ الطعام فئتين رئيسيتين: الطعام الحقيقي وطعام المتعة. الاول طاقة للجسم والثاني غني بالمواد الدهنية والسكر وهو لمتعة التذوق قبل أي شيء آخر. والفرق بين الفئتين واضح. فالقنبيط، مثلاً، طعام حقيقي، فيما تصب اصناف الحلوى في خانة طعام المتعة.

عندما تشعرون بالجوع فأمامكم خيارات عدة. ان لم يكن جوعكم شديداً فيمكنكم أن تكونوا عقلانيين. افتحوا الثلاجة واختاروا منها ما يعجبكم. فإن اخترتم طعاماً حقيقياً، لنقل مثلا شطيرة من لحم الديك الرومي، فكونوا على ثقة بأن الجسم سيستعمل هذا الطعام طاقة له. تناولوه اذاً وتمتعوا به.

وان دهمكم الجوع بعد ساعتين، فعودوا الى الثلاجة. ما الذي أعجبكم؟ المثلجات؟ مهلاً، استعملوا قوة ارادتكم قليلاً، فالمثلجات ليست ما يحتاج اليه

الجسم. هل أعجبكم شيء آخر؟ أجل، قطعة من الخبز المحمص (توست) مع كوب من الحليب. حسناً، يمكنكم تناولها، ولكن تذكروا أن عليكم الاعتدال في تناول الطعام الحقيقي الغني بالمواد الدهنية.

ثمة خدعة يمكن اللجوء اليها هي نفي مـأكـولات "المتعـة" من مطبخكم والاستعاضة عنها بأطعمة مختلفة ذات نوعية رفيعة متوافرة في كل آن. باختصار، اشتروا كثيراً من الطعام الحقيقي الطيب الذي تحبون وتخلصوا من الطعام الرديء.

لكن ماذا لو توافرت المثلجات ولم يعجبكم شيء سواها؟ على رغم أنكم لا تريدون تناول أطعمة "المتعة" كلما ألحت عليكم الرغبة فيها، فهناك مكان "شرعي" لها في نظامكم الغذائي. فإن حلّلتم مشاعركم ووجدتم أنها ليست صادرة عن الجوع، ففي امكانكم عندئذ تناول المثلجات. وثقوا بأنكم لم تفشلوا، بل على العكس، تقبلتم شهيتكم الطبيعية بوعي.

والمدهش أنكم عندما تعلمون أن في استطاعتكم تناول ما تشاؤون وليس عليكم تحمل الجوع بعد اليوم، فان الضغط سيزول عنكم وسترغبون في تناول ما تحتاج اليه أجسامكم التي ستطلب طعاماً يقود الى الرشاقة.

٥. تخلصوا من الميزان. ان متبعي الحمية في أنحاء العالم باتوا عبيداً للميزان. فبَركته التي تتجلى انخفاضاً في الوزن في يوم ما تساعد على تقبل أحلك الظروف، أما لعنته المتجسدة في تحرك الابرة الصغيرة صعوداً فتلقي ظلالا قاتمة على أجمل الاوقات. ضعوا الميزان جانباً، فهو ليس مصدر قوة بالنسبة الى شخص بدين يحاول انقاص وزنه.

للحصول على نحافة دائمة عليكم أن تتجاوبوا وأجسامكم لا أن تتحاربوا. فعندما تخمدون جوعكم بالاكل المناسب في الوقت المناسب يتقلص الجوع الشديد الذي أرغمتم أجسامكم على تحمله. وستختبرون الجوع الطبيعي تدريجاً، وهو ليس عدواً لكم بل شعور صحي.

ألغوا الجوع الزائد، فبذلك تلغون الافراط في الطعام تدريجاً وببطء وعلى نحو طبيعي ومستقيم.

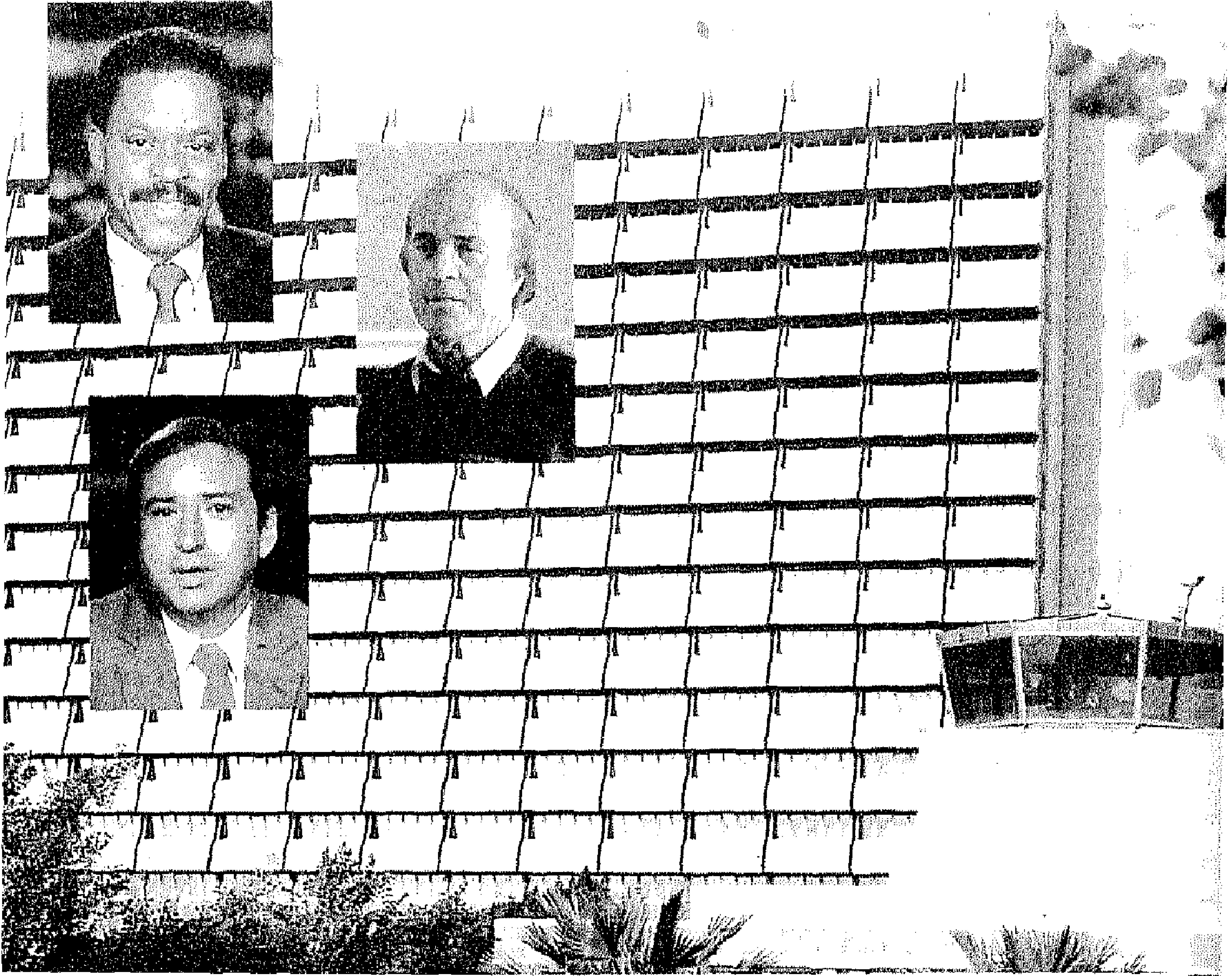
جان أنطونيلو ■

ذوّاقة وطبيب

كان الذوّاقة الشهير كورنونسكي في الرابعة والثمانين من عمره حين اشار عليه طبيبه بالامتناع عن أكل الصلصة واللحم والسمك اذا أراد أن يطيل عمره.

فهتف كورنونسكي: "في هذه الحال، افضّل ان اموت شاباً."

ب.ك.



فندق "الرشيد" في بغداد. (أعلى اليسار) برنارد شو وبيتر ارنيت وجون هوليمان.

CNN
حوّلت العالم قرية كبيرة

دُعيت في البدء "شبكة الجبناء" لكنها أثبتت، خصوصاً خلال الحرب الاخيرة في الخليج، أنها أولى الشبكات الاخبارية في العالم

قبيل منتصف ليل الاربعاء ١٦ يناير (كانون الثاني) بتوقيت غرينتش، دوى صوت المذيع برنارد شو عبر الهاتف مباشرة من بغداد. قال شو لمشاهدي شبكة «CNN»[1] للتلفزة: "ثمة أمر ما يحدث في الخارج. إننا نشاهد وميضاً في السماء."

وأضاف الصحافي المحنك بيتر أرنيت الذي تولى تغطية سبع عشرة حربا خلال ثلاثين سنة من حياته المهنية: "نسمع

(١) Cable News Network

هدير طائرات. انها تمر فوق فندقنا."
بعد لحظات انبطح شو وأرنيت والمراسل جون هوليمان على أرض الغرفة ٩٠٦ في فندق "الرشيد" الواقع في الوسط التجاري ببغداد. وعلى مدى الساعات السبع عشرة التالية تابع الثلاثة وصف بداية حرب الخليج التي غدت فيها شبكة «CNN»، فجأة، محطة "القرية العالمية."[٢]

وعلم في ما بعد أن القنبلة "الحليفة" الاولى التي سقطت على بغداد أصابت مبنى للاتصالات فعطلت ارسال شبكة «CNN» ووكالات أنباء أخرى. كان أرنيت يتكلم "على الهواء" عندما سقطت القنبلة، فقال: "ها هي صفارات الانذار تطلق للمرة الاولى. أخبرنا العراقيون..." وانقطع الاتصال.

كان العسكريون الامريكيون في المملكة العربية السعودية يشاهدون أخبار «CNN» في تلك اللحظة. ويذكر الفريق تشارلز هورنر قائد سلاح الجو الامريكي في مركز العمليات في الرياض: "عندما انقطع الارسال ضج الموجودون في الغرفة ابتهاجاً. كانت تلك أصرح الاشارات التي بلغتنا، ففي تلك الدقيقة ذاتها كان يفترض أن تصيب القنبلة الهدف."

عاودت «CNN» الارسال بعد لحظات وكانت الشبكة الوحيدة التي واصلت بث الاخبار مباشرة من بغداد. ذلك انها أمَّنت، سابقاً، خطاً هاتفياً مفتوحاً على الدوام،[٣] فبات الاتصال الصوتي ممكنا عبر الاقمار الاصطناعية من طريق موجة صغرى (ميكروويف) في العاصمة الاردنية عمان.

عشية بدء القصف، اعترف وزير الدفاع الامريكي ديك تشيني بأنه اعتمد على «CNN» في الحصول على كثير من معلوماته عن الدمار الذي خلَّفه القصف. قال تشيني: "إن أفضل نقل للأخبار عما حدث في بغداد شاهدته على «CNN». بدا أن العملية نجحت في ضرب أهدافها بدقة، بناء على التعليقات التي كانت ترد من فريق CNN المرابط في الفندق في بغداد."

"القرية العالمية." لقد أصبحت شبكة «CNN»، ومقرها في أتلانتا بولاية جورجيا الامريكية، أوسع مصادر الاخبار المتلفزة ذيوعاً في العالم، اذ تشاهد في ١٠٨ بلدان، ويراها الملايين في أنحاء العالم، ومتابعتها إلزامية بالنسبة الى السياسيين والصحافيين وكل من يريد سماع أخبار سريعة ومعمَّقة عن كل حدث طارىء.

قطعت «CNN» شوطاً كبيراً منذ بدأت الارسال في يونيو (حزيران) ١٩٨٠، عندما كان النجارون والدهانون لا يزالون يعملون في منشآتها. يتذكر إد ترنر نائب الرئيس التنفيذي لشؤون جمع الأخبار: "كانت الأشرطة تتوقف فجأة والاضواء تخبو. ثم وجدنا شاهد عيان لحادث تحطم

(٢) The global village
(٣) A «four wire»

طائرة في كوريا. كان يتكلم الكورية بطلاقة، لكنه لم يعرف كلمة انكليزية."

كان الموظفون الاداريون في الشبكات العريقة المنافسة يسخرون من الشبكة الجديدة ويدعونها "شبكة الجبناء"[٤] مؤكدين أنها ستخسر مالياً وستضطر الى التوقف.

بعد مرور خمس سنوات غير رابحة سجلت «CNN» ربحها الاول - ١٣ مليون دولار - في العام ١٩٨٥. وبحلول العام ١٩٩٠ ارتفع ربحها الى ١٣٤ مليونا. وحلَّق عدد مشاهديها خلال الحرب مما حداها على رفع رسوم الاعلانات أضعافا. قال مؤسس الشبكة تيد ترنر (لا يمت بصلة قربى الى نائبه): "للقرية العالمية مشاكلها، لكنها تقوم بعمل عظيم."

لم تكن «CNN» خلال الحرب الاخيرة في الخليج حلقة اتصال للمشاهدين في العالم فحسب، بل أصبحت حلقة اتصال مباشر وحي للقادة في كلا الجانبين، اذ انهم سعوا عبرها الى بث الرسائل والتهديدات بعضهم الى بعض والى المشاهدين في أرجاء العالم. خلال بعض الموجزات الاخبارية العسكرية، نصح ضباط القوات الحليفة القادةَ العراقيين بالتفكير ملياً في نتائج استعمالهم الاسلحة غير التقليدية ضد الحلفاء. وبحسب التقارير، كان الرئيس العراقي صدام حسين يلتقط بث شبكة «CNN» في مقره المحصن تحت الارض في بغداد، كما أنه نقل تهديداته الجريئة عبرها قبل الصراع وخلاله.

لكن جهات أخرى كانت أقل نباهة من الناحية الاعلامية. وقد جاء في صحيفة "لوس انجلس تايمز": "عندما اتصلت CNN بمنظمة التحرير الفلسطينية في تونس في الليلة الاولى للحرب سائلة عما اذا كان رئيسها ياسر عرفات يرغب في الظهور على الشاشة، أجاب مساعد عرفات: "الرئيس في غرفة الاتصالات يشاهد CNN، ولا نستطيع ازعاجه." وبعد يومين اتصل مساعد عرفات بالشعبة الخارجية في CNN شاكيا من أن الشبكة تعرض كثيراً من المسؤولين الاسرائيليين على شاشتها، طالبا المعاملة بالمثل."

اتهامات. أصبحت «CNN» بمثابة "سويسرا" وسائل الاعلام، واحة محايدة توفر معلومات لكل الافرقاء. لكن نقلها الدمار اللاحق بالمنشآت المدنية في بغداد أثار جدلا كبيرا: هل تقدم «CNN» أخباراً أم دعاية؟

عشية بدء الحرب طرح شو المسألة مباشرة على الهواء: "هل خطر لكم أنه ليس من قبيل المصادفة أننا لا نزال نبث الاخبار الى العالم؟ هذه الحكومة تريد للكلمة أن تذاع."

سمح العراقيون لأرنيت بمواصلة بث الاخبار من بغداد بعدما طردوا مراسلي مؤسسات اعلامية غربية رئيسية، وكانوا يرافقونه مع طاقم تصوير الى مناطق مدنية دمرها قصف الحلفاء. (في نهاية يناير / كانون الثاني دعا العراقيون

(٤) Chicken Noodle Network

مجموعة صغيرة من الصحافيين الغربيين الى بغداد. وبعد مغادرة هؤلاء العاصمة العراقية ادعى كثير منهم أن برقياتهم كانت تحوَّر، وأشرطة الفيديو تقتطع، لكي يبدو أن ضحايا القصف الجوي هم كلهم من المدنيين.)

لم يكن يسمح لأرنيت بنقل أخبار الدمار اللاحق بالمواقع العسكرية، وكانت الرقابة العراقية دقيقة ومباشرة. وعندما كان أرنيت مرة ينقل وصفاً لمشاهد بثها التلفزيون العراقي عن طيارين غربيين أسرى، سأله ريد كولنز منسق الاخبار في أتلانتا عن نتائج القصف الحليف على بغداد. فأجاب أرنيت: "لقد أوصيت بوجوب قطع هذا البث."

بعد مرور أربعة أسابيع على بدء العمليات العسكرية، شكا الرئيس الامريكي جورج بوش من أن الرئيس العراقي صدام حسين ينشر "خرافات وأضاليل" حول قصف الطيران الحليف مناطق مدنية، لكنه لم ينتقد شبكة «CNN» مباشرة. أما السناتور الامريكي آلن سمبسون فلم يتوان عن اتهام أرنيت بأنه "متعاطف" مع العراقيين، وذلك خلال مأدبة غداء مع رجال الصحافة.

وقفت «CNN» الى جانب أرنيت، وأعلن إد ترنر: "ان اتهامنا بالانحياز يأتي من كل صوب بعض الكلمات والصور مؤلم، لكن الحرب هي كذلك. الرقابة مرهقة، لكن القيود المفروضة في بلدان أخرى متورطة في هذه الحرب – بما فيها الولايات المتحدة – مرهقة أيضاً." وبثت «CNN» تقريراً "أجازته الرقابة العراقية" شمل تقاريرها المرسلة من بغداد وتقارير مماثلة عن الرقابة الحكومية في بلدان التحالف وفي اسرائيل.

شخصيتان شهيرتان. قبل اندلاع الحرب الاخيرة في الخليج، سجلت الشبكة سبقها الصحافي الاشهر في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦، عندما غطت منفردة عملية اطلاق المكوك الفضائي "تشالنجر" الذي انفجر أمام كاميراتها بعد لحظات. وعندما اختفت طائرة "بان اميريكان" في رحلتها الـ١٠٣ عن شاشة الرادار فوق البلدة الاسكوتلندية الصغيرة لوكربي في ٢١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٨، بثت «CNN» أولى المشاهد من مكان الحادث ليراها المشاهدون في أنحاء العالم. وأثناء ممارسة الاجراءات الصارمة على الطلاب المتظاهرين في بكين في مايو (أيار) ١٩٨٩، بثت «CNN» تقارير حية طوال أكثر من ثلاثين ساعة، الى أن فرض المسؤولون الصينيون تعتيماً اعلامياً وأمروا فريق «CNN» بالتوقف عن البث.

إن ضخامة التغطية الحية للاحداث في أنحاء العالم تتطلب موهبة الارتجال لدى منسقي الاخبار في «CNN». وصار برنارد شو أشهر المنسِّقين ومحترفاً جدِّياً في عالم واسع من "الشخصيات" الاعلامية. عندما يطرأ حدث بارز يصبح شو دائم الانشغال. يبقي نظره على

الكاميرا، ويحتفظ بدفتر اصفر في متناوله. عندما تبث الشبكة تقريراً حياً، يدوِّن شو ملاحظات وأسئلة. أمضى ذات مرة عشر ساعات متواصلة جالسا في كرسيه في الاستوديو ينسق تغطية محاولة جون هينكلي اغتيال الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغان.

أصبح شو (٥١ عاما) مدمن أخبار في مسقط رأسه شيكاغو، حيث تسلل ذات مرة، وهو فتى، الى قاعة انعقد فيها مؤتمر وطني للحزب الديموقراطي. يقول متذكراً: "لم أكن فتى عادياً. كنت أضحي بمواعيدي مع الفتيات لمشاهدة أخبار التلفزة."

بعد توليه وظائف ثانوية في محطات اذاعية مخصصة للاخبار في شيكاغو وفي شبكات تلفزيونية في العاصمة واشنطن، انضم الى شبكة «CNN» في مستهل عهدها عام ١٩٨٠، مقتنعاً بأن مفهومها للتغطية الاخبارية على مدار الساعة يمثل أقصى ما انتهت اليه الصحافة المرئية.

أما أرنيت، شريك شو في بغداد، فتُمكن الاشارة اليه، في ميدان تدريس الصحافة، كنقيض للمراسل التلفزيوني النموذجي. فهو متوسط القامة، أخذ في الصلع، ذو أنف أفطس، وفي السادسة والخمسين من العمر. توقفت مؤهلاته الاكاديمية عند شهادة التخرج في كلية وايتاكي في أوامارو بموطنه الاصلي نيوزيلندة، لكنه حاز شهرة منذ أمد بعيد كحصان الحرب الاساسي في الصحافة.

طرد أرنيت عام ١٩٦٢ من أول بلد عمل فيه مراسلا لوكالة "أسوشييتد برس" - اندونيسيا - لكتابته قصصاً اعتبرتها الحكومة غير مستحبة. وأمضى بعدئذ ثلاثة عشر عاماً يغطي أخبار الحرب في فيتنام للوكالة نفسها. وبعد انتهاء الحرب عُيِّن مراسلا رئيسياً في نيويورك. انضم الى شبكة «CNN» في العام ١٩٨١ متنقلا بين وظائف مختلفة، من رئاسة مكتب موسكو الى تحقيق السبق الصحافي في مسألة الأمن القومي في واشنطن، ثم التقط سانحة جعلته مراسل «CNN» في القدس.

منبر حر؟ يستطيع متتبعو برامج «CNN» أن يشاهدوا، الى النشرات الاخبارية، عرض "لاري كينغ"[٥] المسائي المباشر الذي يتضمن لقاءات "حية" مع مشاهير وصانعي اخبار، وبرنامج "كروسفاير"[٦] الذي تناقش فيه أهم مواضيع الساعة. وفي نهاية كل أسبوع تقدم «CNN» برنامج "عصبة العاصمة"[٧] الذي يتضمن حواراً مفتوحاً مع أربعة صحافيين كبار من واشنطن، وبرنامج "ايفانز ونوفاك"[٨] الذي يقدمه الصحافيان رولاند ايفانز وروبرت نوفاك. أما "التقرير العالمي" الذي تقدمه «CNN» أسبوعياً فيتيح لأي بلد بث وجهات نظر لم تتدخل «CNN» في

(٥) Larry King Live
(٦) Crossfire
(٧) The Capital Gang
(٨) Evans & Novak

صوغها. في ١٩ يناير (كانون الثاني)، بعد مرور أيام على بدء حرب الخليج، عرضت «CNN» مواقف منددة بالحرب من كوبا وليبيا، كما أفسحت في المجال للمملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة وسوريا والبحرين ومصر لاعلان دعمها التحالف.

لا تزال «CNN» تتكيف والتحدي لكي تكون نافذة العالم كله على الاحداث – وليس فقط نافذة الولايات المتحدة. قال بيتر أرنيت لمشاهديه بعد مضي أسبوعين على بدء حرب الخليج، ضمن حوار مباشر حول تغطية الشبكة: "نشعر بأننا جزء من التاريخ. ليس بفضل هذا البرنامج، بل لأننا في بغداد، العاصمة التي تهاجمها الولايات المتحدة، بلادنا. أعلم أننا في CNN لا نتكلم عن قوميات معينة، فنحن جزء من القرية العالمية. لكننا، في أوقات كهذه، نفكر في الاوطان."

بقي أرنيت في بغداد الى ما بعد اعلان وقف اطلاق النار. وهو يأمل أن يساعد عرض أهوال الحروب على شاشة التلفزة في "منع حصول أحداث كهذه في المستقبل. هذه أمنيتي بعد ثلاثين سنة أمضيتها في تغطية أخبار الحروب في أنحاء العالم."

جون ن. ماكلين ■

ظرف انكليزي

ذات يوم، القى السر ديفيد ماكين رئيس شرطة "متروبوليتان" اللندنية المتفوقة خطبة في هيئة أركان الشرطة الكندية، فأورد مثلا عن ظرافة الشرطة البريطانية من خلال "لوحة" ضاحكة انتقاها من مجموعة اسئلة تضمنها امتحان احدى دورات شرطة "متروبوليتان":

"أنت في دورية. يدوّي انفجار في الشارع القريب. تهرع الى المكان. تشاهد حفرة كبيرة وشاحنة مقلوبة بالقرب من الحفرة. رائحة قوية تفوح من داخل الشاحنة وراكباها، رجل وامرأة، مصابان. تتوقف دراجة نارية قربك ويعرض سائقها المساعدة، فتعرف فيه مجرماً مطلوباً بتهمة سطو مسلح. ثم يهرع اليك رجل من منزل قريب صارخاً أن زوجته حامل وقد جاءها المخاض قبل الاوان بفعل صدمة الانفجار. وفي الوقت عينه تسمع استغاثة رجل قذفه الانفجار الى ترعة مجاورة وهو لا يجيد السباحة.

أوجز بكلمات قلائل ما قد تفعله في حال كهذه."

وتابع السر ديفيد روايته قائلا ان واحداً من ضباطه الاذكياء زعم أنه أوفى الموضوع حقه من التفكير ثم التقط قلمه وكتب: "أخلع بزتي وأختلط بالحشد."

صحيفة "انترناشونال فاير فايتر"

الحقيقة لا تسيء أبداً الى قضية عادلة.

غاندي

ثلاثة رياضيين سنحت لهم فرصة الوصول الى قمة المجد
لكنهم لم يصلوا الا الى النشوة الخادعة

أبطال هزمتهم المخدرات!

بطل شعبي

في العام ١٩٦٨ ركب هارثورن ناثانيل وينغو حافلة أمام منزله في تريون قاصداً مدينة نيويورك ليطارد حلماً هو احتراف كرة السلة. عمل حمّالا في متجر ثياب، وراح يلعب في أي مباراة ومع أي ناد أمكنه الاشتراك فيه.

ويذكر وينغو الذي يبلغ طوله مترين: "كنت جالساً في شقتي الصغيرة عندما رن جرس الهاتف. كان المتكلم من نادي "نيكس" في نيويورك، وأخبرني أن النادي يريد التعاقد معي. قفزت عالياً من شدة فرحي حتى ضربت السقف برأسي."

هكذا، قبل ١٨ عاماً، أصبح اللاعب المبتدىء في فريق نادي "نيكس" بطلا شعبياً في مدينة نيويورك.

كان المتفرجون من أبناء المدينة يعشقون كل دقيقة يلعبها. وكانوا يرحبون به كلما نزل الى الملعب بصيحات مدوية: "وينـ... غو! وينـ... غو!"

الا أن تلك الايام ولت.

فمنذ العام ١٩٨٢ ووينغو يبذر أمواله على المخدرات والكحول. وهو يعترف بأن "كل الامور ساءت" بعدما توقف عن اللعب. كان يمضي لياليه محاولا نسيان الواقع بتعاطي المخدرات. يقول: "كنت أشم الكوكايين وأدخن الكراك[1] وأفرط في شرب الكحول." نقل في صيف ١٩٩٠

(١) الكراك نوع صاف من الكوكايين المتبلر يدخَّن بدل ان يُشمّ.

الى مستشفى خاص بالامراض النفسية حيث عولج من ادمان المخدرات والكحول. وهو حالياً يعيش في بيت أحد أصدقائه في مدينة جرزي محاولا الابتعاد عن العادات القديمة والافكار السيئة.

يتناول وينغو (٤٣ عاماً) بطاقة لهواة كرة السلة تحمل صورته، وبعد أن يتأملها يرميها في كومة أوراق متسائلا: "هل تعتقد أن الشبان في حيي القديم لا يزالون يحتفظون بهذه البطاقة؟"

وماذا عن رفاقه في الفريق؟ لقد أصبح بيل برادلي سيناتوراً،[٢] وويليس ريد نائب رئيس فريق "جرزي نتس"، ووالت فريزر مؤلفاً ومعلقاً على مباريات كرة السلة. أما وينغو فيعمل الآن حارساً ليلياً. ويغمض عينيه لبرهة، كأنما السؤال ينخر قلبه.

فنسنت م. مالوزي

في "نيويورك تايمز"

●●● المدمر ●●●

لا يزال الناس في حي هارلم[٣] يتحدثون عن مباراة البطولة لرابطة "راكر" في العام ١٩٧٠. كان "وست سايدرز" أحد الفريقين المتنافسين وفيه اللاعب الشهير "الدكتور ج" جوليوس ارفينغ. أما الفريق الآخر فكان فريق "ميلبنك." في الشوط الثاني نزل الى الملعب لاعب يدعى جو هاموند وطوله ١٩٣ سنتيمتراً ليلعب مع فريق "ميلبنك." كانت مهمة ارفينغ منع هاموند من تسجيل أهداف، الا أن هذا استطاع تسجيل ٥٠ نقطة في مقابل ٣٩ لارفينغ، وربح جائزة أفضل لاعب في الموسم.

في كثير من أحياء نيويورك، لا يزال ذكر اسم جو هاموند يرسم بسمات على الوجوه. ففي السبعينات جذب المشاهدين بأهدافه الدقيقة وبمجموع نقاطه. كان يلقب "المدمر" لقدرته على تحطيم خط دفاع الخصم. لم يشترك في مباريات المدارس الثانوية والجامعات. ولكن في التاسعة عشرة من عمره أعلنته "الرابطة الوطنية لكرة السلة" نجما مستقبلياً.

يقول دون أدامز وهو مدرب في احدى المدارس الثانوية: "كان جو هاموند أعظم لاعبي كرة السلة الذين خرجتهم هارلم."

حاول لو كارنيسيكا، مدرب فريق "نيويورك نتس" آنذاك، أن يتعاقد وهاموند لموسم ١٩٧٠ – ١٩٧١. يقول لو: "كان جو يملك مهارات هائلة ويبشر بمستقبل عظيم. وكان سَلَفاً صالحاً لشباب أمثال ماجيك جونسون."

عرض كارنيسيكا على جو عقداً لثلاث سنوات، الا أن هذا رفضه. ويضيف كارنيسيكا: "أعتقد أنه شعر بقدرته على عمل أفضل."

في العام ١٩٧١ عرض عليه فريق "لوس انجلس ليكرز" الانضمام اليه واللعب مع ويلت تشامبرلين. لكنه رفض هذا العرض أيضاً.

ما لم يدركه فريقا "ليكرز" و"نتس"

---

(٢) السيناتور عضو في مجلس الشيوخ الامريكي.
(٣) هارلم حي في مدينة نيويورك تسكنه اكثرية من الزنوج والهسبان الفقراء.

CONDENSED FROM NEW YORK TIMES (JANUARY 13, '91, NOVEMBER 11, '90, JUNE 15, '89).

هو أن هاموند حظي بمصدر مالي أفضل هو تجارة المخدرات في شوارع هارلم. يقول هاموند: "ماذا عساي أفعل بوظيفة وأنا أخفي ٢٠٠ ألف دولار في شقتي وأملك نادياً ليلياً وسيارتين فخمتين ومنزلا وثلاث شقق؟"

بقي هاموند في الشوارع يجني المال السهل. وبطل كرة السلة غدا مدمن مخدرات. وهو سُجن بتهم تتعلق بالمخدرات، وخسر كل تطلعاته وممتلكاته بما فيها ميدالياته.

يقول هاموند (٤١ عاماً) وهو يبلع ريقه بصعوبة: "قل لي، أهكذا تؤلف الاساطير؟"

ويخرج من أحد أزقة هارلم عارجاً، ويتجه نحو ملعب، فيصيح به أحد الصبية الذين يلعبون هناك: "أنت، أخرج من الملعب."

يقف هاموند تحت نور مصباح فيبدو رجلا طويل القامة ناحلها يلبس سترة فضفاضة وسروالا أزرق ممزقاً وفي يده رزمة. يقول للصبية الغاضبين: "معي دفاتر عناوين وبطاقات معايدة للبيع. أحاول أن أكسب لقمة عيشي."

فجأة يسرع اليه رجل كهل ويسأله: "الست جو هاموند؟ ألست المدمر؟"

وفيما الرجلان يتحدثان يقف صبية الحي يراقبونهما. أخيراً يناول الرجل هاموند بعض المال، فيتصافحان، ثم يختفي جو هاموند في الظلام.

فنسنت م. مالوزي

في "نيويورك تايمز"

●●● الاسطورة ●●●

راح يتمشى في الحديقة العامة عند تقاطع الشارع ٩٨ وجادة أمستردام في هارلم بنيويورك. وللحال عرفه الناس وحيّاه كل من مرَّ به. انه ايرل مانيغوت. وعلى رغم أنه ترك الحي قبل سنوات فان كثيرين ما زالوا ينادونه بلقبه "المعزاة" أو "الاسطورة."

تذكَّر المارة كيف ألهب حماسة المشاهدين بتحليقه فوق السلة وتسجيله الاهداف متجاوزاً منافسين أطول منه في دورة نادي "راكر" في هارلم. وتذكروا منازلاته أشهر النجوم أمثال كوني هاوكنز وكريم عبد الجبار (كان اسمه لو ألسندور آنذاك). تذكروا أيضاً كيف سجل ٣٦ هدفاً متتالياً من وراء ظهره ليربح رهانا بستين دولاراً.

استطاع مانيغوت (١٨٥ سنتيمتراً) أن يبني شهرة كواثب مميز عندما كان في سن المراهقة، بازّاً بذلك منافسيه الاطول قامة والاكبر سناً. وعندما ذاع صيت رمياته وتصدِّياته في ملاعب هارلم سعى اليه مديرو الفرق الجامعية.

لكن مانيغوت خاف ألا ينسجم في الجو الاكاديمي في جامعة بارزة، ففضل الالتحاق بجامعة "جونسون سميث" في مدينة تشارلوت بولاية نورث كارولينا، حيث واجه صعوبات في دروسه ولم يتفق ومدربه فانسحب قبل انتهاء العام الدراسي. يقول: "حينئذ بدأت طريقي نحو الهاوية، فرحت أعبث مع السيدة البيضاء، الهيروين." وهكذا أصبح

"أفضل لاعبي كرة السلة في حجمه في تاريخ مدينه نيويورك" - كما وصفه كريم عبد الجبار - مدمن مخدرات ولصاً.

سرعان ما صار تعاطي الهيروييين يكلفه ما يزيد على مئة دولار يومياً، فراح يسرق معاطف الفرو من مخازن الالبسة في منهاتن لتمويل ادمانه. وتدهورت مهاراته تدريجاً ثم توقف نهائياً عن اللعب اثر فقدانه توازنه وسقوطه مرتين في الملعب أثناء مباراة لفريق "راكر" عام ١٩٦٥. بعد ذلك صار يقف في زوايا الشوارع مطأطأ الرأس مخدراً مترنحاً أمام أهل الحي.

في العام ١٩٦٩ سجن بتهمة حيازة مخدرات. وفي العام نفسه غدا كريم عبد الجبار مليونيراً منخرطاً في فريق "ميلووكي بكس."

(٤) مانيغوت اليوم في السادسة والاربعين من عمره وقد شفي من ادمانه المخدرات، كما خضع لجراحتي "قلب مفتوح."

يشمر مانيغوت عن ذراعيه الناحلتين ويشير الى آثار الحقن التي زرعها على مدى ثلاث عشرة سنة من صفوة عمره، ويقول: "أنا رجل غني. انظروا، كل مالي محقون في أوردتي."

لا يزال الملعب عند تقاطع الشارع ٩٨ وجادة أمستردام يدعى "حديقة المعزاة." عندما انتشر خبر قدوم مانيغوت الى الحي قبل سنتين توافد الناس الى الحديقة ليرحبوا به، فشاهدوا هيكل الرياضي الذي أحبّوه يتحرك بسيجارة تتدلى من فمه وقشة يشرق بها الجعة من تنكة داخل كيس ورق. كان يسير محني الظهر كقائد مهزوم يزور أرض عزّه وقد أماتت المخدرات مواهبه.

عندما سئل هل لا يزال يستطيع ادخال كرة في السلة، ابتسم ولم يجب.[٤]

يان أوكونور

في "نيويورك تايمز"

من رئيس الى خطيبته

كتب الرئيس الامريكي الراحل هاري ترومن الى خطيبته بس والاس: "بما انني عاجز عن انقاذك من اي وحش والهبوب لتخليصك من مبنى شبّت فيه النار وانجادك من سفينة غارقة - لأنني، ببساطة أخشى الوحوش ولا أستطيع حملك ولا أحسن السباحة - لذلك أرى أن عليّ السعي لجني ما يكفي من المال لتسديد ديوني، وبعد ذلك أجعلك تقبلينني كما أنا، رجلا من العامة، من الذين ترينهم كل يوم، ينزع الى المشاكسة لكنه يسعى الى عمل الصواب... واذا كنتِ لا تحبين الرسائل المسرفة في الرومانسية، فما عليك الا ان تخبريني بذلك، لأني ما وجدت يوماً رغبة في كتابتها ولا استسغت الاطناب في وصف خصالي الحميدة."

بس و. ترومن

الهراء المتكلّف كذب سافر لا يطاق. أما التملق فثناء شفاف في رهافته حتى اننا نحبه.

ف.ج.ش.

كان صغيراً عندما أتينا به الى بيتنا لكننا لم نعرف الراحة والسعادة حتى باح بماضيه الاليم

بُكاء بلا دموع

الاربعاء ١٥ يونيو (حزيران) ١٩٨٧ شاهدتُ للمرة الاولى ذلك الصبي الصغير الذي أصبح ابني لاحقا. كان ذلك في مكتب طبيب نفساني، وقد تقوقع الصبي على أريكة بنية بالقرب من زوجين صامتين في منتصف الاربعينات افترضت أنهما أبواه بالتبني. لزم الصبي الصمت، وبدا شاحبا وقد قصّ شعره الداكن قصيرا جدا، ولاحظت أن أظافيره كانت مقضومة. في تلك السنة كان مايكل في الرابعة من عمره.

لم يكن يفترض بنا، أنا وزوجي تيري، أن نراه. ولكن تسنى لنا ذلك إذ أسرعنا الى المكان حالما تلقينا الخبر. لقد تخلت والدة مايكل عنه وهو بعد طفل يخطو خطواته الاولى.

وها هو التاريخ يعيد نفسه. وعلمنا لاحقا أنه عندما أخبر الطبيب النفساني مايكل أن عليه أن يترك أبويه ليعيش مع أبوين "جديدين" تملكته رجفة تشنجية وبال في سرواله.

غير مرغوب فيه. بعد ثلاث عشرة سنة من الزواج منّ الله علينا خلالها بثلاثة أولاد، قررنا أنا وتيري أن نتبنى طفلا. وكنا نتردد الى صفوف للخدمات الاجتماعية ونصغي الى ما ترويه العاملة الاجتماعية شيريل عن الاطفال الذين لا



ILLUSTRATION: PATTI COSGROVE

أولياء لهم. وهالنا ما سمعناه من قصص عن أطفال يحتجزون في الخزائن أو يختنقون على أيدي آباء شبلين لا يعون ما يفعلون، وراعنا ما رأيناه من صور تصدم النفوس ويشمئز منها البصر.

كنت في البداية أعود من هذه الاجتماعات وأنا أبكي. وقلت في نفسي: ما لي ولهذه الامور؟ لن أستطيع التعامل مع طفل عاني ما عاناه من قسوة. ولكن عندما شارفت الدروس نهايتها تقدمنا بطلب للتبني.

طال انتظارنا تسعة أشهر. وذات يوم اتصلت بنا شيريل، وكنا نمضي اجازتنا في فلوريدا. قالت: "عثرت لكما على طفل يدعى مايكل." وزودتنا تفاصيل مأسوية عنه: "لقد حاولت أمه المدمنة المخدرات التخلص منه غير مرة، فتركته أخيرا في مطعم وقد كُسرت ذراعه وتورمت عيناه، وكان يبلغ من العمر سنة وثمانية أشهر."

أمضى مايكل سنة في دار للاطفال المشردين، ثم عُهد فيه الى عائلة، وهذه تسوية تؤدي عادة الى تبنٍّ قانوني. لكنها، في حال مايكل، أدت الى نبذ آخر.

أخبرتنا شيريل: "انه كأي طفل آخر في الرابعة من عمره، لكن الزوجين اللذين تبنياه لم يرزقا أولادا، ويبدو أنهما لا يعرفان ماذا ينتظران من طفل صغير. انهما يريدان أن يغادر منزلهما يوم الجمعة." ثم سكتت هنيهة وأضافت: "أعلم أن هذه المهلة غير كافية لكما، لكن ثمة أمراً يميز هذا الطفل عن سواه، فهل لكما أن تدرسا إمكان تبنيه؟"

كان تيري يقف على مقربة مني سامعا الحديث على هاتف آخر، فتبادلنا النظرات وأومأ موافقاً ثم قال لشيريل: "سنركب يول طائرة ونأتي اليكم." فناديت أولادنا وزففت اليهم البشرى.

"كانت أمي الأخرى..." في اليوم التالي بعد لقائنا الطفل الخائف في مكتب الطبيب النفساني، تدبرت شيريل لقاء تعارف بيننا. وتوقعنا أن نرى مايكل باكياً ومنهاراً، لكنه بدل ذلك بدا منشرحاً ومرحاً، وسألنا: "انتما أبواي الجديدان، أليس كذلك؟ وسأنتقل غداً الى منزلكما." وقهقه بعصبية عندما أخبرناه عن "شقيقه" و"شقيقتيه" الذين ينتظرونه. لكني لاحظت أنه يتفادى نظراتنا، فقلت في نفسي: "لعله يخاف أن نرفض أخذه."

صباح الجمعة توجهنا أنا وتيري لتسلم مايكل من منزل "ذويه" السابقين. فوجئنا بفخامة المنزل وأثاثه الخالي من أي شائبة وبياض سجّاده الناصع. وعندما نقلنا أمتعة مايكل القليلة الى السيارة وآن له أن يودع ذويه للمرة الاخيرة، بقي محافظاً على ابتسامته فيما ودعته "أمه" بتربيتة غير مبالية، لكن ذقنه الصغير أخذ يهتز عندما عانقه "أبوه،" وركض الى السيارة صارخاً: "هيا بنا!"

وفي الطريق راح مايكل يضحك ويثرثر، وبدا مفعماً بالحماسة.

عندما سلكنا الدرب المؤدية الى منزلنا

لم تكن المفاجأة سارة بالنسبة الى مايكل، اذ بدا التناقض صارخاً بين منزلنا القرميدي المتواضع وذاك .الذي غادره قبل قليل. وازداد الاختلاف وضوحا لدى دخولنا المنزل واندفاع الاولاد الثلاثة، والكلب معهم، لاستقبالنا. كان أثاث منزلنا وسجّاده من النوع العمليّ المتين الذي يتحمل الاستعمال المتواصل.

ابتسم مايكل بخفر عندما عرّفناه الى "أختيه" ليزا (١١ عاما) وراكيل (٧ أعوام) و"أخيه" ستيفن (٥ أعوام) فعلّق: "أرى أولاداً كثيرين يعيشون هنا." واستوضحهم أين كانوا يسكنون جميعاً قبل مجيئهم الى "هذه العائلة." وبدا مرتبكاً عندما عرف أنهم عاشوا معنا منذ ولادتهم.

حرصنا أنا وزوجي على توطيد معرفتنا بابننا الجديد. واكتشفنا أن الشحوب في لونه مردُّه الى أنه نادراً ما كان يُسمح له بالخروج من المنزل. وكان أكثر ما يخشاه تلطيخ ملابسه. وأخيرا باح لي بسره: "كانت أمي الاخرى تغضب كثيرا. وهي أخفت جواربي لانني كنت أوسخها، ولم تسمح لي بارتدائها إلا أيام الآحاد."

أثار اعتراف مايكل اشمئزاز تيري. فأخذه في نزهة طويلة على الاقدام ثم عادا عبر حقل موحل. ولما وصلا الى المنزل كان مايكل متسخاً... وسعيداً.

صراخ في الليل. توقعنا أن تكون الاسابيع الاولى صعبة على مايكل، لكنه بدا عفوياً ومتقبلا لاسرتنا. كان يلعب مع الاولاد وينادينا "ماما" و"بابا" بسهولة ظاهرة. وغمرتنا السعادة... الى أن أخبرَنا الجيران أن مايكل يناديهم أيضاً "ماما" و"بابا." فتيقّنا أن هاتين الكلمتين لا تحملان معنى خاصا بالنسبة اليه.

بدأت المشاكل الحقّة في أواخر يونيو (حزيران). ذات يوم أوقع مايكل الطعام على ملابسه، فطلبت منه أن يذهب الى غرفته ليغير ثيابه. ولما لم يعد ذهبت اليه، فوجدته واقفاً بلا حراك بالقرب من أحد أعمدة السرير وهو ينظر الى بركة من البول تغطي الارض.

فسألته بلطف: "لماذا فعلت ذلك؟" فنظر الي وقد خلا وجهه من أي تعبير، ثم خفض عينيه لازما الصمت.

هل ظن أنني كنت أعاقبه بارساله الى الغرفة؟

كان الحادث بالنسبة الينا تذكيراً مروعا بأن ابننا يصارع عواقب النبذ والاهمال وسوء المعاملة. وما من طفل في الرابعة من عمره مهيأ لجبهها.

أقبل يوليو (تموز) بلياليه التي مزق صراخ مايكل سكونها. وكلما طلع الصباح استعاد مايكل هداءه وهدوءه وتلون وجهه بالعافية وبدا مستمتعا برفقة ستيفن. كانا يركبان الدراجة ويأتيان أعمالا صبيانية شقية غالبا ما تكون أختاهما ضحيتيها. وذات يوم حصل أمر ولّد فينا القلق والاضطراب. فقد دخلت المطبخ ووجدت مايكل واقفا وحيداً وأمارات اليأس على وجهه وقد ضغط بسكين حادة على

معدته. فصرخت: "مايكل! ضع السكين جانباً!" واندفعت اليه ونزعت السكين من يده. وخارت قواي فجلست منهكة في كرسي قريب، ثم مددت يدي المرتجفتين وأجلسته في حضني وسألته: "ماذا كنت تفعل يا حبيبي؟"

فأتى جوابه بارداً يثير القشعريرة: "كنت أتساءل كيف يكون الذهاب الى الجنة."

في تلك الليلة لم نقوَ أنا وتيري على النوم، فتسامرنا حتى ساعة متقدمة من الليل وصلّينا.

قلت لزوجي: "ما الذي أوهمني بأنني قادرة على تغيير حياة طفل كان ضحية معاملة سيئة؟ أتظن أننا أخطأنا في تبنيه؟"

أجابني تيري: "لا، يمكننا أن نحقق فارقاً، لا بل اننا نحقق فارقاً."

لا دموع. بات من الضروري أن نعوّل على غريزتنا كوالدين. وشعرنا بأننا اذا ما تحلينا بقليل من الصبر تمكنا من مساعدة مايكل على تنفيس السوداوية التي تتأكله. وبعدما راجعت الطبيب النفساني في هذا الخصوص قررت اتباع مقاربة بسيطة.

صباح اليوم التالي ناديت مايكل الى غرفتي واقترحت عليه أن نلعب: "لنحاول أن نمثل أننا حزينان جداً."

فقال لي: "هذه لعبة مسلية." لكنه بدا فجأة مضطرباً، فهو أمضى معظم عمره الندي تحت أضواء العلماء النفسانيين.

جلسنا على السرير ورحنا نعبس وننظر الى وجهينا في مرآة. وبعد دقائق قلت لمايكل: "دعنا الآن نخبر أموراً تحزننا. سأبدأ أنا: يحزنني أن يتكلم الناس بالسوء بعضهم على بعض. دورك الآن."

فأومأ برأسه وبدأ: "يحزنني أن..." ثم صمت فجأة وقفز عن السرير مغمغما: "لا أريد أن ألعب هذه اللعبة." فركعت بجانبه على السجادة وقلت له: "أعلم أن الامر شاق يا عزيزي، لكني أريدك أن تحاول. تستطيع أن تهمس في أذني."

انقضت برهة، واذا به يدنو مني هامساً: "يحزنني أن يقول لي الناس انهم لا يريدونني معهم و... إذهب من هنا." وأخذ جسمه الصغير يرتجف. فضممته قائلة: "لا عليك، فأنا سأحبك دائماً."

فعانقني بقوة، لكن عينيه الزرقاوين الهلعتين بقيتا بلا دموع.

في الصيف راقبنا مايكل عن كثب. لاحظنا أنه، غالباً، يبتسم عندما يكون غاضباً. فرحنا نقول له كلما رأيناه يخفي مشاعره: "هيا، ليظهر الغضب على وجهك." وكنت أعبس ممازحة فنغرق كلانا في الضحك.

ذات يوم اندفع مايكل من غرفته غاضباً وهو يصرخ: "هذا ليس عدلا، لقد أخذ ستيفن سياراتي كلها." فطيّبنا خاطره وأرسلناه ليطلب من ستيفن أن يشاركه في الالعاب. وقال لي تيري باسماً: "لم يخطر ببالي يوماً أنني سأسعد لسماع طفل يصرخ."

بحلول نهاية أغسطس (آب) بات مايكل يعبر عن غضبه، وبدا أكثر ثقة بوضعه كفرد من أفراد العائلة. لكنه ثابر على إخفاء يأسه النابع من الاحداث الجارحة التي حطّت به في منزلنا. وهو لم يذرف دمعة واحدة طوال الاسابيع العشرة التي أمضاها بيننا.

كلمات مؤلمة. ذات يوم قلت لتيري فيما كنا نشرب القهوة: "أظنه خائفاً جداً من إزاحة هذا الستار الاخير."

فاقترح تيري: "ربما علينا أن ننزعه قسراً، إذ لا يجوز أن نتركه على هذه الحال."

وسنحت لنا الفرصة على غير توقع في أحد أيام سبتمبر (أيلول). كان مايكل يلعب ببعض الالواح الخشبية، فقال: "كنت أمرح كثيراً مع أبي الآخر عندما كان يساعدني في بناء برج كبير. وكنا، عندما ننتهي من البناء، نقذف البرج بأشياء وأشياء حتى ينهار."

فابتسمت وقلت له: "أنا متأكدة من أنك أمضيت أوقاتاً حلوة مع أبيك القديم، أليس كذلك؟"

لكنه لم يجب، بل لزم الصمت.

نظرت اليه، فأشاح بوجهه، الا أنني تمكنت من رؤية ذقنه الصغير يرتجف. ثم قفز مفتعلاً الابتسام وقال: "انظري يا ماما." وأخذ يثب حول الغرفة باسماً ملوحاً بذراعيه. لكن عينيه كانتا كئيبتين.

فأوقفته وقلت له: "دعنا نتكلم عن أبيك القديم."

فحاول التملص، لكنني أدنيته مني وأمسكت وجهه بيدي وأرغمته على النظر الي، ثم قلت له برقة: "لن تتخلص من هذه الامور السيئة ما لم تبُحْ بها، فهل تستطيع ذلك؟"

شعرت بصراع عنيف يعتمل داخله، وراحت عيناه تجوبان الغرفة بحثاً عن وسيلة للهرب. وتراءى لي من خلال تعبيره اليائس طفلا بكى فلم تكفكَف دموعه ومدَّ ذراعيه فكانتا ملويتين مكسورتين. رأيت طفلا مفعماً بالثقة قيل له إنه يستطيع البقاء الى الابد في منزل تبناه وتكفل برعايته، فاذا به يطرد منه. رأيت الالم في تعبيره، والخيانة والغضب، لكنني رأيت أيضا حاجة الى الحب. وسالت الدموع على خدي.

"مايكل!" نظر الي بلا اكتراث. جزء مني أراد تجنيبه الالم الذي كان يحتمي منه، لكنني عرفت أن الساعة حانت لهدم الحاجز الاخير الذي رفعه واختبأ وراءه.

قلت له: "عندما كنت صغيراً كانت أمك تضربك. وذات مرة ضربتك بقوة فكسرت ذراعك، ثم تركتك في مكان ما وحيداً. بماذا شعرت آنذاك؟"

أجابني بصوت مخنوق: "بالحزن."

فأومأت موافقة وقد اغرورقت عيناي بالدموع وتابعت: "ثم أودعت داراً للعناية، ولما وجدت السعادة مع أبويك الجديدين اضطررت الى تركهما مجدداً. فبماذا شعرت؟"

أجاب بصوت يكاد لا يسمع: "بالحزن."

تابعت: "كان من المفترض أن يتبناك أبواك الآخران، لكنهما عدلا عن ذلك..." كانت الكلمات مؤلمة، ووجدت مشقة بالغة في إكمال حديثي: "فبماذا شعرت آنذاك يا مايكل؟"

ففاضت عيناه ألماً اذ حدق الي وقد لاذ بالصمت.

فناشدته: "لا داعي بعد اليوم الى أن تخاف من هذه الامور الاليمة الماضية، فسأكون أمك الى الابد."

بقيت عيناه شاخصتين اليّ لحظات، ثم انهار بين ذراعي منتحباً مرتعشاً، وأخذ ينشج بأسى. فعانقته وبكيت معه.

استمر مايكل على هذه الحال من البكاء ثلاثة أيام، كأن سداً انفجر وفاض. فتارة يتذكر الثوب الذي لم تدعه أمه يرتديه، وتارة رحلة الصيد التي لم يصطحبه بها أبوه "القديم" والصنارة التي ترمز الى ذلك الوعد المنكوث، ثم ينتحب من جديد. واستمر يبوح بما في قلبه بين معانقة وأخرى. وبكيت معه وشاطرته آلامه الماضية. وبدأنا، شيئاً فشيئاً، نسدل عليها ستار النسيان.

لحظات وداع. في ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٧ أصبح مايكل فرداً من عائلتنا بحكم القانون. وهو اليوم صبي في الثامنة من عمره، مرح وعابث، يحلم أن يصبح طبيباً أو ساعي بريد. وهو يبلي حسناً في المدرسة.

لكن الانجاز العاطفي الذي حققه لم يحل جميع مشاكله. فما زال الفقدان يحز في نفسه، ويحزن كثيراً لدى انتقال أصدقائه أو معلميه الى مناطق أخرى. لكني بدأت أتحسس مدى تقدمه من خلال ردود فعله على لحظات الوداع.

زوجي تيري مضطر، بحكم عمله، الى السفر باستمرار. في البدء كان رحيله مصدر اضطراب لمايكل. لذا وضعت نظاماً بسيطاً يرسخ الطمأنينة في قلبه: في منزلنا، كل رحيل يؤذن بعودة منتظرة.

ودرج مايكل على حمل حقيبة أبيه الى الشاحنة الصغيرة التي يركبها تيري للذهاب الى المطار. ثم نتعانق ونردد عبارات: "الوداع... اني أحبك... أسرع في العودة." وبتنا نقف، أنا ومايكل، خارج المنزل ملوحين بأيدينا حتى تغيب الشاحنة خلف المنعطف.

ويسألني مايكل: "أبي ذاهب في رحلة عمل فقط، أليس كذلك؟ وسيعود الينا بسرعة، أليس كذلك يا أمي؟".

فأجيبه "أجل يا بني." وأحيطه بذراعي وأعانقه بسعادة غامرة.

ديبرا سنايدر ■

ديبلوماسية البحر

الديبلوماسي وسرطان البحر كائنان متشابهان، فهما يتحركان على نحو يستحيل معه تمييز ما اذا كانا مقبلين أم مدبرين.

م.ف.

كتاب الشهر

مغامِرُون في بلاد الاسكيمو



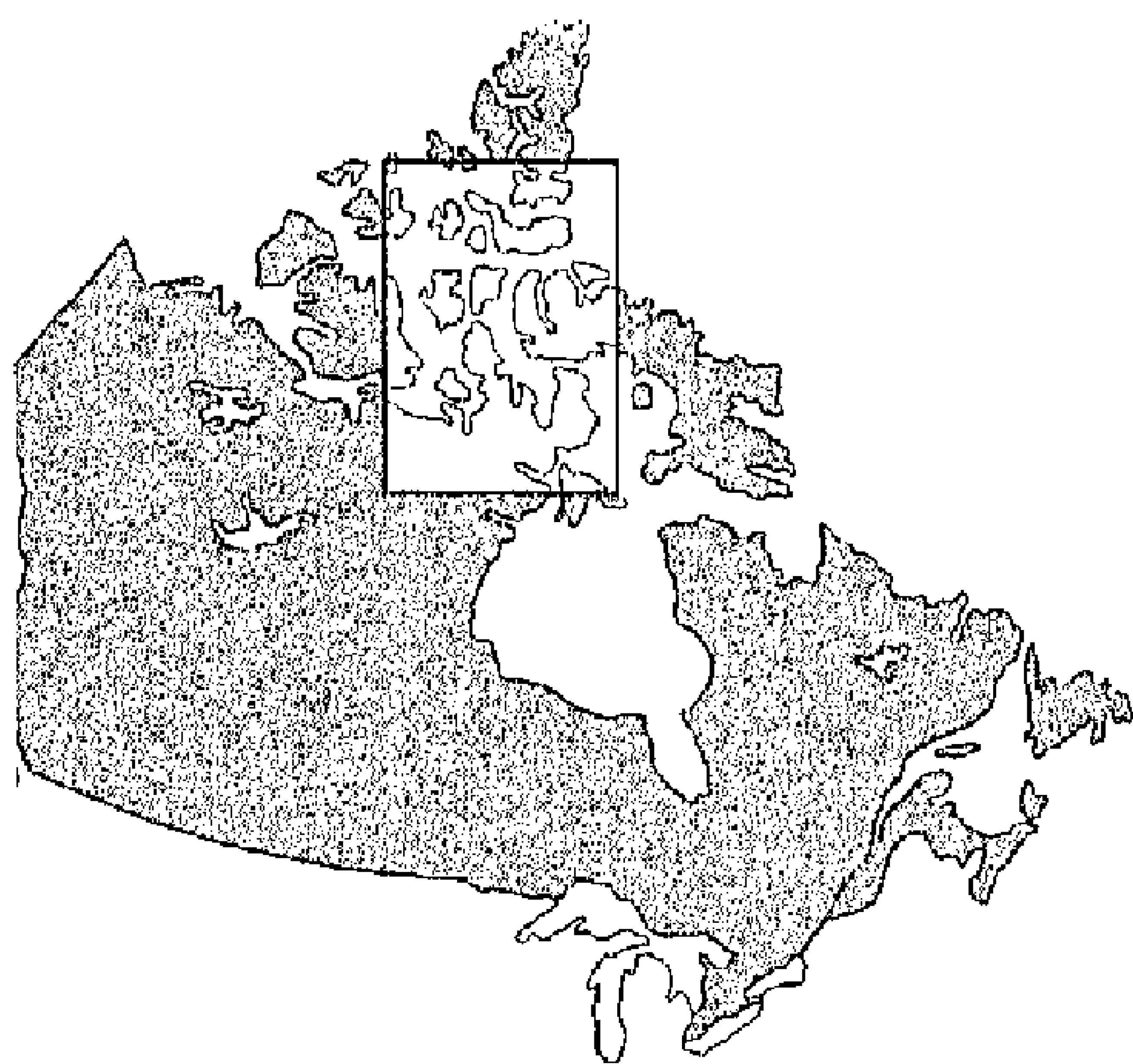
مُلخّص من كتاب "البحث عن الكأس"
بقلم بيار برتون

"الممر الشمالي - الغربي" طريق عبر "قمة العالم" من المحيط الاطلسي الى المحيط الهادىء. انتظر طويلا من يكتشفه، ثم أتى الرجال من كل صوب، ودام بحثهم معظم القرن التاسع عشر وأزهر عصراً ذهبياً للاستكشافات. مخرت السفن - بريطانية في البداية وأمريكية في ما بعد - بحاراً انتثرت فيها قطع جليد، ولاقت مصيراً مأسوياً أحياناً كثيرة. وكانت أفجع هذه المآسي رحلة السر جون فرنكلين الذي أبحر في العام ١٨٤٥ مع ١٢٨ رجلا ولم يعودوا أبداً. غزت مجموعات من الباحثين المنطقة القطبية الشمالية القاسية سعياً الى الشهرة والمجد، بحضّ من زوجة فرنكلين الجريئة العنيدة، وبتمويل منها أحياناً.

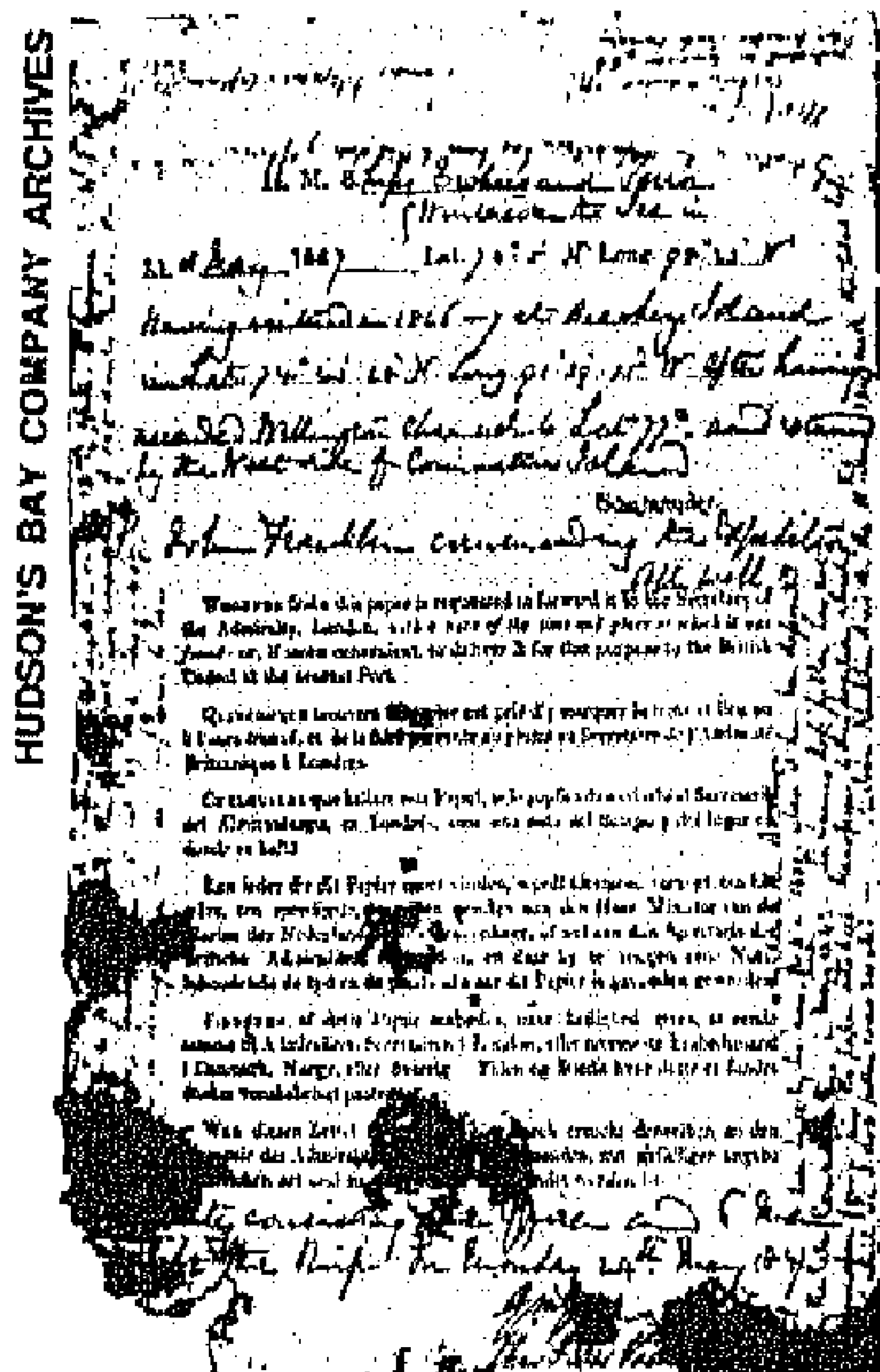
في هذه الصفحات، يعيد المؤرخ الكندي الشهير بيار برتون كتابة تفاصيل المغامرة بكل طرافتها ومأسويتها الانسانيتين ومواقف الخطأ والعناد والشجاعة التي حققت النصر ومنحت الليدي فرنكلين القلقة سلاماً.



احد أوسمة السر جون فرنكلين، استعيد في العام ١٨٥٤







H. M. Ships Erebus and Terror

Sir John Franklin commanding the Expedition

All well

جزيرة ملفيل
جزيرة باذرست
شبه جزيرة غرينيل
جزيرة كورنواليس
جزيرة بيتشي
مضيق فسكونت ملفيل
مضيق بارو
مضيق بيل
جزيرة سومرست
بورت ليوبولد
خليج برنس ريجنت
جزيرة برنس اوف ويلز
مضيق بيلو
جزيرة فيكتوريا
شبه جزيرة بوثيا
مضيق جامس روس
جزيرة كينغ وليم
الدائرة القطبية
نهر باك
(نهر غريت فيش)

وجد الباحثون في العام ١٨٥٩ في معلم بارز على جزيرة كينغ وليم، السجل الوحيد المكتوب للبعثة المفقودة.

تتضمن مذكرات المستكشف القطبي السر جون روس رسماً رائعاً لمواجهة بين ضابطين من البحرية البريطانية ومجموعة من الاسكيمو في غرينلاند.

يرتدي رجال الاسكيمو سترات وسراويل وأحذية مصنوعة من الفراء وجلود الفقمة تلائم قسوة المناخ في "ألتيما ثول."[1] أما الضابطان اللذان نزلا الى البر للسلام عليهم فيرتديان الثياب ذاتها التي كانا سيلبسانها لو أوفدا الى إحدى الجزر في جنوب المحيط الهادىء التي تكسوها أشجار النخيل. ها هما يقفان متألقين بقبعتيهما المردودتين ومعطفيهما الطويلين وقفازاتهما البيضاء وأحذيتهما التي طالما وطأت خشب القاعات الفخمة في دور مايفير بلندن، وهي الآن غارقة في الثلج. انهما غريبان في أرض متوحشة.



الليدي جين فرنكلين.

بدت الجبال المنحوتة حولهما كستارة مسرح فخمة. وخلفهما رست سفينتاهما، والرجال على متنيهما يرتجفون بألبستهم النظامية المحوكة من الصوف والجوخ، لان البريطانيين لم يكونوا أدركوا بعد الحاجة الى ملابس خاصة في القطب.

سجَّل الفنان في هذا الرسم لحظة تاريخية: ١٠ أغسطس (آب) ١٩٨٨، أول حملة قطبية في القرن التاسع عشر تنظمها البحرية البريطانية. انها بداية جديدة لعملية بحث طويلة عن "الممر الشمالي - الغربي."

لقد تحولت تلك القناة المحيِّرة الممتدة من المحيط الاطلسي الى المحيط الهادىء على امتداد الساحل الشمالي لامريكا، هاجساً ومصدر احباط للمستكشفين البريطانيين منذ أيام الملكة اليزابيت الاولى. كان المغامر مارتن فروبيشر، الذي عاصر درايك وهوكنز، أول من سعى الى اكتشاف "الممر" في رحلات ثلاث بين ١٥٧٦ و١٥٧٨، وأعلن بعد ذلك "انه عمل لم ينته بعد، وقد يأتي بالشهرة والثروة على صاحب عقل فذ."

تابع ديفيس وهدسون وبيلو وبافن عملية البحث، تاركين أسماءهم على أراض موحشة وبحار متجمدة. وعندما رجع لوك فوكس في العام ١٦٣١ بعد استكشاف "قناة

(١) ألتيما ثول (Ultima Thule) هي اقصى المناطق الماهولة في شمال الارض.


السر جون فرنكلين.

فوكس" و"حوض فوكس" شمال "حوض هدسون،" أفاد باستحالة وجود طريق الى الشرق تحت الدائرة القطبية. وهكذا تلاشى كل أمل بممر تجاري عملي وتضاءل الاهتمام بالمشروع.

لماذا اذاً أرسلت البحرية البريطانية سفينتين محمَّلتين رجالا لاعادة البحث عن خط بحري صالح للملاحة؟ الواقع أن أوروبا كانت في ذلك الوقت تنعم بفترة سلام، وعندما طرحت فكرة اعادة البحث عن الممر في العام ١٨١٧ كان ٩٠ في المئة من ضباط البحرية البريطانية عاطلين عن العمل. فقد أقصي نابوليون الى المنفى، ولم تعد هناك حروب يخوضها الاسطول الملكي. وما الضرر إن لم تكن للممر فائدة تجارية عملية؟ المهم هو المغامرة ذاتها، فكل بريطاني مقتنع بأن القرن التاسع عشر هو "مُلك" بريطانيا، والممر هناك، ينتظر من يقهره مثلما قُهرت أعالي النيل ومجاهل الكونغو. وكم سيبدو مهيناً لبريطانيا أن يتمكن بحار من أمة أخرى – روسي مثلا أو أمريكي مبتدىء – من الوصول الى الممر اولا.

كان السر جون بارو، من ادارة البحرية، هو محرّك هذا المنحى الجديد في التفكير. كان ذا وجه عريض وشاربين كثّين وحاجبين غليظين وطباع عنيدة. ومع أنه سافر في افريقيا والصين، فانه أُخذ بالمناطق القطبية منذ زار غرينلاند عندما كان حدثاً على متن سفينة لصيد الحيتان. لم يرَ بارو جليداً طافياً خلال رحلته تلك، لكنه وقع في هوى المنطقة القطبية الشمالية. كان اكتشاف الممر بالنسبة اليه نزهة، رحلة رومانسية الى المجهول.

خطط بارو حملتين للعام ١٨١٨: جون روس الى الغرب وديفيد بوكان الى القطب الشمالي. كان بارو مقتنعاً، مثل كثيرين غيره لم يملكوا دليلا حسّياً، بأن حزاماً من المياه الدافئة الخالية من الجليد يحيط بالقطب. فاذا استطاعت سفينة شق طريقها عبر كتل الجليد المعترضة فسوف تسهل عليها بقية الرحلة.

لم يكن ذلك سهلا كما اكتشف القبطان بوكان سريعاً. فقد حطمت عاصفة هوجاء سفينتيه، وكان محظوظاً اذ استطاع مع رجاله القفز من كتلة جليد طافية الى أخرى

وعادوا منهكين الى سبيتزبيرغن حيث تقرر الغاء محاولة الوصول الى القطب.

لم يميز الحملة سوى أن مساعد بوكان الملازم جون فرنكلين كان في أولى رحلاته الاربع الى العالم المتجمد. ففي السجل المتشابك للاستكشافات القطبية تحتل مأثرة فرنكلين البطولية مركز الصدارة. أما حمى الاستكشافات التي أطلقها بارو والبحرية الملكية في العام ١٨١٨ فلم تكن الا بمثابة ازاحة الستارة. فقد أبحرت سفن كثيرة وتحققت اكتشافات مثيرة وفُقد رجال كثيرون، لكن كل محاولات اكتشاف الممر أخفقت. أتخمت عقول الناس خلال عشر سنين بقصص الجليد القطبي، وكلّت البحرية أيضاً من محاولات استكشاف المنطقة القطبية، وبدا كأن "المغامرة الكبرى" التي باشرها بارو قاربت نهايتها.

لكن أحداً لم يحسب حساباً لروح المغامرة القادرة على استعادة حيويتها. مرّ عقدان، وفي العام ١٨٤٥ تفشّت "حمى" الممر الشمالي – الغربي ثانية في بريطانيا.

لم يكن بارو المتفائل متأكداً من أنه يعرف موقع الممر. كان في الثانية والثمانين ومستعداً للتقاعد، لكنه كان يتطلع الى رحلة ناجحة تتويجا لانجازاته.

اختير جون فرنكلين للمهمة، وكان في التاسعة والخمسين وقد قارب هو ايضاً نهاية حياته المهنية. كُلف قيادة سفينتين والتوجه الى منطقة كبيرة "فارغة" على الخريطة هي شكل رباعي تبلغ مساحته حوالى ١٨٢ ألف كيلومتر مربع. لم يكن أحد يعرف ماذا يضم هذا الشكل، فأطرافه فقط كانت استكشفت.

أبحر فرنكلين في مايو (أيار)، وآخر من شاهده بحارة سفينة لصيد الحيتان في حوض بافن في ٢٥ يونيو (حزيران) ١٨٤٥، وكانت سفينتاه مربوطتين الى قطعة جليد طافية. ولم يشاهد رجل أبيض فرنكلين أو أيا من رجاله المئة والثمانية والعشرين بعد ذلك أبداً.

لو عاد فرنكلين خائباً، كما فعل آخرون، لتوارى اسمه في طي النسيان. لكن اختفاءه الغامض رفعه من مجرد بطل صغير في تاريخ استكشاف المنطقة القطبية الى مرتبة جلال وسمو. وأصبح، من غير قصد، رمزاً للاستكشافات القطبية في القرن التاسع عشر.

انطلق اكثر من خمسين حملة للبحث عن المستكشف الكهل بين ١٨٤٨ و١٨٥٩. بُددت ثروات لا حصر لها، وتحطمت سفن كثيرة أو ضاعت أو أخليت، ومات رجال كثيرون بأحداث مؤسفة أو بداء الاسقربوط.[٢]

لم يكن الامر يحتاج الى سنين طويلة، فلو اتّبع بعض الحملات الاولى بحثا أكثر شمولا لعُرف مصير فرنكلين منذ ١٨٤٩. لكن لغز المنطقة القطبية كان سيبقى. وهكذا،

(٢) الاسقربوط او الحفر داء من اعراضه تورم اللثة ونزفها.

عندما انتهى "البحث الكبير" أخيراً أزيح ستار الجهل الابيض ورُسمت خرائط لمعظم الارخبيل الهائل بجزره وقنواته، كما انفكّ طلسم الممر الشمالي – الغربي.

لقد حقق فرنكلين في مماته ما عجز عن تحقيقه في حياته.

الرجل الذي أكل حذاءه

في العام ١٨١٩، بعد عودة فرنكلين من محاولة فاشلة للوصول الى القطب الشمالي، اختير لقيادة حملة لاستكشاف سهول التندرة الامريكية شمال بحيرة سلايف الكبرى. لم يكن فرنكلين المرشح الامثل للمهمة، فهو خاض البحر منذ بلغ الثانية عشرة من عمره، وانضم الى البحرية في الرابعة عشرة، وشارك في ثلاث معارك رئيسية في "الحروب النابوليونية" وجرح في احداها. لكنه الآن في الثالثة والثلاثين، سمين وغير معتاد العمل الشاق ولا يمتلك أي خبرة في السفر براً.

استطاع مسح ٣٤٠ كيلومترا من ساحل أمريكا الشمالية شرق نهر كبرماين، وهو انجاز رائع في تلك الاحوال. أما في ما عدا ذلك فقد كانت الحملة كارثة، بل ربما كانت الرحلة البرية الاكثر مشقة في تاريخ المنطقة القطبية الشمالية.

بعد عودة فرنكلين الى بريطانيا صار يشار اليه على أنه "الرجل الذي أكل حذاءه،" وهذا تعبير قوطي ساخر لكنه يدل على النواحي المرعبة في حملة مزقها النزاع والجوع والقتل و... أكلة لحوم البشر. ووصل فرنكلين نفسه الى حافة الموت لو لم تنقذه عصبة من الهنود، لكن عشرة من رجاله لم يكونوا محظوظين مثله.

مع كل ذلك اكسبته انجازاته شهرة واسعة ورقي الى رتبة قائد موقع. لكن ذلك لم يكفِه. ولم تمضِ سنتان حتى عاد متحرقاً الى السفر، وبلغت منه الحماسة حداً ترك معه عروسه التي لم يمضِ على زواجه بها ٢٠ شهراً وهي مريضة بالسل وفي حال النزع الاخير. فماتت بعد ستة أيام من رحيله.

كانت أوامره هذه المرة تقضي بأن يسافر براً الى بحيرة سلايف الكبرى ومنها هبوطا في اتجاه مجرى نهر ماكينزي لاستكشاف الخط الساحلي غرباً وصولا الى ألاسكا الروسية. أما مرافقه جون ريتشاردسون فيذهب شرقاً. قطع الرجلان ما مجموعه ٦٤٠٠ كيلومتر، معظمها غير ممسوح، وتلك مأثرة أكسبتهما لقب "فارس."

اعتقد فرنكلين أن الاعمال الاستكشافية الرئيسية قد أنجزت ولم يبق الا ربط المناطق التي اكتشفها هو بتلك التي اكتشفها السر وليم ادوارد باري على بعد حوالى ٥٦٠ كيلومتراً شمالا، فيصبح "الممر" أمراً مفعولا.

لكن الامر لم يكن بتلك البساطة. ومرت أربع عشرة سنة قبل أن تقترب حملة أخرى من تحقيقه. في هذه الاثناء كانت حياة فرنكلين المهنية في انحدار.

تزوج المستكشف الارمل ثانية بعد عودته من حملة نهر ماكينزي. كانت عروسه جين غريفيث في السادسة والثلاثين، امرأة أنيقة جميلة حيية لكنها متقدة الذكاء. وان وصفاً لنشاطاتها الكثيرة يناقض نموذج المرأة الثرية في العصر الفيكتوري. فهي لم تعبأ بشغل الابرة (التطريز) ولم تتكلف الاستمتاع بالمناسبات الاجتماعية. لكنها كانت مفعمة بالحيوية لا تهدأ، ورافقت والدها في كثير من الاسفار قبل زواجها. آمنت بالتطوير الذاتي، وفي التاسعة عشرة من عمرها أرست خطة لتنظيم وقتها واغناء عقلها مخصصة كل دقيقة لنوع من الدراسة.

كتبت مرة: "انني أحيا كثيراً من خلال آخرين." وهي بالتأكيد عاشت من خلال زوجها، تدفعه وتحضه عند الضرورة.

بعد عامين من الاسترخاء والتبطّل كُلف السر جون قيادة فرقاطة تحمل ٢٦ مدفعاً في البحر الابيض المتوسط. وعندما عاد الى بريطانيا في العام ١٨٣٣ كانت الليدي فرنكلين في الاسكندرية تستعد لرحلة الى أعالي النيل، فأعلمها أنه ينوي للانضمام اليها لاحقاً في نابلس، لكنها رفضت ذلك رفضاً قاطعاً، لانها اعتقدت أنه ببقائه قريباً من الاميرالية يمكن أن يحصل على تكليف بمهمة جديدة.

أرسلت اليه تقول ان إمرة باخرة أو مركز ما لا تقارن بحملة استكشاف، وفضلى المهمات حملة قطبية جديدة، "فالشخصية والمركز اللذان تتمتع بهما في المجتمع، والاهتمام – واسمح لي أن أقول الشهرة – المرتبطان باسمك، تعود كلها الى حملات الاستكشاف. ولم تكن لتحصل عليها من خلال النشاطات العادية لمهنتك." وأضافت: "يبدو أن للمناخ الجليدي تأثيراً مدهشاً يشدّ أعصابك ويقوّيك."

بدلا من ذلك، عرض على السر جون مركز حاكم أنتيغوا في الكاريبي. كان العرض مشيناً في نظر الليدي فرنكلين التي اعتبرته انحداراً مهيناً لبطل الحملات القطبية. وعندما سنحت للزوجين فرصة أفضل هي حاكمية فان ديمانز لاند (تاسمانيا) قبلاها لكنهما سرعان ما ندما على ذلك. والمشكلة كانت الليدي فرنكلين التي رفضت ممارسة الدور التقليدي لزوجة حاكم اقتصرت واجباتها على ارتداء الثياب الانيقة والزيارات واستقبال الضيوف والاهتمام براحتهم.

لم تكن جين فرنكلين تعنى بالاحاديث العادية بل فضلت مناقشة أمور تتعلق بالفلسفة والفنون والعلوم. ووصف أحد الضيوف غرفتها في القصر الحكومي بأنها "تشبه متحفاً أكثر من مخدع سيدة،" لانها غصّت بالطيور المحنطة والاسلحة التي استخدمها سكان البلاد الاصليون والعينات الجيولوجية والاحافير.

شكلت الليدي فرنكلين لجنة للنظر في الظروف التي تعيشها النساء المحكومات بجرائم، لكن "الحاكمة" التي اختيرت لادارة اللجنة استقالت بعدما زعمت احدى

الصحف أن هذه الوظيفة غير ملائمة لسيدات غير متزوجات. وعندما أبدت الليدي فرنكلين اهتماماً بالسكان الاصليين تعرضت للانتقاد. وحاولت انشاء كلية، لكنها منيت بالخيبة والاحباط اذ اكتشفت أن وزير المستعمرات ومسؤولين آخرين في بريطانيا يعارضون بشدة أي مشروع لا يفيدون منه. وقال عنها الوزير في أحد مجالسه الخاصة: "لم أرَ في حياتي امرأة أكثر ازعاجا وحشرية."

اشتد النزاع بين الليدي والمسؤولين المعارضين مما هدد مركز زوجها الدمث المحبوب لاسلوبه البسيط العطوف. لم يكن فرنكلين ليؤذي ذبابة، وكان يقول وهو يكش ذبابة عن يده: "في العالم متسع لكلينا."لكن موقفا كهذا لم يكن نداً للاحابيل والمناورات التي يزخر بها نظام استعماري محكم الحبكة، فاستدعي فرنكلين في العام ١٨٤٤ الى بريطانيا مهاناً وعلى شفا الانهيار، اذ وصلت مكانته الى الحضيض، فلم يعد جائزاً أن يستريح حتى يستعيد ما اعتبره شرفه الضائع عبر مأثرة استكشافية جليلة.

مريع ومقزِّز!

تطابقت آمال فرنكلين وعودة الاهتمام بالممر. في ديسمبر (كانون الاول) ١٨٤٤ كان جون بارو وضع خطة تفصيلية لحملة جديدة، وفي فبراير (شباط) أُمهل فرنكلين ثلاثة أشهر للاستعداد.

وحده جون روس بدا قلقاً من امكان الفشل، فسأل فرنكلين: "هل تطوع أحد للحاق بك؟"

"كلا،" رد فرنكلين.

"اذاً، سوف أتطوع أنا للبحث عنك إن لم نسمع منك خبراً بحلول فبراير (شباط) ١٨٤٧. لكنني أتوسل اليك أن تترك رسالة في معلّم بارز حيث تمضي الشتاء تشير فيها الى الطريق التي ستتبعها اذا قررت المضي قدماً."

تلك نصيحة حكيمة. ولكن من يستمع الى روس الذي فقد ثقة الناس؟

كان جون روس في العام ١٨١٨ عبر "حوض بافن" ودخل "مضيق لانكستر" وهو "لسان" طويل ثبت لاحقاً أنه المدخل الى الممر الشمالي الغربي. لكن روسّ رأى، أو ظن أنه رأى بعدما قطع ٥٠ كيلومتراً داخل الخليج، سلسلة جبال تسد كل منفذ الى الغرب، فأطلق عليها اسم "جبال كروكر" وقَفل دونما سبب مبحراً الى الوطن.

بعد عام واحد قاد وليم باري حملة أخرى الى مضيق لانكستر وأبحر عبره أبعد مما وصلت أي سفينة شراعية، وبذلك حطم أسطورة جبال كروكر وجعل من روس مضحكة، ولم يتعافَ هذا قط من موجة السخرية والانتقاد التي نتجت.

أمضى روس خلال احدى الحملات أربعة شتاءات متعاقبة محتجزاً في الجليد، ثم أعاد رجاله الى الوطن سليمين من داء الاسقربوط الذي فتك بمستكشفين آخرين. لم تكن هذه مصادفة، فقد تعلم روس من مراقبة الاسكيمو أن "استخدام الزيوت واللحوم المدهنة هو سر البقاء في هذه المناطق المتجمدة، والسكان المحليون لا يستطيعون الحياة من دون هذه الاغذية، وهم يمرضون ويموتون ان اتبعوا نظاماً غذائياً أفقر."

اختزن فرنكلين ٢٩٠٠ كتاب في سفنه، من بينها تقرير روس واستنتاجاته الذكية. ولكن حتى في العام ١٨٤٥ كانت سطوة باري أقوى، وهو تمسك بالاعتقاد الساذج أن تفشي الاسقربوط يمكن وقفه بواسطة التسلية التي ترفع المعنويات وبكثير من التمارين. والحقيقة أن هذه تعجّل تفشي الداء.

معروف في الطب الحديث أن الاسقربوط يتأتى عن نقص في الفيتامين "ج" (C) الذي لا يمكن خزنه في الجسم البشري، واذا لم يتناول المرء مضادات للحَفَر فان الجسم ينحسر محتواه من الفيتامين "ج" وتظهر أعراض الداء خلال مدة تراوح بين ثمانية أسابيع وثلاثة عشر أسبوعاً، وينتج منها ضعف عام واسوداد في اللثة وتخلخل أسنان وبشرة اسفنجية غائرة بفعل النزف الداخلي. وينتهي الامر الى الوفاة.

لم يكن مستكشفو القرن التاسع عشر سمعوا شيئاً عن الفيتامينات، لكنهم مع ذلك أدركوا أن داء الاسقربوط مرتبط بالنظام الغذائي. كان فرنكلين يعتزم الاكتفاء بمخزونه من المؤن وابعاد الداء عنه وعن بحارته بتناول أونصة (٢٩ مليليتراً) من عصير الليمون يومياً، كما جرت العادة في البحرية البريطانية. لكن الفيتامين "ج" شديد التقلّب ويخسر فاعليته بسرعة أن لم يُخزن بطريقة صحيحة. أما الوجبات الغذائية فاعتمدت على اللحم المملّح الذي لا يجدي مضاداً للحفر وإن يكن الغذاء الذي اعتمدته البحرية البريطانية.

في المقابل، يمتاز دهن الفقمة بغناه بالفيتامين "ج"، لكن معظم البريطانيين لم يطيقوا أكله. ووجد باري غذاء الاسكيمو "مريعاً ومقززاً" ورائحة دهن الفقمة الذي يتناوله المحليون نيئاً "هي بالنسبة الينا لا تطاق." كان رجاله يعافون رؤية الاهالي يأكلون الدهن كي لا يصابوا بالغثيان، وصار الاسكيمو يلهون بملاحقتهم وهم يحملون قطعاً من هذا الدهن.

كان الاسكيمو بالنسبة الى البريطانيين كالاطفال: متوحشين، أميين، عاجزين عن الافادة من طرق حياة الرجل الابيض. لكن هذا الشعور الابدي بالتفوق لم يكن له ما يبرره، ففي المنطقة القطبية كان المستكشفون البيض هم الاطفال. وليس السبب الغذاء واللباس فقط، فمزالج الاسكيمو خفيفة ومرنة بينما مزالج البحرية البريطانية ثقيلة وبطيئة يجرها الرجال لا الكلاب. لم يتعلم رجل من البحرية تقنية الجر بواسطة

الكلاب أو فن بناء أكواخ ثلجية. فالرجل القوي، الذي يمشي حاملا عدته عبر الاراضي القطبية المترامية الاطراف ويتحمل مشاقً لا تصدق والابتسامة تعلو ثغره، يمثّل معاني النبل لدى البريطانيين لانه، كفرسان الايام الغابرة، يواجه مخاطر المجهول سعياً الى النصر والمجد. بعد خمسين سنة من حملة الاستكشاف الاولى كان البحارة البريطانيون لا يزالون يجرون أثقالا مُقعِدة ويحملون، الى معداتهم، خياماً مشبعة بالماء أو متجمدة.

لماذا هذا العمى في البصيرة؟ يعود بعض السبب الى النهج المحافظ في البحرية البريطانية، وبعضه الى الشعور بالاستعلاء لدى الطبقة البريطانية العليا التي اعتبرت نفسها متفوقة على معظم الشعوب الاخرى، أمريكيين أم أفارقة أم اسكيمو. لكن جزءاً آخر من السبب هو، بالتأكيد، خشية البريطانيين من العودة الى البداءة. فكيف يسير بريطاني أصيل مرتديا فراء الفقمة أو يأكل دهنا نيئا أو يعيش في كوخ بني من ثلج؟ لا، الانتصار الحقيقي هو في قهر الصعاب من دون أي تنازل لاعتماد وسائل السكان المحليين.

وهكذا أبحر فرنكلين في سفينتيه "اريبوس" و"تيرور" الصغيرتين المزهوتين بألوانهما السوداء والصفراء وكل واحدة محملة جبالا من المواد الغذائية والوقود والتجهيزات التي اقتضاها السفر في القرن التاسع عشر، من آنية خزفية أنيقة وكؤوس كريستال وفضيات ثقيلة من إلطراز الفيكتوري وبزات رسمية ذات أزرار نحاسية ورصاص لتبطين المراكب وخشب سنديان ثقيل لصنع المزالج. وقد عثر على معظم هذه التجهيزات لاحقاً، قطعا وبقايا من الحضارة الاوروبية فقدت بريقها وتآكلت على السواحل الباردة لجزيرة قطبية لم تُرسم على خريطة.

بداية البحث

لم ينسَ جون روس وعده. وبدأ القلق على سلامة حملة فرنكلين يساوره منذ بداية العام ١٨٤٧. ففي يناير (كانون الثاني) ومن ثم في فبراير (شباط) ومارس (آذار) عمد الى لفت الاميرالية وكل من أصغى اليه الى أن فصل الشتاء التالي هو الثالث يمر على فرنكلين في المنطقة القطبية، وأن مؤونته توشك أن تنفد، وأنه هو نفسه، جون روس، على استعداد لقيادة فرقة انقاذ ذلك الصيف.

لكن الاميرالية اختارت أن تأخذ بنصيحة ما أصبح يدعى "المجلس القطبي" الذي ضم رجالا أمثال باري وجون بارو الابن (ابن بارو) وجايمس كلارك روس (ابن شقيق جون). وقد خذل هذا المجلس جون روس. وكان جايمس روس على خلاف دائم مع عمه، وهو قال لباري: "ليس هناك سبب للخشية على سلامة الحملة أو نجاحها."

كانت جين فرنكلين في هذه الاثناء أمضت صيف ١٨٤٦ في دوامة من الاسفار امتدت من جزر الهند الغربية الى الولايات المتحدة، قامت خلالها، كالعادة، بتسلق الجبال وزيارة مصانع ومدارس ومستشفيات. وعادت في خريف ذلك العام الى بريطانيا مستاءة وقلقة لغياب الاخبار من مضيق بيرينغ حيث افترض الجميع أن زوجها سيبعث برسائل الى الوطن. بدأت تعدّ نفسها للاسوأ، وكتبت الى صديقها جايمس كلارك روس تقول ان من الافضل، ربما، أن تبقى "جاهلة سعيدة" غافلة عن أي كارثة محتملة، وانها رفضت الاستماع الى عمه لان "خطط السر جون روس منافية للعقل" كما قيل لها.

لكن السر جون استمر في الحاحه، وواجه رئيس "الجمعية الملكية" مرتين، فأخبره هذا بجفاء: "انك تريد أن تذهب وتتجمد مثل فرنكلين، فنضطرّ الى ارسال حملة لانقاذك."

اغتاظ روس من هذا الرد القاسي، لكن الجمعية الملكية تلقت الرد ذاته عندما طلبت مشورة المجلس القطبي.

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٤٧، مع اقتراب الشتاء الثالث، عقد اجتماع في منزل الليدي فرنكلين من دون معرفة جون روس. وزيادة في اغاظته، اختارت الليدي فرنكلين ابن شقيقه لقيادة أي حملة قد توافق عليها الاميرالية، وكان واضحاً أن الاميرالية ستوافق اذا تولى جايمس كلارك قيادة الحملة.

بدأ "البحث الكبير" في مطلع ١٨٤٨ بانطلاقة طموحة من ثلاث شُعب شملت أربع سفن وفريقاً برياً لاستكشاف متاهة الجزر والقنوات الشمالية من الشرق والغرب والجنوب. فيدخل جايمس روس الارخبيل بسفينتين من الشرق عبر مضيق لانكستر ثم يستدير جنوباً، فيما تبحر سفينتان أخريان حول "كيب هورن" وتتوجهان شمالا لتجولا في المنطقة القطبية الغربية. أما الحملة البرية بقيادة السر جون ريتشاردسون، مساعد فرنكلين في احدى حملاته، فسوف تتبع نهر ماكينزي الى الساحل القطبي لتفتيش المنطقة الشرقية. وأمل الجميع أن يتضح مصير حملة فرنكلين قبل نهاية السنة.

لم ينقص ريتشاردسون متطوعون متحمسون، لكنه رفضهم جميعاً مفضلاً جون راي الذي رُقّي الى وظيفة كبير تجار شركة "هدسون باي." وهذا الرجل دخيل على ذوي المعاطف الزرقاء الموشاة بالذهب من مستكشفي المنطقة القطبية، وقد بقي كذلك على رغم انجازاته الكثيرة اذ لم يلتزم النهج الذي اختطه باري وروس وفرنكلين. كان يرتدي ثياباً من جلود الغزلان ويتقن بناء أكواخ ثلجية ويقود فرقا من الكلاب تجر مزالج. لم يكن قناصاً ماهراً بالبندقية فحسب، بل ثقف نفسه في عادات الحيوانات فبات خبيراً. وخلافا لفرنكلين وريتشاردسون اللذين خططا لصيد قليل، كان راي يصر على اطعام

مرافقيه لحماً طازجاً يصطاده بنفسه. ولم يسبق أن عانت أي جماعة بقيادة راي داء الاسقربوط.

أبحر راي وريتشاردسون الى أمريكا الشمالية في أواخر مارس (آذار) ١٨٤٨. لم تمشط الحملة أراضي جديدة ولم تجد أثراً لفرنكلين، وكانت، بحسب تقرير أرسله راي الى جورج سمبسون حاكم شركة "هدسون باي"، "عالية الكلفة شديدة الازعاج وغير مرضية على الاطلاق." ولم يكن سمبسون نفسه واهماً. كان مقتنعاً بأن أحداً لن يسمع عن فرنكلين وجماعته ثانية.

لم تؤد الحملتان الاخريان الى نتائج أفضل. قامت مجموعة من الفرقة الغربية برحلة غير عادية لمسافة ١١٠٠ كيلومتر في قوارب صغيرة بمحاذاة ساحل ألاسكا الشمالي الى أعالي نهر ماكينزي، لكنها لم تجد شيئاً. اما الفرقة الثالثة بقيادة جايمس روس فاصطدمت بحاجز جليدي لا يُخرق. فبعد عبور مضيق لانكستر علقت السفن في الجليد نحواً من سنة في الطرف الشمالي الشرقي لجزيرة سومرست. من هذه النقطة انطلق روس ليستكشف ببطء خط الساحل الشرقي لمضيق بيل، مستخدماً الرجال لجر المزالج بحمولتها الثقيلة من الخيام والمواد الغذائية. قطعت المجموعة مسافة ٨٠٠ كيلومتر في ٣٩ يوماً، لكن الثمن كان قاسياً على الرجال. انهار أربعة من الجوع والتعرض لعوامل الطبيعة والانهاك وحُمل آخر الى السفينة. حتى روس نفسه اضطر الى ملازمة الفراش، ولدى عودته الى بريطانيا كانت صحته ساءت ولم تعد الى سابق عهدها أبداً.

لو استخدمت الفرقة كلاباً ومزالج خفيفة لأمكن أن تنجح في مهمتها، فقد وصل روس الى نقطة تبعد ٢٩٠ كيلومتراً عن السفينتين المفقودتين، لكنه لم يستطع أن يصدق أن فرنكلين ربما ذهب جنوباً عبر مضيق بيل، لان كل ما تمكن من رؤيته عبر مسافة ٨٠ كيلومتراً كان صفحة متماسكة من الجليد. الغريب أنه لم يدرك أن قناة ما قد تتجمد في سنة وتنفتح في سنة تالية.

الحقيقة أن "اريبوس" و"تيرور" سفينتي فرنكلين مخرتا هذا المعبر المائي قبل ثلاث سنوات بموجب الخطة المرسومة القاضية بالربط النهائي بين المناطق التي استكشفها فرنكلين في الجنوب وتلك التي استكشفها باري في الشمال.

لكن تعليمات فرنكلين تضمنت، لسوء الحظ، فكرة اضافية: اذا لم يستطع فرنكلين العبور جنوباً، فعليه أن يسلك طريقاً بديلة الى الشمال عبر "قناة ولينغتون" غير المستكشفة التي افترض البعض (ولاسيما بارو) أنها تقود الى "البحر القطبي المفتوح."

بات روس مقتنعاً بأن فرنكلين، وقد واجه الحاجز الجليدي، عمل بموجب الخطة

البديلة. وأدى هذا الاقتناع لدى المستكشف القطبي المتمرس الى ارباك الاميرالية وتغيير وجهة البحث وساهمت في اطالته عقداً آخر.

"قبور! قبور!"

كان روس وعد الليدي فرنكلين بأن يعود في أكتوبر (تشرين الاول) ١٨٤٨ برفقة زوجها وسفينته. لكن أكتوبر أتى وراح من دون أخبار. فدهمها نوفمبر (تشرين الثاني) وهي، بحسب ما كتبت ابنة شقيقتها، "منهارة الصحة وفي حالة كآبة عميقة." وتنامى شعور بالحسميَّة بلغ ذروته بوفاة السر جون بارو تلك السنة. وانتهى عهد من الاستكشافات القطبية.

رفعت الصلوات في يناير (كانون الثاني) ١٨٤٩ من أجل سلامة البعثة، وشارك فيها خمسون ألفا من الاصدقاء والاقارب ودعاة الخير في ٦٠ منطقة. وشنَّت الليدي جين حملة رسائل، فكتبت الى الرئيس الامريكي الجديد زخاري تايلور والى قيصر روسيا. واستقبلت سيلا لا ينقطع من الزوّار أي الذين حملوا أي اقتراح يتعلق بعملية البحث، حتى انها استشارت عرافة.

سافرت مع ابنة شقيقتها في صيف ذلك العام الى جزر شتلاند وأوركني في شمال اسكوتلندا لمقابلة صيادي الحيتان الذين ربما صادفوا الرجال المفقودين. وفي أغسطس (آب) ارتفعت معنوياتها عندما عرض القيصر، وقد هزّه التماسها، أن يرسل بعثة الى ساحل سيبيريا. وحلَّقت آمالها في سبتمبر (أيلول) عندما انتُشلت قنينة من البحر ألقاها أحد مساعدي فرنكلين، ولكن تبين أنها تحمل أخباراً قديمة من العام ١٨٤٥ حين كانت السفينتان في بداية رحلتهما.

عاد ريتشاردسون وروس في نوفمبر (تشرين الثاني) يفصل بينهما أسبوع واحد، فسرت موجة من الحماسة الجنونية في أنحاء بريطانيا. أين هو فرنكلين؟ كيف تختفي سفينتان و١٢٩ رجلا؟ لماذا لم يتمكن أحد من العثور عليهم؟

استجابة لهذا الضغط الشعبي، أعادت الاميرالية تجهيز سفينتي روس لحملة هي الاولى من ست حملات انطلقت خلال العام ١٨٥٠. وتوجهت اثنتان من سفن الاسطول ثانية الى مضيق بيرينغ، وست أخرى لتفتيش المنطقة القطبية الشرقية.

وتوجهت سفينتان صغيرتان بامرة جون روس العجوز الى مضيق لانكستر. وكان في الثانية والسبعين، ولم يتمكن بعد من تغيير موقف "المجلس القطبي"، وقد اشتريت السفينتان بتمويل من شركة "هدسون باي" ومن تبرعات فردية. وهكذا برّ أكبر قادة الاسطول سنا بوعد قطعه لصديقه في العام ١٨٤٥.

في هذه الاثناء كانت عشر سفن بريطانية تتجه نحو المنطقة القطبية. وفي وقت

متزامن غادرت سفينتان أمريكيتان مرفأ نيويورك ليصبح عدد السفن المشاركة في هذه الحملة اثنتي عشرة. كانت الاضافة الاخيرة نتيجة جهود الليدي فرنكلين التي دأبت منذ مدة على مراسلة هنري غرينيل، وهو محسن من نيويورك وتاجر بحري بلغ تأثره برسائلها حداً جعله يتحمل النفقات.

لم يفارق القلق الليدي فرنكلين على رغم هذا المشروع الطموح، فهي لم تعد مبتدئة في ما يخص المنطقة القطبية. كانت الحملة تنطلق اثر الحملة، لكنها كلها تركزت على المنطقة الشمالية القصوى. فالسر فرنكلين اشتُهر باتباع الاوامر حرفياً، ولم يكن ليحاول سلوك طريق بديلة ما لم يسدّ الجليد الطريق الى الجنوب. وكانت الليدي فرنكلين واحدة من القلة التي آمنت بأنه وجد طريقة لالتزام أوامره الاساسية.

أدركت الليدي فرنكلين أن عليها أن تحل المشكلة بنفسها.

في ٥ يونيو (حزيران) كانت بعثتها الخاصة المتواضعة على أهبة للانطلاق على متن "برنس ألبرت" وهي سفينة ارشاد قديمة أعارها اياها أحد أصدقائها وجُهزت بتمويل من أصدقاء آخرين ومن ثروة الليدي فرنكلين نفسها. كانت البعثة بقيادة الملازم تشارلز فورسايث وهو رجل لا خبرة له في المناطق القطبية كانت الليدي التقته في فان ديمانز لاند. أما الضابط المدني فكان و. باركر سنو الذي تطوع للمهمة بعد حلم رأى خلاله فرنكلين في مكان ما من منطقة "القطب المغناطيسي الشمالي." كان سنو، كصاحب أحلام، أقرب الى استيعاب المغامرة من رجال البحرية المتمرسين، لكن حلمه لم يكن كافياً للتوصية به الى الاميرالية كمستكشف متزن عاقل.

أبحر فورسايث مسافة قصيرة جنوباً في خليج "برنس ريجنت"، وهناك، في مواجهة ما اعتبره حاجزاً جليدياً لا يمكن اختراقه، استدار وتبع سفينة أمريكية في مياه مضيق بارو الغاصّ بالجليد، ثم اتجه غرباً الى لسان من الصخر الكلسي داخل في البحر يدعى "رأس رايلي" حيث عثر الباحثون عن فرنكلين، للمرة الاولى، على سلسلة من الدلائل المثيرة الى البعثة المفقودة.

وجدوا كوماً دائرية من الكلس تشير، ربما، الى مواقع خيام، كما وجدوا موقداً بدائياً وأسساً لحظيرة مثلثة الشكل وعظام طيور وغطاء صدئاً لعلبة طعام ونتفاً من شراع وبقايا ما بدا قارباً. لم يصل رجل أبيض الى هذه النقطة منذ وطئها باري في العام ١٨٢٠، لكن باري لم يخيم في هذه البقعة. كانت كل الدلائل تشير الى البعثة الضائعة.

وأفادت رسالة من سفن الاسطول البريطاني أن آثاراً أخرى وجدت على بعد ١٦ كيلومتراً على جزيرة بيتشي، وهي في الواقع تشبه جزيرة في أعلى قناة ولينغتون.

عاد فورسايث الى بريطانيا. لكن الامريكيين مضوا قدماً، ولم يكونوا الوحيدين. ففي

٢٧ أغسطس (آب) تجمعت قرب بيتشي ست سفن بامرة ثلاثة قادة أحبط القطب خططهم.

اجتمع القادة على ساحل الجزيرة للتشاور، وفجأة اندفع بحار بريطاني عبر الجليد وهو يصرخ: "قبور! قبور!" فتدافع الجميع فوق طبقة الطين والجليد الى قمة برزخ ضيق، وهناك وقعت أنظارهم على مشهد كئيب.

ثلاث كوم تحمل كل منها لوحة خشبية متآكلة تدل على المثوى الاخير لثلاثة من رجال فرنكلين. كانت البقعة مغطاة بقطع من الحبال والاشرعة والقماش المشمع والبراميل الخشبية والملابس والأغطية وقصاصات الورق، وثمة تلة من نحو ٦٠٠ علبة لحم فارغة. كما كان هناك قفّاز ضابط نُشر ليجف ولم يستعده أحد.

لكن هذه الاكتشافات ساهمت في تعميق الغموض. لقد ترك فرنكلين معلماً بارزاً، لكنه لم يحوِ رسالة عن حال البعثة أو وجهة السير التي اتبعتها. وتشبه جزيرة بيتشي صخرة جبل طارق بانحناءاتها، وتقع على مفترق الطرق الى المنطقة القطبية. قد يكون فرنكلين وصحبه اتبعوا أيما اتجاه. ان اغفال ترك رسالة هو أمر غير قابل للتفسير.

ثنائي متنافر

من أصل السفن التسع التي غادرت بريطانيا في العام ١٨٥٠ لاقتحام المنطقة القطبية من جهة الشرق، عادت واحدة فقط ذلك العام، أما الثماني الاخريات فبقيت خلال ليل القطب الطويل الحالك محتجزة في جليد مضيق بارو وقناة ولينغتون، تعد لسلسلة من الرحلات الطموحة. فمن هذه النقطة المركزية انطلق عشرات الرجال في ربيع ١٨٥١، يجرون المزالج الثقيلة ويدبون وينزلقون على الجليد على امتداد سواحل الجزر القطبية التي نادراً ما لحظتها خرائط. لم يشهد القطب حركة نشطة كهذه من قبل. أخيراً استسلم هذا العالم الصامت الغامض للفتح.

تقدر المسافة الاجمالية التي قطعها الرجال على الاقدام بحوالى ١١٥٠٠ كيلومتر، ألفان منها عبر "أراض" جديدة. لكنها كلها تقع شمال مضيق بارو، أما المنطقة الهائلة الرباعية الشكل الى الجنوب فبقيت بمعظمها غير مستكشفة.

حافظت الليدي فرنكلين على ايمانها بأن زوجها موجود في تلك المنطقة. وأغضبها فورسايث بمحاولته الفاترة لاستكشافها. لكنها لم تستطع شيئاً ازاء ذلك، وعليها أن تسحب مجدداً من أموالها الخاصة لايفاد "برنس ألبرت" ثانية بقيادة جديدة.

شكّل الرجلان اللذان اختارتهما ثنائياً متنافراً. كان القائد الجديد وليم كينيدي تاجر فراء كنديا صلب العود ابن امرأة من قبيلة كري الهندية ورجل من خليج هدسون. وهو قطع غابات أمريكا الشمالية ومراعيها وجبالها طولا وعرضاً، لكنه لم يتسلم قيادة سفينة

في حياته. أما مساعده جوزف رينيه بيلو فضابط صف في اجازة من البحرية الفرنسية لا يعرف شيئاً عن المنطقة القطبية سوى ما قرأه في الكتب.

كان الاثنان نموذجاً للتناقضات. فالاسفار الشاقة بالقوارب ومزالج الكلاب صقلت كينيدي، وكان وجهه المسطح بعظامه البارزة يشير الى اختلاط دمه، وبدا بملامحه القاسية ولحيته الكبيرة الكثة أكبر من الاعوام السبعة والثلاثين التي كانت سنه الحقيقية. أما بيلو النحيف الذي لم يكد يبلغ الخامسة والعشرين فكان شاباً مستدير الوجه مرحاً قليل البوح بأفكاره.

رأت الاميرالية في المشروع ضرباً من الجنون. فكيف يعمل ضابط من بحرية أجنبية بامرة رجل "خليط" غير مؤهل من مجاهل أمريكا؟ لا يمكن أن ينسجما. سوف يتمرد البحارة عليهما!

لكن الرجلين انسجما على نحو رائع، ربما لانهما ارتبطا بما اعتبراه قضية، حتى انهما تطوعا للعمل من دون مقابل.

أعجبت الليدي فرنكلين ببساطة كينيدي وصدقه وطبعه المرح. وكان ترك عمله في شركة "هدسون باي" بعد خدمة ١٣ سنة لانه، هو الذي يعتبر المسكر حراماً، لم يرض ببيع شركته مشروبات الى قبيلة والدته.

أما بيلو فرأت فيه جين فرنكلين الولد الذي لم تُرزقه أبداً، وهو متحدر من أسرة عاملة فقيرة، وأحد سبعة أبناء، لكن ذكاءه حمل أهل بلدته على الاهتمام بنفقات دراسته. ولم ينس تضحيات والديه من أجله، وكان، كتلميذ ضابط بحري، يرسل اليهما قسماً من راتبه المتواضع ويملأ يومياته بعبارات تنم عن امتنانه. كان شجاعاً متهوراً، أنقذ زميلاً من الغرق معرضاً حياته للخطر، وجرح جرحاً بالغاً في مناوشة في مدغشقر وصفه بأنه "مجرد خدش"، ونال لقب "فارس في جوقة الشرف" ولمّا يبلغ العشرين من عمره.

أحرزت البعثة بعض النجاح مع أنها لم تجد فرنكلين. انطلقت في يونيو (حزيران) ١٨٥١، وفي يوليو (تموز) وصلت الى مدخل خليج "برنس ريجنت" الذي يتجه جنوباً. استكشف كينيدي ميناء "بورت ليوبولد" الغاصّ بالجليد في قارب صغير مع أربعة من رجاله، لكن الجليد سد طريق العودة وحمل "برنس ألبرت" حوالى ٨٠ كيلومتراً في الخليج.

أصيب بيلو بالذهول وكتب في يومياته: "ليكن الله في عوننا. انني لا أفكر في النجاح الآن، وكل صلواتي هي لسلامة رفقائي. يا أهلي الاعزاء! يا أصدقائي الاعزاء! فلتكن ذكراكم سنداً لي."

قام بيلو بثلاث محاولات جريئة على الاقدام لانقاذ كينيدي، فأُكره مرتين على العودة

الى السفينة، وفي الثالثة اندفع الى بورت ليوبولد والتقت المجموعة كاملة على متن "برنس ألبرت" في ٢٥ اكتوبر (تشرين الاول).

خطط الرجلان لرحلة برية مطلع السنة التالية تستخدم خلالها مزالج تجرها الكلاب وتُحفر أكواخ ثلجية. كان موقف بيلو من الاسكيمو يختلف عن الموقف الرسمي، ولا شك في أن كينيدي صاحب الدم الخليط وابن هنود الكري، كان له تأثير في هذا الشأن. كان تاجر الفراء هذا يحب أن يروي قصة زعيم قبيلة الكري الذي رفض زواج ابنته بضابط في خليج هدسون وقال للخاطب المخيَّب: "ابنتي زوجة لك؟ انك لا تعرف حتى كيف تصطاد!"

رهان خطر

بدأت رحلة المزالج في ٢٥ فبراير (شباط)، وكانت واحدة من أطول الرحلات في تاريخ المنطقة القطبية: دورة غطت ألفي كيلومتر في ٩٥ يوماً، لكنها لم تجد أثراً لفرنكلين.

استمرت الرحلة ثلاثة أشهر وتوقفت فجأة عندما بدأ داء الاسقربوط يضرب أفراد المجموعة. وهي حققت نتيجة ايجابية واحدة، اذ شاهدت المجموعة ممراً مائياً ضيقاً يتجه غرباً من خليج "برنس ريجنت" عبر بوثيا. وتكوّن لدى كينيدي اقتناع بأن الممر ليس خليجاً وانما مضيق يقسم بوثيا شطرين ويفصلها عن جزيرة سومرست في الشمال. وكان على حق. هكذا أصبحت البعثة أول مجموعة من الرجال البيض تقف في النقطة القصوى في شمال القارة الامريكية، كما اكتشفت طريقاً أخرى الى "الممر الشمالي الغربي" مع أنها لا تصلح للملاحة. كانت الليدي فرنكلين حضّت بيلو على تسمية المعالم الجديدة، لكنه كان يؤمن أن هذا الشرف من حق البريطانيين. هنا أصر كينيدي على أن يطلق اسم بيلو على المضيق الجديد، ولا يزال اسمه كذلك.

عاد بيلو الى فرنسا متشوقاً للعودة الى القطب. وتطوع بعد سنتين على السفينة البخارية "فينيكس" التي تحمل الرسائل والطرود الى القوات البريطانية في قناة ولينغتون. وبينما هو يحمل الرسائل الى سفينة القيادة عبر الجليد شمال جزيرة بيتشي، انفتح تحت قدميه شق باتساع ثلاثة أمتار فاختفى في لحظات.

دب اليأس في نفس جين فرنكلين بحلول خريف ١٨٥١، فقد بُذلت كل الجهود الممكنة للاتصال بالبعثة المفقودة: كتب البحارة رسائل عملاقة على صفحات الجُرُف الصخرية. واستخدمت فخاخ لالتقاط ثعالب أُطلقت في ما بعد وحول رقابها أطواق تحمل رسائل، أملا أن يصطادها رجال فرنكلين. وأطلقت بالونات تحمل معلومات عن

مواقع سفن الانقاذ. وأومضت أضواء زرقاء وأطلقت مدافع وفُجّرت أسهم نارية في سماء الليل القطبي. لكن المنطقة القطبية لم تحر جواباً.

ومع أن البحرية البريطانية تلكأت في اعداد حملة تفتيش جديدة، فان نقطة ضوء واحدة بقيت تشع: كان الرأي العام لا يزال الى جانب جين فرنكلين، فهي أصبحت بطلة عالمية.

رضخت الاميرالية للضغوط في ربيع ١٨٥٢ وعرضت ارسال خمس سفن بقيادة السر ادوارد بلتشر مع أوامر بالبحث عن المستكشف المفقود في منطقة شمال جزيرة بيتشي.

في هذه الاثناء سُمعت صرخة أخرى من القلب. فمن أصل ١١ سفينة بريطانية كانت توجهت الى المنطقة القطبية في العام ١٨٥٠، أبحرت اثنتان الى مضيق بيرينغ، وهما "انتربرايز" بامرة القبطان ريتشارد كولنسون و"انفستيغايتور" التي حملت مساعده الملازم روبرت ماكلور. لكن السفينتين افترقتا، وشوهد ماكلور للمرة الاخيرة في أغسطس (آب) ١٨٥٠ على مقربة من ساحل الاسكا الشمالي.

عمد والد أحد ضباط "انفستيغايتور" الى تذكير الاميرالية والرأي العام بأن ماكلور يحمل تجهيزات غذائية تكفيه حتى ربيع ١٨٥٢ المقبل، واذا لم يعثر عليه قبل ذلك الوقت فقد يلقى وطاقمه مصير فرنكلين.

لم تجرؤ البحرية على الاستمرار في التقاعس، فهي أبطأت في تحركها عندما فقد فرنكلين، وفقدان بعثة واحدة سيىء بما فيه الكفاية. فعمدت الى قسمة مجموعة بلتشر فرقتين، على أن تتحرك سفينة شراعية برفقة سفينة تموين بخارية الى جزيرة ملفيل بحثاً عن ماكلور.

ولكن أين هو روبرت ماكلور؟ يكمن الجواب في شخصية الرجل وخلقه. معظم مستكشفي القطب طموحون، لكن الطموح عند ماكلور كان أكثر ظهوراً وأقل اثارة للاعجاب. فهو أمضى ٢٦ عاماً في البحرية، وكانت "انفستيغايتور" أول سفينة يتولى قيادتها الى المنطقة القطبية، فاعتزم أن يحقق بها أقصى ما يستطيعه. فان عثر على فرنكلين أو اكتشف الممر الشمالي – الغربي أو حقق الامرين معاً، أصبح أشهر رجل في بريطانيا.

بعد وصول السفينتين الى مضائق ماجلان، أصبح واضحاً أنهما لن تتمكنا من البقاء معاً بسبب السديم والضباب، كما لم تكن ثمة حاجة الى ذلك قبل وصولهما الى الجليد. فحدد كولنسون موعداً للقاء قبالة ساحل الاسكا. وهكذا بات ماكلور مستقلاً بقراره حتى ذلك الحين، وكانت هونولولو مرفأه الاول لتزوُّد الطعام والمواد الضرورية الاخرى.

كان الطقس خلال الرحلة مريعا. وفي ١٥ مايو (أيار) كادت السفينة أن تضيع وسط عاصفة هوجاء هشمت صواريها الثلاثة. ولدى وصوله الى هونولولو اكتشف ماكلور أن كولنسون أبحر صباح اليوم السابق بعدما انتظره أربعة أيام، واذا لم يلحق به ماكلور – كما قيل لهذا – فان كولنسون يعتزم مواجهة البحر الجليدي دونما تأخر مستخدماً سفينة امداد مرافقة من مضيق بيرينغ.

هل كتب على ماكلور أن يفوّت فرصة الشهرة هذه؟ كان متحرّقاً للانطلاق، فعمل وفريقه على مدار الساعة لاعادة تجهيز السفينة، وقرر القيام بمقامرة جريئة خطرة.

كانت أوامر الحملة تقضي بالالتفاف حول الجزر الخارجية لسلسلة "ألوشيان" في دورة تتجه غرباً وتحمل البعثة الى مقربة من شبه جزيرة "كامشاتكا" في آسيا. وكانت هذه الطريق التي التزمها كولنسون، لكن ماكلور اعتزم الابحار نحو الشمال مباشرة واختراق سلسلة جزر ألوشيان المغشاة بالضباب من طرفها الشرقي، وهي لم تكن منزلة على الخرائط بعد. واستطاع، على رغم الضباب الكثيف والمد العنيف والمياه الضحلة والصخور القريبة من سطح الماء، اتمام الرحلة في نصف الوقت العادي تاركاً كولنسون خلفه على مسافة بعيدة.

أبحر ماكلور الى نقطة اللقاء. وفي الطريق أوقفته فرقاطة من البحرية الملكية بقيادة القبطان هنري كيليت. هنا استخدم ماكلور كذبة لم تخدع أحداً ولم تمر قطعاً على كيليت الخبير المحنك. تظاهر ماكلور بأنه يظن أن كولنسون سبقه، وكان هذا أمراً مستحيلاً، لكنه أصر على ادعائه، حتى انه احتفظ ببريد شخصي لكولنسون أعلن أنه سيسلمه اليه عندما يلتقيان.

كان ماكلور يعتزم دخول المنطقة القطبية وحيداً مما يعتبر مخالفة لسياسة البحرية. وكان كيليت يعلوه رتبة ويملك سلطة ايقافه، لكنه توانى عن ذلك، فمضى ماكلور الى كتلة الجليد الطاحنة.

سد طريقه لسان من الجليد بصلابة الصوان. وعندما هب النسيم أمر ماكلور برفع كل قطعة شراع متوافرة، وحوّل مقدم السفينة بجرأة الى وسط العائق. اهتزت السفينة وقاربت الوقوف، وارتجفت الصواري بعنف حتى كادت السفينة تنهار. فجأة انشق الجليد بفعل الصدمة ومرت السفينة عبره الى المياه المفتوحة.

شقت السفينة طريقها على امتداد ساحل ألاسكا الشمالي، وواجهت خيبات محبطة في قنوات مسدودة. وأخيراً عبرت مصب نهر ماكينزي.

بدأت الارض ترتفع على ميمنة السفينة حتى علت الجُرف حوالى مئتي متر. حاول ماكلور الاستمرار باتباع الخط الساحلي، لكن الجليد عطفه شمالا في خط متعرج اتجاه أرض جبلية شامخة تعلوها قمم بارتفاع ٦٠٠ متر. هنا، في ٧ أغسطس (آب)

تحت قمة مطلة سماها ماكلور "رأس اللورد نلسون"، زرع علماً وأعلن ملكية المنطقة. لم يكن يعرف آنذاك أنه نزل على جزيرة "بانكس" وهي كتلة أرضية بعيدة لمحها باري قبل سنوات من الوجهة الأخرى.

كان الحظ حليف ماكلور ككل مستكشف ناجح في البحار المتجمدة. وجد نفسه في قبضة الجليد المتحرك، مشلول الارادة يُساق شرقاً وشمالا في قناة ضيقة تتبع خط الساحل الشمالي لجزيرة بانكس. هل هي خليج مقفل؟ أم مضيق؟

كتب في يومياته: "لا أستطيع وصف مشاعري المتأججة. أيمكن أن يتصل هذا الممر المائي بمضيق بارو فيكون هو الممر الشمالي - الغربي الذي طال البحث عنه؟ أيسمح القدر لضعيف مثلي أن يحقق ما حيّر الموهوبين والحكماء مئات السنين؟"

في ٢٣ سبتمبر (أيلول) أوقف الجليد الحديث تقدمه، وكان وصل الى أقصى ما يمكنه خلال ذلك الفصل من السنة. في اليوم التالي أرسل رجلا الى أعلى الصاري استطاع من منصة المراقبة أن يرى الى مدى ٣٠ كيلومتراً. في البعيد انحرف البرّ في اتجاه شمالي - غربي تاركاً امتداداً من الماء الصافي. لم يبق مجال للشك الآن، فالحلقة الاخيرة من "الممر" كانت في مرمى النظر. كان مضيق بارو يجثم الى الامام مباشرة، وخلفه جزيرة ملفيل التي بلغها باري قبل ثلاثين سنة.

لقد رأوا "الممر" من بعيد وإن لم يقهروه. وأدرك ماكلور أن اسمه سيدخل كتب التاريخ على أنه الرجل الذي حقق أضخم اكتشاف بحري في عصره.

خطة يائسة

اعتقد ماكلور أنه سيُحتجز في الجليد، لكنه بدلا من ذلك علق في قبضة كتلة متحركة. وهبّت ريح هوجاء عبر القناة دفعت كتلة الجليد والسفينة جنوباً، وحُمل ماكلور بوحشية عائداً من حيث أتى. بقي لاكثر من أسبوع في مواجهة خطر يومي، ثم استدارت السفينة بفعل حركة الجليد بعدما حُملت مسافة ٥٠ كيلومتراً في اتجاه الجنوب، وبدأت تتحرك شمالا لتواجه خطر التحطم على الجُرُف الصخرية.

في ٢٦ سبتمبر (أيلول) استعد ماكلور لاخلاء السفينة. فوضعت على ظهرها مؤونة تكفي لسنة استعداداً لالقائها الى القوارب في حال غرق الـ"انفستيغايتور"، ووقف الرجال يحملون حزماً من الثياب الدافئة وجيوبهم ملأى بالذخائر والبسكويت، مهيأين للقفز عند الضرورة.

كانت الليلة التالية أسوأ. سبع عشرة ساعة من المراقبة كانت خلالها قطع طافية من الجليد بثلاثة أضعاف حجم السفينة تصطدم بجوانبها وتمزق ألواحها الخشبية. وفيما السفينة تميل على جانبها، هددت كتلة ضخمة من الجليد المفتت بدفنها ببحارتها

الستة والستين. وبلغ الضغط حداً راحت معه الحبال التي يبلغ قطر ثخانتها ٢٢،٥ سنتيمتراً والتي تربط السفينة الى البر، تتقطع كالخيطان مقتلعة ست مراس مثبتة في الجليد. وعلى نحو عجائبي هدأ الاضطراب وأصلحت السفينة وضعها. لقد حوّل البرد القارس قطع الجليد المفتتة الثائرة كتلة متراصة غير متحركة.

وعاد ماكلور قائداً لسفينة يسودها الفرح.

لم ينس ماكلور هدف الحملة الرئيسي: البحث عن فرنكلين. فأرسل في الربيع التالي ثلاث فرق طموحة تستخدم المزالج، لكنها عادت كلها من دون أي دليل يشير الى مكان البعثة المفقودة.

تكسّر الجليد في ١٤ يوليو (تموز) لكنه ظل يسد الطريق الى المياه المفتوحة. فأخذ ماكلور قراراً جريئاً آخر: الابحار في القناة حول رأس نلسون ومحاولة الالتفاف حول جزيرة بانكس من الشمال (اذا كانت جزيرة فعلا).

لم يتخل عنه الحظ، فدار حول الرأس الجنوبي – الغربي واندفع أمام الريح شمالا بسرعات وصلت الى ١٣ كيلومتراً في الساعة. أبحر يوماً كاملا في ممر مائي عريض بين الكتلة القطبية الى يساره والجزيرة الى يمينه. ثم بدأ الممر يضيق وأصبحت الارض شديدة الانحدار واقتربت الكتلة القطبية حتى وجد نفسه في ما يشبه وادياً. وسرعان ما أصبحت السفينة قريبة من الارض بحيث اضطر البحارة الى رفع القوارب عن جانبيها لئلا تتحطم لدى اصطدامها بالجدران الصخرية.

وصلت "انفستيغايتور" أخيراً الى خليج واسع اختاره ماكلور لقضاء الشتاء وأطلق عليه اسم "خليج رحمة الله" (سمي لاحقاً "خليج الرحمة") مما دعا طبيب السفينة الى التعليق في وقت لاحق: "كانت الرحمة حلّت علينا لو لم ندخله أبداً." فالخليج زقاق بحري مسدود، وسوف يمضي البحارة عامين وهم محتجزون فيه، ولن تخرج منه السفينة أبداً.

خفض ماكلور حصص الغذاء خشية ألا يذوب الجليد في هذا الملجأ المائي خلال الصيف التالي. وبحلول ابريل (نيسان) ١٨٥٢ بدأ الرجال يفقدون من أوزانهم بمعدل آثار الذعر، لكن ماكلور أصر على الحصة المخفضة.

في الشهر ذاته أبحر أسطول السر ادوارد بلتشر بسفنه الخمس من بريطانيا.

في يوليو (تموز) كان ١٦ رجلا من طاقم السفينة أصيبوا بالاسقربوط. ومع ان اصطياد ثيران ايل المسك واقتلاع كمية من نبات الحمّاض ساعدا في وقف انتشار الداء، الا أنهما لم يكفيا لسد غائلة الجوع. وانخفضت حصص الرجال الى وقعة واحدة في اليوم. وكان معظمهم يلتهم حصته من اللحم المملح نيئة لان الطبخ يقلّص حجمها كثيراً.

انتهى العام كئيبا وكل رجل أخف من ذي قبل بكيلوغرامات عدة، ونحو عشرين بحاراً يعانون داء الاسقربوط. وأصيب رجلان بمسّ فأخذا في العواء طوال الليل مضيفين رهبة الى قتامة الكآبة.

في أوائل مارس (آذار) ١٨٥٣ أعلن ماكلور خطة يائسة: سوف يبقى ستة وثلاثون من أقوى رجاله مع السفينة، أما الذين لن يتمكنوا من تحمل شتاء آخر فسوف يحاولون الوصول الى مناطق مأهولة. عارض الطبيب الخطة لان الرجال في ضعفهم لن يتحملوا رحلة طويلة وشاقة كهذه. لكن ماكلور شعر بأن عليه أن يفعل شيئاً.

ابتسامة القدر

في ٧ ابريل (نيسان)، وقد أعدت المزالج، توفي أحد الرجال بداء الاسقربوط، فدعا ماكلور جميع البحارة الى ظهر السفينة على عجل وألقى فيهم خطاباً بليغا لرفع المعنويات بدا أنه استنهض هممهم. كان نوع من التواضع غيّر تفكير القائد الاناني خلال العام الذي انقضى، وتكوّن لديه اقتناع بأن العناية الالهية تحميه وأنه ورجاله سيعودون سالمين الى منازلهم. وهو سأل الرجال أن يكونوا صادقين مع أنفسهم ومع واجبهم وألا ييأسوا وأن ينظروا الى الغد بعزم ويتحملوا كل المشاق بالجلد الذي اشتهر به البحار البريطاني. وأعلن أن الفرج قد يظهر في أحلك الساعات.

في اليوم التالي كان ماكلور يتمشى مع كبير ضباطه على الجليد ويبحثان في مشكلة حفر قبر للرجل الميت في الارض الصلبة كالصوان. فقاطعهما بحار اندفع نحوهما معلنا أن جسما أسود يتحرك على الجليد في اتجاه البحر وقد يكون ثوراً من ايل المسك. لكنه لم يكن كذلك، فقد ركض بحار آخر صارخا: "انهم رجال! مزلجة ورجال!"

هل كانوا جماعة من الاسكيمو؟ حبس ماكلور ورجاله أنفاسهم بينما اقترب أحد الاغراب.

صرخ ماكلور: "من أنتم بحق السماء؟" تقدم الغريب ونطق جملة سرت فيهم جميعاً كصدمة كهربائية: "أنا الملازم بيم من السفينة ريزوليوت بقيادة القبطان كيليت في جزيرة ديلي."

لا شك في أن هذا الخبر أربك ماكلور لثوان، فهو التقى كيليت للمرة الاخيرة على ساحل ألاسكا. لكن كيليت عاد الى بريطانيا ثم أبحر من جديد مع بلتشر في مهمة الانقاذ. ولم يكن ذلك بذي بال لان أمراً واحداً كان واضحا: لقد حدثت المعجزة التي لم يجرؤ ماكلور على أن يأملها، والفرج الذي وعد به رجاله أصبح في المتناول. لقد ابتسم له القدر مرة أخرى في أحلك الساعات.

لم تكن ١٨٤٥ سنة خير بالنسبة الى جين فرنكلين. فمنذ مطلعها، في ١٢ يناير

(كانون الثاني) فيما لا تزال سبع سفن تفتش المنطقة القطبية، تلقت جين أولى الصدمات: أعلنت الاميرالية، من دون انتظار عودة بلتشر، انها اعتباراً من ٣١ مارس (آذار) ستشطب من سجلاتها أسماء كل الضباط والبحارة على متن "اريبوس" و"تيرور."

ذهلت جين، ففي أكتوبر (تشرين الاول) الفائت وصلت الى لندن أخبار اكتشاف ماكلور الممر الشمالي – الغربي. هل كان ذلك كل ما يعني الاميرالية؟

أمضت أسبوعاً حتى استعادت هدوء أعصابها، ثم أرسلت الى الاميرالية واحدة من رسائلها المصوغة باتقان والمتقدة سخطاً والتي أصبحت سمتها المميزة. لقد تزامن اكتشاف الممر ووقف البحث عن فرنكلين على نحو مريب. فكتبت الليدي فرنكلين: "أيها السادة الاجلاء، لا يسعني الا أن أشعر بأن لطخة ستسوّد صفحة من سجلات البحرية في بريطانيا عندما يسجل التاريخ هذين الحدثين بترابط لا ينفصم."

اندلعت حرب القرم قبل ثلاثة أيام من اعلان فرنكلين رسمياً في عداد الوفيات. ولم تعد الاميرالية قادرة على تحمل ترف حملات الى المنطقة القطبية، اذ احتاجت الى كل سفينة وكل رجل في صراعها ضد روسيا.

فقدت الاميرالية آخر ما تبقى من حماستها للاستكشافات القطبية مع عودة بلتشر الى بريطانيا في أواخر الخريف. كان تخلّى عن أربع من سفنه الخمس، وكلها في حال ممتازة، من دون تفسير معقول. وقد عثر أسطول أمريكي لصيد الحيتان على واحدة منها طافية قريباً من مضيق ديفيس. كانت خالية من قبطانها وبحارتها، واستطاعت أن تشق طريقها على نحو عجيب – من دون أشرعة أو بخار – من مضيق فسكونت ملفيل الى الاطلسي. لم تدفعها قوة بشرية، الجليد المتقلب الذي لا يرحم تولى عملية الدفع محوِّلا السر ادوارد بلتشر مضحكة البحرية الملكية.

حاولت الليدي فرنكلين التحجج بأن مصير زوجها وبحارته ما زال مجهولا، لكن هذه النقطة أيضاً سقطت عندما وصل الرحالة القطبي البارع جون راي الى بريطانيا بأول الاخبار الاكيدة.

لم يكن راي يبحث عن فرنكلين، بل كان يستكشف شبه جزيرة بوثيا لمصلحة شركة "هدسون باي." وسافر كعادته على مزلجة تجرها الكلاب، من دون خيمة، يستدفيء في أكواخ ثلجية يبنيها في رحلة الذهاب ويؤوب اليها في رحلة العودة.

التقى في خليج بيلي رجلا من الاسكيمو روى له قصة غريبة. سمع الرجل من سكان محليين أن مجموعة من الرجال البيض راوح عددهم بين ٣٥ و٤٠ ماتوا جوعاً قبل سنوات في منطقة تبعد بين عشرة أيام و١٢ يوماً سفراً.

لاحظ راي أن محدثه يضع حول رأسه رباط قبعة ذهبياً. وأخبره الرجل أنه حصل

على الرباط من المكان الذي عُثر فيه على جثث الرجال. اشترى راي الرباط وأعلن استعداده لدفع ثمن جيد لاي تذكار يؤتى به بعد عودته الى القاعدة.

في أواخر ربيع ١٨٥٤ أحضر اليه سكان محليون كنزاً نفيساً من التذكارات سهُل التعرف الى أنها تعود الى فرنكلين ورجاله: شُوَك وملاعق فضية حفرت عليها شارات ضباطه، وواحد من أوسمة فرنكلين، وصحن صغير يحمل اسمه، وأغراض أخرى نقشت عليها أسماء وأحرف أولى.

الحلقة الاخيرة

لم يكن لدى الاسكيمو علم بمصير أي من سفينتي فرنكلين، كما لم يستطع راي أن يستخلص من رواياتهم الطريق التي اتبعها المستكشف عندما ترك مقره الشتوي في جزيرة بيتشي. لكنه جمع من المعلومات ما جعله يتخلى عن خططه لقضاء شتاء أخر في المنطقة القطبية وعاد الى بريطانيا بأسرع ما أمكن. فهو أراد، كما قال، منع اهدار تكاليف وأرواح اضافية في عملية بحث باتت عقيمة. وهو، بالتأكيد، رغب في استحقاق ١٠ آلاف جنيه استرليني كان البرلمان البريطاني أعلنها مكافأة لمن يأتي بدليل قاطع على مصير فرنكلين، وان يكن راي أصرّ على أنه لم يسمع بالمكافأة من قبل.

استقبلته الليدي فرنكلين ببرود عندما زارها اذ استاءت من أن يمنح امرؤ الجائزة قبل اتمام عملية بحث أكثر دقة. مع ذلك حصل راي على المكافأة التي ذهب ألفا جنيه منها الى رجال فرقته. لكن شعوراً استمر يساور الناس بأن ثمة جواً بعيداً عن النبالة يحيط براي، ذلك الرجل الذي عاش حياة السكان الاصليين. والشرف الوحيد الذي ناله هو "وسام المؤسس" الذي منحته اياه "الجمعية الجغرافية الملكية." لقد حصل معظم المستكشفين القطبيين الآخرين على رتبة "فارس"، وبقي راي وحده خارج الدائرة السحرية، رجلا عاميا حتى النهاية.

أما ماكلور فقد طغى طموحه الاناني مرة أخرى ورفض الاعتراف بفضل كيليت في أنقاذه وبحارته، وأصر بعناد على ادعائه أنه كان يستطيع الفكاك من الجليد والابحار في الممر وحيداً، وانه لم يلغِ الرحلة الا بناء على أوامر مباشرة. ولخيبة الليدي فرنكلين، نال وبحارته ١٠ آلاف جنيه استرليني مكافأة على اكتشافه، فضلا عن مجد النجاح في تحقيق ما افترض أن فرنكلين عجز عنه.

وهكذا فقد مصير فرنكلين بعضاً من غموضه المثير وكثيراً من بريقه. وفي خريف ١٨٥٤، عندما عاد راي وبلتشر الى بريطانيا، كان الجمهور البريطاني حوّل اهتمامه الى اتجاه آخر. فقد شغل الناس بالحديث عن "هجوم الخيالة" الذي خلّده اللورد تنيسون شِعراً. وحدها الليدي فرنكلين مضـ[illegible] في معركتها [illegible]صول الى الحقيقة.

وضعت حرب القرم أوزارها في مارس (آذار) ١٨٥٦. ألا يمكن أن تستأنف البحرية عملية البحث؟ ألم تحفزها الادلة التي كشفها راي على محاولة نهائية؟ اذا لم تكن الحكومة مستعدة لذلك فان جين فرنكلين مستعدة الآن أيضا.

قالت لاحدى صديقاتها: "انني في صدد محاولة أخيرة لحل هذا اللغز."

لقد عُثر على تذكارات، ولكن لم يعثر على وثائق. فمن يستطيع الجزم بأن فرنكلين نفسه أو أحد رجاله لم يكتشف "الممر" قبل ماكلور بزمن طويل، رابطاً "الحلقة الاخيرة بحياته" بحسب عبارة جون ريتشاردسون المفعمة بالولاء.

هاجمت الليدي فرنكلين الاميرالية من جديد بكل ما ملكته من بلاغة. وعملت في الخفاء محاولة تسيير الامور لمصلحتها، لكن البحرية الملكية أصرت في عنادها، ولم تؤت جهود جين غير المباشرة أي نتيجة. لقد اعتبرت البحرية أن كفاية من الرجال ماتت وكفاية من السفن فقدت في عملية البحث التي دامت عشر سنين.

لكن جين فرنكلين لم تنثنِ. وهي اشترت في العام ١٨٥٧ يختاً بخارياً دعته "فوكس" هو في نصف حجم أي من سفينتي فرنكلين، دفعت ثمنه ٢٠٠٠ جنيه استرليني وأقنعت ليوبولد ماكلنتوك، وهو قائد مزلجة متمرس، بقيادته الى جزيرة كينغ وليم، البقعة الوحيدة التي لم يبحث فيها أحد.

عرضت الاميرالية بعض العون بتأمين المواد الغذائية. لكن تلك لم تكن رحلة ترف، مما زاد حماسة ماكلنتوك الذي أعلن: "كلما قلت الموارد كان الانجاز أكبر والنجاح أروع والفشل أشرف." بذلك لخص فلسفة البطولة في العصر الفيكتوري: أين النصر ان لم تصارع مخاطر مستحيلة؟

أمضى "فوكس" شتاءه الاول محتجزاً في الجليد في خليج بافن، فلم يصل الى مقصده – مضيق بيلو – الا في أغسطس (آب) ١٨٥٨. كُرِّس الخريف وأوائل الشتاء لاعداد مستودعات للبعثات الثلاث الرئيسية التي تستخدم المزالج والتي خطط لها ماكلنتوك. سوف يغطي ألن يونغ جزيرة "برنس أوف ويلز" فيما يجول ماكلنتوك دلتا نهر "غريت فيش." أما الملازم وليم هوبسون فسوف يفتش السواحل الغربية والشمالية – الغربية في جزيرة "كينغ وليم." وكانت هذه المهمة الاخيرة كَرَماً من جانب ماكلنتوك، لان غالب الظن أن اللغز سيُحلّ هناك، واذا حدث ذلك فان هوبسون سيحصل على المجد والترقية.

انطلق ماكلنتوك وهوبسون في ٢ ابريل (نيسان) ١٨٥٩. وقبل أن يفترقا بعد أسبوع، التقيا بعض رجال الاسكيمو الذين أخبروهما عن سفينتين، واحدة غرقت والاخرى جرفت الى الشاطىء. وقالوا ان رجالا بيضاً شوهدوا يجرون قوارب جنوباً في اتجاه نهر كبير في البر.

التقى ماكلنتوك مزيداً من الاسكيمو وقد أصبح وحيداً على السواحل الشرقية لجزيرة "كينغ وليم." كان الخشب بالنسبة اليهم أغلى من الذهب في هذه الارض التي لا شجر فيها. وقد صنعوا مجاذيف لقواربهم ومقابض لحرابهم وأشياء أخرى من خشب حصلوا عليه من أفراد آخرين من الاسكيمو. كان واضحا أن مصدر الخشب سفينة، لكن أحداً من هذه المجموعة لم يكن يعرف المزيد. كان الامر محيّرا ومثيرا، لكنه في النهاية مخيب للآمال.

تابع ماكلنتوك مسيرته في اتجاه دلتا نهر "غريت فيش"، ثم استدار شمالا في ٢٤ مايو (أيار) في اتجاه جزيرة كينغ وليم. وبعيد منتصف الليل، والشمس ما زالت ساطعة في السماء، كان يمشي متثاقلا على تلة من الحصى، فلمح هيكلا عظميا بشريا. انه الدليل المباشر الاول على الكارثة التي حلت بجماعة فرنكلين.

هناك تمدد الهيكل، شاهداً رهيبا على التاريخ. كان ملقى على وجهه وكأن صاحبه تعثر ووقع ولم يقوَ على النهوض ثانية. عظام بيضاء كالطبشور، وخرق من ملابس لا تزال ملتصقة بالاطراف المكشوفة التي بدا أن حيوانات نهشتها. وقف ماكلنتوك يحدق الى اللقية المحزنة ويستذكر ما قالته له امرأة عجوز من الاسكيمو: "كانوا يسقطون في سيرهم ويموتون."

شاي وشوكولاتة

تحركت الفرقة شمالا عبر الساحل الغربي الموحش الكئيب. وبعد "رأس هيرشيل" بمسافة ٢٠ كيلومتراً عثر ماكلنتوك على مَعلم حجري بارز بنته مجموعة هوبسون وتركت فيه رسالة. لقد مر هوبسون بالمكان قبل ستة أيام، لكنه لم ير حطام سفينة ولم يلتقِ أحداً من السكان المحليين، لكنه عثر، في معلم آخر في "فيكتوري بوينت" على الساحل الشمالي – الغربي لجزيرة "كينغ وليم" على وثيقة تتعلق بالحملة المفقودة هي الاولى التي يتم العثور عليها. لم تكن تحمل تفاصيل، لكنها كانت كافية لايضاح النقاط الرئيسية في اللغز.

كانت الرسالة الاولى مؤرخة ٢٨ مايو (أيار) ١٨٤٧ وموقعة باسم "الملازم غور" وتنضح تفاؤلا: "كل شيء على ما يرام..." وهي كشفت أن فرنكلين ذهب الى قناة ولينغتون وأنه، في الحقيقة، التف حول جزيرة "كورنواليس" قبل أن يستقر في جزيرة بيتشي لتمضية شتاء ١٨٤٥ – ١٨٤٦. أما الشتاء الثاني فقد دهمه في خضم جدول جليدي غرب الطرف الشمالي لجزيرة "كينغ وليم." ترك غور وسبعة من رجاله الرسالة في المعلم وهم على ثقة كاملة بأن السفينتين ستتحرران من الجليد قريبا وبأن الممر سيُخترق خلال ذلك الصيف.

كان هذا حلماً، كما أوضحت الرسالة الثانية التي كتبت بخط مختلف ووقعها نائبا فرنكلين، فرنسيس كروزييه وجايمس فيتزجايمس بتاريخ ٢٥ ابريل (نيسان) ١٨٤٨. أفادت الرسالة أن فرنكلين توفي في يونيو (حزيران) الفائت بعد شهر من كتابة غور رسالته. وحين كتبت الرسالة الثانية كان قد مر ١٩ شهراً على السفينتين وهما محتجزتان في الجليد، وقد توفي تسعة ضباط (بمن فيهم غور) و١٥ بحاراً، فتخلى الباقون عن السفينتين وهم يحاولون الوصول الى نهر "غريت فيش" بواسطة المزالج.

غثر ماكلنتوك، في مسيرته فوق الهضبات المحصبة في الساحل الشمالي – الغربي الموحش لجزيرة "كينغ وليم"، على واحد من هذه المزالج. كانت مصنوعة من الحديد وخشب السنديان وتزن ٣٥٠ كيلوغراماً على الاقل. على ظهرها جثم قارب نهري يبلغ طوله حوالى ثمانية أمتار ويزن نحو ٤٠٠ كيلوغرام اضافية. كان ذلك جنوناً مطبقاً بالنسبة الى ماكلنتوك الخبير في قيادة المزالج. فسبعة رجال أصحاء يعجزون عن جر هذه المزلجة فارغة. لكنها كانت مثقلة بالاحمال، مجموعة لا تصدق من الامتعة غير الضرورية: كتب وأحذية ومناشف وفراشي أسنان وأغطية بنادق وفتائل وصابون وصفائح رصاصية وسكاكين مائدة وصحون فضية مزينة بالشعارات وساعات جيب وحافظات خرزية وعلب سيجار.

عثر ماكلنتوك داخل القارب على هيكلين عظميين، وتكوّن لديه اقتناع بأن المجموعة لم تقدّر حاجتها من الطعام جيداً وبأنها كانت عائدة الى السفينة لاحضار المزيد، لكن السفينة كانت تبعد ١٠٠ كيلومتر شمالا، ولما لم يستطع الرجال جرّ قاربهم أكثر، تركوا الرفيقين الاضعف بينهم في القارب مع قليل من الطعام لم يتبقَّ منه سوى بعض الشاي والشوكولاتة.

عندما وصل ماكلنتوك الى "فيكتوري بوينت" واجه مشهداً غريبا آخر – دلائل اضافية على أن الرجال الذين تخلوا عن سفينتيهم لم يعوا مدى الضعف الذي وصلوا اليه. فداء الاسقربوط الذي يوهن الجسم، يشوّش الدماغ كذلك، مما يوهم ضحاياه بأن في امكانهم انجاز أكثر مما هم قادرون عليه فعلا.

لقد أثقل الرجال مزالجهم بعشرة أطنان من المعدات وتخلوا عن معظمها بعد ثلاثة أيام في هذه البقعة. بلغ ارتفاع كومة الثياب الصوفية متراً ونصف متر. ولكن أي نزوة غريبة أقنعتهم باحضار طلاء للازرار النحاسية ومواقد ثقيلة وقضبان ستائر وقضيب صواعق ومكتبة عامرة؟ لقد جروا هذا الجبل من المواد غير الضرورية مسافة ٢٠ كيلومتراً طوال ثلاثة أيام قبل أن يدركوا أنهم ليسوا على مستوى الجهد المطلوب. وهكذا، بعدما غطّ فيتزجايمس قلمه في المحبرة وخربش الرسالة الثانية، خفف الرجال من أحمال مزالجهم ثم ساروا على الشاطىء الموحش لملاقاة مصيرهم.

وبينما هم يدبّون ويتساقطون على الطريق كانت عيون تراقبهم بفضول. كان رجال الاسكيمو في جزيرة "كينغ وليم" جوعى هم أيضاً في ذلك الشتاء، لكن غذاءهم، على قلّته، أبقاهم أحياء.

"لقد هلكوا بعز،" هذا ما جاء في رسالة الى صحيفة "تايمز" بعد اكتشافات ماكلنتوك. لكنهم لو اهتموا أكثر لنمط حياة السكان المحليين لكان حظهم في البقاء كبيراً.

الرحلة الأخيرة

لم تكن الليدي فرنكلين في لندن عندما عاد ماكلنتوك، كانت على قمة في جبال البيرينيه (بين فرنسا واسبانيا) حيث أُرسلت لاستعادة صحتها. وبلغتها الاخبار في برقية موجزة نقلها القنصل البريطاني في بايون.

أسرعت عائدة الى لندن لتجد نفسها محطّ اعجاب المملكة. فهي انتصرت حيث أخفقت البحرية، اذ أشارت باصرار الى الاتجاه الصحيح سنة بعد سنة. فقد تلقى زوجها أمراً بالتوجه الى الجنوب، والى الجنوب ذهب، وكانت هي تعرف ذلك طوال الوقت.

عُرضت بقايا أمتعة البعثة التي أرسلت الى الاميرالية في "مؤسسة الخدمات الملكية المتحدة" وتجمع جمهور غفير اضطر معه المسؤولون الى اصدار بطاقات دخول.

وبدأت الصحافة تضغط على البرلمان لتعويض الليدي فرنكلين الاموال التي صرفتها على عملية البحث، لكن الارملة المفعمة بالحيوية رفضت قبول بنس واحد، الا أنها رغبت في ان تفعل شيئاً لماكلنتوك وبحارته، كما رغبت في تحصيل شرف أكبر لزوجها لاقتناعها بأنه هو، وليس ماكلور، يستحق الاعتراف بأنه الرجل الذي حل لغز "الممر" أولاً.

في مارس (آذار) ١٨٦٠، بعد جهود مثمرة في الخفاء، استثارت الليدي فرنكلين حواراً في البرلمان انتهى بلَحْظ مكافأة بقيمة ٥٠٠٠ جنيه استرليني لبحارة "فوكس" كما مُنحت هي "وسام المؤسس" من "الجمعية الجغرافية الملكية" لتصبح أول امرأة تحظى بهذا الشرف.

وأصدرت "الجمعية الجغرافية الملكية" مذكرة تشهد بأن حملة فرنكلين كانت الاولى لاكتشاف "ممر شمالي – غربي"، وعدم استخدام أداة تعريف في صوغ هذه العبارة جاء بمثابة ايضاح بأنه ليس ثمة ممر وحيد عبر المتاهة القطبية، بل ممرات عدة.

خفض هذا القرار من منزلة اكتشاف ماكلور، لاحقاً، ممراً أبعد شمالاً. لقد عبر ماكلور الممر فعلاً من الغرب الى الشرق، وإن لم يعبره كله ملاحة، لكن فرنكلين كان المفضل شعبياً. لقد منح طموح ماكلور السافر صاحبه لحظة قصيرة من المجد، لكنه في النهاية تآمر ضده وانزله الى المرتبة الثانية بين مستكشفي القطب.

حظي فرنكلين بتكريمات اخرى: لوحة في غرينيتش، وتمثال نصفي في دير وستمنستر في لندن وبيتين رائعين للشاعر تنيسون، فيهما: "الشمال الابيض يضم رفاتك يا روح البحّار البطولية."

أقيم النصب بتفويض من الليدي فرنكلين، لكنها لم تعش لتراه، اذ توفيت في العام ١٨٧٥ وهي في الثالثة والثمانين من عمرها. وكانت في سنواتها الاخيرة مفعمة بالحيوية كما دائماً، تسافر عبر الكرة الارضية وتتابع بحثها عن بقايا مغامرة زوجها المأسوية.

رُفع الستار عن نصب فرنكلين في وستمنستر بعد أسبوعين من وفاة جين، وقد نقشت عليه العبارة الآتية: "من جين، أرملته، التي، بعد انتظار طويل وايفاد كثيرين بحثاً عنه، غادرتنا هي نفسها سعياً للعثور عليه في مملكة الضوء."

بيار برتون ■

ترجمة فواز خوري

تاتشر والمساواة

عرف عن السيدة مارغريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية السابقة انها ليست من القائلين بالمساواة بين الرجال والنساء. ولكن لها آراؤها الخاصة في شان النساء.

فحين دعيت مرة الى مقر المفوض السامي الهندي في لندن لازاحة الستار عن تمثال نصفي لرئيسة الوزراء الهندية الراحلة انديرا غاندي، القى المفوض السامي م.ك. راسغوترا خطاباً ترحيبياً ذكر فيه ما قيل في السيدة غاندي من انها "الرجل الوحيد" في وزارتها.

وعلقت السيدة تاتشر على ملاحظة راسغوترا فقالت: "ان ذلك يفترض كون الرجال متفوقين على النساء قوة وتصميماً. وذلك، يا حضرة المفوّض، افتراض غير مقبول."

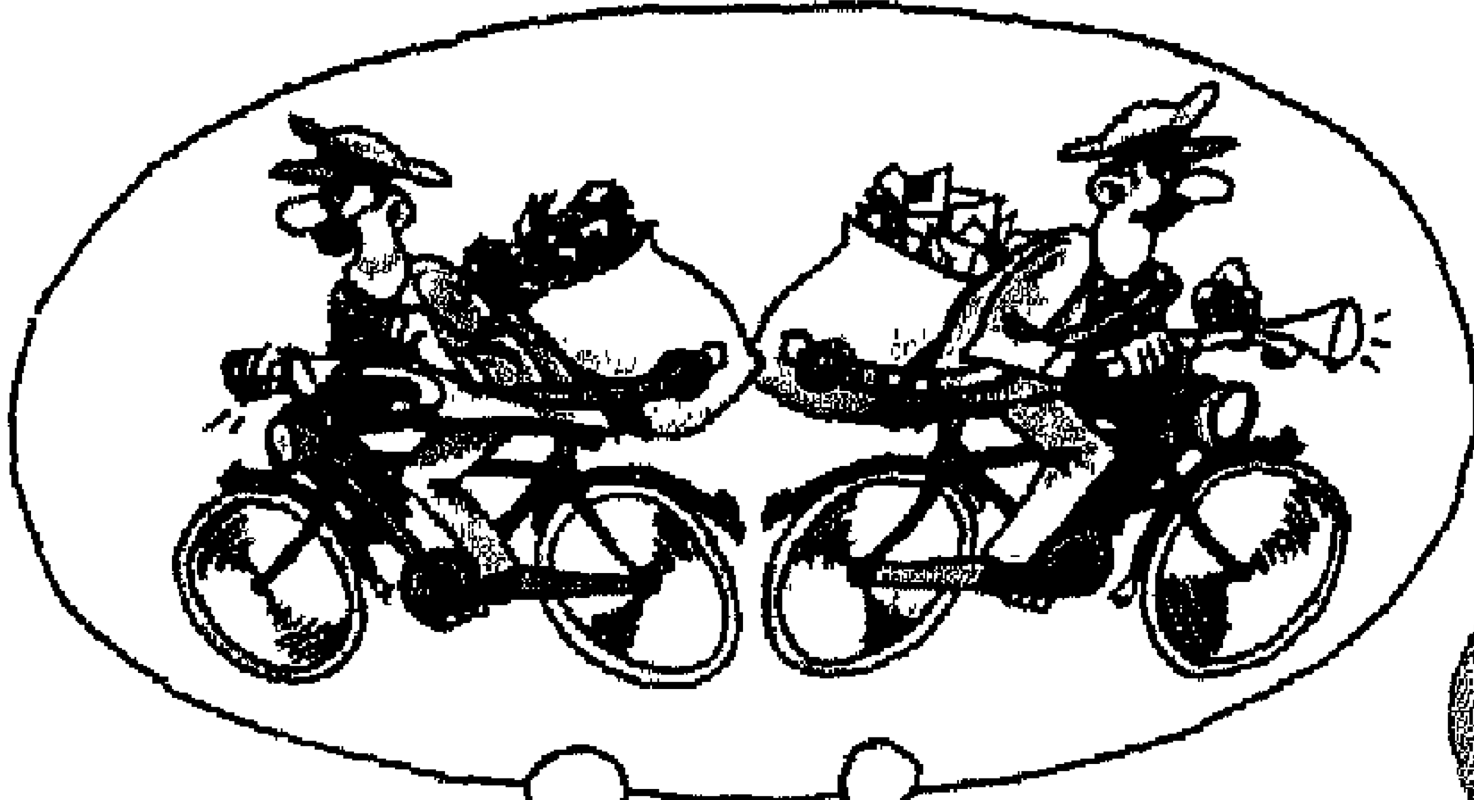
مجلة "صنداي"، الهند

حب وفكاهة

الحب ارتباط بذات أخرى. والفكاهة شكل من الانعتاق من الذات، هي نظرة للمرء الى أبعاد كيانه ومصائبه وانزعاجه. فاذا كان حبك حقيقياً، وعرفت فعلاً كيف تضحك، فالنتيجة واحدة: ان تنسى نفسك.

ك.س.

اكتب واربح





هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت.



سبتمبر (أيلول) ١٩٩١ - صفر / ربيع الاول ١٤١٢

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest September '91 N° 154

الفائزون في استفتاء "المختار" ص ١٢٦

اوسع المجلات انتشارا في العالم
٤٠ طبعة، ١٦ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

(ص ٢٠)

مهمة سرّية في العراق

(ص ٩)

حقائق جديدة عن النوم

(ص ١٧)

الكذب يسمّم الزواج

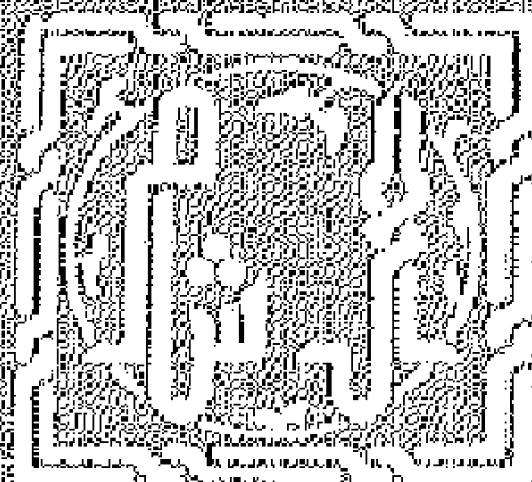
(ص ٤٠)

مسابقة "المختار"
ص ١٠٣

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها ... صمم على أحدث طراز في ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك ... فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالإضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية ... ولا تنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لا زلنا نتفاخر بها ونحافظ عليها



للحجز : فندق الشام ـ ص. ب ٧٥٧٠
تلكس ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٣٣٠٠ (١٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

Reader's Digest

المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول. ادمون صعب

مديرة التحرير: راغدة حداد محررة مساعدة: لورا نفاع الاشتراكات: فريال علاف

مدير القسم الفني جورج غالي.

الامتياز شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس الناشر شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت

رئيس مجلس الادارة - المدير العام الدكتور لوسيان دحداح

المدير العام المعاون داني دحداح - باز

التحرير والادارة بيروت. شارع المقدسي. بناية الشرتوني. ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان

التلكس (الموقت) MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE الهاتف ٣٧٠٥٧٥/٣٥٠٧٦٠

التنضيد والتنفيذ المطابع التعاونية الصحفية. شارع مصرف لبنان. بيروت

الطباعة المطبعة العربية، المدينة الصناعية البوشرية، المتن الشمالي - لبنان

التوزيع الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات. بيروت.



AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE. Tel. 350760 / 370575



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

September '91 N° 154 (New Series) Vol. 13

ريدرز دايجست

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية

رئيس التحرير كنيث غيلمور. مدير التحرير كريستوفر ولكوكس. المدير العام جورج ف غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والاسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والروسية والكورية والهندية الى العربية وهي تنشر ايضا في طبعة خاصة بحروف كبيرة. وفي طبعة بحروف بريل وعلى اشرطة مسجلة

بنان ١٠٠٠ل - سورية ٤٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٩ر - البحرين ٩٠٠ف
سعودية ١٢ر - مصر ١٫٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - الجمهورية اليمنية ١٥ ر - مسقط ٩٠٠ ب - قبرص ١ ج
ونس ٧٠٠م - المغرب ٨د - الجزائر ٧د - انكلترا ١ج - اليونان ٢٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥د



فاجئوا من تحبون بهدية لا تنسى

تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او عيد الحب...
فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟
فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٩١/١/١ و١٩٩١/١٢/٣١ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٠ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L. L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
c/o Aramex International Courier
P.O.Box 3814 Deira United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar B.P. 819
94549 Orly Aerogare France

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ________________

____

عنوانه ________________

____

المناسبة وتاريخها ________________

توقيع المهدي ________________

مع أخلص تمنيات!

تأملات معاصرة

شعلة سبتمبر

■ تمر أيام سبتمبر (أيلول) كسهام تخترق القلوب، عائمة على بحر الذكريات، زاخرة بتحيات الوداع الصامتة، موشحة بالوعود والآمال، ذهبية، ساكنة، لا يشوبها أسف ولا اكتئاب. هذا الشهر التاسع الغامض يطل وفي جعبته اختبارات جلية تحفظ وهج شعلة الشباب.

إريك ماريا ريمارك، روائي الماني

الحياة لا تنتظر

■ يلازمني منذ وقت طويل شعور غامض بأن الحياة "الحقيقية" توشك أن تبدأ. انما حالت دون ذلك دائماً عوائق تعيَّن تخطيها، كانجاز مهمة غير مكتملة، او دفع بعض الديون، أو ترقب حدث ما، وبعد ذلك تبدأ الحياة الحقيقية. واتضح لي في النهاية أن تلك العوائق كانت هي حياتي.

بيت هولاند، كاتبة امريكية

الاطفال يغيّرون العالم!

■ كل ما يحكى عن الاطفال صحيح: نعومتهم وسحرهم ودفئهم وسرعة التعلق بهم. انا لا أعرف طفلا لا يحمل هذه الصفات. ولو لم يكن الاطفال كذلك لما تحملنا متطلباتهم الكثيرة والملحة والمزعجة بسرور ورحابة صدر.

الاطفال طاقة كامنة. قد تدهشك خفة الطفل ورقّته حين تحمله، لكنه هو يحمل في قبضته المستقبل والارض والجَلد والشمس والقمر وكل شيء جديد.

الاطفال يعينوننا على استبصار عالمنا المتغير. وحريّ ان يتوقف التغيير في العالم وقت يحين تغيير "حفاض" طفل.

تشارلز اوزغود، صحافي

حكمة التجارب

● يجب أن نحرص على استخلاص حكمة من كل تجربة نخوضها، فنتوقف عندها، لئلا يحل بنا ما حل بالهرة التي جلست على غطاء موقد ساخن. فهي باتت تخشى الجلوس على غطاء موقد ساخن - وهذا حسن - لكنها باتت أيضا تخشى الجلوس على غطاء موقد بارد.

مارك توين، كاتب امريكي (١٨٣٥ - ١٩١٠)

الأم الفاضلة

■ كانت أمي تنهمك في العمل طوال النهار، ولكن حين يحين المساء كانت تتهيأ لاستقبال ابي وقد انجزت كل الاعمال المنزلية.

كان سلوكها آنذاك يتجاوز ادراكنا فيحملنا على الضحك والغمز والتلميح المرح. لكنني أتذكر الآن مبلغ حبها الكبير لأبي. فمهما حدث في النهار، ومهما كانت هي مثقلة بالهموم، فقد كانت تستقبله بابتسامة هانئة تنم عن تقدير وحب عميقين.

الأم تيريزا، نصيرة فقراء الهند



قصّة الهَاتف

كيف تتصورون عالماً من دون هاتف؟
وما قصة هذا الاختراع الذي غيَّر مجرى التاريخ؟

يستخدمه الناس في منازلهم ومكاتبهم وفي السيارات والطائرات والحدائق. ويستخدمونه كذلك لنقل رسائل الحب وللاتصال بالاطباء ولمعرفة آخر نتائج المباريات الرياضية. وقد بات الهاتف موجوداً في كل مكان تقريباً. وهناك مئات الملايين منه في الارض يجمعها عامل واحد هو الاتصال المباشر بين جهاز وآخر. هل تريد أن تتحدث مع الرئيس الامريكي جورج بوش؟ أطلب الرقم ١٤١٤ - ٤٥٦ - ٢٠٢. هل ترغب في الاعتذار عن موعد شاي مع الملكة اليزابث؟ عليك بالرقم ٤٨٣٢ - ٩٣٠ - ٧١ - ٤٤ - ١١.

الهاتف متجذّر في حياتنا الى حد أننا بتنا عاجزين عن الاستغناء عنه.

يعمل هذا الاختراع العجائبي بتحويل الكلمات موجات كهربائية، وينقلها عبر الاسلاك، ثم يعيد تحويلها أصواتاً قريبة من الاصوات الاصلية الى حد أننا لا نحتاج، في معظم الاحيان، الى السؤال عمّن يكون محدثنا على الطرف الآخر. وعلى رغم كل هذا نتناسى، ببساطة، الى أي مدى غيّر الهاتف حياتنا.

٧ مارس (آذار) ١٨٧٦. أُصدرت براءة الاختراع الرقم ١٧٤٤٦٥ التي تعتبر البراءة الاعلى قيمة أبداً، باسم

PHOTOS: (BACKGROUND) ©C. STEVE KRONGARD / THE IMAGE BANK; (INSET) NOVASENSOR

الكسندر غراهام بل. ولو تأخر بل ساعات قليلة في تقديم تصاميمه، لذهب شرف اختراع الهاتف الى اليشا غراي، ولأُطلق على النظام الذي نعرفه اليوم بنظام "بل" اسم نظام "غراي."

٤ ابريل (نيسان) ١٨٧٧. تم تركيب أول جهاز هاتف في منزل خاص، اذ أصبح لدى تشارلز وليمس الاب خط هاتفي يربط مكتبه في بوسطن بمنزله في سومرفيل بولاية مساتشوستس.

عمد ادوين هولمز الذي يملك شركة أجهزة انذار ضد السرقة في بوسطن، الى وضع أول مقسّم هاتفي قيد العمل: وصل المقسّم بهواتف في خمسة مكاتب تستخدم أجهزة هولمز للانذار.

١ سبتمبر (أيلول) ١٨٧٨. استُخدمت ايما م. نات كأول عاملة هاتف. وكان العاملون قبلها صبية صغار السن ثبت عدم جدارتهم بسبب لغتهم البذيئة وولعهم بـ"المقالب" المضحكة.

١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٧٨. تم تركيب أول جهاز هاتف في قاعة البورصة في نيويورك، فأحدث ثورة في وول ستريت.[1] وخلال سنوات قليلة ربط دلّالو الاسهم مكاتبهم بالردهة حيث تتم عمليات التبادل. وقد ادعى ج.ب. مورغان أن شريكه جورج بيركنز "يستطيع جمع ٢٠ مليون دولار خلال ٢٠ دقيقة" باجراء سلسلة من المكالمات الهاتفية.

١٨٧٩. كان على عاملي المقسمات أن يحفظوا أسماء جميع المشتركين غيبا. ولدى انتشار وباء الحصبة في مدينة لويل بولاية مساتشوستس، أوصى أحد الاطباء المحليين بتخصيص أرقام للمشتركين خوفا من انهيار شبكة الهاتف في المدينة اذا ما وصلت العدوى الى عمال المقسم. وسرعان ما شاع استخدام الارقام في أنحاء الولايات المتحدة.

١ مايو (أيار) ١٨٨٤. بدأ في شيكاغو بناء أول ناطحة سحاب في العالم، وهي مبنى من عشر طبقات شيدته شركة "هوم انشورانس." واتاح الهاتف انتشار ناطحات السحاب في المدن الكبيرة، فلولاه لتعيَّن على السعاة نقل الرسائل باليد، ولما توافر عدد كاف من المصاعد يستخدمها هؤلاء.

١٣ اغسطس (آب) ١٨٩٩. اخترع وليم غراي من هارتفورد بولاية كونيتيكت – وهو لا يمت بصلة قرابة الى اليشا – أول جهاز هاتف يتقبل نقودا معدنية، اذ صمم جهازا يستطيع أي انسان استخدامه في أي وقت ما دام لديه نقود معدنية. وسرعان ما تلت ذلك فكرة أكشاك الهاتف العمومية المصنوعة

(١) وول ستريت شارع المال في نيويورك

من جذوع السنديان المنحوتة، وكانت تغطى في بعض الاحيان بستائر.

١٠ مارس (آذار) ١٨٩١. سجل ألمون ستروغر، وهو متعهد دفن موتى في مدينة كانساس، براءة اختراع هاتف آلي من تصميمه، بعدما ارتاب في ان احدى موزعات الهاتف المحلية، وهي زوجة احد منافسيه، تحول مكالماته الى حانوت زوجها.

٩ فبراير (شباط) ١٩٠٩. أعلنت لجنة عيّنها الرئيس الامريكي آنذاك ثيودور روزفلت أن الهاتف هو أحد عوامل حلّ مشاكل الريف. وفي السنوات التالية عمل الهاتف على تخفيف العزلة في حياة المزارع. وله الفضل في تنشيط الانتاج الزراعي.

٢٧ مارس (آذار) ١٩٢٩. أصبح الرئيس هربرت هوفر أول رئيس يقتني جهاز هاتف على طاولة مكتبه. وكان اسلافه يستخدمون كشك هاتف مغلقاً خارج المكتب البيضوي.[٢]

١ سبتمبر (أيلول) ١٩٣٩. في الساعة ٢،٤٠ بعد الظهر تلقى الرئيس فرنكلين روزفلت أول انباء الحرب العالمية الثانية، وكانت مكالمة هاتفية من باريس تنبئه بأن هتلر غزا بولونيا. وقد أدت العمليات الحربية الى ازدياد المكالمات عبر القارّات. وفي اواخر السنة بلغ عدد هذه المكالمات ١٩٦،٤ مليوناً، أي نحو ثلاثة أضعاف عدد المكالمات التي أجريت في العام ١٩٤١.

١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٣. أنزلت الى الاسواق أجهزة هاتف ذات أزرار بدل الاقراص التقليدية. لكن مبيعات لعبة "تشاتر تلفون"[٣] (الهاتف الثرثار) ذات القرص الدائري في محال "فيشر – برايس" للالعاب حافظت على مستواها. فالاطفال يحبون القرص الدائري، وقد باعت الشركة ملايين الاجهزة مما جعل "الهاتف الثرثار" اللعبة الاكثر شعبية في العالم.

١٤ يونيو (حزيران) ١٩٦٥. وضعت شركة «AT & T» نظام خدمة هاتفية يتم بواسطتها تحويل رسوم المكالمات تلقائياً الى الرقم المطلوب بدل الرقم الطالب. وأحدثت هذه الطريقة ثورة في حجم المبيعات البريدية بواسطة الكاتالوغ، لانها تسمح للمستهلك بطلب السلعة التي يريد بمجرد الاتصال برقم يبدأ بالرمز "٨٠٠" الذي لا يستوجب دفع رسم للمكالمة. وفي العام ١٩٨٩ أجريت ٨ مليارات مكالمة على الرمز ٨٠٠.

٢٩ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٠. أصبحت «ABC» أول شبكة

(٢) المكتب البيضوي «Oval Office» هو مكتب الرئيس الامريكي داخل البيت الابيض.

(٣) Chatter Telephone

تلفزيونية تستخدم أرقام «AT & T» الجديدة التي تبدأ بالرمز "٩٠٠" لاجراء استطلاع مباشر للرأي بعد المناظرة التلفزيونية بين المرشحَيْن الرئاسيين أنذاك رونالد ريغان وجيمي كارتر.

٨ مايو (أيار) ١٩٨٨. شب حريق في هنزدايل بولاية ايلينوي أدى الى انقطاع خطوط الهاتف عن ٣٥ ألف منزل ومركز عمل لمدة أربعة أسابيع. وكانت هذه صورة قاتمة عن الحياة من دون هاتف: المصارف عاجزة عن اجراء صفقات، المحال التجارية عاجزة عن التأكد من صحة بطاقات الائتمان وصلاحيتها، أجهزة الانذار ضد السرقات متوقفة عن العمل، الناس عاجزون عن الاتصال بالشرطة. واضطر الاطباء في مستشفى هنزدايل الى استخدام أجهزة لاسلكية لأتصالاتهم بين أقسام المستشفى.

... وتستمر عملية الابداع. اثنتان من روائع تقنية الهاتف، هما الفاكس والهاتف الخلوي،[4] أحدثتا تبديلا جذريا في السوق. واليوم يطلب موظفو المكاتب طعام الغداء عبر الفاكس من المطاعم القريبة، كما يتبادلون الاحاديث مع زملائهم في المبنى المجاور. وأصبح الهاتف الاعجوبة الخفيف الوزن والخالي من الاسلاك متوافراً في كل الاسواق.

ومع الوقت تصبح الاتصالات أسهل منالا ويصبح العالم "أصغر." كتب جون بروكس في مؤلَّفه "الهاتف: السنوات المئة الاولى": "ان الانسان، عوض اسماع صوته عبر مئات الامتار بالصراخ، يُسمع صوته الآن عبر العالم بهمسة."

وليم اسنبارغر ■

(٤) The Facsimile machine and the cellular phone

قبطان مناسب

نشرنا اعلاناً في صحيفة نطلب فيه قبطان سفينة ذا خبرة. فتقدم للوظيفة رجل ذو ساق خشبية و يد خشبية تنتهي بخطاف وقد لفّ عصابة سوداء حول احدى عينيه. قلت له: "يبدو أنك الشخص المناسب. أخبرني كيف فقدت ساقك."

- بقذيفة مدفع.

"ويدك؟"

- في معركة بالسيوف.

"وكيف فقدت عينك؟"

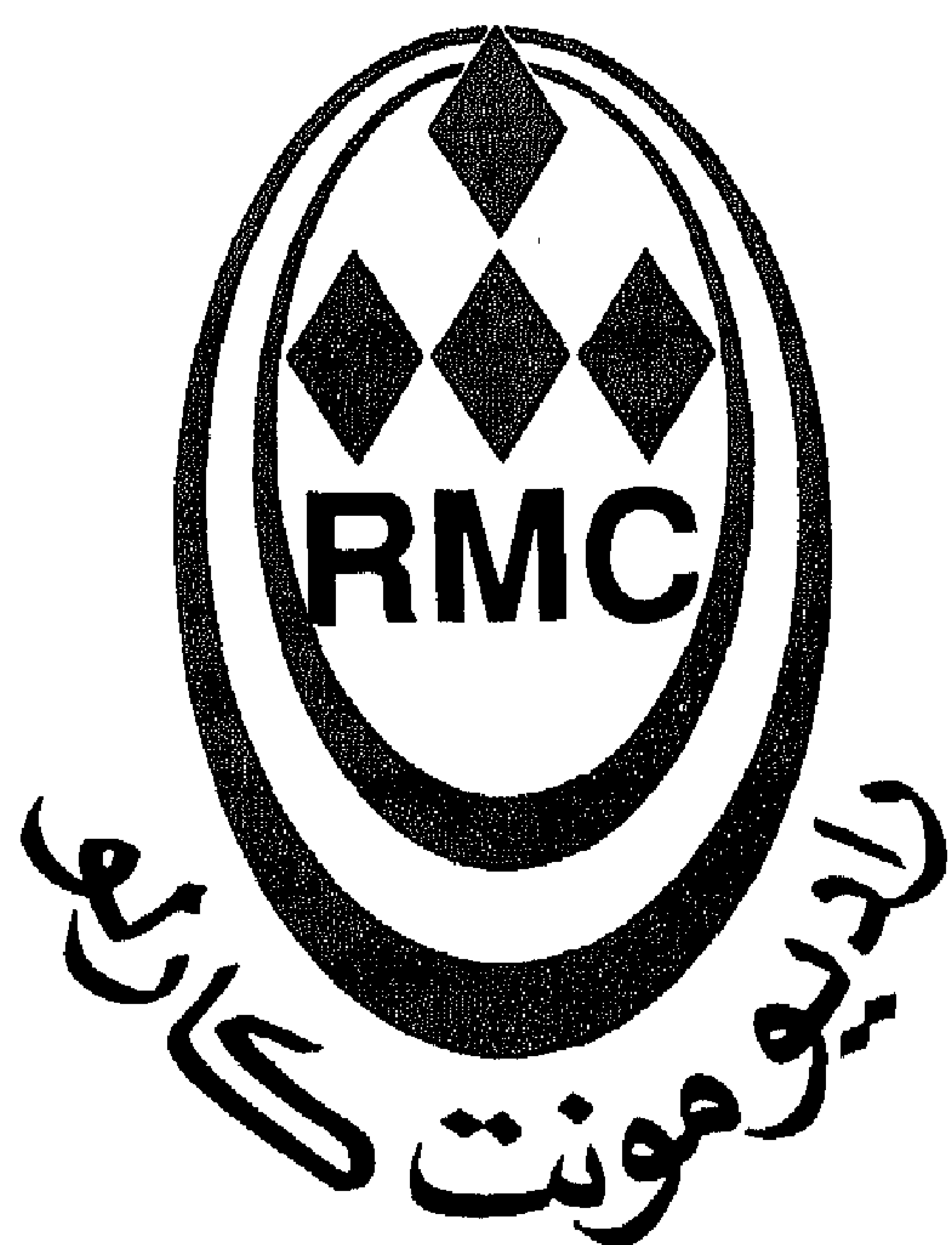
- آه! حدث ذلك أثناء عاصفة بحرية مريعة. نظرت الى السماء، واذا بنورس...

"وهل نقر النورس عينك؟"

- لا، كان ذلك يوم وضعت الخطّاف للمرة الاولى.

د.ب.

مع الحدث دائماً
قبل الحدث غالباً



موعدكم الصيفي مع اذاعة مونت كارلو في جنوب فرنسا

على موجة متوسطة ٢٠٥م (أي ١٤٦٧ كيلو هيرتز)

LINKS

36 RUE WASHINGTON 75008 PARIS FRANCE · TÉLÉPHONE (1) 45 63 58 25 TÉLEX 648730 LINKS F TÉLÉFAX (1) 42 89 85 81

Reader's Digest

المختار

سبتمبر (ايلول) ١٩٩١
صفر / ربيع الاول ١٤١٢

السنة الثالثة عشرة
سلسلة جديدة

مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

مهمة سرِّية في صحراء العراق

هبط الطيار الامريكي على أرض العراق بعد اسقاط طائرته. فهل ينجح رفقاؤه في انقاذه؟

٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٩١، الساعة ٦،٠٥ صباحاً.

لفت الملازم في البحرية الامريكية ديفون جونز زميله عبر ميكروفون قناع الاوكسيجين محذراً: "سام! الساعة الثانية."

فرد الملازم لاري سلايد من الركن الخلفي في طائرته "F — 14 تومكات": "إني أراه!" مشيراً بذلك الى ما كان يخشاه كل طيار أمريكي فوق العراق اكثر من أي سلاح آخر، وهو صاروخ "سام" أرض – جو الذي كان في تلك اللحظة مندفعاً نحوهما مباشرة.

انه اليوم الخامس من عملية "عاصفة الصحراء"، وطائرة جونز وسلايد في مهمة مواكبة لحماية طائرة "براولر" مشوشة للرادار تساعد سرباً من طائرات

البحرية الهجومية انطلق من الحاملة الامريكية "ساراتوغا" لقصف مطار الأسد وسط العراق. لم يتلقّ الطياران أي انذار الكتروني عن الصاروخ المعادي. ولم يكن أمامهما سوى المناورة لتفاديه، وذلك بتوجيه طائرتهما في هبوط مدوِّم عنيف نحو الصاروخ مباشرة.

دفع جونز أذرع المخانق بقوة الى الامام، واذ اندفعت طائرته بسرعة، جذب قضيب التحكم بعنف نحو فخذه اليمنى. هوت الطائرة في استدارة فائقة السرعة نحو صاروخ سام المقترب. وفي ركن الطيار الخلفي ضغط سلايد مفاتيح معينة لإطلاق عصافة من رقاقات الالومنيوم لارباك رادار الصاروخ وتحويله عن هدفه.

كان منتظراً ألّا تنقضي خمس ثوان ويمرَّ الصاروخ بالطائرة. استنشق جونز الاوكسيجين عبر قناعه وحاول ابقاء ذهنه صافياً. وهو كان، قبيل بلوغه الثلاثين من عمره، تخلى عن عمله في القطاع المصرفي ليصير طياراً في سلاح البحرية. وها هي السنوات الثلاث التي أمضاها في التدرب المكثف على الطيران تواجه الاختبار النهائي.

غار جونز في مقعده القذفي[1] فيما كانت قوى الجاذبية تزداد. مرّ الصاروخ المتوهج بمحاذاة الطائرة، وبدا أن الطيارين نجحا في التملص منه وأن العصافة كانت بمثابة قناع. ثم امتلأ الركن بوميض أبيض مزعج. لقد انفجر الصاروخ قرب زعانف ذيل الطائرة ممزقا الموجّه.

قُذف جونز بعنف على لوحة الاجهزة. ومزقت قوة الانفجار قناع الاوكسيجين على وجهه. انحرفت الطائرة يمنة في دوامة لولبية، وأخذت الغيوم تسوط غطاء ركن الطيار بعنف مطرد مع كل دورة. واذ ازدادت قوة الجاذبية شعر جونز كأن أطرافه أكياس رمل، فيما باطن خوذته يلطم رأسه مراوحة كما لو كان هدفا لملاكم خفي. ثم سمع صوت سلايد عبر السماعة المثبتة في الخوذة: "جونز، هل أنت بخير؟"

لم يكن جونز قادراً على تثبيت قناع الاوكسيجين ليجيب رفيقه. وفي ركنه المظلم الضاج تشبث بقضيب التحكم وضغط بمقدم قدميه دواسات الموجه. لم تعد الطائرة صالحة للطيران، وكانت في تلك الاثناء هبطت ثلاثة آلاف متر.

صاح سلايد: "جونز، إننا نهوي."

تحتم عليهما مغادرة الطائرة فيما هي تزداد سرعة مع كل دورة. واذا تأخر جونز عن قذف نفسه خارجها فلربما بات بعد لحظات منهكا الى حد العجز. غير ان قوة الجاذبية كانت من العنف بحيث تعذر عليه الامساك بمقبضي القذف الرئيسيين المثبتين في أعلى مقعده، فاستعاض عنهما بالمقبض الاحتياط بين ركبتيه، وشده يائساً بآخر نفحة من قواه. انزاح غطاء الركن وقذفه مقعده الى الريح القارسة.

انفتحت المظلة على نحو خاطف أحدث رنينا مكتوما. وفيما جونز هابط عبر

(١) Ejection seat

طبقات الغيوم لمح مظلة سلايد تحته قليلا. وكانت طائرة البراولر التي واكباها استدارت جنوباً عندما أصاب الصاروخ هدفه. ولا بد أن طاقمها شاهدهما يهبطان وبعث نداء استغاثة الى "يوكون"، طائرة الـ"اواكس"[٢] الرادارية فوق الحدود السعودية - العراقية جنوباً.

ظل جونز لفترة طويلة معلقاً في الغيوم الكثيفة الساكنة. ثم سمع دوي انفجار طائرته وهي تتحطم تحته في الصحراء. بانت قدماه من تحت الغيوم. وفجأة ظهرت له أرض الصحراء. ثم ارتطم بعنف بالتراب المتراص المستوي.

نهض ببطء وتفحص أطرافه ليتأكد من أنه لم يتأذَّ. بدا سالماً على رغم الدوران العنيف وعملية قذفه من الطائرة. أخفى مظلته وخوذته البيضاء، وحدق عبر الظلام بحثاً عن لاري سلايد. لكنه لم يرَ احداً.

راح ينادي زميله بواسطة جهاز اللاسلكي مستخدماً اشارة اتصال خاصة بسلايد: "أيها الجرذ، هل تسمعني؟" لكنه لم يلق رداً. رفع صوت اللاسلكي وأنصت آملا سماع صوت من طائرة أمريكية فوقه. فلم يتناه اليه سوى صوت النسيم الصحراوي الجاف البارد. غير أنه كان مدركاً أن "يوكون" البعيدة قد تسمعه، فقال: "سلايت ٤٦. على الارض." مردداً اشارة ندائه الرسمية. "انني بخير، أتوجه غرباً."

بدأ جونز سيره عبر الصحراء آملا أن يجد وادياً جافاً يختبيء فيه. كان يتوقف على فترات منتظمة، فيتناول اللاسلكي وينادي بقلق متزايد: "سلايت ٠٤٦ هل من أحد يسمع ندائي؟"

٧،٣٠ صباحاً.

كان النقيب الطيار طوم تراسك نائماً في مهجع مطار عرعر بالمملكة العربية السعودية عندما أيقظه أحدهم قائلاً: "ثمة مهمة تستدعينا. لقد اسقطت طائرة F — 14".

قفز تراسك من سريره وانتعل جزمته بسرعة. وكان أفراد طاقمه الخمسة حوله يرتدون بذلات الطيران. كانوا جزءاً من "الجناح الاول للعمليات الخاصة" وهي الوحدة السرية في سلاح الجو الامريكي المكلفة عمليات البحث والانقاذ في عمق اراضي العدو. استخيروا مروحية من نوع «MH-53J Pave Low» وهي من أضخم المروحيات الامريكية وأقواها.

عندما درس تراسك ومعاونه الرائد مايك هومان خريطة الطيران، تبين لهما أن المهمة مقامرة خطرة. أفادتهما الطائرة - الرادار "يوكون" من دون تحديد دقيق أن موقع الطيار الذي أُسقط يبعد ٢٦٠ كيلومتراً داخل الاراضي العراقية. ومع أن الدفاعات الجوية العراقية كانت دُكّت بعنف، فقد كان هذا القطاع يعج بقواعد متحركة لصواريخ أرض - جو ولمدافع مضادة للطائرات.

كانت الرحلة الكاملة تتطلب ثلاث ساعات، لذا سيحتاجون في طريق

---

(٢) Airborne Warning and Control System «AWACS» اي نظام الانذار والتحكم المحمول جواً.

عودتهم الى كل قطرة وقود. وعادة، يُلجأ الى عملية انقاذ كهذه ليلا، ولكن لم يبقَ متسع للانتظار والا وجب تنفيذها في وضح النهار، وهو ما لم يحاوله أحد بعد في الحرب.

بعد ٢٥ دقيقة على الانذار الاول اتصل طوم تراسك ببرج المراقبة معلناً أن "موكاسان ٠٥"، وهي اشارة النداء لمهمتهم، أصبحت جاهزة. أقلع بالسرعة القصوى وسط ضباب بلغ من الكثافة حداً خيل اليهم معه كأنهم يطيرون داخل زجاجة حليب. أبقى تراسك عينه على شاشة رادار التحقق من المسافة الفاصلة عن الارض، الذي كان ضبطه لابقاء الطائرة على ارتفاع ثلاثين متراً، وهو الحد الادنى للطيران الآمن في مثل هذه الظروف. بعد خمس عشرة دقيقة مال هومان من مقعده في الركن الايسر ونقر باصبعه شاشة الرادار معلناً: "إننا نعبر الحدود الآن."

دخلوا أراضي معادية. وانقشع الضباب فجأة وظهرت كثبان رمل ذهبية. هبط تراسك الى ارتفاع أربعة أمتار ونصف متر عن الارض، مدركا أن أجهزة الرادار العراقية لا تستطيع رصده في هذا الارتفاع.

نادى هومان طائرة الرادار التي كانت تحلق عالياً في الجو: "يوكون! موكاسان ٠٥! هل حددتم موقعنا؟"

أجابه المراقب: "موكاسان ٠٥! نعم. اننا نتابع طيرانكم." كان رادار الاواكس مثبتاً فوق الطوافة بحيث يستطيع تتبع مسارها بدقة، فيما تولت أجهزة مراقبة أخرى في القبة الدوارة الضخمة المثبتة على ظهر "يوكون" مهمة كشف الطائرات المعادية ورادارات الدفاع الجوي وحتى الآليات على الارض.

كانت احدى المسؤوليات الاخرى ليوكون توجيه طائرتي «A10A Thunderbolt II» المكلفتين مهمة حماية الطوافة إن حاول العراقيون على الارض احباط عملية الانقاذ. وهاتان الطائرتان من النوع المعروف باسم "ساندي" وهو فريسة سهلة لمقاتلات الميغ والميراج «F — 1» العراقية بسبب بطء تحركه. لذلك واكبتهما طائرتا «F — 15» أطلق عليهما الاسم – الرمز "سيتغو."

٨،٣٠ صباحاً. كان النقيب بول جونسون، قائد طائرة «A-10» المتقدمة، يحلق فوق الحدود السعودية – العراقية. تاق الى فنجان قهوة، لكنه اكتفى بكوب ماء فاتر لا نكهة فيه. كان منهكاً بعدما ظل ومساعده النقيب راندي نحوف، قائد الطائرة المواكبة، مستيقظين منذ الثالثة والنصف فجراً يعدان العدة لمهماتهما. وكان مضى عليهما في الجو ساعة حين أرسلهما مراقب الـ"يوكون" الى العراق ليحاولا الاتصال بـ"سلايت ٤٦."

عندما وصلا الى الموقع الذي حددته لهما "يوكون" ادار جونسون جهازه اللاسلكي على موجة البحث والانقاذ الرئيسية ونادى الطيار الذي أُسقط: "سلايت ٤٦. ساندي ٥٧."

لم يتلقَّ جواباً. لم يسمع سوى شواش خفيف في سماعات الرأس.

٨،٥٠.

اتصال من "يوكون": "موكاسان ٠٥! طائرة معادية تجد في اثركم. ننصحكم بالابتعاد."

أطلق تراسك شتيمة صامتة. كانت الطائرة المعادية على الارجح من نوع "ميراج F — 1 " الفرنسية الصنع، وهي طائرة اعتراضية من الطراز الاول تستطيع بسهولة تدمير طوافته بصواريخ بعيدة المدى. حلق على ارتفاع لا يتجاوز الامتار الثلاثة فوق أجمة من الشوك، ثم انحرف الى واد يشبه ملجأ.

جاءته معلومات مطمئنة من طائرتي «F — 15» المرافقتين. فما ان رصدت شاشات رادار الطائرتين الامريكيتين طائرة «F — 1» العراقية وتدخلتا لاعتراضها، حتى ولت هذه متجهة شمالاً. ولكن بات العراقيون على علم بأن طوافة أمريكية ضخمة تتوغل داخل العراق.

بعد عشر دقائق وصلت "موكاسان ٠٥." الى الاحداثيات التي أعطتها "يوكون" عن موقع "سلايت ٤٦." مشط تراسك المنطقة مدة عشرين دقيقة، ولكن لم يظهر أي أثر للطيار المنكوب. ومع ان أحداً لم يتفوه بالامر علناً، فقد بدا الجميع مقتنعين بأن الطيار الذي أسقط قد أسر.

اضطر تراسك الى التحول جنوبا بسبب النقص في الوقود وقفل في رحلة طويلة عائداً الى الحدود السعودية لتزود الوقود. أما طائرات "ساندي" و«F — 15» فظلت تواصل بحثها.

٩،٠٠ صباحاً.

فيما قوي ضوء النهار تحت طبقة الغيوم، تبين لديفون جونز أن الصحراء تكاد تكون خالية من التلال والاخاديد والنبات. شاهد حوله آثاراً حديثة لعجلات ولاخفاف جمال وحوافر حيوانات. كان عليه ايجاد مخبأ قبل أن يصادف أحداً.

لمح ربوة صغيرة من التراب الداكن بارتفاع خصره وسط منخفض. فرمى عدته الى جانب الربوة وراح يحفر بعزم مستخدماً سكين نجاة.

واذ اشتد النهار كان قد نبش حفرة بطول ١٢٠ سنتيمتراً وبعرض كتفيه وبعمق حوالى متر. وبعدما حفر طويلاً، بدت يداه مدميتين مكسوتين بطبقة من التراب. لكنه كان راضياً اذ أصبح لديه مخبأ.

كان يمزج التراب الداكن المستخرج من الحفرة بالرمل الفاتح اللون المحيط بهما عندما سمع قرقعة آلية تقترب. قفز جونز الى الحفرة وحدق بحذر من فوق حافتها فرأى شاحنة زراعية خربة تتحرك نحو صهريج أزرق في مكان قريب، وما لبث أن خرج منها رجلان في ثياب العمل. وفيما جونز يراقب، جال الرجلان حول الصهريج الاسطواني ثم عادا الى الشاحنة وغادرا المكان.

قال جونز في نفسه: إنه صهريج ماء.

وتسارعت أفكاره: من الواضح ان المزارعين المحليين يأتون الى هذا المكان. لكن راكبي الشاحنة لم يرياه، اذاً في امكانه أن يبقى في هذا المخبأ طوال النهار، فيملأ قواريره ماء ويتوجه غرباً بعد حلول الظلام الى مكان أكثر أماناً. واذ راح يجرع الماء من احدى قواريره البلاستيكية الصغيرة الخمس، ازداد أمله بالصمود ذلك النهار ريثما يتم انقاذه بعد حلول الظلام.

١٢،٥ ظهراً.

شعر جونسون بالاحباط وهو يحلق في طائرته الـ"ساندي." وتساءل: "أين ذهب سلايت ٤٦؟" لقد التقطت طائرتا «F — 15» صوته لوقت وجيز. لكن جونسون لم يسمعه حتى الآن. "هل أطبق عليه العراقيون؟"

قطع صوت راندي غوف تأملات جونسون معلناً أن كمية الوقود المتبقية لا تكفي لسوى خمس عشرة دقيقة وأن عليهما التحول نحو الجنوب لتزود الوقود.

فرد جونسون: "حسناً،" ثم جدد نداءه في محاولة أخيرة: "سلايت ٤٦. ساندي ٥٧. هل تسمعني؟"

فجأة سمع ذبذبات على الجهاز، ثم صوتاً هادئاً: "ساندي ٥٧. هنا سلايت ٤٦. تكلم." شعر جونسون بالدم الحار يتدفق في عروقه. فالطيار الناجي يتحدث اليه عبر الراديو.

قال جونسون: "سأقترب منك قليلا لاتكلم معك."

١٢،١٠ ظهراً.

كانت "موكاسان ٠٥" تتزود الوقود في مطار عرعر عندما سُمع جونسون يتكلم مع "سلايت ٠٤٦" انتزع تراسك ميكروفون الراديو وقال: "يوكون! موكاسان ٠٥! اننا نتزود الوقود وعائدون شمالا."

الساعة ١٢،٢٠.

قدر جونسون وغوف ان "سلايت ٤٦" في مكان يبعد ثلاثين كيلومتراً على الاقل غرباً من مطار الأسد، أي أبعد شمالا مما تصورا في البدء. كانت كمية الوقود في طائرتيهما منذرة فعلا، وكانا لا يزالان بعيدين الى الجنوب.

تحرك تراسك لملاقاتهما، فناداهما قائلا: "هنا موكاسان ٠٥! تابعا مساركما شمالا. علينا أن نحدد موقعه بدقة."

هز جونسون رأسه متجهماً، اذ ان موقع "سلايت ٤٦" داخل العراق كان عند الحد الاقصى لمدى المروحية «Pave Low» . واذا اتجهت طائرتا الـ«A — 10» جنوباً لتزود الوقود قبل تحديد موقع الطيار، فسينفد وقود المروحية. كان على جونسون وغوف أن يخاطرا.

أمال جونسون طائرته جانبياً ليحصل على رؤية أفضل. ثم هبط الى ارتفاع ٩٠٠ متر ونادى الطيار الناجي طالباً منه أن يتنبه الى الاشارات الضوئية التي سيرسلها. وبعد الاشارة الضوئية الثالثة اتصل جونز بجونسون قائلا: "انني على سبعة كيلومترات الى الجنوب."

هبط جونسون وغوف الى ارتفاع أدنى. وبعد لحظات سمع جونسون رفيقه يصرخ فرحاً واثارة: "هذه هي! هذه هي!" مشيراً الى طائرة «A — 10» فوق رأسه تماماً.

عندما استدار جونسون بطائرته، حفظ الاحداثيات التي كانت تبثها الاجهزة. وأمل أن يكفيه الوقود المتبقي للوصول الى الناقلة. تلا الاحداثيات على "موكاسان ٠٥" التي كانت تكمل طريقها شمالاً، وقال لجونز: "علينا أن نتزود وقوداً. سأعود في نصف ساعة."

١،٤٠ بعد الظهر.

تأكد تراسك وفريقه تماما من موقع الطيار الناجي. ولكن، للوصول اليه، كان عليهم أن يعبروا طريقاً عريضة بأربعة مجازات تعج بالآليات العسكرية. راح تراسك يفتش عن ثغرة آنية بين الآليات العراقية، الى أن وجدها. حلق بسرعة ٢٦٠ كيلومتراً في الساعة على ارتفاع لا يتجاوز الامتار الثلاثة عن الاسفلت، فمرت المروحية في خط منحرف بين قافلتين وسط دهشة الجنود العراقيين.

ثم تلقى تراسك نداء من مراقب "يوكون" الذي نم صوته عن توتر شديد: "موكاسان ٠٥! تهديد جديد! أكرر. تهديد جديد!" في تلك اللحظات كان صاروخ «SA-8» يتعقب المروحية.

ثم ازداد صوت المراقب حدة وهو يعطي الاوامر: "عليكم الاتجاه شرقاً!" استدار تراسك بمروحيته شرقاً ثم جنوباً، منتظراً عودة طائرتي الـ«A — 10». بعد لحظات مرت الطائرتان الخضراوان فوقه.

بعد انضمام الطائرتين الى المروحية، واصل الجميع عملية البحث عن "سلايت ٤٦."

١،٥٥ بعد الظهر.

تكلم "سلايت ٤٦" عبر الجهاز عندما رأى المروحية: "أنتم على بعد كيلومترين الآن."

فرد هومان: "حسناً." كانت تلك المرة الاولى خلال المهمة كلها يسمع فريق المروحية صوت الطيار الناجي بوضوح.

لكن البهجة لم تدم طويلا، اذ صرخ المدفعي المتمركز عند الباب الايسر للطوافة: "شيء ما يتحرك الى الغرب." كانت تلك شاحنة مكسوة بالوحل ومغطاة بقماش مشمع. لا بد أنها وحدة مكلفة تحديد المواقع بواسطة الراديو.

نادى تراسك بذعر: "ساندي، أين الطيار الناجي؟"

أجاب جونسون: "الشاحنة تتجه نحوه مباشرة."

قال هومان: "دمر الشاحنة!"

فرد جونسون: "حسناً، سأفعل."

استدارت طائرتا الـ«A — 10» نحو الشاحنة وأطلقتا عليها وابلا من القذائف الخطاطة الحمر. انفجرت الآلية المعادية مخلفة لهبا برتقالياً.

عاد تراسك الى مساره متجها شمالاً، ونادى: "ساندي، أين الطيار الناجي؟"

أجاب جونسون: "طِرْ نحو الدخان."

– نحو الدخان؟

"أجل. اتجه نحو الشاحنة المحترقة."

توجه تراسك نحو الآلية المشتعلة. ودهش عندما شاهد على أقل من ١٥٠ متراً رجلا في ثياب سلاح البحرية الخضر يخرج من حفرة. وقف الطيار هناك حاملا صندوق الطوارىء بيد وجهاز الراديو بالاخرى. كان هادئاً كمن ينتظر قطاراً.

حالما لامست عجلات المروحية الارض قفز اثنان من طاقم تراسك خارجا. وبعد ثلاثين ثانية كان ديفون جونز داخل الطوافة. وفيما هم يخرجون من الوادي حدق تراسك الى الطيار الناجي، فالتقت نظراتهما. كان الرجل منهكا مغطى بالوحل، لكن وجهه كان يشع بتعبير امتنان لامحدود.

٢،٠٠ بعد الظهر.

اتصل مراقب "يوكون" بجونسون قائلا بصوت تملأه العاطفة: "هل نفهم انكم نجحتم؟"

أجاب جونسون: "نعم، حتى الآن. لكن أمامنا طريقاً طويلة علينا اجتيازها."

٣،١٥ بعد الظهر.

جلس الملازم ديفون جونز داخل المروحية والهواء اللافح عبر فتحتي الرشاشين يبرد وجهه المتوهج. كان منهكا، ولكن نابضا بالحيوية. انه لا يزال حياً وحراً. وسمع هومان يقول: "ساندي، هذه موكاسان ١٠٥! إننا نعبر الحدود."

لقد اصبحوا خارج العراق.

أرسل النقيبان راندي غوف وبول جونسون في مهمات أخرى خلال "عملية عاصفة الصحراء." في السادس من فبراير (شباط) ١٩٩١ أصيبت طائرة جونسون مباشرة بصاروخ أحدث في جناحها الايمن فجوة كبيرة. وتمكن جونسون من التحليق بطائرته المصابة فوق الاراضي المعادية الى قاعدته في العربية السعودية.

أما الرائد مايك هومان فظل طوال الفترة المتبقية من الحرب آمراً لوحدة العمليات الخاصة بطوافات «Pave Low» في مقرها بمطار عرعر. كذلك واصل النقيب طوم تراسك عمليات الانقاذ.

وأسر الملازم لاري سلايد وأعيد من العراق في الرابع من مارس (آذار). وكشف أن جنوداً عراقيين في شاحنة صغيرة أسروه قرابة العاشرة والنصف صباح ٢١ يناير (كانون الثاني).

أما الملازم ديفون جونز فقد اشترك في ثلاثين عملية قتالية أخرى انطلاقا من حاملة الطائرات الامريكية "ساراتوغا." وفي العاشر من مارس (آذار) كان الضابط المرافق للاري سلايد في الاحتفال الذي اقيم في قاعدة أندروز الجوية خارج واشنطن لمناسبة رجوع أسرى الحرب.

مالكوم ماكونيل ■

اذا كنتم ممن يستيقظون على رنين المنبه، فلستم تحظون بنوم كافٍ

اذا كان "النوم يَحْبك كُمَّ الاهتمام المنسول،" كما قال شكسبير، فان عدداً هائلا من الناس في البلدان الصناعية يتجولون اليوم بأكمام مهلهلة.

استناداً الى الدراسات الحديثة والاختبارات السريرية، يتوافق معظم الاختصاصيين بشؤون النوم على أن ثمة وباء من النعاس يبتلي الناس. يقول ديفيد دينجز وهو إختصاصي بعلم النفس البيولوجي: "لا يسعني أن أذكر دراسة واحدة لم تستنتج أن الناس يحظون بنوم أقل مما ينبغي."

وحتى أولئك الذين يظنون أنهم يحظون بنوم كافٍ سيكونون أفضل حالا اذا نعموا براحة أكثر.

تبين من اختبار أجري على مجموعة من الطلاب الجامعيين، أن ١٦ في المئة من الذين ينامون بمعدل سبع ساعات أو ثمان ليلا قد يغلبهم النعاس في خمس دقائق نهاراً اذا سمح لهم بالاستلقاء في غرفة مظلمة. يقول الباحثون ان هذا برهان على أن هؤلاء الطلاب محرومون النوم الكافي.

وتبين للباحثين أيضاً أن الطلاب الذين لم يستسلموا للنوم بسرعة تحت ظروف الاختبار يفيدون هم ايضا من نوم اضافي. وعندما زادوا فترات نومهم ساعة أو ساعة ونصف ساعة تحسن أداؤهم في الاختبارات النفسانية.

يضيف ويلس ويب، وهو عالم نفساني وباحث في شؤون النوم، برهانا آخر على أن الناس لا ينامون كفاية: الساعة المنبهة الى جانب السرير. يقول: "اذا كنت ممن يستيقظون بهذه الطريقة، فأنت تقصِّر نومك الطبيعي."

نوم مسروق. تعود بداية أزمة النوم المنقوص الى زمن اختراع المصباح الكهربائي قبل قرن. فقد استنتج علماء النوم، من مفكرات يومية ومدوَّنات شخصية أخرى تعود الى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أن الشخص العادي كان ينام نحو تسع ساعات ونصف ساعة كل ليلة. ويقول الاختصاصي بشؤون النوم الدكتور هوارد روفوارغ: "كانت فضلى عادات النوم مفروضة علينا في الماضي عندما لم يكن لدينا ما نفعله مساء في المزرعة."

في الخمسينات والستينات انخفض برنامج النوم ذاك على نحو مفاجىء الى ما بين سبع ساعات ونصف ساعة وثماني ساعات. أما اليوم فإن المقتضيات

حقائِق جَديدَة عن النـــوم

الاجتماعية والاقتصادية تقضم أجزاء أكثر من ساعات النوم. يقول روفوارغ: "يخدع الناس أنفسهم في ما يخص نومهم، وهم لا يدركون أنهم يفعلون ذلك. يعتقدون أن الامور تسير حسناً لأنهم ينامون ست ساعات ونصف ساعة في حين يحتاجون فعلا الى سبع ساعات أو ثمان أو أكثر لكي يشعروا بحيوية ونشاط."

يقول الباحثون إن سارق النوم الذي لا يرحم قد يكون تعقيدات النهار. فعندما تتكاثر الضغوط المتأتية من العمل والعائلة والاصدقاء والمجتمع، يعتبر كثيرون ان النوم هو البند الذي تسهل التضحية به أولا في جدول أعمالهم.

ولكن غالبا ما تنجم نتيجة عكسية عن جهودنا الرامية الى ادخال مزيد من الاعمال على نهاراتنا ولياليينا. يقول الخبراء ان الشخص الذي يحظى بنوم كاف خلال الليل يلقى تعويضاً سخياً هو درجة عالية من الانتاجية والابداع والتركيز.

لص آخر يسرق النوم هو نظام المناوبة في العمل، حيث يعمل الناس مساء او ليلا أو بمقتضى برامج متعاقبة. يقول الباحثون ان الدماغ يجد صعوبة في تغيير أوقات النوم، مما يعني أن هؤلاء الموظفين يعانون عادة خسارة جوهرية في النوم.

وثمة عدد متزايد من الناس الذين يضطرون الى تكييف أوقات نومهم بحسب ما يقتضيه الاقتصاد الدولي. في العام ١٩٩٠ أقلع أكثر من مليون طائرة تجارية متوجهة الى أرجاء العالم، حاملة ركابا حكم عليهم بالارهاق نتيجة تغيُّر المواقيت. وان لم يضطر رجال الاعمال الى السفر، فهم مضطرون الى متابعة ما يجري في الاسواق العالمية. يقول دينجز: "اذا كنت من رجال المال، فقد تكون بورصة نيويورك مقفلة ليلا بحسب توقيتك المحلي، ولكن إن لم تتابع بورصات طوكيو ولندن فقد تكون معرضاً للخسارة في الصباح." كذلك، على الوسطاء في طوكيو ولندن وباريس أن يتابعوا أسواق نيويورك.

محرومون. لتحديد عواقب نقص النوم، عمد الباحثون الى اخضاع أشخاص لمجموعة اختبارات نفسانية وسلوكية. فطلب منهم، مثلا، جمع قائمة من الاعداد أو تذكر مقطع تلي عليهم قبل دقائق. يقول الدكتور تشارلز تشيزلر الاختصاصي باضطرابات النوم: "تبين لنا أن كفاية المرء تتدنى اذا كان محروما النوم الكافي. كما تتأذى الذاكرة على المدى القصير، كذلك القدرة على التركيز وأخذ القرار."

والناس الناعسون معرضون أكثر من غيرهم لارتكاب أخطاء في أعمالهم، بسبب تأثر سرعة ردود فعلهم وقدرتهم على التركيز طويلا. فكثير من الحوادث والكوارث الصناعية، بما فيها كارثتا "ثري مايل آيلاند" و"تشيرنوبيل" النوويتان يحدث في ساعة متقدمة من

الليل أو في ساعات الصباح الاولى، حين تبين للباحثين أن الموظفين الذين يراقبون الاجهزة لا يكونون متيقظين تماماً. وكشفت احدى الدراسات الحكومية الامريكية أن ما يراوح بين واحد وعشرة في المئة من حوادث السير يتعلق بالنوم، وأن نحو عشرين في المئة من السائقين يغفون خلف المقود مرة على الأقل في حياتهم. كذلك كشفت دراسات حديثة أن المحرومين النوم الكافي يتأثرون بكمية ضئيلة من الكحول.

إن نقص النوم لليلة واحدة قد يضعف فاعلية المرء العقلية. وأسوأ من ذلك أن تأثيرات هذا النقص تراكمية، فالشخص الذي ينام ساعة ونصف ساعة أقل مما ينبغي كل ليلة، وعلى نحو متواصل، يشعر بوطأة هذا النقص في آخر ايام العمل الاسبوعية أكثر مما في بداية الاسبوع. يقول دينجز: "بحلول الليلة الخامسة، يكون خسر سبع ساعات ونصف ساعة، أي ما يعادل نوم ليلة كاملة."

هل تنام؟ النوم في عطل نهاية الاسبوع قد يعوض الجسم ما افتقده. ولكن في الحالات المزمنة قد نحتاج الى أسابيع من الاستلحاق لكي نبطل تأثيرات نقص النوم.

قد يحاول الدماغ المحروم نوما أن يقتنص فرصة بسيطة من خلال "غفلة" تدوم بضع ثوان ولا يلاحظها الشخص نفسه. في كثير من البلدان الاستوائية يأخذ الناس قيلولة في فترة بعد الظهر.

ويقول الباحثون ان الدماغ ينزع الى الاغفاء بسهولة أكبر في فترة بعد الظهر. لكنهم يضيفون أن معظم الذين يحظون بنوم كاف لا يحتاجون الى قيلولة.

هل تحظى بنوم كاف؟

حاجات النوم تتفاوت، ولا مقياس لها مطلقا، لكن معظم الناس يحتاجون الى ما يراوح بين سبع ساعات وتسع في الليلة. وللتوصل الى برنامج نوم مثالي، يقترح الخبراء أن يتتبع الشخص ساعات نومه على مدى عشرة أيام. فاذا كنت تشعر بانتعاش وحيوية كل صباح وتستطيع التركيز طوال النهار، فان متوسط عدد الساعات التي تنامها في الليلة قريب من المعدل الامثل.

اما اذا كنت تحتاج الى ساعة منبهة، أو تشعر بالنعاس أثناء قيامك بمهمة رتيبة أو تتطلب الجلوس أو لا تتطلب جهداً، كقيادة سيارة أو حضور مؤتمر، فحاول النوم بين ٣٠ و٩٠ دقيقة اضافية. واذا تعذر عليك ذلك خلال أيام العمل واحتجت الى تعويض في نهاية الاسبوع، فينصحك الخبراء بالنوم باكراً أكثر مما ينصحونك بالنهوض متأخراً. واذا تعذر ذلك فانهم ينصحونك بأخذ قيلولة ساعة أو أقل بعد ظهر أيام العطلة.

ولكن حتى الخبراء يجدون صعوبة في تطبيق نصائحهم.

يقول أحدهم معترفا: "لا أحظى بأكثر من ست ساعات ونصف ساعة من النوم، فمشاغلي الكثيرة تحرمني النوم الكافي."

ناتالي انجير ■

كيف يفكّر الشباب الرّوسي

لو أعطي الشباب الروسي حق الاختيار لشهد الاتحاد السوفييتي تحولات تاريخية

كشف أول استقصاء غربي شامل لآراء شباب الاتحاد السوفييتي، رعته الـ"ريدرز دايجست" ونفذه ميدانياً معهد علم الاجتماع في الاكاديمية السوفييتية للعلوم، خيبة أمل عميقة بالاشتراكيـة وبزعمـاء البلاد. أثبت الاستقصاء الذي شمل ١٠٥٠ روسياً بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين من العمر، الحقائق الآتية:

□ أن الشباب الروسي يؤمن، بغالبية بارزة، أن ٧٠ عاماً من الشيوعية كانت سيئة للاتحاد السوفييتي. وهم يحبذون الملكية الخاصة للارض، وحرية غير محدودة للصحافة، وتملك الافراد حتى للصناعة.

□ أنهم يعبِّرون عن انعدام ثقة بالرئيس السوفييتي ميخائيل غورباتشيف، وقد اختاره ٦ في المئة فقط من الذين شاركوا في الاستقصاء على أنه الشخصية السياسية الاكثر اثارة للاعجاب. ويفضل ٣٩ في المئة خصمه الرئيسي بوريس يلتسين رئيس جمهورية روسيا.

□ عبّرت غالبية عظمى من المشاركين عن نظرة ايجابية تجاه الولايات المتحدة وعن رغبة في ان تصبح روسيا المستقلة جزءاً أكثر تكاملا مع بقية أوروبا.

ان خيبـة الامـل بـالشيـوعيـة وبالمؤسسات السوفييتية تؤثر في كل الطبقات الاجتماعية والمهنية في الاتحاد السوفييتي. لكن أكثر ما يلفت النظر في نتائج الاستقصاء هو درجة افتراق القيادة السوفييتية عن الشباب الذين يعارضون الاشتراكية ويتوقون الى مجتمع أكثر تحرراً.

غطى الاستقصاء ست مناطق في جمهورية روسيا التي تمثل غالبية سكان البلاد وأكثر من ثلاثة أرباع مساحة الاتحاد السوفييتي المتعدد القوميات. واختير المشاركون شباباً من كل الفئات الاجتماعية والمهنية الرئيسية. اما معهد علم الاجتماع التابع للدولة والذي نفذ العملية، فهو مختص بتقويم المشاكل والاتجاهات الاجتماعية في البلاد. وقد استعانت به مؤسسات غربية لاستقصاء الرأي مثل منظمة "غالوب."

بعد اجراء الاستقصاء قابلتُ ٣٠ مشتركاً، كلا على حدة، في موسكو وتيومان (سيبيريا) وأوفا (قرب جبال الاورال). أما المناطق الثلاث الاخرى التي شملها الاستقصاء، وهي كراسنويارسك في سيبيريا ونيزهناي نوفغورود والريف المحيط بموسكو، فكانت لا تزال محظورة على الصحافيين الغربيين.

المشكلة الحقيقية

رداً على السؤال: "هل كانت سبعون سنة من الاشتراكية جيدة أم سيئة للاتحاد السوفييتي؟" جاء الجواب المذهل لـ٧٤ في المئة نفياً. وعن السؤال: "هل للاشتراكية مستقبل في الاتحاد السوفييتي؟" أجاب نحو ٥٠ في المئة بلا، في مقابل ٢٢ في المئة فقط أجابوا بنعم.

تروي مارينا بارانوفا، وهي أمينة مكتبة في الثانية والعشرين من عمرها مفعمة بالحيوية، قصة حصولها على علامة جيدة عن رسالة كتبتها في أحد معاهد تشيليابنسك، وهي مدينة قريبة من جبال الاورال. فهي استخدمت مواد من مراجع "مقبولة" وبيَّنت أن ليون تروتسكي – أحد أوائل الثوريين الذي اغتاله ستالين – كان "عدوا للشعب"، ولكن بعد فترة وجيزة أعيد اليه بعض الاعتبار ونشرت كتاباته في الاتحاد السوفييتي.

تقول مارينا: "أدركت أننا ربينا على عرض مزور للتاريخ. عندما كنت فتاة صغيرة كان لينين يعتبر في مرتبة الابرار. ثم خلصت الى التفكير في أن الثورة حسنة لكن مجرمين سيطروا على مقدراتها. انني أرى الآن أن الثورة نفسها هي المشكلة."

أي نظام؟

يبدو الشباب الروسي تواقاً الى بناء مجتمع جديد في الاتحاد السوفييتي.

رداً على السؤال: "هل يجدر السماح بملكية خاصة للارض؟" أجاب نحو ٨٥ في المئة بنعم. ولم يتجاوز المعارضون ١٠ في المئة، ولم يدلِ ٥ في المئة برأي في الموضوع. والتأييد غالب عندما يتعلق السؤال بملكية المؤسسات الصناعية والتجارية، اذ أجاب ٧٠ في المئة بنعم، وعارض ١٩ في المئة، ولم يقرر ١١ في المئة رأيهم.

يؤمن سيرغي ماركين، وهو شاب في الحادية والعشرين من عمره يعمل حمالا

في مخزن بقالة حكومي في موسكو، بأن الرأسمالية تؤدي الى تخفيف النقص في المواد وتضع حداً للمحاباة التي تقرر الآن "من يحصل على ماذا."

يتذكر سيرغي بدء اختفاء اللحوم والاسماك من المحال التجارية في يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠. لاحظ عندئذ انه، بينما كان المئات ينتظرون دورهم لشراء البضائع "النادرة" في أحد المخازن، ظهرت مجموعة من أصحاب الامتيازات في مؤخر المخزن واشترت كل ما تريده من المواد الغذائية على اساس العلاقة الشخصية وتبادل المنافع. يؤكد سيرغي أن ٣٠ في المئة من مجموع البضائع المسلّمة يباع "تحت الطاولة" خلال يوم نموذجي. ويضيف: "في ظل نظام رأسمالي، يعمل المنتجون لمصلحة المستهلكين. فالتنافس قائم، والمزارعون يعرفون ماذا تطلب السوق وماذا يزرعون."

لكن حماسة المشاركين لنظام اقتصادي يعتمد مبدأ العرض والطلب، لها حدودها. فقد أجاب ٥٤ في المئة أن الدولة يجب ان تكون مسؤولة عن تأمين وظائف للناس وضمان استمرارها، فيما رد ٣٢ في المئة بأن الفرد نفسه يجب أن يتحمل جل المسؤولية، ولم يقرر ١٤ في المئة رأيهم.

مسؤولية القيادة

يحمّل الشباب الروسي القيادة السياسية الحالية مسؤولية خيبات النظام الشيوعي والعجز عن قطع الروابط مع الماضي – أو عدم الرغبة في هذا القطع.

"هل يساعد غورباتشيف مسيرة التغيير السياسي في البلد أو يعرقلها؟" المذهل أن يعتبر ٥١ في المئة من الشباب أنه عقبة، فيما يبدو ٢٠ في المئة غير متأكدين. وتجدر الاشارة الى أن الاستقصاء أجري خلال فترة أسبوعين أواخر العام الماضي قبل استقالة وزير الخارجية السيد ادوارد شيفردنادزه الذي كان يُنسب الى القوى التغييرية.

تفحص المشاركون قائمة تضم عشر شخصيات سياسية سوفييتية، فسمّى ٦ في المئة منهم غورباتشيف على أنه الزعيم المفضل لديهم، بالمقارنة مع ٣٩ في المئة سمّوا بوريس يلتسين. البارز أن ٨ في المئة أعلنوا أنهم لا يرغبون في أحد ممن على المسرح السياسي الحالي، ولم يجب ٣٩ في المئة عن السؤال، مما يشير الى خيبة أمل شعبية بالزعماء السياسيين.

يجسّد سيرغي تيمونيف هذا التحرر من الوهم، وهو شرطي في موسكو في الرابعة والعشرين من العمر. يقول ان غورباتشيف، في البداية، أيقظ في الناس أملا كبيراً بالمستقبل، "لكن هذا الامل يخبو يوماً بعد يوم."

لقد ارتفع معدل الجريمة كثيراً في موسكو منذ انضم سيرغي الى شرطة المدينة في العام ١٩٨٦.

وأمَرُّ الاحداث بالنسبة اليه ما حصل في سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠ عندما رأى شابة ترمى خارج مطعم مشهور. ادعت

الشابة أنها تعرضت لمعاملة خشنة، فدخل تيمونيف معها الى المطعم للتحقيق في الامر، وسرعان ما أحاطت بالاثنين مجموعة غاضبة من الرجال أبرزوا بطاقات جهاز الامن السوفييتي وهددوا سيرغي بالطرد من عمله.

وهذا الجهاز هو المؤسسة السوفييتية الوحيدة التي لم تطاولها اصلاحات غورباتشيف السياسية كثيراً وبقيت محتفظة بسلطة هائلة.

انسحاب الجمهوريات

تؤمن غالبية الشباب الروسي بأن الاصلاحات في الداخل يجب أن تعطى أولوية على الالتزامات الخارجية. عندما سئلوا أن يختاروا من قائمة اهتمامات، أعلن ٥٢ في المئة أن أشد ما يقلقهم هو امكان الانهيار الاقتصادي، واعتبر ٣٨ في المئة الصراع من أجل الحقوق المدنية على رأس اهتماماتهم، فيما أبدى أقل من ٣ في المئة قلقاً حيال التهديدات الخارجية.

ورداً على سؤال عما اذا كان دور الاتحاد السوفييتي في العالم يستحق أولوية على الاصلاحات الداخلية، أجاب ١٦ في المئة فقط بنعم، فيما أجاب ٦٥ في المئة بلا، ولم يعلن ١٩ في المئة رأيهم.

يبقى المدهش انعدام دعم الشباب الروسي لسياسة فرض الامر الواقع، سياسياً وعسكرياً، على الجمهوريات غير الروسية في الاتحاد السوفييتي.

"هل يجدرالسماح للجمهوريات السوفييتية بالانسحاب من الاتحاد اذا رغبت في ذلك؟"

أجاب ٧٠ في المئة من الشباب بنعم، وعارض ١٩ في المئة، ولم يبدِ ١١ في المئة رأيهم.

تقول سفيتلانا فيوكتستوفا، وهي طالبة في التاسعة عشرة من عمرها تدرس الصحافة في جامعة موسكو: "انهم يتوقون الى الهرب من بابا وماما. وهم لا يعون أن بابا وماما يؤمنان لهم القوت. أعتقد أن على روسيا أن تنسحب من كل هذه الجمهوريات."

ومع أن مشاعر كهذه ظهرت في بعض الاوساط الشعبية من قبل، فانها تبقى بالنسبة الى كثير من القادة السوفييت نوعاً من الهرطقة، كما أثبتت قرارات الكرملين في يناير (كانون الثاني) القاضية باستخدام القوة ضد المتظاهرين في جمهوريات البلطيق. لكن مواقف الشباب الذين شملهم الاستقصاء تثير شكوكا في قدرة أي قيادة على ابقاء الاتحاد السوفييتي متماسكاً في المدى البعيد.

عودة الى الايمان

أعلن ٣٥ في المئة من الشباب الروسي الذين شملهم الاستقصاء أنهم يؤمنون بالله، وأعلنت مجموعة أكبر قليلا – ٤٠ في المئة – أنها غير مؤمنة، فيما أجاب ٢٥ في المئة بعبارة "لا أدري." ان نسبة المؤمنين لها مدلولها اذا أخذنا

في الاعتبار ٧٠ عاما من الالحاد الرسمي المفروض، وجهاز اكليروس ظل الى وقت قريب يتلقى أوامره من الدولة. المؤمنون بين الطلاب أكثر من الملحدين، كذلك في صفوف الموظفين ذوي الرواتب الثابتة. أما العاملون في المصانع والمزارع الجماعية فينزعون أكثر نحو الالحاد.

تعترف ييلينا ريشكوفا، وهي ممرضة في التاسعة عشرة من عمرها تعمل في موسكو، بأنها تؤمن بالله. وتنتقد الاطباء حولها وتستنكر اللامبالاة التقليدية التي يواجهها المرضى في مستشفى روسي متوسط. تقول انها كانت تسعى الى طريق مختلفة تعطي حياتها معنى، عندما التقت الاب فاسيلي فيدوسفيتش كاهن قرية صغيرة قرب حدود استونيا. دعاها الاب فاسيلي الى زيارة كنيسته، وسرعان ما وجدت نفسها تقوم، كل بضعة أشهر، بالرحلة التي تستغرق يوما كاملا. كانت الصلوات طويلة تمتد نحو ثماني ساعات في المناسبات الخاصة، لكن ييلينا تأثرت بجمال التراتيل. وهي الآن لا تفهم كيف استمرت حياتها خالية من الايمان.

اطلاق الحريات

يعلن الشباب الروسي التزامه "حرية غير محدودة" للصحافة، الا أنه أقل حماسة لبسط هذه الحرية بحيث تشمل السياسة والسياسيين. ٥٨ في المئة منهم يحبذون صحافة حرة، لكن ٣١ في المئة فقط يوافقون على حرية غير محدودة للنشاطات السياسية. الغالبية، ٥٥ في المئة، ترغب في وضع بعض القيود على ما يمكن عمله ضمن الاطار السياسي. ولم يقرر ١٤ في المئة رأيهم. وقد عبر كثيرون عن عدم ثقتهم بالسياسة عموما.

وثمة بقية من مؤمنين بالشيوعية بين الشباب الروسي. يشتكي أزاموت يانغالين، وهو مسؤول في "رابطة الشبيبة الشيوعية" في أوفا، من أن "الامر الخطر في هذه البلاد هو انتقالنا دائما من تطرّف الى آخر. يقول الناس هذه الايام ان من الضروري ازالة كل الشيوعيين، انهم كمن يرمي طفلا مع الماء الذي غُسل فيه."

لكن آخرين يطالبون بضمانات دستورية للحرية الاقتصادية. يؤكد المتعهِّد بوريس ميكريوكوف، وهو شاب مربوع في الخامسة والعشرين من عمره أنشأ تجارة مجوهرات مزدهرة في أوفا: "المشكلة هي أن القوانين قد تتغير في أي لحظة، ومن الممكن أن تصادر الدولة كل استثماراتي."

رداً على سؤال عما اذا كان الشباب مستعدين للاحتجاج علناً على سياسات حكومية لا تعجبهم، أجاب ٣٧ في المئة بنعم و٢٤ في المئة بلا، فيما أعلنت مجموعة كبيرة – ٣٩ في المئة – أنها غير متأكدة من رأيها. قد تكون هذه دلالة على أن قوى الامن لا تزال عاملا يؤخذ في الاعتبار.

الروس وأمريكا

أظهرت الغالبية العظمى ممن شملهم

الاستقصاء مشاعر ود نحو الولايات المتحدة. فقد أعلن ٨٦ في المئة أن نظرتهم الى أمريكا ايجابية. وأعرب ٣ في المئة فقط عن وجهة نظر سلبية. وأعلن ١١ في المئة حيادهم. والى ذلك، رأى ٧٢ في المئة أن على جمهورية روسيا، اذا نالت استقلالها، أن تسعى الى الانضمام الى المجموعة الاوروبية.

تمثل نظرة سيرغي أوسينتسيف الايجابية نحو الولايات المتحدة تغيّراً في المواقف، وهو ممثل في الحادية والعشرين من عمره في تيومان، مدينة النفط في سيبيريا. كان سيرغي يتخيل الولايات المتحدة أرض كوابيس يصول فيها القتلة ويعمها الاستغلال الاقتصادي، الى ان بدأ التلفاز السوفييتي يعرض أفلاما واقعية عن الحياة في الولايات المتحدة.

يقول سيرغي: "لا تخلو أمريكا من مشاكلها الخاصة، لكنها تستطيع تعليمنا كيف نرفع مستوى معيشتنا."

لقد رأى الشباب الروسي رموزه القومية تتحطم، وكتبه المدرسية تعدَّل، وبلاده تمزقها الاضرابات والشغب والحركات القومية. لكن المواطن السوفييتي عرف، للمرة الاولى، حقيقة الديموقراطية والمستوى المعيشي في الغرب وواقع الفقر في الاتحاد السوفييتي. فكانت النتيجة أن انهار الايمان بالايديولوجية الاشتراكية بسرعة مذهلة.

في تعليق لجايمس بيلينغتون أمين مكتبة الكونغرس، وهو مرجع في سياسات الاتحاد السوفييتي وحضارته: "يظهر الاستقصاء أن الجيل الشاب أصبح رأس الحربة في البحث عن مستقبل جديد."

بعد سنوات من الزام الشباب الروسي ما يفكرون فيه، بدأوا يفكرون بأنفسهم. وهم يريدون، وبلادهم تدخل واحدة من أحرج مراحل تاريخها، أن يسترشدوا بالحقائق لا بالايديولوجية.

ديفيد ساتر ■

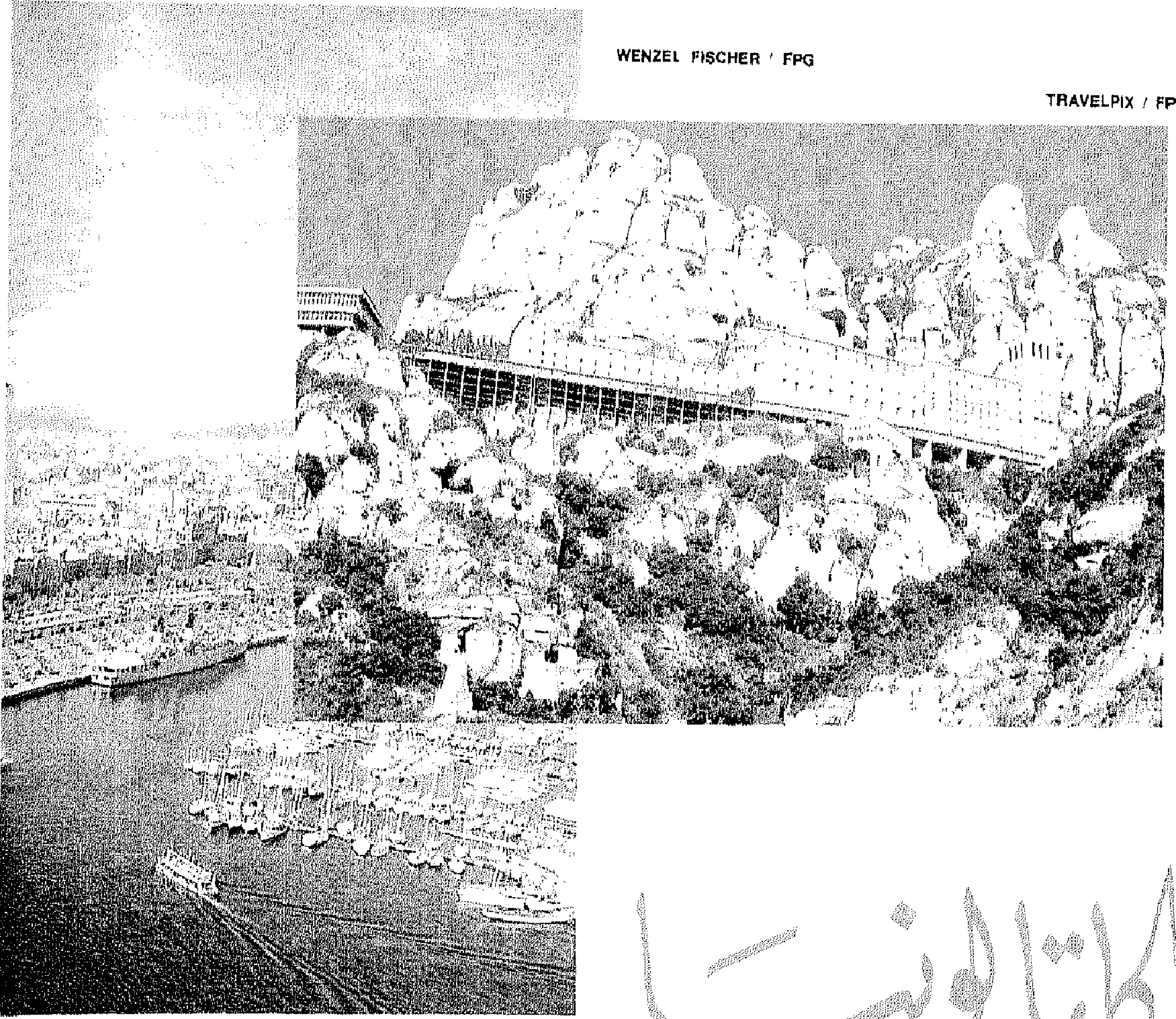


عسل فنلندا

طلب معلم الجغرافيا من صفنا التفتيش عن روابط بين الجغرافيا والانسان. قال موضحاً: "تصوروا انفسكم وكلاء سياحة. فهل تنصحون عريسين بقضاء شهر العسل في فنلندا خلال شهر يونيو (حزيران)؟"

وكان لي نسيب في فنلندا، فكنت أعلم أن الطقس هناك قارس البرودة في يونيو، وأن تلك البلاد ليست موئلا للعشاق. لكن أحد رفقائي الطلاب جاء برابط أفضل، فبعدما اعتبر خط العرض الذي يمر في فنلندا، انبرى معللا رفضه فكرة شهر العسل: "لا، لا ليالي هناك."

ر.م.

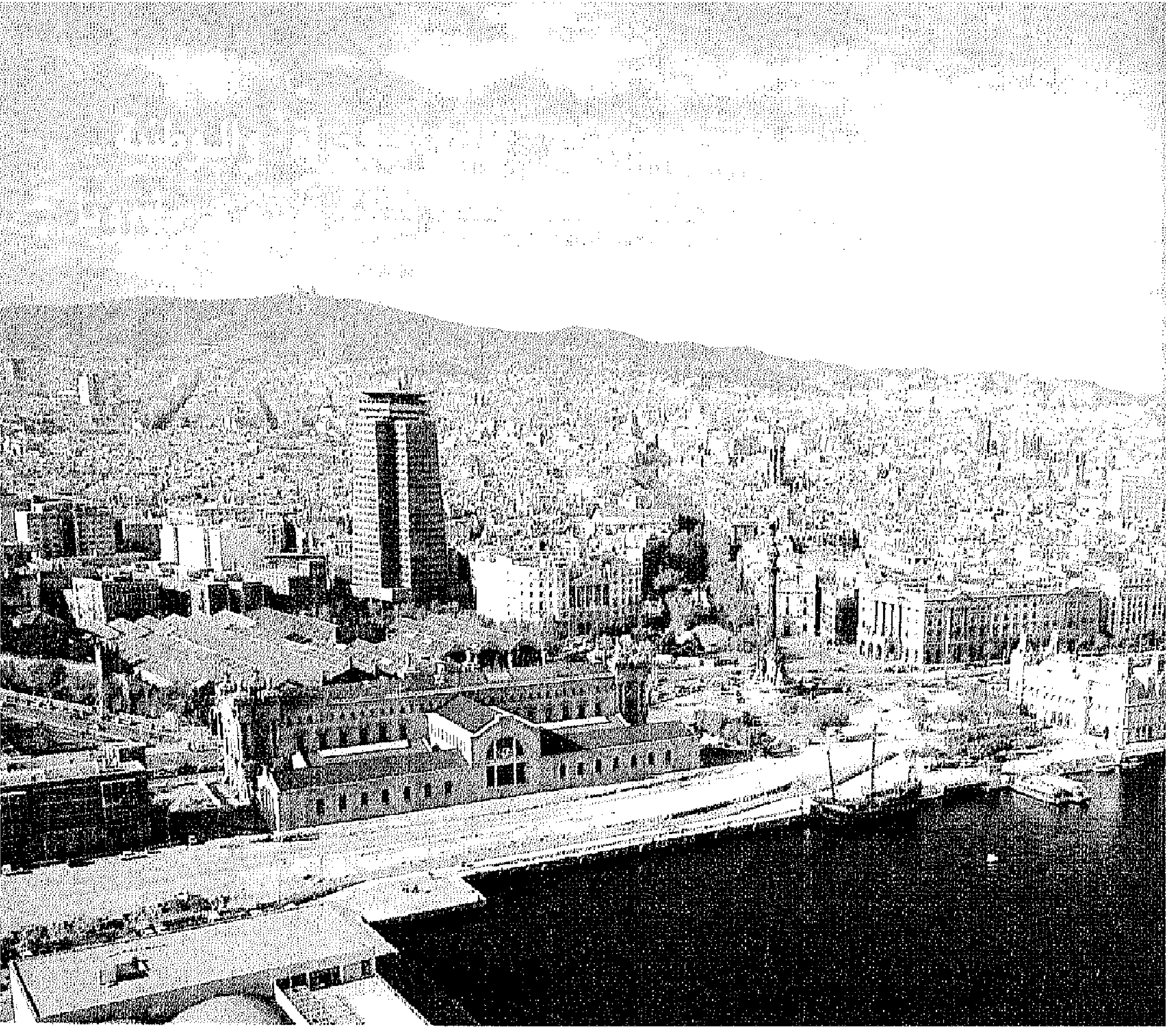

WENZEL FISCHER / FPG

TRAVELPIX / FPG

كاتالونيا الاسبانية الجميلة

سألني صديق من مدريد اذ علم أنني متوجه الى كاتالونيا (قطالونيه): "هل لديك تأشيرة دخول؟" كان سؤاله، مع ما فيه من مزاح، يحمل شيئاً من الجدية، ذلك لأن كاتالونيا تبدو لكثيرين من الاسبان بلداً أجنبياً على نحو ما، علماً أنها لم تصبح رسمياً جزءاً من أسبانيا سوى عام ١٧١٤. ويتكلم سكان هذه المقاطعة، الواقعة في الزاوية الشمالية الشرقية لاسبانيا، لغة خاصة بهم. ينامون باكراً ويعملون بكد ومثابرة يبزان بهما سائر مواطنيهم. ولا يهتمون كثيراً بالمنوعات الاسبانية التقليدية مثل رقص الفلامنكو ومصارعة الثيران وقيلولة الظهيرة.

لكن سكان كاتالونيا يبتهجون لكونهم



متميزين عن "أولئك السنيوريتوس" (الأسياد) - كما وصفهم سائق سيارة أجرة في برشلونة - "الذين ينامون طوال فترة بعد الظهر ويصرفون ليلهم بين الاقداح." وهم يتطلعون صوب الخارج، شرقاً نحو ايطاليا وشمالا نحو فرنسا. وقد أقر الشاعر الكاتالوني الرحّالة ج.ف. فوا مرة بأنه لم يزر مدريد قط (وهي تبعد ساعة بالطائرة) في حين انه زار لندن وباريس مراراً. وأضاف: "حتى صيادو السمك في قريتي كثيراً ما يزورون باريس."

اقتصاد مزدهر. تقع كاتالونيا (مساحتها ٣٢ ألف كيلومتر مربع) بين جبال البيرينيه الوعرة والبحر الابيض المتوسط. وتمتاز طبيعتها بتنوع وجمال فائقين. وفي وادي آران الذي تحوطه قمم شاهقة مكللة بالثلوج ترتفع ٣٠٠٠ متر، يتكلم القرويون المعزولون لهجة من لغة الغاسكون التي ترقى الى ألف سنة، بينما تعرض متاجر برشلونة أحدث الازياء الباريسية الى جانب مبتكرات مصممي الملابس الكاتالونيين الرائدين. وعام ١٩٨٩ اجتذبت شواطىء كاتالونيا

المستسلمة للشمس على امتداد ٥٠٠ كيلومتر على البحر الابيض المتوسط، أكثر من ١١ مليون سائح، ما يجعلها في مصاف المنتجعات السياحية الرئيسية في أوروبا.

صباح أحد أيام خريف ١٩٩٠ جلست على شرفة فندق في قرية بورتليغات الواقعة في أقصى شرق اسبانيا، أراقب الشمس الطالعة تغمر الخليج الهلاليّ المنبسط تحتنا. وأسرَّت إليّ احدى النادلات: "كان هذا أحد أوقات النهار المفضلة للدون سالفادور، اليس كذلك؟" فأشارت الى منزل قريب على الواجهة البحرية انتصبت في حديقته منحوتة في شكل بيضة عاش فيها الفنان الاسباني الشهير سالفادور دالي طوال سنوات.

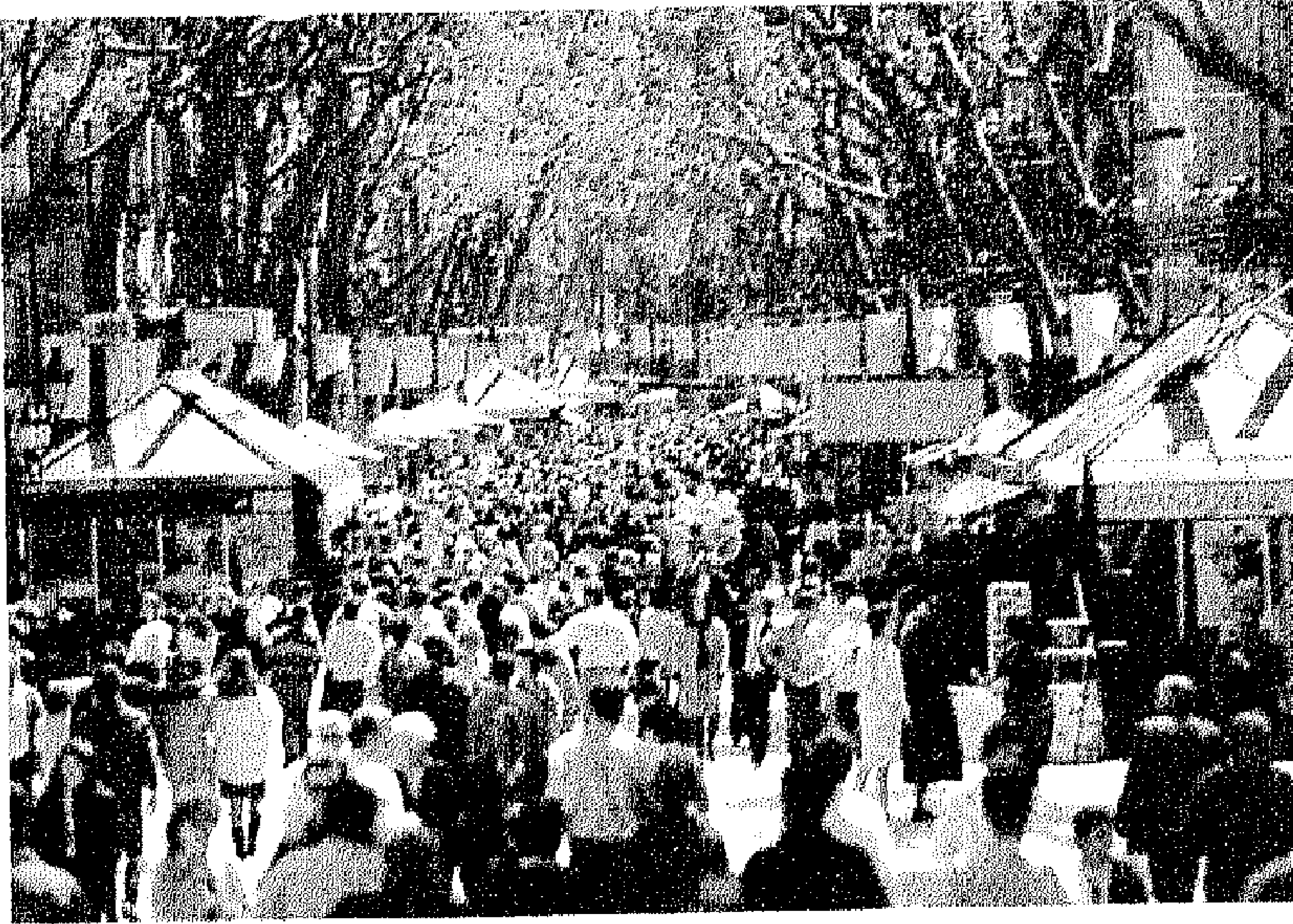
ويحتل دالي، العبقري الطليعي المتمرد، رأس قائمة مشاهير كاتالونيا في القرن العشرين. أخبرني خوان كارلوس كانو دييز دي لوس ريوس، وهو اختصاصي بالكمبيوتر من مواليد برشلونة: "نحن ننتج فنانين لا رجال دولة." وتذكرتُ منهم الرسامين خوان ميرو وأنطوني تابيس والنحات خبير كوربيرو والمهندسين المعماريين أنطوني غودي وريكاردو بوفيل وعازف الفيولونسيل (الكمان الكبيرة) بابلو كازالس ومغني الاوبرا خوسيه كاريراس ومونتسيرات كابايه. وتضم القائمة أيضاً خوان أنطونيو سمارانش، الديبلوماسي السابق والرئيس الحالي للجنة الاولمبية الدولية.

وفي كاتالونيا أيضاً رجال أعمال كبار يميزهم التعاضد والذكاء... والبخل. ويُعرف عن الكاتالونيين أنهم "اسكوتلنديو اسبانيا." ويشرح كانو دييز دي لوس ريوس هذا الامر: "انهم يعملون فكرهم كثيراً قبل انفاق المال." وهم يفاخرون بحصافتهم وهدوئهم. أسرَّ اليّ راميرو غيمينيز أحد أصحاب معامل مستحضرات التجميل في برشلونة: "يقول الناس اننا باردون ويعوزنا المرح وروح الدعابة. صحيح أننا لسنا متهالكين على مباهج الحياة، ولكن ضروري أن يُعرف أيضاً أننا نحب العمل."

وفيما بقية أوروبا منشغلة بمواجهة الركود الاقتصادي، يواصل اقتصاد كاتالونيا ازدهاره السريع. وهو سجل في السنوات الخمس التي تلت دخول اسبانيا عضوية المجموعة الاوروبية عام ١٩٨٦، نمواً بلغت نسبته ٢٥ في المئة يقابله ١٦ في المئة لالمانيا الغربية آنذاك. ومع ان كاتالونيا لا تمثل سوى ستة في المئة من برّ اسبانيا، فقد بلغ انتاجها عام ١٩٨٩ زهاء ٢٠ في المئة من الناتج القومي الاجمالي.

حصة الاسد. يعزى الفضل في تحقيق هذا السجل الرائع الى خوردي بوخول رئيس حكومة كاتالونيا ذات الحكم الذاتي.[1] ويتميز بوخول (٦١ عاماً)

(١) بعد وفاة فرنكو عام ١٩٧٥ قسمت اسبانيا تدريجا ١٧ منطقة "ذات حكم ذاتي" تتمتع بسلطات متفاوتة. وكاتالونيا واحدة من اقوى هذه المناطق.



شارع رامبلس، اشهر شوارع برشلونة، تحف بجانبيه اكشاك لبيع الزهور والطيور

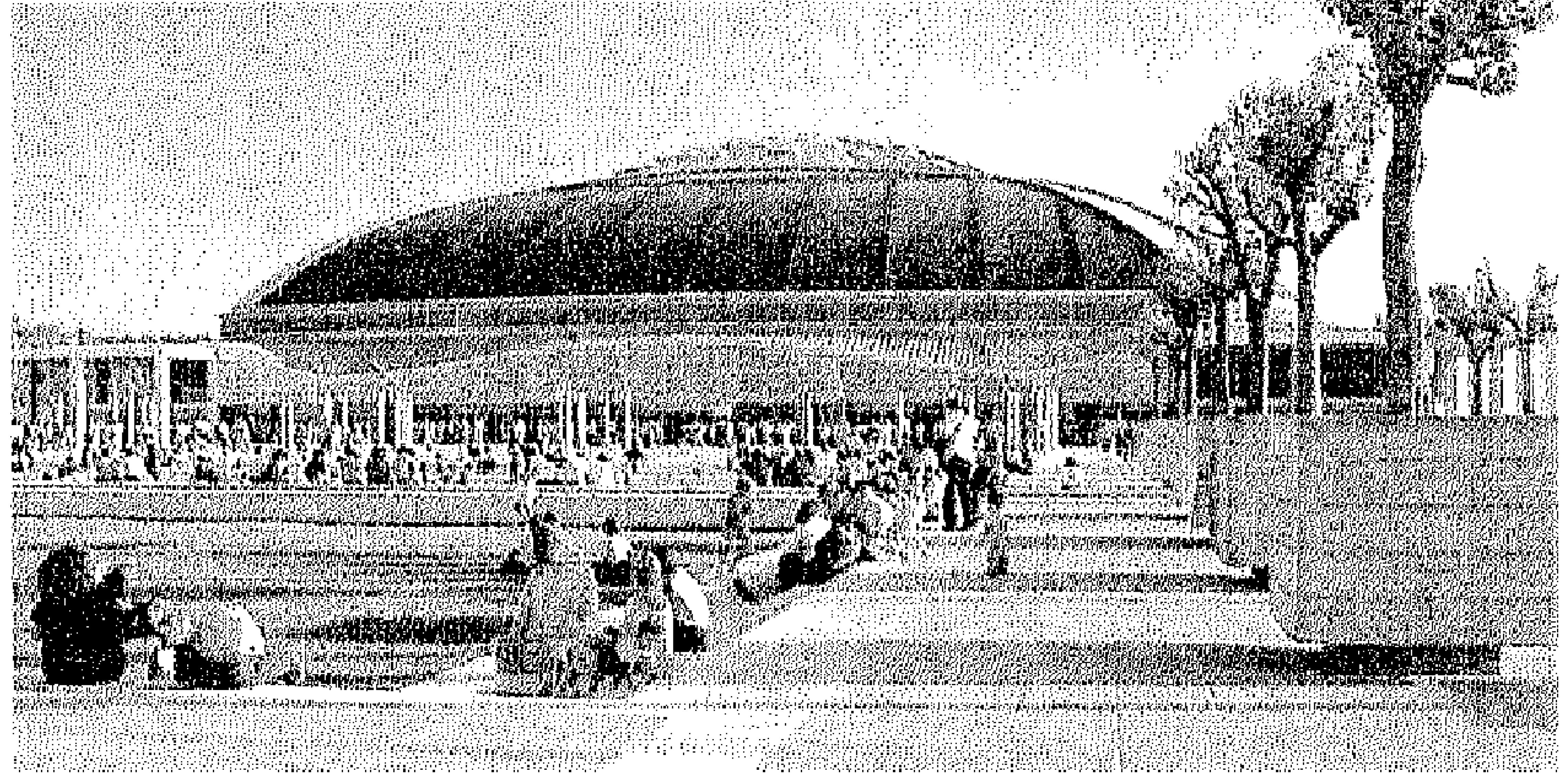
بخطوة واثقة وقامة منتصبة. ويلقبه الاسبان "القاتل الصغير." وهو شديد المراس كما ينبىء مظهره. أمضى ثلاث سنوات في السجن لانه تجرأ وعزف في حضرة فرنكو، ديكتاتور اسبانيا السابق، لحناً كاتالونيا محظوراً. وكان السياسيَّ الاول الذي أكد دعمه للملك خوان كارلوس حين اقتحم حرس مدنيون متمردون مبنى البرلمان الاسباني في فبراير (شباط) ١٩٨١. وسيطر أئتلافه المحافظ "كونفرخنسيا إي أونيو"[٢] على زمام السياسة في كاتالونيا مدة تزيد على عشر سنين.

ويتكلم بوخول ست لغات بطلاقة، ويتجول في أنحاء العالم جاعلا من كاتالونيا جسراً بين أسبانيا وأوروبا وبين البحر الابيض المتوسط وأوروبا الوسطى. وهو يقول: "تشكل كاتالونيا مع شمال ايطاليا وجنوب فرنسا منطقة ديناميكية تكاد تكون امكانات نموها غير محدودة."

يرجع شغف سكان كاتالونيا بالاعمال التجارية الى القرن الرابع عشر حين هيمن اتحاد كاتالوني – أراغوني على قسم كبير من البحر الابيض المتوسط وتعاطى تجارة الذهب في افريقيا الشمالية. وشمل هذا الاتحاد الربع الشرقي من اسبانيا حالياً وجزءاً من فرنسا والنصف الجنوبي من ايطاليا، فضلا عن جزر الباليار وسردينيا وصقلية. وكان مسرحاً لنجاحات تجارة كاتالونيا والمتمولين فيها.

واليوم يبني متعهدو المشاريع الكاتالونيون امبراطورية تجارية جديدة في حوض البحر الابيض المتوسط وخارجه. وللمثال، يرئس خوسيه ماريا دلمو شركة "خومبركا"، ومقرها قرب برشلونة، التي أضحت رائدة في عالم صناعة آلات النسيج المتطورة. ويملك إنريكي برنات، المنتج الرقم واحد في

(٢) Convergència i Unió



المدرَّج الاولمبي الذي عُدِّل لاستقبال دورة الالعاب الاولمبية سنة ١٩٩٢.

العالم لمصاصات السكاكر (سوسيت)، مصانع في اسبانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي والصين.

والى ذلك فان ٣٠ في المئة من التوظيفات الاجنبية في اسبانيا عام ١٩٩٠ كان من نصيب كاتالونيا – أي ما يزيد على خمسة مليارات دولار. وثمة أكثر من ٢٠٠ شركة عالمية، بينها "فولكسفاغن" و"طومسون" و"باير" و"يونيلفر" و"فيليبس" و"أنهاوزر – بوش" و"رالستن بورينا"، أقامت فروعاً لها في كاتالونيا. ويعتبر الفرنسيون، تقليدياً، أكبر المستثمرين الاجانب في المقاطعة. ويبدو جان – بول هيدالغو، مدير فرع الشركة المصرفية "سوسيتيه جنرال دو بانك" في كاتالونيا، واثقاً من أنه "لا بد أن ينشأ بعد السنة ١٩٩٢، حين تتوحد أوروبا في سوق مشتركة، توازن لمصلحة الجنوب يحد من نفوذ الشمال. وستضطلع كاتالونيا بدور رئيسي في هذه القوة المتوسطية."

وقد خصَّت اليابان كاتالونيا بتسعين في المئة من استثماراتها في اسبانيا. ووظفت "نيسان" الشركة العملاقة لصناعة السيارات ٥٠ مليار بيزيتا (نحو ٥٠٠ مليون دولار) لانشاء مصنع تجميع في المقاطعة. ويتوقع أن ينتج مصنع "سوني" الجديد ٦٠٠ ألف جهاز تلفاز بحلول السنة ١٩٩٢، نصفها للتصدير. ويعدِّد كينيشي شيومي المدير العام لفرع مصرف طوكيو في برشلونة، مميزات كاتالونيا: سهولة في المواصلات والنقل، ومناخ معتدل، وشبكة منظمة من مؤسسات الاستيراد والتوزيع، ويد عاملة من الطراز الاول "لا يتردد أفرادها في العمل ساعات اضافية لانجاز المهمة الموكولة اليهم. وهم يشاركون في النشاطات التي ترعاها الشركة مثل ولائم الشواء ومباريات الغولف. وتصبح الشركة جزءاً من مقومات مجتمعهم كما هي الحال في اليابان."

لغة حية. ينصح شيومي الصناعيين اليابانيين الذين يزورون كاتالونيا بالآتي:

"ألموا باللغة الكاتالونية، ففي المناسبات الاجتماعية يأنس اليها سكان كاتالونيا واذذاك فقط يكتسب الحديث أهمية." ويضيف خوان كارلوس كانو دييز دي لوس ريوس: "اللغة الكاتالونية هي المفتاح الذي يشرع كل الأبواب."

الحق أن في بقاء الكاتالونية، اللغة الرومنسية القديمة الغنية بالكلمات ذات المقاطع اللفظية المفردة والاحرف الصوتية المتناغمة، انتصاراً للارادة على القوة. لقد كانت كاتالونيا في الحرب الاسبانية المعقل الاخير للموالين الجمهوريين يسقط في أيدي قوات فرنكو "الوطنية" في الحرب الاهلية. ولم يتردد الجنراليسيمو[٣] في الانتقام. فأُحرقت الكتب المخطوطة بالكاتالونية، وعُين رجال شرطة في المدارس للمراقبة والتأكد من عدم تعليم هذه اللغة. وأُمر سكان كاتالونيا بتكلم الاسبانية في الاماكن العامة والا تعرضوا لدفع غرامات كبيرة أو للسجن.

لكن في العام ١٩٨٦ كشفت دراسة أجرتها الحكومة، مدى عودة هذه اللغة الى مكانتها، اذ تبين أن ٩٠ في المئة من السكان يفهمون الكاتالونية المحكية، ونحو الثلثين يتكلمونها. وتصدر في برشلونة حالياً صحيفتان يوميتان باللغة الكاتالونية. وتعلم هذه اللغة في نصف المدارس الابتدائية وتبثّ ثلاث من قنوات التلفزة السبع برامجها بالكاتالونية. يقول اللغوي فرانشيسك فالفردو من برشلونة: "ليس ثمة ما يفسر بقاء هذه اللغة حية، باستثناء عناد شعب كاتالونيا وعنفوانه."

يعيش أكثر من نصف سكان كاتالونيا البالغ عددهم ستة ملايين في منطقة برشلونة، كبرى مدن البحر الابيض المتوسط والتي تضم المرفأ الثاني فيه. وتتميز برشلونة بالنظافة والاناقة، وتعد احدى أقدم مدن اسبانيا. وتشاهد في برج المراقبة في بلاسا نوفا آثار مستوطنة رومانية ترقى الى القرن الخامس. ومن الكاتدرائية يتشعب حي باري غوتيك بممراته الضيقة والميازيب البارزة على هيئة حيوانات مكشرة. وتشاهد شعارات النبالة فوق المداخل الصغيرة. وقد رُصفت ازقتها بالحصى، واصطفت على جوانبها مطاعم ومحالّ لبيع التحف والمجوهرات.

وقد تجد في برشلونة أشياء عادية يتبين أنها أعمال فنية، مثل القدور المزخرفة في منطقة ايساميل أو أعمدة مصابيح أنطوني غودي في بلاسا ريال. وقد توفي غودي اذ صدمته سيارة عام ١٩٢٦، ولكن لا تزال كنيسة ساغرادا فاميليا التي لم يكتمل بناؤها، مثار جدل لا ينتهي لما أضفاه عليها غودي من خياله الجامح. أما بارك غويل في أعلى التلة في اقليم غراسيا، فقد صُمم أصلا ليكون مدينة – حديقة تضم ٦٠ منزلا خاصا، بني منها اثنان فقط. لكن غودي، بدل ذلك، جعل من هذه الواحة المدينية الخضراء الوادعة أرضاً خيالية قامت عليها أبنية مزج فيها الاسمنت بكسر من الآجر القديم والزجاج.

(٣) اي قائد الجيش.

قرية أولمبية. استعداداً لدورة الالعاب الاولمبية الخامسة والعشرين السنة المقبلة (١٩٩٢) هُدم حي الفقراء "بوبلا نو" الواقع على الواجهة البحرية، وحوِّل قرية أولمبية تضم أبنية سكنية ومرسى لليخوت وشواطىء رملية صفراء مظللة بأشجار النخيل. وثمة ثلاث سلالم متحركة وخط عربات معلقة (تلفريك) لنقل ٣٥ ألف شخص في الساعة الى المنشآت الاولمبية الرئيسية على كتف مونتخويك، وهي صفرى تلَّتين تشرفان على المدينة. وأعيد بناء الملعب الاولمبي الذي يتسع لـ٦٥ الف مقعد، وكان شيد أصلا للمعرض الدولي الذي أقيم عام ١٩٢٩، وتجاوزت كلفته سبعة مليارات بيزيتا (٧٠ مليون دولار). وفي خريف ١٩٩٠ افتتح المجمع الرياضي "بالو سانت خوردي" المعد لالعاب مختلفة داخل قاعة مقفلة. وأرضه الفسيحة التي يمكنها احتواء مجمع كامل من مبان ترتفع عشر طبقات، مكشوفة لكل من مقاعده السبعة عشر الفا.

ويسود النشاط المدينة استعداداً للالعاب الاولمبية المقبلة. ولدى وصولي شاهدت الواجهات الانيقة المبنية على طراز "الفن الجديد"[٤] في شارع باسّايغ دي غراتسيا، الذي يوازي الجادة الخامسة في نيويورك، مغطاة بالسقالات والستائر كأنها نجوم سينمائية هرمة تنتظر دورها للتبرج. وثمة ٢٧٠٠ شارع يجرى تجديدها مما أشاع فوضى سير في المدينة التي يجوبها نحو مليون سيارة.

وقد بلغت الأمور حداً من الفوضى والارباك حمل محافظ برشلونة باسكال مارغال على اصدار بيان يرجو المواطنين "التحلي بالصبر والشجاعة وعدم الاستسلام للقنوط."

واذا كانت برشلونة قلب كاتالونيا، فان جبل مونتسيرات روحها. وهو يرتفع ١٢٣٥ متراً وتطل قمته على المدينة من وسط غابة صنوبر كأنها فك حوت ضخم. ويمكن الوصول الى الدير الجاثم تحت قمة الجبل بسلوك طريق جبلية متعرّجة أو بواسطة قطار (تراماوي) هوائي. ويقصده الكاتالونيون للتنزه في حدائقه التي يلفها الضباب. وفي جوار الدير محال حجرية لبيع التذكارات والبطاقات البريدية، وسوبرماركت حديثة يباع فيها عسل مونتسيرات وشوكولاتة مونتسيرات وأربعة أنواع مختلفة من مشروبات مونتسيرات. وفي الجبل أيضا أربعة مطاعم وعدد من المقاهي.

ان هؤلاء الكاتالونيين لاذكياء حقاً!

شارل بارميتيه ■

(٤) Art Nouveau

قال الممثل الكوميدي جوي أدامز: "لقد صارت أجرة التاكسي باهظة في مدينة نيويورك. ومن الارخص على المرء أن يهاجم ويُسرَق فيمكث منتظراً سيارة اسعاف."

م.ر.د.

الضحك خير دواء

حلوى مُرّة!

■ مرض أخي الصغير فعجزت أمي عن اقناعه بتناول حبة الدواء المرة. فعمدت الى اخفائها في قطعة حلوى ناولته اياها. وسألته بعد حين عما اذا كان أكل الحلوى، فأجاب: "نعم، لكني رميت البزرة."

س.ل.

عجوز

■ أوقف والدي سيارته امام حديقة واشعل آخر سيجارة لديه ثم رمى العلبة الفارغة في الحديقة. واذا بامرأة عجوز تلتقطها وتسأله: "هل تريد هذه العلبة؟"

فأجاب: "كلا."

فهتفت العجوز: "ولا نحن نريدها." ورمتها داخل السيارة.

س.ل.

طريقة لوقف التدخين

■ راح أحد ركاب الطائرة ينظر الى ساعته من حين الى آخر ثم يضع اصابعه في منفضة السجائر ويفتلها. فسأله راكب في المقعد المجاور عما يفعله، فأجاب: "اني احاول التوقف عن التدخين. فكلما شعرت برغبة ملحّة في سيجارة تظاهرت بأني أطفىء واحدة."

– وهل تفيدك هذه الطريقة؟

"بكل تأكيد. فقد كنت أطفىء علبتي سجائر يومياً في الاسبوع الماضي، والآن تدنى العدد الى علبة واحدة."

م.ك.

ضحكة صديقة

■ سأل أحدهم صاحبه: "لماذا توقفت عن زيارة صديقتك؟"

– لم أعد أتحمل ضحكتها السخيفة.

" حقاً؟ لم الاحظ ذلك فيها أبداً."

– انت لم تكن حاضراً عندما طلبت يدها.

ج.س.

سلّف صديقك... تفقده

■ قال رجل لزميله: "اتعتقد أن لديك مشاكل؟ ماذا أقول أنا؟ لقد اقرضت شخصاً أربعة آلاف دولار لكي يجري جراحة تجميلية، والآن لم أعد أعرف شكل وجهه."

ج.ت.

ديبلوماسية طبيب

■ ذهب رجل الى عيادة طبيبه لاجراء معاينة سنوية. وبعد ظهور صور الأشعة ونتيجة تخطيط القلب قال له الطبيب: "عندي لك أخبار طيبة وأخرى سيئة، فأيها تود أن تسمع أولا؟"

– الأخبار الطيبة.

"حسناً. لقد قُبل ابني طالباً في كلية الطب."

– والسيئة؟

"أنت من سيدفع أقساطه."

أ.ش.

لا تسلّموا مفاتيح سيّاراتكم إلى مراهقين

كانت الشاحنة الصغيرة ذات اللونين الاحمر والابيض ترتجّ على طريق حصباء في شمال وسط ولاية واشنطن، منتصف ليل سبت في صيف ١٩٩٠. وكان في السيارة شابان وفتاتان تخرجوا حديثاً في مدرسة توناسكت الثانوية، وقد أمضوا بضع ساعات يطوفون ويتبادلون الاحاديث المرحة. وعند منعطف حاد انحرفت الشاحنة عن الطريق وتدهورت على منحدر صخري حاد واصطدمت بشجرة صنوبر. قذف الركاب الاربعة خارجا، ولم يكن أي منهم يضع حزام

يموت الالوف من الفتية في حوادث اصطدام. فكيف نجعل من أبنائنا سائقين راشدين؟



أمان. أصيب السائق جو ماك دانيال بجروح طفيفة في وجهه وذراعيه. وعانى جوش ويلر رضوضاً، لكنه تمكن من احتضان آمي بورديك بين ذراعيه الى أن وصل رجال الاسعاف، وهي توفيت في اليوم التالي. أما كاتي واتسون فقضت على الفور متأثرة بجروح بالغة.

تمثل اصابات حوادث السير الخطر الاكبر على حياة المراهقين في الولايات المتحدة. فقد قتل أكثر من ٧٤ ألف مراهق في حوادث كهذه خلال الثمانينات، وهو عدد يفوق عدد أترابهم الذين توفوا بكل أنواع الامراض مجتمعة. وفي المتوسط، تقضي حوادث الطرق، كل أسبوعين أو ثلاثة، على ما يعادل صفاً ثانوياً في مدرسة نموذجية. ويقدِّر "المجلس الوطني للسلامة" العبء المالي المترتب سنوياً نتيجة حوادث سير يتورط فيها مراهقون، بعشرة مليارات دولار على الاقل تختصر بتكاليف طبابة وضمان وتعويضات وما اليها.

لا يعني هذا أن كل الشباب سائقون سيئون. ولكن مع أن السائقين المراهقين يشكلون ٦ في المئة فقط من مجموع السائقين، فانهم يمثلون ١٤,٥ في المئة من أولئك المتورطين في حوادث سير و١٣ في المئة من المتورطين في حوادث سير مهلكة. وتشير تقديرات المجلس الوطني الى أن واحداً من كل ثلاثة سائقين دون السن العشرين تورط في حادث سير في العام ١٩٨٩، وهذا يتجاوز ضعفي المعدل القومي العام. وتورطت هذه الفئة أيضا في حوادث قاتلة تبلغ ضعفي المعدل القومي العام.

هنا ثلاثة عوامل يعتقد خبراء السلامة ورجال الشرطة واختصاصيو التربية أنها تسبب غالبية حوادث السير التي يتورط فيها مراهقون، وما يمكن فعله لمواجهتها:

١. **المخاطرة.** تطلع المراهق بعينين متورمتين اختفى لونهما، الى الطبيب المنحني فوقه في وحدة الطوارىء في مستشفى داي كيمبول في بوتنام بولاية كونيتيكت. كانت الجروح النازفة تملأ وجهه، وقد شُرمت أذنه وتهشمت عظام فكه وخده.

طمأنه الدكتور ديفيد هوكبرغ الى أنه سيعيش، وإن داخلته رغبة في مخاطبته مقرعاً: "تباً لك، لماذا لم تضع حزام الامان؟ اني أشاهد كثيرين أمثالك معتدّين بأنفسهم واثقين بأن سوءاً لن يصيبهم. ولي معرفة شخصية بعدد من هؤلاء. لكنني أعجز حتى عن التعرف اليهم حين يحضرونهم الى هنا. ترى، هل ستتعظون أبداً؟"

يتذكر هوكبرغ واحدة من أقسى مناوباته الليلية: "كان عليّ أن أبلغ صديقاً حميماً أن ابنه قتل اذ انزلقت سيارته عن الطريق، وكان ممكناً أن ينجو لو هو استخدم حزام الامان. ضممت صديقي الي وأنا أراقب النور يخبو في عينيه، وتساءلت كم من أب وأم في غرف طوارىء كانوا في تلك اللحظة بالذات يثكلون فلذاتهم.

سمّها مرجلية كما يفعل هوكبرغ، أو سعياً الى الاثارة، أو مخاطرة، أو عجزاً في تقدير العواقب، لا فرق، فكلها تندرج في سياق سلوك في الطرق مهلك كما انفجار اطار سيارة منطلقة بسرعة ٩٠ كيلومتراً في الساعة. وينزع السائقون الذين هم دون الحادية والعشرين، ولاسيما الذكور منهم، الى الاعتقاد أن احتمالات تعرضهم لحادث سير لا تتجاوز الواحد في المليون. وقد أظهرت دراسة شملت نحو ٤٧ ألف طالب ثانوي أن أكثر من ٤٠ في المئة ممن مضت على نيلهم اجازة سوق سنتان على الاقل، تعرضوا لحادث تصادم أو أكثر.

يتذكر هوكبرغ جنازة ابن صديقه: "كان زملاء الفتى في المدرسة حاضرين، يبكون، ثم انصرفوا في سياراتهم من غير أن يثبِّت واحد منهم حزام الامان."

ان تغيير طبائع الشباب ليس سهلاً، لكن أحد المسؤولين في مدرسة ثانوية في ألبيكيرك بولاية نيو مكسيكو أتى بطريقة مبتكرة: ملصقات توضع علي مؤخر السيارة طبع عليها: "اذا كنت أسوق باستهتار، اتصل بأهلي." وأفرد مكانا على الملصق لرقم هاتف.

٢. انعدام الخبرة والنضج.

كانت سيارة الهوندا الرمادية، وقد انحشرت فيها خمس طالبات ثانويات، تنطلق متعرجة بين السيارات على طريق زلقة في احدى الضواحي وسط الضباب المتكاثف. ضغطت السائقة أندريا التي حصلت على اجازتها قبل أقل من أربعة أشهر، بوق السيارة تستعجل سائق الشفروليه الزرقاء الذي كان يقود سيارته أمامها ببطء. "هيا! تحرك يا رجل!"

وعلا صوت احداهن فوق صخب موسيقى الروك المنبعثة من الراديو: "أندريا! أسمعينا شيئاً أفضل."

تلمست أندريا جعبة أشرطة التسجيل وتناولت واحداً، ما كادت تدفعه داخل جهاز الستيريو حتى صرخت بها احدى رفيقاتها "انتبهي! ستصدمين ذلك الرجل!"

انزلقت سيارة أندريا وارتطمت بسيارة الشفروليه ثم دارت على نفسها لتستقر في الخط الآخر للطريق حيث صدمتها سيارة أخرى جانبيا. تصاعد البخار كثيفا من مقدم الهوندا المهشم. وانقضت دقائق قبل أن تستطيع أندريا أن تأتي حركة لشدة ارتياعها. ثم خرجت من السيارة والدموع تنهمر على وجهها الممتقع، لتكتشف أن أحداً لم يصب بأذى بالغ. وهي أخبرت امها لاحقاً: "لن اقود سيارة بعد اليوم."

كان ممكنا الا يقع الحادث لو كانت أندريا تسوق منذ أربع سنوات بدل أربعة اشهر. ويوضح فردريك موتولا أستاذ الصحة العامة في جامعة ولاية كونيتيكت الجنوبية أهمية الخبرة بالآتي: "يحسب المراهقون أن ردود فعلهم السريعة ستنقذهم في المواقف الدقيقة. صحيح أنهم يستطيعون، في حال طارئة، استخدام الكابح على نحو اسرع مما

يفعل السائق الاكبر سنا، لكن ميزة السائق الخبير تكمن في قدرته على تبين الخطر المحتمل مقبلاً قبل حدوثه بثلاث ثوان أو أربع أو خمس. وهذا أفضل كثيراً من نصف الثانية الذي يكسبه المراهق بفضل رد فعله السريع."

ان عدم النضج يمثل مشكلة اخرى. فكلما كان السائق أصغر سناً كان أكثر عرضة لضغوط الاصدقاء ولميل المراهق فيه الى استخدام السيارات حبا بالظهور والتباهي بالحرية التي نالها اخيراً. واحدى الوسائل لجعل السائقين الجدد يكتسبون مزيداً من النضج هي رفع السن القانونية التي تخوِّل المرء الحصول على اجازة سوق. ولا تقل هذه السن عن ١٦ عاما في معظم الولايات الامريكية، بينما تمنح ولايات قليلة الاجازة للذين أكملوا السن الرابعة عشرة.

وثمة وسيلة اخرى تتيح للسلطات تنمية حس السلامة لدى السائقين الشباب، هي "الاجازة الموقتة." وتوفر هذه الطريقة فترة تجربة يكتسب فيها السائقون الجدد معرفة ومهارة وخبرة في ظروف مدروسة تقلل امكان تعرضهم لحادث في أوضاع خطرة مثل القيادة ليلا.

كثيراً ما يعتمد برنامج ولاية ماريلاند نموذجا، حيث يتعين على الذين بلغوا السادسة عشرة والسابعة عشرة ويرغبون في الحصول على اجازة سوق، اكمال دورة تدريب على القيادة واجتياز الاختبارين التقليديين الخطي والميداني. ثم يُعطى الطالب اجازة سوق لمدة سنة (أو حتى اكماله السن الثامنة عشرة). فاذا سُجِّل محضر ضبط في حق السائق الجديد لانتهاكه قوانين السير أو لتسببه في حادث اثناء تلك الفترة، أُجِّل اصدار اجازته سنة أخرى. وخلال الفترة التجريبية، تحظر القيادة بين منتصف الليل والخامسة صباحا من دون وجود شخص بالغ في السيارة يحمل اجازة سوق أصيلة.

وتبدو مثل هذه الاجراءات فاعلة لأن اجازة السوق هي من الممتلكات الاكثر قيمة لدى الشباب. وعندما يدرك المراهقون أنهم قد يفقدونها او قد تفرض عليهم قيود صارمة، يصبحون أشد ميلا الى القيادة بانتباه.

٣. **تعاطي الكحول.** بدت الحياة زاهية في عيني براين رايف، فهذا الشاب الجامعي الانيق على وشك الانتقال الى "معهد فيرجينيا للتكنولوجيا" حيث اعتزم الانخراط في سلك تدريب الضباط الاحتياط وأمنيته أن يصير قائد طائرة مقاتلة في سلاح الجو.

ذات ليلة صيف، وكان أهله في سفرة، دعا براين أصدقاء له الى منزله حيث أتوا على ١٨ علبة جعة. وفي الاولى بعد منتصف الليل قرر براين التوجه الى الشاطىء مصطحبا صديقه الحميم طوم كيلداي.

قاد براين سيارته فيما نام طوم. وعلى مسافة ٥٥ كيلومترا من المكان المقصود

أغفى براين هو أيضاً، فسقطت السيارة عن جسر وهي منطلقة بسرعة ٩٠ كيلومتراً في الساعة، واصطدمت بعمود كهرباء ثم انقلبت. تناثر الدم على الزجاج الامامي وغطى الزجاج المهشم داخل السيارة.

لم يصب طوم بجروح خطرة، ونقل براين على عجل الى المستشفى حيث عاده والداه تلك الليلة. وتتذكر جانيت رايف الحادث: "خيل الي أنني أنظر الى نسخة فرنكنشتاينية* عن ولدي." كان براين فاقداً الوعي، فكه مقفل بأسلاك ونصف رأسه حليق، وبرزت من ثقب في جمجمته أداة بيضاء تشبه قرن حَمَل لقياس ضغط الدم والسائل النخاعي - الشوكي داخل الجمجمة. عندما اصطدم رأس براين بالزجاج الامامي، ارتطم دماغه بالجدار الداخلي لجمجمته مما أدى الى قطع روابط حيوية خاصة بمركزي الحركة والحس.

أمضى براين خمسة أشهر في غيبوبة، وأكثر من سنة في المستشفى شارف فيها الموت. وهو يتنقل الآن مستعيناً بعكازين، لكنه لن يتمكن أبداً من أن يحيا حياة طبيعية... أو أن يقود طائرة حربية.

ان الكحول عامل مسبب في مقتل نحو نصف مجموع الشباب الذين هم بين الخامسة عشرة والتاسعة عشرة من العمر والذين يقضون في حوادث سير في الولايات المتحدة. ففي العام ١٩٨٩ وحده قضى ٢٧٧٦ مراهقاً ثملا في حوادث اصطدام، وأصيب نحو ١٠٠ ألف آخرين بجروح مختلفة.

وكان عدد الضحايا أكبر في الماضي، لكن الثمانينات شهدت وعيا أشمل لدى الرأي العام وغضبا وتحركا فعلياً، ساهمت كلها في خفض عدد الحوادث المفجعة الناتجة من قيادة السائقين سياراتهم وهم تحت تأثير الكحول.

يقول جون ديفرين، وهو شرطي سابق في ماريلاند: "مللت سحب أحداث من سياراتهم المهشمة." وهو أنشأ، بدعم مالي من جماعات محلية ومواطنين أفراد، برنامجاً لا يتوسل الربح المادي دعاه "الرعب الشالّ" يصفه على أنه "جرعة من الواقع تدوم ٤٥ دقيقة." يتولى مقدمو البرنامج عرض شرائح (سلايد) مصوَّرة تظهر سيارات مهشمة، ويقدمون وصفا حيا للروائح والاصوات والرعب في مسرح حادث اصطدام، ويفصِّلون ما يحدث عندما تنقل ضحية الى المشرحة.

لا شيء يرعد الطلاب أكثر من وصف ديفرين المقزز لحادث قُتِلَ فيه أستاذ ثانوي محبوب. ذات يوم ربيعي قاد هذا الاستاذ سيارته الى تلة في ضاحية من واشنطن. وعند قمة الطريق الضيقة ذات الاتجاهين، ظهرت فجأة سيارة داتسون جديدة - هدية الى متخرج في السابعة عشرة من عمره - منطلقة في الاتجاه المعاكس. وكان الشاب تناول كحولا وأقنع زميلا له بمشاركته في هواية "ركوب الجحيم" وهي الانطلاق بالسيارة بأقصى

(*) فرنكنشتين مسخ في رواية رعب.

سرعتها عند أعلى التلة فترتفع السيارة عن الارض لحظات تحبس الانفاس.

الا أن الداتسون، بعدما ارتفعت لحظة اجتيازها رأس المرتفع، هبطت على عجلتيها الاماميتين واندفعت نزولا في الاتجاه الآخر من الطريق صادمة سيارة الستايشن رأسيا. فانسحق المعلم البالغ من العمر ٣٦ عاما في فسحة مساحتها ٣٠ سنتيمتراً داخل الحطام المعدني الملتوي، وقضى للحال وهو على مسافة مئات الأمتار من منزله حيث كانت زوجته وطفله ينتظرانه.

يروي ديفريز تفاصيل اكتشافه الجسد المسحوق ثم توجهه الى السيارة الاخرى: "كان مقودها انفصل من مكانه وضرب السائق تحت ذقنه مباشرة فسلخ وجهه كله الى ما فوق الحاجبين. اننا ندعو هذه الاصابة "تقشيراً"، كما في تقشير الموز. أما الفتى الآخر فقذفته الصدمة الى الطريق، وعندما انحرفت السيارة سحقته بحافة الطريق، مثلما تُسحق سيجارة."

يستعين بعض برامج القيادة الآمنة بناجين من حوادث يروون قصصهم. وأحد هؤلاء رجل ضخم الجثة ملتوي الفم يضع سماعتين ويصل الى الاجتماعات المدرسية في كرسي ذي عجلات. وهو لا يحمل أي شبه للطالب الجامعي الوسيم الذي كان يتوق الى أن يصبح طياراً حربيا. وبصوت متقطع، لكنه مليء بالعزم، يتحدث براين رايف عن الحادث الذي غيَّر حياته.

القوانين مهمة في تشجيع القيادة الآمنة، لكن العامل الأفعل في تحويل الشباب سائقين جيِّدين هو الاهل. وواجبهم الاول أن يكونوا القدوة الحسنة. لا تدعوا أولادكم يسألونكم: "لماذا لم تضع حزام السلامة يا أبي؟" أو "أمي، لماذا تقودين بسرعة ٧٠ فيما اشارة السير تحددها بـ٥٠؟" ولا تجلسوا خلف المقود اذا كنتم تناولتم كحولا. واذ يبلغ أولادكم السن التي تخولهم القيادة، لا تعتمدوا على آخرين يتولّون كل مراحل التعليم والاختبار. ان امتحان القيادة الذي تجريه السلطات يضمن حداً أدنى من الكفاية، ولكن عليكم أنتم مراقبة مهارات السائق الجديد لتحكموا على مدى استعداده.

لا تترددوا، بعد حصول ولدكم على اجازة سوق، في فرض ضوابط على القيادة، خصوصاً في الاشهر الاولى التي تعتبر الاخطر. هذا ما يشير به روبرت ماكول أستاذ علم النفس ومدير مكتب تنمية الاولاد في جامعة بيتسبرغ: "يجب ألا يسلِّم الاهل مفاتيح السيارة كلما طلبها أحد أولادهم." ويقترح ماكول قوانين تملي على الاولاد متى يقودون وفي أي ظروف وأي مناسبات ومع مَنْ مِنَ الاصدقاء.

على الاهل أن يضطلعوا بهذا الدور الحيوي حيال أبنائهم الذين يقودون سيارات. اذذاك فقط نوقف "المجزرة" التي يتعرض لها شبابنا على الطرق.

ديفيد مازي ■

الكذب يسمم الزواج

هناك أكاذيب "بيضاء" وأكاذيب "سوداء" لكن أزواجاً كثيرين مصابون بعمى الالوان!

عندما اعترفت كارول الى صديقتها بربارة بأنها على علاقة عاطفية برجل "آخر"، تعهدت هذه أن تكتم الامر حتى عن زوجها. لكنها كادت تفضح السر عندما أخبرها زوجها أنه تناول الغداء مع زوج كارول. قال: "يبدو أن كارول تواجه مشكلة. هل لديك فكرة عن الامر؟"

أجابت بربارة: "لا، أبداً." وأملت ان تختم الموضوع بهذا الجواب. الا أن الموضوع ظل يفتح مراراً بفعل صداقة نشأت بين الرجلين. فعلقت بربارة في دوامة من الاكاذيب والمراوغة.

أخيراً، من خلال ملاحظات عابرة سمعتها من صديقات، اقتنعت بربارة بأن خيانة كارول باتت خبراً شائعاً. وعندما أثار زوجها الموضوع مجدداً راحت بربارة تبكي وأطلعته على الحقيقة. وهي تتذكر: "يا لها من راحة شعرت بها. كنت بدأت أشعر بالذنب وكأنني أنا الخائنة." وهي ما زالت تعتبر أن أكاذيبها ومراوغتها كانت شكلا من اشكال الخيانة لزوجها.

شعار بربارة اليوم هو الآتي: "لا تخبروني أمراً لا أستطيع اطلاع زوجي عليه. لن أخاطر بأغلى علاقة لدي من أجل شيء."

الكذب خطر، وليس سهلا أن نعرف متى يُصفح عنه في الحياة الزوجية. نحن نتوق الى ثقة عمياء وانفتاح صريح مع شريك حياتنا، لكن التجارب تعلمنا أحيانا ان في وسعنا تجنب الجدل وجرح المشاعر بقليل من الخداع والاضاليل يراوح بين "كذبة بيضاء" مثل "الصلع جميل" وكذبة كبيرة مثل "لا فكرة لدي عن سبب انبعاج مقدَّم السيارة."

لا تغالوا. لكي نميز بين الاكاذيب "البيضاء" والاخرى "السوداء"، ضروري أن نلتفت الى دوافعنا، كما يقول هارولد كوشنر وهو مؤلف كتب عدة في الاخلاق: "قبل أن تشرع في الكذب، اطرح على نفسك هذا السؤال: هل أكذب مداراة لمشاعر الآخر أم لانقاذ نفسي من مأزق؟"

يقول ريتشارد تاكر، وهو وكيل مبيعات شاب حاد الطباع، ان زوجته لا تعترف أبداً بغرامات السير المستحقة عليها، بل تضيفها الى كومة الفواتير التي يتوجب دفعها، وتدعي البراءة عندما يسألها عنها. هذا يضحك ريتشارد، فهو يعلم أن تصرف زوجته ليس الا انتقاما بريئا لغضبه السابق حيال هفواتها في ايقاف السيارة في اماكن ممنوعة. إنها مجرد "لعبة" يلعبانها، وليست كذبة حقيقية.

ثمة موضوع واحد غالباً ما يعيد الازواج المخلصون صوغه، ألا وهو ماضيهم العاطفي. تعترف جين كيتمان: "لم أكذب في شأن علاقاتي السابقة، لكنني قللت من أهميتها."

تقول الطبيبة النفسانية ألكسندرا سيموندز: "قد تكون بعض الاكاذيب ودّية. فعبارة "أنت دائم الوسامة" تعني تعبيراً حقيقياً عن العاطفة والاخلاص والود."

وتمنع الاكاذيب الودّية بعض المناقشات التافهة. تقول كايتي ريان وهي وسيطة عقارية: "قد لا أكون راغبة في مشاهدة مباراة كرة المضرب على التلفاز، لكنني أدَّعي أنني أريد مشاهدتها عندما يظهر زوجي رغبة فيها. أريد أن أكون قريبة منه وأن أرضيه. هذا ما يهمني."

هذا الامر حسن ان لم نتمادَ فيه كثيراً. يحذر كوشنر من أن "نساء كثيرات قد يفكرن لاحقا في أن مشاعرهن وأذواقهن ليست ذات شأن." ويضيف: "لنفترض أن امرأة شعرت بخيبة عندما تلقت أداة مطبخية هدية من زوجها. تكون كاذبة ان قالت ان هذه الهدية هي ما كانت تريد تماماً. وأنصحها بأن تنتظر يوما أو يومين ثم تقول لزوجها، مثلا أقدر لك بادرتك، لكنني أفضل هدية شخصية في الاعياد الآتية."

وهناك نوع من الاكاذيب الزوجية يستخدمه الشريك لحماية شريكه من المعلومات غير السارة. تقول ديبرا تانن مؤلفة الكتاب الرائج "أنت لا تفهمني: نساء ورجال يتحدثون":* "بعض الرجال يكتمون أموراً عن زوجاتهم لاعتقادهم أنهن سيقلقن ان عرفنها. لكن الزوجة غالبا ما تفسر هذا الامر على أنه تعامل معها كغريبة."

أحجم صاحب محل للمجوهرات عن اطلاع زوجته على خطأ مُكلِف ارتكبه. فأخذ قرضا مصرفيا بفائدة مرتفعة بغية المحافظة على المستوى المعيشي لعائلته. ولم يلبث ان سدد الدين، لكن زوجته غضبت عندما علمت بخداعه. تقول: "كان في وسعنا أن نقتصد. أنا

(*) You Just Don't Understand: Women and Men in Conversation

أفضل أن آكل المعكرونة يوميا على المجازفة بدين كهذا."

تستخدم النساء أيضا أكاذيب واقية. اتصلت حماة بكنتها وأخبرتها أنها سوف تخضع لفحوص بغية التحقق من اصابتها بالسرطان. في تلك الاثناء كان الابن يعاني أزمة حادة في عمله، فقررت زوجته أن تخبره أن كل شيء على ما يرام ريثما تبين نتائج الفحوص. لكنه اكتشف الامر لاحقا وغضب من زوجته أشد الغضب. وأسباب غضبه مفهومة: لقد سلبته زوجته حقه في الاختيار بين عمله ووالدته.

ما بك؟ تنصح استاذة الفلسفة سيسلا بوك بتوخي الحذر الشديد ازاء هذا النوع من الاكاذيب "الابوية" الرامية الى حماية الشريك. تقول: "يغالي الكاذبون في تقدير نياتهم الطيبة ودوافعهم النبيلة وحظوظهم في النجاة من الانكشاف." قد تقنع احدى النساء نفسها بأنها تكذب من أجل زوجها، في حين أنها، في الحقيقة، تحاول التملص من مواجهة مزاجه العكر.

تقر احدى النساء بأنها تكذب على زوجها لتسرق وقتاً تنفرد فيه بنفسها: "اذا ألغيت موعد عمل فانني أقصد أحد المتاجر الكبرى أو أتجول في الحديقة. وحين يكتشف زوجي الامر يسألني: لماذا لم تأتي الى البيت لنمضي الوقت معاً؟"

تقول الدكتورة سيموندن: "هذا النوع من الكذب يأتي من عدم احترام الشريك. وهو يقود الى النظرية التهكمية القائلة بأن ليس من ضير في التلاعب بالعلاقة".

تعتقد الدكتورة سيموندز أن بعض الناس يكذبون عندما لا يكونون مضطرين الى الكذب، فيسلبون شركاءهم فرصة اظهار حب العطاء ورحابة الصدر. قد يتفهم زوج هذه المرأة حاجتها الى الاختلاء بنفسها لو كانت صريحة معه.

يقول كارل كينفسلي وهو مهندس ديكور: "كذبت على زوجتي مرة واحدة، لكنها كانت كذبة كبيرة. فقد تماديت في استعمال بطاقات الاعتماد بعدما أقسمت لها بأنني سأتوقف عن استعمالها."

بانت الحقيقة عندما قررا شراء منزل، وتعين على كارل أن يضع قائمة بديونه. قال: "أخيراً اضطررت الى اخبارها بأنني مدين باثني عشر ألف دولار. كنت متأكداً من أن المصرف لن يعطينا قرضاً وأنها ستغضب وتهجرني. لكنها فاجأتني بسؤالها: ماذا سنفعل؟ وتحسنت علاقتنا على نحو مثير، وصارت زوجتي حليفتي."

ان فرّق الكذب، فالصدق يوحد.

وتولّد محاولات اخفاء الخيانة أسوأ الاكاذيب الزوجية. والحقيقة أن الخوف من "أن نعيش كذبة" يبقي كثيرا من العلاقات الزوجية في منأى عن الخيانة. تقول جين كيتمان: "لن أخون أبدا، لانني أعلم انني سأكذب في هذا الشأن."

عندما تجنح بك نفسك الى الكذب، ينصحك الخبراء بالتفكير ملياً في الخيارين الآتيين:

أولا، اسأل نفسك ماذا سيحصل لو قلت الحقيقة. لنأخذ أكثر الاكاذيب شيوعا:

"ما بك؟"
– لا شيء.
هذا التبادل الكلامي السلبي قد يقوِّض الالفة بين الزوجين. فمن السهل، بدل ذلك، أن نجيب بالآتي: "سأخبرك لاحقاً" أو "دعني أفكر في الامر أولا." هذا، على الاقل، يؤكد اعتقاد الشريك بوجود خطأ أو خطب ما.

ثانيا، اسأل نفسك هل يسعك استعمال اللباقة عوض الخداع. عندما قررت احداهن أنها لم تعد قادرة على مرافقة زوجها الى حفلات الاوبرا التي يحب، لم تقل له انها كانت تقرص جلدها لكي تبقى صاحية في الحفلات على مدى ثلاث عشرة سنة، بل قالت ببساطة: "أعتقد أنني اكتفيت من الاوبرا." واقترحت عليه أن يذهب مع صديق يكون من هواة النوع.

يقول كوشنر: "يستطيع شخصان أن يتحابّا من دون أن تكون لهما الاهتمامات ذاتها."

يصبح تجنب الكذب أكثر سهولة عندما ندرك أن قول الحقيقة لا يعني كشف كل شيء. لنأخذ مثلا ليزا كامبل، وهي مديرة في شركة دعاها صديق سابق الى غداء عمل. تقول: "كان وضعي حرجا لانني كنت ما زلت أكن له بعض الاعجاب. فوجدت نفسي أسجل خطوة ناجحة باعلام زوجي بالامر، كما أخبرت كل العاملين معي في المكتب." لكن ما لم تصرح به ليزا لاحد هو الاعجاب الذي ظلت تكنه لصديقها السابق.

ليس سهلا التمييز بين الخداع غير المؤذي والكذبة السامة. قال أحدهم: "أولئك الذين يحسبون أن لا ضير في الاكاذيب البيضاء، سرعان ما يصابون بعمى الالوان."

روني ساندروف ■

شمس الموسيقى

ولد موزار في سالزبورغ بالنمسا وولد باخ في المانيا. فهل تختلف موسيقاهما روعة وجمالا؟ كلا، انها عالمية. الجميع يقدرونها. فهل مغيب الشمس في باريس اجمل منه في طوكيو او مانيلا او بيكين؟ كلا، انه دائماً مغيب واحد، ومهيب.

سايجي اوزاوا، مدير اوركسترا بوسطن السمفونية

يونيسيكس!

لن يتحقق "تحرير النساء" حتى يأتي يوم...
تصبح المراة سمينة صلعاء وتبقى على اعتقادها انها لا تزال تجذب الجنس الآخر.
نقرأ عن امرأة شاردة الذهن تنطلق بسيارتها ناسية زوجها في محطة الوقود.
يتساوى عدد الرجال والنساء الذين يهرعون من اعمالهم الى المنزل لتحضير العشاء.

ج.س.

الحمية شبيهة بتسلق جبل: اذا زلت بكم القدم فلا تيأسوا من بلوغ القمة

معظم الذين يتبعون نظام حمية ينجحون في تغيير عادات أكلهم ونمط معيشتهم لفترة محدودة تبدأ بعدها المشاكل.

أنزلت دلال عشرة كيلوغرامات من وزنها على مدى ستة أشهر فجأة وجدت نفسها في أزمة. فقد اجريت جراحة لوالدتها واضطرت هي الى توزيع وقتها بين بيتها والمستشفى. ولانشغالها بالجميع الا نفسها، سرعان ما استعادت أربعة كيلوغرامات.

التزمت منى نظام حمية. وسارت الامور على ما يرام الى أن انتقلت عائلتها للسكن في مدينة أخرى، فشعرت بالضياع. وبعد هذا التبدل المفاجىء في نمط معيشتها أوقفت رياضة المشي الصباحية وأفرطت في تناول الطعام لتعويض شعورها بالقلق والوحدة والارهاق. فزاد وزنها أربعة كيلوغرامات.

لاتيأسوا



هذه الانتكاسات كثيرة الحدوث. وفي دراسة تناولت متّبعي أنظمة حمية وجد الباحثون ان ٣٢ في المئة من هذه الحالات مردّها الى عواطف سلبية، كالقلق والوحدة والحزن والكبت. وعزا بعض الذين شملهم البحث انتكاسه الى الصراع في العلاقات والضغوط الاجتماعية والمرض، بينما ردّ ٤٣ في المئة انتكاساتهم الى أوضاع عاطفية ايجابية، اذ اعتبروها وليدة تمتعهم بأوقات سعيدة. وأذهلت هذه النسبة الباحثين.

ينجح كثيرون في تخفيف وزنهم، لكنهم لا يلبثون أن ينحرفوا عن نظام الحمية ويفشلون في استعادة تصميمهم على اتباعها بسبب افكارهم السلبية حيال فشلهم. ان ردود الفعل تجاه الانتكاسة تقرر نجاح الحمية على المدى الطويل أكثر مما تقرره الانتكاسة ذاتها.

قالت منى عندما توقفت عن اتباع نظام حميتها: "لقد أخفقت." وتابعت الافراط في الأكل بسبب حالتها النفسية السيئة.

الّا أن رد فعل دلال كان مختلفا، وهي قالت لإحدى صديقاتها: "صحيح أنني استعدت أربعة كيلوغرامات، إلا أنني مصممة على الرجوع الى عاداتي الحسنة."

إن الافراط في الأكل واهمال التمارين الرياضية لمدة أسبوع لا يعنيان اخفاقا. الإخفاق هو في التساؤل: "ما الفائدة؟ سأبقى بدينا، ولا جدوى من المحاولة بعد اليوم." أما النجاح فهو في الاعتراف بالآتي: "لم أُفلح اليوم، إلا أنني أفلحت في الاسبوع الماضي، وسوف أفلح من جديد، بدءاً من الآن."

لا مفرّ من الانتكاسات الآنيّة، لكن مفتاح النجاح الدائم في التحكم بالوزن يكمن في تعلم السيطرة على هذه الانتكاسات. وهنا بعض النصائح الناجعة:

١. **واجهوا الحقائق**. غالبا ما نستعيد الوزن الذي نخسره لأننا نتصرف مثل النعامة التي تدفن رأسها في الرمل، فنتظاهر بأن المشكلة ستزول بدلا من الاقرار بوجودها. فأنت لا محالة في ورطة إن سمحت لنفسك بالقول: "استعدت كيلوغرامين فقط" أو "لم أغفل تماريني الرياضية سوى مرتين هذا الاسبوع."

تعلّم غازي هذه الامثولة بعد مشقة. فهو لم يجرؤ يوما على اطلاق العنان لنفسه في تناول الحلوى الغنية بالوحدات الحرارية. وعوض ذلك كان يقف امام الثلاجة ويقضم قليلا من الأيس كريم غير مدرك أنه يضيف خمسين وحدة حرارية الى مجموع الوحدات التي يتناولها يومياً. وخلال سنة استعاد كيلوغرامين ونصف كيلوغرام من الوزن الذي كان خسره.

إعترفوا بأهمية انتكاساتكم وتصرفوا على الفور. لا تقولوا يوم الاثنين: "لم ألتزم نظام الحمية اليوم، اذاً من الأفضل أن أنتظر الاثنين المقبل لأبدأ من جديد."

٢. **لا تبالغوا في الانفعال**. العقاب والحرمان هما من ردود الفعل الهدّامة. فالامتناع عن تناول بعض الوجبات لا

يشعركم بالانقباض فحسب بل يجعلكم تتبعون نمطا غذائيا غير صحي. وإذا حكمتم على أنفسكم بمزيد من التمارين الرياضية – كأن تسبحوا مئة شوط بدل عشرين – فسوف تكرهون فكرة الرياضة وقد تكون النتيجة الغاء التمارين كليا.

عندما كان أولاد نجوى صغارا، كانت تعقد العزم من وقت الى آخر على التزام قرار ما يحول دون زيادة وزنها. فتقسم على أنها لن تتذوّق الأيس كريم أو السكاكر أو الحلوى بعد اليوم مقنعة نفسها بأن تلك "مسألة ارادة فقط." وكانت تلتزم قسمها على مدى ثلاثة أسابيع، ثم تعود الى أكل الحلوى باحتفال صاخب، فتلتهم قطعتين من السكاكر ونصف كيس من الكعك المحلّى ونصف ليتر من الأيس كريم في أمسية.

إن مبدأ "كل شيء أو لا شيء" لا يتلاءم والطبع البشري. وقد توصلت نجوى الى قرار ناجح بتناول صنف واحد من الحلوى كل نهار جمعة، وهي لا تزال تنغمس في تناول الحلوى أحيانا، بيد انها تعلمت كبح جماح رغبتها، وباتت لا تلوم نفسها ولا تشعر بعقدة الاخفاق ان هي أفلتت زمام شهيتها يوما.

٣. لا تدعوا الخيبة تعوق التقدم. ركّزوا على النواحي الايجابية. كم فقدتم من وزنكم؟ كيف تغير جسمكم؟ وتذكروا أنكم وان استعدتم كيلوغرامين فما زلتم أخف وزنا من قبل. وليقل الواحد منكم: "لقد نجحت سابقا، ويمكنني أن أنجح الآن!"

٤. أعيدوا تقويم أهدافكم وعدّلوها. من الصعب جداً اقتلاع العادات المتأصلة. لكنّ تجزئتها وتحويلها أهدافا صغرى يسهّل المهمة.

أنقص جلال تسعة كيلوغرامات من وزنه، لكنه لم يستغنِ عن عادته في تناول الطعام ليلا. فعمد الى تحديد وجبته الليلية بـ١٥٠ وحدة حرارية. وفي الاسبوع الثاني خفضها الى ١٠٠، ثم الى ٥٠ في الاسبوع الثالث. ولمقاومة إغراءات الطعام بدأ يمارس لعبة كرة المضرب في بعض الامسيات. وبعد بضعة أسابيع أقلع كليا عن الاكل ليلا ولم يعد يشعر حتى بافتقاده.

بعد تعرضكم لانتكاسة خلال اتباع نظام حمية، تشعرون بالاحباط ازاء فكرة التزام نظام شامل للحمية والتمارين الرياضية. فاذا حدث ذلك فعليكم بتحديد أهداف أكثر واقعية.

اذا كنتم تخليتم عن تناول الخبز مع الزبدة ثم عدتم الى التهامهما بنهم، فيمكنكم تحديد هدفكم الجديد بتناول شريحتين من الخبز يوميا ولكن من دون زبدة. إن تحقيق مثل هذه الاهداف يولد لديكم زخما لوضع أهداف أكبر نصب أعينكم. وفي النهاية تنجحون في العودة الى عاداتكم الحسنة السابقة للانتكاسة.

٥. إستبقوا الاوضاع الخطرة. اذا كانت حياتكم معرضة لتغيير ما – كتسلم وظيفة جديدة أو الاحالة على التقاعد أو الانتقال الى منزل جديد – صمموا على تكييف هذا التغيير مع

قم وامشِ

التمارين الرياضية هي أحد العوامل الايجابية القليلة في المحافظة على وزن الجسم على المدى الطويل. ولكن، لسوء الحظ، لم تصل هذه الحقيقة الى عامة الناس الذين يفضلون التحول الى المرطبات "الخفيفة" القليلة الوحدات الحرارية على زيادة جهدهم الجسدي.

والجداول التي تبين مقدار الوحدات الحرارية التي يحرقها الجسم خلال كل تمرين تؤدي دوراً سلبياً اذ تثني متبعي الحمية عن ممارسة التمارين الرياضية. فالمرء يحتاج مثلاً الى الهرولة مسافة خمسة كيلومترات لكي يصرف ٢٧٥ وحدة حرارية تحويها قطعة حلوى لذيذة غنية بالزبدة.

ومع ذلك تبقى التمارين الرياضية حيوية في عملية خفض الوزن. وقد أكدت دراسة أجراها المركز الطبي في جامعة بوسطن على ذوي الوزن الزائد من ضباط الشرطة وغيرهم من الموظفين الرسميين، أن الذين اتبعوا نظام حمية من دون ممارسة تمارين رياضية استعادوا معظم وزنهم القديم، أما الذين مارسوا الرياضة كجزء من حياتهم اليومية فحافظوا على وزنهم الجديد.

اذا كنت كثير الجلوس وقررت الشروع في المشي مسافة كيلومتر ونصف كيلومتر يومياً، فان هذا التمرين الاضافي يحرق مئة وحدة حرارية اضافية في اليوم. واذا افترضنا أنك لن تزيد كمية طعامك، فإنك تستطيع خلال سنة أن تخسر أربعة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام، واذا زدت المسافة تدريجاً مع اجراء تعديلات غذائية أخرى، فإنك قد تخسر مزيداً من الوزن.

ROBERT G. HOLLAND IN PRIORITIES, PUBLISHED BY AMERICAN COUNCIL ON SCIENCE & HEALTH

واقعكم والمحافظة على رباطة جأشكم. فمشاعر الارهاق والقلق قد تؤدي الى أوضاع محفوفة بالمخاطر.

فاذا قال المرء: "إنني مرهق اليوم، وهذا يعني أنني سأفرط في الأكل وأخفف من التمارين الرياضية،" ففي وسعه وضع خطط تجنبه انتكاسة محتملة. وتلك الخطط قد تكون بسيطة مثل أخذ قيلولة بعد العمل أو الخلود الى النوم باكراً أو عدم مشاهدة التلفاز لأنه يثير الرغبة في تناول الطعام. قالت احداهن انها لا تنظر ابداً الى لائحة الطعام في المطعم، وأضافت: "وصف الطعام يغريني، لذلك أقرر سابقاً الطبق الذي أريد."

٦. لا تتوقعوا العجائب. يعتقد بعض الناس أنهم ان خفضوا وزنهم تبدلت حياتهم على نحو سحري، فتتحسّن حياتهم الزوجية أو يحصلون على ترقية في العمل أو يحظون بحياة اجتماعية أفضل. هذا تفكير غير واقعي. قد يحلّ خفض الوزن بعض المشاكل، أما بعضها الآخر فيبقى مموّها ليس الا. وقد تحفز الخيبة على الافراط في الأكل من جديد.

باشروا نشاطات جديدة مثل أن تفقدوا كل الوزن الذي تريدون أن تخسروه. إلعبوا كرة المضرب مثلاً، وارتدوا ثياباً تناسب القدّ النحيف، وجددوا حياتكم الاجتماعية. ضعوا أهدافاً بسيطة نصب

أعينكم، ثم ضعوا أهدافاً أخرى أكبر منها أثناء تعزيز ثقتكم بأنفسكم.

واذا كانت البدانة تعوق تقربكم من الناس وشعوركم بالرضى عن النفس وقدرتكم على التنافس، فمن السهل جداً عليكم أن تنسفوا التقدم الذي أحرزتموه. تفهموا مخاوفكم وكونوا لطفاء مع أنفسكم، اذ يمكنكم أن تعالجوا التغيرات من دون لجوء الى الافراط في الاكل.

تخيل أنك تحاول تسلق جبل حتى القمة، وانك مربوط بالحبال وقد قطعت مسافة طويلة لكن تقدّمك صار بطيئاً. فجأة تزل قدمك وتنزلق بضعة أمتار. عند هذا الحد، قد ترمي الحبال جانباً وتقول: "لن أنجح في الوصول الى القمة!" وقد تثبت قدميك وتتابع التسلق من جديد.

لا أحد يصل الى القمة من دون أن ينزلق أو يتوقف لسبب ما. ويفقد متبعو نظام حمية بعضاً من وزنهم ثم يستعيدون قليلا منه ثم يفقدون وزناً أكبر. والناجحون لا يتوقفون أبداً عن المحاولة.

الدكاترة مايكل هاملتون
ورونيت ل. كولوتكن
وديان ف. كوغبرن
ود.ت. مور
وكاثرين واترسن ■

كلب موعود برحلة

أخبرتني خالتي عن محادثة بين زوجين تناهت الى سمعها مصادفة في مخزن بقالة. كان واضحاً انهما ينويان الذهاب في رحلة يصطحبان فيها كلبهما. وبعدما تمعّنا طويلا في بعض أصناف طعام الكلاب قالت المراة لزوجها: "رأيي ان نذهب من دون الكلب، هذه المرة."

فرد الرجل بحدة: "لا يجوز أن نفعل ذلك، فقد وعدتُه بالرحلة!"

ل.ر.

لا مفر من السجن

قال متهم بالاختلاس لمحاميه: "الأدلة ضدي قوية جداً، لكنني أملك نصف مليون دولار، فهل تعتقد أنك تستطيع تبرئتي؟"

أجابه المحامي: "أضمن لك أمراً واحداً، وهو أنك لن تدخل السجن ما دمت تملك هذا المبلغ."

وهذا ما حصل فعلا، فقد دخل الرجل السجن معدماً.

و.ب.

هوليوود

هوليوود عالم ادعاءات وزيف. فالممثلون يتظاهرون بأنهم أشخاص آخرون. وحين ينتهي الفيلم يوهمهم المنتجون بأن ذلك حسن.

ك.ك.

حكايات من العالم

العريس الهندي

□ ■ تنتزع اعلانات الجرائد دور وسطاء الزواج التقليديين في أوساط الطبقة المثقفة في الهند، حيث نادراً ما يختار أيّ من الزوجين شريك حياته بنفسه. وتحفل الصحف صباح كل أحد باعلانات مبوبة تطلب "شباناً مثقفين ذوي مهن" أو "شابات حسناوات، قانعات، جامعيات." وصفة "قانعة" في مفردات الزواج الهندية تطلق على الفتاة التي تدرك كيف تصبح زوجة صالحة وإما صالحة وربة منزل ممتازة.
ويقول أ.ب. شارما رئيس قسم الاعلانات في صحيفة "هندستان تايمز": "نحن ننشر أكثر من ٤٥٠٠ اعلان زواج شهرياً، والعدد في اطراد. وقليل من هذه الاعلانات يتكرر، مما يدل على أن نسبة نجاحها عالية."

وكالة "اسوشييتد برس"

قفزة نيوزيلندية

□ ■ يقفز أحدهم عن جسر يعلو ٧٠ متراً فوق أحد الأنهر، ويحتال على الموت اذ يوقف سقوطه على أمتار قليلة فوق النهر حبل طويل مربوط حول رسغي قدميه. يبدو ذلك للناظر مجازفة سينمائية. لكنه في الحقيقة رياضة تدعى "القفز الحاد"* باتت جاذباً للسياح في بلدة كوينزتاون ذات المناظر الطبيعية الخلابة في جنوب الجزيرة.

وليست رياضة القفز هذه النشاط المتهور الوحيد الذي ساعد في تحويل نيوزيلندة بلداً حافلا بالاثارة. فهناك رياضات اخرى تحظى بشعبية مماثلة، ومنها القفز بالمظلة (الباراشوت) عن المنحدرات الجبلية والتسابق في ممرات نهرية ضيقة مزروعة بالصخور في زوارق نفاثة.
فلمَ الانجذاب الى هذه النشاطات الخطرة؟
ثمة تفسير لدى أ.ج. هاكت الذي يدير مع شريكه هنري فان آش موقعين للقفز الحاد في كوينزتاون. فهو يرى أن هذه الرياضة "تعزز الاحترام الذاتي. فأنت تؤدي عملا تعارضه كل غرائزك الجسدية، فيغمرك شعور رائع في ما بعد."

و.ب.

(*) Bungy Jumping

الوقت الامريكي

□ ■ أجرت مؤسسة توظيف عالمية دراسة شملت اداريي مئتين من كبرى الشركات الأمريكية، تبين بنتيجتها أن الناس يهدرون نحو شهرين من كل سنة في حضور اجتماعات غير ضرورية، كما يهدرون شهراً آخر في قراءة مذكرات ادارية تافهة وكتابتها. وبيّنت الدراسة أيضاً أن الشركات الكبيرة تضيّع وقتاً أكثر مما تفعل الشركات الصغيرة، اذ ان هذه أكثر استعداداً لرفض الاجراءات التي لا تنفع.

ر.ب.

قصة قصيرة

التلميذ الشاطر

حرمني كل ما نعمتُ به من مجد سابق. وفي هزيمته حرمني لذة الانتصار

أثناء درسنا اللغوي الاول في الصف الابتدائي السادس كانت المعلمة تعرفنا الى بعض المفردات اللغوية الجديدة، فقالت لنا: "ايجابي. أن يكون المرء ايجابيا يعني أن يملك روح المبادرة وأن يجاهد في سبيل التقدم. من منكم يعرف ما هو الضد لكلمة ايجابي؟"

لم يكن هنالك جواب ولكن توجهت النظرات الي لانني منذ حداثتي كنت بطلا في عيون رفقاء صفي. كنت دائماً عريف الصف، وسُمِّيت "التلميذ المثالي" سنة بعد سنة حائزاً أعلى العلامات في كل امتحان. أما الآن فصمتُّ منتظراً جواب المعلمة، لانني اذا لم أعرف أنا الجواب فما من احد آخر سيعرفه.

فجأة رأيت يدا مرفوعة. كانت يد وو كوي فن وهو فتى هزيل جديد في صفنا. قال: "سلبي." وللحظة تمنيت لو تنشق الارض وتبتلعني، اذ ان ذلك لم يحدث قبلا. وأخذتني الدهشة وبدت عليّ أمارات الانفعال.

بعد اسابيع عدة عُلِّقت نتيجة الامتحان الشهري الاول، وللمرة الاولى في حياتي حللت في المرتبة الثانية اذ سبقني وو كوي فن بسبع نقاط وحصل على علامات كاملة في خمسة مواضيع، فشعرت بالاذلال وبكيت طوال الليل.

ولاحظت سريعاً أن احترام رفقاء صفي لي يتضاءل، ولم أعُد رفيقهم المحبوب ومثلهم الاعلى، لان هنالك من هو أحسن مني. وخِلْتُني أنخسف في



CONDENSED FROM «THE NEW BOY IN GRADE SIX,» © 1986 BY FU FENG - CHI. FROM THE BOOK «ALL MY LIFE EXAMINATIONS,» EDITED BY KU LING, PUBLISHED BY SITAK PUBLISHING & BOOK CORP., TAIPEI, TAIWAN. ILLUSTRATION: CLIFF SPOHN

صدع من الارض، وأقسمت أن أسترد مكانتي المفقودة.

في الشهر التالي أبديت انتباهاً أكثر في الصف، مع أنني بين حين وآخر كنت ألتفت الى يساري حيث جلس وو كوي فن، فأراه مُثبِّتاً نظره في المعلمة كأنه يحلل مسألة.

ثم أتى الامتحان الشهري الثاني فتفوق عليّ وو كوي فن من جديد، مع أنني كنت أصوِّب الفكر والانتباه الى كل سؤال. فتأخرت عنه هذه المرة بأربع علامات.

ومع مضي الوقت استمرت مكانتي في التأكل. وهو تفوَّق علي في كل ما امتزت به سابقاً. وعيّنه الاستاذ هو ممثلا للصف في مباراتي الخطابة والخط، شارحاً أنه حان الوقت لكي نعطي القادم الجديد فرصة بعدما اشتركت أنا في كثير من هذه المسابقات. وكانت النتيجة أن حاز وو كوي فن الاولية في المباراتين.



ولحسن الحظ شاركت وو كوي فن في تمثيل صفنا في مباراة الانشاء. لكنني كنت خائفاً جداً، اذ لم يكن بمقدوري أن أخسر مرة أخرى لأنني اذذاك لن أستطيع أن أرفع رأسي ثانية.

وكان عنوان موضوع الانشاء "طموحي." فكتبت بعناية: "انني أرغب في أن أصبح طبيباً يوماً ما، لان في وسع الاطباء أن يخففوا آلام المرضى ويعيدوا الحيوية الى الناس الذين طمسهم اليأس و..." واسترسلت أسكب مشاعري بجدية وصدق حتى تأثرتُ أنا بما كتبت.

في الاسبوع التالي أعلن مدير المدرسة نتيجة المباراة: "الرابح عن الصف السادس هو وو كوي فن، وقد حلّ هسو هونغ في المرتبة الثانية."

بعد انتهاء كلمة المدير توجهت نحو وو متصنعاً ابتسامة وقلت له: "تهانيّ! عن أي طموح كتبت؟"

أجاب: "معلم مدرسة ابتدائية. انني رغبت دائما في أن أكون أستاذاً في مدرسة ابتدائية." اذاً هذا ما كان! ان وو كوي فن هو حقيقة ماكر بعيد النظر.

طموح زائف! أثناء استراحة الغداء قرأت موضوع وو على لوحة الاعلانات. وجاء فيه: "بالنسبة الي، أن أكون معلماً هو الامل الاحلى في الحياة. نحن كلنا نحب معلمينا، وأرجو أن أحوز محبة تلاميذي في يوم من الايام. وأنا أحب مادة اللغة أكثر من جميع المواد، وأرغب في أن أصبح معلم لغة يوماً..."

هذا هو طموحه طبعاً! خصوصاً أن حكام مباراة الانشاء هم دائماً معلمو لغات. وماذا يمكن أن يكونوا غير ذلك؟ مدرِّبي رياضة؟ لم يكن الحكام متحاملين فقط، بل حمقى أيضاً.

وكلما مرّت الايام شعرت بالهزيمة أكثر. واحتل وو كوي فن مكاني قرب الضارب في فريق البيسبول (كرة القاعدة) لأن المدرب وجده أكثر رشاقة. ونُقلت أنا الى القاعدة الثانية، وفي كل مباراة كنت ألتمس من الله أن تصدر عن وو هفوة، لكنه لم يخطىء قط.

وكانت هنالك مباراة واحدة تقرر ما اذا كانت مدرستنا ستمثل مدينتنا في المباراة الاقليمية بين المدارس. وخلال تلك المباراة بقي التعادل سائداً حتى الجولة الاخيرة، ولم تسجل أي اصابة. ثم أخذ المضرب لاعب من الفريق الآخر ورمى طابة قوية سريعة الدوران أفلتت من يدي الرامي في فريقنا وحلّت بيني وبين وو كوي فن الذي اندفع نحوها وألقى بنفسه على الارض وأمسك بها، وفي مثل غمضة عين تقلّب ووقف على رجليه ثانية ومرر الطابة بدقة الى القاعدة الاولى، فدوت في الملعب صيحات متهللة وهتافات استحسان.

وأخيراً ربحنا المباراة بثلاث نقاط في مقابل واحدة خسرناها بسبب ارتكابي اخطاء عدة. وعندما أخبرت المدرب الرياضي بعد ظهر اليوم التالي برغبتي في ترك الفريق لم يزعج نفسه ليقنعني بالبقاء.

الساعة المسروقة. قبل شهر من بدء عطلة الشتاء حصل حَدَث كبير في الصف اذ فقد زميلنا فاتي ساعة يده. ولم يكن يحب أن يحملها، لذا اعتاد أن ينزعها من يده عند وصوله الى المدرسة ويضعها داخل درج طاولة الكتابة. وكانت العادة كلما فُقد شيء ثمين أن يُفتَّش الصف كله، وذلك بأن يتحقق كل تلميذ من أمتعة جاره. ولكن مر نصف ساعة ولم يظهر أي أثر للساعة. وعند ذلك نبّهنا الاستاذ هو الى ضرورة الاهتمام أكثر بممتلكاتنا الشخصية في المستقبل، وانتهى الامر عند هذا الحد.

وبعد أسبوع حصل حادث مماثل، اذ اشتكى رفيق آخر من ضياع قلم حبر. وكالعادة، تحققنا من أمتعة جيراننا، ولكن لم يُسترد القلم الضائع قط، وبدلا من ذلك اكتشف تلميذان آخران أنهما اضاعا قلميهما ايضاً. فتصلّب وجه الاستاذ هو وأخرجنا الى الممشى وقال: "يا أولاد، انني أعرف حيلة سحرية: سأرسم دائرة على راحة اليد اليمنى لكل منكم، وبعد ذلك تطبقون قبضتكم وتدورون حول حرم المدرسة مرة واحدة. وسوف تختفي الدائرة من يد البريء وتبقى في يد المذنب، وسنعرف اللص لدى رجوعكم." وأمرنا بالانطلاق موضحاً أنه يسمح لنا بدخول المرحاض اذا قضت الضرورة.

ذهبت الى المرحاض وألقيت نظرة على الدائرة في راحتي وابتسمت عالماً أن الحمقى فقط سيزيلونها. وعندما رجعنا لم تكن أي دائرة اختفت.

تكلمنا عن هذا الحادث أياما عدة ثم صرفنا النظر عنه. وبينما كنا نستعد للانصراف ذات يوم توجه فاتي نحو الاستاذ هو وعلائم الحزن على وجهه وقال له: "يا معلمي، لقد ضاعت ساعتي الجديدة التي اشتراها لي أبي بثلاثمئة دولار."

وكان تفتيش. وكنت على وشك أن أفتح مقلمة التلميذ الذي بجانبي حين سمعت أحد الرفقاء يصرخ: "يا معلمي، الساعة هنا!" كان شن تا من يمسك ساعة فاتي بيده، وهو أخرجها من حقيبة... وو كوي فن!

ساد الغرفة سكون رهيب. وحار كل واحد في أمره فيما احمرّ وجه وو كوي فن وأطبق يديه بشدة. قال الاستاذ هو: "يا وو كوي فن، تعال الى مكتبي. أما أنتم فيمكنكم أن تذهبوا." تبع وو كوي فن الاستاذ وبقينا نحن نتداول ما جرى:

"ما المنفعة من التفوق العلمي؟ أنا أفضل أن أحلّ أخيراً في كل امتحان على أن أسرق."

"لم يظهر عليه أبداً أنه من ذلك النوع."

"هاي! وأنا عاملته كأنه صديقي المخلص."

فانزعجت كثيراً ولم أستطع أن أتحمّل مزيداً فتوسلت قائلا: "يا رفقاء صفي الاعزاء، نحن غير واثقين حتى الآن بأن وو كوي فن مذنب. وإن يكن مذنباً، أفلا ينبغي لنا أن نتعلم التسامح؟" ولكن ما من أحد وافقني.

طعم الهزيمة. عندما وصلت الى صفنا في اليوم التالي قرأت على اللوح الاسود عبارة "وو كوي فن سافِر وقح." وكان وو جالساً في مقعده مطأطأً الرأس يرتجف في كل ناحية من جسمه، فمحوت الكلمات وأعلنت: "مِن الآن فصاعداً لا يُسمح لاي تلميذ بأن يستعمل اللوح لغير الدرس."

ثم دخل الاستاذ هو الغرفة وقال: "لا أعتقد أن وو كوي فن أخذ الساعة البارحة، وآمل أن تثقوا به كلكم." ولكن لم يتحدث أحد الى وو كوي فن، بل تكلم الجميع عليه في غيابه. وكنت أدافع عنه كلما سمعت انتقادات بغيضة في حقه.

وبعد ثلاثة أيام قدمنا امتحان نصف السنة. وسارت الامور معي حسناً، وكنت أحياناً أسترق النظر الى وو كوي فن فأراه جالساً خائر النفس لا يكتب.

وفي يومنا الاخير قبل العطلة عُلقت نتائج الامتحان، فاستردت مرتبتي الاولى في الصف متفوقاً على وو كوي فن بأكثر من ٤٩٨ علامة. اذ هو حصل على خمسة أصفار. فاستحققت الثناء الفصلي من المعلم ورجعت الى مقعدي مبتسماً. وبعدما صرفنا الاستاذ هو وقف وو كوي فن أمام الطاولة وقال: "يا رفقاء الصف، لا أتصور أنني سأحظى بثقتكم، وقد قررت أن أرجع الى مدرستي القديمة في الفصل المقبل. لكنني سأتذكركم كلكم كأصدقاء مخلصين. شكراً."

وانقضت أيام عطلة الشتاء. وفي اليوم الاخير تلقيت رسالة من دون طابع بريدي ولا عنوان وعليها اسمي فقط. ففتحتها بسرعة، فماد رأسي اذ وقع نظري على رسالة بخط يدي كتبت فيها على رأس الصفحة: "خطة الهجوم على وو كوي فن."

كنت خبأت هذه الورقة في مقلمتي، وقد ألقيت نظرة عليها بعد الامتحان. فكيف وجدها مَنْ وجدها؟ والتقطت الغلاف بحذر شديد علّني أعرف من هو المرسل، فسقطت منه ورقة زرقاء جاء فيها:

"هسو هونغ،

"أوليت هذه الورقة كثيرا من التفكير، وقررت أن أرجعها اليك. في أول يوم بعد الامتحان تخلفتُ عن الآخرين لأفكر في طريقة أشرح بها حادث السرقة لرفقاء صفنا، فرأيت ورقة على الارض. تخيَّل الصدمة التي أُصبت بها وكم كنت هائجا. لقد بات في امكاني أن أبرىء نفسي، لكني عدلت عن رأيي. فأنا مررت بتجربة قاسية كنت فيها متهما أمام الجميع، فلماذا أدع صاحبي اللطيف يتعذب هو أيضا بتجربة مماثلة؟

"فيا هسو هونغ، ان الغلط من طبيعة الانسان. وسنظل أصدقاء. وأنا أتمنى لك فصلا جديدا ناجحا.

صديقك المخلص

وو كوي فن"

انحدرت الدموع على خدي، وذقت للمرة الاولى طعم الهزيمة الحقة.

فو فنغ - تشي ■

هل تلاحظ وانت تقود سيارتك ان الابطأ منك أحمق والاسرع منك مهووس؟

ج.ك.



مسافر في قطار أدهشني وأبكاني

عندما نجتمع أنا وأشقائي وشقيقتي فلا بد لنا من التحدث عن والدنا. فنحن جميعاً ندين له بنجاحنا في الحياة، كما ندين أيضا لرجل مكتنف بالاسرار صادفه أبي ذات ليلة في قطار.

ولد أبي سيمون ألكسندر هايلي عام ١٨٩٢. ونشأ في بلدة سافانا الزراعية في ولاية تنيسي. وهو الولد الثامن لجدنا أليك هايلي الذي كان عبداً قوي الارادة في ما مضى ثم أصبح مزارعا محاصصا.* وأمه امرأة اسمها كوين.

كانت جدتي حساسة وعاطفية، وحازمة أيضا. وكان أحد طموحاتها أن ترى أبي متعلما.

(*) المحاصِص مزارع يستغل الارض لمصلحة المالك في مقابل جزء من المحصول.

ILLUSTRATION: ROBERT STEELE

في تلك الايام في سافانا كان الولد يعتبر "غير نافع" إن هو بقي في المدرسة في سن تخوِّله القيام بالاعمال الزراعية. وعندما وصل أبي الى الصف الابتدائي السادس راحت كوين تدغدغ غرور جدي: "لقد رزقنا الله ثمانية أولاد، أفلا يرفع مقامنا أن نضحي بأحدهم فنعلمه؟"

وبعد مناقشات طويلة سمح جدي لوالدي بانهاء الصف الثامن، على أن يعمل في الحقول بعد دوام المدرسة.

الا أن كوين لم تكتفِ. فحالما أنهى أبي الصف الثامن راحت تزرع أفكاراً في رأس جدي مؤكدة له أن مكانته ستكون أرفع إن التحق ابنه بالمدرسة الثانوية.

ونجحت خطتها، فرضخ أليك هايلي العجوز الصارم، وناول أبي خمس ورقات نقدية من فئة الدولارات العشر استحقها بكده وتعبه، ونهاه عن طلب المزيد، وأرسله الى المدرسة الثانوية.

سافر والدي أولا في عربة يجرها بغل، ومن ثم في قطار هو الاول الذي رآه في حياته. وانتهى الى مدينة جاكسون في ولاية تنيسي حيث انتسب الى الكلية التحضيرية لجامعة لاين، وكانت هذه مخصصة للزنوج.

وسرعان ما استهلك والدي الدولارات الخمسين. ولمتابعة دراسته عمل نادلا وعاملا في ورشة ومساعداً في مدرسة للصبيان المشاكسين. وفي فصل الشتاء كان ينهض في الرابعة فجراً ويذهب الى منازل البيض الميسورين ليضرم النار في مواقدهم فيستيقظون مرتاحين دافئين.

أصبح سيمون المسكين أضحوكة المدرسة بسرواله وحذائه اليتيمين وعينيه الناعستين. وكثيراً ما كان يُرى نائما والكتاب في حضنه. ونال منه الصراع المتواصل لجني المال، فساءت علاماته، الا أنه ثابر على الدرس منهياً المرحلة الثانوية. ثم التحق بالجامعة التقنية والزراعية في غرينسبورو، حيث كافح خلال السنتين الجامعيتين الاوليين.

وبعد ظهر يوم كئيب في نهاية سنته الثانية استدعي إلى مكتب أحد الاساتذة وأُعلم برسوبه في مادة كانت تتطلب كتابا عجز والدي عن شرائه.

فتملكه شعور ثقيل بالهزيمة. لقد بذل قصارى جهده لسنوات، وها هو الآن يشعر بأنه لم يحقق شيئاً. ربما يجدر به أن يعود الى بلدته، الى قدره الاساسي، الى المحاصَصة.

ولكن بعد أيام تلقى رسالة من شركة "بولمن" للنقل البري تعلمه بأنه واحد من أربعة وعشرين جامعيا زنجيا اختيروا من بين مئات المرشحين للعمل خلال الصيف مضيفين في عربات النوم في قطارات الشركة. وغمره الابتهاج، فها هي فرصة سانحة أمامه. والتحق بعمله متشوقاً، فعين على خط بافلو – بيتسبرغ.

وذات ليلة قرابة الثانية فجراً، وبينما القطار ماض مسرعاً، رن الجرس في مهجع والدي، فقفز عن سريره وارتدى سترته البيضاء وتوجه نحو مهاجع الركاب حيث طلب منه رجل وقور كوبين من

الحليب الساخن لأنه كان وزوجته يعانيان أرقاً. أحضر والدي كوبي حليب وفوطتين على صينية فضية. فناول الرجل زوجته أحد الكوبين من خلال ستارة وراح يرشف من كوبه وهو يتحدث الى والدي.

كانت قوانين شركة "بولمن" تحظر على المستخدمين التحدث الى الركاب الا في حدود "نعم يا سيدي" أو "لا يا سيدتي." إلا أن هذا الراكب ظل يطرح أسئلة، حتى انه تبع والدي الى مهجعه وهو يسأله:

"من أين أنت؟"

– من سافانا بولاية تنيسي يا سيدي.

"انك تحسن الكلام."

– شكراً يا سيدي.

"ماذا كنت تعمل من قبل؟"

– انني طالب في الجامعة التقنية والزراعية في غرينسبورو يا سيدي.

نظر اليه الرجل مطوّلا. وأخيراً تمنى له التوفيق وعاد الى سريره.

وفي الصباح وصل القطار الى بيتسبرغ. في تلك الايام كانت الخمسون سنتا تعتبر اكرامية محترمة، لكن الرجل ناول والدي خمسة دولارات، فأخذها منه بكثير من الامتنان.

ذلك الصيف ادّخر والدي كل ما جناه. وعندما انتهى عقد العمل كان جمع ما يكفيه لشراء بغل ومحراث. لكنه أدرك أيضاً أن مدخراته قد تسد نفقات فصل دراسي كامل في الجامعة من دون اضطرار الى العمل! ورأى أنه يستحق فصلا دراسياً خالياً من الاعمال الخارجية، فتلك هي الطريقة الوحيدة لمعرفة العلامات التي يمكنه الحصول عليها حقاً.

عاد الى الجامعة. ولم يكد يدخل حرمها حتى استدعاه الرئيس.

ملأ الخوف قلب أبي عندما جلس قبالة الرجل الكبير. فبادره الرئيس: "لدي رسالة هنا يا سيمون."

– نعم يا سيدي.

"كنت مستخدماً لدى شركة بولمن هذا الصيف، أليس كذلك؟"

– نعم يا سيدي.

"هل التقيت رجلا مميزاً ذات ليلة وأحضرت له حليباً ساخناً؟"

– نعم يا سيدي.

"حسناً، انه السيد ر.س.م. بويس وهو مدير متقاعد لدار "كورتس" للنشر التي تصدر صحيفة "ستورداي ايفنينغ بوست." لقد تبرع بمبلغ ٥٠٠ دولار لتسديد نفقات سكنك وطعامك وتعليمك وكتبك لسنة دراسية كاملة."

أصيب والدي بالذهول.

تلك الهبة المفاجئة لم تمكّن سيمون هايلي من انهاء دراسته في الجامعة فحسب، بل مكنته أيضاً من التخرج بتفوق. وأهّله ذلك الانجاز لمنحة كاملة في جامعة كورنيل في ايثاكا بولاية نيويورك.

في العام ١٩٢٠ انتقل والدي الى ايثاكا ولمّا يمضِ وقت طويل على زواجه بوالدتي بيرثا.

دخل جامعة كورنيل لنيل شهادة الماجستير. أما والدتي فالتحقت بمعهد

الموسيقى في ايثاكا لتتعلم العزف على البيانو. وولدت أنا في السنة التالية.

وذات يوم، بعد عشرات السنين، دعاني محررو الـ"ستـرداي ايفنينغ بوست" الى مكاتبهم في نيـويورك لمفاوضتي في مسألة تلخيص كتابي الاول "سيرة مالكوم اكس." كنت فخوراً ومسروراً لجلوسي في تلك المكاتب الفخمة. وفجأة تذكرت السيد بويس الذي أتاح لي كرمه أن أجلس هناك بين أولئك المحررين الكبار... مؤلفاً. لم أستطع ضبط تأثري، فأجهشت في البكاء.

كثيراً ما نفكر، نحن أبناء سيمون هايلي، في السيد بويس والاستثمار الذي وظفه في انسان أقل منه حظاً، فأفدنا نحن أيضاً من فيض كرمه. فبدل أن ننشأ محاصصين في مزرعة، ربينا في منزل يديره أبوان مثقفان وفيه رفوف مليئة بالكتب. كما نشأنا على الفخر بأنفسنا. شقيقي جورج هو رئيس لجنة الرسوم البريدية في الولايات المتحدة. وجوليوس مهندس معماري. ولويس أستاذة موسيقى. وأنا كاتب.

لقد حلّ السيد ر.س.م. بويس بركة في حياة والدي. وما يراه البعض مصادفة سعيدة أراه أنا عمل قوة تتوخى الخير.

وأعتقد أن كل من أعطي نعمة النجاح عليه واجب اعادة جزء من هذه النعمة. علينا جميعاً أن نعيش ونعمل مثل ذلك الرجل المسافر في القطار.

أليكس هايلي ■

الكاتب محرر متجول في الـ"ريدرز دايجست" ومؤلف كتاب "جذور" الذي يروي فيه قصة أسلافه الافريقيين ويعتبر من روائع الادب المعاصر.



ستائر

أمضيت يومي أتسوق مع طفلي الذي يبلغ الثالثة من عمره، ودخلنا عدداً لا يُحصى من غرف تجربة الملابس. وفي طريق العودة الى البيت توقفنا أمام مركز انتخابي، فنظر الصبي الى كشك الاقتراع المغطى بالستائر ثم سألني: "بابا، هل انت مضطر الى خلع ثيابك حين تقترع؟"

ج.ب.

وَزَّةٌ في الفرن

رأيت يوماً في مزرعتي وزّة بيضاء سمينة وقد أوت الى خمّ الدجاج. ولاقتناعي بأنها تخصُّ أحد الجيران، اتصلت بمخفر الشرطة علّ أحدهم يخبرني بما أفعل. فرد علي شرطي طلب مني الانتظار ريثما يتحقق من الأمر. وعندما عاد الي قال: "سيدتي، باشري بتحمية الفرن حتى ٤٠٠ درجة مئوية..."

ن.ن.



كان قلبي يموت
ولا رجاء لي
إلا بقلب جديد

« في صدري قلب جديد! »

لن أطلب سيارة اسعاف!

على رغم لهاثي وأنا أجهد لازرّر قميصي، والهلع الذي انتابني من احتمال أن يستسلم قلبي العليل أخيراً، لم أصدق أنني مشرف على الموت. فكرت في أن ضوضاء سيارة اسعاف ستسبب لي احراجاً كبيراً. لا! سأحافظ على هدوئي وأطلب سيارة أجرة.

لكنني اذ خرجت الى الشارع ذلك الخميس البارد في ١٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩، أدركت أنني في مأزق. كنت مضطراً الى السير حوالى ٣٠٠ متر، ولم أتمكن من قطع عشرة أمتار من دون أن اتوقف. كانت رئتاي تمتلئان بالسوائل وتغرقانني ببطء. اتكأت على سيارة جاهداً لالتقاط أنفاسي. ثم تقدمت خطوات قليلة واستندت الى عمود هاتف... فبضع خطوات أخرى، وتثبتت بصندوق بريد. فعلت كل هذا من دون ان أكره نفسي على الصراخ: "رجاء! انني في حاجة الى مساعدة!"

واقع الامر انني كنت أعاني هذه الاعراض مرة على الاقل في السنة منذ العام ١٩٨٣، وكنت في الرابعة والاربعين، عندما انبأني الاطباء بأنني مصاب باختلال انحلالي مزمن[١] في عضل القلب، وأن تمضية بضعة ايام في المستشفى كفيلة بتنشيطي كل مرة.

لكنني لم أجهد قط لالتقاط أنفاسي كهذه المرة، وكأنني كنت أعدو ورأسي داخل كيس من النايلون. أسندت ظهري الى عمود انارة لاشير الى سيارة أجرة. لم أعد قادراً على التنفس حتى وأنا ساكن. ماذا لو متُّ هنا على الزاوية؟ انني مدين لعائلتي، على الاقل، بالا أدع ذلك يحدث. فعبرت الشارع الى كشك هاتف عمومي وأدرت القرص على الرقم ٩١١،[٢] وما هي سوى دقائق حتى ألفيتني في سيارة شرطة في طريقي الى مستشفى جامعة هاهنمان في فيلادلفيا.

كنت، عندما وصلنا الى المستشفى، بدأت أشعر بفقدان الوعي بسبب نقص الاوكسيجين. وأتذكر الآن كيف أن أناساً هرعوا نحوي وأخذوا يلصقون أقطابا كهربائية بجسمي ويغرزون ابرا في أوردتي.

كان الاطباء يتشاورون في أمري. وسمعت أحدهم يقول: "استسقاء في الرئتين."[٣] وقال آخر: "أحضروا أنبوبة قسطرة." وهذه اداة قياس فاعلة تدخل في القلب عبر الوريد الوداجي.[٤] وسببت لي هذه العملية آلاما مبرحة أفقدتني الوعي.

لم أعد أعي مسار الزمن. لكنني أذكر وصول عائلتي ومزيد من الاطباء، وأحاديث مهموسة. وأنبأني وجها ابنتي غيليان (١٨ عاما) وابني جيريمي (١٦ عاما) بأن موتي كان متوقعاً في أي لحظة.

ليس بعد! كانت فرصتي الوحيدة تبعد ٣٠ شارعا حيث برنامج زرع القلب في مستشفى جامعة تمبل. كان علي، لأبقى حيا، أن أخسر قلبي القديم، أساس وجودي. وتعين على الاطباء أن يفصلوه عني كما يفصل مكربن (كاربوراتور) بال من محرك سيارة، وابداله بقلب رجل ميت. انه واحد من منجزات الطب التي لا يلجأ

---

(١) Cardiomyopathy
(٢) رقم هاتف الطوارىء.
(٣) Pulmonary edema
(٤) Jugular

اليها في سوى الحالات الاكثر الحاحا. انه طريق خلاصي الوحيد.

كان الاطباء في مستشفى تمبل قرروا حاجتي الى قلب مزروع في الربيع السابق، لكنهم أعلنوا آنذاك أن وضعي الصحي لا يستدعي اجراء الجراحة بعد. أما الآن فقد تدهورت صحتي الى حد تعذر معه نقلي من مستشفى هاهنمان.

في وقت متقدم من تلك الليلة، وأنا وحيد في غرفة العناية المركزة، رأيت في الضوء الخافت صورة تركتها غيليان على المنضدة قرب سريري. كنت في الصورة رجلا مكتمل الصحة، يحيط بي ولداي، درتا حياتي. وهي كتبت على قصاصة الصقت بالصورة: "الظرفاء الثلاثة" و"بابا، اننا نحبك." حدقت الى الصورة وفكرت في نفسي: "لا أريد أن أترككما. ليس الآن، ليس بعد..."

الامر التالي الذي أذكره هو أنني أفقت وقلبي يخفق بعنف في ايقاع فائق السرعة مميت يدعى "الخفقة البطينية."[٥] انطلقت أصوات انذار وهرع الي نحو عشرة اشخاص، تكوّموا فوقي كأنهم لاعبو كرة قدم أمريكية. رفع طبيب قبضته في الهواء وأنزلها بقوة على صدري، ثم أعاد الكرة. صرخ أحدهم فجأة أن نبض قلبي عاد طبيعيا. واستغرقت بعد ذلك في نوم عميق، وأفقت في اليوم التالي وقد ملكتني الدهشة: انني ما زلت حياً!

تكرر العَرَض نفسه في الليلة التالية. لكن وضعي أخذ في الاستقرار لاحقا، ومع ذلك لم يكن نقلي ممكناً بعد. بدأ الانتظار يمضّني لانني، مع ثقتي بمهارة الجسم الطبي في مستشفى هاهنمان، كنت أعرف أنه لم يكن في هذا المستشفى برنامج لزرع القلب. في هاهنمان لا يسعني الا أن أموت. وبدأت افكر: "اذا كنت سأموت، فليحدث ذلك بسرعة."

وأقلق تفكيري هذا ابني جيريمي، فكتب الي:

"أبي العزيز،

"أنني أدرك مدى صعوبة الامر عليك. لكن هذه عقبة بسيطة على الدرب. وسنبقى، أنا وغيليان، ملازمين لك سنين كثيرة. لا تقلق يا أبي مما يجري في المستشفى، فهو سينقضي قريبا. اننا نحبك.

جيريمي."

في خضم محنتي في هاهنمان تلقيت رسالة من نوع آخر. كنت مستلقياً في فراشي وولداي بقربي، يكتنفني احساس بأنني أتعفن. فجأة غمرني شعور رائع بالسلام والطمأنينة، كأنما غمامة خير هبطت عليّ وأنبأتني بأن كل شيء سيكون على ما يرام.

لم يدم هذا الشعور أكثر من خمس دقائق، لكني موقن أنه لم يأتِ من داخلي، بل من جهة أسمى...

أصبت مدى الايام التالية، بالتهاب رافقه ارتفاع في الحرارة. ومع ذلك دخل طبيب غرفة العناية المركزة في ليل ٣١ يناير (كانون الثاني) – بعد اثني عشر

(٥) Ventricular tachycardia

يوماً على فشلي في العثور على سيارة أجرة – وقال لي: "لقد تحسنت ما يكفي لنقلك. ستغادرنا الى مستشفى تمبل في نحو ساعة."

كانت هذه بارقة الأمل الاولى. فقد ثبّتني ممرّضون على محمل نقّال ووضعوا قناع أوكسيجين على وجهي، ثم توجهوا بي عبر ممشى الى خارج المستشفى فالى سيارة اسعاف.

كان أول ما تعين على الاطباء في تمبل عمله هو انزال حرارتي التي ارتفعت الى ٤٠ درجة مئوية. أعطوني مضادات حيوية (أنتيبيوتيك) ثم لفوني بملاءة كهربائية وُصلت بوحدة تبريد. كنت كمن يستلقي على صفحة بحيرة متجمدة. وامتصت الملاءة الحرارة من جسدي بسرعة فشعرت بارتياح.

لكن العطش بدأ يدفعني الى جنون مطبق. عطش رهيب لا يرحم. لكن مزيداً من الماء في الجسم يعني مزيداً من اجهاد للقلب. وكانت السوائل التي تدخل جسمي عبر الحقن الوريدية والعقاقير السائلة لا تسمح بتناولي الماء الا بكميات قليلة جداً.

كانت الممرضة تأتيني بالطعام، فترفع غطاء الطبق ثم تصادر كل السوائل، وحتى حلوى الهلام (جيلو)، فيما أنا أراقبها بشفتين جافتين. كان ذلك عذاباً، ووجدتني أجادل الممرضات بحدة معارضاً تصنيفهن الهلام والمهلبية في عداد السوائل فيكتفين بالاعراب عن أسفهن.

رأس اللائحة. كان فصل الشتاء يمضي والوقت المتبقي لي ينفد. وأدركت أنا والاطباء أن فاعلية العقاقير التي كنت أتناولها لابقاء قلبي نابضاً، لن تعمل طويلا. ولم أكن حتى ذلك الوقت متأكداً من قبولي في برنامج زرع القلب.

صممت على ادراج اسمي في قائمة الانتظار. فصرت، كلما التقيت شخصا له علاقة ببرنامج الزرع، أوزع ابتساماتي وأداهن وأجهد لاقناعه بأنني مرشح مثالي. أردت قلباً جديداً. أردت أن أحيا!

وكنت أعرف أن الاطباء يراقبونني. وذات يوم سألت الدكتور مارييل جيسوب، طبيب القلب المسؤول عن حالتي، هل اسمي مدرج في اللائحة. فأجابني: "بالتأكيد! انك في رأسها."

كانت تفاصيل حالتي أُدخلت كمبيوتر "الشبكة المتحدة لتقاسم الاعضاء" في ريتشموند بولاية فيرجينيا. وكنت، نظراً الى خطورة وضعي، أُدرجت في "المرتبة الرقم ١" أعلى الاولويات.

وبدأ البحث. كنت في انتظار مصيبة شخص آخر: اصطدام، جريمة، حادث ينهي حياة انسان آخر... ويزودني الحياة.

مرّت أسابيع، وتثاقل الملل والعطش خلال فبراير (شباط) ومارس (آذار). كنت أدرك أنني لم أعد أملك كثيراً من الوقت. أخيراً، يوم الخميس ٩ مارس (آذار)، دخل غرفتي الدكتور جاكوب كولف كبير جرّاحي القلب في مستشفى تمبل وقال لي: "ريتشارد، وفّقنا بقلب لك."

انفجرت كلماته كقنبلة فرح في رأسي... وبكيت.

اتصلت بالبيت. ردت غيليان على الهاتف فقلت لها: "هاي! هذا أنا!" وخانني صوتي نحو دقيقة. وأخيراً أخبرتها أن "أمراً جيداً على وشك الحدوث."

بدأت الحركة تنشط خارج غرفتي، ولاحظت ابتسامات على وجوه الممرضات. وفي الحادية عشرة مساء أبلغني الاطباء أن كل شيء يسير على ما يرام. وسرعان ما بدأ اختصاصي بالتخدير اعدادي للجراحة، فغرز ابرا وريدية ضخمة في ساعديّ، ودخلت حال نشوة.

بعد ساعة وضعني ممرضان على نقّالة بعجلات وانطلقا بي الى غرفة العمليات الرقم ١٠.

لقد جهدت بكل خلية من جسمي لأصل الى هنا، وكل ما أستطيعه الآن هو أن أدع الامور تأخذ مجراها. حدقت الى سقف الغرفة منتظراً ومحدثاً نفسي: "حسناً، فلننته من هذا الامر."

ثم حُقنت مخدراً، وبدأت أغيب عن الوعي. وفي تلك اللحظات سمعت صوتاً متردداً كأنه أزيز منشار.

لحظات حرجة. قبل خمس عشرة دقيقة، في مستشفى آخر بعيد، كان جايمس مكلوركن، وهو جراح آخر في فريق زرع الاعضاء في مستشفى تمبل، نزع قلب شاب في العشرين أصيب بـ"موت دماغي"[٦] بفعل طلق ناري في رأسه، ووافقت عائلته – ليباركها الله – على منح أعضائه.

استأصل مكلوركن القلب من صدر الواهب وفحصه للتأكد من سلامته. بدا القلب قويا، فوضعه في وعاء زجاجي يحتوي على محلول من الملح والبوتاسيوم ليحفظه مشلولا، ثم وضع الوعاء في صندوق ثلج.

اتصل مكلوركن بكولف ليعلمه بأن الشحنة الثمينة في طريقها اليه. وكان لدى كولف وفريقه خمس ساعات لزرع القلب في صدري قبل أن يموت، وأموت أنا معه.

في هذه الاثناء أعمل كولف المبضع في جلد صدري، ونشر القص (عظم الصدر) ثم أفسح القفص الصدري وفتح شغاف القلب، ذلك الغلاف الليفي الذي احتوى قلبي العليل. كنت في هذا الوقت موصولا الى جهاز يقوم مقام القلب والرئتين.

أصبح كل شيء جاهزاً. (يلتزم جراحو القلب قاعدة تقضي بألا ينتزعوا القلب القديم قبل أن يصبح القلب الجديد داخل غرفة العمليات.)

وصل مكلوركن حاملا القلب قبيل الرابعة فجراً. فأُقفل ملقط معدني على شرياني الاورطي عازلا قلبي عن دورتي الدموية. وبدأ الجراحون فصل القلب عن

(٦) الموت الدماغي هو توقف الجهاز العصبي المركزي نهائيا عن العمل، وبقاء اعضاء الجسم عاملة حتى يوقف امداد الجسم اصطناعيا بالضروريات الحيوية.

الجسم الذي كان أحياه ٤٩ عاماً. ووضع "الكيس" الرمادي المنتفخ الذي فقد شكله الطبيعي في وعاء وأخذ بعيداً. وأخبرني الاطباء لاحقاً أنه لم يكن بقي لي على الارجح الا بضعة أيام مع القلب القديم.

وُضع القلب الجديد في صدري بسرعة، وخيط الى الاوردة. ثم حانت اللحظة الحرجة، عندما يتوجب على جسم بشري الاستجابة للقوى المحيية من بشري آخر.

نزع الاطباء الملقط عن الشريان الاورطي في الساعة ٤،٥٥ صباحاً، فتدفق الدم الى قلبي الجديد. مرّت ثوان فيما العضو الغريب يستعيد حرارته، متغيراً من حال ترهل وازرقاق بسبب الافتقار الى الاوكسيجين، الى عضو مشدود زهري اللون. وظهرت فجأة اشارة على شاشة المراقبة في غرفة العمليات. لقد عاد القلب الى الحياة في صدري بعد نحو ساعتين و٣٥ دقيقة من مغادرته الجسم الذي ولد فيه.

أفقت على نحو مفاجيء بعد وقت قصير. كان أول ما أحسسته خفقاً منتظماً مطمئناً داخل صدري. ورأيت غيليان وجيريمي يلوحان لي من خارج العازل الزجاجي. فرفعت ابهامي اشارة الى أنني بخير.

تعافيت بسرعة، وخرجت من المستشفى قبل انقضاء أسبوعين. وفي اليوم التالي لعودتي الى المنزل ذهبت في مهمة خاصة: اقتفيت الطريق التي سلكتها ذلك الصباح الكئيب من يناير (كانون الثاني) قبل ١١ أسبوعاً. وغمرني شعور رائع. لم تكن مشاكلي انتهت بالطبع، فعليّ أن أتناول، كل يوم من بقية حياتي، عقاقير قوية مقاومة لنبذ الجسم عضواً غريباً، وأن اخضع لجراحات دورية لاستئصال أنسجة من القلب الجديد للتأكد من عدم حصول النبذ. لكن الطقس كان دافئاً ذلك اليوم، والاحساس بالربيع يملأ الاجواء.

كل لحظة سأحياها عجيبة حقاً!

ديك بوتيير ■

سر الخسّة

أنا أشتري الفاكهة والخضر من مزرعة صديق. وذات يوم اضطررت الى شراء خسة من قسم البقالة في أحد المخازن الكبرى الانيقة. وكانت الخسة جميلة ومرتبة، كما فاق سعرها ما أدفعه عادة. وكم كانت دهشتي كبيرة عندما فتحتها فاكتشفت داخلها دودة كبيرة خضراء.

ولحسن الحظ كانت أختي حاضرة، فأخبرتني احدى حقائق الحياة: "شراؤك خسة من متجر فخم لا يعني أنك لن تجدي فيها دودة. لكنه يضمن لك دودة من الباب الاول."

س.ك.

المختار



يسر "المختار" ان تعرض
على المشتركين الجدد فيها
بين ١/١/١٩٩١ و٣١/١٢/١٩٩١
اربعة اعداد اضافية مجاناً
مع كل ١٢ عدداً
فالمشترك لمدة سنة
(١٢ شهرا) يتلقى
١٦ عدداً خلال ١٦ شهراً
اي انه يربح ٣٣٪
فكونوا من الرابحين

اذا اردتم ان تصلكم "المختار"
الى عنوانكم.
بادروا الى ملء
هذه القسيمة وارسلوها
مرفقة بشيك مسحوب
على مصرف في نيويورك
باسم "المختار من ريدرز دايجست"
بقيمة ٣٠ دولاراً امريكيا.
وارسلوا القسيمة والشيك
بالبريد المضمون (المسجل)
الى احد العنوانين المذكورين
خلف هذه القسيمة

الاسم ______________________

____

العنوان ______________________

____

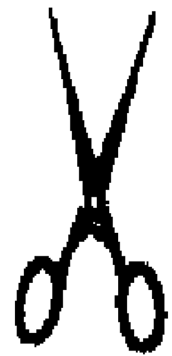
التاريخ ______________________

التوقيع ______________________

الرجاء ارسال القسيمة والشيك بالبريد المسجل (المضمون)
الى احد العنوانين الآتيين:

AL MUKHTAR Magazine
c/o Aramex International Courier
P.O.Box 3814 Deira United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar B P. 819
94549 Orly Aerogare France



الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".



امام محل ريتشارد بوث لبيع الكتب المستعملة في هاي - اون - واي.

مئات الالوف من المخطوطات والكتب المستعملة تجمع من أنحاء العالم وتباع في قرى وادعة

قرى الكتب

استنتج نويل آنسيلو، بعد سيرة زاخرة بالأحداث أمضاها عميلا في الاستخبارات البلجيكية وصحافياً ومديراً لشركة نفط، أن أفضل السبل الى النجاح أن يمضي الانسان عكس التيار السائد. فان سمعت الناس كلهم يكررون الرأي ذاته، فان الرأي المخالف تماماً قد يقارب الحقيقة. وكانت إحدى وجهات النظر التي دأب على سماعها عام ١٩٨٤، فيما كان يستعد للتقاعد، أن القرى العتيقة في اوروبا محكومة بالاندثار. وطرق سمعه ان التلفاز يقضي على القراءة والكتابة.

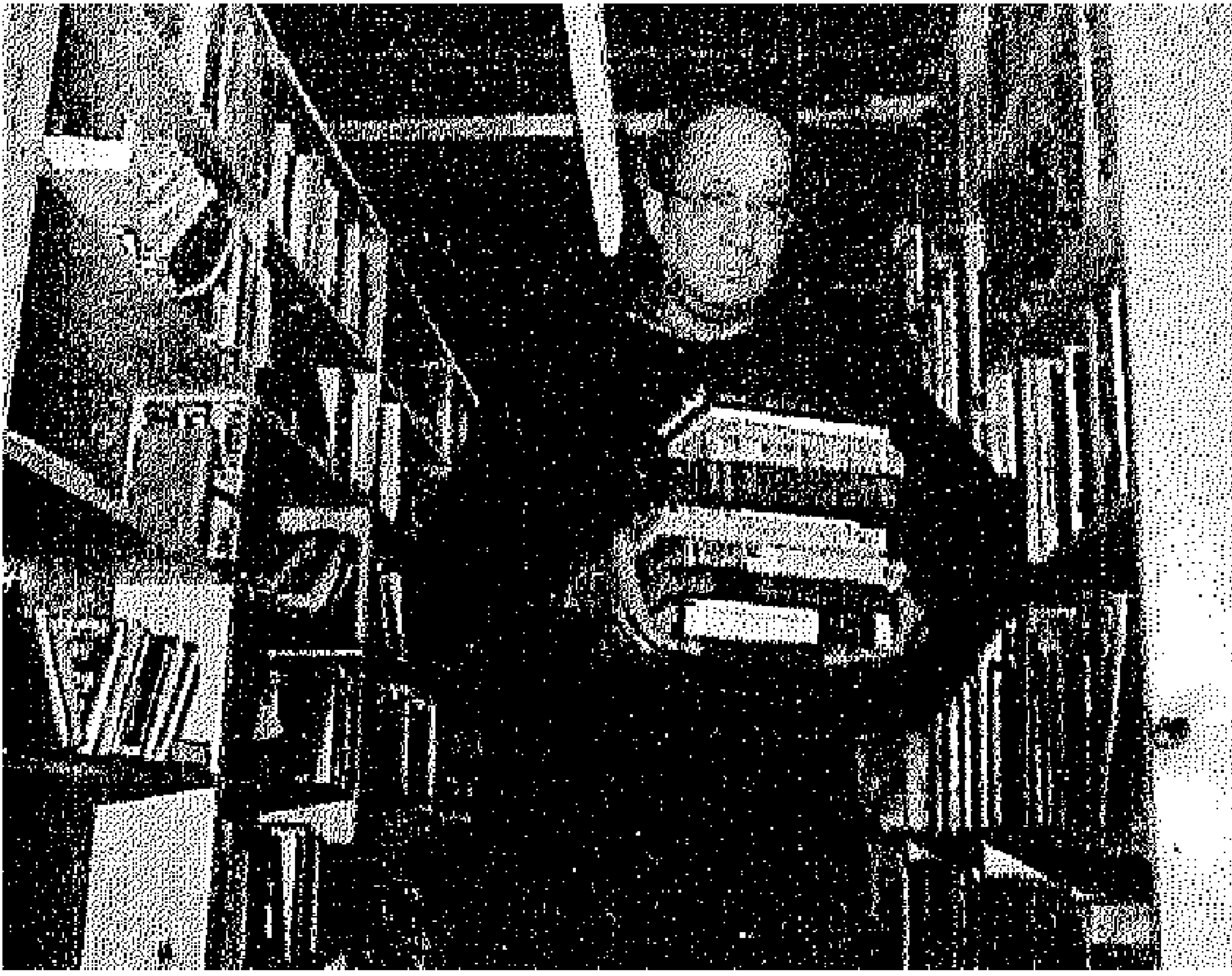
لم يأبه آنسيلو لأي من هاتين المسألتين، فهو مولع بالحياة في القرية العتيقة ريدو حيث يملك بيتاً من حجر يظلله سقف أردوازي ويرقى بناؤه الى القرن السادس عشر. فعلى بعد حوالى ١٢٥ كيلومتراً من بيت له في العاصمة

بروكسل، تقع ريدو، في الجنوب الشرقي، وسط مزارع وغابات وأنهر في مقاطعة الأردين، جزيرة وادعة آمن آنسيلو بأن العالم المعاصر المشحون بالقلق هو في حاجة اليها.

وكان مولعاً بالكتب، جمعها عبر السنين. ولم تفته الملاحظة أن ثمة كتباً في كل ناحية لديه. فهي في بيته في ريدو فائضة عن الرفوف ومكدسة على السلالم. وهو ألف كتاباً عن غابر ريدو، ولم يقوَ على تخيل المستقبل من دون كتب. وبعد تفكير متروٍّ عزم على الانتقال الى ريدو والتفرغ لتحويلها مكتبة ضخمة لبيع الكتب المستعملة.

نعته صحبه بالجنون. فما الذي قد يدفع طالبي الكتب الى سوق سياراتهم مسافة ١٢٥ كيلومتراً لشراء غرض يستطيعون الحصول عليه من المكتبات الكثيرة في بروكسل؟

لكن آنسيلو كان سمع بمجنون آخر اسمه ريتشارد بوث حقق في ويلز ببريطانيا ما كان يقترحه هو في بلجيكا. وكان بوث عام ١٩٦١ شاباً في العشرينات يطفح بهجة وحماسة، وقد عاد الى مسقط رأسه، القرية الريفية هاي – أون – واي، عقب تخرجه في أوكسفورد واشتغاله محاسبا لمدة قصيرة. وكانت هاي – أون – واي، كمثيلاتها من قرى بريطانيا، تتناقص سكاناً. ودار في خلد بوث ان إحدى الوسائل الناجعة لاحياء القرية هي توفير عمل نافع لأهليها، كبيع الكتب.



ريتشارد بوث يعمل في محله.

فابتاع مبنى وبضعة آلاف من الكتب، ثم أشاع الخبر أن هاي – أون – واي ستغدو عاصمة الكتب المستعملة في بريطانيا. واشترى، بمرور السنين، ثمانية عقارات اخرى حوّلها مراكز لبيع الكتب وملأها بمشترياته التي جمعها في جولات له في بريطانيا وأوروبا وأمريكا الشمالية. وحين زار آنسيلو القرية للمرة الاولى عام ١٩٨١، كان انقضى على بوث ٢٠ عاما وهو في عمله الناجح، وحذا حذوه عدد من التجار، فأصبح في هاي – أون – واي ١٥ محلا لبيع الكتب يقدر مخزونها بأكثر من نصف مليون كتاب.

من كل حقل. شعر آنسيلو بضيق إذ سمع أن بوث اشترى من فوره مجموعة رائعة من اقطاعي صاحب قصر يبعد ٤٠ كيلومتراً عن ريدو. فاشترى قسماً من المجموعة من بوث وأعادها الى موطنها لتشكل نواة عالمه الجديد.

اغتبط بوث حين رأى بذار فكرته ينمو

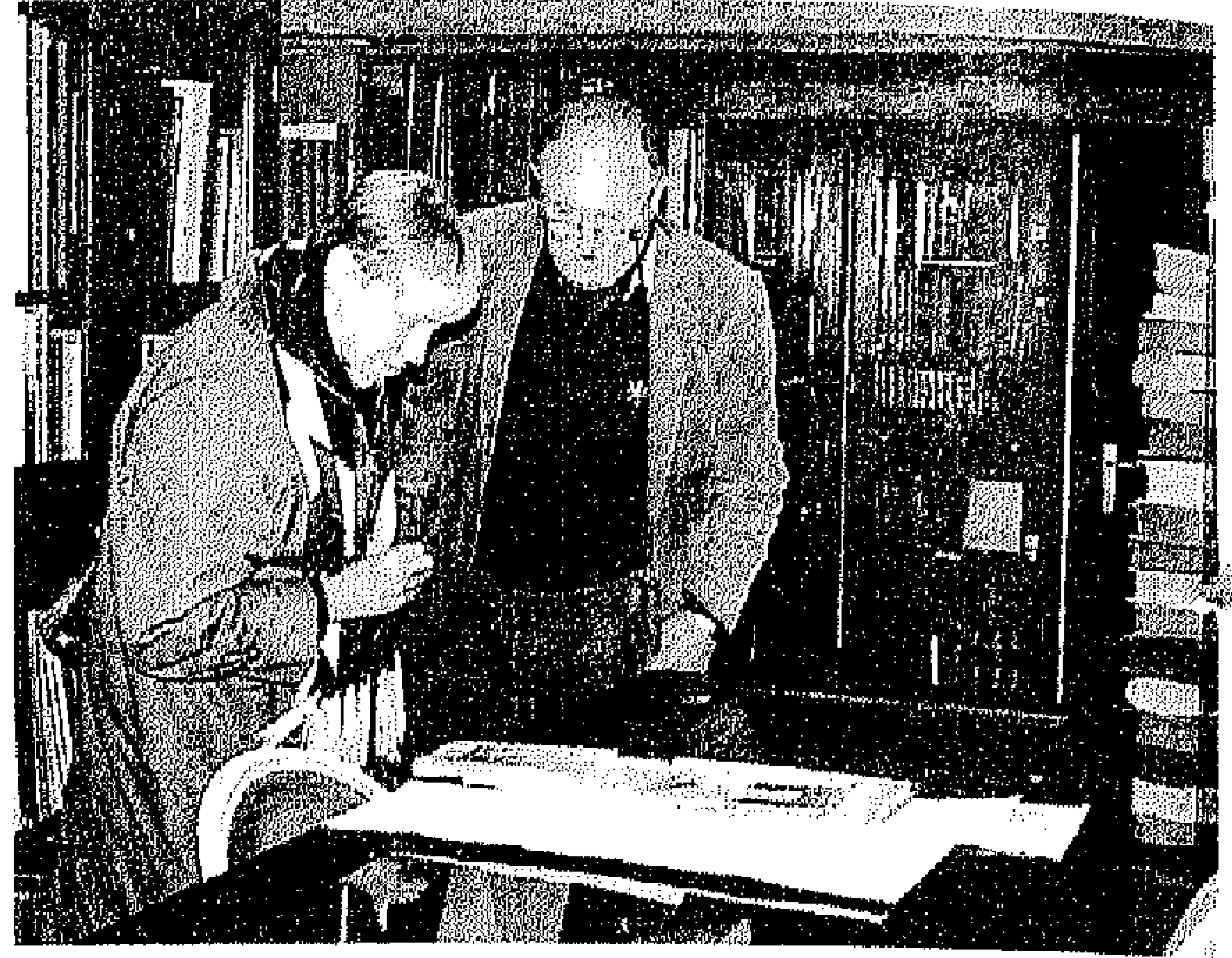
المهجورة والاسطبلات في ريدو محلات لبيع الكتب، من بيع كميات وفيرة من بضاعتهم في المعرض، مما شجعهم على توقيع عقود استئجار عدد من الاملاك.

في ريدو اليوم ٢٣ مكتبة ومصالح عدة رديفة، من معاملِ تجليد ومصنع للورق الفاخر وآخر لأُطُر الصور، فضلا عن صالات عرض للاعمال الفنية. قال لي العمدة ليون ماجان حين زرته: "لشد ما تبدلت الأمور هنا. ففي بداية الثمانينات كنا مثال المجتمعات الزراعية التي تموت في هذه البقاع. فلا أعمال للشبانِ في القرية ولا في المناجم ومصانع الفولاذ التي كانت تغلق أبوابها في الجنوب. وغدت أحياؤنا خاوية كئيبة. ولكن انظر الآن الى قريتنا الصغيرة، لقد أصبحت عالمية."

حقاً إنها كذلك. ففي موقف قريب رأيت سيارات آتية من كل صوب، غالبيتها من بلجيكا طبعاً، ولكن ثمة أخريات من هولندا واللوكسمبور وفرنسا وألمانيا. ووصلت حافلة مليئة بيابانيين من مطار زافينتيم في بروكسل. وكان فنلنديون زاروا المكان في اليوم السابق. وجاء تشيكيون ادخروا ما استطاعوا من نقود لشراء كتب تكشف لهم العالم الذي أُغلق دونهم لأكثر من ٤٠ عاماً.

تتشعب الشوارع من الساحة الى محال بيع الكتب في كل اتجاه. نويل آنسيلو جالس في محله المتأنق متهللا، اذ انه باع لتوه طبعة ثمينة من رسالة وضعها عالم الفلك البولوني كوبرنيكوس

PHILIPPE SAMSON



REDU INITIATIVES



(فوق) نويل آنسيلو (الى اليمين) في محله.
(تحت) ريدو، قرية الكتب.

في تربة غريبة، فساهم بخبرته وحماسته في المشروع. وأُقنع وزير الموازنة البلجيكي والسفير البريطاني في بروكسل بحضور افتتاح "معرض ريدو للكتب" في عطلة ربيع ١٩٨٤، ثم وقع عقد "توأمة" بين قريتي هاي – أون – واي وريدو.

وكان جيرار فاليه، صديق آنسيلو وهو شخصية اذاعية وتلفزيونية، تعهد تغطية هذه الاحداث إعلامياً. وجاءت النتيجة مذهلة، اذ وفد ما يزيد على ١٢ ألف نسمة من كل ناح. وتمكن عدد من باعة الكتب البلجيكيين الذين حوّلوا البيوت

في القرن السادس عشر. وفي أعلى الطريق متجر تديره رينيه فاكس التي تركت عملها أمينة للمكتبة الملكية في بروكسل وجاءت الى هنا. كان في محلها زوجان شابان يتصفحان مجموعة من الكتب حين دخلتُ. صاحت الزوجة مبتهجة: "آه، انظر، إنه كتابي الأثير الذي كنت أقرأه وانا فتاة." سرّت رينيه فاكس بما سمعت، فهي ألفت ذاك الكتاب قبل ربع قرن لتقرأة على صغيرها حتى ينام.

مكتبة لوي مالفاتي متخصصة بكتب تاريخ الأزياء. أحد زبائنه يبحث عن شيء محدد: رسوم لملابس الفرسان في جيش نابوليون. وأسرة تطوّف بدافع الفضول، فتذهل اذ ترى أن ثمة مجلدات عن الأزياء، ثم تشتري كتباً عن الدروع والثياب في بلاطات القرن الثامن عشر.

هنود ورعاة بقر. يقول آنسيلو ان الوسيلة العملية الوحيدة لتوفير المنشورات التي يرغب فيها القراء، هي أن نملأ القرى كتباً. ويضيف: "هناك مكتبات كثيرة في المدن، ولكن ليس لدى الانسان وقت كاف ليتجول فيها على مهل. كما أن أصحاب المكتبات لا يشجعون زبائنهم على ذلك. ولكن في قرية للكتب مثل ريدو متّسع من المكان والزمان. وبوجود ٥٠٠ ألف كتاب هاهنا، لا مناص من أن تجد كتباً تهمك."

وينوه آنسيلو بازدياد شهية الناس للقراءة، تنشطها أشكال جديدة من وسائط الاتصال كالتلفزة. ويعلق ريتشارد بوث على ذلك: "يشاهد الناس برنامجا تلفزيونياً عن غابة مطر في الامازون، فيرغبون في الاستزادة، فيرجعون الى الكتب. وقس على ذلك. في الأيام الماضية لم أحتج الا الى رفّين أضع عليهما كل الكتب التي عثرت عليها عن الصناعات والحرف اليدوية. لكني اليوم أحتاج الى هذه المساحة لترفيف كتب عن زخرفة الأقمشة فحسب."

يستلزم خزن هذه الكميات من الكتب تنظيماً رفيعاً. ولدى ريتشارد بوث شبكة من المراسلين في أرجاء الولايات المتحدة وأوروبا تخطره عن مكان الكتب المستعملة وزمان عرضها. ويزوده وكيله التجاري في نيويورك كتباً عن رعاة البقر والهنود، تلك التي يتناتشها هواة الغرب الامريكي القديم. وثمة مراسلون آخرون يبلغونه عن تصفيات في مكتبات المدارس والأديرة التي تتضمن مؤلفات نادرة باللاتينية.

ويشير بوث الى أن "لقرية الكتب زبائن على مستوى دولي." ففي احدى مكتباته مجموعة ضخمة من المؤلفات عن الثقافة الهندية الامريكية، عثر فيها تاجر كتب آت من توبيلو في ولاية ميسيسيبي على كتاب نادر كان ينقص مجموعته.

وثمة جماعات اخرى بدأت تدرك أهمية انشاء قرى على غرار هاي – أون – واي وريدو. ففي فرنسا فُتنت المحللة النفسانية كوليت تروبليه بالشوارع الساكنة في قريبة بيشيريل في منطقة

بريتاني، لكنها اغتمت لرؤية البيوت الحجرية القديمة خاوية ومقفلة بألواح خشب. اقترح أحد أصدقائها تحويل بيشيريل قرية للكتب. فاستجمعت كوليت الدعم، وسرعان ما انطلق وفد الى ريدو وعاد مقتنعاً بأن بيشيريل يمكن ان تسير على خطاها. وأقيم معرض للكتب عام ١٩٨٩، فلقي نجاحاً كبيراً مما شجع عدداً من التجار على استئجار مساحات للعرض هناك. وزار بوث الموقع في الصيف الماضي، وأعرب عن أمله أن تزدهر بيشيريل لتصبح ثالثة قرى الكتب في أوروبا.

كتاب أثير. بوث وآنسيلو متعاونان الآن لانجاز مشروع طموح آخر في جنوب غرب فرنسا. ففي قرية مونتوليو المشمسة القريبة من أنقاض كاركاسون العائدة الى القرون الوسطى، مبان حجرية قديمة مهملة يخطط المقاولون لتحويلها محالاً لبيع الكتب تستقطب زبائن من بلدان غرب المتوسط. وقد اشترى آنسيلو وبوث أملاكاً في مونتوليو، وفتح بوث مكتبة هناك.

فشت فكرة قرى الكتب خارج أوروبا الغربية. اذ استقصى مبعوثون من اليابان كلا من هاي – أون – واي وريدو وفي بالهم انشاء مثيلات لهما في جزيرة هوكايدو. كما درس موسيقي سوفييتي خططاً لاقامة قرية للكتب في جبال القوقاز عند أطراف بلدة تبيليسي.

ويمني بوث وآنسيلو النفس بشبكة من قرى الكتب حول العالم. فالكتب إنما جُعلت للطواف، فهي رفيقة تتيح لنا الاتصال عبر الزمان والمكان بأشخاص لن نلقاهم أبداً.

وتشهد قرى الكتب كل يوم نفحات تقدير صادرة عن سياح تقع في أيديهم كتب تنبه ذكرياتهم الدفينة. وفي رحلتي الاخيرة الى هاي – أون – واي سمعت صيحة غبطة من عجوز أنيقة الملبس. لقد عثرت على طبعة قديمة من كتاب "القبعة الخضراء" لمايكل آرلين، وهي رواية اعتُبرت بالغة الجرأة في العشرينات. ولعلها، كما أخبرتني، النسخة عينها التي كانت تقرأها في ضوء "بطارية" تحت ملاءة سريرها في المدرسة الداخلية.

وفيما أنا أشق دربي في أحد المحال وقعت على نسخة من كتابي الأول، وهي رواية ألفتها قبل سنين وحظيت ببعض التقريظ من النقاد ثم اختفت من الاسواق. لكن احدى النسخ المقروءة جداً وجدت سبيلها الى هذه القرية الويلزية الهادئة.

سوّلت لي نفسي ان أدفع بضعة بنسات وأعود بالكتاب الى البيت. لكني فكرت: ليبقَ حيث هو، علّ أحدهم يأتي باحثاً عنه، فيحتفظ بالكتاب ويوصي به الى ورثته، أو يبيعه فيتابع كتابي تطوافه ليجثم على رف في بلجيكا أو هوكايدو أو تبيليسي. ولعله يعطي أحد القراء الفضوليين يوماً فكرة عن أسلوب الكتابة في الماضي المطموس للقرن العشرين.

روبرت فرنيك ■



علق الشاب تحت سيارته المقلوبة
فأغرقته المياه. لكن جهازاً طبياً متطوراً أنقذه من موت محقَّق

غريق القناة

ILLUSTRATION (BASED OF KVBC, LAS VEGAS, NEWS VIDEO): JEFFREY MANGIAT



عرفت لاس فيغاس[1] ليلة مشهودة في ١٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠. فقد هطلت الثلوج على المدينة الصحراوية وحولت الشوارع زلقة. وكان موري براون (٢٦ عاماً) عائداً الى منزله بعدما اشترك في مباراة "بلياردو"، يقود سيارته الجيب في شارع واشنطن الذي تفصل بين خطيه الشرقي والغربي قناة من الاسمنت عرضها تسعة امتار. وتصرِّف هذه القناة، في أحوال جوية عادية، بضعة سنتيمترات من مياه الأمطار الى بحيرة ميد. لكنها كانت في ذلك اليوم مترعة بالمياه العكرة الثائرة، الناتجة من الامطار الغزيرة والثلوج الذائبة.

واذ اقترب براون من احدى الاشارات

(١) مدينة في ولاية نيفادا الامريكية.

الضوئية اندفعت نحوه عربة تسوُّق. انحرف محاولا تجنبها ففقد سيطرته على الجيب التي انزلقت وانقلبت قبل ان تسقط في القناة حيث استقرت مقلوبة. وعلق براون داخلها مغموراً بالمياه المندفعة.

وبعد لحظات توقفت سوندرا تورس عند تقاطع الطرق هناك فلمحت عجلات لا تزال تدور فوق مياه القناة. فهرعت الى متجر قريب واتصلت بقسم الطوارىء. وفي مركز للاطفاء غير بعيد استيقظ النقيب بيري هورت لدى سماعه رنين جرس الطوارىء في الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل. فأسرع الى احدى سيارات الاطفاء وارتدى وأفراد طاقمه معاطفهم وخوذاتهم. وبينما هم يهمون بالخروج، سمعوا صوتاً أجشّ عبر جهاز الارسال: "هناك سيارة عالقة في القناة."

محاولات انقاذ. كان هورت يعرِف المنطقة جيداً، فهو اعتاد أن يتلهى بالوحل هناك وهو بعد صبي.

عندما وصل في سيارة الاطفاء الى مكان الحادث كان رجال الاسعاف والشرطة سبقوه اليه. وتجمع ايضا حشد صغير من الفضوليين.

باشر رجال هورت عملهم بسرعة. فمدوا "حبل أمان" فوق المجرى على مسافة عشرة أمتار من مكان سقوط الجيب. ثم أوقفوا شاحنة قطر في محاذاة القناة. في هذه الاثناء كان المسعف الطبي كورتس هاربر يخوض في المياه الموحلة حاملا سلكاً معدنياً. ناداه هورت: "هل من أحد في السيارة؟" أجاب هاربر: "لا أدري." وأدرك كلاهما أن ثمة احتمالا مفجعاً أن تكون المياه جرفت ركاب الجيب.

استطاع هاربر أن يعقد السلك بمحمل السيارة. ورفعتها شاحنة القطر رويداً رويداً الى أن اتكأت على جنبها. فجأة برزت من نافذة الجيب قدمان تنتعلان حذاء أبيض.

أثار منظر القدمين اندفاع المنقذين. فغطس هاربر تحت المياه وأحكم حبلا حول جسد موري براون الذي بدا فاقداً الحياة. وصاح هورت: "اجذبوا الحبل!" لكن شيئاً لم يتحرك.

غطس هاربر مجدداً تحت سطح الماء، فألفى أنشوطة الحبل قد لُفَّت حول جسد براون وعمود المقود معاً. فربط حبل الأمان خاصته حول براون وأعطى اشارة للآخرين الذين شرعوا يشدون. كان ذلك عملا شاقاً، اذ كان جسم الضحية انتفخ من جراء ابتلاع كمية كبيرة من المياه. وتمكن الرجال أخيراً من اخراج الغريق الى حافة القناة. ولكن ما ان لامس جسم براون الضفة المائلة الموحلة حتى انزلق منفلتاً من الحبل.

صرخ أحد المسعفين الطبيين: "يا إلهي! أمسكوه!" وللحال قفز بيري هورت الى المياه المضطربة، وأمسك بالجسد الثقيل المتواثب أمامه وأحكم حوله ساقيه. وعاد به في غضون ثوان الى خط

الامـان وتثبّت بالحـافـة صـائحـا: "ساعدوني! اني عاجز عن الصمود."

وبدا للحظة أن الحادث الغريب سيودي بحياة شخصين.

هب الاطفائي بيل كومبز الى خط الأمان عند حافة الضفة وتبعه آخرون. وامتدت الأيدي نحو النقيب الاطفائي المنهك. صاح هورت: "انه تحتي!" فتطاول الرجال بأجسادهم فوق الحبل والتقطوا براون وهم يهتفون: "لقد أمسكنا به!"

شعر هورت بالأيدي تنزع عنه الحمل الثقيل، فأرخى عضلات ساقيه شبه المتجمدة. ولكن سرعان ما زلّت به قدماه فتشبث بحبل الأمان بكل ما أوتي، إذ أدرك أنه هالك لامحالة اذا هو انجرف بعيداً عن الحبل.

فجأة أحس هورت بيد تمسكه من معطفه. ثم أحس بأخرى. لقد تمكن المسعف الطبي مايكل هيل من الامساك به وشرع يشده رافعاً اياه، الى أن استطاع هورت الوقوف على الضفة الموحلة.

راقب هورت المسعفين يدخلون براون سيارة اسعاف. ولم يكن أتيح له حتى تلك اللحظة متسع للتفكير. فراحت الاسئلة تضج في ذهنه: كم من الوقت مضى على وجود هذا الرجل تحت الماء؟ وماذا لو توفي بعد كل العناء الذي تكبدناه؟ ان تعريض الاطفائي حياته للخطر لانقاذ شخص لا يلبث أن يموت هو في الواقع حقيقة محبطة في صلب مهنته.

"اتصلوا بجانتيليلو!" كان قلب براون توقف تماماً وخمدت أنفاسه لدى وصوله الى المركز الطبي الجامعي، على رغم المحاولات الجاهدة للمسعفين. وكانت رئتاه مملوءتين ماء. أما ضغط دمه فكان معدوما، ولا دليل على أن جهازه العصبي المركزي يعمل. وكان لون بشرته أزرق قاتماً وجسده بارداً كالثلج. وانخفضت حرارة جسمه على نحو خطر الى ٣٠،٥ درجة مئوية.

انصرف الدكتور باري فيشر وفريقه المختص بالصدمات الى عملهم. فلفوا جسد براون بملاءات كهربائية بعدما وصلوه بجهاز تنفس اصطناعي. ثم رفعوا حرارة جهاز التنفس وضخوا سوائل ساخنة في جسم براون من طريق التقطير الوريدي. لكن حرارة جسمه لم تتوقف عن الهبوط. فعمدت ممرضات مختصّات الى غسل معدته ومثانته وجوفه بالماء. ومع ذلك هبطت حرارة جسمه درجتين بعد دقائق قليلة.

قال فيشر: "اننا نفقده. وسيلتنا الوحيدة لانقاذ هذا الرجل هي تدفئته بسرعة! اتصلوا بجانتيليلو."

اتصلت احدى الممرضات هاتفيا بالدكتور لاري جانتيليلو، الجراح المختص بالصدمات. وهو جراح شاب كان ينتظر مثل هذه الحالة الطارئة.

لقد سيطر على جانتيليلو في سنوات عمله الأولى هاجس "صفوف ضحايا الصدمات الذين عجزنا عن انقاذهم لأننا لم نستطع رفع حرارة دمهم."

يسبب التعرض للبرد بعض حالات هبوط حرارة الجسم، لكن حالات أخرى تكون نتيجة صدمة ناجمة، مثلا، عن الاصابة بجرح أو الخضوع لجراحة. وعندما يخسر الجسم كمية كبيرة من الدم تصبح عملية الأيض[٢] بطيئة وتنخفض تاليا حرارة الجسم. ويمكن رفع حرارة الدم بضخه عبر جهاز قلبي – رئوي[٣] يستخدم عادة في جراحات القلب المفتوح. لكن هذا العلاج يستدعي جراحة ويتطلب استخدام مواد مانعة لتخثر الدم. ولا يمكن اعطاء الجرحى هذه المواد والا نزفوا حتى الموت.

أدرك جانتيليلو ضرورة ايجاد حل. وهو يقول: "عندما تأملت الجهاز الذي يستخدم لتدفئة الدم المعد لنقله الى جسم مريض، تبادر الي امكان تطويره بحيث يتولى تدفئة دم المريض نفسه من خلال قيام القلب مقام المضخة."

وعمل جانتيليلو في كلية الطب في جامعة ميامي على تطوير هذه النظرية، ثم عرضها على غاري تورسكي وفيس فركارت في مؤسسة "التكنولوجيا – المستوى ١"[٤] في مارشفيلد بولاية مساتشوستس. وبعد مداولات للمشروع ووضع رسوم بيانية له، أنجز تورسكي نموذجا شغالا للجهاز دعاه «CAVR»[٥] يعمل على اعادة رفع الحرارة على نحو متواصل في الشرايين والأوردة. ونجحت تجارب الجهاز على الحيوانات، مما جعل جانتيليلو وفريقه تواقين الى اختباره في معالجة حالة مرضية بشرية ملائمة.

الابن الوحيد. هرع جانتيليلو الى مكتبه لاحضار الجهاز المدفىء، وساقه على عربة الى غرفة معالجة الصدمات، فيما كان مسؤولون في المستشفى يتصلون بعائلة موري براون في كاليفورنيا لنيل موافقتها على استخدام العلاج الجديد.

في غضون ذلك كان براون على شفير الموت.

أدخل جانتيليلو بتأن قسطرا (أنبوبة) في أحد شرايين الفخذ اليسرى وآخر في أحد أوردة الفخذ اليمنى. ثم أدار الجهاز.

يتولى الجهاز المدفىء رفع حرارة الدم الى ٣٨،٣ درجة مئوية بتمريره في أنابيب من الألومنيوم محاطة بماء ساخن. ويصل دفق الدم الدافىء المعالّج الى القلب أولا قبل جريانه في أنحاء الجسم.

ساد الغرفة جو من التوتر. وأعلنت احدى الممرضات التي كانت تقيس ضغط الدم أنه "٧٠ على ٢٠." وبعد نحو خمس عشرة دقيقة بدأ صدر براون يتحرك، بارتعاش سطحيا في البداية ثم على نحو أعمق وأكثر انتظاما وتواترا. لقد بدأ يتنفس، وانتظمت دقات قلبه، وسجل مؤشر الحرارة ارتفاعا بلغ درجتين. وبعد برهة بدأت أنامل براون تهتز عشوائيا، ثم أمست هادئة. كان يحاول انتزاع الأنابيب.

---

(٢) الايض (metabolism) هو مجمل التغيرات الكيميائية الحيوية داخل الخلايا.

(٣) Cardiopulmonary bypass machice

(٤) Level 1 Technologies

(٥) Continuous Arterio-Venous Re-warming «CAVR»

وعادت الممرضة تعلن: "أصبح ضغط الدم ١١٠ على ٦٠." وبعد نحو ساعة صار جلد براون دافئاً ودقات قلبه منتظمة وتخثر دمه طبيعياً. أما حرارة جسمه فارتفعت الى ٣٧ درجة مئوية.

في تلك الأثناء كان والده ريتشارد ووالدته إيفيت وأخواته الخمس اللواتي يكبرنه سناً في طريقهم الى المستشفى. كانوا ذاهلين ومصدومين وشبه يائسين من نجاته بعدما علموا أن المياه الباردة غمرته مدة طويلة.

لكن امرأة واحدة لم تفقد الأمل.

حاولت برناديت الممرضة وبيتاني الاختصاصية بمعالجة صعوبات التنفس، أن توضحا لوالدتهما الأبعاد الطبية للحادث الذي تعرض له شقيقهما موري. لكن الام لم تبدِ اهتماماً. وهي تذكر: "أرادت ابنتاي أن أعرف كل شيء عن حال موري الميؤوس منها، لكي أوافق على وقف المحاولات الطبية لانقاذه، لكنني لم أفقد الأمل. وأظن أن قلب الأم هو السبب."

لدى وصول العائلة كان موري فاقداً الوعي وقد هددت الالتهابات رئتيه وأعطبت كليتيه. وهو أبقي حياً بواسطة التنفس الاصطناعي والديلزة.[٦]

وقف ريتشارد براون بجانب السرير يجهش باكياً، ثم انحنى وقبل ابنه الوحيد قبلة الوداع.

هل يموت؟ أخذت أخوات موري اجازات من وظائفهن وعائلاتهن وتناوبن السهر عليه، وكن يصرفن أوقاتهن بالاحاديث والاستماع الى الموسيقى. وتجمعت قرب سريره عمّات واعمام وخالات وأخوال وأصدقاء. يقول الدكتور جانتيليلو: "أدركت مذ التقيتهم أنهم عائلة متينة فريدة. وأنا من المؤمنين بأن الحب يشفي."

ولم تنصرف إيفيت براون وبناتها عن ملازمة سرير موري سوى مرة واحدة عندما قصدن مركز الاطفاء حيث أهدين الى العاملين فيه علباً من الشوكولاتة في لفتة عرفان. وقد أثر ذلك في نفوس الاطفائيين الذين أبلغوهن أنه نادراً ما زارتهم عائلة احدى الضحايا للاعراب عن شكرها.

وعلى رغم كل ذلك الحب ظل وضع براون يتدهور. وبدا أنه سيموت.

لكن الدكتور جانتيليلو رفض الاستسلام. وأخيراً بدأ علاجه الطموح



الدكتور لاري جانتيليلو وجهازه المنقذ.

(٦) الديلزة (dialysis) هي ما يعرف بغسل الكلى.

يعطي ثماره. فانخفضت حرارة موري براون وصارت كليتاه تعملان بفاعلية أكبر.

بعد مرور أسبوعين على الحادث حاول جانتيليلو تحديد امكان حصول ضرر في الدماغ. فخاطب مريضه: "حسناً يا موري. حرك ابهامك." فتركزت عيون جميع الحاضرين على ابهام براون.

وتحركت الابهام.

حتى جانتيليلو فوجيء بما رأى وقال: "أرني اصبعين."

فارتفعت اصبعان. ثم شكل براون بابهامه واصبعه دائرة وهي اشارة الى أنه في حال جيدة.

استرد موري براون عافيته تماماً، في ما خلا بعض الآلام التي تعلم تجاهلها. وهو يتمتع بذهن حاد وروح مرحة، ويهيىء نفسه لمهنة في عالم الطب.

أما الدكتور جانتيليلو، العامل الآن في مركز هاربورفيو الطبي التابع لجامعة واشنطن في سياتل، فيتكهن بانتشار استعمال الجهاز المدفىء.

ويعزو كل من الذين أنقذوا براون الفضل في نجاته الى الآخرين. يقول بيري هورت في جهاز جانتيليلو: "أليس رائعاً أن هذا الجهاز كان متوافراً عندما دعت الحاجة إليه؟"

فيسارع جانتيليلو مشيراً الى هورت: "هو الذي عرض حياته للخطر."

أما إيفيت براون، فمع امتنانها لهم جميعاً ترجع الفضل في نجاة ابنها الى مصدر آخر: "أردت أن يعود ولدي إلي. وصليت من أجل ذلك وتوقعت أن تستجاب صلاتي. وقد استجيبت. الله هو الذي أنقذه."

بوني رمسبرغ ■



حديقة عائلية

قررت غرسَ حديقة عائلية كتجربة حسنة لتنمية شخصيات أولادنا الخمسة. لكن الرحلة الى المشتل كانت كابوساً رهيباً، فقد أصرّ الاولاد على مشاهدة كل نبتةٍ في العنبر المنبسط على مساحة ٢٠ ألف متر مربع، وتشاجروا على دفع عربة التبضُّع، وعلت شكواهم كلما اختار أحدهم أزهاراً من لون أزهارٍ آخر. ولدى رجوعنا الى المنزل أفرغت غضبي في زوجي الصبور وأنهيت حملتي قائلةً بسخط: "كل ما أريده هو سلام وراحة وأزهار جميلة."

فردَّ زوجي بهدوء: "أفهم شعورك، لكني أعتقد أن ما تطلبينه يُسمى جنازة."

د.ج.

لا شيء اكثر غموضاً من جهاز تلفاز دائر في غرفة خالية. كانه كوكب آخر يتكلم. يمكنك تصوره وهو لا يزال شغّالا حتى بعد زوال البشرية.

ج.ب.

الكرنك الفرنسيّة عمرها ٧٠٠٠ سنة!

من نصب هذه المداميك الجبارة؟ أأناس عاديون أم عمالقة أم زوار من الفضاء الخارجي؟

مشيت في الطريق الريفية والوقاوق تحلق فوقي صارخة وقد توهجت من حولي أيكات الوزال صفراء في تفتحها النيساني. وما هي الا خطوات حتى وصلت الى قمرة حراسة غير مأهولة وجدت داخلها لافتة تطلب مني ايداع ثلاثة فرنكات في علبة وأخذ مفتاح ومشعل كهربائي. ثم سلكت ممراً أدى بي الى ارض مقطوعة الشجر. ولاحت أمامي ربوة صغيرة معشبة وجدت في جانبها مدخلا تؤطره كتل صوانية ويسده باب خشبي.

فتحت الباب وولجت، منحنياً قليلا، الى

سرداب رطب. وعلى ضوء المشعل الكهربائي الباهت تقدمت عبر ممر طوله ستة أمتار ونصف متر وجدرانه ألواح صوان مغروزة، فيما انبسطت على سطحه ألواح صوانية أكبر حجماً. وعند نهاية السرداب دخلت حجرة مربعة حيث تمكنت من الوقوف مستقيماً. وتراقص الضوء على نقش باهت في أحد الجدران، فلم أتبين إن كان وجهاً ام شكلا أم تُرْساً.

كان مكاناً غريباً تطالعك للحال كآبته وجلالته. أحسست بابتهاج السائح اذ وجدت نفسي داخل مجاز مدفن كركادو قرب بلدة كرنك في مقاطعة بريتاني غرب فرنسا. وذهلت للفكرة المروعة التي راودتني: إن هذا المبنى كان قائماً قبل ٧٠٠٠ سنة.

في اليوم التالي، على بعد سبعة كيلومترات غرباً، جلست في مرجة أتفكر في ركام عمود جبار بلغ ارتفاعه يوماً ٢٠ متراً ووزنه نحو ٣٥٠ طناً. وإذ تحطم بفعل قوة جبارة الى أربع قطع متكاملة، قبع مُكتنفاً في سر سقوطه العظيم. ويدعى هذا الأثر "المنهير الكبير المكسور"[١] كما دُرج على تسميته "حجر الجن"، وهو أكبر حجر استخرج ونُقل من مقالع أوروبا القديمة.

قبل التاريخ. عندما يتحدث المرء عن الميغاليث[٢]، أي "الحجار الكبيرة" باليونانية، يتذكر معظم الناس آثار ستونهنج في بريطانيا. إلا أن أكبر الأعمدة هناك لا يتعدى ارتفاعه سبعة أمتار ووزنه

(الى اليسار) مدخل ضريح في كركادو يعود تاريخه الى الالف الخامس قبل الميلاد. (تحت) حجار في احدى المرصوفات المنحرفة.



(١) Grand Menhir Brisé . والمنهير نصب حجري عمودي يعود الى فترة ما قبل التاريخ.

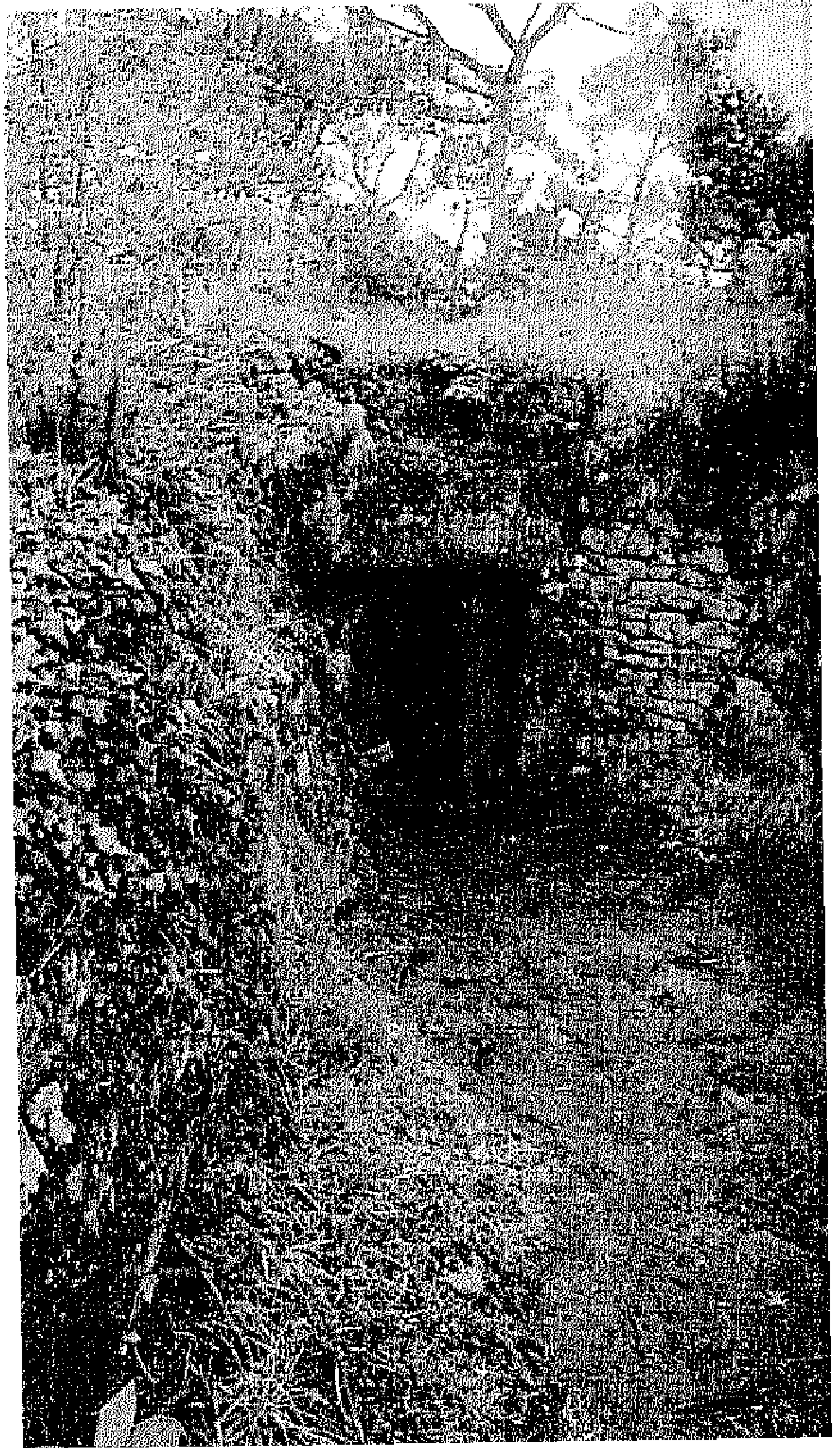
(٢) Megaliths

وتنتشر في المنطقة مئات القبور القديمة، وكثير منها، كمدفن كركادو، ما زال مطموراً تحت ربوات صغيرة من الاتربة والصخور المكدسة، في حين عرِّيت أضرحة أخرى من هذه التغطية. وتنتشر كذلك مئات الدلمنات[3] والمنهيرات التي نُحت بعضها وصُقل بأدوات حجرية من فترة ما قبل التاريخ. بيد أن أروع المشاهد هي المرصوفات. فعلى بعد نصف كيلومتر من الكرنك غابة من المنهيرات المنتصبة في ١٢ صفا تمتد شرقاً عبر أرض متموجة الى أبعد ما تراه العين.

وإذ سرتُ مسافة أربعة كيلومترات بين المرصوفات بدءاً بقرية لومنيك الصغيرة، تبينت أن المسافات الفاصلة بين الانصاب غير متساوية وأن خطوطها منحرفة قليلا. كما ان الحجار الاعلى (أربعة أمتار) تنتصب عند الطرف الشمالي وتتضاءل حجماً مع الاتجاه شرقاً حتى تتوقف عند حافة غابة صنوبر على بعد كيلومتر.

بعد ذلك سرتُ مسافة أبعد شرقاً واجتزت مرتفعاً صغيراً فوصلت الى حافة كرماريو، وهي المجموعة الثانية من المرصوفات التي تفصلها عن قرية لومنيك سبعة صفوف رئيسية. ومن طاحونة هوائية خربة رحت أتأمل الصخور المنتشرة بانتظام.

وتعترض الطريق غابة صغيرة اخرى



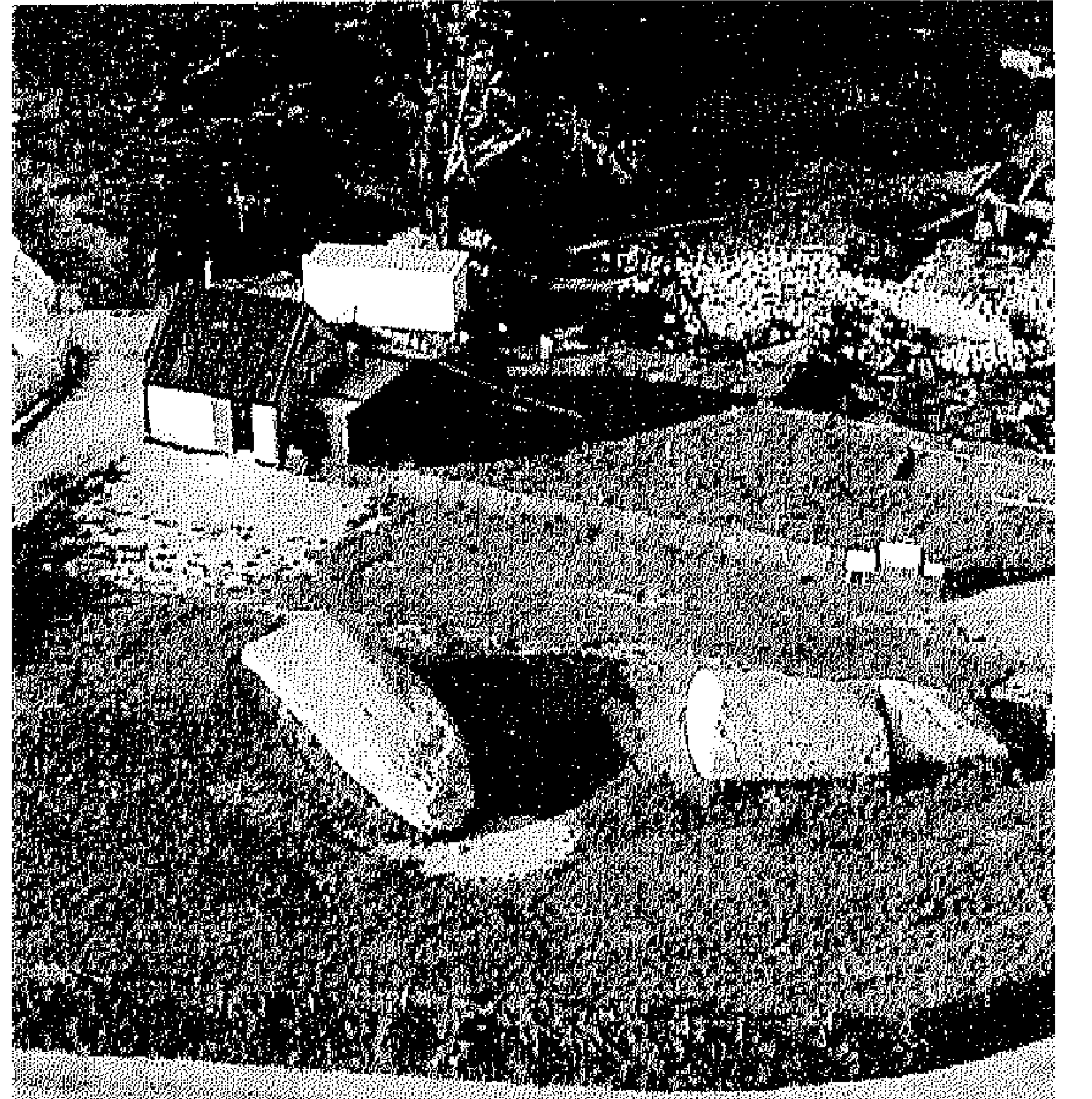
٥٠ طناً. وأقدم آثار ستونهنج هي أحدث عهداً من كركادو بنحو ٢٥٠٠ سنة ولا يزيد عدد حجارها على ١٣٠، فيما يربو عدد الحجار في الكرنك على ٤٠٠٠.

والميغاليث في الكرنك هي الأكثر إثارة للاعجاب في العالم الغربي. وقد أدى التنقيب في حقول بريتاني وغاباتها على مدى قرنين ونيف الى استخراج مجموعة غنية من التحف التي ما زالت الاسرار تكتنف معانيها. وقد أعرب عن ذلك عالم الآثار البريطاني إيفان هادنغهام بقوله: "الكرنك واحد من أعند الالغاز في تاريخ علم الآثار."

---

(٣) الدلمن (dolmen) قبر مما قبل التاريخ قوامه حجر كبير مسطح مرفوع على عدد من الحجار المنصوبة.





(فوق) الناس يعايشون المنهيرات في قرية لومنيك الصغيرة.
(تحت) قطع جبارة من "المنهير الكبير المكسور" وهو عمود عملاق بلغ ارتفاعه يوماً ٢٠ متراً.

عند مستهل أنصاب كرلسكان التي تمتد في ١٣ صفاً مسافة ٣٥٥ متراً. ولكن يبدو أن الحجار امتدت في نطاق أكبر في ما مضى، إذ ان المرصوفات تنتهي مباشرة عند قرية كرلسكان القديمة التي يتضمن بعض منازلها الحجرية مداميك من المنهير.

ولدى انتهاء مسيرتي التي شملت أكثر من ٣٠٠٠ حجر قائم، وقفت مأخوذاً بهذه الآثار التي لم أر مثيلاً لها.

منبع حضارة. المدهش أن هذه المرصوفات لم تُذكر قبل القرن الثامن عشر. واذ بدأ الرحالة وعلماء الآثار يبدون اهتماماً بهذه الحجار الشاذة في عشرينات القرن الثامن عشر، انطلقت طائفة من النظريات. ومنها ما ساد بين

الأهالي ان كورنلي، شفيع كرنك الذي هرب من الجنود الرومان في القرن الثالث للميلاد، حول الجنود حجاراً. أما المؤرخون الذين أسقطوا هذه الأسطورة فافترضوا أن أنصاب المنهير معاصرة ليوليوس قيصر الذي اخضع بلاد الغال في العام ٥٦ قبل الميلاد، ووصفوا الذبائح البشرية الشنيعة التي قدمها الدرويد وهم نخبة من الغال. وقد ظن الباحثون الأولون أن هذه المرصوفات هي هياكل الدرويد، وحسبوا خطأ أن الحجار الممددة هي "موائد" الذبائح لأن تجاويفها الناجمة عن التأكل الطبيعي منحوتة بشكل يلائم الجسم البشري تماماً.

ورأى علماء القرن التاسع عشر في المرصوفات دلائل على هياكل للأفاعي، لأن تلويها يماثل أشكال الأفاعي. وعلى مر السنين فُسِّرت المرصوفات على أنها منصات لتجفيف الأسماك أو أسواق تجارية أو فنادق أو طرق أو حقول لألعاب قديمة تماثل الكريكيت والبولنغ والغولف. أما في القرن العشرين ففسرت المرصوفات على أنها مدرجات استعملها زوار فضائيون في رحلاتهم الى الأرض.

وعلى رغم ان بحاثة داهية خلص في العام ١٧٦٤ الى نظرية مفادها أن الميغاليث قد تعود الى عصر سابق للرومان، فلم تعمّ نظريته هذه الا بعد قرن حين أجري أول تنقيب جدي. وفي الخمسينات من هذا القرن درس علماء الآثار بعناية المصنوعات اليدوية لبناة الميغاليث واستنتجوا ان هذه المباني تعود الى الفترة الممتدة ما بين العامين ٢٠٠٠ و١٤٠٠ قبل الميلاد.

الا أن مفاجأة كانت تنتظر هؤلاء الخبراء، إذ إن تقنية الكربون المشعّ[٤] الجديدة بدأت تظهر دقائق كرونولوجية (زمنية) فاتت علماء الآثار التقليديين. وفي العام ١٩٥٩ أفاد أول كشف زمني كربوني على أحد الأضرحة في بريتاني أن تاريخه يعود الى زمن غير معقول هو العام ٤٣٠٠ قبل الميلاد. ولم يكن ذلك تقديراً خاطئاً اذ دلت الكشوفات في مواقع شتى الى أصول تعود الى الألف الرابع والألف الخامس قبل الميلاد. أما أقدم الأزمنة التي توصل اليها البحث فيخصّ ضريح كركادو الذي دلت القراءة الكربونية أنه عائد الى العام ٤٦٥٠ قبل الميلاد. وهكذا يُسلَّم اليوم بأن الكرنك هي من أبرز منابع حضارة العصر الحجري الحديث[٥].

مسألة محيرة. لا تبدو أطلال الكرنك شيئاً مهماً للعين الساذجة. فهي تلال متماثلة الابعاد تغطيها النباتات. وقد لا يطالعك مدى هذا الانجاز الهائل الا متى ادركت أن ربوات الاتربة والحجار هذه أقيمت بأيدي أناس لم يعرفوا الأدوات المعدنية. وليس أدل على ذلك من

---

(٤) Radiocarbon . وتعتمد هذه التقنية سرعة انحلال الكربون المشعّ لتحديد عمر جسم ما.

(٥) Neolithic age . وقد امتد هذا العصر في بريتاني بين العامين ٥٠٠٠ و٢٥٠٠ قبل الميلاد.

الاكتشاف الذي حققه عالم الآثار زكاري لو روزيك الذي نبش بين ١٩٠٠ و١٩٠٧ "ركام سان ميشال" وهو ربوة قرب وسط الكرنك، وقدّر حجمه بحوالى ٧٥ ألف متر مكعب! وعندما كُشفت آثار دهليز ضريح في جزيرة غافريني بمنطقة الكرنك بين ١٩٧٩ و١٩٨٤، وجد عالم الآثار شارل تانغي لو رو وفريقه أن لركامه شكلا متعمداً قوامه سطوح دائرية متراكزة[٦] من الحجر شبيهة بترتيبة المقاعد في مدرجات الملاعب الرياضية.

وداخل حجرة مدفن غافريني عرض بالغ الروعة من فنون العصر الحجري الحديث في بريتاني. فعلى ٢٣ بلاطة من أصل ٢٩ تبطن مجاز المدفن، حَفَرَ فنان رائد من الألف الرابع قبل الميلاد عدداً وافراً من القناطر المتراكزة ورؤوس الفؤوس والأفاعي وانماطا من عصي الرعيان وأشجار التنّوب وأشكالا بشرية. وعندما فحص لو رو البلاطه الكبيرة التي تعلو الحجرة الداخلية وجد نقوشاً غير كاملة لأبقار طويلة القرون ولفأس بمقبض، وتبين له أن هذه النقوش تستتبع تماماً تصاميم وُجدت في الجزء الأعلى من جدار ضريح كبير يبعد مسافة كيلومترين عن المكان. ويبدو أن بلاطة رائعة الزخرفة بلغ طولها يوماً ١٤ متراً، ويرجح أنها منهير كُسر عمداً لاستعمال قطعه في بناء أنصاب جديدة.

إن ضخامة المنهيرات الكبرى والمداميك العليا في أضرحة الكرنك لدليل واضح على أن نقلها ونصبها تطلّبا مهارة فائقة ومئات من العمال. فالحجار، ومعظمها من الصوان المحلي، ربما اقتُلعت بدق أسافين خشبية في الشقوق الطبيعية وتشبيعها بالماء كي تتمدد وتشق الصخر. وقد طُرحت عشرات النظريات التي تفسر طرق نقل هذه الحجار الهائلة، ومنها نظريات منبسطات الأرض المائلة والحبال والمحادل والروافع والبكرات وحتى القوارب.

وفي العام ١٩٧٩ أزمع فريق من المتطوعين في بلدة بوغون جنوب بريتاني على نقل بلاطة من الاسمنت تزن ٣٢ طناً بالوسائل التي كانت متبعة في العصر الحجري الحديث. وعمد ٢٠٠ شخص الى شدها بالحبال وجرها على بكرات خشبية، فتمكنوا من تحريكها مسافة ١٠٠ متر على مستوى الأرض. ولكن يبدو ان "المنهير الكبير المكسور" الذي بلغ وزنه ٣٥٠ طنا جُرَّ مسافة أربعة كيلومترات كاملة. وقد رأى عالم الآثار البريطاني أوبري برل في كتابه "بريتاني الميغاليثية" أن "هذا العمل الضخم لمسألة تحير العقل المعاصر."

ظلال شك. علام، إذاً، تدل أنصاب الكرنك؟

السؤال، في ذاته، مشوب بالخطأ. ذلك لأن العصر الميغاليثي في بريتاني امتد زمناً لا يقل عن ٢٥٠٠ سنة، وهذا يعني أن مبانيه ربما نتجت من تعاقبات حضارية لكل منها خرافاتها وأعرافها.

(٦) متراكزة (concentric) اي متحدة المركز.

ولم يبدِ دارسو الكرنك في القرن الثامن عشر الا مقداراً ضئيلا من الاهتمام بالطقوس والأساطير المرتبطة بالانصاب. وقد سخروا من خرافات "الفلاحين الذين يماثلون حجارهم وقاحة وتفاوتاً." الا أننا بتنا اليوم نعرف أن الروايات القديمة قد تحمل حقائق تدوم ألوف السنين. وقد بقيت أعراف الميغاليث حتى زمن قريب ظاهرة في الطقوس الشعبية القديمة التي تناول معظمها موضوع الخصب. ففي بلدة كرو – موكان درجت النساء اللواتي يرغبن في الحمل على رفع أثوابهن قبالة أضرحة الدلمن عندما يصير القمر بدراً. ودرج الأزواج الذين لا أولاد لهم على زيارة المنهير "لو فيسو" في مرصوفات لومنيك حين يصير القمر بدراً، فيطارد الزوج زوجته حول الحجر فيما يقف والدوهما خفراء.

أما الاعتقاد أن لحجار الميغاليث في الكرنك غرضاً فلكياً فقد راج في العام ١٨٧٤. وأخيراً توصل أستاذ الهندسة المتقاعد من جامعة أوكسفورد، ألكسندر طوم، في سلسلة دراسات أتمها عام ١٩٧٠، الى فرضية أن هذه الحجار مجتمعة هي مرصد قمري بالغ التعقيد. أما الحجر الاعجب بينها فهو "المنهير الكبير المكسور" الذي أقتنع طوم بأن الفلكيين القدامى استعملوه كمركز مراقبة. وتوزع المراقبون آنذاك في مواقع مختلفة حول الكرنك، وراقبوا ارتصاف رأس المنهير البعيد وقرص القمر الطالع أو الغارب، ثم علّموا مواقع مراقبتهم بنصب حجار صغيرة. هكذا، يقول طوم، سجل البناة معرفتهم بدورة القمر الانحرافية وسواها من الظواهر، وأفادوا منها في التكهن بخسوفات القمر.

اذذاك بدأ جدل احترافيّ دقيق. ففي العام ١٩٨٠ أعاد إيفان هادنغهام وأوبري برل فحص مواقع طوم، فأدى عملهما، وأعمال مشككين آخرين، الى طرح ظلال كبيرة من الشك على نظرية القمر. يقول هادنغهام: "تعكس هذه الانصاب معرفة، وان غير دقيقة، بالشمس والقمر. ولكن من الخطأ الاعتقاد أن أبناء العصر الحجري الحديث كانوا علماء ذوي تكنولوجيا متطورة. فمن الواضح ان معظم المرصوفات جزء من مجموعة معقدة من الشعائر التي لن تتسنى لنا معرفة غالبها."

غوامض باقية. تشير المقتنيات الفاخرة التي وجدت في المدافن الى أن المجتمعات الميغاليثية كانت بالغة التباين الطبقي. كما تشير الربوات المرصوفة الى أعمال شاقة استهدفت إجلال مدافن أقلية تضم ملوكا وأبطالا تراثيين. وأخيراً، تشير عظام الحيوانات الدالة على ولائم طقسية مأتمية، وما طمر من مقتنيات ثمينة، الى معتقدات قديمة عن الموت والحياة. ويعني اسم كرماريو في اللغة البريتانية "موضع الأموات"، واسم كرلسكان "موضع الحرق."

بيد أن فهم غوامض المنهيرات

والمرصوفات أمر أكثر صعوبة. ويتجادل العلماء في ما اذا كانت المنهيرات المعزولة تُعتمد كمعالم طوبوغرافية[7] او كأنصاب تذكارية. وقد تكون المرصوفات خطوطاً موكبية للاحتفالات. وقد تكون المنهيرات والأضرحة رموزاً لمدارك العصر الحجري الحديث لحركات الشمس والقمر.

أيا تكن المعاني، فان الكرنك معين للحضارة الميغاليثية في اوروبا، وعلامات خفية دافقة المعاني تَشُدّه العقل البشري، وعجائب تتركنا في عطش لا يروى. ولا يل لنا غير العودة الى هذا المكان كي نتلمس هذه الألغاز الصوانية ونشرِّد فيها خيالنا.

ديفيد روبرتس ■

(٧) الطوبوغرافيا هي السمات السطحية لموضع ما، وتشمل الهضاب والاودية والبحيرات والانهار والطرق وسوى ذلك.



فانوس الذكاء

كان ثلاثة رجال يتنزهون على شاطيء، فعثروا على فانوس مدفون في الرمل، فالتقطوه وراحوا ينظفونه، فخرج منه مارد قال لهم: "لبيكم! سأحقق لكل منكم امنية واحدة."

ففكر الاول: "ان لدي زوجة رائعة وسيارة فخمة ومالا وفيراً." ففرك المصباح هامساً: "أتمنى ان اكون ذكياً عشرة أضعاف ما أنا." فقال له المارد: "صرت الآن اذكى عشرة أضعاف."

وفكر الرجل الثاني: "لي زوجة ثرية، وعندي ثلاث سيارات فخمة." ففرك المصباح مدمدماً: "أتمنى أن أكون اكثر ذكاء مئة مرة."

فقال له المارد: "لقد صرت الآن اذكى مئة ضعف."

وفكر الرجل الثالث: "زوجتي وارثة ثروة ضخمة، ولدي أسطول سيارات." ففرك المصباح وقال للمارد: "اتمنى أن أكون أذكى الف مرة."

فاشار اليه المارد بيده معلناً: "لقد صرت الآن امرأة!"

أ.ر.

البلل والزكام

درسنا في صف علم الجراثيم أن الزكام ينتقل بملامسة الفيروس - كأن تصافح شخصاً يحمله. وطمأننا الاستاذ الى أن خروجنا حفاة مبللي الشعر لن يتسبب في اصابتنا بالزكام.

فانبرى أحد الطلاب قائلا: "أستاذ، هلا تكرمت بكتابة هذه المعلومات وتوقيعها؟ أريد أن أرسلها الى أمي."

س.د.

مصانع الغد: كمبيوتر وروبوت يعملان في الظلام

تقود ايطاليا ثورة صناعية جديدة تتجه الى اعتماد الآلات كلياً في عملية التصنيع. والمنظر في مصنع "مؤلل" يشبه مشهداً من "حرب النجوم"

رأيت، للمرة الاولى في حياتي، توالد الروبوتات[1] داخل مصنع في بلدة بياسينزا القديمة على بعد ٦٥ كيلومترا من ميلانو. كان المنظر يثير الضيق: خط من البنى المعدنية اللامعة تصنّع آليا ألوف الاجزاء التي، متى جُمِّعت، ستشكل بنى معدنية لامعة جديدة تماثل تلك تماما. تساءلت عما اذا كنت أشهد فجر عصر جديد حيث تتطور الآلات وتتكاثر، كما

(١) الروبوت (robot) هو ما كان يعرف بـ"الرجل الآلي."

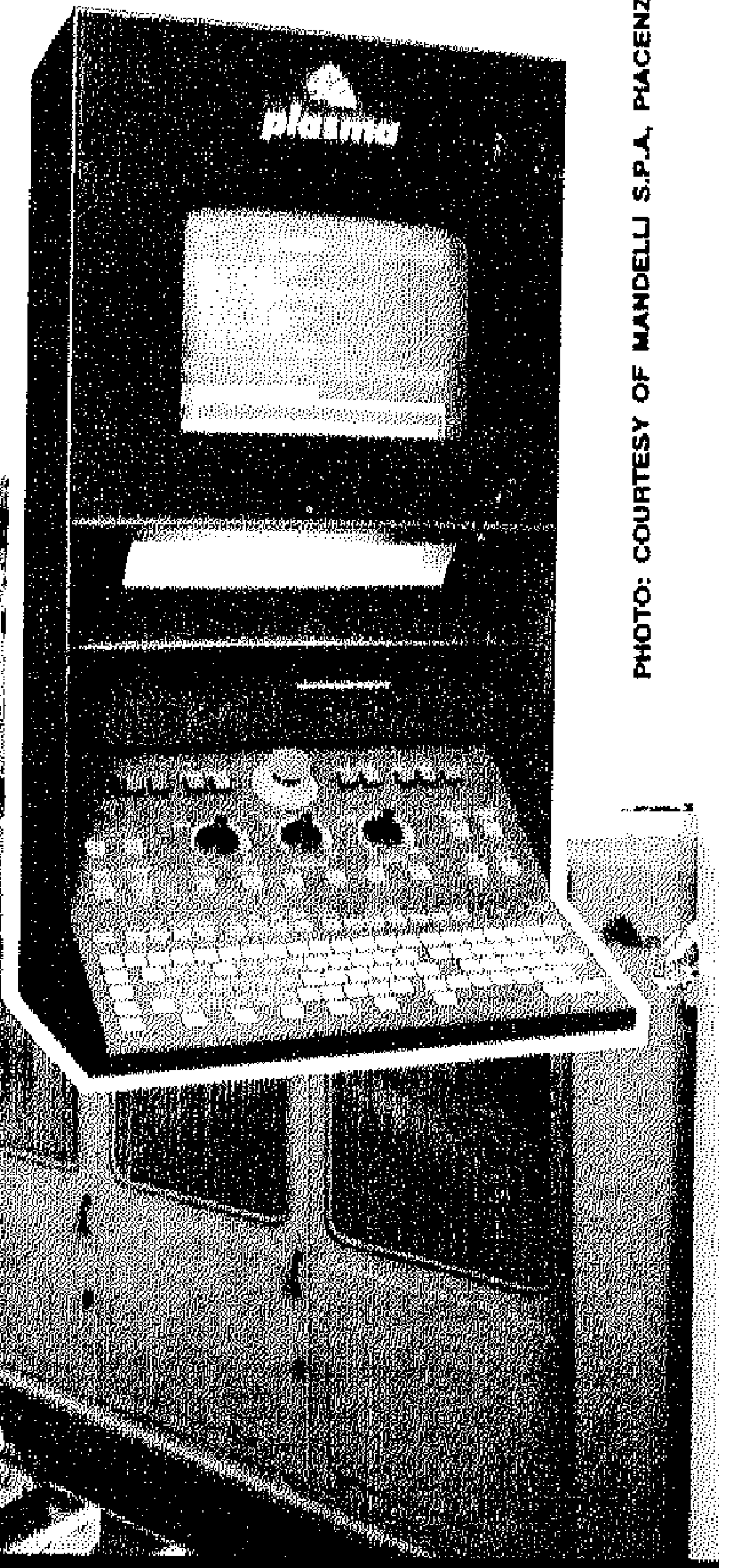
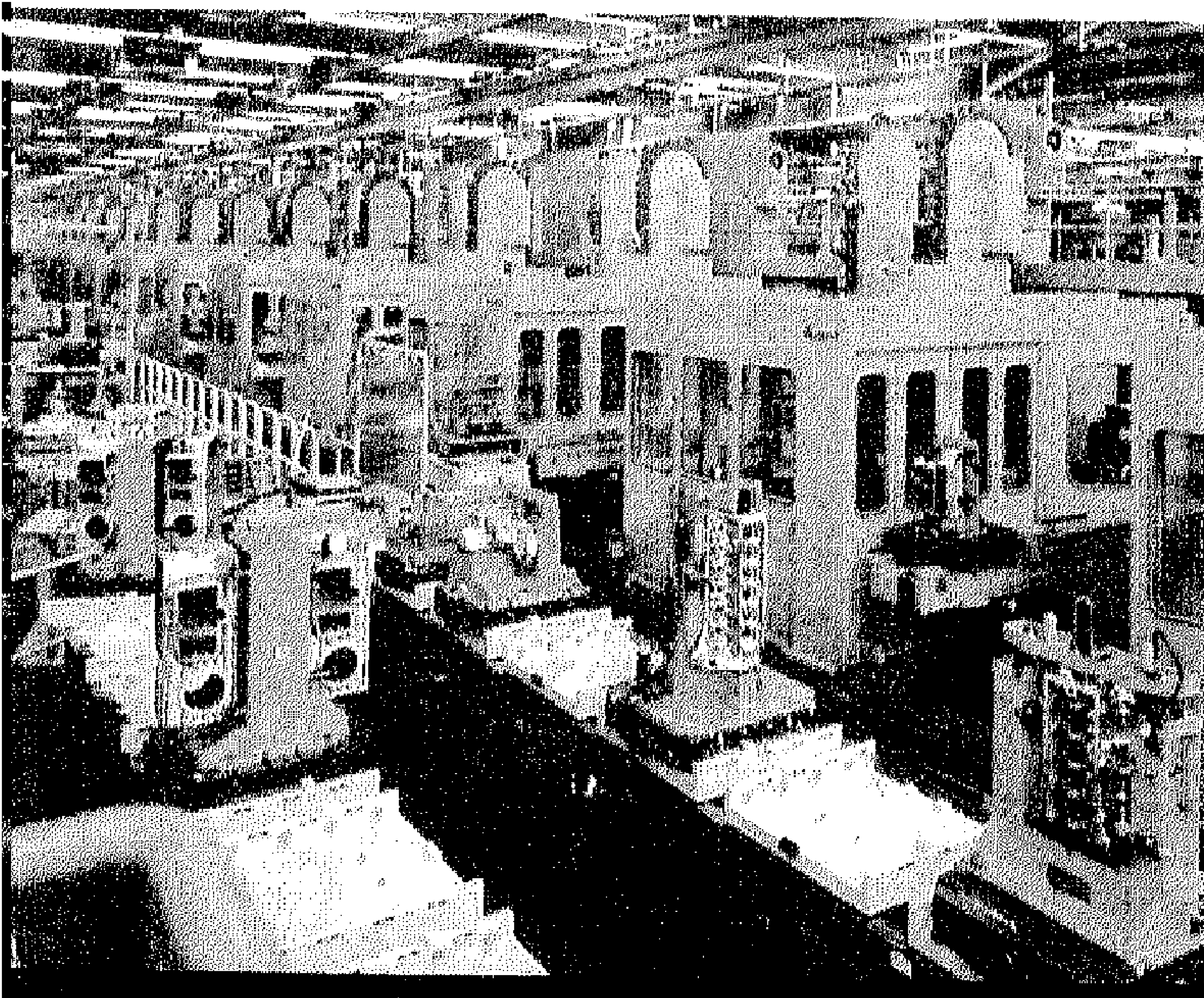


PHOTO: COURTESY OF MANDELLI S.P.A, PIACENZA

آلات تصنع آلات: هنا "نظام تصنيع مرن" في معمل "فيراري" حيث تصنع محركات السيارات بادارة كمبيوتر.



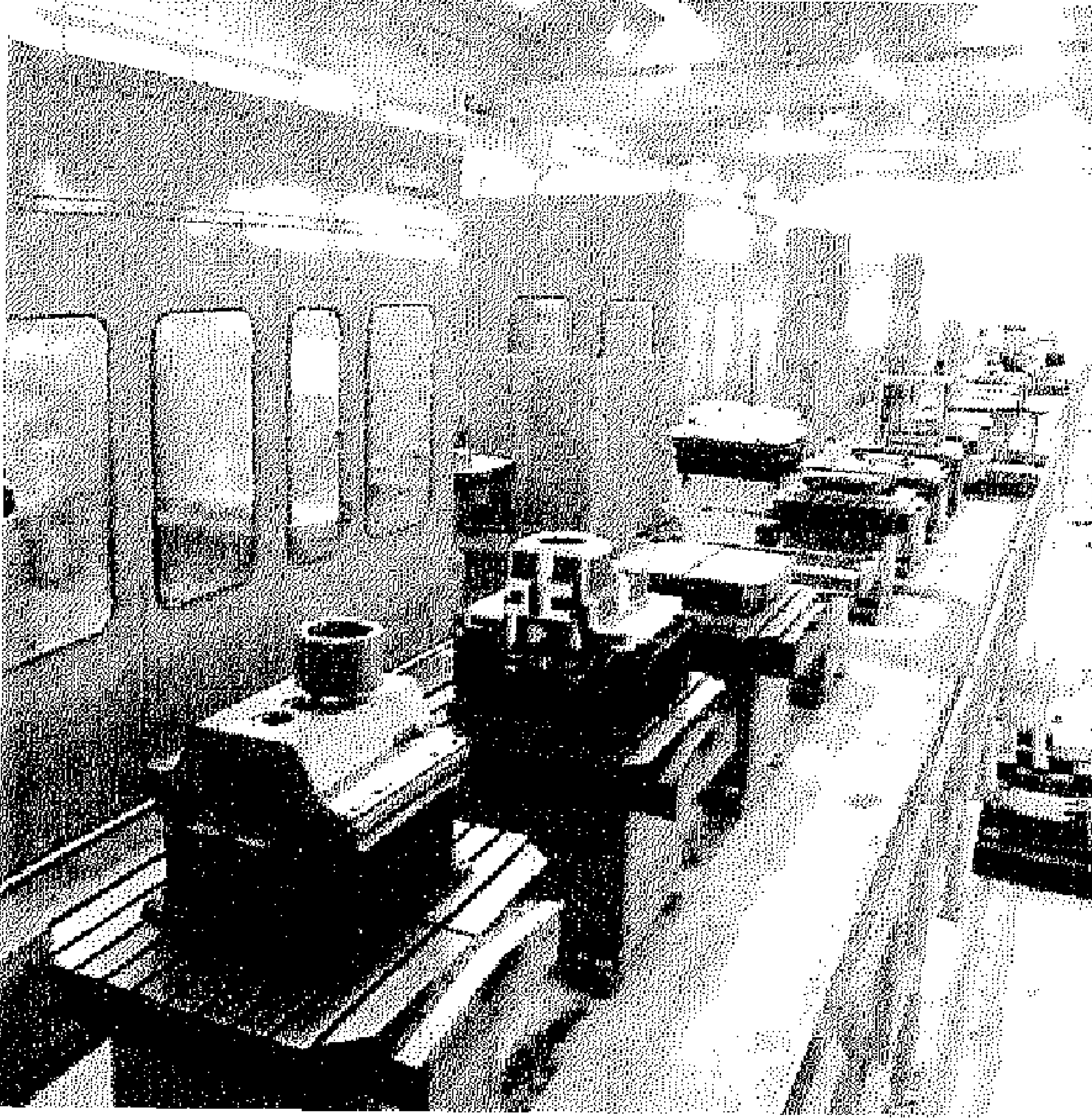
الانسان قبلها. لكن الاكيد، في أي حال، هو أن التكنولوجيا الحديثة تجعل عملية التصنيع آلية بكليتها تقريباً.

ينزع الواحد منا، ذهنياً، الى ربط المصانع العالية التقنية بالولايات المتحدة أو اليابان. المدهش أن ايطاليا - الاكثر شهرة بفنونها وأطباقها وأزيائها - هي اليوم رائدة في عالم "التأليل" الصناعي[2] ويقع واحد من المصانع العالمية الاكثر اعتماداً على هذه التقنية في كاسينو. وتبيع ايطاليا تكنولوجيا الروبوت من الامريكيين واليابانيين.

رغبت في القاء نظرة عن كثب على ثورة ايطاليا الروبوتية، فزرت تيرمولي على بحر الادرياتيك، حيث دشنت شركة "فيات" في العام ١٩٨٥ مصنعها الذي تجاوزت تكاليف بنائه ٦٠٠ مليار لير ايطالي (نحو ٥٠٠ مليون دولار) لانتاج محركات في عملية تستخدم الروبوتات من ألفها الى يائها. ان محركات "فيات" المبتكرة، بما فيها المحرك 1000 CC، تصنع وتجمّع وتختبر بآلية كلية، ويخرج من خط التجميع محرك كل ٢٠ ثانية.

أُقيم هذا المصنع الفسيح النظيف الهادىء وسط غابة خضراء. ويلتف خط التجميع الذي يبلغ طوله كيلومتراً، كأفعى معدنية عملاقة حول أرض المصنع التي تبلغ مساحتها ٥٦ ألف متر مربع. ويتولى نحو مئتي آلة اعداد كل من عناصر المحرك للتجميع بواسطة ٧٣ روبوتاً و١٠٧ نواقل آلية و١٠٣ أجهزة كمبيوتر. ولا تستغرق عملية تصنيع العناصر الاساسية وتجميعها واختبارها نهائياً سوى ٩٠ دقيقة.

راقبت، مسحوراً، روبوتاً يتناول بدقة صماماً رفيعاً من منصّة نقّالة مستخدماً "اصبعين" فولاذيتين سوداوين، ويولجه بلطف في رأس أسطوانة محرك. كان الروبوت يعمل بسرعة فاقت قدرتي على



آلات تتوالد: داخل معمل "مانديلي" في بياسينزا روبوتات تصنع اجزاء تشكّل، متى جمّعت، نسخاً مطابقة لامّاتها.

متابعة حركاته، وبدقة متناهية، توجهه "عين" كاميرا تلفزيونية موصولة بكمبيوتر. كما شاهدت على خط التجميع أنبوب هواء مضغوط يطلق براغي تنغرز في مواقعها وتُشدّ لاحقاً بواسطة ذراع روبوت.

(٢) "التأليل" او "الاتمتة" (automation) ادارة الاجهزة بوسائل ميكانيكية أو الكترونية تحل محل الحواس الملاحظة عند الانسان وتوفر عليها عناء التقرير وبذل الجهد.

PHOTO: COURTESY OF MANDELLI S.P.A, PIACENZA

يتنقل كل محرك على خط التجميع وقد زوِّد رمزاً بصريا (كالذي يستخدم على سلع السوبرماركت) يملي على الروبوتات ما يجب عمله. ويستطيع بعض هذه الروبوتات انجاز أعمال عدة قد تصل الى ١٣ عملاً، فيختار الاداة المناسبة من مجموعة قد تضم ٣٢٣ أداة.

لكن أكثر ما أثار اهتمامي في المصنع هو غياب البشر. قبل اعتماد التأليل كان مصنع كهذا يضم نحو ألف عامل على خط التجميع. أما اليوم، فهناك ٢٥٠ فقط.

وظائف جديدة. ابان الثورة الصناعية في بريطانيا، انبرى رجل يدعى ند لود مستنكراً ادخال الآلة الى المصانع. وأدّى ذلك الى قيام حركة "اللوديَّة." وقد عمد اللوديون الى تدمير الآلات حيثما استطاعوا لايمانهم بأنها سوف "تسرق" منهم وظائفهم. لكن الثورة الصناعية لم تؤدِّ الى بطالة جماعية، انما أحدثت أنواعاً مختلفة من الوظائف.

تثار الآن، بعد قرنين من الزمن، مخاوف مشابهة. هل يحل الكمبيوتر والروبوت مكان الانسان؟ تجتمع الآراء على أن التأليل سوف يوفر فرص عمل جديدة أكثر من تلك التي سيلغيها.

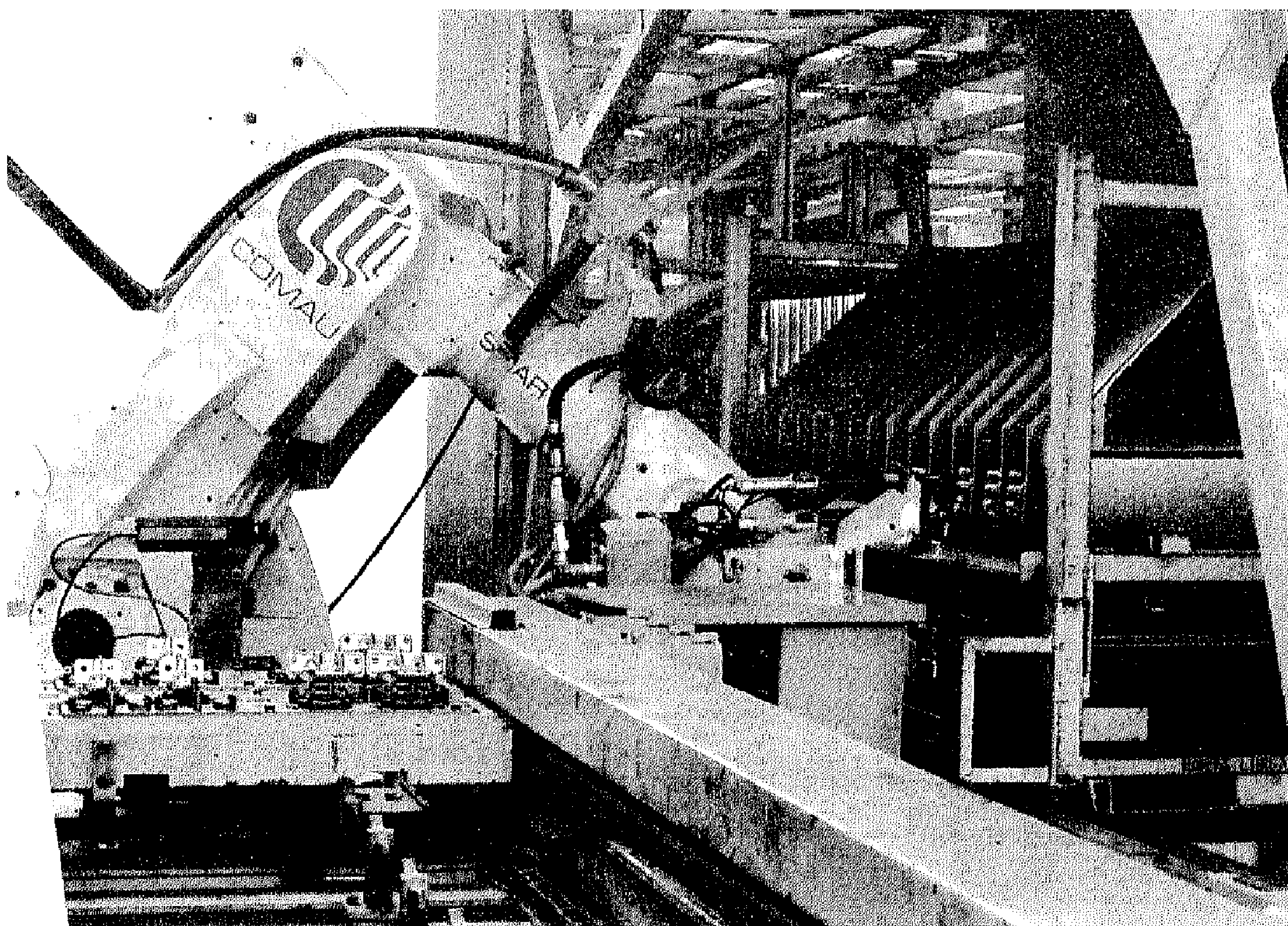
مثالا على ذلك، ازدادت القوة العاملة في شركة فيات بين العام ١٩٨٧ والعام ١٩٨٩ من ١٣٠ ألف شخص الى ١٣٤ ألفاً. وتعزى هذه الزيادة، جزئياً، الى النشاطات الاضافية التي تتطلبها الحاجة الى انتاج عدد أكبر من السيارات، من مهمات ادارية ومكتبية واشرافية ونقل وتخزين وسوى ذلك.

يؤدي التحوّل نحو اعتماد الروبوتات الى تغيير ملامح المصانع، ليس تكنولوجيا فحسب بل اجتماعيا أيضاً، اذ أصبح العاملون مع الروبوتات اختصاصيين بحقل جديد من المعرفة: الميكاترونيك الذي يشمل علوم الميكانيك والالكترونيات والخصائص الميكانيكية للهواء.[٣] العاملون في هذا الحقل هم مبرمجو كمبيوتر ومراقبو روبوتات، ويحتاجون الى أشهر من التدريب في مواقع العمل قبل تسلم وظائفهم. يقول جيراردو ميدونيو وهو خبير بالالكترونيات والكمبيوتر في أحد مصانع "مانديلي"، تلك الشركة القائمة في بياسينزا حيث شاهدت "توالد" الروبوتات: "العامل في المصانع القديمة الطراز يوشك الاندثار، والحاجة الآن هي الى موظفين متخصصين."

أما فنسنزينو زارلنغا (٢٩ عاما) الذي تدرّب ليكون مدرسا ثم اختار العمل في مصنع فيات، فيقول: "الفرق الكبير الآن هو أنك تستعمل عقلك لا عضلاتك. قد يقتصر عملك على كبس زر، ولكن عليك أن تعرف لماذا تكبسه وكيف تكبسه." وهو يؤمن بأن الروبوتات حررته وزملاءه من مشاق العمل الجسدي المتكرر وسمحت لهم باستخدام ذكائهم وقدراتهم الابداعية.

---

(٣) Mecatronics which spans mechanics, electronics and pneumatics.



انتاج روبوتي: تثبّت المفاصل آليا في ابواب السيارات في مصنع فيات العملاق في كاسينو.

خسائر فأرباح. ان اتحادات عمال مصانع السيارات هي التي ضغطت، بدءاً من العام ١٩٧١، لكي تحل الآلات مكان الانسان في بعض الاعمال التي اعتبرت خطرة أو مزعجة أو تنطوي على مخاطر صحية، مثل اللحام ورش الاصباغ. وعدد ساعات العمل الضائعة في اضرابات عمالية هي اليوم أقل كثيراً في المصانع التي تعتمد التصنيع الآلي منها في المصانع التقليدية. ويتلاشى التمييز التقليدي بين أصحاب الياقات البيض وأصحاب الياقات الزرق،[٤] اذ تتولى الروبوتات الاعمال اليدوية في المصانع التي تعتمد التأليل. وفي الواقع، لا يرتدي أصحاب الياقات الزرق في مصنع "كاسينو" أي ياقات، بل قمصان قطنية بألوان مختلفة تدل على اختصاصهم أو على الدائرة التي ينتمون اليها. يقول بيليغرينو دامور (٤٢ عاماً) الذي بدأ عمله مع فيات قبل ٢٣ عاماً عاملاً مبتدئاً وأصبح الآن مراقب روبوتات: "الاوضاع أفضل كثيراً الآن، وأنا فخور بما أفعله."

وترفع الروبوتات انتاجية المصانع الى حد هائل، كما ترفع أرباحها. في العام ١٩٧٩ تعيَّن على شركة فيات انتاج ١،٩ مليون سيارة لتغطية مصاريفها، لكنها لم تنتج الا ١،٧ مليوناً فمنيت بخسائر

(٤) الياقة البيضاء (white collar) هي رمز فئة من ذوي الرواتب، كالمدرسين والموظفين، الذين تقتضيهم وظائفهم الظهور بمظهر انيق. والياقة الزرقاء (blue collar) رمز عمال الطبقة الكادحة.

PHOTO: COURTESY OF FIAT AUTO PRESS OFFICE

فادحة. وفي العام ١٩٨٨ باتت تحتاج الى صنع ١،٥ مليون سيارة فقط لتغطية مصاريفها نتيجة انخفاض كلفة التشغيل الذي يعزى الى اعتماد التصنيع الآلي، وهي أنتجت ٢،١ مليون سيارة تلك السنة.

تنتج الصناعة الروبوتية نوعية متناسقة لا تتغيّر. فالروبوتات تعمل ضمن "هامش خطأ" لا يتجاوز كسراً من الميكرون[٥] فلا تنجم فروق ملحوظة بين قطعة وأخرى. لذا عمدت شركات مثل "فيراري" و"جاغوار" الى شراء روبوتات ايطالية لمصانعها. كما تأتي سيارة "فيات أونو" في ٣٣ شكلا مختلفا، وهي أكثر السيارات الصغيرة مبيعاً في أوروبا، والفضل في ذلك يعود الى الروبوت.

أخيراً، هناك ميزة اقتصادية أكيدة تتأتى عن استخدام الروبوتات. فالقوالب وموجِّهات التشغيل التي تستخدم في معمل تقليدي لصنع سيارة مثلا، يُستغنى عنها عندما يتوقف انتاج ذلك الطراز. لكن الروبوتات نفسها يعاد استخدامها لانتاج طرازات مختلفة ومنتجات جديدة كذلك، من سيارات وشاحنات وحتى طائرات. فلا يلزم الا اعادة برمجة الروبوتات للقيام بالعمل الجديد.

مصانع في الظلام. ان اعتماد الروبوتات في الصناعة عملية لا عودة عنها، هدفها الاخير إحداث مصانع "مؤلَّلة" كليا تعمل على مدار الساعة كل أيام الاسبوع. يقول جيان كارلو مانديلي رئيس شركة "مانديلي": "اننا نتجه نحو التأليل الكلّي للعملية التصنيعية، بدءاً بمكتب الرسم حيث توضع التصميمات بمساعدة الكمبيوتر وانتهاء بتجميع آلي صرف في "مصانع الغد المظلمة"، وهي تدعى كذلك لأن الروبوتات لا تحتاج الى نور أثناء تأدية مهماتها."

تختلف روبوتات مانديلي في بياسينزا وآفيلينو عن الآلات التي تشبه الانسان شكلا والتي شاهدتها في تيرمولي. فهي بنى شاهقة تمرّ عبرها سلاسل عملاقة تشبه سلاسل الدراجات النارية، وهذه أحزمة متحركة تنقل الادوات المطلوبة الى القابض،[٦] وهو جزء في الآلة يثبّتها في أمكنتها. تدعى مجموعة الآلات هذه "نظام التصنيع المرن."[٧] وعناصر هذا النظام مربوطة كلها الى جهاز كمبيوتر يتابع ما تفعله كل آلة ويقرر مهمتها التالية، ويتولى، في حال تعطل احدى الآلات، إعادة تنظيم العملية بحيث تؤمِّن الآلات الاخرى سدّ النقص الحاصل.

يقول جوسيبي دي ماركو وهو مدير أحد مصانع مانديلي: "تنتج الآلات، في خط تجميع تقليدي، كميات كبيرة من الشيء نفسه، مما يؤدي الى تجمّع مخزون كبير. أما نظام التصنيع المرن فيستجيب لطلب السوق، مما يعني انتاج كميات أقل من قطع مختلفة، والغاء المخزون، وابقاء الآلات عاملة بطاقتها القصوى."

(٥) الميكرون جزء من الف من المليمتر.
(٦) chuck
(٧) Flexible manufacturing system

مشهد فضائي. بعد انقضاء نحو عقدين على ظهور أول روبوت صناعي في ايطاليا، بدأت هذه التكنولوجيا الانتشار في الصناعات الخفيفة والمتوسطة. فقد باعت شركة "كوماو" في غروغلياسكو قرب تورينو التي تمد شركة فيات بمعظم روبوتاتها، أكثر من ٥٠٠ روبوت لشركات تعمل في قطاعات مختلفة كـالمواد الغذائية وبيع التجزئة (القطاعي) والنقل والهندسة الخفيفة. يُستخدم معظمها في أنظمة المستودعات حيث تخزن البضائع وتستعاد للتسليم بواسطة منصات نقالة مؤللة مما أدّى الى الاستغناء عن الرافعات الشوكية التقليدية.

ولكن ليس للروبوتات الضخمة أماكن كثيرة تستخدم فيها. ومن هذه الاماكن مصنع فيات العملاق في كاسينو. انه يبدو كحديقة روبوتات تحتوي على ٤٥٠ روبوتاً وأكثر من ٤٠٠ كمبيوتر، اضافة الى ٥٧٠ عربة تسيّر آلياً وتنقل العناصر من قسم الى آخر في المصنع الضخم. وهناك آلات تبدو كأخطبوط عملاق، وأخرى كأوزة، وروبوتات كأنها اشتركت في فيلم "حرب النجوم."[٨] وتتراكض بينها "مكوكات" صغيرة على مسارات مغناطيسية بأضوائها اللامعة كأنها أخوة «R2D2» الروبوت الذي أحببناه في هذا الفيلم.

هذا المصنع المؤلَّل المصمم لانتاج ١٨٠٠ سيارة فيات يومياً يوظف ٧٠٠٠ شخص، أي أقل ٣٠٠٠ من العدد الذي كان يعمل في المصنع قبل اعادة بنائه عام ١٩٨٥ بكلفة ١٣٠٠ مليار لير ايطالي (نحو مليار دولار). وينتج المصنع ١٦٠٠ سيارة يومياً، فيضاهي أحدث المصانع اليابانية المؤلَّلة. وقد يصل هذا الانتاج الى ١٨٠٠ سيارة يومياً في نهاية السنة ١٩٩١.

شاهدت في كاسينو سيارة "فيات تيبو" تتحول من قشرة فارغة الى سيارة لائقة. ويشبه خط التجميع نهراً عظيما تمدّه روافد بالعناصر المختلفة: المحرك، المقاعد، الابواب، الزجاج، الدعامات. وتتولى روبوتات وضع لوحة أجهزة القياس في مكانها بتأن وتثبيتها بواسطة براغ، ثم تعمد مجسّات موجهة بواسطة "نظر روبوتي" الى اختبار كل زر وقابس وأداة تحريك ومفتاح تحويل للتأكد من حسن أدائها. وتثبِّت الروبوتات العجلات الى السيارة بواسطة براغ، ثم تحكم تبطين السقف وتضبيف الدعامات، منفذة اختبارات نوعية دقيقة في كل مرحلة من العملية. ان ٥٠ في المئة فقط من سيارة "تيبو" تصنع الآن بجهد الانسان.

ماذا عن المستقبل؟

فيما أنا أراقب أحد الروبوتات في كاسينو وهو يشد عشرات البراغي في وقت واحد، وأشاهد روبوتاً آخر يملأ خزان وقود من دون أن يريق نقطة، راودني أنني لا أنظر الى مجرد روبوتات تصنع سيارات، بل الى روبوتات تشكِّل عالم الغد.

كريستوفر ماثيوز ■

(٨) Star Wars

رسّامة تطارد المجرمين

أم شابة تساعد في القبض على مجرمين عتاة وسلاحها قلم وورقة

فيما كانت لويس غيبسون تطعم طفليها فطورهما، رن جرس الهاتف. وطالعها صوت من دائرة الشرطة في هيوستن (ولاية تكساس) أخبرها أن جريمة وقعت وسألها إن كانت قادرة على الحضور فوراً.

وفي مقر الشرطة علمت أن الضحية هي ساندرا آبوت (٣٩ عاما) وانها أم لأربعة أولاد. وعلمت أيضا أن ابنها البالغ من العمر اثني عشر عاماً شاهد أمه تُطعن حتى الموت في منزلها في الرابعة من ذلك الصباح.

في هذه المرحلة كان التحقيق يعتمد كلياً على لويس غيبسون. وهي رسامة شرعية تحدد ملامح المجرمين بمساعدة الشهود المضطربين على ولوج ذاكراتهم اللاواعية واستخراج التفاصيل المحيِّرة.

وتنجح رسومها بنسبة ٤٠ في المئة في ايصال الشرطة الى القبض على المشبوهين وادانتهم، وهذه نسبة جيدة في مجمل المقاييس، لكنها ليست كافية



JANICE RUBIN BLACK STAR

بالنسبة اليها. ذلك ان لويس مندفعة بحماسة غير عادية لاحقاق العدالة، خصوصاً أنها تعرضت للاغتصاب وهي شابة.

البداية. التقت لويس في مركز الشرطة محققَين أخبراها أن الدلائل الأولية تشير الى أن مرتكب الجريمة شديد الاهتياج بفعل تعاطي مخدر الـ"كراك" وهو نوع من الكوكايين النقي القوي المفعول، وقدما اليها ابن الضحية واسمه ريغي.

حيَّت لويس الفتى بابتسامة وقادته الى غرفة وضعت فيها مسند الرسم، وقالت: "إني آسفة لما حدث لوالدتك." تلت ذلك لحظة صمت إذ راح ريغي يبكي بمرارة. فناولته لويس علبة مناديل ورقية وانتظرته حتى استعاد هدوءه، ثم تابعت: "الجميع هنا يتحدث عن الشجاعة التي أبديتها."

فقوَّم الفتى جلسته وهتف: "أصحيح هذا؟" وتابعت لويس حديثها الودي قائلة إنهما يستطيعان معاً المساعدة على جلب القاتل الى العدالة.

فعدَّل الصبي كتفيه وراح يصف بصوت مرتجف ما شاهده ساعة الجريمة.

كلمة حب أخيرة. دق الباب وسط الليل، فنهضت الام لترى من الطارق. ولما سمع ريغي أصواتاً مرتفعة قام ناعسا ليرى ما الأمر. فشاهد في غرفة الجلوس غريباً ينتضي سكين جزار يهدد بها والدته طالباً مالا، فصاح: "أرجوك، لا تؤذها يا سيد. سآتيك بالمال." وركض الى غرفة النوم حيث وجد أربعة دولارات عاد بها مسرعاً وقدمها الى الرجل. لكن المعتدي رمى بها أرضاً وقال: "أريد مالا حقيقياً." ثم راح يطعن ساندرا أبوت من دون رحمة.

ولمَّا فرّ المعتدي احتضن ريغي والدته التي كانت عبارتها الأخيرة كلمة حب أسرَّتها في أذن ولدها وهي تودعه مبتسمة.

وتذكُر لويس: "في تلك الاثناء وجدتني أنشج باكية، حتى أن الصبي أعاد الي علبة المحارم." وقالت له وهي تكفكف دموعها: "ريغي، سيغدو كل ما ستواجهه في الحياة سهلا بالمقارنة بما مررت به." فأومأ برأسه موافقاً.

ثم أعدَّت لويس أقلام الطبشور الملونة.

قال ريغي: "لا أذكر سوى أن شعره كان كثاً." فمررت لويس أول أقلامها على الورق الرمادي.

وجه يتكون. ما إن أكمل ريغي وصف الشكل الاجمالي للرجل حتى ناولته لويس دليلا مصوراً للوجوه خاصاً بمكتب التحقيقات الاتحادي (FBI) شارحة له أن الدليل يُظهر جميع أشكال العيون والجبهات والأنوف والشفاه والذقون والآذان والشعر. وعليهما انتقاء الملامح التي تشبه ملامح القاتل ودمجها على الورق. فأكب ريغي على الدليل المصور يختار الملامح المناسبة واحدة فواحدة الى أن اكتملت الصورة بعد ساعة.

وإذ عرضت لويس الرسم على الفتى

تصلبت ملامحه وقال: "نعم، هذا هو، الا أن لحيته أكبر." فتناولت لويس قلمها وأضافت ما نقص حتى اكتملت الصورة المركّبة.

بعد ذلك طبعت نسخ من الصورة ووزعت على شبكات التلفزة والصحف ولمّا تمضِ ١٢ ساعة على الجريمة.

جمعت لَويس معداتها وهي تبكي، ثم تمالكت نفسها. وهنا خرج النقيب بوبي فرنك آدمس رئيس قسم الجنايات من مكتبه وأخذ يواسيها: "يقولون إنكِ قمتِ بعمل رائع."

فردت لويس: "آمل أن يساعدك ذلك في القبض على القاتل."

"اتصلوا بالشرطة!" عمل لويس غيبسون هو جزء من اختصاص متنام يدعمه مكتب التحقيقات الاتحادي الذي ينظم "برنامج تدريب على الرسم التركيبي" مدته اسبوعان في اكاديمية الـ«FBI» في كوانتيكو (فيرجينيا). ويرتكز هذا البرنامج أساساً على عمل هوراس هيفنر الرئيس السابق لوحدة الفنون التصويرية في مكتب التحقيقات، الذي يقول: "في وسع أي كان تذكر ألوف الوجوه، لكن قلائل يستطيعون إعطاء وصف دقيق. وهذا بالضبط ما يتوخاه برنامجنا التدريبي ودليلنا المصور." وأظهرت الدراسات أن تحديد الشبه بهذه الطريقة جاء أفضل من نتائج الكتيبات المصورة وأسلوب التركيب الفوتوغرافي بواسطة الكمبيوتر.

لقد ساد استعمال الرسوم التخطيطية التقليدية طويلا قبل اعتماد التركيب الفوتوغرافي بواسطة الأدمغة الالكترونية. وأتقنت لويس الرسم التخطيطي للوجوه في الجامعة قبل بدء اهتمامها بالعمل رسامة لدى الشرطة.

وبعد انتقالها الى هيوستن عام ١٩٧٨ وزواجها بدأت تفكر في العمل مع الشرطة. وسبق ذلك كثير من المكالمات الهاتفية غير المشجعة، لكنها نجحت أخيراً في إقناع الملازم دون ماكوليمس في قسم السرقات بدائرة شرطة هيوستن بأن يتيح لها فرصة. وهو قال لها: "لا أدري كيف سندفع لك، لكننا سنجد طريقة وإن اضطررنا الى "السطو" على مخصصات القهوة."

وهذا تماماً ما فعل.

عملت لويس لأشهر في قضايا السطو. وتفاوتت نتائج أعمالها بين النجاح والفشل. ثم تحقق لها أول نجاح مبين.

ففي الشفق القائظ من ٧ يوليو (تموز) ١٩٨٢ سمع راكب دراجة في حديقة هيوستن التذكارية جلبة في ناحية كثيفة الأشجار قرب الممر. فحدق عبر الأجمة ليرى على بعد عشرة أمتار رجلا ينتضي سكيناً وهو راكع قرب شخص آخر. نظر المعتدي الى راكب الدراجة وركض هارباً في اتجاه معاكس. وتمدد على الأرض رجل أعمال في منتصف العمر وهو ينزف من جراء طعنات عدة. فهرع راكب الدراجة عبر الممر وراح يصيح في رواد الحديقة: "اتصلوا بالشرطة! أحدهم يحتاج الى مساعدة!"

ثم رأى شاباً قرب موقف السيارات،

فطلب منه أن يكتب أرقام لوحات السيارات المتوقفة في المكان لان اعتداء حصل على أحد الأشخاص. ثم ركض عائداً لمساعدة الضحية. ووصل رجال الشرطة، لكن المصاب كان فارق الحياة.

صورة لا تمحى. طلب محققا الجنايات دوغلاس أوستربرغ ود.إ. كالهون من الكابتن آدمس استدعاء رسام تخطيطي. وإذ كان آدمس سمع بلويس فقد طلب منها مقابلة راكب الدراجة لرسم صورة المعتدي.

لكن راكب الدراجة لم يرَ الا لمحة من وجه القاتل. واذ أثر الحادث سلباً في قوة ملاحظته قال للويس إنه مرتبك وليس على ثقة بأنه يصف المعتدي وصفاً صحيحاً. غير أن لويس شجعته على تذكر ما تيسرت له ملاحظته. وبعد ساعة ونصف ساعة من العمل خرجت لويس غير راضية وهي تحمل رسماً للقاتل أظهر وجهاً مثلثاً لشاب متجهم ذي شعر كثيف مفروق في الوسط.

وتذكُر لويس ما قاله أوستربرغ: "تبدو لنا الصورة جيدة." ولكن عندما عادت لويس الى منزلها قالت لزوجها إن الرسم غير نافع تماماً وإنها لا تقوى على نسيان الضحية وجروحها الثخينة.

في تلك الأثناء وزعت نسخ من الرسم على الصحف وشبكات التلفزة. ويذكر أوستربرغ: "في الصباح التالي تلقيت مكالمة هاتفية في منزلي بدت ملحة الى حد أني اتصلت بالشخص الذي كالم قسم الجنايات. وحين تحدثت إليه بدا مرتبكا هائجاً اذ قال: "اسمع، شاهدتُ هذا الصباح صورتي في الصحف، صورة تشبهني تماماً." قلت: "حسناً، هل أنت الرجل الذي أبحث عنه؟" فقال: "لا، لكني قد أعرفِ من هو. أين يمكن أن نلتقي؟" اقترحتُ أحد المقاهي ثم اتصلت بالمحقق كالهون. وعندما التقيناه دهشنا لأن ما رسمته لويس كان صورة مطابقة له.

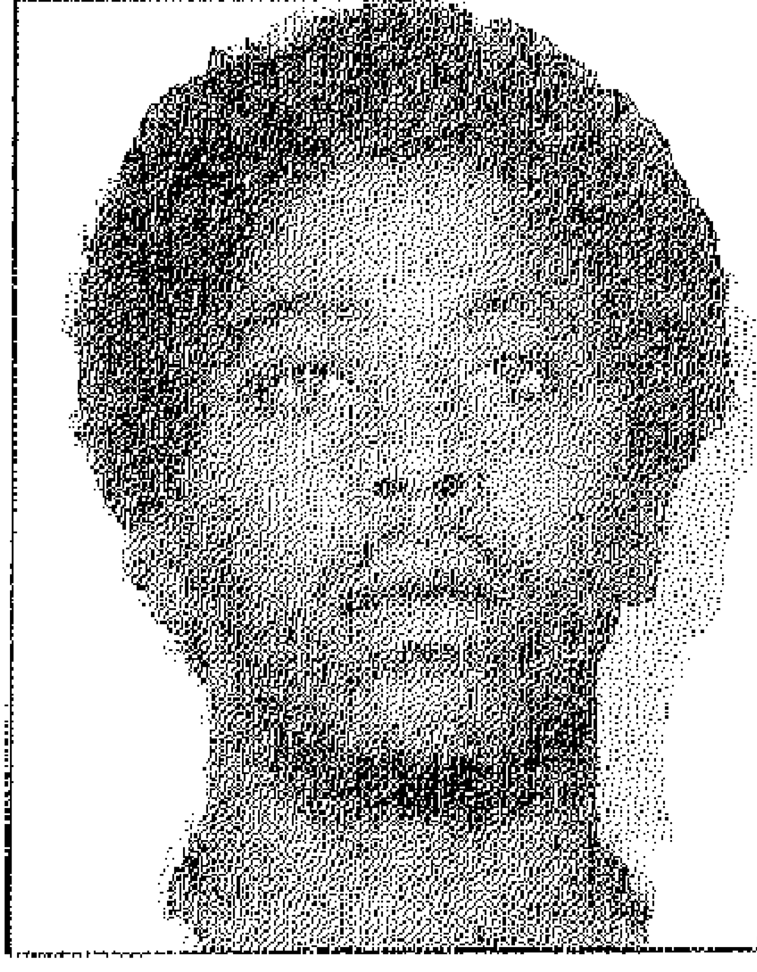
أخبر الشاب الشرطيين أنه كان ساعة الجريمة في سيارته ينتظر رفيق غرفته الذي يشبهه الى حد بعيد. وعندما وصل رآه يمسح دماً عن سكين يحملها. ولخوفه على سلامته لم يوجه الى رفيقه أي سؤال. لكنه حين رأى الرسم في الصحيفة أدرك أن مخاوفه كانت في محلها.

ونتيجة إفادة الشاب، اعترف رفيقه بارتكاب الجريمة، لكنه برر عمله بأنه دفاع عن النفس. فحكم عليه بالسجن المؤبد.

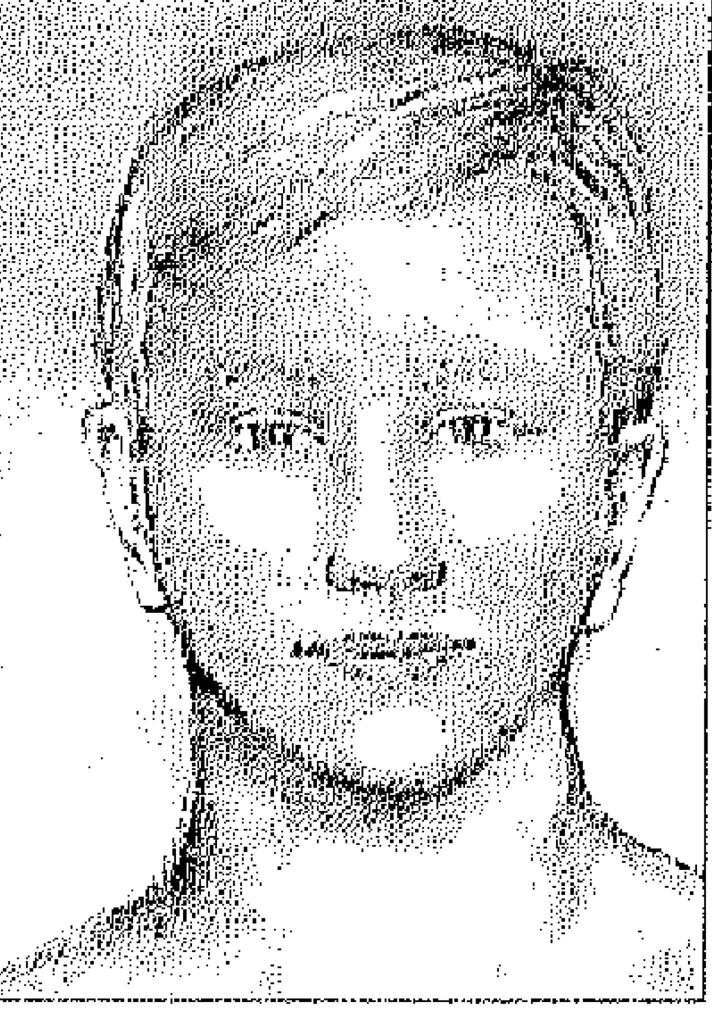
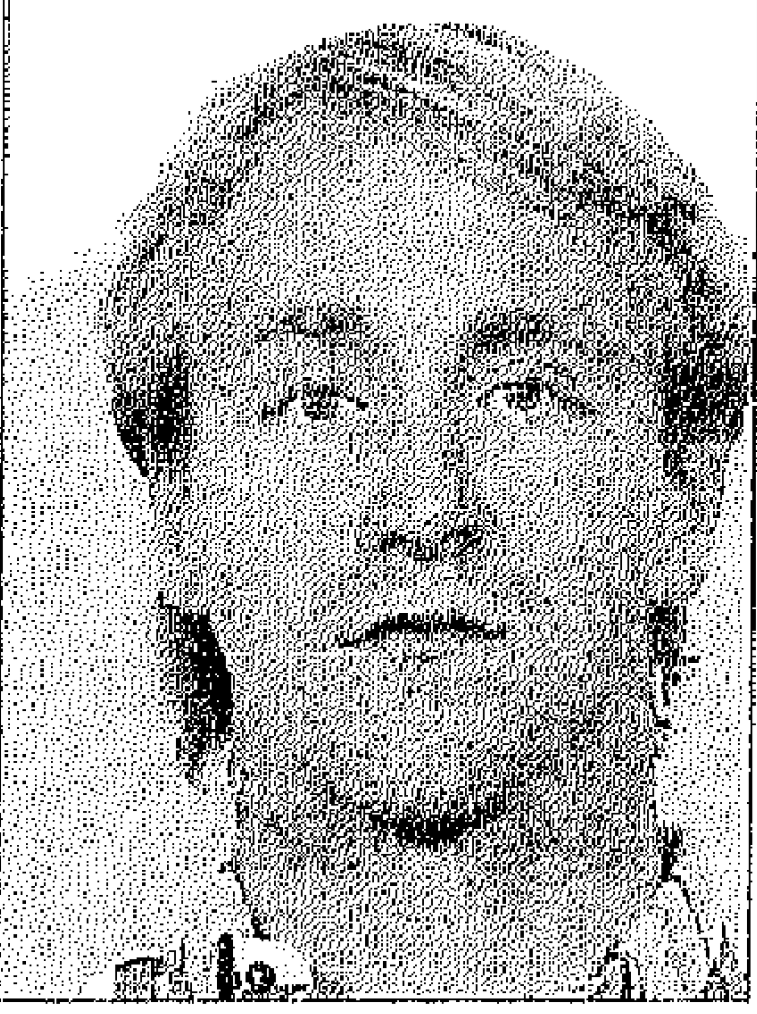
وعندما نقل أوستربرغ الخبر الى لويس صعقت وقالت: "انه لعمل رائع أن أساعد في القبض على قاتل."

وعلى رغم نجاحاتها بقي هدف لويس أن تصبح رسامة دائمة لدى الشرطة أمراً بعيد المنال. اذ بسبب قصور الموازنة كانت تمر فترات طويلة لا تعمل خلالها اطلاقاً، حتى أنها فكرت جديا في التخلي عن العمل مع الشرطة.

سطو ثلاثي. في ربيع ١٩٨٣ استُدعيت لويس الى مكتب بيل سميث

بعد سماع فتى في الثانية عشرة من عمره يصف باكياً الرجل الذي طعن والدته حتى الموت، رسمت لويس غيبسون صورة للقاتل ساعدت في القبض على المتهم داريل وين ديفيدسون.

انطلاقاً من وصف جزئي اعطته احدى ضحايا الاغتصاب، رسمت غيبسون هذه الصورة التي أدت الى اعتقال جون ساندرسن «مغتصب فوس رود.»

المسؤول عن جهاز الامن في مستودعات شركة للاجهزة السمعية. وكان بيل حصل على اسمها من الملازم ماكوليمس بعد ثلاث عمليات سطو مسلح على ثلاثة محال لبيع أجهزة الراديو، بينها عمليتان تفصل بينهما بضع ساعات. وكان الفاعل رجلا أسود يقارب الخامسة والعشرين من عمره ويزن نحو ٧٠ كيلوغراماً. وافترضت الشرطة أنه نفذ السرقات الثلاث وحده. غير أن لويس اقتنعت بعد مقابلتها الشهود بأن ثلاثة رجال مختلفين اقترفوا السرقات.

أخذ بيل سميث رسوم لويس الى دائرة الشرطة التي كانت أوقفت ثلاثة متهمين بسرقة مستودعات. وقد كتبت لويس على كل رسم اسم المتجر المسروق.

يقول سميث: "كانت رسومها ممتازة الى حد أن المحققين توجهوا الى الزنزانات وانتقوا المتهمين بيسر قائلين: أنتَ من سرق "سبرنغ برانش"، وأنتَ من سرق "أوك فورست"، وأنتَ من سرق نورثوست.""

ودِين اللصوص الثلاثة وحُكم عليهم بالسجن مدداً راوحت بين ثلاث سنوات و١٨ سنة.

وفي خريف ١٩٨٤ طلب الرقيب رالف ياربورو من لويس أن تعد رسماً تخطيطياً لرجل اعتدى على بضع نساء. وعلى أثر مقابلتها احدى الضحايا التي أعطت أوصافا متناقضة، أعدت لويس رسماً وافقت عليه ضحايا أخريات، فعمم في المنطقة.

وانصبَّت المكالمات الهاتفية ناسبة

الى المغتصب أكثر من ٥٠ اعتداء. وأخيراً وافقت احدى الضحايا على مراقبة حانة يؤمها المغتصب. وذات أمسية من أواخر ديسمبر (كانون الأول) شاهدت الضحية مغتصبها، فسارع رجال الشرطة الى القبض عليه. وكان اسمه جون ساندرسن، وهو من عائلة محترمة! وقد اعترف بارتكابه أربع "جرائم سرقة واعتداء جنسي مع سابق تصور وتصميم." وحُكم عليه بالسجن مدة ٥٠ سنة لكل جريمة.

بعيد ذلك طلبت لويس من النقيب آدمس مساعدتها على الالتحاق ببرنامج التدريب على الرسم التركيبي الذي ينظمه مكتب التحقيقات الاتحادي. فعمد آدمس الى تخصيص موازنة للرسم الشرعي على رغم أن الأموال المتوافرة كانت محدودة. وهكذا أصبح عمل لويس لدى دائرة شرطة هيوستن رسمياً، وباتت مؤهلة للالتحاق بأكاديمية الـ FBI .

وبقيت ذكرى التحاق لويس بالأكاديمية حية في ذهن مدربها هوراس هيفنر الذي قال: "كان اندفاعها غير عادي. وكانت من الطلاب المتحمسين الذين يحظون بإعجاب أي معلم."

اسم على الباب. بعد لقاء ريغي انتظرت لويس ما يجدّ في قضية مقتل ساندرا أبوت. وهي أفاقت تلك الليلة باكية، ولمّا سألها زوجها ما الأمر اجابت: "كنتُ أفكر في ذلك الصبي الذي فقد أمه."

وفي الصباح التالي لم تذق لويس طعاماً. وظلت تذرع البيت حتى رن جرس الهاتف في الحادية عشرة والثلث وكان على الخط الرقيب جيري ولسون الذي قال: "قبضنا على الرجل." وكان المتهم في التاسعة والثلاثين من عمره واسمه داريل وين ديفيدسون. وقد عرفه جيرانه من رسم لويس، كما عرفه ريغي من بين صف من الرجال موقوفين في دائرة الشرطة يوم مأتم والدته.

وتذكر لويس أنها لدى سماعها الخبر لم تتمالك عن "الصراخ فرحاً."

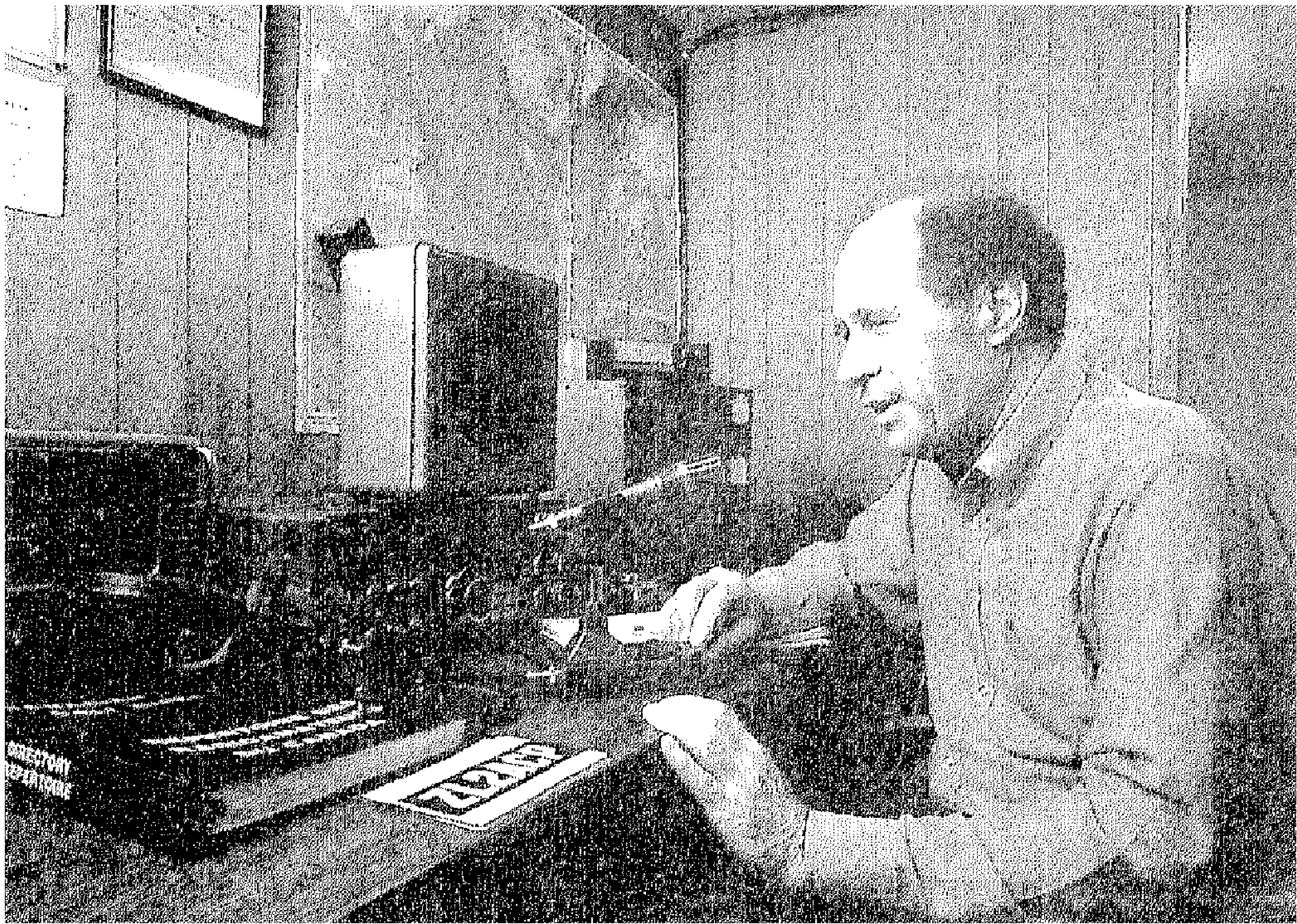
وزادها فرحاً اتصال من الملازم دون ماكوليمس بعد أربعة أشهر اذ قال: "هل يسعك بدء العمل يوم الاثنين؟ لقد نلنا الموافقة على ذلك الآن."

مشت لويس داخل مقر دائرة شرطة هيوستن يوم الاثنين عالمة أنها لن تضطر بعد اليوم الى حمل مسند الرسم الى المنزل في نهاية يوم العمل. قالت: "كان شعوراً جميلا أن أرى اسمي على الباب: لويس غيبسون، رسامة شرعية. كنت في منتهى السعادة."

ويفيد الضابط كيل إيفانز من قسم جرائم الأحداث الذي عملت لويس معه في عدد من القضايا الناجحة: "رسومها أفضل من أي طريقة اعتمدناها سابقاً. ولولا مساعدتها لبقيت قضايا كثيرة من دون حل."

وتؤكد لويس: "أحب مساعدة الناس الذين تعرضوا للإذلال والاساءة. وبكلام أوضح: جلّ ما أريده هو القبض على المجرمين."

ادوارد زيغلر ■



أصوات من الأرض تسرح في الفضاء

ينتمي هواة الاتصال اللاسلكي الى عائلة عالمية كبيرة وسعيدة

كنت في التاسعة من عمري عام ١٩٢٤ عندما تلقيت جهاز استقبال بلّوريا[1] وصله والدي بقطعة سلك خدمت هوائيا وبأنبوب ماء موصلا أرضياً. ومن السماعتين خرجت أصوات وموسيقى!

كانت هذه بداية افتتان بالراديو رافقني مدى العمر.

جهازي العتيق أداة بدائية فيها بلورة من الغالينة (كبريتيد الرصاص) بحجم قطعة نقد معدنية صغيرة تستقبل اشارات الراديو دونما حاجة الى مصدر طاقة. وهو أحضر الي مدنا بعيدة عن بلدتي واترلو في أونتاريو (كندا). وكنت في الليالي أستمع الى محطات في تورونتو وسينسيناتي وأوهايو، وأحيانا، حين تسمح الاحوال الجوية، الى محطات على

(1) Crystal set . وهو جهاز استقبال مزوّد مكشافا بلوريا وليس فيه صمامات.

مسافات تصل حتى مدينة نيويورك. وكثيراً ما كنت أغفو والسماعتان مثبتتان على أذني.

ذات مساء، بينما أنا أنتظر مباشرة بث المحطة المحلية، سمعت أصواتا غريبة تأتيني عبر الجهاز، كأنما هي أصوات أشخاص يتبادلون الحديث من دون كلفة. ثبت لي في النهاية أنها أصوات واحد من هواة التخاطب بالراديو وهو يتحدث الى صديق له من داخل "كوخ للاتصال." يبدو أنه نسي مذياعه مفتوحاً، وكان جهاز الارسال لديه قريبا الى حد أن ذبذباته كانت تصل الي عبر جهازي البلوري. أسرتني فكرة قدرة الهاوي على الارسال كما على الاستماع. وأقسمت في تلك اللحظة وذلك المكان على أن أصبح واحداً من هواة الراديو.

بعد سنوات، في العام ١٩٤٦، تحول طموحي واقعا. وحادثت، منذ ذلك الوقت، هواة من أنحاء العالم، وهم تحدثوا الي من منازلهم وسياراتهم ومن بواخر في عرض البحر ومرة من طائرة خاصة.

جزء من المرح في هذه الهواية هو أن أمواج الهواء ملأى دائما بالمفاجآت. يقول أحد الهواة: "انها كصيد السمك. فأنت لا تعرف أبداً ماذا سيعلق في شباكك." اتصلت مرة بمشغّل "خط الانذار المبكر" في المنطقة القطبية الشمالية ووصلته هاتفياً بصديقته في تورونتو. ووجدتني لأشهر أعمل وسيط غرام فيما الاثنان ينميان علاقتهما عبر الاثير. وهما تزوجا لاحقاً وزاراني.

ومرة أخرى تحول اتصال عرضي بأحد الهواة في أوهايو حديثا عن الماضي. فاكتشفت أنه ستان هاز، ضارب الطبل في فرقة المدرسة الحربية الجوية التي كنا كلانا عازفين فيها قبل ٤٦ عاماً.

من الحسين الى "كولومبيا."

يرسل الهواة كما يستقبلون، لذا بات من الضروري أن يحصلوا على ترخيص. عندما يحصل الهاوي على ترخيص، يُعين له رمز نداء يتألف من أحرف في بداية الرمز تشير الى البلد (مثلاً، VE تشير الى كندا) ورقم يشير الى المقاطعة وأحرف تميّز الهاوي نفسه. ان رمز النداء المعين لي هو «VE3BET».

ومن بين مشاهير الهواة رائد الفضاء أوين غاريوت (W5LFL) والملك حسين (JY1) وهما تخاطبا في العام ١٩٨٣ عندما كان غاريوت على متن المكوك الفضائي الامريكي "كولومبيا" والملك في قصره في عمان. وهذا نص المحادثة:

الحسين: هنا جولييت يانكي[2] الرقم ١. صباح الخير يا سيدي.

غاريوت: صباح الخير يا سيدي. هنا W5 ليما فوكستروت ليما. لقد عبرت لتوي فوق البحر الاحمر وخليج العقبة. وفي هذه اللحظة أشاهد بلدكم يا سيدي. هل جلالة الملك على الخط؟

الحسين: الحسين على المذياع. اننا سعيدون بسماع صوتكم بوضوح.

---

(٢) يستخدم الهواة كلمات متفقا عليها لابراز مخارج الحروف المقصودة كي لا يحصل التباس فيها.

يؤدي الهواة يومياً، ومن دون كثير مباهاة، عملا مفيداً في نقل رسائل لاشخاص معزولين عن وسائل الاتصالات التجارية. ولا يبرزون الى الضوء الا في الازمات، كالفيضانات والعواصف. في ١٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨ عشية ضرب اعصار "غيلبرت" جامايكا، علم غوردون موراي، من هاملتون في أونتاريو، أن الهاوي جيم توماس، من نادي "كيوانيس" ينسق عملية جمع معونات لجامايكا حيث تسبب الاعصار في أضرار في الممتلكات قدرت بملياري دولار وفي انقطاع التيار الكهربائي ووسائل الاتصالات في الجزيرة.

بعد ثلاثة أيام كان غوردون وتوماس جمعا أجزاء جهاز راديو نقال وتوجها الى جامايكا ومعهما ٢٠٠ كيلوغرام من المواد الطبية. أقام الرجلان مركزاً لهما في أحد فنادق خليج رناواي. وباستخدام مولد للطاقة وهوائي مرتجل على سطح الفندق، تمكنا من الاتصال بكندا بعد ساعتين. وبقيا أياماً، مع مجموعة من الهواة الآخرين، صلة الوصل الوحيدة بين جامايكا والعالم الخارجي، فساعدا في تنسيق جهود الاغاثة ونقل رسائل طمأنة من جامايكيين الى أقارب لهم في كندا.

"فويجر" والقطب الشمالي.

ليست المعونة ابّان الكوارث العمل الجدي الوحيد للهواة. ففي مارس (آذار) ١٩٨٨ غادر تسعة سوفييت وأربعة كنديين "كيب أركتيك" في منطقة القطب الشمالي متجهين الى "كيب كولومبيا" في جزيرة الليسمير في المقاطعات الشمالية الغربية في كندا. كان عليهم أن يقطعوا ٢٠٠٠ كيلومتر في ٩١ يوماً، واتصالهم الوحيد بالحضارة عبر راديو الهواة. كانوا يحملون جهازاً سوفييتي الصنع صغيراً خفيفا ويستخدمون هوائياً مشدوداً بين قضيبي تزلج.

تملكتني الاثارة وأنا أستمع، في وقت متقدم من احدى الليالي، الى صوت واحد من فريق الدعم كان أوصل مؤنا للبعثة القطبية في طائرة، وهو يتحدث من محطة أرضية الى أصدقائه في الوطن فيما المتزلجون نائمون.

في العام ١٩٨٦، عندما قاد الطياران الامريكيان ديك روتان وجينا ييغر طائرتهما الخاصة الخفيفة "فويجر" في رحلة حول العالم من دون توقف ولا تزود وقود، استخدما راديو هواة اضافة الى أجهزة الاتصال في الطائرة التي ظلت مشغولة معظم الوقت بتلقي معلومات من مراكز مراقبة الملاحة الجوية. قال روتان لاحقاً ان موجات الهواة أمنت معلومات حيوية أبقت الملاحين والفريق الارضي على اطلاع على موقع "فويجر" كما أمنت معلومات عن أحوال الطقس.

لكن تجربة الدكتور جيرافيموس كامبيتس هي، على الارجح، الاشد غرابة بين الهواة الكنديين. عاش كامبيتس خمس سنوات على جزيرة بوكاسا في بحيرة فكتوريا في أوغاندا، وكان الطبيب الوحيد لعشرين ألف صياد سمك ومزارع

يعيشون في نحو ثمانين جزيرة منتشرة في البحيرة. وهو استخدم جهاز راديو للهواة، غذّاه بالطاقة من خلايا وبطاريات شمسية، لا لتخفيف شعوره بالوحدة فحسب، وانما لطلب الادوية الضرورية وللتشاور وأطباء آخرين وللحصول على عون في الازمات كذلك.

يقول الدكتور كامبيتس: "كنت في الحالات الطارئة أطلب من هواة في أوروبا وأمريكا الشمالية وصلي هاتفيا باختصاصيين. مرة أصيب شاب في عينه وكنت أخشى أن يخسرها اذا لم أحصل على مشورة اختصاصي. تحدثت الى كبير جراحي العيون في مستشفى في روما فشرح لي طريقة انقاذ العين."

بين أصدقاء. يشتري معظم الهواة هذه الايام أجهزة مرسلة ومستقبلة[3] مدمّجة في جهاز واحد يراوح ثمنه بين ١٢٠٠ و٧٠٠٠ دولار. لكن البداية قد تكون أقل كلفة بشراء جهاز مستعمل أو بصنع جهاز شخصي.

أول جهاز ارسال استخدمته صنعته بنفسي. كان بسيطاً مؤلفاً من أنبوبين ويمكنه ارسال اشارات رمزية فقط. في سنوات لاحقة اشتريت معدات اضافية وصنعت أجهزة أكثر تعقيداً، لكنني ما زلت أحب الطريقة التي كان يعمل بها جهازي الانبوبي في الستينات. وكنت دائماً أستمد الرضا النفسي الاعظم من استخدام جهاز راديو أصنعه بنفسي: عملية البناء، ورائحة سبيكة اللحام الذائبة، ومهمة وصل الاسلاك الدقيقة الحساسة، وقلقي من ألا يعمل الجهاز، ثم الرضا الذي لا يوصف المتأتي عن سماع صوت من الجانب الآخر للكرة الارضية يستجيب لندائي.

لمّحت زوجة أحد الاصدقاء مرة الى أن التحدث الى أشخاص لا تعرفهم ولا يجمعك بهم شيء مشترك يبدو عملا أحمق. لكن ما يجمعنا في الحقيقة هو نوع من الزمالة العالمية يدرك كنهها كل أعضاء هذه "الاخوية." وقد نميت صداقات متينة من خلال اتصالاتي بهواة الراديو. وكثيراً ما أسمع هاوياً يتحدث الى زميل في قارة أخرى عن لقائهما الاخير ويسأله عن أحوال عائلته.

التقطت مذياعي قبل أيام، بعد غيبة طويلة، ووجدتني أتحدث من أوتاوا الى أشخاص في واترلو لم أكلمهم منذ عشرين عاماً. انني على الهواء مجدداً، بين أصدقاء.

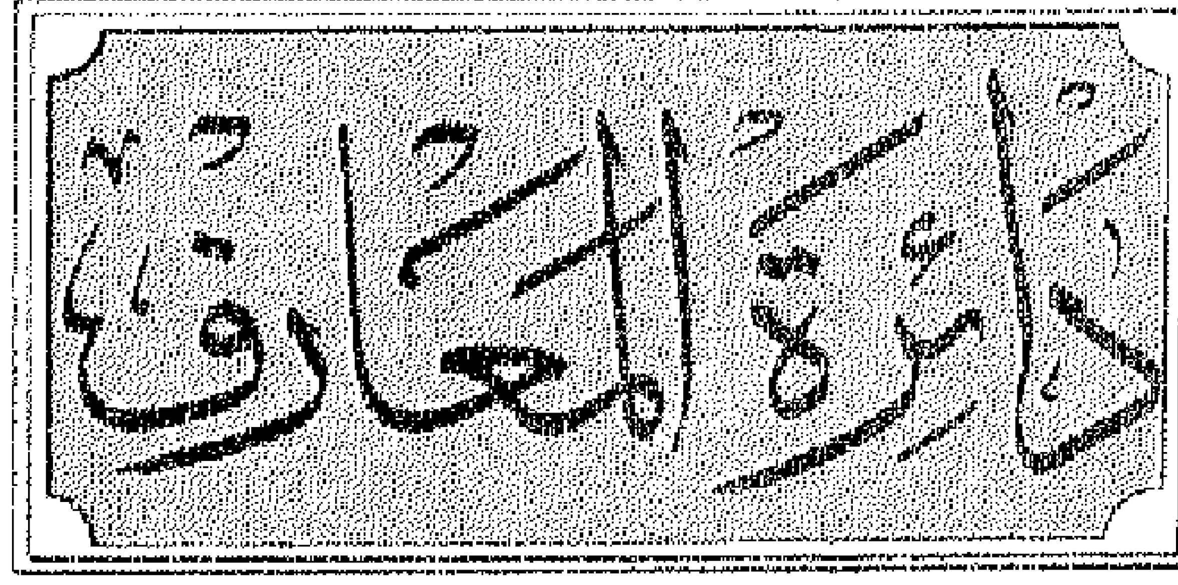
ديفيد سبورجون ■

(٣) Trans — ceivers

لا داعي الى القلق

افقت وزوجتي ليلاً على صوت ارتجاج في منزلنا. وبعد جولة في انحاء البيت لم اجد ما يلفت النظر. فاتصلت بمرصد المقاطعة مستفسراً، فطمأنني الموظف هناك: "لا تقلق يا سيدي. لا علاقة لمنزلك بالامر. انها هزة ارضية."

ع.ش.



■ اعداد وليم صعب

دائرة المعارف هذا الشهر امتحان في المحفوظات الشعرية. هنا ٤٠ بيتا منتقاة من قصائد مختلفة. والمطلوب من القارىء ان يعرف مطلع القصيدة التي اختير منها كل بيت، واسم ناظم القصيدة، ويرسل الاجوبة الى مجلة "المختار" على العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
C/O Aramex Internationl Courier
P.O.BOX 3814 Deira United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar. B.P. 819
94549 Orly Aerogare France

وستسحب أسماء الفائزين بالقرعة وتنشر في عدد يناير (كانون الثاني) ١٩٩٢
الجائزة الاولى ١٠٠ دولار، والجائزة الثانية ٥٠ دولارا، والجائزة الثالثة ٢٥ دولارا، اضافة الى عشر جوائز اشتراكات لمدة سنة في "المختار".

١. أيقنت أني - لا محالة -
حيث صار القوم صائرْ

٢. ولستُ بخالعٍ درعي وسيفي
إلى أنْ يخلع الليلَ النهارُ

٣. مِكَرٍ مِفَرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً
كجلمودِ صخرٍ حطّه السَّيلُ من علِ

٤. سئمتُ تكاليف الحياة، ومن يعش
ثمانين حولاً - لا أبا لك - يسأمِ

٥. وظلم ذوي القربى اشدُّ مضاضةً
على النفسِ من وقع الحسام المهنَّدِ

٦. كناطحٍ صخرةً يوما ليفلقها
فلم يضِرْها، واوهى قرنَهُ الوعلُ

٧. أمست خلاءً وامسى اهلُها احتملوا
أخنى عليها الذي أخنى على لبَدِ

٨. إن الافاعي، وإن لانت ملامسها،
عند التقلب في انيابها العطبُ

٩. فما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ
ولا التذكير فخرٌ للهلالِ

١٠. ليس من يقطع طرقا بطلاً
إنما من يتقي الله البطلْ

١١. أم تلك ليلى العامرية أسفرت
ليلاً فصيَّرت المساء صباحا

١٢. الله - لا إله إلاّ
الله مولاك الأحدْ

١٣. زمان الفرد يا فرعون ولّى
ودالت دولة المتجبرينا

١٤. كلُّ قومٍ خالِقو نيرونهم
"قيصرٌ" قيلَ له أو قيل "كسرى"

دائرة المعارف

١٥. وفي الزرازير جُبن وهي طائرةٌ
وفي البزاة شموخ وهي تُحتضَرُ
١٦. قالوا: أشدُّ وأدهى، قلتُ: ويحكم
إذاً لقد مات سعدٌ وانطوى العلمُ
١٧. قل يا غريب الجنس عنا ما ترى
حقاً فان الحق لا يتجنسُ
١٨. أنا من طيورك بلبلٌ
غنّى بمجدك فاغتنى
١٩. وقد كنت الضياء على زوالٍ
فأمسيت الضياء بلا زوالِ
٢٠. ما كانَ أرسخ منه في عروبته
أبو العلاء المعري وابن حمدانِ
٢١. ما كدتُ أعتزم التحملَ عن
بردى وفيه كان مبتردي
٢٢. أمةُ الفتح لن تموت، وإني
أتحدّاك باسمها يا فناءُ
٢٣. يرتمي الموج على أقدامه
دون أن يرفع للهامة هامَةْ
٢٤. إن تكن جرَّت الخيانة شعري
في ضلالي، فقوِّني في شعوري
٢٥. ومن لا يحبُّ صعود الجبال
يعشْ أبدَ الدهر بين الحفرْ
٢٦. يا ربِّ إنَّ بلفور أنجز وعده
كم مسلم يبقى وكم نصراني
٢٧. فاحملوا حملةً على الأذناب
لا تخافوا طنين هذا الذباب
٢٨. وهبتكِ روحي يا جزائرُ فأمُري
كما شئتِ: إني خاضعٌ لكِ خادمُ
٢٩. تُشاد له المنازلُ شاهقاتٍ
وفي تشييد ساحتها الدمار
٣٠. ربَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً
ضاحك من تزاحم الاضدادِ
٣١. أعدَّ اللهُ للشعراءِ مني
صواعق يخضعون لها الرقابا
٣٢. وإذا اتسعتَ برزق ربك فاجعلن
منه الأجلّ لأوجه الصدقاتِ
٣٣. وما ضرَّنا أنا قليل وجارُنا
عزيزٌ وجار الأكثرين ذليلُ
٣٤. لا تحسبوا نأيكم عنا يغيّرنا
إن طال ما غيّر النأي المحبينا
٣٥. شهد البحر لم أدع فيه من
درٍّ بمفرقيكِ خليقِ
٣٦. إن تُتهمي فتهامةٌ وطني
أو تُنجدي إنّ الهوى نجدُ
٣٧. كنتُ مشغوفا بكم إذ كنتُمُ
شجراً لا تبلغ الطير ذراها
٣٨. توخَّى حِمامُ الموت أوسط صبيتي
فلله كيف اختار واسطة العقدِ
٣٩. في نبعةٍ من قريشٍ يعصبون بها
ما ان يوازي بأعلى نبتها الشجرُ
٤٠. هذا ابن فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَهُ
بجدِّه أنبياء الله قد خُتموا

كتاب الشهر



وداعًا... شارع المخدّرات

ملخص من كتاب "المرأة التي استعادت شوارعها"
بقلم ريتا ويب سميث وطوني شابيل

وداعاً... شارع المخدرات

ريتا سميث امرأة نذرت نفسها لمكافحة المخدرات وتطهير حيِّها في هارلم بنيويورك، حيث نشأت، من المدمنين والمروجين الذين عاثوا فيه فساداً واجراماً. لدى هبوط الظلام كان المجرمون يسودون الشارع، فتخرج ريتا من منزلها وتتحداهم. وفيما انكمش سائر السكان داخل منازلهم خائفين صامتين، كانت ريتا تتصل بالشرطة لكي تتدخل وتفرض القانون وتلاحق المجرمين.

كانت تردد في نفسها: "لا يجوز أن تستمر الأمور على هذه الحال."

وذات يوم وجدت ريتا نفسها في غرفة الانتظار في مستشفى، منهكة قلقة على حياة ابنها الذي أصيب برصاص أحد مروجي المخدرات، فيما الاطباء منهمكون في انقاذه من الموت.

استبدت بها الحيرة وغلب عليها الشك: أتستمر في الكفاح؟ وهل كفاحها جدير بأن يحملها على تعريض حياة أولادها للخطر؟

في غمرة يأسها وحيرتها جاءها الجواب على لسان ابنها الجريح ديفيد. قال لها حانقاً: "أنتخلى عن كفاحنا؟ أنلوذ بالفرار ونترك حيَّنا ومنازلنا نهباً للشذاذ واللصوص والمروجين؟ لا يا أماه! سنصمد حتى النهاية."

قرابة الرابعة بعد ظهر يوم جمعة قائظ في أغسطس (آب) أنهى ديفيد سميث عمله في ورشة كهرباء. فخرج يمارس رياضة الهرولة. وبعد اجتيازه خمسة كيلومترات عبر شوارع هارلم[١]، من "الشارع ١٤٣" الى متنزه "سنترال بارك" ذهابا وايابا، بلغ زاوية الشارع الذي يقع فيه منزل العائلة.

فتمهل قليلا وحيا جمعاً من الاصدقاء قرب متجر للمأكولات الصحية في جادة لينوكس. واذ توقف ليلتقط أنفاسه، شاهد شقيقه بيتر مع الجمع، فاقترب لينضم اليهم. وما هي الا لحظات حتى قطعت محادثاتهم جلبة على بعد نحو ٣٠ متراً، ورأوا فتى وامرأة يتصايحان ويتبادلان الشتائم.

لم يكترث ديفيد للامر في البداية، فهذا هو حي هارلم عام ١٩٧٩، وبائعو المخدرات منتشرون بالعشرات في الشارع ١٤٣ حيث يمارسون تجارتهم بجرأة متزايدة منذ نحو سنة. كانوا يقفون على الارصفة يترصدون الزبائن ويسرّون اليهم عبارات رمزية من نوع "أحد أسود" وهو رمز شارعيّ للهيروييين، أو "جرِّب سيز" وهذا مختصر لمخدِّر "سنساميلا" أحد الانواع النادرة والمطلوبة جداً من حشيشة الماريوانا.

تدفق المال على الحي كالسيل، كذلك تدفقت الدماء. فكم من جريمة ارتكبت وقتل فيها أحدهم بالرصاص لمجرد بيعه المخدر في "حرم" بائع آخر أو لتأخره في تسديد دين من ثمن المخدر الذي اشتراه.

كانت السلامة في الابتعاد عن المشاكل.

اقترب الفتى والمرأة المتعاركان، فعرف ديفيد صوت أخيه مارك. استدار، فرآه يدفع امرأة طويلة القامة شعثاء. كان مارك هو أيضا يشتغل بالكهرباء، وقد عاد لتوه من عمله. وكانت في يده مطرقة يهزها بوجه المرأة، ثم دفعها الى شاحنة متوقفة وهو يصيح بها: "قالت لك أمي ألا تسوِّقي المخدرات أمام منزلنا. فاجمعي بضاعتك واغربي عنا. أفهمت؟"

كانت المرأة تدعى كليو وهي معروفة في الشارع. ولم تكن مصدر ازعاج فحسب، بل كانت وظيفتها العمل "مرشدة" تقف في الشارع وتوجه الزبائن الراغبين في شراء الهيروييين الى الباعة الذين يزاولون تجارتهم في مداخل المباني والاماكن الخالية. وكانت كليو وأفراد جماعتها ازدادوا وقاحة في الفترة الاخيرة، فراحوا يبيعون المخدر أمام منزل آل سميث وعلى عتبة البيت أحياناً.

وقف ديفيد متوتر الاعصاب يراقب كليو ومارك المستمرين في العراك. ثم رأى رجلا ضخم الجثة يغادر سيارة كان متكئاً عليها ويتقدم نحوهما مهدداً. كانت عيناه نصف مطبقتين وشفتاه ترتجفان، مما أوحى الى ديفيد أنه مدمن ومروِّج يعمل حارسا لكليو.

(١) هارلم حي في مدينة نيويورك تسكنه غالبية من السود الفقراء.

عندئذ تحركت الجماعة من أمام متجر الاطعمة الى مكان المشاجرة، فوصل ديفيد قبل الجميع ووقف في طريق الرجل وصاح به: "لا تتدخل في ما لا يعنيك يا هذا."

لكن الرجل حاول تخطي ديفيد ودفعه جانباً، فصدَّه هذا وتشابكا. وعاجله ديفيد بلكمة على وجهه بقبضته اليمنى.

ترنح المروِّج وتراجع. وأيقظ فيه الالم كل غرائز الشارع الدنيئة، واعتلجت في صدره عوامل متضاربة من الخوف والواقعية والغرور. وشعر بأنه أمام خصم متفوق، فسحب من سترته مسدساً وأطلق سيلا من الشتائم ثم صاح: "سأقتلك!"

أجفل ديفيد اذ رأى المسدس، ووعى الخطر الذي يهدد حياته، ووجد نفسه عاجزاً عن نزع السلاح من يد الرجل لبعد المسافة بينهما، فصمم على الهرب. لكنه ما كاد يتحرك حتى أحس ألما يلهب ذقنه: لقد أصيب قبل أن يسمع اطلاق الرصاص.

حاول ديفيد الاحتماء، وراح يعدو عبر الشارع، ثم التفت الى الوراء فلم يجد الرجل يلاحقه. لكنه أحس خدراً يسري في ذقنه من دون أن يرافقه ألم أو حريق أو وخز. وغابت عنه حاسة الذوق فقال في نفسه: "لقد تحطم فكي كله، ولم يعد لي ذقن!"

ركض ديفيد في الشارع بين السيارات، وحاول كالمسعور ايقاف سيارة أجرة. كان ينزف بغزارة والدم يسيل من ذقنه على صدره ويديه، فتلطخت ثيابه وبدا مظهره مرعباً، فلم يتوقف أي سائق لنقله الى المستشفى.

يئس ديفيد، وعرف أنه اذا ظل واقفاً ينتظر سيارة تنقله الى مستشفى فسينزف حتى الموت. عندئذ ركز اهتمامه على المشي الى مستشفى هارلم الذي يبعد حوالى ٣٠٠ متر.

صلاة صامتة

في أصيل ذلك النهار من أغسطس (آب) كانت ريتا سميث واحدى صديقاتها ترسمان خططا لاعادة الرونق الى الابنية المحترقة في الشارع ١٤٣. وفي نهاية لقائهما ذلك اليوم قررت ريتا ان تمر بمنزلها لتفقد الاولاد والاطمئنان اليهم قبل أن توصل صديقتها الى منزلها.

كان الظلام بدأ يبسط جناحيه على حي هارلم. واجتمع الفتية والشباب أمام منازلهم يتحادثون مرحين فيما قبع المسنون في منازلهم لا يخاطرون بالخروج في الظلام خوفاً من التعرض لرصاص عشوائي أو لحماقة مدمن طليق قد يتصدى لهم في الشارع في أي لحظة. آثروا البقاء في منازلهم الخافتة الانوار وهم يحدقون الى الخارج من وراء نوافذ مجللة بالستائر.

لكن ريتا سميث أبت ان تكون واحدة من هؤلاء. فهي، كما علَّمها والداها، عاشت

حياتها بجرأة وأنفة وفقاً لاقتناعاتها. وكانت باشرت، حديثا، حملة على مروجي المخدرات في حيها. كانت تجبههم وتقول لهم: "هذه منازلنا حيث نعيش ونربي أولادنا. فلا شأن لكم هنا أنتم ومخدراتكم." وشفعت تحذيراتها بالاتصال بالشرطة تكراراً وحضّ جيرانها وأولادها السبعة على أن يحذوا حذوها.

انعطفت ريتا، كعادتها، من جادة لينوكس الى الشارع ١٤٣، وهي تفكر في مدى التقدم الذي أحرزته جهودها لتحسين الجوار. فقد رمِّم المبنى الذي تسكنه، وجُدِّد، وطلي أعلاه باللونين البيج والبني، وكُسي أدناه بالقرميد الاحمر، وأقيم أمامه حوض حجري لزرع الورود. لكم كان انجازها جديراً بافتخار والديها لو كانا على قيد الحياة!

أوقفت ريتا السيارة أمام المنزل، فرأت ابنتيها التوأمين أبينا وأيانا (٧ أعوام) جالستين على عتبة المبنى. فهمَّت بتوبيخهما لبقائهما خارجا بعد هبوط الظلام. واذا بها تشاهد مارك وبيتر أيضاً. وهرع الاربعة اليها، فسألتهم قلقة: "ما الخبر؟ ماذا حدث؟"

هتفت أبينا والدموع تكاد تخنقها: "ماما، أصيب ديفيد بالرصاص."

خفق قلب ريتا هلعاً، فسألت: "أين هو؟ كيف حدث ذلك؟"

فسرد لها مارك القصة وهو يرتجف. قال ان ديفيد تدخل ليساعده في اعتراض بيع المخدرات أمام منزلهم. ثم سمع اطلاق رصاص، ورأى ديفيد يسرع في الهرب فلم يعرف هل أصيب أم لا. واعتقد هو وأصدقاؤه أنه سيركض قليلا ثم يعود اليهم. فانتظروا طويلا، لكنه لم يعد.

وأنهى مارك سرد الحادث منتحباً: "هلا ذهبت الى المستشفى لتفقده يا أمي؟ لقد حدث ذلك بسببي."

ذعرت ريتا، لكنها حاولت إخفاء ذعرها عن الاولاد، فقالت لمارك مشيرة بيديها الى ما حولها: "لا يا مارك، ليس الذنب ذنبك، السوء في هذا المكان وليس فيك أنت."

ركبت السيارة هي ومارك، وألقت رأسها على مقود القيادة هنيهة وتلت صلاة صامتة.

وفكرت: ترى، هل مات ديفيد؟ هل هذا الحادث انذار لعائلتنا؟ هل أولادي الآخرون في خطر هم أيضاً؟ ثم شعرت بالقوة الكامنة داخلها تتفجر عزما وثقة، تلك القوة التي مكنتها من شق طريقها وحيدة في الحياة والقيام بأود أولادها الصغار وتعليمهم في الجامعات وتمكينهم من الحصول على وظائف محترمة.

أدارت المحرك واتجهت الى مستشفى هارلم. وحاولت في الطريق أن تتشجع وتركن الى الطمأنينة، متذكرة كم مرّ بها من احداث كالحة وكم لاقت من صعوبات بدا تذليلها مستحيلا، لكنها في النهاية تغلبت عليها جميعها.

حياة كرامة

وُلدت ريتا ويب سميث في مستشفى هارلم ذاته، وعاشت معظم سني حياتها في الشارع ١٤٣.

تقول: "كنت في الواقع أحبَّ اخوتي الى أبي. وما زلت اغمض عينيّ فاستحضر صورتي فتاة صغيرة وأبي ممسكاً يدي ونحن نسير في الشارع ١٤٣."

كان والد ريتا ديفيد ويب رجلا مهيب الطلعة طويل القامة أسود اللون فاحمه، ذا أنف أفطس وجبين بارز. وهو خدم ٣٠ سنة في شركة كهرباء نيويورك "كونسوليديتد إديسون." لكن حيه كان محور حياته، فكان يروح ويجيء في الطرق الفرعية يلتقي المعارف ويتباحث وإياهم في شؤون السياسة ويتحدثون عن تطلعاتهم وأحلامهم.

كانت جزر الهند الغربية مسقط رأس والدي ريتا، لكنهما لم يلتقيا الا حين جاءا الى مدينة نيويورك. وكانت أمها امرأة جميلة امتزجت فيها دماء برتغالية وافريقية وهندية، وقد نعمت بنشأة رفيهة في محيط من الطمأنينة والرخاء. لكنها كانت على جهل تام بالاقتصاد المنزلي، فكان الزوجان يكافحان لتدبير أمورهما براتب ديفيد البالغ ٥٠ دولاراً في الأسبوع. كانت الاحوال صعبة، لكن ريتا غُمرت بمقدار كبير من المحبة وباعتزاز عميق ثابت بتاريخها وتاريخ هارلم.

كانت في طفولتها تستمع الى والدها يحدثها عن رحلاته المثيرة حول العالم حين كان بحاراً على متن احدى السفن. فأخبرها كيف سافرت عائلته الى جزر البحر الكاريبي حيث استقرت وكافحت وكسبت عيشها بالعمل في الارض.

تقول ريتا: "أيقظ فيَّ أبي شعوراً بالمسؤولية. وعلّمني أن أعطي افضل ما عندي وإلاّ أقنع بأقل من بلوغ الذروة، وإلا شعر كثيرون بأني خذلتهم."

وفُتنت ريتا أيضا بروايات أبيها عن الملوك الافريقيين وعن توحيد مملكة سونغاي الوسيعة وتكديس الكنوز في امبراطورية مالي، وعن الجامعات العظيمة كجامعة تمبوكتو في مالي التي أنشأها أناس سود. وأخبرها أن العلم سيكون له شأن مهم في حياتها، فعليها ان تكون مثقفة إن هي أرادت أن تنال ما تطلبه لنفسها وللذين يعنيها أمرهم.

قبلت ريتا تحدي والدها، وثابرت على الدرس بجد واجتهاد. وهي تقول: "فُتنت بالنظام الديموقراطي وبما يتضمنه من ضوابط ومعادلات. وأتاح لي علم التربية المدنية وحقوق المواطنين وواجباتهم أن أدرك أنني، وان كنت مواطنة سوداء وغير ثرية، فلا موجب لأن أشعر بأني مقيدة في منزلة اجتماعية دنيا أو وضع خاص. فاذا لم ألقَ استجابة في مستوى ما، ففي امكاني الانتقال الى مستوى أعلى، فأعلى، حتى يتاح لي تغيير الأمور. ومن خلال هذا الادراك شعرت بأني حرة."

التحقت ريتا بمدرسة جوليا ريتشمن الثانوية في مانهاتن (نيويورك) المتميزة

بمستوى علمي عال. تقول: "لم يتعين علي اتباع مقرر تعليمي معين. كنت تواقة الى تحصيل علوم عالية، وأنست في نفسي القدرة على منافسة أي شخص آخر في حقل الثقافة."

كانت عائلة ريتا في تلك الايام تكافح لكسب لقمة العيش. وكانت منطقة "الوادي" في هارلم، حيث منزلها، معروفة بفقرها. وتتذكر ريتا: "مهما اشتدت الامور وساءت، لم ندع الآخرين يعلمون بحالنا. تلك كانت خطة والديّ: حين لم يكن لدينا ما نأكله، كنا نحضّر الشاي، أو ماء وسكراً، فنشربه لنملأ معدَنا، ونبدو مرحين كأن أمورنا كلها على ما يرام.

"وكان المال نادراً أيضا، ولكن كان في حوزتي على الدوام جواز لركوب الحافلات مكنني من الذهاب الى المدرسة. ومع أن ثمن الغداء لم يتجاوز ٢٥ سنتا، فلم يتوافر لدي مثل هذا المبلغ أحياناً كثيرة، فكنت أفوِّت وجبة الغداء. الا أني لم أنقطع عن المدرسة يوماً، لتصوري أن العلم كنز لا يمكن انتزاعه مني."

التفكير الايجابي

في الخمسينات، حين كانت ريتا لا تزال في المدرسة الثانوية، أصيب والدها بارتفاع في ضغط الدم وبنوبات صداع حادة. وساءت صحته باطراد الى أن توفي في يناير (كانون الثاني) ١٩٥٦. وكان أبرم عقد تأمين على حياته بمبلغ زهيد أنفق كله في تسديد نفقات الدفن والديون المستحقة. ولم يبق لريتا مال لمتابعة دراستها.

في هذه الاثناء تعرّفت ريتا الى رجل من رايتسفيل في ولاية جورجيا يدعى ثيروين ديفيس. وتزوجا بعد ثمانية أشهر، وبعد نحو سنة زواجا انجبا ابنة سمياها جودي.

كان زوج ريتا رجلا متهتكا ينفق راتبه على الميسر والحفلات والنساء. فدعتها أمها الى العودة الى المنزل الوالدي. وهي تتذكر: "لم أكن أملك ما يقيني شر الفاقة، فاضطررت الى العمل نادلة في مطعم ثم موظفة في مصبغة. فحزّ ذلك في نفسي وغمرني الأسى لعلمي أني لم أخلق لهذا العمل ولعجزي عن أن أكون الشخص الذي أريد."

وبعد وفاة والدتها عام ١٩٦١ ساءت أحوالها المالية كثيراً فغرقت في الكآبة ولم تجد مخرجاً، فطلبت مساعدة من صندوق الانعاش الاجتماعي: "كنت على يقين من أن جيراني يتساءلون كيف سأتدبر أموري الحياتية. وكنت أنا كذلك في حيرة من أمري. لكني ابتهلت الى الله وطلبت عونه، فاستجيب لي، وبدأتُ مساعدة ذاتي."

ذات يوم أهدى اليها أحد أصدقائها كتابا عن التفكير الايجابي ترك أثرا عميقا في تفكيرها وغيّر نظرتها الى الحياة. وهي كانت تقية، صاحبة كبرياء، وتطالع كثيراً،

فاكتشفت أن قراءاتها لمآثر قادة أمثال مارتن لوثر كينغ[2] تغذي كبرياءها وتزيدها قوة. وفي العام ١٩٦٤ توهجت في صدرها شعلة أنارت لها سبيل الحياة.

فقد لاحظت ريتا أن حياة الفقراء تختلف باختلاف المناطق التي يسكنونها. قالت: "ذهبت برفقة ثيروين مرة لزيارة أهله في جورجيا. ورأيت الفقراء هناك في منتهى النظافة، وكل ما لديهم نظيف. وكان الجيران يتقاسمون ما لديهم من مآكل بسخاء وطيبة، فتعطي امرأة جارتها بعض الفاصولياء، فتشاركها هذه في حبات البندورة (الطماطم) التي اشترتها أو قطفتها من الحديقة او في السمكة التي اصطادها زوجها في النهر. لكن هذه الروح الخيّرة السمحاء لدى السود ماتت حالما هاجروا الى المدن."

زهرة في هارلم

تطلعت ريتا حولها فلمست لامبالاة وفساداً وانحطاطاً أخلاقياً وانتشار جرائم قتل السود للسود في منطقتها. تقول: "أدركت للوهلة الاولى أن علينا نحن ايجاد حلول لمشاكلنا. وقررت أن من واجبي مباشرة العمل في الشارع الذي نسكنه. فلطالما استغلّ مالكو الابنية في هارلم فقر المستأجرين وضعفهم، فأهملوا طلاء الابنية وتدفئتها واصلاح الانابيب. وكان الماء يتسرب أياماً من الثقوب والشقوق."

في أواسط الستينات بدأت ريتا تتحدث الى جيرانها عن تأسيس جمعيات للمستأجرين في الناحية الغربية من الشارع ١٤٣. فاستجاب لها المستأجرون، وبدأوا تنظيم شؤونهم في البناء الذي يضم مسكنها. فانتخبوا مندوبين عنهم أوكلوا اليهم مسؤوليات مختلفة، وعُينت ريتا أمينة عامة للجمعية. فكان في طليعة مهماتها تنبيه مفتشي البلدية الى الحال المزرية للمبنى. وكانت تدون أرقام شارات المفتشين والاصلاحات التي يتعين على مالكي البناء انجازها وفق قوانين المباني.

ولم يغب عن بال المستأجرين أن عليهم هم واجب التزام مسؤوليات شملت الحفاظ على نظافة الردهات وشراء الفحم للتدفئة. وأقاموا في ما بينهم حفلات ومآدب عشاء رصد ريعها لمساعدة المستأجرين العاجزين عن تسديد بدلات ايجاراتهم.

ولاحظت ريتا كثرة الامهات اللواتي يغادرن بيوتهن صباحاً لأخذ أولادهن الى المدرسة. فاقترحت عليهن تناوب اصطحاب الاولاد في الصباح والعودة بهم بعد الظهر، فأنشأن ما سمَّينه "نادي الأمهات للمساعدة الذاتية" وتوافر لهن بذلك وقت لأعمال كثيرة أخرى.

---

(٢) مارتن لوثر كينغ (الابن) مصلح اجتماعي امريكي اسود ومن رواد الحقوق المدنية. منح جائزة نوبل للسلام عام ١٩٦٤ وقتل عام ١٩٦٨.

ثم أسست ريتا "رابطة المحلة الغربية للشارع ١٤٣" مركزة على قضايا مثل نظافة الشوارع. تقول: "أولينا الأحداث اهتمامنا أيضاً، وحاولنا ابقاءهم منشغلين، فأمّنا لهم وظائف صيفية، وطوّعنا الشبيبة لتنظيم رحلات ونزهات برية وحفلات ترفيهية لاولاد الحي."

عام ١٩٦٨ حصلت ريتا، قانوناً، على الطلاق من ثيروين، كما حصلت على وظيفة مساعدة معلمة لدى مجلس التعليم في مدينة نيويورك. قالت: "تزامنت ساعات عملي وساعات دراسة الاولاد. وكان همي الاكبر حمايتهم من الاغراءات الشائنة التي حفلت بها بيئتنا."

شمل نشاط ريتا رابطة أولياء الطلاب حيث التقت رجلا جذابا يدعى جيروم سميث. وما لبثا أن تزوجا وأنجبا توأمين عام ١٩٧٢. (بعد سنتين تمّ طلاقهما.)

بدأت ريتا، ضمن عملها في مجلس التعليم، تتولى أعمالا ادارية في البرامج المدينية. ورأت أنها في حاجة الى شهادة جامعية، فالتحقت بقسم الدراسة الليلية في جامعة فوردهام ونالت شهادة بكالوريوس في الآداب عام ١٩٧٦ ودرجة ماجستير في العمل الاجتماعي عام ١٩٧٨. ثم كرّست علمها لاعمال التدريب والارشاد في وكالات الانعاش الاجتماعي.

ولكن، ان تكن حياتها تحسنت فقد استمرت حال الجوار في التدهور. فاحتلّ مدمنو الهيرويين زاوية تقاطع الشارع والجادة السابعة. وكانت تجارة المخدرات كثيفة في بعض الاحيان والازدحام شديداً بحيث لا يستطيع الواقف في طرف الشارع رؤية الطرف الآخر.

شعرت ريتا بالاحباط والعجز المرادفين للفقر. ثم بدأت تحلم بامكان وقف هذه الدوامة الهدّامة. قالت في ذاتها: "لا داعي الى هذا البؤس. ليس في قدرة كل فرد لملمة أمتعته والانتقال الى مكان آخر. لماذا أغادر هذا المكان حيث ترعرعت؟ ان هذا الشارع ... ١٤٣ ... يمكن أن يضاهي جادة بارك أفينيو الزاهية. لا، لن أستسلم لليأس، ولن أتوانى عن تحويل الخراب والتعاسة هنا لوحة من الجمال."

آنئذ باشرت ريتا زرع الازهار في الحوض الحجري أمام المبنى. لكن الجيران حذّروها من أن الناس سيقتلعون أزهارها. وهي تذكر: "كان ذلك مثيراً للاهتمام، لقد ألف سكان حينا مشاهدة الانحلال فلم يعد يزعجهم، وترسّخ في أذهانهم أننا عاجزون عن الحفاظ على الجمال والنظافة. كانت خرافة العجز هذه مشكلتنا الكبرى، ولا بد أولا من ازالتها من أذهان الناس. رأيت أني مدعوة الى القيام بهذا العمل، فكنت أنا الأداة وكانت الازهار الوسيلة. قلت لجيراني: قد يعمد العابثون الى اقتلاع أزهاري، لكني سأزرع غيرها."

وكثيراً ما رأت ريتا الازهار مبعثرة وقد داستها الاقدام، فلم تيأس، بل كانت تزرع غيرها. وما لبثت الازهار أن اجتذبت أولاد الحي. وكانت إحدى الامهات، لدى زيارتها ريتا، تصطحب ابنتها الصغيرة لتتمتع بمشاهدتها. وهي أخبرت ريتا ان الازهار تجتذب أنواعاً جميلة من الحشرات وأن ابنتها شاهدت النحلة والجندب واليسروع للمرة الاولى في تلك الرقعة الصغيرة من الطبيعة.

قالت ريتا: "كان ذلك دليلا على أن مخلوقات الله عز وجل تأتي حتى الى الشارع ١٤٣. وجاء وقت توقف اقتلاع الازهار، فكان ذلك أيضاً علامة على أن جيراني قبلوا الحقيقة واقتنعوا بأن الحياة يمكن أن تكون أفضل."

نخوة الشبيبة

حين اقتربت ريتا من مستشفى هارلم رأت ومض سيارة اسعاف فافاقت من غيبوبة أحلامها. تذكرت أن ابنها ديفيد مصاب بالرصاص، وقد تكون اصابته خطيرة، بل مميتة.

ولدى وصولها هي ومارك الى وحدة الطوارىء علما أن ديفيد مصاب في رأسه. وأخبرتهما احدى الممرضات أن ديفيد في غرفة العمليات وأن الاطباء يجهدون لانتزاع الرصاصة من أسفل فمه. ولم يسعْ ريتا ومارك الا الانتظار.

جلست ريتا في كرسي تنتظر قلقة ملتاعة. فكرت في أن ديفيد كان الاكثر تردداً حيال موقفها من مروجي المخدرات. فهو نشأ في حي هارلم فقيراً مكافحاً، وكانت آراء أصحابه تتناقض ومبادىء أمه أحيانا كثيرة. ألم يسألها قبل بضعة أيام: "اذا كان ما تقولينه هو الصواب، فلماذا نرى كل الجانحين الاشرار ناجحين جداً؟" فخلّفت كلماته في نفسها أثراً مضنياً، وغلبت عليها الكآبة وتساءلت هل يمكن أن تستقيم الامور على النحو الذي أملته وسعت اليه.

وها هو ديفيد الآن ضحية اتباعه مبادئها وتوجيهاتها.

طال انتظار ريتا وازداد قلقها، وأشارت عقارب الساعة الى الثامنة والنصف مساء ولمّا يخرج أحد من غرفة العمليات. فراحت تصلي من أجل سلامة ديفيد، وشاركها مارك في الصلاة.

أخيراً تقدم منها طبيب شاب وسألها: "هل أنت والدة ديفيد؟" هزت ريتا رأسها ايجاباً. فتابع الطبيب: "سيكون ديفيد بخير." فالرصاصة التي اخترقت فمه تناثرت ومزقت لسانه. ولم يجد الجرّاح الا كسراً صغيرة في فمه.

أضاف الطبيب: "نزف ديفيد بغزارة، وفقد عدداً من أسنانه. وهناك بعض الورم، وهو يحتاج الى مراقبة دقيقة لمدة يومين أو ثلاثة أيام. انه محظوظ."

تبعت ريتا الطبيب الى غرفة المعاينة، فوجدت ديفيد ممددا على طاولة وقد غرزت ابرة مصل وريدية في ذراعه.

قال له الطبيب ممازحا: "حسنا يا صاحب الفك القوي، ها هي أمك أتت لتراك."

تبسم ديفيد لأمه مغالبا الاعياء. وبان فمه متورما ومدمى، وفيه فراغ حيث كانت الاسنان المفقودة.

غمر ريتا فيض من الارتياح، وخانها صوتها فراحت تمسح دموعها. فربَّت ديفيد يدها مطمئنا، مما زاد في تأثرها. فهذا الفتى الذي شارف الموت يحاول الآن تعزيتها.

قال الطبيب: "سيدة سميث، سننقل ديفيد الآن الى غرفة ليرتاح، فهو في حاجة الى النوم."

أومأت ريتا برأسها وقالت: "أحبك يا ديفيد. أتمنى لك نوما هنيئا. سأعودك غدا."

عادت ريتا الى غرفة الانتظار والمخاوف تساورها حول سلامة أولادها. لكنها طمست هذه الافكار مركزة على فرحها بنجاة ديفيد.

ولكم كانت دهشتها كبيرة حين وجدت في غرفة الانتظار رهطا من أصدقاء ديفيد جاؤوا ليطمئنوا اليه وليعرضوا عليّ خدماتهم: "نحن مستعدون لأي خدمة. لقد كنا هناك، ونحن شهود على الحادث. فما عليك الا أن تقولي لنا ماذا نفعل."

جمدت ريتا اذ فاجأتها نخوة أولئك الشباب الذين كانوا حتى البارحة يجاهرون بعدائهم لجهودها في مكافحة المخدرات. كانت تلك صلاة تحققت فنفخت فيها الحيوية مجددا وأنعشت آمالها وبرَّدت مخاوفها. وغلب عليها التأثر فلم تخرج من فمها الا عبارة: "شكرا لكم."

ورافقوها الى منزلها وقالوا لها مكررين: "سنقف الى جانبك يا سيدة ريتا. مُرينا ماذا نفعل."

"الستّ" كليو

في الصباح التالي لحادث ديفيد انهمكت ريتا في شراء الخضر والبقالة وطهو الطعام ومساعدة أولادها في فروضهم واتمام بعض المهمات، ريثما يحين موعد زيارة ديفيد بعد الظهر. وتساءلت: أمِن الحكمة أن تبقى في هارلم وتستمر في الكفاح على رغم ما يعني ذلك من تهديد لحياتها وحياة أولادها، أم تتخلى عن كفاحها وتعتكف في منزلها وتنشد السلامة؟ المهم، أولا، الاستماع الى رأي ديفيد في الامر. وعبرت مخيلتها مراحل التقدم الذي أحرزته في مكافحة المخدرات والمشاكل الكثيرة في حيها التي تنبت أبدا وتتراكم كسيارات في ساعة ازدحام.

في مطلع السبعينات خطت ريتا خطوتها الاولى في سبيل حل مشكلة المخدرات.

فنظمت "مشروع ناصية الشارع" الذي خوّل المدمنين الحصول على مساعدة المستشفى البلدي، وبعد تطهيرهم من السموم كانوا يجنّدون للعمل في مشاريع المحلة كزرع الحدائق وطلي الابنية. ولكن، ان تكن هذه الجهود أعطت ثمارها فالوضع كان سائراً الى التغيير، وكانت ريتا تراقب هذا التغيير بأسى وحذر.

مرت سنوات والمخدرات تباع في المنطقة، وكان مروجوها في البداية من سكان الحي الناشطين ضمن نطاق محدود. ثم غزا السوق تجار مخدرات أنشأوا سوقاً خاصة بهم. فعظُم حجم التجارة حتى باتت تتداول، في ساعة واحدة أحياناً، ١٠٠ ألف دولار ثمن هيرويين وكوكايين. كذلك ازدادت مخاوف السكان.

غصت المحلة بباعة المخدرات حتى استحال تعايشهم، وأدى اشتداد المنافسة بينهم الى صراعات دامية. كانت تحصل حوادث انتقام وحشية كل يوم تقريباً، ووقع أحدها في مكان قريب من منزل ريتا حين أمسكت ثلاثة رجال بأحد الباعة "الهواة" ودفعوه الى جدار بناء مهجور ومزقوا جسده بالرصاص فهوى ميتاً.

وكانت جرائم القتل ترتكب في قطاع صغير من الشارع ١٤٣، وأعنفها في "المنطقة ٣٢" حيث وقعت ٧٥ جريمة قتل في العام ١٩٧٩، معظمها عائد الى المخدرات.

كان الباعة يمارسون تجارتهم متخفين في مداخل الابنية. فكان السكان، لدى خروجهم ودخولهم، يفاجأون بهؤلاء الباعة الذين درجوا على تهديدهم ومضايقتهم. لم يكن أحد في أمان. لكن الاولاد والمسنين هم الاكثر عرضة للخطر.

بيل رجل في الستين يعمل في بلدية المدينة ويسكن قرب منزل آل سميث في بناء مهجور قطعت الكهرباء عن مدخله لأنه ملك البلدية ولم يهتم أحد بتسديد الفواتير المستحقة. كانت الكهرباء موصولة بمنزله، لكن الاروقة كانت معتمة، فاعتاد بيل اشعال مصباح كهربائي لدى دخوله المبنى.

وذات يوم احتل غرباء مدخل البناء المهجور، يبيعون المخدرات على رصيف الشارع.

شكا بيل أمره الى ريتا: "يا سيدة سميث، حين أخرج من شقتي أطلب من هؤلاء الاشرار السماح لي بالمرور. وهم تضايقوا من دخولي وخروجي، وحين أخبرتهم أني ساكن هنا شتموني وأمروني بالغروب عنهم. انهم يحملون مسدسات، وأنا مرتاع يا سيدة سميث وبت أكره الذهاب الى بيتي."

وكانت ريتا وأولادها كلما شاهدوا بيل في الشارع متوجها الى منزله يسيرون معه الى أن يدخله ويطمئنوا الى سلامته. وكان يشكرهم في كل مرة.

ذلك كان واقع الحال. فالجوار يعج بالغرباء الأشرار، مروجي المخدرات الذين لا يتورعون عن إرهاب رجل عجوز واطلاق الرصاص على شاب أعزل.

ذات يوم خرجت ريتا من منزلها لزيارة ديفيد في المستشفى، فلمحت امرأة ترتدي سترة جلدية تفترق عن جماعة من باعة المخدرات وتتجه نحوها.

تلك كانت كليو، المرأة التي كانت ترشد الزبائن الى باعة المخدرات أمام منزل ريتا حين تصدى لها مارك.

ولما اقتربت من ريتا قالت لها: "اذا بدر منك أي ازعاج بعد الآن، فسيحل البلاء بابنك الأصغر أيضاً."

لكن ريتا حدقت اليها متحدية الى أن استدارت وانصرفت.

يد العدالة

جلس ديفيد على سريره في المستشفى يمازح ثلاثة نزلاء آخرين في الغرفة ووجهه متورم والكدمات الزرقاء والسوداء والصفراء تكسو فكه. انحنت ريتا وقبّلت أعلى رأسه، ثم جلست الى جانبه على حافة السرير وطلبت منه أن يطلعها على تفاصيل الحادث.

قال ديفيد: "لم أرَ مطلق الرصاص من قبل، لكني أعرف المرأة التي كانت معه." وأفاض في الكلام عن الصدمة التي حلت به، وأبدى خوفه قائلا انه لا يريد أن يموت.

أصغت ريتا الى ابنها بكل جوارحها، وتركته يتكلم لأنها رأت في افصاحه عن مخاوفه المكبوتة علاجاً نفسانياً شافياً.

عندما أنهى ديفيد سرد قصته ضغطت أمه يده وقالت: "اني أفكر منذ فترة في النزوح عن هارلم."

فصاح ديفيد غاضبا: "نرحل؟ نلوذ بالهرب؟ لا يا أمي، هذا ليس من شيمك. لن أدع مروج مخدرات يجبرنا على النزوح."

قالت ريتا: "هذا الحي يعني لي الكثير، ففيه منزل والديّ، ومنزلي. لكنه ليس أهم منك ومن اخوتك. ان ضمان سلامتكم يعني لي كل ما في الحياة."

هز ديفيد رأسه وقال: "ماما، واجبنا هو الاستمرار في الكفاح."

نظرت ريتا الى ابنها الجريح فأكبرت فيه شجاعته وعزمه وأقرّت: "أنت على حق يا ديفيد. سنكافح حتى النهاية."

لدى مغادرة ديفيد المستشفى كان الجاني ما زال طليقا. فصممت ريتا على السعي الى تطبيق العدالة انصافا لديفيد ولاخوته ولها ولأهل الحي. وتعيَّنت ملاحقة مطلق الرصاص قضائياً ومعالجة مسألة اقصاء تجار المخدرات والمدمنين عن الحي.

كانت ريتا تطلب دائماً تدخل الشرطة المحلية، ولكن حان الوقت لزيادة الضغط. فكثفت جهودها، وفي سبتمبر (أيلول) عقد أول اجتماع لـ"فرقة مكافحة المخدرات" التي كانت تسعى الى تشكيلها.

وصلت ريتا الى مركز الشرطة لحضور الاجتماع، فالتقت رئيس الفرقة الرقيب بيتر برانزو. كان انطباعها الاول أنه شرطي أبيض، فكيف يولي قضايا السكان السود الاهتمام الكافي؟ لكنها أنست منه تجاوباً واستعداداً للعمل.

استهل برانزو الاجتماع شارحاً أن "القوة الضاربة" ستضمه وسبعة ضباط آخرين. وسيبادرون الى اقتحام الشارع ١٤٣ وفق اقتراحات ريتا. فسألته: "داخل الابنية أيضاً؟" أجاب برانزو: "نعم."

"بما فيها الابنية المهجورة؟"

– تلك أيضا، وأوكار المخدرات وأماكن حقنها.

"وهل نأمل أن تكون الاقتحامات منتظمة لا اقتحاماً يتيماً؟"

– بكل تأكيد.

"متى تبدأون؟"

في هذا الوقت كان جميع أفراد القوة الضاربة وصلوا الى مكتب برانزو. وأجاب قائد المنطقة المفتش جو فنسنت عن سؤال ريتا الأخير: "بعد ثلاثة أيام. الخميس، في الثامنة مساء."

قالت ريتا: "حسناً، كم أتمنى أن أكون حاضرة."

ضحك فنسنت وقال: "لك الحق في أن تكوني حاضرة. فأنت المسؤولة عن هذه العملية كلها."

طلقات في الليل

انتظرت ريتا الموعد المحدد على أحرّ من من الجمر. وليلة الخميس المقررة للاقتحام وقفت أمام نافذتها تراقب سيارات وحافلات، مدنية ظاهراً، تتوافد الى الشارع. ثم وصل رجال شرطة مشاة في ثياب مدنية. وخلال ٣٠ دقيقة كان كل منهم في المكان المحدد له.

بدأ الهجوم بضراوة كما أملت ريتا. فسُدت جميع منافذ الشارع. وما هي الا ساعة حتى كان رجال الشرطة قبضوا على ٣٠٠ من متعاطي المخدرات. فصُف هؤلاء الى الجدار يدا بيد على امتداد ١٥٠ متراً.

صودرت مخدرات ومسدسات، ونقل المدمنون والمروجون في السيارات والحافلات. كان ذلك بالنسبة الى ريتا انتصاراً رائعاً اذ أُجبر المدمنون وباعة المخدرات على احترام القانون. وأطلّ السكان من شققهم وراحوا يهتفون مهللين شاكرين.

ثم خرجت ريتا من منزلها ومشت في الشارع بفخر واعتزاز واتجهت الى الرقيب برانزو قائلة: "أكاد لا أصدق هذا الحدث. لقد انتظرته لسنوات."

لكن أحد المطلوبين ظل طليقاً يتملص دائماً من دهم الشرطة. انه فريد "سوني" فيغرز، مطلق الرصاص على ديفيد. وأخيراً، بعد ستة أشهر على حادث ديفيد، تعرف اليه أحد المخبرين وأبلغ أمره الى الشرطة. وما هي الا ساعات حتى وقع فيغرز في قبضة العدالة. وكان، الى تهمة محاولة القتل، مطلوباً بتهمة الاتجار بالهيروين.

كان روبرت ماكغيرل المدعي العام في قضية ديفيد. وهو أمَّن شهوداً كثيرين على الجريمة، بينهم صديق لديفيد كان وعد في المستشفى بالادلاء بشهادته. إلا أن الادعاء كانت تنقصه اثباتات جازمة. فمن المحتمل أن يزعم فيغرز أنه أطلق النار دفاعاً عن نفسه أو عن كليو. وقد لا تهتم المحكمة بنشاطات آل سميث في مكافحة المخدرات.

باشر ماكغيرل أعداد ملف القضية. وساعدته ريتا، فكانت تطمئن الشهود وتقوي عزيمتهم وترفع معنويات ديفيد. لكنها ظلت قلقة.

واشتدت مخاوفها قبل أسبوع من بدء المحاكمة حين دنا منها رجل وامرأة في مدخل المبنى الذي تقوم فيه شقتها. قال لها الرجل: "نحن على استعداد لمحاربتك في قضية فريد فيغرز."

فردت ريتا: "لن أتراجع، وسأكافح حتى النهاية."

فهددها الرجل: "سنرى، وسترين أنت كذلك." ثم انصرف هو ومرافقته.

لم يسمح لريتا بحضور المحاكمة لأنها كانت ستدلي بشهادتها لاحقاً. لكن ماكغيرل ثابر على الاتصال بها كل مساء واطلاعها على وقائع الجلسات.

استهل ماكغيرل مرافعته بوصف دقيق لواقع الحال. قال: "لم تبدأ المشكلة في ١٧ أغسطس (آب) ١٩٧٩، بل قبل ذلك بكثير، حين شهد الشارع ١٤٣ تدفقاً كثيفاً للمخدرات. كانت مشكلة المخدرات قائمة أصلاً، هذا صحيح، لكن الشارع لم يزدحم من قبل بزبائن توافدوا عليه من نيوجرزي وكونيتيكت."[٣]

صمت ماكغيرل هنيهة وأخذ يخطو جيئة وذهوباً ثم تابع: "في وقت ما، لا بد لكل شخص من أخذ قرار: أيبقى في الحي حبيساً، أم يلجأ الى وسيلة أخرى؟ هذا ما حدث في الشارع ١٤٣.

"هناك دائرة للشرطة. وقد بذل الاهالي جهوداً لابلاغها ما يجري علها تأخذ اجراءات قانونية. لكن الشرطة تعمل ضمن حدود لا تستطيع تجاوزها. لذلك قام آل سميث بنشاطات ستسمعون عنها لحماية الشارع ١٤٣ من وباء المخدرات."

هنا اعترض محامي الدفاع ادوين بول غونزاليس مدعياً أن لا علاقة للجريمة بالمخدرات، فهذه قضية هجوم لا لبس فيها، وقد أطلق فريد فيغرز الرصاص دفاعاً عن النفس وحماية لحياته وحياة المرأة.

(٣) ولايتان مجاورتان لنيويورك.

بدأ استجواب الشهود بالاستماع الى الشرطي الذي قبض على فيغرز، فنوّه بالمساعدة التي قدمها اليه آل سميث ومكنته من اعتقاله. وأبرز شهود آخرون جهود آل سميث التي أثمرت فحملت رجال الشرطة على شن حملات دهم للقبض على متعاطي المخدرات في الشارع ١٤٣. وعجز محامي الدفاع عن دحض هذه الشهادات. وأظهر استجواب الشهود دور آل سميث الفاعل في مكافحة المخدرات.

بعد بضعة أيام على بدء المحاكمة أتصل ماكغيرل بريتا وأخطرها: "عليك أن تلزمي الحذر. كلنا يعرف أن المحاكمة تتمحور على المخدرات، ولن يغفر لك أولئك المتورطون فيها اذ يجدونك تسدّين عليهم سبل رزقهم."

أجابت ريتا بهدوء: "أفهم ذلك."

وعرض بيتر برانزو، الضابط في "المنطقة ٣٢" تكثيف الدوريات في الشارع تحسبا لأي طارىء.

الحكم

التاسعة مساء، في الليلة التي سبقت الاستماع الى شهادة ديفيد، انهمر الرصاص على منزل آل سميث. فتحطم زجاج نافذة غرفة الجلوس وكانت ريتا في غرفة النوم فصرخت مرتاعة محذرة الاولاد: "انبطحوا على الارض!" ثم زحفت الى الهاتف وأبلغت الشرطة بما حصل. ولدى وصول رجال الشرطة اكتشفوا أن ثماني رصاصات أطلقت على المنزل من سطح بناية مجاورة.

قال برانزو لريتا: "حظكم كبير لأن أحداً منكم لم يُصَب. أين ديفيد؟"

فخرج ديفيد مرتعشاً من غرفة النوم وقال: "أنا هنا."

سأله برانزو: "هل أنت بخير؟"

– نعم، الحمد لله. في امكانك ابلاغ فيغرز أني سأكون في المحكمة غداً باكرا."

في اليوم التالي بدأ ماكغيرل استجوابه بسؤال ديفيد عن كليو ونشاطها في الشارع ١٤٣. ثم تطرق الى عصر ذلك اليوم حين أطلقت النار على ديفيد، مشيراً الى أن هذا كان يرتدي آنذاك بذلة العمل الخالية من أي جيب، ما يدل على أنه لم يكن يحمل سلاحا.

ولدى سؤال ديفيد عما شاهده ذلك النهار، شهد أنه رأى المتهم متكئا على غطاء محرك سيارة، كما رأى شقيقه مارك في الشارع.

سأله ماكغيرل: "هل كان مارك يعمل في ذلك الوقت؟"

– نعم.

"ماذا كان يعمل؟"

– أشغالا كهربائية.

"هل كان يحمل أدوات؟"

– نعم.

"أخبرنا ماذا رأيت. قلت انك شاهدت مارك وكليو."

– كان مارك يهز المطرقة في وجه كليو بيده اليسرى ويمسك ياقتها باليد اليمنى.

"وأين كانت يدا كليو؟"

– كانتا مسبلتين الى جنبيها.

"هل رأيت شفتيها تتحركان؟"

– نعم، رأيتهما تتحركان.

"كم من الوقت ظل مارك وكليو يتكلمان؟"

– قرابة ثلاثين ثانية.

"ماذا حدث بعد ذلك؟"

– تقدم الرجل في اتجاه شقيقي، فهرعت لاعتراضه وقلت له ان الامر لا يعنيه. لكنه دفعني، فبدأنا العراك، فلكمته.

تطلع ديفيد حوله فرأى الانظار موجهة اليه. فتابع بلهجة حازمة: "عندئذ سحب مسدسه وقال لي مهدداً: سأقتلك."

سأله ماكغيرل: "ماذا فعل بعدما سحب المسدس؟"

– رفعه عالياً.

"هل صوَّبه الى أي شيء؟"

أومأ ديفيد ايجاباً: "صوَّبه الى رأسي."

خلال المرافعة الختامية استخدم ماكغيرل شهادة ديفيد ببراعة. كان محامي الدفاع ادعى أن كليو كانت مهدَّدة وأن المتهم خف لنجدتها، وأنه معذور في الدفاع عن امرأة في خطر. فنقض ماكغيرل هذا الادعاء مبيناً أن مشادات عدة حصلت سابقاً بين كليو ومارك وآخرين من آل سميث، كما أكَّد عدد من الشهود. وغاية هذه المشادات محاولة اقصاء كليو عن مدخل مبناهم حيث كانت تتعامل بالمخدرات. ولم يلجأ أي من أفراد العائلة الى العنف. فلم يستخدموا مضارب كرة ولا مسدسات ولا سكاكين. وفي هذا الحادث المحدد كان مارك يهز المطرقة فحسب. فهل شعرت كليو بأنها مهددة؟

ثم تدرج ماكغيرل في مرافعته الى الافتراض، فقال: "ترى شخصاً هاجماً عليك بسكين أو مصوباً مسدسه اليك، فماذا تفعل؟ في كلتا الحالين ترفع يديك محاولا اتقاء الخطر الذي يتهددك. ولكن أين كانت يدا كليو؟ كانتا مسبلتين الى جنبيها.

"ويفترض بك أيضاً، حين ترى نفسك مهدداً بسكين، أن تصيح طالباً النجدة. فهل

طلبت كليو النجدة؟ كلا، كانت منهمكة في الجدل والمشادة، تتصايح مع مارك، ما يدل على أنها لم تشعر قط بأن حياتها في خطر.

"فما هو الخطر الذي كان يتهددها اذاً؟

لم يكن ذلك خطر المطرقة، بل خطر خسارتها عملها.

لما حاول سميث التصدي لها كانت تخشى طردها من المبنى لاتجارها بالمخدرات."

حدّق ماكغيرل الى هيئة المحلفين وتابع: "ماذا فعل المتهم؟ تقدم نحو المتشاجرين. وماذا حدث؟ كان ديفيد سميث هناك. هل كان ديفيد سميث يحمل سلاحاً؟ ماذا كان يرتدي؟ كان يرتدي بذلة العمل. لا جيوب ولا مكان لحمل أي شيء."

انخفض صوت ماكغيرل حتى بات همساً فيما هو يتتبع الاحداث التي سبقت لحظة سحب المتهم المسدس. من ثم لفت انتباه المحلفين الى ما كانوا يعرفونه عن قصد فيغرز: "سحب المتهم المسدس. فماذا فعل؟ الى أين يُسدده للقتل؟ هناك موضعان، فاما القلب واما الرأس. الى أين صوّب المسدس؟ لم يصوّبه الى الساق أو الساعد، بل صوّبه سوياً الى رأس ديفيد.

"أليس واضحا ما كان ينويه؟ لم يكن قصده اطلاق الرصاص دفاعا عن كليو، ولا دفاعا عن نفسه. كان قصده القتل."

ظلّ المحلفون يتناقشون في خلوتهم قرابة أربع ساعات. ولدى عودتهم الى قاعة المحكمة سادها صمت رهيب ترقباً للحكم. فسأل الكاتب المرأة المتقدمة في هيئة المحلفين: "ما هو قراركم في شأن الادانة بتهمة محاولة القتل من الدرجة الثانية؟"

— مذنب!

تظاهرة ليلية

بعث صدور الحكم واستمرار حملات الشرطة في نفوس الناس شعوراً بالانتصار وثقة جديدة بالغلبة. فصممت ريتا على أن تكون خطوتها التالية تنظيم مسيرة احتجاج على المخدرات. فكثفت اتصالاتها ووزعت مناشير تدعو الى الاشتراك في المسيرة. فاستجاب لدعوتها عدد من رجال الشرطة. وعين رجال أمن سريون لمراقبة المسيرة. ومع ذلك ظل كثيرون من الناس الذين تحدثت اليهم ريتا يخشون الاشتراك. وحددت ريتا صباح السبت موعداً للانطلاق.

انطلقت المسيرة وفي مقدمها ريتا وأولادها وبعض الجيران. وكلما تقدموا في الشارع انضم اليهم آخرون. كان الناس ينظرون اليهم من النوافذ. ومشت أمهات يجررن أطفالهن في عربات، ومشى مسنّون بعكازاتهم، ومشى فتيان وشباب وكلهم يهتفون: "لتسقط المخدرات! خلصونا من المخدرات!"

كان للمسيرة أثر فاعل لم يشهده حي هارلم قبلا. فالسكان الذين كانوا لامبالين حيال الجرائم المرتكبة في الشوارع راحوا يبلغون عنها رجال الشرطة. والضباط الذين كانوا يتلكأون في الاستجابة لاستغاثات السكان باتوا يكثفون وجودهم ويجرون اعتقالات فورية.

انما كثيرون من باعة المخدرات المعتقلين كانوا يعودون الى الشارع فور اطلاقهم ليمارسوا تجارتهم. ففهم السكان أن أجهزة الشرطة تحتاج الى أدلة ثبوتية تخولها القبض على تجار المخدرات وادانتهم. فأخذوا يراقبون الصفقات ويجمعون المعلومات ويدونون أرقام لوحات السيارات وأوصاف المتعاطين ومَن منهم باع ومن منهم اشترى.

واستخدمت احدى النساء في المراقبة منظاراً احتفظت به قرب نافذتها. وكان ساكنو الجوار يقومون بالواجب بحماسة، فيحدقون ملياً الى وجوه الباعة ويدوّنون أعمالهم المشبوهة ويبلغون رجال الشرطة ما يرون.

وبعد حيازة أجهزة الشرطة معلومات دقيقة عن أفراد جماعة المخدرات، انتفت الحاجة الى شنّ حملات دهم وتوقيف جماعي واستعيض عنها بخطط أكثر فاعلية للقبض على باعة المخدرات افراديا وطردهم من الشوارع.

وفي سبيل ابقاء القضية ضمن اهتمامات المسؤولين والى السكان حضور جلسات المحاكمة، وحين كان ينادى على المتهم يقفون جماعات في قاعة المحكمة، فيشير اليهم المدّعي العام: "هؤلاء، يا سيدي الرئيس، هم سكان الشارع ١٤٣." وكانوا يرفعون لافتات كتب عليها: "خلصونا من المخدرات ومن تجار المخدرات."

وتنامى لدى الناس شعور بالثقة والقدرة على تحقيق أمور رائعة بالتضامن جماعياً. وحين كانت ريتا تتصدى لأحد باعة المخدرات، كان جيرانها يتدخلون لعضدها ولطرد مروجي المخدرات من أمام أبنيتهم.

قوّمت ريتا الوضع، فرأت أن ما انجز ليس كافيا. فالابنية المجاورة في الشارع ١٤٣ مرتع خصب لتجار المخدرات الذين تغلغلوا فيها. وما زالت الصفقات تعقد هناك في غياب القانون. فعقدت اجتماعا في ناد محلي مع جاراتها من الساكنات في الشارع ١٤٣، وشرحت لهنّ واقع الحال، وحضّتهن على مواصلة جهودهن بهدف اخراج باعة المخدرات من كل تلك الابنية.

وافقت المجتمِعات على خطة ريتا، فاتقدن حماسة وخرجن ليلا في تظاهرة ضمّت ٧٥ امرأة توجهن الى دائرة الشرطة وسجلن، افراديا، شكاوى تدين تجارة المخدرات وتطلب اقتلاع مروجيها من المباني في شارعهن. وانهمك رجال الشرطة في تسجيل الشكاوى حتى الاولى بعد منتصف ذلك الليل.

حفزت تلك الشكاوى الجماعية أجهزة الشرطة على التشدد في المكافحة. وبدأ

برانزو حملات دهم واسعة ومكثفة بمساندة رجال من مراكز أخرى للشرطة. فاعتقل عدد كبير من مروجي المخدرات حتى كادت البنية التحتية لهذه التجارة الخطيرة تتقوض. واستمرت حملات الدهم تقضّ مضاجع الباعة وتجلوهم عن الابنية.

أحلام تتحقق

لم تمض سنتان حتى انهارت سوق المخدرات في الشارع ١٤٣. لكن ريتا، البعيدة النظر، رأت أنه ما لم تُرمم الابنية الخالية وتُجدد فستعود حتماً أوكاراً لتجار المخدرات والمهربين وأعشاشاً للجريمة، فتكون جميع الجهود أهدرت. قالت: "ان السبيل الوحيد الى بلوغ هدفنا المنشود هو في الرؤيا والتخطيط والعمل على التغيير." ووضعت خطة آمنت بجدواها، وراحت تسعى الى كسب عضد لها. وهي صادفت عوائق كثيرة، لكن قلة المال كانت العثرة الكبرى.

تلخّصت الخطة في الاتصال بمالكي الابنية في الشارع ١٤٣ وحملهم على ترميمها وجعلها صالحة للسكن. كان معظم الأبنية ملكاً لبلدية نيويورك. وبحسب القوانين المرعية، يحق لَحْظ الاموال اللازمة لترميمها. لكن الاعانات الحكومية المخصصة للاسكان شحَّت كثيراً.

لم تيأس ريتا، بل استمرت في البحث والتنقيب، فأثمرت جهودها اذ عثرت على ما سمّي "الشعبة الثامنة" حيث أرصد مبلغ من المال لمشاريع في هارلم. وهكذا مُهِّدت الطريق الى الاصلاح، وبقي على ريتا الاتصال بالمسؤولين المعنيين.

ذهبت ريتا مع وفد من سكان المحلة لمقابلة المسؤولين. وحصلت على موافقتهم على قبض المبلغ المخصص للحي. وبعد التفاوض والتعاقد مع مهندسين ومتعهدين، جُدِّد المبنيان الاولان بين ١٩٨٢ و١٩٨٤، واحد في الشارع ١٤٣ وآخر في الشارع ١٤٤.

اقامت ريتا حفلة تدشين للمبنيين دعت اليها رجال الشرطة في فرقة مكافحة المخدرات. وألقت خطابا قالت فيه: "قد يكون التمييز العنصري متبادلا. ولكن ما ان تنشأ علاقة حسنة بين أناس مختلفي الاعراق، كأن يبدأوا عملا مشتركا، حتى تتطور الامور الى الافضل، فيزول الحقد بينهم ويعم السلام والوئام ويرى الناس بعضهم بعضاً من خلال ضوء جديد.

"نحن هنا نحتفل بالمشروع الاجتماعي الذي نشأ بفضل تطور هذه العلاقة. ففيما كان كل ما حولنا ماضياً الى الخراب والفساد والانحلال، اتّحدنا وضممنا جهودنا، بعضنا الى بعض، لاحداث تغييرات علّقنا عليها آمالنا. وقد تحققت آمالنا بهذا الانجاز الفريد الذي تشاهدونه الآن أمامكم.

"لكني أرجو أن تكون هذه بداية مسعى طويل."

في أواخر ١٩٨٤ منحت ريتا درجة دكتوراه فخرية للخدمات الانسانية من جامعة فوردهام. وفي حفلة التكريم أعلن رئيس الجامعة: "تفتخر جامعة فوردهام بأن تكون ريتا ويب سميث احدى خريجاتها. فالخدمات الاجتماعية الجلّى التي قدمتها تفوق كل تقدير، فبفضل جهودها شهدت المحلة التي تسكنها والتي كانت غارقة في اليأس والشقاء والانطواء، ولادة جبارة مشرقة أشاعت فيها الامل والثقة والطمأنينة. واذ تكرم جامعة فوردهام السيدة سميث، فهي تنضم الى موكب من المؤسسات والقادة الاجتماعيين الذين ينادون بأن ايمان مواطن واحد وجهوده الفردية كفيلة باحداث تغيير نحو الافضل."

عام ١٩٨٩ أقرَّت بلدية نيويورك صرف اعتمادات لتجديد منطقة في حي هارلم تضم أبنية عشرة شوارع واقعة ما بين الشارعين ١٣٨ و١٤٧. فكان ذلك لريتا خطوة كبرى في الطريق الى تحقيق رؤياها الواسعة. وبدأ العمل في مباني المحلَّة حيث تسكن ريتا غرب الشارع ١٤٣، فباتت تتألق بشقق سكنية مجددة. وعلى زاوية جادة لينوكس يجرى العمل على بناء ناد محلي يضم قاعة للرياضة وحضانة للاطفال ومكتباً للخدمات الاجتماعية.

أما التغيير الابرز فقد حصل في موقعين صغيرين في طرف الشارع. فقبل عشر سنين كان هناك مبنيان محترقان مطلان على الشارع، جعل منهما باعة المخدرات وكراً يختبئون فيه. فهُدم المبنيان ونُظف المكان من الركام والاوساخ، وحل مكانهما متنزهان صغيران يرتادهما سكان المحلة للتنزه واللعب.

وتقاعد بيتر برانزو وترك دائرة الشرطة، لكنه ما زال يزور ريتا في الشارع ١٤٣ ويساعدها في برامجها المختلفة. وهو يقول: "ثمة أماكن أخرى في أحياء هارلم وبرونكس ومانهاتن تشكل مسارح للجرائم وأوكاراً للمخدرات، لكني أعلم أن ريتا تقوم هنا بعمل رائع يساعد في ضبط الامور التي نراها تتحسن وتسير الى حال أكثر أماناً."

رسالة ريتا

شارفت أعمال الترميم والتجديد الانتهاء في ٤٦ مبنى مجاورة لمبنى ريتا سميث. فنظفت الواجهات القرميدية وأعيد طلاء داخل الشقق. ويضم بعض المباني شققاً فخمة من طبقتين، أرضيتها لماعة ومكسوة بخشب السنديان. والاحواض في مداخل المباني ملأى بالنباتات والازهار.

وقفت ريتا أمام المبنى ١٠١ في الناحية الغربية من الشارع ١٤٣، وتطلعت حولها وهتفت بافتخار: "من هنا انطلقت المسيرة."

بعد محاولتها تأليف جمعية تعاونية، استملكت ريتا المبنى في العام ١٩٨٠ ودفعت الضرائب المستحقة وجمعت تبرعات ومساعدات أتاحت لها تجديده وبناء سقوفه واصلاح أجهزة التدفئة وتجديد الطلاء.

وفيما كانت ريتا واقفة منتشية تتأمل مبناها بفخر واعتزاز، تقدم منها راي فلتشر الذي انتقل عام ١٩٨٥ من الشارع ١١٦ واستأجر محلا لبيع أجهزة الفيديو في الطبقة الاولى من المبنى. قال لها، كأن كلامه رجع أحلام ريتا البعيدة: "ان السكن هنا هو كالسكن في بارك أفينيو. كل شيء نظيف بهيج. فهنا سلامة وأمان تامان، ولا مخدرات، بل أبنية جديدة زاهية وزهور وشوارع نظيفة. انه أفضل مكان للسكن. وكل ذلك بفضل ريتا."

خجلت ريتا لهذا الاطراء، فحيَّت فلتشر ودخلت مكتبها في المبنى المجاور لمبناها، حيث علقت على الباب لوحة معنونة: "مركز الاستشارات العائلية لأنظمة العيش."

وتشرح ريتا وهي جالسة على أريكة في مكتبها الفخم: "لا أعتقد أن ثمة أموراً أهم من الحفاظ على كيان العائلة. لذا صممت على العمل في الحقل الاجتماعي، وهو اختصاصي، وبدأت العمل في هذه العيادة."

وفيما هي تتكلم، يدخل ابنها ديفيد. لقد مرّت ١١ سنة على محاكمة "سوني" فيغرز الذي أطلق عليه النار، وديفيد اليوم شاب جذاب لبق في الثانية والثلاثين من عمره، ناشط في مساعدة أمه ونصرة المبادىء والقضايا التي تناضل في سبيلها. وهو يعمل في تجديد المنازل وترميمها في أنحاء هارلم.

تقول ريتا مبتسمة باعتزاز: "أولادي جميعهم في أحسن حال. فالتوأمان تتابعان دراستهما الجامعية بمنح تعليمية. ومارك ضابط في شرطة نيويورك. ويعمل بيتر في مكتب محاماة في المدينة. وجودي موظفة في شركة "كونسوليديتد إديسون." من عندنا بعد؟ غلاديس ستعود الى كلية الحقوق في الخريف المقبل. ذكرنا السبعة، أليس كذلك يا ديفيد؟"

أجاب ديفيد مبتسما: "حتما."

علّمت ريتا أولادها ألا يدعوا بيئتهم تحطّ من ثقتهم بأنفسهم وتدفعهم الى الشعور بالعجز. وواضح أنهم حفظوا هذا الدرس جيداً، كما حفظه جيرانهم وسكان محلتهم.

وتُلخص ريتا انجازها قائلة: "حين يسألني الناس كيف توصلت الى تحقيق كل ذلك أجيب: الخوف قرع بابي، والايمان فتحه، ولم يكن في الداخل سواي."

ريتا ويب سميث
وطوني شابيل ■

ترجمة الياس عقل

اسماء الفائزين
في "استفتاء قرّاء المختار"

تشكر ادارة مجلة "المختار" جميع القراء الذين اشتركوا في الاستفتاء الذي نشر في عدد شهر يونيو (حزيران) ١٩٩٠ والذي حالت ظروف الحرب القاهرة في لبنان دون سحب اسماء الفائزين المئة باشتراك مجاني لمدة سنة. وهي اذ تنشر اسماء الفائزين في هذا العدد، ترجو الذين منهم تبدلت عناوينهم، خصوصا اخواننا في الكويت الشقيق، ابلاغنا خطيا بعناوينهم الجديدة. علما اننا سنباشر ارسال الاعداد الى الفائزين الاعزاء ابتداء من عدد نوفمبر (تشرين الثاني) المقبل.

وهذه اسماء الفائزين التي سحبت بالقرعة في مكاتب المجلة في اشراف لجنة خاصة.

١. السيد ياسين عبد الفتاح سليمان - سورية.
٢. السيد خالد ابرهيم الصلح - الامارات العربية.
٣. السيد علي جعفر محمد - البحرين.
٤. السيد وجيه محمد ابرهيم - الامارات العربية.
٥. السيد عيسى نصراوي - قطر.
٦. السيد محمد بن محمد فال - موريتانيا.
٧. السيد محمد عصمت عطية - الاردن.
٨. السيد ياسين حسن التكروري - الاردن.
٩. السيد هاني سبع محمد ابو لبدة - الاردن.
١٠. السيد جمال نشاد - ليبيا.
١١. السيد قاسم محمد فارع المدحجي - اليمن.
١٢. السيد عبد المؤمن عبدالله خالد - اليمن.
١٣. السيد صالح عمران - اليمن.
١٤. السيد نبيل عبد الحافظ العامري - اليمن.
١٥. السيد عبد الخالق بن محمد بن عبد الخالق - سلطنة عمان.
١٦. الآنسة فاضلة سيف بن سلطان الجابري - عمان.
١٧. السيد ناصر محمد سالم تبريت الحريزي - عمان.
١٨. السيد رفيق بودوني - تونس.
١٩. السيد عماد الشريف - تونس.
٢٠. السيد مجيد عباس علوان الفهداوي - العراق.
٢١. السيد عامر اديب ناغي - العراق.
٢٢. السيد جوزف ابي حنا - الكويت.
٢٣. السيد احمد الماجد - الكويت.
٢٤. السيدة هداية محمد ناصر ابو العون - الكويت.
٢٥. السيد مرزوق الجاسم - الكويت.
٢٦. الآنسة بشائر يعقوب الغنيم - الكويت.
٢٧. الآنسة منى الصغير - لبنان.
٢٨. الآنسة ريتا فارس الحداد - لبنان.
٢٩. الآنسة سلام الحاج - لبنان.
٣٠. السيد عبدو جرجي صدقه - لبنان.
٣١. السيد فادي الحاج يوسف - لبنان.
٣٢. السيد زياد صافي - لبنان.
٣٣. الآنسة فيفيان يوسف نعيمه - لبنان.
٣٤. السيد نجيب متى - لبنان.
٣٥. السيد جورج الياس يزبك - لبنان.
٣٦. السيدة نرمين زهني زكي حنا - مصر.
٣٧. السيد عباس ابرهيم حسن - مصر.
٣٨. السيد عادل فريد نجيب - مصر.
٣٩. المهندس ماجد ميلاد اسحق - مصر.
٤٠. السيد مجدي ناشد سمعان - مصر.
٤١. السيد محمد سعيد - مصر.
٤٢. السيد ايمن احمد امام - مصر.
٤٣. السيد محمود سعيد محمد عمارة - مصر.
٤٤. السيد عماد الشافعي - السعودية.
٤٥. السيد احمد محمد الخميس - السعودية.
٤٦. الآنسة ليديا خجادوريان - سورية.
٤٧. المهندس محمد وسيم الهبل - سورية.
٤٨. الآنسة سوسن اسحق - سورية.
٤٩. السيد ايمن مهيني - سورية.
٥٠. السيد انور وبي - سورية.
٥١. الآنسة حسناء حفار - سورية.
٥٢. السيد عزام اسعد الشيخ طه - سورية.
٥٣. الآنسة سالي نعمة - سورية.
٥٤. الآنسة سمر العرموني - سورية.
٥٥. السيد باسم نتيفة - سورية.

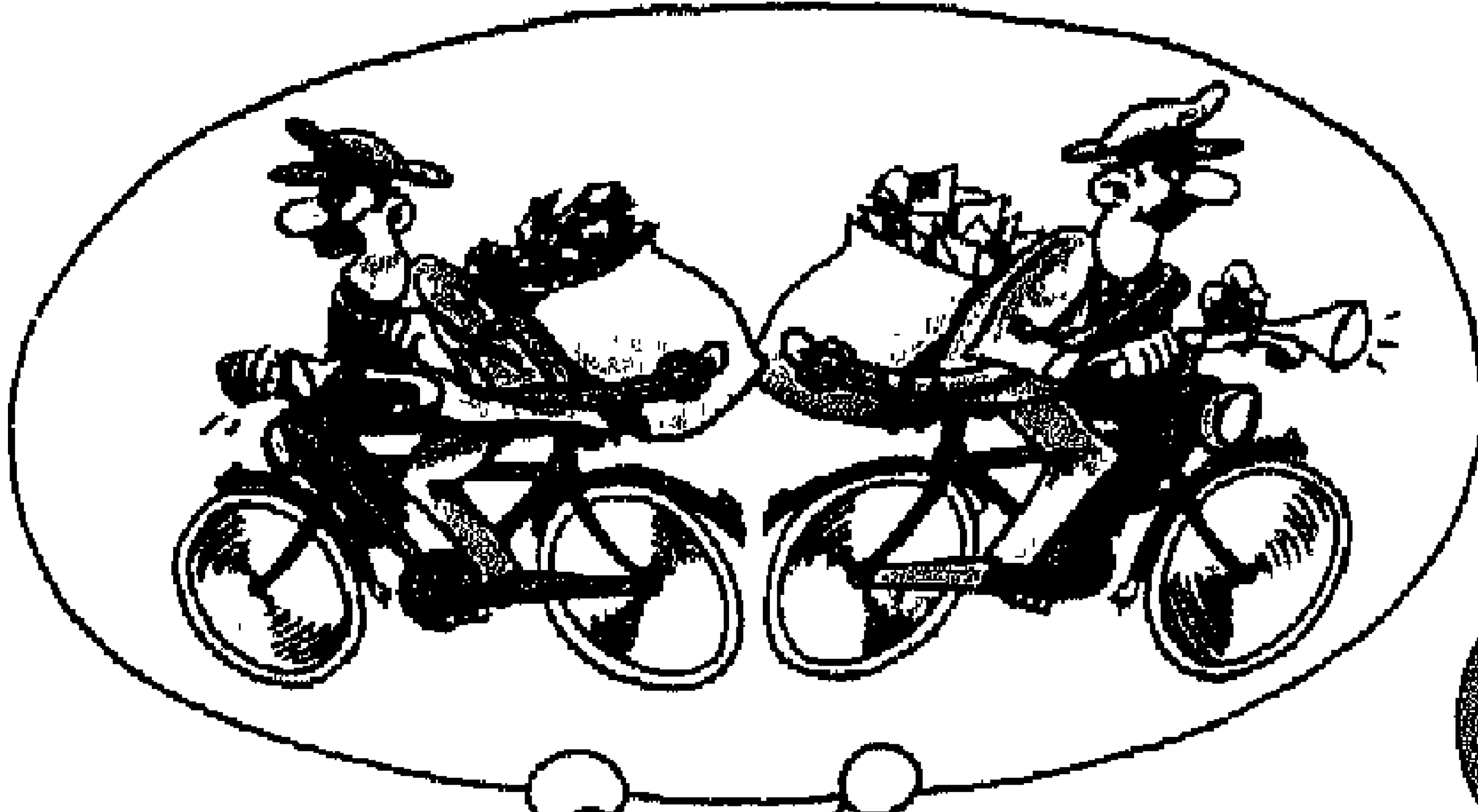
٥٦. السيدة فهيمة قدري - سورية.
٥٧. السيد فراس ناشد - سورية.
٥٨. الدكتور توفيق الحاج يحيي - سورية.
٥٩. الآنسة جمانة القحف - سورية.
٦٠. السيد طلال دربي - سورية.
٦١. السيد عبد السلام المرعي - سورية.
٦٢. السيد تيسير تيلو - سورية.
٦٣. السيد الدرفوني عبد اللطيف - المغرب.
٦٤. الآنسة صبحي بهيجة - المغرب.
٦٥. السيد محبوك محمد - المغرب.
٦٦. السيد بن الضيف بنيونس - المغرب.
٦٧. السيد مختاري سعيد - المغرب.
٦٨. الآنسة الشقري سعاد - المغرب.
٦٩. السيد تازي عمر رشيد - المغرب.
٧٠. السيد حسن علي حسين - السعودية.
٧١. السيد فيصل علي ياسين القيري - السعودية.
٧٢. السيد محمد امين - السعودية.
٧٣. السيد فادي عبد الرحيم الحنفي - السعودية.
٧٤. السيد صالح علي محمد عبدالله - السعودية.
٧٥. الآنسة ليلى الزاهر - السعودية.
٧٦. السيد خالد ابرهيم الحجي - السعودية.
٧٧. الآنسة ليلي عبدالله ابرهيم السعيد - السعودية.
٧٨. السيد سامر - السعودية.
٧٩. السيد عبد الرحمن الزهراني - السعودية.
٨٠. MR. AMINE IDRISSI NASSER — MAROC.
٨١. MR. ELAZAMI HAMID — MAROC.
٨٢. MR. ER. RIDHI HASSAN — MAROC.
٨٣. MR. KHALIL ABU SHAYEA — SAUDI ARABIA.
٨٤. MR. ESSAM WANI — AUSTRALIA.
٨٥. MR. ISKANDAR ELIAS — CANADA.
٨٦. MR. MAHDY MUHI-ALDIN — DANMARK.
٨٧. MR. OMAR RAHWAN — TURKEY.
٨٨. MR. ABDUL SHAHEED KADHIM AL MUSTAFA — INDIA.
٨٩. MR. KEICHOUR TAFNAKLI — DEUTSHLAND.
٩٠. MR. SAMIR WANNOUS — FINLAND.
٩١. MR. ZIAD TARIQ — UNITED KINGDOM.
٩٢. MR. YASER CHAAR — U.S.A.
٩٣. MR. FAKHER AL TIR — GREECE.
٩٤. MR. ZIAD HALKA — ITALY.
٩٥. MR. SHAKER SOBHI QAWASMI — JORDAN.
٩٦. MRS. FIRYAL DABABNEH — JORDAN.
٩٧. MR. ABU BAKER — LIBYA.
٩٨. MR. EL OURTATANI IMED — TUNISIE.
٩٩. الآنسة هيفاء عبدالله المهنا - السعودية.
١٠٠. السيد حسان بدور - المغرب.


رئيس التحرير يفتتح القرعة.


فريال علاف.


عايدة الموسوي.

اكتب واربح





هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

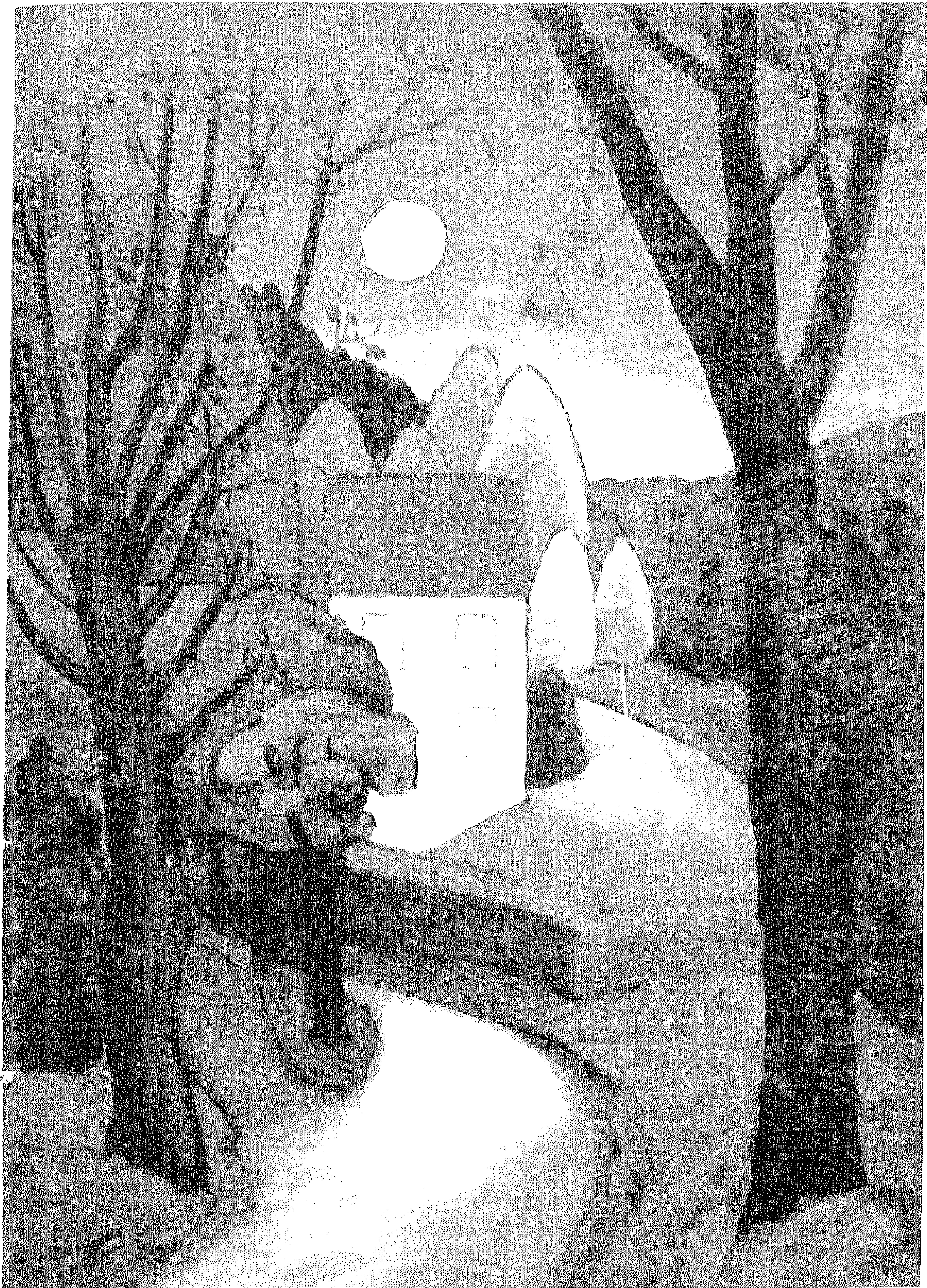
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

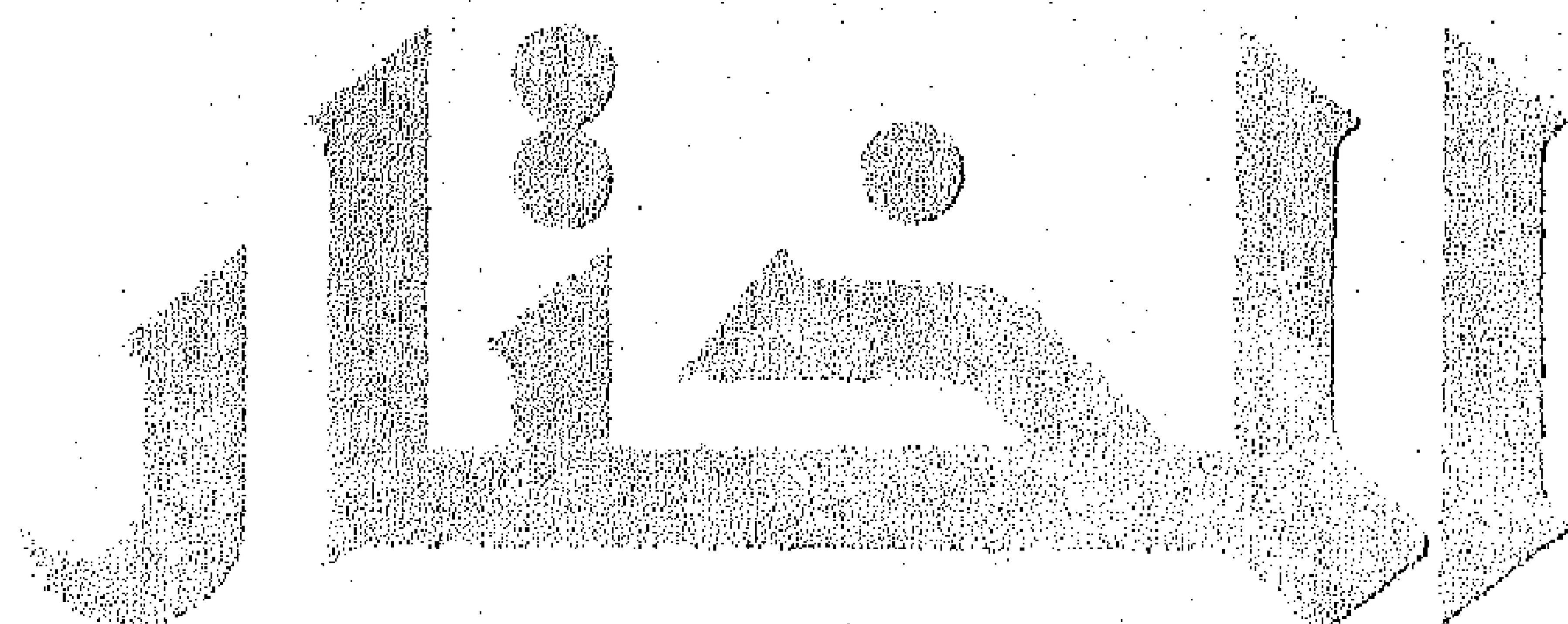
توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت.



PRIVATE COLLECTION, WORTHINGTON GALLERY, CHICAGO

طلوع القمر في قرية مورنو للالمانية غابرييل مونتر.

اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩١ - ربيع الثاني ١٤١٢



AL MUKHTAR min Reader's Digest October '91 N° 155

أوسع المجلات انتشارًا في العالم

خلفيات الدور الألماني في العراق

(ص ١٣)

الحرب ضد الايدز: كل شريك خفير!

(ص ١٨)

الكرش قنبلة في البطن

(ص ٧٧)

التعب المزمن مرض العصر

(ص ٧)

Reader's Digest

المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير: راغدة حداد. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف.
مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.
التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان
التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE. الهاتف ٣٥٠٧٦٠/٣٧٠٥٧٥
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE. Tel. 350760 / 370575



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

October '91 N° 155 (New Series) Vol. 13

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

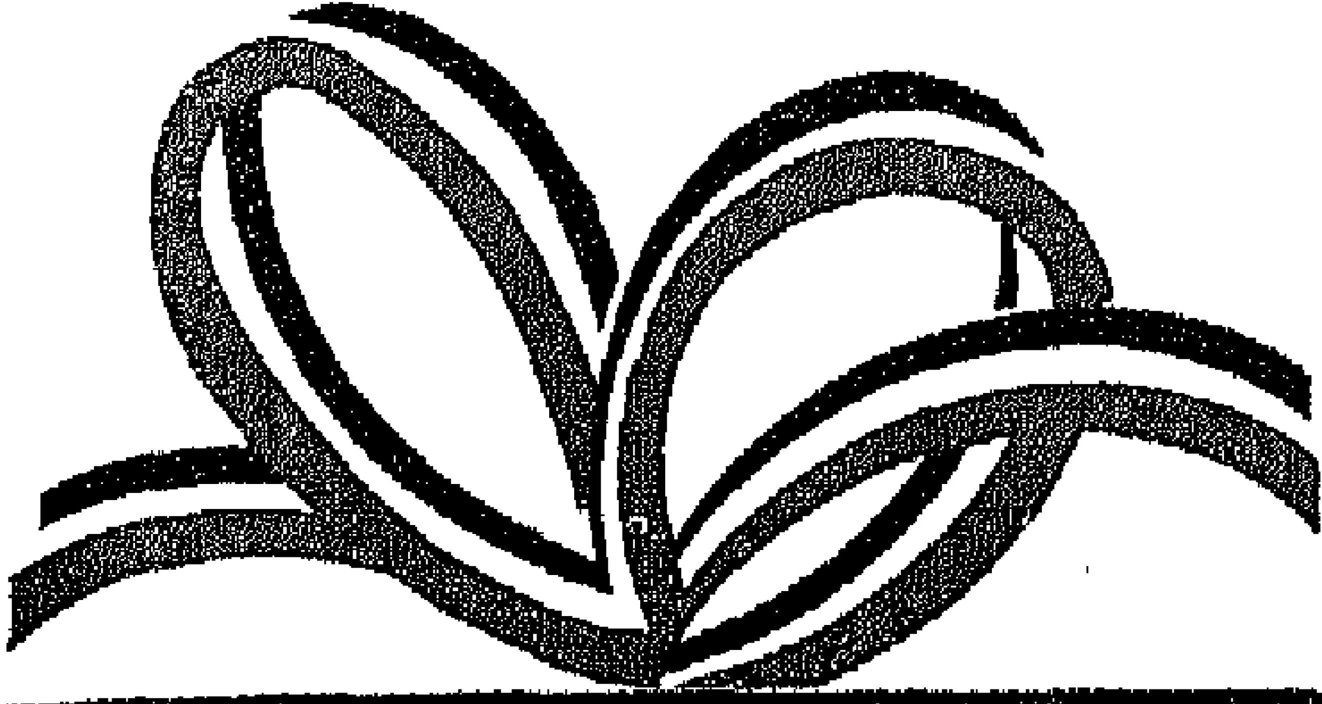
الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كنيث غيلمور. مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية، والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والروسية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضا في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة

نان ١٠٠٠ل - سورية ٤٠ل - الاردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٩ر - البحرين ٩٠٠ف
سعودية ١٢ر - مصر ١٫٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - الجمهورية اليمنية ١٥ ر - مسقط ٩٠٠ ب - قبرص ١ ج
نس ٧٠٠م - المغرب ٨د - الجزائر ٧د - انكلترا ١ج - اليونان ٢٠٠د - كندا واميركا الشمالية ٢٫٥د

فاجئوا من تحبون بهدية لا تنسى



تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او عيد الحب...
فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟
فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٩١/١/١ و١٩٩١/١٢/٣١ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٠ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
c/o Aramex International Courier
P.O.Box 3814 Deira United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar B.P. 819
94549 Orly Aerogare France

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضمها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ______________

____

عنوانه ______________

____

المناسبة وتاريخها ______________

توقيع المهدي ______________



مع أخلص تمنياتنا

قصص حب
وجرأة وعرفان

جديات نسائية



"لا حب أعظم"

لا أظنكم سمعتم بجمعية "لا حب أعظم." وقليلة هي المؤسسات التي تتمتع بقوة وتأثير كبيرين وتبقى مغمورة كهذه.

تأسست جمعية "لا حب أعظم" في العاصمة الامريكية واشنطن قبل ١٩ عاماً بجهود امرأة اسمها كارميلا لاسبادا. وتقوم على مبدأ أساسي لا يفكر فيه كثيرون، وهو إعلام الاشخاص الذين يضحون بحياتهم - واعلام عائلاتهم وأحبابهم من بعدهم - أن هناك من يقدر تضحيتهم.

تطوعت كارميلا لاسبادا طوال عقدين من عمرها في تنظيم احتفالات لتكريم الجنود العائدين من الحرب او لاحياء ذكرى المفقودين. وهي نظمت احتفالات تذكارية للشهداء الذين سقطوا في المعارك، بدءاً بالحرب العالمية الاولى وانتهاء بحرب الخليج.

ومن الاشخاص الذين شملتهم رعاية جمعية "لا حب أعظم" مويرا فولي دريسل التي تقول: "كنت في السابعة من عمري يوم أُعلن والدي في عداد المفقودين قبل ٢٨ عاماً، وكان مقدَّماً في الجيش. وقد تذكرت كارميلا لاسبادا أعيادنا، وبعثت إلينا بهدايا صغيرة، كما دعتنا الى حضور حفلات حضرها نجوم سينما ورياضة. أنه لأمر مهم أن يشعر الطفل بأنه محط رعاية واهتمام."

ولم تنس لاسبادا أن تحتفل بعودة فرانك ريد وروبرت بولهيل من الاسر ربيع ١٩٩٠، وهما أستاذان أمريكيان خطفا

في بيروت عامي ١٩٨٦ و١٩٨٧. ولا تزال تساعد بولهيل الذي يمضي فترة نقاهة بعد اصابته بسرطان الحنجرة.

تقول لاسبادا إن روح المسؤولية تجاه الجماعة تولدت لديها نتيجة تربيتها العائلية. "فقد كان الحب هو القانون الذي نظم حياة عائلتنا: أبي وأمي وأخي وأختي وأنا، وجدي وجدتي اللذين كانا يقيمان معنا. تعلمنا ألا نحصر محبتنا في اطار العائلة، بل أن نشارك الآخرين فيها. أذكر والدي – وكان حلاقا – كيف كان يحمل المقص وماكينة الحلاقة الى المستشفى ليقص شعر المريض الذي يعوده أو ليحلق ذقنه."

وتؤكد لاسبادا أن الجمعية لا تتلقى دعماً ماليا من الحكومة، فهي تعتمد كلياً، منذ تأسيسها، على تبرعات الناس. وتقول رداً على سؤال حول تمسكها بهذا النوع من العمل: "هذا هو العمل الصحيح." وغالباً ما تستشهد بعبارة للكاتب الامريكي هيرمان ووك: "ان بداية نهاية الحرب تقوم على الذكرى."

أما مويرا فولي دريسل فتقدم شرحاً آخر: "تمتلك كارميلا لاسبادا حباً عظيماً. ولطالما شعرتُ بأن ذراعيها تسِعان العالم، وهما ممتدتان أبداً لحمايتنا."

مايكل رايان

في "باريد"



طفلة جريئة

كانت لينا فوغات، البالغة من العمر ست سنوات، تحب أن تجلس في حضن جدها راي وهو يقود جرّاره في مزرعة العائلة في ولاية فيرجينيا الامريكية. وذات يوم اصطحب راي حفيدته ليحرق كومة من الاغصان اليابسة. وما ان صب قليلا من الوقود على الكومة وأشعل عود ثقاب حتى اشتعلت الاغصان وحاصرته النار. فسقط أرضا وهو يصرخ، وراح يتدحرج في محاولة يائسة لاخماد النار. وجهد للوقوف على قدميه، ومشى مترنحا مسافة عشرة أمتار الى حيث كانت لينا جالسة على الجرار، وهمس لها: "اذهبي ونادي جدتك." وسقط على الجزازة المربوطة الى الجرار مغمى عليه.

كان جلد ذراعيه مقشوراً كورق شفاف، وتقرح صدره وتشوه وجهه بفعل الحروق. الا أن لينا تمالكت نفسها. وخشيت ان تترك جدها وحيداً، وأدركت أن أملها هو في قيادة الجرار الضخم الى المنزل الذي يبعد مسافة ٨٠٠ متر. وهذا أمر لم يكن جدها ليسمح به، لكن الطفلة التي لم يتجاوز طولها المتر قررت أن تقدم عليه.

انزلقت على المقعد وداست رزاً أحمر باصبع قدمها، فدار المحرك واهتز الجرار محدثاً هديراً قوياً. وقادته لينا بمشقة نحو

المنزل، وجدها ما زال ملقى على الجزازة.
ولما وصل المسعفون الى المكان عاينوا آثار الخطوط المتلوية التي تركتها عجلات الجرار، فتبين لهم مدى ما عانته الطفلة في تجاوز الحافات والنتوءات وقنوات الريّ وجذوع الاشجار المقطوعة.
أصيب راي فوغات بحروق من الدرجتين الثانية والثالثة في جزء كبير من جسده. لكنه الآن تعافى كليا تقريبا. ويرى الاطباء أنه لم يكن لينجو لو لم تتصرف لينا كما فعلت.
ويقول دون ديرنر منسق فوج الاسعاف المحلي: "لقد احتفظت لينا برباطة جأشها، وأدركت ما عليها أن تفعل، وتصرفت على هذا الاساس."

كريستوفر ا. بوجاليان



تدخُل في محله

لم يكن ابن الحادية عشرة، الجالس بالقرب من أورنا سيغل في صالة سينما في لوس انجلس، هادئا، مما أثار سخطها. فالتفتت جانبا لترى أن مرافق الصبي، وهو رجل في نحو الستين، يداعبه بشيء من الشذوذ. فطلبت سيغل من مدير الصالة أن يتصل بالشرطة.
وعند انتهاء الفيلم خرجت سيغل مع أطفالها ووقفت تراقب الصبي والرجل. ولما رآها مدير الصالة هز كتفيه، فأدركت أنه لم يتصل بالشرطة على الاطلاق.
دخل الرجل الستيني متجرا مجاورا برفقة الصبي. فاقتربت سيغل من مدير الصالة الذي رفض التدخل، لكنه اذ رآها متوترة ومشدودة الاعصاب سمح لها باستعمال الهاتف في مكتبه لابلاغ الشرطة بما رأت.
خرج الرجل ومعه الصبي من المتجر، وكان هذا يحمل سوطا وقبعة كاوبوي اشتراهما له مرافقه. وبعد دقائق وصل رجال الشرطة، فقصت عليهم سيغل ما حدث. ولما عادت الى البيت وجدت في انتظارها رسالة من الشرطة على آلة التسجيل المتصلة بالهاتف. جاء في الرسالة: "شكرا لك. لقد أنقذت حياة صبي. والرجل موقوف عندنا."
كان اسم الرجل مدرجا في دائرة الشرطة ضمن لائحة المهووسين الشاذين. وهو كان صديقا لعائلة الصبي، يدعوه أفرادها "العم مارك"، وقد اصطحب الصبي الى السينما "لمناسبة عيد ميلاده." اعتقلته الشرطة بعدما تحققت من اسمه في قسم المحاسبة في متجر الالعاب ذاك.
نالت سيغل جائزة تقديرية من دائرة الشرطة. وهي تقول: "في البدء لم أكن أتدخل في مشاكل الآخرين، لكني الآن أبذل ما في وسعي لمساعدة الناس."

ماري الن ستروت
في "موكسي"

Reader's Digest
المختار
اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩١
ربيع الثاني ١٤١٢
السنة الثالثة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

التعبُ المفاجئ مَرَض العصْر!

بعد الايدز ظهر في امريكا وباء غامض يبحث الاطباء عن تعريف له

قبل ١٧ عاما ابتليت نانسي كايزر بمرض غامض اشعرها كأنها ستفارق الحياة. وهذه المرأة الشابة في الثامنة والثلاثين من عمرها، تحب الحياة وهي شغوفة بالرياضة وخصوصاً الغولف والسباحة. وقد غلب عليها الوهن والعياء الشديد واصيبت بالتهابات في المثانة وألم في العضل وانتابتها نزوات تغيّر فيها مزاجها فجأة وضعفت ذاكرتها. فارتأى الاطباء ان مثل هذه الاعراض غالباً ما تحدث بعد انقطاع الطمث، فوافقت كايزر على استئصال رحمها جراحيا، الا ان ذلك لم يجدها نفعا فاحالها معالجوها على الاطباء النفسانيين.

حتى العام ١٩٨٧، كانت كايزر عرضت حالتها على ٢١٢ من الاطباء والاختصاصيين. فبدأ نظرها يضعف وباتت تعاني نوبات مرضية يومية. ونظراً الى عجزها عن تحديد مرضها، لم يوافق احد على انها مريضة حقاً. ولمح الاطباء الى ان المعالجة في مؤسسة للأمراض العقلية قد تفيدها.

اذا تصفحنا المجلات الطبية الرئيسية فلن نجد فيها ما يشير الى مرض نانسي

كايزر الغامض، ولكنه يعتبر حالياً مصدر قلق كبير على الصحة العامة. فالمتخصصون بعلم الاوبئة يقدرون ان خمسة ملايين من الامريكيين اصيبوا بمثل هذا المرض وتتلقى مراكز ضبط المرض (CDC)، وهي الوكالة الاتحادية المسؤولة عن تقفّي الأمراض المعدية، نحو ٣٠٠٠ مكالمة شهرياً لاستجلاء حالة هذا المرض.

مرض غامض. تُعرف هذه العلة باسماء متعددة. فالمصابون بها في كندا وبريطانيا يسمونها التهاب عضل اتصال الدماغ والنخاع الشوكي[١]. وفي اليابان تسمى متلازمة خلية القاتل الطبيعي الادنى[٢] (ME). وفي الولايات المتحدة تدعى متلازمة العياء المزمن[٣] (CFS). وبعض اعراضها مألوف مثل الحميّات واورام العقد اللمفية وعرق الليل وآلام المفاصل والعضل، وكلها تبعث على القلق. ولكن المتلازمة، خلافاً لمرض "أيدز"، لا يبدو أنها مرض ينتقل من طريق الاتصال الجنسي ولا يتسبب في موت الناس، ولكنه يحوّلهم مرضى مشوشين، فبعض المرضى يعاني تغيرات في المزاج او نوبات ذعر ومعظمهم يصابون بانحطاط في ذكائهم، وهم عادة معرضون لاضطرابات في النوم ولمشاكل في النظر. لكن وإن زال المرض احيانا بعد بضعة اشهر من معاناة جحيمية فانه يظل يراوح لسنوات او ينحسر ليعود مجددا.

يقول الدكتور ولتر غون محقق المتلازمة الاول في مراكز ضبط المرض: "ليس واضحاً اذا كان ذلك مرضا واحدا ام امراضا عدة او اذا كان سببا واحداً أو اكثر." ولكن التشخيص لا يعدو كونه وسيلة لاستبعاد الامراض الاخرى، بما فيها الأيدز والسرطان والتصلّب المتعدد. وتتم المعالجة من طريق التجربة والخطأ.

قد لا تكون متلازمة العياء المزمن مرضا جديدا، الا ان مركّب الاعراض المحبط ظهر في فترات متقطعة، وفي تجمعات محلية، خلال ما يزيد على القرن. ولكن، الى الآن، لا تزال الافادات عنه نادرة.

البداية في منتجع. في امريكا، بدأت دورة القلق الحالية في قرية إنكلين بنيفادا وهي منتجع على بحيرة تاهوي. في خريف ١٩٨٤ قصد الطبيبين بول تشيني ودانيال بيترسن عدد من المعلمين في المدارس الثانوية وهم يعانون ما بدا انه داء انفلونزا متشبث بعناد ولا يزول. ولم يمض شهران حتى كان قرابة ٢٠٠ من سكان المحلة يعانون الاعراض ذاتها من دون ان يظهر اي تحسن لدى اي منهم. وكانت اجساد معظم المصابين تنتج أجساما مضادّة لمرض "إيبستين – بار"[٤] اي فيروس الحلأ الذي يسبب داء

(١) Myalgic Encephalomye Litis
(٢) Low Natural Killer Syndrome
(٣) Chronic Fatigue Syndrome
(٤) Epstein - Barr

"مونونيوكليوسيس"[٥]، اي كثرة وحيدات النواة، وهو داء معد. ولكن هذا المرض نادر لدى البالغين ولم تسجل اصابات بينهم. لذلك أبلغ تشيني الى مراكز ضبط المرض تفشي هذا المرض الغامض.

في سبتمبر (ايلول) ١٩٨٥، وإثر مساع متكررة، أرسلت الوكالة اثنين من المحققين اللذين استنتجا في تقرير لهما ان إيبستين – بار لم يكن المشكلة، في مطلق الحال. فهذا الفيروس يصيب كل شخص تقريبا في سن البلوغ، والاصحاء تظهر لديهم احيانا اعداد من الاجسام المضادة المرتفعة التي كان تشيني وبيترسن يسجلانها. الى ذلك لم يكن إيبستين – بار المرض الوحيد الذي كان اولئك المصابون يكافحونه ظاهريا. فقد اظهرت فحوص الدم أعدادا مرتفعة لاجسام مضادة لمرض الحلأ البسيط والفيروسات المضخِّمة للخلايا أيضا.

واقترح المحققان على الاطباء التركيز على معالجة المرضى الذين يشكون من "حالات في الامكان تحديدها على وجه اكمل، ومعالجتها بالتالي."

ولا يزال الدكتور ديفيد بك يتذكر ما قرأه في العام ١٩٨٦ عن وباء بحيرة تاهوي. فهو كان في مكتبه في لندوتفيل بنيويورك البلدة – المزرعة الواقعة جنوب بحيرة أونتاريو، منهمكا في تقصي أغرب مرض عرفه في حياته: حالة شبيهة بانفلونزا حادة مستمرة لا سبب ظاهر لها. واستخلص مما قرأه ان البلدة، وهي منتجع في نيفادا، اصيبت بما يسمى "يوبّي فلو"[٦] وهو نوع من المراق او وسواس المرض او توهم وجوده، يصيب الشبان الميسورين من سكان المدن، وان اثنين من الاطباء المحليين يعزوان السبب الى فيروس إيبستين – بار. ويقول الدكتور ديفيد: "عرفت ان ما كنا عاكفين على دراسته لا صلة له بيوبي فلو."

في الواقع كان معظم المرضى من الاولاد وليس من البالغين، والفحوص التي اجريت على ربع عددهم كانت سلبية لجهة وجود فيروس إيبستين – بار.

حساسية ام جرثومة. بدأت مشاكل بَل في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٨٥، حين توجهت سكرتيرته جين بولارد وزوجها الى المستشفى لاجراء جراحة الزائدة الدودية لابنتهما البالغة من العمر ١٣ عاماً. فاقامت بناتهما الثلاث الاصغر سناً مع عائلة صديقيهما ديفيد ودبي دونكنسن التي ضمت ثمانية اولاد ايضاً. وكان ثلاثة من ،هؤلاء مرضوا في تلك السنة. وبعد اسبوعين على تاريخ الجراحة مرضت بنات بولارد الثلاث ودبي دونكنسن وخمسة من اولادها الصبيان. وشكا جميع هؤلاء من آلام في الحنجرة واورام في العقد اللمفاوية واوجاع في المعدة وتقيؤ وتعب منهك. فقدّر بل انها إنفلونزا سرعان ما تزول. لكن، بدلا من ذلك، اشتدت عليهم وطأة المرض. وتتذكر دبي دونكنسن بعض ما حدث: "كان

---

(٥) Mononucleosis

(٦) Yuppie Flu

اولادي يمشون رافعين سواعدهم لشدة الالم في العقد اللمفاوية لديهم." أما بنات بولارد فكدن لا يقوين على المشي طوال ثلاثة أشهر. وفي الصيف التالي كان بَل يعالج قرابة ٣٠ حالة مماثلة شملت اولاداً وبالغين على السواء.

وبعد محاولته، عبثا، حمل دائرة الصحة في الولاية على الاهتمام بالأمر، بدأ بَل يتفحص مرضاه بحثاً عن عوامل مشتركة في ما بينهم، فتبين له ان الاولاد المصابين كانوا معرضين، على الارجح، لحساسيات ما كما كانوا يشربون حليبا غير معقم. ولسوء الحظ لم تتطابق الاعراض وأياً من الحساسيات العامة او العدوى الجرثومية.

وفي ربيع عام ١٩٨٧ كان عدد الاصابات لا يزال مرتفعاً على لائحة الدكتور بَل. وحاول إحالة المرضى على اختصاصيين لكن هؤلاء لم يجدوا فيهم علة. واتصل بمراكز ضبط المرض فجاءه رد من مسؤولين هناك انهم لا يسعهم التدخل في الامر ما لم تطلب منهم ذلك دائرة الصحة في الولاية. ثم أتته، مصادفة، مريضة تعاني حالة كلاسيكية تسمى "متلازمة مرض لندونفيل"[٧] ولكنها قدمت من كاليفورنيا وعرفت ان مرضها هو متلازمة إيبستين – بار مزمنة. فادرك بَل للحال ان الاطباء في المنتجع عند بحيرة تاهوي الذين قرأ عنهم، كانوا منهمكين في معالجة المرض ذاته.

وكان ابلغ في الواقع عن وجود مثل هذا المرض في انحاء عدة من الولايات المتحدة. لكن فئة قليلة من الباحثين الطبيين اهتمت به. وكان الدكتور انطوني كوماروف رئيس دائرة الطب العام في بريغهام ومستشفى النساء في بوسطن، أجرى دراسة مستقلة عن المرض الذي تفشى في المنتجع قرب بحيرة تاهوي فبان له دليل قوي على وجود مرض عضوي. في تلك الفترة انشغل الدكتور سيمور غروفرمن أحد المتخصصين بوباء السرطان في كلية الطب بجامعة بتسبرغ، في دراسة عن تفشي مرض غامض بين اعضاء الفرقة الموسيقية لكارولينا.

وفي الخريف التقى بَل وتشيني في مؤتمر وطني خصص للبحث في هذا المرض. وراحا يتبادلان المعلومات حوله. كان معظم الباحثين ما زالوا يسمّون المرض متلازمة فيروس إيبستين – بار المزمنة. لكن كثيرين كانوا أولوا اهتمامهم فيروسات أخرى تشمل فيروس حلأ تمّ اكتشافه حديثا يدعى «HHV - 6» وفيروسات معوية متعددة. والمشكلة انه لم يكن اي من تلك الفيروسات ناشطا لدى كل مريض، كما لم يظهر اي منها حصراً لدى الذين يعانون هذا المرض. وعام ١٩٨٨ اعادت مراكز ضبط المرض تسمية الوباء المستجد "متلازمة عياء مزمن"[٨]. فبات تجاهل وجوده متعذرا.

مسألة مناعة؟ ظهرت فرضّية تقول بان متلازمة العياء المزمن هي في الأساس

---

(٧) Lyndonville Syndrome

(٨) Chronic Fatigue Syndrome

اضطراب في جهاز المناعة. ويطرح باحثون نظرية مؤداها ان المرض يبدأ عندما يتلف "عامل مجهول" – قد يكون عنصرا كيميائيا غير معروف أو عدوى مجردة – جهاز المناعة في الجسم، فيتيح التلف للفيروسات، المكبوتة عادة، الانتشار في الجسم من دون ضابط.

وثمة اكتشافات أخرى عززت الصورة التي تبين الفوضى العارمة التي تصيب جهاز المناعة بسبب هذا المرض. واظهر البحث الذي اجرته الدكتورة نانسي كليماس من كلية الطب في جامعة ميامي، ان الخلايا الطبيعية القاتلة التي تهاجم عادة اي شيء دخيل على الجسم هي بطيئة، الى حد مفرط، لدى المرضى بمتلازمة العياء المزمن. واكتشفت ايضاً ان بعض انواع خلايا T – القاتلة والمعدّة لمهاجمة غزاة معينين – هي اقل نشاطا حيناً او مفرطة في النشاط احياناً.

الحلقة المفقودة. هذه الاكتشافات، وإن دلّت على تقدم، الا انها تعمّق الغموض الاساسي الذي يدور حول السؤال الآتي: ما هو العامل الذي يعطل جهاز المناعة ويوقعه في فوضى وينزل باجسام المرضى أشدّ الأذى؟

ولقد أثار وباء الأيدز في اوائل الثمانينات السؤال ذاته وتبين ان المجرم هو ريتروفيروس[9] HIV السيىء السمعة. والريتروفيروسات هي، في الاساس، انواع ذاتية الاكتفاء من RNA تستطيع تحويل ذاتها DNA والارتباط، على نحو دائم، مع كروموزومات بعض الخلايا (تدعى ريتروفيروسات لان RNA مصنوع عادة من DNA). فهذه الجراثيم شائعة بين الحيوانات ولكن اربعاً منها اكتشفت في البشر وهي: HIV, HIV-1, HTLY-1, HTLY-2 وكل هذه الفيروسات تهاجم خلايا جهاز المناعة التي تسمى "ت – ليمفوسيتس"[10] اي خلايا "ت" اللمفاوية، وهي مترابطة مع أمراض مزمنة تشمل ابيضاض الدم (اللوكيميا) وامراضا عدة في الجهاز العصبي اضافة الى التصلب المتعدد.

في شهر سبتمبر (ايلول) القائت اعلن فريق من الباحثين، بينهم الدكتور بل والدكتور تشيني والدكتورة إيلين ديفريتاس من معهد ويستار بفيلادلفيا، اكتشاف صلة وراثية محتملة بين فيروس خليّة لوكيميا – ت البشري (HTLV-2) ومتلازمة العياء المزمن. ولكن اذا كان السبب هو ريتروفيروس فهل هو فيروس حيواني انتقل من طريق الحليب او اللحم (كما أشار اليه تفحص بَل المحلي) ام هو ريتروفيروس بشري انتشر من طريق تلامس عَرَضيّ؟

وثمة باحثون آخرون عاكفون على استكشاف سلسلة كاملة من العوامل الفاعلة، في محاولة لتحديد اسباب المرض. وقد أفيد أن الدكتور جون مارتن وهو باحث مرموق في الأسرة الطبية وباثولوجي جزيئي اختصاصي في علم

(٩) Retrovirus

(١٠) T Lymphocyte

الأمراض واسبابها واعراضها، من جامعة جنوب كاليفورنيا، توصل الى تحديد ما يعتقد انه سبب متلازمة العياء المزمن. وهو يؤكد ان اكتشافاته، حين تنشر، ستدحض بعض النظريات المطروحة.

وسط كل هذه الغوامض والالتباسات يتضح امر واحد وهو التباطؤ الشديد لوسائل الاعلام والأسرة الطبية في إيلاء المتلازمة المذكورة الاهتمام الجدي. فكثير من الابحاث في الولايات المتحدة يموّل حاليا وينشر بواسطة مجموعات معنية بالمرضى او اطباء افراديين.

كانت نانسي كايزر من سعداء الحظ اذ التقت الدكتور بيترسن الذي كان ملما بمشكلتها بعد الاختبار الذي شهده في قريته إنكلين بالقرب من بحيرة تاهوي. وهو اراد مساعدتها. فقد تناولت، باشرافه، دواء اختباريا شعرت معه بالارتياح. وهي الآن تعيش حياة طبيعية لكن المحنة القاسية التي مرت بها ما زالت تثير حنقها.

جوفري كاولي ■

صبي كبير

بعد تخرجي في الجامعة حيث كنت طالباً داخلياً، عدت الى منزل والديّ. وذات صباح تأخرت في النهوض والتوجه الى عملي، فطلبت من أمي أن تحضر لي شطيرة. وبعد دقائق التقطت كيس الغداء واندفعت خارجاً. وما ان اقفلت بوابة الحديقة حتى سمعت رنين قطع نقد في الكيس. فالتفت، فرأيت أمي واقفة في الباب كما كانت تفعل في صباي لدى خروجي الى المدرسة. فسألتها: "لماذا وضعت هذه النقود في الكيس؟"

أجابت: "لكي تشتري بها حلوى."

س.غ.

حقائب النساء...

عدت الى البيت في حافلة، وما ان ابتعدت الحافلة عن المحطة حتى تذكرت أني نسيت حقيبتي على أحد مقاعدها. فاتصلت بالمحطة بعد حين، فقيل لي ان الحقيبة موجودة لديها.

وحين قصدت المحطة لاسترداد الحقيبة، تحلّق حولي عدد من السائقين. وناولني أحدهم كتاباً وصفحتين مطبوعتين وعلبة فيها محتويات حقيبتي. وقال لي: "نحن مكلفون اعداد قوائم بمحتويات الحافظات والحقائب المفقودة. واعتقد انك ستجدين هنا كل ما يخصّك."

واذ بدأتُ اعادة بعض المحتويات الى الحقيبة، تقدم مني السائق بلطف قائلا: "أرجو ألا يكون لديك مانع من أن نراقب كيف ترتبين كل هذه الاشياء داخل حقيبتك. فقد حاولنا ذلك كلنا، فلم نفلح."

ل.س.هـ.

العميل الصامت

زود الالمان صدام حسين كل ما احتاج اليه لانتاج اسلحة الدمار الشامل!

زار هانس - ديتريش غينشر، وزير الخارجية الالماني، اسرائيل اثناء حرب الخليج في يناير الماضي (كانون الثاني) فاطلعه مسؤولون هناك على معلومات مؤداها ان اجزاء المانية الصنع لصواريخ "سكود" سقطت على تل ابيب وحيفا، وقيل له إن هذه الصواريخ العراقية ما كانت لتصل ربما الى اسرائيل من غير مساعدة الخبرة الالمانية. فاعتذر غينشر الى المسؤولين الاسرائيليين عن هذا الامر ووعد باتخاذ اجراءات مشددة من شأنها الحؤول دون تكراره في المستقبل.

وبعد اسبوع، خاطب غينشر البرلمان الالماني. ومما قال: "ان مسؤوليات تاريخية واخلاقية تربط المانيا بالشعب اليهودي. في هذه اللحظات التي يتعرض وجود اسرائيل نفسه للتهديد، نقف الى جانبها من دون تحفظ. لقد رفضت المانيا تصدير السلاح الى العراق طوال ٣٠ سنة، لكن الالمان الذين خرقوا قوانيننا وضلّلوا سلطاتنا شاركوا في انتاج صدام حسين للغازات السامة، وعلى المجتمع ان ينبذهم."

يمكن اعتبار خطاب غينشر مثالا للنفاق. فقد اضطلع رجال اعمال وخبراء المان، لاكثر من عقد من الزمان، بدور أساسي في برنامج العراق لانتاج اسلحة

تدمير شامل والذي بلغت تكاليفه ٥٠ مليار دولار، فيما هم يعلنون انهم لم يعرفوا ان العراق كان يستخدم صادراتهم لاغراض عسكرية.

وتشير افضل التقديرات الامريكية الى ان المانيا زودوا العراق معظم قدراته النووية والبيولوجية والكيميائية. وأكثر من ذلك، ان الحكومة الالمانية كانت مطلعة على تفاصيل هذه الامور.

البداية. بدأ التورط الالماني في برنامج الاسلحة الكيميائية العراقي عام ١٩٧٧، وبعد اربع سنوات بوشر بناء مصنع للمبيدات الحشرية في سامرّاء وهي بلدة تقع على مسافة ٦٠ كيلومتراً الى الشمال الغربي من بغداد. كان واضحاً ان هذا المصنع الخاضع لحراسة مشددة لم يكن مشروعاً عادياً. وكما قال فني الماني لاحقاً: "انك لا تحتاج الى حماية امنية مشددة كهذه اذا كنت تنتج رذاذا مضاداً للذباب، أليس كذلك؟"

وتحدثت تقارير صحافية المانية أيضاً عن غرف غاز لـ"حيوانات ضخمة" بنتها للمشروع شركة المانية. وجاءت التكنولوجيا الاساسية لمصنع سامراء من اربع شركات المانية هي: "كارل كولب" وفروعها، "بيلوت بلانت"، "ووتر انجينيرينغ تريدنغ" و"بروساغ".

ولم تكن هذه معلومات سرية، فقد نشرت صحيفة "نيويورك تايمز" تقارير مطولة عن مصانع غازات سامة المانية في العراق في ١٩٨٤ وهو العام الذي اصبح فيه مصنع سامرّاء جاهزا للانتاج. كذلك فعلت وسائل الاعلام الالمانية غداة استخدام العراق أسلحة كيميائية على نطاق واسع ضد ايران ذلك العام. لكن مارتن بانغمان، وزير الاقتصاد الالماني آنذاك، لم يحرك ساكناً معتبراً أن هذه الضجة الاعلامية لا تعدو كونها حسداً مهنياً امريكياً. وكان بانغمان عضواً في الحزب الديموقراطي الحر الذي يرئسه غينشر، مثله مثل سلفه في الوزارة ووزيرين بعده.

وفي وقت سابق من العام الفائت، وبعد سيل من الانتقادات الدولية والمحلية، كلفت الحكومة الالمانية البروفوسور ورنر ريتشارز من المعهد الاتحادي السويسري للتكنولوجيا دراسة مسألة مصنع سامرّاء وافادتها اذا كان بني خصيصاً من اجل انتاج اسلحة كيميائية. واكد ريتشارز، بما لا يقبل الشك، أن المصنع أنشىء لهذا الغرض. واضاف أن العراق بات قادراً على انتاج غاز "التابون" السام والحامض البروسي[1] الذي يستخدم لاتلاف المرشحات (مصافي التنقية) في الاقنعة الواقية من الغازات.

وجاء في تقرير لمجلة "شتيرن" الالمانية ان شركة "تايسن راينشتال تكنيك" الالمانية أشرفت هي أيضاً على بناء مصنع رئيسي آخر للاسلحة الكيميائية في منطقة سلمان بك جنوب بغداد، أطلق عليه اسم "ديالا". وهو كان

(١) محلول سيانيد الهيدروجين.

ينتج سلسلة من الاسلحة البيولوجية المسببة للكوليرا والتيفوئيد والجمرة، الى الاسلحة الكيميائية، في مختبرات بنتها الشركة الالمانية تحت الارض. (انكرت الشركة معرفتها بما كان ينتجه المصنع.)

كذلك كانت المانيا طليعة الدول التي ساعدت العراق في تطوير صواريخ اكبر وافضل. وفي هذا المجال، كان مشروع "سعد – ١٦" الضخم في الشمال الاكثر شهرة. وتضمن هذا المشروع الذي بلغت تكاليفه ربع مليار دولار، منشآت متطورة استخدمت لاجراء أبحاث على الصواريخ وتطويرها. وكان المتعهد الرئيسي للمباني شركة "غيلد مايستر بروجيكتا" الالمانية، اما المنفذ الاساسي للاشغال فكان شركة "مسر شميت – بولكو – بلوم – ترانستكينكا". وتبين ان هذه جهزت المختبرات التي استخدمت في مشروع تطوير الصواريخ.

وجلي أن شكوكاً ساورت مديري شركة مسر شميت في شأن المشروع فأخفوا أمره على واحد، على الاقل، من اعضاء مجلس الادارة، الى أن كشفت الصحافة القصة. وعلى رغم كل الضجة التي احاطت بها، فقد لاحظ وزير الاقتصاد، في تقرير نشر في اغسطس (آب) ١٩٩٠، أن لا دلائل كافية على الارجح لادانة الشركة.

اضافة الى نظام "رولاند" المضاد للطائرات الذي استخدم لاحقاً في حرب الخليج. كما شحنت الشركة نفسها طوافات مدنية من المانيا الى اسبانيا والنمسا حيث جرى تأهيلها لاستخدامات عسكرية قبل أن ترسل الى العراق. لكن مسر شميت لا تزال تنكر انها كانت على علم بأن الطوافات ستطور للاستخدام العسكري مع انها تملك ١١٪ من اسهم الشركة الاسبانية التي نفذت جزءاً من المهمة.

وكان دور الشركات الالمانية حيوياً أيضاً في بناء مجمع عراقي لصنع الاسلحة في منطقة تاجي. ومن المشاريع الكثيرة التي نفذتها هذه الشركات مصنع عملاق للفولاذ بنته شركة "كلوكنر" لمصلحة مؤسسة نصر الحكومية للصناعات الميكانيكية. وترتبط هذه المؤسسة بوزارة الدفاع العراقية، وقد استخدم المصنع لانتاج المدافع.

وتطلع العراقيون عام ١٩٨٨ الى شركة المانية اخرى تدعى "فيرّوستال"، لبناء "مصهر عالمي" في تاجي، اكتشفت الحكومة الالمانية لاحقاً انه ينتج سباطانات (مواسير) لقطع المدفعية.

ان هذه الامثلة ليست سوى غيض من فيض، فقد ساهمت مئة شركة المانية في مشروع تاجي وحده.

طوافات بعد الصواريخ. أواسط الثمانينات، ساعدت مسر شميت العراق على انتاج صاروخ مضاد للدبابات،

البرنامج النووي. ولا ننسى مسألة البرنامج النووي العراقي، اذ اصبحت المانيا بعد العام ١٩٨١ المزود الرئيسي

لعناصر هذا البرنامج. فقد امّنت شركة "إتش أند اتش متالفورم" الآلات التي استخدمت لصنع المكونات النابذة[٢] الضرورية لانتاج اليورانيوم المخصّب الذي يستعمل في الاسلحة النووية. كما زودت شركة اخرى هي "اكسبورت يونيون" نوعاً خاصاً من الفولاذ المقوّى يستخدم في صنع شفرات المراوح.

وكانت الحكومة الالمانية تعرف، من دون شك، بامر هذه النشاطات. فقد اطلعت واشنطن سلطات بون على المعلومات المتوافرة لديها عن مصنع سامرّاء على امل ان توقف هذه السلطات نقل التكنولوجيا الى العراق، كما اعلمت اسرائيل الالمان بأمر هذه النشاطات. كذلك اعلم مسؤولون كبار في الحكومة الالمانية بتفاصيل عدد من الحالات حتى قبل ان تبدأ التحقيقات القضائية في شأنها. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠، ابلغت وكالة الاستخبارات الالمانية الى وزارة الخارجية ان صناعيين المانا حصلوا على ضمان رسمي ضد الاخطار بقيمة ٨٥٠ الف دولار من اجل معدات صُدّرت الى العراق لاستخدامها في تطوير الصواريخ. وهكذا ثبت ان وزارة السيد غينشر ابلغت رسميا مسألة التورط الالماني قبل سنة من ذهابه الى تل ابيب للاعتذار عن هجمات صواريخ سكود عليها.

الطمع ما نفع. في كل مرة حاول ديبلوماسيون امريكيون لفت نظر المسؤولين الالمان الى موضوع نقل تكنولوجيا خطرة الى العراق، كان رد فعل بون يوحي - الا في حالات نادرة - أن الامريكيين يحاولون منع المانيا من التعاطي التجاري على المستوى الدولي.

والواقع ان القوانين والعقوبات الالمانية المتعلقة بتصدير مثل هذه المواد كانت ضعيفة على نحو مذهل، ناهيك بأن الجسم القضائي الالماني غير ميال الى فرض تطبيقها. فعندما دين رجل اعمال من فريبورغ بتهمة تصدير تكنولوجيا نووية الى باكستان عام ١٩٨٥، اكتفى القضاة بحكم بسجنه ثمانية اشهر مع وقف التنفيذ. وحجتهم في ذلك أن السلطات المسؤولة عن الرقابة الحكومية هي التي سهّلت له ارتكاب جريمته. وهم محقّون في هذا المجال، فالحكومة الالمانية لا تجري وراء البضائع بعد شحنها بغية التأكد من ان التكنولوجيا المعقدة او الاسلحة قد ذهبت الى مقصدها وانها تستخدم للاغراض المتفق عليها، وذلك بخلاف غالبية الحكومات الغربية. وفي غياب مثل هذه الاجراءات ليس هناك قانون يحول دون وقوع تكنولوجيا التسلّح في ايدي امثال صدام حسين.

لماذا تورط عدد كبير من رجال الاعمال والعلماء والزعماء السياسيين الالمان، وباصرار، في بناء ترسانة صدام حسين من اسلحة التدمير الشامل؟

الجواب هو الطمع! ومثال التعامل مع

(٢) Centrifuge Components

العراق يعكس جانباً من سلوك اوسع واشمل. فعلى امتداد العقدين الاخيرين، كانت المانيا المصدر الاكبر لتحويل التكنولوجيا الحساسة بطريقة غير شرعية، ليس الى الشرق الاوسط فحسب، وانما الى الاتحاد السوفييتي وحلفائه كذلك.

ولقد دأبت المانيا على خرق قواعد الرقابة على نقل التكنولوجيا المعقدة وعملت باستمرار على اضعاف هذه القواعد، على رغم مشاركتها ظاهراً في الجهود التي تقودها الولايات المتحدة في هذا الشأن.

وكان هانس ديتريش غينشر في مقدم المسؤولين الالمان الذين لم يلتفتوا الى خطورة هذه المسألة، ذلك لانه آمن، كما فعل سلفه فيلّي برانت، بان قدر المانيا الفريد قد وضعها خارج قواعد الصراع بين الشرق والغرب، وان عليها ان تكون جسراً بين الكتلتين.

الا ان الامر المشجع هو التحول المذهل الذي حدث داخل الرأي العام الالماني، اثر استخدام العراق صواريخ سكود في حرب الخليج، وهو الذي تظاهر اول الامر بمئات الالاف ضد هذه الحرب.

هل سيقود هذا التغيير في المشاعر الى اصلاح الممارسات التجارية الالمانية؟

الزمن وحده كفيل بالاجابة.

مايكل ليدين ■



زوجان في متاهة

أثناء استكشاف متاهة من الممرات المحيرة في إحدى الحدائق العامة التقينا زوجين مسنَّين ضلا طريقهما وغلب عليهما الاحباط والارهاق. وكان الرجل يتقدم زوجته ويهم بسلوك ممر خطأ آخر، فصاحت به هذه: "اني خارجة من هذا المكان!"

فرد الزوج: "حسناً يا عزيزتي، ساتبعك."

م.ف.

صبّارة لقيطة

أُهديت الى ابنتي المولعة بالنباتات شجيرة صبّار رائعة، لكنها لم تجد لها مكاناً مناسباً في شقتها الصغيرة. ولاحظت عدداً من نبتات الصبار على شرفة منزل أحد الجيران، فعنَّت لها فكرة. قامت في منتصف الليل ولفَّت الصبّارة باوراق صحف ووضعتها كأنها طفل لقيط - في مدخل ذلك المنزل، بعدما ألصقت عليها بطاقة جاء فيها: "أرجوكم، اعتنوا بي!"

وفي الصباح شاهدت الصبارة تتصدر رفيقاتها في مكان بارز على شرفة الجيران.

ج.ف.

في الحـرب ضد الأيـدز

كل شريك خفير!

برنامج "اعلام الشريك" يهدد بكسر حلقة اساسية في انتشار الايدز

التقيا للمرة الاولى في فبراير (شباط) ١٩٨٣ في افتتاح صالة عرض فنية في بروكسل. جان - كلود س.، عازب وسيم في الثامنة والثلاثين من عمره، وآنيت ن.، كاتبة في الثلاثين صغيرة الجسم، انيقة ومطلقة. حصل اعجاب متبادل من النظرة الاولى، تبعه غزل عاصف من جان - كلود، وبعد اربعة اسابيع من اللقاءات قررا اقامة علاقات دائمة.

لم يكن جان - كلود ذلك العشير المخلص. فقد كان عمله مهندسا مدنيا في مصلحة دولية يبقيه بعيداً عن المنزل لعدة اسابيع، كل مرة، يمضيها عادة في افريقيا. وكان خلال هذه الاسفار يقيم علاقات عابرة مع نساء كيفما اتفق له ذلك. حتى في بروكسل، كان المهندس الدمث يخون صديقته تكراراً. اخيراً، في ابريل (نيسان) ١٩٨٥، طلبت منه آنيت ان يترك المنزل.

وبعد شهرين، زارت آنيت عيادة طبيب العائلة وهي تشكو نقصاً لا تفسير له في وزنها وانتفاخا في الغدد والتهاباً مستعصياً في جهازها التنفسي العلوي. وقد أظهر تحليل الدم انها مصابة بفيروس قصور المناعة (HIV)[1]، وأشارت الاعراض التي تعانيها الى ان الفيروس بدأ فعلا يغزو الكريات البيض ويضعف

(١) Human Immuno — deficiency virus

نظام الدفاع المناعي في جسدها، فاحيلت على الدكتور ناثان كلومك رئيس قسم الامراض المعدية في مستشفى سان بيير في بروكسل.

وابلغ الدكتور كلومك، وهو رجل نشيط في منتصف الثلاثينات من عمره، الى أنيت بلطف انها مصابة بالايدز، مرض قصور المناعة المكتسبة. فصعقت وصرخت: "ولكن ذلك مستحيل. ان جان - كلود هو الرجل الوحيد في حياتي منذ تطلقت قبل خمس سنوات، وأنا أكيدة أنه لم يكن لوطياً." الاكثر من ذلك، انها لم تحتج في حياتها الى نقل دم ولم يكن أي منهما يتعاطى المخدرات.

الحلقة البلجيكية. كان الناس في العام ١٩٨٥ لا يزالون يؤمنون بان الايدز مرض محصور في مجموعات معينة مثل اللوطيين ومتعاطي المخدرات بواسطة الحقن الوريدية. لكن الدكتور كلومك اوضح لآنيت: "ان ذلك ليس صحيحاً يا سيدتي." وهو كان تعامل مع مرضى بالايدز في بلجيكا وافريقيا حيث كان المرض متفشيا على نحو غير مكبوح. وقد اصبحت بلجيكا، بحكم علاقاتها مع مستعمراتها السابقة - زائير ورواندا وبوروندي - مركزاً رئيسياً لانتقال عدوى الايدز بين الذين يقيمون علاقات جنسية طبيعية. والواقع ان اعدادا كبيرة من المرضى الذين عولجوا في وحدة الايدز في مستشفى سان بيير التقطوا العدوى عبر اتصال جنسي طبيعي. ولاحظت منظمة الصحة العالمية ومراكز مراقبة الامراض في أمريكا تزايداً في أعداد المصابين بفيروس قصور المناعة، في دول غربية اخرى، بين الذين يقيمون علاقات جنسية طبيعية. مذذاك تصاعد هذا المنحى بسرعة كبيرة. وتفيد مصادر منظمة الصحة العالمية ان عدد الذين ثبتت اصابتهم بالفيروس حول العالم يراوح بين ٨ الى ١٠ ملايين شخص، التقط ٧٠ في المئة منهم العدوى عبر علاقات جنسية طبيعية. وتتوقع المنظمة انه بحلول السنة ٢٠٠٠ ستكون ٨٠ في المئة من حالات الايدز قد انتقلت، عبر هذه الطريقة، من مرضى الى اصحاء. ويحذر الدكتور كلومك من ان "فيروس قصور المناعة متجذر في المجموعات التي تمارس علاقات طبيعية، ومن أن الذين يتورطون في علاقات جنسية متعددة الطرف، من دون اعتماد وسائل الوقاية، هم عرضة اكثر من سواهم للاصابة به."

القاتل بالمرصاد. في البداية، اعتبر مسؤولون في مستشفى سان بيير قضية آنيت حادثة معزولة. ولكن الاشارة الاولى الى انهم قد يكونون في مواجهة حال تفش لمرض الايدز بين مجموعة تقيم علاقات جنسية طبيعية، برزت بعد اسبوعين عندما اثبتت التحاليل ان ثمة امرأتين اخريين مصابتان بفيروس قصور المناعة، الاولى طالبة جامعية في الثانية والعشرين اقتصرت حياتها الجنسية على

تجربتين: واحدة كمراهقة عندما عاشت قصة حب وجيزة، وأخرى مع مهندس "وسيم ومرح وإن اكبر سناً" امضت معه ليلة واحدة بعد أن التقته في احدى المحاضرات، قبل خمسة أشهر، وكان اسمه "جان – كلود س." اما المريضة الثانية فكانت محامية مطلقة في السادسة والثلاثين من العمر اخبرت الدكتور كلومك: "هناك مصدر وحيد ممكن لاصابتي." فقبل ثمانية أشهر تقريباً التقت جان – كلود س.، وهذه كانت العلاقة الوحيدة لها خلال أكثر من عامين. واستطاع الدكتور كلومك، من خلال بحث الموضوع مع زملاء له، تحديد هوية ضحية رابعة هي سكرتيرة في الثامنة والعشرين من عمرها صرحت ان جان – كلود هو آخر من عاشرت.

ادرك الدكتور كلومك في ذلك الوقت ان هؤلاء المصابين يواجهون احتمال خطر قاتل، وأوضح: "ان فيروس قصور المناعة، بخلاف العوامل المعدية الاخرى، يتطلب بين سبع سنوات او ثمان قبل ان يعلن وجوده." وهذا يعني ان شخصا نشيطاً جنسياً مثل جان – كلود يملك الوقت الكافي لنقل العدوى الى نساء كثيرات قبل ان تظهر عليه هو اعراض الايدز، وتصير النساء اللواتي التقطن الفيروس، بدورهن، ناقلات لعدواهن الساكنة الى الآخرين.

اعلام الشريك. هل ثمة وسيلة لقطع حلقة الانتقال هذه؟

كان كلومك يعرف ان لدى كل من منظمة الصحة العالمية ومراكز مراقبة الامراض في أمريكا ما يدعى "برامج اعلام الشريك" لوقف انتشار الامراض التي تنتقل جنسيا مثل السيلان وداء الزهري. وتستهدف هذه البرامج اقناع المرضى بتحديد هوية شركائهم لتحذيرهم من اصابات محتملة، ونصحهم بالخضوع لتحاليل واستشارات ومعالجة.

لماذا اذاً لا يطبق البرنامج نفسه في حالة فيروس قصور المناعة؟

السبب هو أن اعراض العدوى في الامراض الاخرى تُبان خلال ايام ما يجعل اقتفاء اثر الشركاء اسهل كثيراً. اما في حالة فيروس قصور المناعة فان انتشار الفيروس يستلزم وقتا طويلا. وقد دلت الابحاث التي أجريت في أمريكا على انه لم يكن غريبا، في مطلع الثمانينات، على لوطيين يحملون الفيروس، من دون اعراضه، ان يقيموا اتصالات بعشرة شركاء او اكثر خلال اسبوع، فينتهي ٢٠ الى ٥٠ في المئة من هؤلاء حملة للفيروس. ويتذكر الدكتور كلومك: "الانطباع الاول الذي تكوّن لدي هو انه لن يتوافر لنا المال او العنصر البشري الكافي لايجاد وإن عدد يسير من شريكات جان – كلود واخضاعهن للفحص."

وعلى رغم ذلك، فكر كلومك في ان مبدأ إخبار الشريك قد يساعد في كسر حلقة الانتقال هذه. وتطورت اعراض الايدز في المرضى الاربعة بسرعة غير عادية، ما

يشير الى ان جان – كلود، "المريض المؤشر"[٢]، هو اما ناقل فاعل للعدوى او انه يمتلك سلالة خبيثة من فيروس قصور المناعة. وفي كلتا الحالين، يقصر المدى الزمني بين اقامة الاتصال الجنسي وظهور اعراض الايدز. وهكذا ينقص عدد الاشخاص الذين يمكن ان تتوافر لهم فرصة نقل العدوى الى شركاء جدد.

اتصل الدكتور كلومك من غير ان يكشف مصادره، بجان – كلود في يوليو (تموز) ١٩٨٥ وابلغ اليه ان لدى عيادته اسباباً تدعو الى الاعتقاد انه اقام علاقة جنسية مع امرأة مصابة، مخفياً امكان وجود فيروس قصور المناعة لديه، وتقصَّد قول ذلك تحاشياً لاصابة جان – كلود بالذعر. واقترح الدكتور كلومك ان يلتقي جان – كلود خارج العيادة لمتابعة البحث في الامر.

التقى الرجلان في مقهى قريب، فاصغى جان – كلود بانتباه الى شرح الدكتور كلومك ووافق على الحضور الى العيادة لاجراء تحاليل دم. وعندما اظهرت النتائج انه يحمل فيروس قصور المناعة، هزّ جان – كلود رأسه وكأنه يتوقع النبأ. واوضح انه امضى اربعة اسابيع خلال شهر يوليو (تموز) ١٩٨٠ في افريقيا الوسطى حيث التقى بضع نساء غير متزوجات. ويذكر انه، بعد عودته الى بروكسل، عانى "فترة مرض قصيرة رافقتها حمى عاليه وورم في الغدد." لكن حاله تحسنت الى أن شعر منذ ايام قليلة بتوعك بسيط. وقد اكتشف الاطباء الذين عاينوه التهاباً عاماً في الغدد اللمفاوية وتعداداً عالياً جداً للكريات البيض في دمه.

واوضح كلومك لجان – كلود انه اذا زود العيادة اسماء شريكاته، فقد يستطيع العاملون فيها مساعدتهن. وقدّر جان – كلود انه كان يقيم قرابة عشرين علاقة سنوياً موزعة على قارتين، واستطاع ان يتذكر اسماء ١٧ شريكة فقط، جميعهن في بلجيكا.

تسلّم مارتين شوماخر الذي كان تلقى تدريباً على العمل الاجتماعي، عناوين تلك الشريكات وارقام هواتفهن وراح يتصل بهن. وقد شملت اللائحة مصوّرة فوتوغرافية وموظفة في مصرف وبضع مدرسات وممرضتين قانونيتين، وقد اعطت معظمهن اسم جان – كلود على انه المصدر الممكن الوحيد للاصابة على رغم عدم ذكر اسم المخبر او تاريخ اللقاء.

وحُددت هوية ١٥ شريكة – اضافة الى الاربع اللواتي حددهن جان – كلود أساساً – ارتبطن بالمهندس وتم الاتصال بهن فوافقن جميعهن، ما عدا واحدة، على اجراء تحاليل دم، واثبتت التحاليل ان ١١ منهن يحملن الفيروس، بينهن ستة اقمن علاقات جنسية مع شركاء جدد، بعد اصابتهن. وظهر ان واحداً فقط من هؤلاء الرجال يحمل الفيروس. "كنا محظوظين"، يقول الدكتور كلومك، "ان

(٢) المصاب الذي يشكل الحلقة الاولى في سلسلة انتقال مرض ما Index Patient

هؤلاء النسوة لم يكنّ ممن يكثرن الاتصال الجنسي." ونتيجة لذلك، حُصر الفيروس في مجموعة صغيرة نسبيا.

قضى الايدز، وقد استشرت اعراضه، على آنيت والمحامية خلال ١٨ شهراً، فيما عاشت اربع او خمس نساء لسنوات بعد التقاطهن الفيروس. ومنذ ربيع ١٩٩١، تعيش واحدة فقط من المجموعة الاساسية من دون اي اثر للايدز. اما جان – كلود فقد توفي في يونيو (حزيران) ١٩٨٦ من جراء التهاب في الدماغ مرتبط بالايدز. في هذه الاثناء يتابع الدكتور كلومك ومارتين شوماخر تقفي آثار مجموعات جديدة من المصابين بفيروس قصور المناعة.

اخبار جيدة. هل تستطيع برامج "إخبار الشريك" وضع حد لطوفان الايدز بين اللوطيين والسحاقيات والذين يتعاطون المخدر عبر حقن وريدية؟

في الواقع، اعطى مثل هذا البرنامج نتائج ملحوظة بين الافراد الذين يرفع سلوكهم من درجة تعرضهم للاصابة في كل من النروج واسوج (السويد.)

تعود طريقة الوقاية من الايدز التي اعتمدتها النروج، الى العام ١٩٨٥ عندما انشأ الدكتور جورج بيترسون، وهو طبيب صحة عامة، عيادة لمرضى الايدز في اوسلو. وشاع في اوساط اللوطيين في المدينة ان العيادة تؤمن استشارات وتحاليل مجانية وسرية للتأكد من وجود فيروس قصور المناعة. واظهرت الفحوص ان ١٩٠ من الذين اخضعوا لها بين عامي ١٩٨٦ و١٩٨٩ يحملون الفيروس. وقد ضمت المجموعة، الى لوطيين، افراداً يمارسون الجنس على نحو طبيعي وآخرين يمارسونه مع شركاء من الجنسين، ومتعاطي مخدرات بواسطة الحقن الوريدية وعواهر. ولدى سؤالهم عن شركائهم، رفض ثلاثون منهم، او هم لم يستطيعوا، تحديد هوية شركائهم، ولكن الباقين اعطوا اسماء ٢٢٥ شريكاً، وتولى كثيرون ممن ثبت انهم يحملون الفيروس اعلام شركائهم، وفي الحالات المتبقية، بعث مسؤولون في العيادة برسائل مسجلة تقول: "لقد تم ابلاغ هذه الدائرة انك ارتبطت بعلاقة مع شخص يحمل فيروس قصور المناعة. اننا نوصيك باجراء تحاليل دم واستشارة طبيب."

ومن بين الذين ابلغت اليهم الرسائل، ١٧٢ شخصاً تقدموا لاجراء تحاليل دم وظهر ان ٦٥ منهم يحملون الفيروس. يقول الدكتور جان كريستوفيرسن وهو كبير الاطباء في دائرة الصحة في النروج ومدير العيادة حتى مطلع هذه السنة: "لقد ابلغ الينا نصف الذين ثبت انهم يحملون الفيروس، على الاقل، انهم لم يكونوا يدركون انهم تعرضوا لخطر الفيروس." ويضيف: "لا دليل عملياً على ان البرنامج يمكنه وحده الحد من انتشار الفيروس، ولكن ان هو استطاع منع شخص واحد مصاب من نقل العدوى، فسيكون جديراً بالمحاولة."

وفي اسوج، البلد الوحيد الذي يفرض

فيه القانون اعلام الطرف الآخر بأنه مصاب، استُخدم البرنامج على مدى عقود فكان وسيلة ناجحة لمنع انتشار الامراض المعدية. وبدءاً من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٥، اضيفت الاصابة بفيروس قصور المناعة الى قائمة الامراض التي يشملها القانون.

وجاء المثال الاسوجي الاول على فاعلية برامج تتبع الشركاء قطعاً لدابر العدوى من مدينة سندسفال الصغيرة شمال استوكهولم. يقول الدكتور كريستر فرانزن: "نتوقع فيروس قصور المناعة عادة في المدن الكبيرة حيث يتجمع الافراد الاكثر تعرضاً." ولدهشته، كشف مسح روتيني خلال حملة تبرع بالدم في العام ١٩٨٥ رجلا يحمل فيروس قصور المناعة. وعندما اكدت الفحوص اللاحقة وجود الفيروس، بدأ الدكتور فرانزن عملية التحقيق وتقفي الاثر.

في العام ١٩٧٩، نزل بحار في سفينة تجارية اسوجية الى بورت - او - برنس، عاصمة هاييتي حيث التقى امرأة في احد المقاهي. ولدى عودته الى اسوج، بدل عمله واستقر في سندسفال. منذ ذلك التاريخ اقام علاقات مع سبع نساء اسوجيات، الا ان واحدة من هؤلاء اقامت لاحقاً علاقة مع شريك جديد هو المتبرع بالدم. ولدى متابعته الاثر، تمكن الطبيب من إيجاد البحار الذي ثبت انه ناقل فاعل للعدوى كذلك هو اهتدى الى النسوة السبع، وكانت اصاباتهن انتقلت بدورها الى رجلين وطفلين. وعندما تم الاتصال بافراد هذه المجموعة بدوا خالين من اي اعراض مرضية وغير مدركين اي خطر. لكنهم بحلول الربيع الفائت باتوا، باستثناء رجلين، يعانون الايدز. كما توفيت امرأتان وأحد الاطفال من امراض تسبب فيها قصور المناعة. يقول الدكتور فرانزن: "لا شك في انه لولا إعلام الشركاء، لكان الفيروس اصاب شركاء جدداً وبدأ عدة حلقات انتقال جديدة."

هل كان للاعلام الالزامي للشركاء في اسوج اي تأثير على المعدل الاجمالي لانتشار الايدز هناك؟

يلاحظ الدكتور جوهان جيسيك من دائرة علم الاوبئة الاسوجية ان "الوقت لا يزال مبكراً لاستخلاص أي نتائج." مع ذلك، استطاع الباحثون خلال دراسة اجريت في العام ١٩٨٩ تتبع ١٤٥٦ شريكا انطلاقاً من ٤٦٣ مصاباً أساسياً. ومع تعذر تقصي أثر بعضهم، فقد ثبت ان ١٥ في المئة من الباقين يحملون فيروس قصور المناعة. واذا ما نظرنا الى كل مصاب كحلقة اولى محتملة في سلسلة انتقال جديدة، ندرك فاعليه برنامج اعلام الشريك كاداة لمنع انتشار فيروس قصور المناعة.

وفي بريطانيا، استهدف برنامج اعلام الشريك في الأساس ضبط انتقال فيروس نقص المناعة بين اللوطيين ومتعاطي المخدرات بواسطة الحقن الوريدي. لكنه، منذ ١٩٨٦، شمل ايضاً انتقال العدوى بين الذين يمارسون الجنس طبيعياً. والآن يُنصح كل الذين يحملون فيروس

قصور المناعة باعلام شركائهم في الجنس أو في استعمال الحقن الوريدية وحضّهم على زيارة ما يزيد على مئتي عيادة توفر المشورة الطبية والفحوص اللازمة بكتمان شديد. ونتيجة هذه الاجراءات يبدل معظم الشركاء من سلوكهم الخطر فيقطعون بذلك سلاسل انتقال العدوى.

يقول خبراء في منظمة الصحة العالمية أن نجاح برنامج إعلام الشريك يستلزم القبول الطوعي ومراعاة العناصر الآتية:

■ نظام طبي يؤمن فحوصاً ومعالجة مجانيتين، والا تفادى كثيرون ممن هم عرضة للخطر كشف امرهم فيفوت الاوان على منع انتشار الفيروس او حصولهم على معالجة فاعلة.

■ خدمات مساندة مناسبة تستطيع تقديم المشورة والتثقيف اللازمين.

■ سرية في التعامل، شفاهاً او من خلال التقارير المكتوبة، لحماية هوية المريض الاساسي وشركائه من رؤسائه في العمل ومن السلطات، ومن بعضهم بعضاً، وضمان احترام حقوقهم الانسانية وكبريائهم.

في معزل عن تحاليل الدم، قد يبقى الذين يحملون فيروس قصور المناعة سبع سنوات او اكثر وهم يجهلون حقيقة وضعهم. ان هذا المدى الزمني حيوي لتحديد هوية كل من المريض الأساسي وشركائه وحضهم، على الاقل، على اتخاذ الاجراءات الوقائية التي تمنع انتشاراً اضافياً للايدز. ومتى ادرك هؤلاء انهم يحملون الفيروس، فسوف يبدأون استخدام العقاقير الجديدة التي تؤخر ظهور الامراض المرتبطة بالايدز.

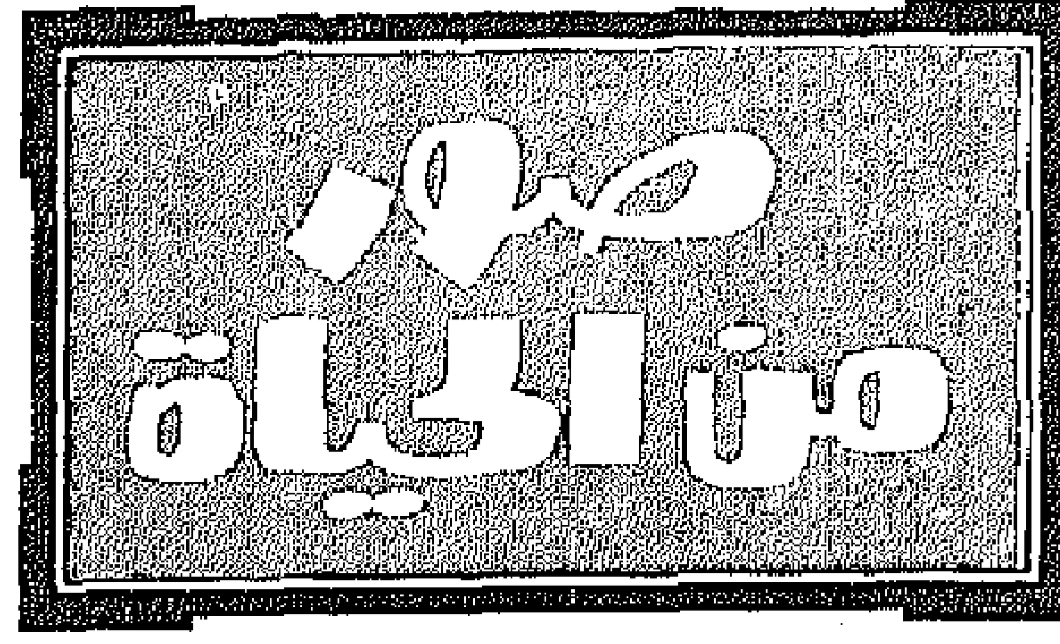
تقول الدكتورة مارغريتا بوتيغر، وهي عالمة اوبئة اسوجية وواحدة من رواد اجراءات الوقاية من الايدز: "ان برنامج اعلام الطرف الآخر ليس حلا شاملا، لكنه يستطيع ان يكون وسيلة فاعلة لقطع سلاسل انتقال فيروس قصور المناعة. علينا ان نستخدم كل وسيلة متاحة الآن، وإلا خرّ مئات الالوف صرعى الايدز في نهاية القرن."

ستانلي انغلبارت ■

"عريس" ميكانيكي

يضطرني عملي كممثل الى تغيير ملابسي على عجل للانتقال من مشهد الى آخر. وذات مرة، بعد مشهد زواج مثّلت فيه دور العريس، تسنت لي استراحة لمدة ساعة أؤدي بعدها دور عامل ميكانيكي. فذهبت خلال الاستراحة الى محطة وقود لتغيير زيت محرك سيارتي. وهناك دخلت دورة المياه (التواليت) فنزعت البذلة الرسمية السوداء وارتديت بزة عامل ميكانيكي. وحين رآني ناظر المحطة ناولني مفاتيح السيارة واسرّ الي: "لا تقلق يا سيدي. اذا جاءت عروس الى هنا في سيارة ليموزين، فسأقول لها اني لم اشاهدك ابداً."

ن.ل.



كيف نسمي أولادنا

■ عمتي سعاد امرأة تتمسك، عن حكمة، بالتقاليد الموروثة. وهي سمّت أولادها الستة ليلى وسامي وهاني وسناء وحبيب ومنى، أسماء طالما اعتبرتُها عادية جداً. لذلك أتحفتها بمقدمة طويلة قبل أن أخبرها عزمي على أن ادعو ابني البكر هنيبعل.
قالت لي عمتي: "دعيني أعلّمك كيف تسمين أطفالك. اخرجي الى فناء بيتك ونادي الأسم الذي ارتأيته بأعلى صوتك ست مرات. وتخيلي أنك سوف تسمعينه يتردد هكذا للسنوات الخمس عشرة المقبلة. فان ظل الاسم يروقك، فليكُن."
ففعلت ما نصحتني به عمتي ودعوت المولود زياد.

هاتف شتراوس

■ حين بدأت عملي الجديد اشتريت لمنزلي آلة للرد على المكالمات الهاتفية وسجلت عليها رداً مع لحن موسيقي جميل لشتراوس. وبتّ لدى عودتي من العمل أستمع الى المكالمات المسجلة. وسرعان ما لاحظت أن أحدهم يتصل بي كل يوم من دون أن يترك رسالة.
وبعد شهر سجلت رداً جديداً واخترت لحناً موسيقياً آخر. وعدت في المساء لأسمع الرسالة الآتية: "سيدتي، منذ اتصالي خطأ برقم هاتفك وأنا أكرر الخطأ لكي أتمتع بسماع هذا اللحن الرائع من موسيقى شتراوس. لكنك الآن حرمتني هذه المتعة!"

م.س.

هوايات المراهقة

■ ابنتي المراهقة مولعة بتجفيف الاعشاب، حتى باتت غرفة نومها أشبه بمرج زهور. وذات يوم منعتها من الخروج من البيت قبل أن تنظف غرفتها من خليط النبات. وترقبتُ منها عبوسا وثورة احتجاج.
لكني دهشت حين انصرفت من دون أن تنبس بكلمة. ورحت أتنصّت علّني أسمع صوت المكنسة الكهربائية، فلم أسمع شيئاً. فدخلت غرفتها، فوجدتها قابعة على الارض تراقب أرنبين يقضمان الاعشاب بصمت وهدوء.

ي ف

عمل حقيقي!

■ انتقلت وزوجي للسكن في كوخ ريفي ناء. فاتصلنا بمقاول محلي لكي يتولى تسوية الارض حول الكوخ ويقطع بعض الاشجار. ودعوت زوجته يوماً الى شرب القهوة، فراحت تحدثني عن الاعمال التي يقومان بها، كقطع الحطب وحفر الآبار وبناء الاسوار وتربية المواشي والتخييم في العراء. اخبرتني عن مغامرات الصيد معاً، وكيف كادت الدببة تفترسهما مرة، وأنهت حديثها بالقول انهما ربيا ستة أولاد. ثم سألتني: "وأنتِ، ماذا يعمل زوجك؟"
أجبتها بفخر: "انه كاتب."
فقالت وهي تهز كتفيها: "أعرف ذلك، لكن ماذا يعمل؟"

ق.ت.

وفي مدينة بادوا الايطالية بادر عدد من الامهات اللواتي هالهن تحول بناتهن الى الدعارة لشراء الهيروبين، الى تأليف لجان محلية أخذت على عاتقها توعية الرجال المتسكعين في الشوارع وتسجيل أرقام السيارات التي تنقل بناتهن لممارسة الدعارة. وكافحت هؤلاء الأمهات سنوات، لكن اللامبالاة العامة وقصور

أوروبا... تأهبي

مع اقتراب موعد رفع الحواجز الجمركية نهائياً بين دول المجموعة الاوروبية تلح الحاجة الى تدابير فاعلة لمحاربة المخدرات

ماسيميليانو ديرامو، شاب في الحادية والعشرين مدمن للمخدرات. سرق ساعة والده الذهبية لبيعها وشراء هيروبين بثمنها. وما كان منه، حين أنّبه والده على فعلته الشائنة، الا أن انهال عليه طعناً بسكين مطبخ وتركه جثة هامدة على ارض غرفة النوم. ثم خرج ومعه الساعة ومسجّلة فيديو باعهما في شوارع ميلانو وفرّ هارباً الى خارج البلاد. وفي اليوم التالي اوقفه رجال الشرطة في برشلونة بتهمة الاتجار بالمخدرات.

الادارات الرسمية دفعهن في النهاية الى اليأس والتخلي عن مساعيهن. ويوصف وضع المخدرات في ايطاليا الان بانه أسوأ مما عرف في اي وقت.

وفي محيط محطة سكة حديد هامبورغ الرئيسية يبيع الصبيان المراهقون انفسهم لرجال اكبر سناً لشراء المخدرات. كما نجد في هذا المعترك لاعبين أصغر سناً، ومن هؤلاء فتاتان، واحدة في الحادية عشرة واخرى في الثانية عشرة قبض عليهما في اشبيلية لبيعهما الهيروبين.

وفي باريس تباع المخدرات في محطات المترو حيث يلجأ المتعاملون بها الى الاسلحة النارية لتسوية الخلافات على مناطق النفوذ، وحيث المجال واسعا للاختباء من الشرطة.

وفي اماكن سكنية جنوب لندن تمرّ اسابيع من دون ان يدخلها باعة الحليب وسعاة البريد ويرفض سائقو سيارات الاجرة ولوجها خوفا من باعة المخدرات والمدمنين واللصوص والقتلة.

وفي هولندا تعتمد سياسة لا تعتبر تناول المخدرات، لاغراض ذاتية، جريمة. ولكن، وإن ادعت السلطات هناك ان سياستها تحظى بتأييد عارم، فقد ثار مواطنون في احدى ضواحي ارنهايم عام ١٩٨٩ واحدثوا شغباً محاولين طرد باعة المخدرات والمدمنين من بلدتهم.

وأصبحت مثل هذه القصص أمراً شائعاً في مختلف أنحاء أوروبا. وبنتيجتها تتحطم حياة كثيرين غالبيتهم من الفتيان والفتيات الذين أغراهم أصدقاؤهم أو زملاؤهم بتعاطي المخدرات فتحولوا الى الادمان.

الحلم الذهبي. مرّ وقت طويل والاوروبيون شاخصون باعتداد الى امريكا وهم يرون رعب المخدرات يجتاح نيويورك وميامي ولوس انجلس، واثقين انها لن تلوّث مدنهم. ولكن تبدل الوضع الآن، فإزاء الانتاج الوافر وانخفاض الارباح تحول اهتمام تجار المخدرات الى اوروبا التي غزوها فاكتشفوا فيها سوقا مناسبة في حاجة الى تطوير. انها كبرى اسواق العالم واكثرها وفرة بالسيولة النقدية. وهي حلم كل تاجر مخدرات.

ولا بد ان نجاح تجار المخدرات في اوروبا فاق كل توقعاتهم الجشعة، اذ إن عدد المدمنين في دول المجموعة الاوروبية وحدها يقدر بأكثر من مليونين. وقد ارتفعت، على نحو كبير، كميات الهيروبين المصادرة من ٤١٠٠ كيلوغرام عام ١٩٨٨ الى ٤٩٠٠ عام ١٩٨٩ فالى ٦١٧٠ كيلوغراماً عام ١٩٩٠. اما في ما يعود الى الكوكايين، فان الصورة تبدو اكثر سوءا. ففي العام ١٩٨٧ صودر ٣٦٠٠ كيلوغرام. وقد ارتفعت الكميات المصادرة العام الفائت الى ١٢،٩٠٠ كيلوغرام. وتحذّر السلطات الاوروبية المختصة من ان الكميات المصادرة لا تمثل الا عشرة في المئة من المخدرات التي تتدفق عبر الحدود.

في العام الفائت قضى ١٤٧٨ المانيا من جراء تناولهم جرعات مفرطة من المخدرات. وفي ايطاليا يحقن ٣٠٠ الف من المدمنين اوردتهم يومياً بالهيرويين مع ان الكنيسة والروابط العائلية تفترض تحصين الناس ضد خطر الادمان. وقد توفي في العام الفائت ١١٤٩ من جراء الادمان.

اما تنفيذ أحكام القانون في شأن المخدرات فمشكلة فريدة في ذاتها لأن للجرم، في الغالب، طابعاً دولياً.

والمخدرات هي من التجارات الضخمة اذ يفوق مردودها، بكثير، ريع اي من الشركات المسجلة في أسواق الأسهم العالمية.

وبحسب الاستقراءات الامريكية واستنتاجات منظمة الامم المتحدة، تقدر ارقام مبيعات المخدرات هذه السنة

بـ ٥٠٠ مليار دولار. ومع تحقق السوق الاوروبية الواحدة في السنة ١٩٩٣ والغاء الحدود في اوروبا الموحدة، سيسهل الاتجار بالمخدرات، مما يؤدي الى تدني اسعارها من جهة، وزيادة عدد المدمنين، من جهة اخرى.

ثغرات في الدفاع. يواجه الاوروبيون أزمة هم غير مهيأين لمكافحتها. فعلى رغم التقدم في التنسيق بين الدول لا تزال ثمة ثغرات كثيرة في دفاعاتها يستغلها يوميا تجار المخدرات. وهم استطاعوا، في الواقع، انشاء "سوقهم المشتركة" باعتماد التكتيك الاقدم المعروف بـ"فرّق تسُد."

فقد اعددت قبل خمس سنوات وبصفة كوني مقرراً في لجنة البرلمان الاوروبي للتحقيق في قضايا المخدرات، تقريراً مفصلا عن انتشار المخدرات وحذرت من ان وراءها منظمات اجرامية لها من القوة ما يكفي للتأثير في الانظمة السياسية والاقتصادية في تلك القارة. ونددت آنذاك بتقاعس الدول الاعضاء في المجموعة الاوروبية عن الاعتراف بمدى خطورة المشكلة. كان الوضع عام ١٩٨٦ سيئاً أما اليوم فقد ازداد سوءا على سوء. والتدابير التي اتخذت كانت هزيلة جدا ومتأخرة جداً.

وهولندا هي محور الاهتمام في قضية المخدرات لانها تعتبر، وفق مكافحي المخدرات المحترفين، المركز الرئيسي في اوروبا لتخزين المخدرات واعادة تصديرها. ثم إن تساهلها الكبير في اباحة تعاطي المخدرات يشكل تناقضاً فاضحا ومواقف بقية دول المجموعة الأوروبية. لذلك فان اي بحث جدي في اسلوب التعامل مع موضوع المخدرات يجب ان يبدأ بتقويم المثال الهولندي: أهو سوي لدول اوروبا ام هو خاطىء؟

وتساوي هولندا متعاطي المخدرات بمتعاطي التدخين والكحول. والحجة في ذلك، كما يؤكد مسؤولون هناك، ان نظامهم يبقي المدمنين ضمن المجتمع من طريق السماح لهم بمتابعة عادتهم جهاراً فيما هم يفيدون من برامج الارشاد الوطني وإعادة التأهيل وتناول جرعات "الميثادون"[١] المجانية والحصول على إبر حقن نظيفة درءاً لانتشار مرض الأيدز. والميثادون هو أفيون اصطناعي يساعد في الحلول محل الهيروبين ويخفف من الأعراض الناجمة عن ايقاف الادمان.

لكن، على رغم كل هذه الحجج الرائعة، ما زال عدد من الفتيات الهولنديات يمارسن الدعارة من اجل شراء الهيروبين، وما زال المدمنون اليائسون يتحلقون حول المحطة المركزية في أمستردام وفي مناطق اثرية أخرى مثل النيو ماركت.

ان السياسة الهولندية غريبة في تناقضها. فهي تتغاضى عن تعاطي الهيروبين والكوكايين، وتمنع، في الوقت نفسه، بيع هاتين المادتين تماما. فمن

(١) Methadone

أين تأتي المخدرات إن لم يكن من طريق البيع؟ الى ذلك، يتحول المدمنون، على نحو شبه حتمي، إلى بائعي مخدرات صغار لاشباع رغباتهم. وهذه حلقة جهنمية مفرغة ذاتية الاستمرار.

ويصنّف الهولنديون المخدرات فئتين: منتجات القنّب "الخفيفة" مثل الماريوانا والحشيش التي يسمح ببيعها علناً، والمخدرات "القوية" مثل الهيروويين والكوكايين التي يسمح باستخدامها ولكن يحظر بيعها. وهذا هو العنصر المربك في القضية. إذ قد لا تكون مستحضرات القنب مسببة للادمان دوماً، لكن تكرار تعاطيها قد يؤدي الى اذى خطير للصحة، كما أن التساهل بأمرها يوفر بيئة مخدرات تسهّل انزلاق الشباب الى اختبار مخدرات أقوى. وما يبدأ استعمالا "عرضيا" للهيروويين يغدو شركا لا خلاص منه إذ إن الاستخدام العرضي هو كالانتحار العَرَضي. ويدافع الهولنديون عن نظامهم ويصفونه بانه سديد وفاعل ولكني مقتنع بأنه غير مقبول في بقية انحاء اوروبا، لا عملياً ولا أخلاقياً.

توصيات للمستقبل. خلال الابحاث التي اجريتها لاعداد تقريري الى البرلمان الاوروبي، قابلت ضباطا من دوائر الجمارك والشرطة وعلماء اجتماع وسياسيين ورجال دين واطباء وعدداً آخر ممن يعالجون يوميا مشاكل المخدرات. ومذاك زادتني اختباراتي قناعة انه اذا كان لنا ان نبطىء المد القاتل المتنامي ونعكس اتجاهه، يتعين علينا اتخاذ اجراءات صارمة، منسّقة، فاعلة وشاملة.

وهذه توصياتي:

١. التنسيق البيروقراطي. على كل دولة اوروبية انشاء دائرة لمكافحة المخدرات على نسق "وحدة المخابرات الوطنية للمخدرات" (NDIU) التي انشئت عام ١٩٨٥ في بريطانيا. وتتألف هذه من ١٠٣ عملاء بينهم ضباط من الشرطة والجمارك يعتمدون في عملهم على عقول الكترونية متطورة. والوحْدة هي، في آن، مركز لتبادل المعلومات وفريق من المحللين المتخصصين مهمتها غربلة المعلومات الواردة يوميا وانتقاء ما هو وثيق الصلة بالمخدرات وتحليلها وصوغها في اسلوب قانوني يتيح لدوائر الشرطة والجمارك الافادة منها في القضاء على عصابات المخدرات.

والوحدة البريطانية هي، في آن، "رادار" يرشد الى سبل العمل وحكَم يفصل في النزاعات بين دوائر الشرطة والجمارك التي تسلك احيانا مناهج متعارضة في ما بينها.

ان النجاح في مكافحة الجرائم الرئيسية يحتاج الى فريق عمل متخصص. لذلك فإن الخطوة المنطقية التالية تقضي بتشكيل وحدة مخابرات اوروبية خاصة بالمخدرات مهمتها توحيد عمل الوحدات الوطنية وجعل المكافحة مهمة دولية، أسوة بتجار المخدرات

الدوليين الذين يستغلون التضارب في القوانين والنزاعات الداخلية بين مختلف الدوائر. وستكون الوحدة الاوروبية قوة صغيرة حسنة التنظيم والتجهيز، وليس مجرد دائرة بيروقراطية، تتخطى الاجراءات الادارية الروتينية وتركز جهودها على المكافحة.

وبما أن للوحدة هذه عملا تنسيقيا محضا، فهي لا تحتاج الى اكثر من ٣٠ او ٤٠ محللا يستخدمون بنكاً الكترونيا للمعلومات يُحظر استخدامه الا في حال الحاجة الى معلومات. وهي تعمل على مدى ٢٤ ساعة في اليوم وتزود القيّمين على تنفيذ القوانين الصور الجانبية للمهربين فضلا عن بصمات الاصابع وارقام السيارات وانواعها، اضافة الى معلومات عن تحركات السفن والطائرات المشتبه بها وتفاصيل حديثة عن أنماط تحرّك المجرمين. وفي ليون بفرنسا الآن مختبر وطني للمخدرات يقدم بانتظام الى رجال الشرطة الاوروبيين تحاليل مصنفة ومقارنة لعينات من المخدرات المصادرة. لذلك يجب الافادة من بنك المعلومات هذا واستثماره وتوسيعه بالتعاون مع وحدة المخابرات الاوروبية.

٢. توحيد قوانين المكافحة. لا تزال قوانين مكافحة المخدرات والاحكام التي تصدر في شأنها متباينة جدا في اوروبا. ففي مياه اوروبا الاقليمية تراوح المسافات المجاز ضمنها ملاحقة المهربين بين ٦ اميال بحرية و٢٤ ميلا، وهي تختلف بين بلد وآخر. وفي بريطانيا، تجيز القوانين اصدار أحكام بالسجن مدى الحياة على كبار المهربين من دون حق في العفو، فيما تصل العقوبة القصوى في اسبانيا الى ١٢ سنة قابلة للخفض الى ست سنوات ويوم واحد، اذا اظهر المحكوم حسن سلوك. لذلك تحتاج المجموعة الاوروبية الى احكام موحدة تحول دون لجوء مهربي المخدرات الى البلدان الأكثر تسامحاً.

والتباين في القوانين يعقّد عملية تبادل المجرمين. فهناك، من حيث المبدأ، تعاون قائم بين دول المجموعة الاوروبية لتبادل المجرمين لكن الاجراءات مضنية وغير متماثلة. إلا أن التوصل الى معاهدة تسليم منظمة للمتهمين وموحّدة للأحكام يضمن تنفيذ العقوبات التي يستحقها المهربون بصرف النظر عن الدولة التي ينتمون اليها أو البلاد التي ارتكبوا جرائمهم فيها. انني احبّذ انزال أقصى العقوبات في منظمي تجارة المخدرات، فالتجار الكبار يستحقون عقوبة السجن المؤبد.

٣. تشديد الرقابة على الحدود. خفضت المجموعة الاوروبية الآن تدابير التدقيق الامنية والجمركية على حدودها الداخلية. وفي اول يناير (كانون الثاني) ١٩٩٣ سيلغى ما تبقى من تدابير. وذلك يعني، على سبيل المثال، انه اذا انزل قارب صيد سمك تركي حمولة من الهيروين في احدى الجزر اليونانية فان

هذه المخدرات مرشحة للانتقال، من دون الكشف عليها، الى اي مكان ضمن دول المجموعة. وتقضي المكافحة، في مثل هذه الحال، بتركيز الرقابة الجمركية على الحدود الخارجية لدول المجموعة، وهذا الامر يتطلب، مثلا، تنظيم برنامج لنقل موظفي الجمارك من الحدود الداخلية للقيام بمهمات على الشواطىء او في المطارات. ومن الواجب تزويدهم اعداداً وافرة وحسنة التجهيز من الزوارق السريعة والسيارات والرادارات واجهزة تعمل بالأشعة السينية، اضافة الى معدات للرؤية الليلية. وهذا امر مكلف يستوجب من الدول الغنية مساعدة الفقيرة. ولكن بحلول السنة ١٩٩٣، يجب ان يكون برنامج أمن الحدود الخارجية قد اخذ طريقه الى التنفيذ.

ان تحسين سبل استهداف البضائع المشتبه بها يساعد ايضاً، اذ يستحيل، مثلا، تفتيش ٤٠ الف سيارة تخترق يوميا معبر باد ريخنهول الالماني الرئيسي الى النمسا، او تفحص ٨٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ مستوعب تُنقل يوميا عبر مرفأ روتردام. لذلك يحدد ضباط الجمارك والحدود أهدافهم بكشف علامات التزوير والمخالفات في وثائق النقل والتصريحات التجارية وارقام المستوعبات وما شابه. ففي روتردام، مثلاً، يغربل ضباط التحليل الجمركي عدد المستوعبات المستوجبة التدقيق الى ستة او سبعة مستوعبات يجدون في اكثر من نصفها بضائع مهربة. لذلك يجب أن يتوافر في الموانىء الرئيسية "هدَّافون" أكثر عدداً وأوفر تدريباً مثل هؤلاء.

٤. مصادرة الاموال القذرة. يسعى مجرم المخدرات الكبير الى البقاء ابعد ما يمكن عن العمليات التي ينظمها. ولكن لا يسعه الا المحافظة على امواله والبقاء قريبا منها، فيوظف ارباحه في اعمال مشروعة كالعقارات والاسهم المالية والمطاعم. لذا يتعين ضربه في المكان الأشد إيلاما، أي محفظته. ففي امكاننا استخدام سلاحين لهذه الغاية هما ميثاق منظمة الامم المتحدة الذي وُقِّع عام ١٩٨٨ في فيينا، وتعليمات المجموعة الاوروبية الاخيرة التي تلزم المصارف والمؤسسات المالية الافادة عن الكميات الكبيرة من الاموال التي تتدفق اليها وكشف هوية اصحابها. وقد نفذت في سويسرا واللوكسمبور، وهما مركزان رئيسيان للاعمال المصرفية، اجراءات مشددة اعطت ثمارها. لكن اسبانيا والبرتغال وهولندا وبلجيكا والمانيا امتنعت الى الآن عن اتخاذ تدابير مماثلة. وهذا أمر لا يمكن التساهل فيه، إذ يجب الضغط على المتلكئين لحملهم على التزام هذا الموقف. ولن يتيسر قطع دابر المتاجرين بالمخدرات ما لم تطبق القوانين الصارمة في شأن "تبييض" الأموال المكتسبة من المخدرات، بما في ذلك مصادرة الودائع المصرفية والمنازل والزوارق ووضع اليد على المشاريع التجارية وغير ذلك من الموجودات.

٥. **التثقيف.** اذا كنا لا نستطيع القضاء على بلاء المخدرات، فان في وسعنا مساعدة الشباب على الابتعاد عنها. لذلك على المدارس أن تدخل في مناهجها برامج تربوية عن المخدرات بدءاً بالصفوف الابتدائية. كما يجب توفير برامج تربوية متوازية للمعلمين والاولياء الذين غالباً ما يجهلون على نحو مفجع المشاكل والاغراءات التي يواجهها اولادهم. كذلك يجب مساعدة المدمنين السابقين على التكيّف وحياتهم الجديدة متى أقلعوا عن عاداتهم السيئة. واني لمقتنع بأن وزارات التربية ستكون، في المدى البعيد، اكثر اهمية من الشرطة في الحرب على المخدرات.

لم تعد المخدرات خطراً بعيداً عن اوروبا. إنه خطر جليّ داهم. وعلينا ان ندرك ان ليس في الامكان معالجة هذه المشكلة الاجتماعية الفائقة التعقيد ما لم تعالج كل واحدة من حلقاتها.

انها الحرب ويجب ان نتأهب لها.

جاك ستيوارت - كلارك ■

الكاتب عضو في البرلمان الاوروبي منذ ١٩٧٩ ومقرر لجنة "التربية الصحية واساءة استخدام المخدرات في المجموعة الاوروبية." وهو ايضاً نائب رئيس لجنة التحقيق البرلمانية في انتشار الجريمة المنظمة المرتبطة بتجارة المخدرات.



طالبات عاملات

جلسنا، شلة من الطالبات البالغات العاملات، نقوِّم العواقب المترتبة على نيل علامات متدنية في الامتحانات.

قالت إحدى الرفيقات: "علي تقديم علاماتي الى ادارة الشركة حيث أعمل للحصول على مساعدة مالية، وسيعرف الجميع سوء انجازي."

قلت: "أما انا فلا يقتصر أمري على تقديم علاماتي، وانما المنحة التي تقدمها الي الشركة متوقفة على هذه العلامات، فبمقدار ما تتدنى يتقلص المبلغ الذي أحصل عليه."

لكن احدى الرفيقات بزّتنا جميعاً اذ قالت متجهمة: "تعتقدن ذلك مشكلة، فماذا عساي أقول أنا؟ يتعين علي أن اقدم علاماتي الى أولادي!"

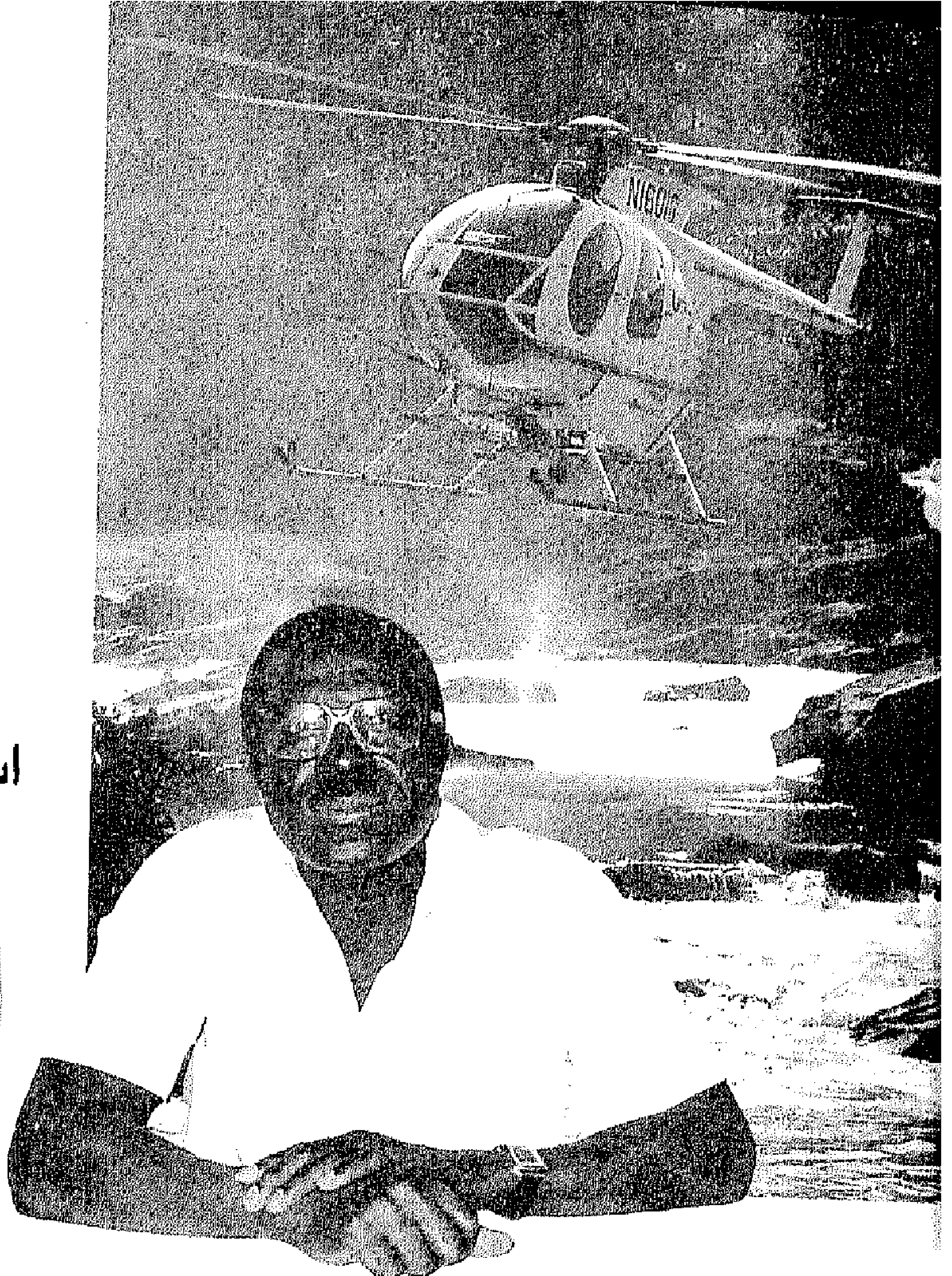
ب.ت.

بوّاب الذوات

توقفت سيارة "رولز رويس" أمام أحد المطاعم الفخمة في هوليوود ونزلت منها نجمة سينمائية نفحت البواب ٥٠ دولاراً وطلبت منه توخي الحذر في ايقاف سيارتها. فقال لها البواب: "اطمئني يا سيدتي، سأنتبه لها كثيراً، فلدي واحدة مثلها في منزلي."

أ.م.

طبيب عصامي نجح في القضاء على وباء خطير استشرى في بلدان افريقيا



ابرهيم سامبا قاهر العمى النهري

كانت خيوط الفجر الاولى بدأت تضيء سماء ساحل العاج عندما وصل الدكتور ابرهيم سامبا الى حظيرة في مطار أوديين لتحية الطيارين السبعة الذين سيقلعون بمروحياتهم هذا الصباح. وما ان أصبح الضوء كافياً حتى تراكض الطيارون الى مروحياتهم المحمَّلة الى طاقتها القصوى، وارتفعوا بها عن الارض وحوَّموا لبرهة ثم انطلقوا في سبعة اتجاهات مختلفة. مهمتهم رش المبيدات للقضاء على يرقان الذباب الاسود[1] الذي يسبب العمى النهري[2]، وهو مرض طفيلي قاس يبتلي أكثر من ١٥ مليون شخص في ٣٤ بلداً حول العالم، ٢٦ منها في افريقيا.

بعدما درس الدكتور سامبا خرائط المنطقة والتقارير الميدانية، قاده سائق

(١) Simulium damnosum

(٢) River blindness or onchocerciasis

(BACKGROUND PHOTO) TONY WARD / SUNDAY MIRROR COURTESY OF WORLD HEALTH ORGANIZATION (WHO)

الى منصة لاقلاع المروحيات داخل الدغل حيث ركب مروحية أقلته الى حيث يراقب عملية رش المبيدات. قاد المروحية ماريو فرازاو، وهو ملازم سابق في سلاح الجو البرتغالي. ارتفع بها فوق رؤوس الاشجار متوجها الى غدير تكاد تخفيه الاشجار الباسقة. وبعد جولة بحثاً عن فتحة بين أغصان الشجر، قال فرازاو لساميا: "تمسّك جيداً." وهبط بمروحيته في سقطة تحبس الانفاس من خلال ثغرة صغيرة في الغطاء الشجري الكثيف، ثم عدّل وضع المروحية مستوياً على ارتفاع بضعة أمتار عن سطح الماء. وضغط زراً على لوحة التحكم مطلقاً غمامة ضبابية من مبيد اليرقان من فوهة مزدوجة للرش. وناور برازاو ببطء على امتداد مجرى الغدير المتعرج حذراً من الدوالي التي قد تعلق بشفرات المروحة. وفي اللحظة التي بدت المروحية على وشك الترنح، زاد سرعة المحرك فجأة واندفع صاعداً من خلال فتحة بين أشجار الغابة.

رجل مستقيم. الدكتور ساميا طبيب غامبي في الثامنة والخمسين من العمر يرئس برنامج منظمة الصحة العالمية لمكافحة مرض العمى النهري، ويقود منذ عشر سنين حملة ناجحة على هذا المرض في افريقيا الغربية. وهو برز قائداً افريقياً من نوع جديد، رجلَ دولة غير سياسي لم يمنعه اخلاصه لمستقبل افريقيا من استخدام التقنية الغربية لحل واحدة من مشاكل القارة. لقد أثبت ساميا امكان ايصال ١١ دولة افريقية تتمسك باستقلالها بحساسية بالغة، الى اتفاق على برنامج صحي متطور تكمن فاعليته في تخطيه الحدود الجغرافية لهذه البلدان.

أحد أسباب هذه الفاعلية غير العادية واضح. فلون ساميا الاسود والندوب التي خلّفها "طبيب" القبيلة على خديه لا تترك مجالا للشك في أصوله العرقية. لكن زملاءه من رجال العلم والخبرة العالميين لا يقلون عن مواطنيه تقديراً له. يقول أحد المراقبين في جنيف: "لو لم يكن لدى منظمة الصحة العالمية رجل اسمه ساميا لتعيَّن عليها أن تخترع واحداً."

سبب آخر لنجاح ساميا هو حرصه الشديد على الموازنة السنوية التي تخصصها منظمة الصحة العالمية لتمويل برنامج مكافحة مرض العمى النهري والتي تبلغ ٣٠ مليون دولار. يقول دوغلاس مار، العالم الاسكوتلندي الاختصاصي بالحشرات وأحد قدامى محاربي العمى النهري: "ان جهوداً كهذه لا تعمّر طويلا في افريقيا، لان الاموال المخصصة لها تتسرب على نحو ما الى غير أغراضها. لكن أي أموال تعهد الى ادارة ساميا تكون في مأمن كأنها في مصرف. انه رجل مستقيم جداً، وقد أعطت استقامته ثمارها."

في روضة الاطفال. نشأ ابرهيم واحداً من تسعة أولاد لمالك ساميا وسوكاي مباي، وهما ريفيان من قرية

سارا كندا التي لا تبعد كثيراً عن بانجول عاصمة غامبيا، ربيا أولادهما في كوخ من طين ذي سقف من قش. وفي السن الرابعة عشرة سقط ابرهيم عن شجرة مانغو وكسر ذراعه اليمنى. والتقى في المستشفى المحلي طبيباً مسناً دمثاً من اسكوتلندا يدعى مالكوم غرين، جبر ذراعه موضحاً له تفاصيل عملية شفاء الكسر. فعاد ابرهيم راكضاً الى منزله وقد فتنه الموضوع، وأخبر أهله: "أريد أن أذهب الى المدرسة لاصبح جراحاً."

وصل ابرهيم الى بانجول على متن شاحنة. وهناك قصد ثلاث مدارس ابتدائية للسود، فسمع رداً واحداً في كل مدرسة: "لن نتمكن من قبولك، فأنت كبير على الصف."

ثم سمع عن مدرسة ارسالية، فقرر ألا يواجه الرفض مرة أخرى، فبحث عن غرفة روضة الاطفال وتسلق اليها عبر النافذة وجلس في أحد المقاعد.

سأله المدرس المذهول: "ماذا تفعل هنا؟"

فأجاب الفتى: "أتيت لاتعلم."

قرر المدرس تحمله لأيام عدة، ثم بدأ يرتاح الى وجوده البهيج في الصف. واستطاع ابرهيم أن يضبط "الشياطين" الصغار، كما أثبت أنه طالب متلهف للعلم. وبلغ منه تلهفه أن أنهى مقررات سبعة صفوف ابتدائية في أربع سنوات، وأنجز دراسته الثانوية في سنتين. وكان الاول عام ١٩٤٩ في امتحانات دخول احدى الجامعات البريطانية.

لم يكن لديه المال الكافي للسفر الى أوروبا وتغطية تكاليف الدراسة هناك، فتقدم الى جامعة غانا، الارخص كلفة، وقبل فيها. وبات تأمين ايصاله الى غانا، على بعد الفي كيلومتر، مشروعاً عائلياً: رهنت والدته بعضاً من حليها، وتبرع شقيقه الاكبر بمدخراته، كما عمل ابرهيم نفسه ساعات طويلة أجيراً في ورشة بناء ثم مضيفاً في سفينة شحن متوجهة الى أكرا عاصمة غانا.

أفضل طبيب. حقق ابرهيم في الجامعة تقدماً ملحوظاً، الى أن أتى يوم غُلّقت فيه الدروس فجأة. فقد تسبب الجفاف في تعطّل شبكة المياه في حرم الجامعة وأبلغ الطلاب وجوب العودة الى منازلهم. لم يكن لابرهيم مكان يذهب اليه ولا مال، فسمح له عميد الجامعة البريطاني بالاقامة موقتاً داخل حرم الجامعة. وفي الصباح التالي، فيما ابرهيم يسير كئيباً في اتجاه مدخل الحرم، توقفت سيارة بجانبه وسأله سائقها: "ماذا تفعل هنا؟" فروى له ابرهيم مأزقه، فأخبره الرجل: "أنا كوفي بوسيا، محاضر في علم الاجتماع. تفضل واركب معي."

قاد كوفي السيارة الى منزله حيث نادى زوجته فيما هو ومرافقه يهمان بالدخول: "تعالي أعرفك بابنك الجديد!"

عاش ساميا مع عائلة بوسيا طوال فترة دراسته الجامعية. وهو غالبا يرد تفانيه من أجل افريقيا الى تأثير بوسيا الذي

أصبح لاحقاً رئيساً لوزراء جمهورية غانا المستقلة.

تخرج ساميا في جامعة غانا عام ١٩٥٣، ثم سافر الى ايرلندا لمتابعة دراسته الطبية في الجامعة الوطنية هناك. وبعدما أنهى فترة تدرجه في مستشفى ويستون في بريسكوت قرب ليفربول، انتقل الى العيادة الملكية في ادنبره بمنحة للتخصص بالجراحة. تزوج في العام ١٩٦٢ ممرضة غامبية تدعى دولي كلارك، وولد ابنهما البكر في ادنبره، وتبعه توأمان، صبي وبنت.

عادت العائلة الى بانجول في العام ١٩٦٤. وعندما قيل لساميا أن لا مركز خالياً في مستشفى بانجول، عرض أن يعمل من دون أجر.

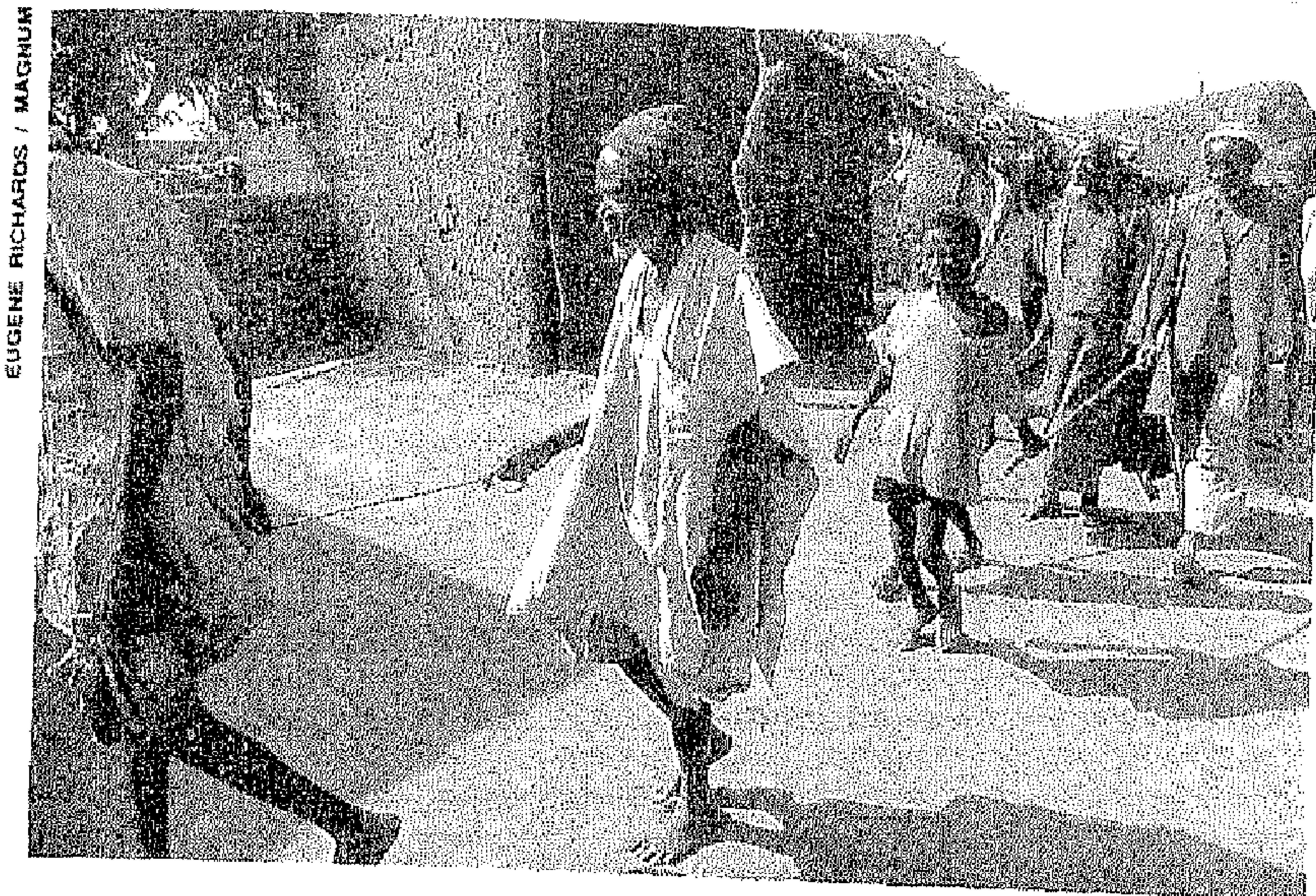
خلال شهره الثالث من العمل التطوعي، أحضرت سيدة أوروبية طباخها الغامبي الى المستشفى. فأخبرها الدكتور ساميا أن الرجل يعاني حمّى مرتفعة ويجب ادخاله المستشفى. فهتفت المرأة: "هذا مستحيل! لدي حفلة عشاء كبرى الليلة، وهو الوحيد القادر على اعداد الطعام."

عمل ساميا على خفض حرارة الرجل بواسطة حقنة وبعض حبوب الدواء، وسمح له بالذهاب الى بيت مخدوميه والعودة بعد انتهاء الحفلة. وفي الصباح التالي استدعي ساميا للمثول أمام مسؤول بريطاني مدني كبير في ادارة مستعمرة غامبيا.

سأله هذا: "ما مركزك في المستشفى؟"

– إنني أعمل متطوعاً يا سيدي، فلا مراكز خالية في المستشفى.

"هراء! تقول زوجتي انك أفضل طبيب في المدينة. لقد عالجت طباخنا الليلة الماضية. أنت موظف اعتباراً من الآن." ثم رتب له المسؤول قبض رواتب ستة أشهر بمفعول رجعي.



اطفال يقودون عميانا مسنين، ولكن من يدري فقد يصاب هؤلاء الصغار بالعمى النهري ما لم ينقذهم عقار فاعل.

نظرة الاسد. في أواخر الستينات كانت غامبيا تحررت من الحكم الاستعماري وبدأت بانجول تتحول مركزاً تجارياً نشطا. وازدهرت عيادة سامبا الخاصة فيما استمر هو بالعمل لدى مصلحة الخدمات الطبية الغامبية ليصير مديرها لاحقا.

في أغسطس (آب) ١٩٨٠ طلبت منظمة الصحة العالمية من سامبا الانتقال الى واغادوغو في بوركينا فاسو لتولي ادارة برنامج مكافحة مرض العمى النهري الذي بدأ العمل فيه عام ١٩٧٤. كان البرنامج في السنوات الماضية لقي فشلا ذريعا في أداء مهماته. فكثيرا ما أُخل بمواعيد رش المبيدات بالطائرات، مما أدى الى اضعاف فاعلية المبيدات التي رشت سابقاً في مياه الجداول. وهذا الامر يسمح للذباب الاسود باكتساب مناعة ضد العناصر المبيدة. وكانت مستويات الاصابات ترتفع في أنحاء المنطقة التي شملها البرنامج.

بدأ سامبا دراسة المرض ميدانيا. ولم يجد صعوبة في العثور على دليل للكارثة الرهيبة. فهو زار قرى حيث وجد ثلاثة أرباع السكان البالغين مصابين بالعمى. رأى نسوة ضريرات جالسات على الارض يؤدين العمل الوحيد المتبقي لهن: تقشير الفستق (الفول السوداني). وكان أفراد، يبدون أصحاء، يتوقفون عما يفعلونه من وقت الى آخر ليعملوا أظافيرهم باهتياج في حكّ جلودهم.

سببُ الحكاك خيطيات مجهرية[٣] وهي ديدان متناهية في الصغر تستقر تحت جلد الانسان مباشرة. وقد يسوء الحكاك الى حد أن يفقد الشخص أظافيره من عنف استخدامها في "هرش" الجلد. وبعد سنوات يتحول الجلد الاسود اللامع رماديا باهتا، وقد يتساقط مخلفاً بقعاً بيضاء بشعة. ثم يأتي العمى... ببطء ولكن باصرار لا يرحم، فتتخذ العينان تحديقة جامدة تدعى "نظرة الاسد."

في أواخر السبعينات أصيب بضعة ملايين شخص بالعمى النهري في البلدان التي يشملها برنامج مكافحة هذا المرض. وجاء الوقع الاقتصادي لهذا الامر مدمراً. فاضطر المواطنون الذين تركوا الاودية النهرية لتفادي الذباب الاسود، الى الاحتيال على العيش في أرض أقل انتاجية. فلم يتوافر لهم الا نتاج قليل يسوِّقونه، فتحللت بناهم الاجتماعية وتخلوا عن مشاريع بناء الطرق والمدارس.

أولى سامبا عملية رش المبيدات اهتمامه الشخصي. فبدأ يزور المحطات القصية من دون سابق انذار، لمراقبة العمليات. وعندما يكون في واغادوغو يذهب الى مكتبه في السابعة صباحا، وغالبا ما يبقى الى ما بعد منتصف الليل عاملا على تفاصيل ادارية ولوجستية (سَوْقية) ومالية.

شيوخ لا يرون. بدأ سامبا حملة لاقناع ادارة منظمة الصحة العالمية

(٣) Microfilariae

تفشّي العمى النهري

عندما تعض أنثى الذباب الاسود انساناً مصاباً بالمرض، تمتص نقطة دم تحوي ديداناً دقيقة تعرف بالخيطيات. تهضم الذبابة بعض الديدان وتبرزها خلال الايام السبعة التالية داخل جسم الذبابة. لكن الديدان الباقية تصبح بالغة وتهاجر الى رأس الذبابة. وعندما تعض الحشرة انساناً آخر، "تهرب" هذه الديدان عبر خرطوم الذبابة وتدخل انسجة "المضيف" الجديد، حيث تنمو ذكوراً واناثاً وتشرع في التزاوج.

ينمو ذكر هذه الديدان الى طول خمسة سنتيمترات. أما الانثى فقد تنمو الى أكثر من خمسين سنتيمتراً وتلد ملايين الخيطيات خلال حياتها التي قد تمتد نحو ١٢ سنة.

تهاجر هذه الخيطيات الى ما تحت جلد المضيف حيث تولّد تمعجاتها المتواصلة حكاكاً يدل على بداية الاصابة بمرض العمى النهري. وتتضاعف أعداد الخيطيات بتكرر الاصابات عبر السنين، وتشق الديدان طريقها تدريجاً الى بدن الضحية، وتزحف في أسوأ الحالات الى مقلة العين مسببة العمى.

بمضاعفة جهود ابتكار عقار فعال لمعالجة العمى النهري. فدعت المنظمة شركات مصنعة للادوية من أصقاع العالم لتقديم عينات من مركّباتها للاختبار. واحد من هذه المركبات يدعى "ايفرمكتين"(٤) الذي طوّره فريق وليم كامبل في مختبرات "ميرك شارب آند دوم" في راواي بولاية نيوجرزي. يقول كامبل: "اكتشفنا ان هذا العقار قادر على قتل ديدان في الفئران المختبرية بجرعات صغيرة جداً. وعندما يُحقن في الخيل فهو قادر على قتل طفيليات خيطية كتلك التي تسبب العمى النهري للانسان."

أنهيت الاختبارات الميدانية على عقار "ايفرمكتين" بتركيبته المخصصة لمعالجة العمى النهري في الانسان أوائل العام ١٩٨٦. وأدى العقار، في معظم الحالات، الى قتل الخيطيات التي تسبب العمى وشفاء الحكاك في ثلاثة أيام.

حزم سامبا حقائبه في خريف ١٩٨٧ وسافر الى الولايات المتحدة. وهو يذكر بعض الذعر الذي انتابه قبل اجتماعه الى روي فاجلوس رئيس مجلس ادارة "ميرك" في راواي: "لم تكن لدي فكرة عن الثمن الذي سيطلبه." فقد صرفت "ميرك" سبعة أعوام وملايين الدولارات لتطوير عقار "ايفرمكتين" الذي أعطته الاسم التجاري "مكتيزان."(٥) ولم يصدق سامبا ما سمعه عن قرار الشركة تأمين "مكتيزان" مجاناً لكل من يحتاج اليه لمعالجة العمى النهري ما دام ذلك ضرورياً.

وزع "مكتيزان" حتى الآن على ٤٠٠ ألف شخص في منطقة عمل البرنامج. وتوجهت فرق وطنية الى جميع القرى لتوزيع حبوب "مكتيزان" على الاهالي. والنتائج مشجعة، ففي مناطق حيث كان العمى واقع حياة، وحيث نزحت مجموعات

(٤) Ivermectin
(٥) Mectizan

سكانية بكاملها، تعود مستوطنات جديدة الى النمو.

زار ساميا احدى هذه القرى الجديدة على ضفة نهر في ساحل العاج، وتحدث الى شباب سعداء منتظراً وصول كبار السن. وعندما أتى ثلاثة مسنين لتحيته، كان صبيان صغيران يقودان اثنين منهم. لم يكن ثالثهم أعمى، لكنه بدا متردداً ومتعثراً قليلاً في مشيته.

يقول ساميا: "العمى يعني أشياء مختلفة هنا وفي بلدان اخرى. في الخارج نقول عن انسان انه أعمى اذا لم يتمكن من قراءة كتاب. أما هنا فهو أعمى اذا لم يتمكن من رؤية بقرته."

سأل ساميا الرجال المسنين عن المستوطنة الجديدة، فأخبروه أنهم سعداء بالعودة الى هذا الوادي، وأنهم ينظرون بأمل الى موسم رز وافر. وعندما سألهم عن اسم القرية هزوا أكتافهم ضاحكين، وقال أحدهم: "انها حديثة جداً، وليس لها اسم بعد."

نور في نافذة. في مايو (أيار) ١٩٨٩ خاطب ساميا هيئة المؤتمر السنوي لمنظمة الصحة العالمية في جنيف: "الآن، بتوافر مبيد اليرقان وعقار مكتيزان لمكافحة العمى النهري، تمت لنا سيطرة شبه شاملة على الوباء في منطقة عمل البرنامج. وسمح الدخل الاضافي، الناتج من استثمار ١٥ مليون هكتار من الاراضي الزراعية، بفضل نجاح البرنامج، باعادة توطين ١٧ مليون مواطن في مناطقهم. انني فخور بما حققناه من خلال برنامج مكافحة مرض العمى النهري، ولكن يبقى أمامنا الكثير مما ينتظر الانجاز. علينا أن نجد عقاراً يبيد الديدان البالغة المسببة للعمى النهري. وسيبقى خطر عودة الوباء كامناً ما دامت هناك ديدان بالغة، لاننا لا نستطيع اعطاء عقار مكتيزان للحوامل والمرضعات وللاطفال دون السن الخامسة."

قبيل المساء يعود الدكتور ساميا الى مكتبه في واغادوغو. تبدو عيناه زائغتين ارهاقاً اذ يلقي نظره على أكوام الاوراق التي تراكمت على طاولته خلال وجوده في أودبين. يحمل حقيبته المنتفخة ويسير تعباً عبر المبنى الخالي الى منزله، حيث يتجه مباشرة الى الفراش.

تهبط الظلمة على واغادوغو كغطاء مخملي أسود. هواء الليل ساكن. بعد حين يدق جرس بعيد معلناً الوقت: الاولى بعد منتصف الليل. فيضاء نور في نافذة غرفة الدكتور ابرهيم ساميا.

روبرت أندرسن ■

اصطلاحات اقتصادية

قال عميل بورصة محدداً: "الجمود الاقتصادي هو أن يفقد جارك وظيفته، والانهيار الاقتصادي أن تفقد انت وظيفتك، والكارثة الاقتصادية ان تفقد زوجتك وظيفتها."

و.ك.

سيرتها دليلي
في معارج الحياة



في مناسبة بلوغ والدتي عامها الثمانين، اقمتُ لها حفلة عيد ميلاد حضرها اكثر من سبعين من صديقاتي وصديقاتها. بدأ الأحتفال في الثالثة بعد الظهر يقينا مني أن العجائز سرعان ما يدركهن التعب، ولكن كم كنت مخطئة، اذ انه بعد مضي ١٢ ساعة، نالت شدة التعب مني ومن رفيقاتي فارتمينـا متهالكات في مقاعدنا نراقب والدتي وصديقاتهـا ينشدن اغنيـات الصبا والجمال. وقبل انتهاء الحفلة كانت والدتي ألقت عصاها جانبا وانطلقت هي وربعها وذراع الواحدة مشبوكة بذراع الاخرى يؤدين برشاقـة لا توصـف رقصـة فولكلورية.

كانت امي نورا التي ولدت عام ١٨٨٧، ثاني اولاد توماس وبريدجيت دركين اللذين كانا وصلا حديثاً الى الولايات المتحدة من كاونتي سليغو في ايرلندا. ولم تكد تبلغ الثالثة عشرة حتى كان سبعة إخوة لها آخرون يملأون شقة العائلة في مدينة نيويورك. وما لبثت ان عملت ساعية في احد المخازن الكبرى وتقاضت ثلاثة دولارات في مقابل ٤٨ ساعة عمل اسبوعيا. وكانت تسير يوميا ثلاثة كيلومترات ذهاباً واياباً لتوفر خمسة سنتات بدل نقل. وتابعت مساء علومها الثانوية ثم دراستها العليا. وارتقت اخيرا في وظيفتها وعينت مسؤولة عن قسم المشتريات.

رفقة الشقاء. عاشت امي قصة حب ايرلندية نموذجية، فقد خُطبت الى والدي سبع سنوات، وحين تبادلا خاتمي الزواج كانا في الاربعين من عمرهما تقريباً. وسرعان ما انجبا ثلاثة اولاد: جوزف وانا وجون.

وبعد سنوات قلائل من زواجهما، تمكن والداي من تحقيق حلمهما في امتلاك منزل. وكان هذا المسكن المبني من الطوب والمؤلف من ست غرف والواقع في البرونكس في نيويورك يساوي في نظرهما كل قصور الدنيا مجتمعة. ثم جاءت الأزمة الاقتصادية الكبرى اوائل الثلاثينات، فلحقت الخسارة بالمقهى الذي كان يملكه والدي ونفدت مدّخراتهما مما اضطر أبي الى صرف احد الندل والعمل عشرين ساعة يومياً، الى ان جاء يوم نام والدي ولم يستيقظ في الصباح تاركاً امي في الحادية والخمسين من عمرها وحيدة مع ثلاثة اولاد يثقل كاهلها رهن عقاري على البيت. تحملت والدتي حسرتها وواصلت الاهتمام بنا. وصيف ١٩٣٩، اي الصيف الذي توفي فيه والدي، اصطحبتنا امي، شقيقي وانا، لحضور المعرض العالمي. ولا يزال طيفها ماثلاً امامي في وشاح الحداد الاسود المتدلي خلفها فيما نحن نقفز عن مهبط المظلات.

كان من المستحيل الحصول على وظيفة في تلك الايام، ففكرت والدتي طويلاً في الأمر حتى وجدت الحل. وتصدّرت بابنا لافتة كُتب عليها: "غرف مفروشة للايجار". وبدأت معها قوافل من الناس تتقاطر على حياتنا واستمرت هكذا طوال السنوات الخمس التالية.

اتذكر ان احد المستأجرين تخلّف اسبوعين عن الدفع فحاول فجر احد الايام التسلل خارجاً على رؤوس اصابعه، ولكنه لسوء حظه ان امي التي تعودت اعادة ترتيب الاشياء، كانت غيرت في الليلة السابقة أماكن بعض المفروشات، فتعثر بمصباح فهرعت اليه ووجدته ممدداً على الارض فقالت له: "اذا كنت لا تملك المال فما عليك إلا ان تخبرني، والله يعلم انني أتفهّم ذلك." ولم تدعه يغادرنا قبل ان تعطيه دولارين.

لم تتمكن والدتي، على رغم ما بذلته، من الاستمرار في تسديد أقساط الرهن، فانتقلت بنا الى شقة من ثلاث غرف وهي على يقين اننا سنستعيد البيت يوماً ما. وهذا ما لم نتمكن منه قط. وكانت كلما زارت الحي القديم، تترقرق عيناها اذ تلاحظ كم نمت ورودها الزاهية.

كانت الأمومة رسالتها ومهنتها وهوايتها وشغلها الشاغل. وهي صممت على ان يحصل اولادها على كل ما يحتاجون اليه.

المأساة. ولد شقيقي جوزف قبل أوانه، وكان يزن أقل من كيلوغرامين. وفي سنته الأولى لم يغب لحظة عن ناظري امي. وباجتهاده عوضها تفانيها له، اذ حاز ميدالية التفوّق العام في كل من السنوات الثماني لدراسته الابتدائية وكان قائد كل

الفرق الرياضية في مدرسته وبطل كل المسرحيات التي قدمت فيها. وفي الثالثة عشرة من عمره أصيب بالتهاب في النخاع العظمي، فنصح الاطباء والدتي بضرورة اجراء جراحة له لاستئصال حرقفته انقاذاً لحياته. لكن المرأة المترملة حديثا اتخذت قراراً مذهلاً بالرفض وبألا تجعل من جو كسيحاً، ويقينها ان الله لن يأخذه منها. كان ذلك في عيد الميلاد. وحملنا، امي وجون وانا، الهدايا الى جوزف في المستشفى. كانت هديته الرئيسية عصا هوكي فوعدته الوالدة باستخدامها في السنة التالية. وهذا ما فعله.

تخرّج جو في الثانوية عام ١٩٤٤ واعلن انه سينخرط في البحرية. وعوض ان تحاول أمي ثنيه عن قراره بالاشارة الى ما ستعانيه العائلة من صعوبات مادية، تركته ينخرط في صفوف البحرية مع اصدقائه. وبعد ستة أشهر قامت الوالدة برحلتها الطويلة الوحيدة في حياتها، وذلك في طائرة نقلتها الى كاليفورنيا، لتكون الى جانب جو الذي كان يحتضر في المستشفى التابع للبحرية في لونغ بيتش بعدما اصيب بالتهاب السحايا الدماغية. وهي قالت آنذاك: "لم يكن في وسعي ان أدع جو يرحل في المرة السابقة، لكن الله يريده اليوم أكثر مما أريده أنا."

في حزيران من ذلك العام، اذ تخرجت في اكاديمية "فيلا ماريا"، أقامت أمي حفلة لم تشبها مظاهر الحزن اطلاقاً. فهي اعتبرت أن ذلك اليوم يومي وصمّمت على الا تدع أمراً يفسده. وبعد بضعة اسابيع انهى جوني بنجاح مرحلة دراسته الابتدائية فأقيمت له ايضاً حفلة تحاكي المناسبة. كان افتخار امي بنا عظيماً، فنحن لم نكن مجدّين في مدرستنا فحسب بل "نحتكر ايضاً كل درجات الامتياز."

وكوني الفتاة الوحيدة في العائلة، رأت امي ان من واجبها ان تسهر على سلامتي في سنوات صباي وتسدد خطواتي في معارج الحياة. وما عدت يوما الى المنزل متأخرة إلا وكانت الى النافذة تترقب قدومي. كنت اتأوه في سرّي وانتظر مناداتها المألوفة: "أهذا انت يا ماري؟ " ولكم وددت ان اجيبها: "لا. انا لست ماري." لكن اسلوبها هذا ترك أثره فيّ. اذ ادركت ان ثمة من أعود اليه دائماً.

الام والجدة. كانت غبطتها لا توصف حين بدأتُ، في الحادية والعشرين، بمواعدة وارن كلارك، فقد اعتبرته شاباً وسيماً لامعاً ومن عائلة محترمة جداً، وكانت والدته مديرة رابطة "اصدقاء الغابة." وللمرة الاولى انكفأت الوالدة عن برج مراقبتها الليلية عند النافذة وأوت الى فراشها باكراً متيقنة اني في امان مع ابن السيدة كلارك.

وسرعان ما وجدت الوالدة بعد زواجي من وارن سعادة كبيرة في أداء دور الجدة. ولم يزعجها قط ان تمضي ساعتين في الطريق تبدّل خلالهما ثلاثة

باصات لتصل الى منزلي في نيوجرزي للاعتناء باطفالي. وما ان بدأ هؤلاء يدرجون حتى اخذت تصطحبهم الى حديقة الحيوانات وتمثال الحرية والاستعراضات والشاطىء.

ولأن الوالدة لم تنسَ سنوات التقتير الطوال التي عاشتها، فقد كان الأولاد يشتكون أحيانا من ان جدّتهم ترغمهم على تقاسم قنينة صودا او سندويش. ووعدت مرة ابني البالغ آنذاك خمس سنوات ان تصطحبه الى قمة ناطحة السحاب "الامباير ستيت" في نيويورك. لكنها حين وجدت ان عليها ان تدفع ثمن بطاقتي الدخول الى منصّة المشاهدة، اسرعت بالصبي الى نافذة في الطبقة الخامسة والثمانين وقالت له: "ها نحن في القمة، اليس هذا مسليا؟"

احبت والدتي وارن كثيراً وسهرت على الاهتمام باموره الصغيرة. فكانت تحضّر له الشاي كما يحبه تماماً وتقلق لأنه لا يعتمر قبعة. بعد عشر سنين من زواجنا، بدأ وارن يحس بآلام في صدره. واصيب في السنوات الاربع التالية بنوبتين قلبيتين قبل ان تقضي عليه ثالثة.

وافقت امي على الاعتناء بالاولاد اثناء ذهابي الى العمل. وهي لم تكن طبعاً لتهتم فقط باطفال خمسة، بل اعتبرت أن دورها يشمل ايضا رعاية "فتاة شابة" اي انا.

عدتُ مرّة في منتصف الليل لأجدها تنتظرني في غرفة الجلوس، فانتهرتني قائلة: "ماري، ماذا سيقول الجيران عن فتاة في سنك تعود الى بيتها في مثل هذا الوقت؟" وكنتُ حينها في السادسة والثلاثين من عمري.

"أهذا انت؟" بدأت همّة الوالدة تهن. فهي عانت داء المفاصل مذ كانت في العشرين. ومع تقدمها في السن، انتشر المرض في ركبتيها وساقيها، وكان ضروريا على الارجح ان تلزم كرسيا متحركا، الا ان حاجتها الى مساعدة الآخرين كانت عظيمة الى درجة انها ظلت تكره أطرافها المتعبة على الحركة.

أخذ انتظام خفقان قلبها يختل اكثر فاكثر وادركتُ أن أوان رحيلها عن هذه الفانية أقترب. فقالت لي يوما في خمول ظاهر: "ماري، لقد اصطحبت الاولاد الى الشاطىء لكن كارول تاهت. لا اعتقد ان في امكاني الاهتمام بهم بعد اليوم." لقد فقدت القدرة على الاعتناء بالآخرين ولم تشأ ان يضطر احد الى الاعتناء بها.

لفّت امي في مغلف اسمر قديم مبلغ الف وسبعمئة دولار جمعته من بوالص التأمين الزهيدة التي سددت رسومها على مر السنين. وارفقته بكلمة صغيرة الينا، انا وجوني: "لا تنفقا اكثر من الف دولار على الجنازة. واعطيا كلا من احفادي مئة دولار." لكنها كانت تركت لنا إرثا لا يثمّن هو ايمانها بالله وتفانيها المتجدد ومحبتها اللامحدودة.

ولا تزال امي، الى اليوم، جزءاً منّا، وكثيراً ما تتردد في المنزل عبارة: "هل تتذكر حين كانت جدتي...؟" وبعد

الانتهاء من سرد القصة، لا يجرؤ احد على الضحك. وفي السنة التي كانت فيها باتي، صغرى بناتي، تستعد لدخول الكلية، امضت فترة بعد ظهر كاملة تنقب في العلية ثم عادت ملتفة بفستان زهري وقالت: "رائحة جدتي لا تزال فيه." كان شذا بودرتها لا يزال فعلاً ينبعث من القماش. ولبست باتي الفستان الى الكلية.

لكن الزمن يمعن في توغله وتصير الاشهر والفصول سنين وها انا واترابي صرنا الجيل القديم. لكنني ادرك انه حين يبزغ فجر يومي الأخير، لن يخامرني ادنى شعور بالخوف لان أول ما سأسمعه لدى عبوري الى الابدية هو ذلك الصوت الحبيب يسألني بقلق: "أهذا انتِ يا ماري؟"

ماري هيغنز كلارك ■

نادلة بالهواية!

سجلت النادلة طلبنا في أحد المطاعم، وجلست وزوجتي ننتظر الطعام. وبعد خمس دقائق عادت الينا النادلة لتقول ان ما طلبناه قد نفد. فطلبنا طبقاً آخر، فلم يكن متوافراً هو ايضاً. فطلبنا طبقاً ثالثاً.

وبعد عشرين دقيقة عادت النادلة مضطربة ومعتذرة: "لقد نسيت تحضير طلبكما."

لم نكن على عجلة من أمرنا، فقلنا للنادلة اننا سننتظر ريثما تجهز وجبتنا.

وتناولنا عشاء رائعاً بعد دقائق. وعند الدفع أحضرت النادلة الفاتورة (الحساب) وقد ارفقتها بملاحظة اضحكتنا: "أرجو أن تعودا، فانا لا اعمل هنا كل ليلة."

ك.غ.

للصبر حدود

كنت أساعد ابني في حل فروضه الحسابية "الحديثة" التي كانت تستغرق وقتاً طويلاً. فسألته: "الى متى تظن انك ستظل تحتاج الى مساعدتي؟"

أجاب بعد تفكير قصير: "نحو اربعة اشهر."

فهتفت مستبشراً: "وهل انت واثق من ذلك؟"

قال: "لست واثقاً بكفايتي يا ابي، لكني واثق بعدم قدرتك على التحمل اكثر."

س.س.

لا شيء يذكر

اعمل امين صندوق في احد المصارف. وذات يوم قدمت سيدة مع ابنتها لاتمام معاملة. وراحت الصغيرة تتطاول براسها وتقف على اصابع قدميها لترى ماذا يجري على المنضدة فوقها. وأخيراً ضاقت بها الام ذرعاً فحملتها ورفعتها قائلة: "أرايت؟ ليس هناك اي شيء يستحق النظر اليه."

ا.غ.



موجة سرقة السيارات تجتاح العالم، ولا ضير من بعض الارشادات لجبهها

كان على جو تمبلر ان يكون اكثر ادراكا من غيره لما يجري حوله، خصوصا انه يعمل في شركة كبرى لتأمين السيارات. قال في نفسه وهو يملأ خزان سيارته الجديدة في محطة محروقات: لا بأس اذا تركت مفتاح الاشعال في السيارة هذه المرة. ولكن، ما هي سوى لحظات حتى رأى السيارة تنطلق فيما هو منهمك بدفع ثمن الوقود.

تعتبر الولايات المتحدة واحدة من كبرى الدول التي تعاني انعكاسات سرقة السيارات، ففي العام ١٩٨٩ وحده سجلت فيها سرقة ١،٦ مليون سيارة اي بمعدل سيارة كل ٢٠ ثانية. ويتوقع الخبراء، اذا استمرت الحال على هذا المنوال، ان يتجاوز عدد السيارات المسروقة المليونين، سنويا، بحلول نهاية هذا العقد.

THIS ARTICLE IS COMPILED FROM THE FOLLOWING SOURCES: AIDE MAGAZINE (DECEMBER '90), © 1990 BY USSA, SAN ANTONIO, TEXAS; MICHAEL DE COURCY HINDS IN NEW YORK TIMES (SEPTEMBER 2, '89 & NOVEMBER 30, '90), © 1989, 1990 BY THE NEW YORK TIMES CO., NEW YORK, N.Y.; GEORGE E. CURRY IN CHICAGO TRIBUNE (NOVEMBER 22, '89), © 1989 BY CHICAGO TRIBUNE CO., CHICAGO, ILL.; JOHN TIERNEY IN NEW YORK TIMES

يقول بول غيليلند، رئيس المكتب الوطني لسرقة السيارات (NATB)، وهو مركز أبحاث يموله قطاع التأمين: "ان سرقة السيارات وباء أمريكي يطاول مباشرة اربعة ملايين ضحية سنويا." ويفوق ثمن السيارات المسروقة وما ينهب من أجهزتها، سبعة مليارات دولار، وهو رقم مذهل يسدد من الانفاق المباشر وارتفاع بدل عقود التأمين والضرائب لدعم تطبيق القانون على نحو أفضل.

"إنه كابوس" تقول مارغريت كرينشو التي سرقت لها سيارة جيب "تشيروكي" طراز ١٩٨٧ من مرأب سيارات في العاصمة واشنطن. وهي كانت دفعت ٢٠ ألف دولار ثمن هذه السيارة، لكن شركة التأمين المسؤولة عن المرأب عوضتها مبلغ ١٣٠٦٤ دولارا، بحسب اسعار السوق للعام ١٩٨٩.

ويُنحي معظم مسؤولي الشرطة باللائمة، في ارتفاع عدد السيارات المسروقة، على اللصوص المحترفين. ويقول الملازم الاول روبرت مورغان من قسم مكافحة جرائم السيارات في دائرة شرطة مدينة نيويورك: "انها مصدر مال رئيسي للجريمة المنظمة."

ويوضح ان السيارات المسروقة تفكك في "محل تقطيع" وتباع اجزاؤها الى افراد او الى باعة قطع غيار مستعملة. غير أن ثمة نحو ٢٠٠ الف سيارة أخرى تهرّب سنويا، وهي في حال جيدة، الى خارج البلاد، معظمها الى أمريكا الجنوبية والشرق الاوسط وأوروبا.

يسرحون ويمرحون. لا تتعدى نسبة عدد الذين يعتقلون في حوادث سرقة السيارات ١٥ في المئة، والسبب بحسب ما تشرحه باتريشيا إثريدج من دورية الشرطة العاملة على الطرق الرئيسية في ولاية تنسّي، أن دوائر قليلة في الشرطة تجري تحقيقات منتظمة في العمق، تتناول قضايا سرقة السيارات. ولأن السجون مكتظة بالمجرمين الخطرين فان القضاة يأمرون غالبا بتخلية اللصوص المدانين على ان يبقوا قيد المراقبة المستمرة.

ولا يستثنى من هذا الواقع سوى ولاية ميشيغن حيث اعتمد برنامج خاص عُين بموجبه ٩٢ ضابط شرطة وسبعة مدعين عامين للعمل دواماً كاملا في ملاحقة ٦٥ الف قضية سرقة سيارات تسجل سنويا. ومنذ العام ١٩٨٦، تاريخ بدء تنفيذ البرنامج، انخفض معدل سرقة السيارات في الولاية بحيث نقلها من المرتبة الثانية في البلاد الى المرتبة التاسعة.

لكن مثل هذا النجاح نادر. ففي الاشهر الستة الاولى من عام ١٩٩٠ ازدادت سرقة السيارات في كل أنحاء البلاد بمقدار ستة في المئة. ومن أصل ٥١ مدينة رئيسية في الولايات المتحدة وردت أسماؤها في تقرير حديث لمكتب التحقيق الاتحادي (FBI)، سجلت زيادات في ٣٤ منها بعضها بنسب حادة: ١٥ في المئة في نيويورك، ٣٦ في المئة في بلتيمور، ٤٠ في المئة في فورت لودرديل، ٥٧ في المئة في ليتل روك من ولاية أركانساس، ٦٢ في المئة في أوستن

عاصمة ولاية تكساس و٧٠ في المئة في فينكس. وفي الضواحي أيضاً حصلت زيادات ملحوظة.

ارشادات. كيف تستطيع انت حماية سيارتك من اللصوص؟

اذا كنت مقيماً في منطقة تكثر فيها السرقات او كنت تقود سيارة فخمة فخذ في الاعتبار تجهيزها بنظام أمان، يمكن أن تراوح كلفته بين ٢٥ دولاراً وألف دولار.

ويعمل بعض هذه الانظمة آلياً. فبمجرد اخراج مفتاح الاشعال يتوقف عمل مضخة الوقود وجهاز مطلق المحرك. وقد هبطت نسبة سرقة سيارات "شيفروليه – كامارو" و"بونتياك – فاير برد" طراز ١٩٨٩ بمعدل الثلث حين جُهّزت بمثل هذه الانظمة.

وفي عدد من البلدان يمكنك استخدام جهاز يرسل إشارات لاسلكية تتيح للشرطة تقفّي السيارة المسروقة. وقد زودت كاثلين توير، وهي بائعة اجهزة الكترونية من ويلند بمساشوستس، سيارتها الجديدة جهازاً مماثلاً وحين سرقت السيارة من موقف امام احد المتاجر الكبيرة اعلمت دائرة الشرطة بالحادث. وهي تقول: "لم أتوقع قط رؤيتها ثانية. لكن ما ان وصلت الى منزلي حتى تلقيت اتصالا هاتفياً من دائرة الشرطة أبلغت فيه انهم وجدوا السيارة امام احد المقاهي في جنوب بوسطن."

وثمة حلول أقل كلفة، مثل تركيب قضيب خاص من الفولاذ الصلب يجمّد مقود السيارة. ويبدو أن مجرد رؤيته في السيارة يردع اللصوص.

وهناك رادع آخر بسيط نسبيا وهو أن تطبع على زجاج سيارتك رقم لوحتها. فاللصوص المحترفون يعرفون ان السيارات المدموغة على هذا النحو يسهل اقتفاؤها ما يجعلها حراما على اصحاب محال التقطيع فيحجمون عن شرائها.

لكن اللافت ان يشكك بعض رجال الشرطة في فوائد اجهزة الانذار في السيارات. يقول جيري بويد رئيس دائرة شرطة المارتينيز بكاليفورنيا: "يميل الناس الى تجاهل الانذارات التي يتبين لهم أن عدداً كبيراً منها كاذب." ويرى عدد آخر من رجال الشرطة أن فضلى الوسائل الرادعة القليلة الكلفة هي ملصق على السيارة يحذر من انها محمية ضد السرقة بنظام أمني – حتى وإن لم يكن الامر كذلك. وبدأت السلطات التي واجهت أخيراً ضغوطاً شديدة في مدن أمريكية عدة تختبر حلا مماثلا قليل الكلفة، يتمثل بوضع اصحاب السيارات ملصقا أصفر زاهي اللون على احدى النوافذ يدعو الشرطة الى توقيف السيارة في اي وقت ما بين الاولى والخامسة صباحاً والتدقيق في اجازة السوق ورقم التسجيل. وقد استعيد ٩٠ في المئة من هذه السيارات المسروقة في دالاس عام ١٩٩٠.

بعض الوسائل. ان الحرص وحسن الدراية قد يساهمان، الى حد بعيد، في

حماية سيارتك. وهذا عدد من الوسائل الفاعلة:

●□ اقفل سيارتك واحتفظ بالمفتاح.

يقول مكتب NATB انه في ١٢ في المئة من السرقات كان مفتاح الكونتاكت (ادارة المحرك) لا يزال في مكانه.

●□ لا تترك اشياء ثمينة مكشوفة في سيارتك. وفي حال الاضطرار ضعها في الصندوق الخلفي بعيداً من الانظار.

●□ اوقف سيارتك في الاماكن المضاءة أو قرب سيارات اخرى او حيث يمر المشاة، خصوصا في الاسواق التجارية.

●□ حين توقف السيارة، أدر العجلات الامامية الى أقصى اليمين أو أقصى اليسار، وأحكم ضغط الكابح الاحتياطي وثبّت ذراع ناقل الحركة عند درجة التعشيق الاولى أو درجة التوقف، الامر الذي يعطل حركة العجلات الاربع معا ويصعِّب على السارق قطر السيارة.

●□ متى كنت في المنزل، أوقف السيارة في مرأب مقفل. واذا لم يكن لديك واحد منه، ففي الطريق الخاصة بالمنزل.

●□ لا تستخدم الاجهزة الممغنطة لاخفاء المفاتيح، فما من لص لا يعرف موضعها.

اخيراً تعلم درساً من جو تمبلر. فهو خالف القاعدة الاولى لتفادي سرقة السيارة: كل ما يمكنك فعله لجعل مهمة السارق أصعب، يعزز فرص احتفاظك بسيارتك.



بازار

سردت علينا معلمتنا تفاصيل دراسة نشرت حديثاً، فقالت: "تظهر التجارب ان اقتناء حيوان مدلل يحسِّن صحة المرء. فبمجرد مؤانسته وتمرير اليد على جلده يخف الشعور بالاجهاد ويهبط ضغط الدم."

كان الموضوع شائقاً. وفي نهاية الحصة كتبت المعلمة اسمها ورقم هاتفها على اللوح واضافت قبل أن تخرج: "بالمناسبة، وضعت هرّتي اربعة جراء. وانا على استعداد لاهداء جرو الى اي واحد منكم يرغب في تحسين صحته."

ب.هـ

فتاة البارحة

ردت ابنتي على مكالمة هاتفية من احدى صديقات شقيقها المعروف بكثرة صداقاته. فأخبرتها انه غائب، وسألتها هل تريد ان تترك له رسالة مع اسمها؟

قالت المتكلمة: "اخبريه فقط ان فتاة البارحة اتصلت به."

فردت ابنتي بعفوية: "وفي اي وقت من البارحة؟"

ب.ج.

اضواء من عالم الطب

حشو الاسنان ينقذها

■ كثير من عمليات قلع الاسنان غير ضروري. ومع ذلك تبين أن ٢٨ في المئة من الامريكيين، رجالا ونساء، لا يزالون يفضلون اقتلاع سن مؤلمة على اجراء عملية حشو للحفاظ عليها.

وتقضي عملية الحشو بتفريغ الجوف المعطوب للسن وحشوها بمادة سادّة خاتمة تتيح لها الاستمرار في أداء وظيفتها. والسن المحشوة قد تدوم طوال العمر، كما أنها مفيدة صحياً. اذ ان الاسنان تنزاح من مكانها بعد اقتلاع احداها فتهدد بالاصابة بامراض اللثة. فيضطر المريض، لتفادي هذا الخطر، الى شراء طاقم اسنان اصطناعية أو "جسر" يكلّفه اكثر من عملية حشو عادية.

وربع أولئك الذين يفضلون القلع على الحشو انما يفعلون ذلك خشية الألم. لكن التقدم في تقنيات التخدير جعل عملية الحشو خلواً من الألم.

نشرة "الجمعية الامريكية لاطباء الاسنان"

الغولف واصابات الظهر

■ اثبتت دراسة أجريت على ١١٤٤ لاعب غولف هاوياً في انديانا بوليس أن ٦٢ في المئة منهم يعانون اصابة أو اكثر من جراء هوايتهم، وكثير منها كان يمكن تفاديها. والسبب الأكثر شيوعاً لهذه الاصابات هو الافراط في اللعب، اما السبب الآخر الذي يكاد لا يقلّ اهمية فهو الافتقار الى اللياقة البدنية.

أسفل الظهر هو احد الاماكن الأكثر تعرّضا للاصابة خلال اللعب. ويعاني خمسون في المئة من لاعبي الغولف مشكلة ما في ظهرهم. ولتفادي مشاكل الظهر ينصح الباحثون بتمارين التمطّي قبل اللعب وبعده من اجل تحمية العضلات وتبريدها، كما ينصحون بالتدرب مع لاعب محترف لتحسين قدرات اللعب.

نشرة "جونز هوبكنز" الطبية

احذية الاطفال

■ يعتقد كثيرون أن الاحذية التقويمية الجلدية ذوات الكعب العالي ضرورية لتوفير دعم اضافي للأطفال الحابين الذين يتعلمون المشي. لكن دراسة اجريت في جامعة كاليفورنيا الجنوبية بينت أن الأحذية الواطئة الكعب (السنيكرز) قد تكون افضل. فقد راقب الباحثون ٣٦ طفلا حابياً تراوح اعمارهم بين ١٨ شهراً و٣٠ شهراً يسيرون حفاة، وبأحذية "سنيكرز" قماشية واطئة الكعب، وبأحذية جلدية قاسية النعل. كان توازن الأطفال وثباتهم افضل حين مشوا حفاة أو منتعلين أحذية "سنيكرز."

تقول المعالجة الفيزيائية ميشيل لارسون: "ان وظيفة أحذية الأطفال توفير الحماية لا الدعم، وهذا ما تفعله السنيكرز جيداً."

نشرة جامعة كاليفورنيا الجنوبية

لسع الحشرات

■ خلصت دراسة شملت ٢٤٢ ولداً وأجراها باحثون في مؤسسات جونز هوبكنز الطبية في بالتيمور، الى أن الاولاد الحساسين تجاه لسع الحشرات نادراً ما يصابون بتأثيرات أسوأ في حال تعرّضهم للسع ثانية، وبالتالي فهم ليسوا في حاجة الى الحِقَن الكثيرة المضادة للحساسية التي توصف لهم غالباً.

ظهرت "كدمات" جلدية على جميع الاولاد الذين شملتهم الدراسة لدى تعرّضهم للمرة الأولى للسع نحل أو دبابير أو زنابير أو زراقط. لكن نسبة تقل عن ١٩ في المئة منهم تبقعت بشرتهم لدى تعرضهم للسعة ثانية، ولم تكن البقع على أجساد هؤلاء أسوأ مما كانت بعد اللسعة الاولى.

وتلاحظ الدراسة أن عدداً كبيراً من الاولاد يتلقون علاجاً غير ضروري بواسطة الحقن لازالة حساسيتهم تجاه سمّ الحشرات. وخلافاً للعرف التقليدي الذي يتوقع بروز أعراض أسوأ بعد كل لسعة، تشير هذه الدراسة وغيرها الى أن حساسية الأولاد تجاه لسع الحشرات غالباً ما تخفّ أو تختفي من دون معالجة طبية.

نشرة "جونز هوبكنز نيوز"

أمل لابناء هيروشيما

■ حين هوت القنبلتان الذريتان الاوليان على مدينتي هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين عام ١٩٤٥، اعتقد العلماء أن تعرّض الناجين للاشعاع الذري سوف يحدث تبدلات وراثية في البييضات والخلايا المنوية تؤدي الى نشوء أجيال مبتلية باختلالات خِلقية أو بالسرطان أو بالوفاة المبكرة.

لكن الأمل باق. اذ ان اختبارات أجريت على ٧٢٢١٦ شخصاً من أبناء المواطنين الذين تعرّضوا للاشعاعات الذرية لم تلحظ أيّ زيادة في الاختلالات الخِلقية أو اصابات السرطان أو شواذ الصبغيات (الكروموزومات). ويخلص جون بويس من المعهد الوطني الأمريكي للسرطان الى أن "البشر اليوم يَبدون اقل حساسية مما ظُن سابقاً تجاه التأثيرات الوراثية للاشعاعات."

ويناقض هذه الاكتشافات الخوف الكبير من أن ضحايا الاشعاع يحملون داخلهم تقلبات سوف تكبد ذرياتهم اضطرابات وراثية. فالى اليوم ما زال قليلون مستعدين لتزوج ابن أو حفيد لاحدى ضحايا القنبلتين. كما يرفض كثير من اليابانيين الناجين من الانفجار الذرّي الافادة من الامتيازات الصحية المخصصة لهم. ويأمل الباحثون أن تساعد هذه الاكتشافات الجديدة في تبديد المخاوف القديمة السائدة.

مجلة "نيوزويك"

فكروا وأنتم واقفون

■ هناك أناس كثيرون يفكرون أسرع وهم واقفون.

يقول الباحث ماكس فركرويسن من جامعة جنوب كاليفورنيا: "الوقوف يُحَسِّن سرعة الارتكاس (رد الفعل) خصوصاً عند المسنّين والعاملين في مهمّات صعبة."

ويضيف فركرويسن أن اختباراته التي أسندها الى دراسات سابقة للعالمة بمشاكل الشيخوخة انيتا وودن، ركزت على مهمّات تتطلب سرعة في أخذ القرار وأظهرت أن سرعة الناس في تحليل المعلومات تزداد ما بين ٥ و٢٠ في المئة عندما يكونون واقفين.

وكالة "رويتر"

سويسرا تدخل عصر التحولات

على رغم الصعاب، يواصل شعب سويسرا المتعدد الاصول والجذور مسيرته الرائدة في العالم

مرج البي أخضر، تحوطه غابة من الجانبين، يستحم في اشعة شمس ساطعة، ويشرف على بحيرة كبيرة تتربع في حضن جبال شامخة. وتتناهى عبر مكبرات الصوت عبارات رجل يحمل اسماً ايطالياً ويتحدث بالالمانية. ثم ينتقل الى الفرنسية ومنها الى الايطالية فالرومانشية وهي اللغة الاقل انتشاراً في البلاد. ولم يجد الحضور صعوبة في تتبع أقواله من لغة الى أخرى، فهذه هي سويسرا على أي حال.

وضم الحضور بغالبيته ممثلين عن كانتونات "اوري" و"اونترفالد" و"شويز" (وهي "ولايات" شبه مستقلة) التي انبثق منها الاتحاد السويسري الحالي. وقدم هؤلاء للاحتفال بحدث رائع ليس في الحسبان، هو الذكرى المئوية السابعة لولادة أولى ديموقراطيات العالم الحديث.

وبدا مكان الاحتفال هذه السنة جميلا كما كان في أحد أيام اغسطس (آب) قبل سبعة قرون عندما شهد اجتماع ٣٠ رجلا من الوديان الثلاثة المجاورة.

مزارعون ومربو ماشية قطعوا الجبال والوديان والتقوا في مرج روتلي ليتحدوا ضد الخطر الداهم من النمسا. وبدأ بيد حققوا خطوة لم يسبق لها مثيل في تاريخهم. ولم يكتفوا بالاتحاد بل وقعوا أيضا وثيقة رسمية التزموا بموجبها التعاون الدائم.

وأعلن رسميا في ذلك الاجتماع تأسيس سويسرا التي انضم اليها لاحقا عبر القرون ٢٣ كانتونا أُخر على رغم الفوارق الثقافية في ما بينها. واندمجت الكانتونات في نهاية المطاف وشكلت مزيجا فريداً لأمة تعد ٦،٦ ملايين نسمة، ٦٥ في المئة يتكلمون الالمانية و١٨ في المئة الفرنسية و١٠ في المئة الايطالية وواحد في المئة تقريباً الرومانشية، أي لغة الرومان القدامى الذين سكنوا الشرق.

الاكثر تقدما وثراء. سويسرا خلابة حقا. وجمال طبيعتها الأخاذ تحاكيه روعة الخصال المدنية لمواطنيها ونوعية منتوجاتها وصلابة اقتصادها الحر الذي جعل هذا البلد الجبلي الصغير أحد أكثر البلدان تقدما وثراء في العالم.

وتجمع سويسرا أعلى مستوى معيشة في العالم (الناتج القومي الاجمالي ٢٦٠٢٠ دولارا للفرد سنويا) وأقل نسبة بطالة (أقل من واحد في المئة). وتتمتع بنقد قوي وقطاع صناعي مزدهر يحظى بدعم الاتحادات العمالية التي أضربت للمرة الاخيرة عام ١٩١٨. ويسهر الجيش السويسري القوي (يعتبر أكبر جيش في اوروبا الغربية) على أمن البلاد لكنه لا يتدخل في الحروب والمعارك لأن البلاد تلتزم الحياد رسميا.

إن سويسرا تستحق، بلا شك، هذا الاحتفال الكبير بذكرى تأسيسها وحشود السياح التي أمتّها هذه السنة. غير أن ستار الاحتفال والفرح هذا يحجب قلقا وانزعاجا مستمدين من بعض الحقائق البغيضة التي يفترض الا تلطخ مجتمعا مثاليا كالمجتمع السويسري. فسويسرا الطاهرة والديموقراطية لم تستطع درء المشاكل التي افسدت مجتمعات البلدان الاقل ازدهاراً وخصوصا مشكلة المخدرات التي تحز في النفوس.

والاحصاءات السويسرية واضحة وبسيطة ومعها تسطع الحقيقة المرة: لقد تأكد أن البلاد تعاني اليوم أعلى نسبة من إصابات الايدز بين الدول المتطورة. وينتشر هذا الداء، كما في أي مكان آخر، من خلال الابر التي يتبادلها مدمنو المخدرات. ويقول جوزف غاتزي رئيس شرطة المخدرات في زوريخ كبرى مدن سويسرا وأوفرها ثراء: "انها آفة المجتمعات العصرية. فالمدمنون شبان يعانون مشاكل إما مع عائلاتهم واما في دراستهم أو في احترافهم لمهنة ما. ويقدر عدد المدمنين في مدينتنا بنحو ٣٠٠٠ معظمهم من السويسريين، لكن تجار المخدرات هم في غالبيتهم من الغرباء، اتراك ولبنانيون ويوغوسلاف، ونأمل أن نتمكن قريبا من تطهير البلاد من هذه الآفة."

وغاتزي ممتعض لأن الغرباء متورطون في جريمة تسميم حياة الشباب السويسريين. لكن الواقع أن سويسرا لا تستطيع الاستغناء عن اليد العاملة الاجنبية. فهي في حاجة الى أشخاص يرضون القيام بأعمال يأنفها السويسري كجمع النفايات والبناء وصيانة الطرق. وهكذا فان الأجانب يشكلون نسبة تقارب الـ٢٠ في المئة من القوة العاملة في سويسرا وهي نسبة تفوق بأشواط تلك التي سجلتها الدول الغربية الاخرى.

بين الطهارة والقذارة. أن يسلك البعض طريق الشر والجريمة فهذا امر لا مفر منه احيانا. والسويسري الذي يثور لدى رؤيته المومسات وتجار المخدرات المتجولين، يميل أكثر الى تحميل الاجانب المسؤولية كاملة في هذا الشأن. والنتيجة

ان هذا البلد الاوروبي الاكثر تعدداً للاعراق واللغات بات الاقل تسامحاً مع الوجوه الغريبة، فيما المزيد من مواطني العالم الثالث المتعطشين الى العمل يقفون في طوابير على ابوابه. ففي العام المنصرم طلب ٣٦ الف أجنبي حق اللجوء السياسي الى سويسرا فقبل ٤،٩ في المئة منهم فقط، وتم ايواؤهم في مناطق مختلفة ريثما تستكمل دراسة ملفاتهم لأن فكرة استقبال لاجئين لا تلقى ترحيبا من الجميع. ويلخص بيتر اربينز الوضع بالآتي: "لقد بلغنا الخط الاحمر."

وحتى وقت قصير، كانت سويسرا تستقبل، من دون تحفظ، واردات من نوع آخر هي المال. فثمة مليارات من الدولارات مكتسبة بطرق غير شرعية (تعرف بـ"القذرة") ومبالغ ومساعدات نهبها طغاة في العالم الثالث واموال ابتزاز وأرباح تجارة المخدرات العالمية ادخلت حسابات مصرفية سرية لتخرج بعد ذلك "مبيضة" ومتسترة وراء استثمارات نظيفة شريفة في شكل سندات مالية ومشاريع شرعية في أنحاء العالم.

وتهمة التواطؤ مع المجرمين قد تروع الغالبية الساحقة من المصرفيين السويسريين وهم من خيرة المواطنين. ولكن عدم السؤال عن مصادر الأموال المودعة، وهي السياسة التي درج عليها النظام المصرفي السويسري، شكل دعوة مفتوحة للاستغلال. ولكن في أواخر الثمانينات من هذا القرن، وبعد استقالة وزيرة العدل اليزابيت كوب إثر فضيحة "تبييض" أموال غير شرعية، سنت قوانين جديدة أخضع بموجبها القطاع المصرفي للناموس الاخلاقي. ويقول هلموت رانيك الناطق باسم "الكريديه سويس" وهو ثالث المصارف الكبرى في البلاد: "ما زلنا نحافظ على السرية بالنسبة الى زبائننا. ولكن هذه السرية لم تعد سرية اخفاء المجرمين لأننا لا نريد أموالا "قذرة" اي مكتسبة بطرق غير شرعية."

واذا كانت المجموعة المصرفية السويسرية اظهرت تعاوناً في هذا المجال مع البلدان الاوروبية الاخرى، فلأنها شعرت بتحد كبير آت من وراء الجبال يتمثل بالمجموعة الاوروبية (دول السوق الاوروبية المشتركة) التي شكل التعامل معها هاجس سويسرا الاول.

فقد جهدت سويسرا، منذ نشأتها، لبناء أمة على سياسة الاكتفاء الذاتي. وكلما اقترب موعد توحيد السوق الاوروبية المقرر لما بعد السنة ١٩٩٢، ارتفعت أصوات الخبراء الذين يتساءلون عن مصير التجارة السويسرية، هذه الجزيرة الصغيرة وسط بحر اوروبي جبار. ويقال ان سويسرا التي رفضت بعناد الانضمام الى كل من السوق الاوروبية والامم المتحدة (صوت السويسريون ضد الانضمام اليهما في استفتاء أجري عام ١٩٨٦)، بدأت تشعر بقرب نهاية سياسة الاكتفاء الذاتي.

لكن رجال الاعمال يحبذون بغالبيتهم

إجراء مفاوضات مع دول السوق بغية تعجيل انضمام سويسرا الى المجموعة الاوروبية. الا انهم يقرّون، من ناحية أخرى، بأن هذه العضوية تتطلب تضحيات جبارة. ذلك ان تبني قوانين المجموعة وحده (نحو ٥ آلاف قانون) يشكل انتقاصاً فادحاً للسيادة. غير أن قرار العضوية يتخطى، في الواقع، حدود جرح الكرامة. فالسويسريون يتخوفون، عن حق، من أن تجذب اليهم هذه العضوية اليد العاملة الرخيصة التي تشكل خطرا على معاشاتهم المرتفعة من جهة، كما تجذب اليهم، من جهة اخرى، الأجانب القادرين على تملك الارض. ويحلل والتر فراي وهو نائب محافظ ما يمكن أن يؤول اليه الوضع بالآتي: "إن فكرة السيادة المطلقة ستزول، هذه السيادة التي جسدت روح سويسرا والازدهار والتقاليد."

ويقول هانز بار مساعد مدير مصرف "جوليوس بار"، أحد أهم مصارف سويسرا الخاصة: "لا مفر من ذلك." وهو يعكس نظرة رجال اعمال متشددين. ويضيف: "كثيرون هم الذين لا تروقهم فكرة المجموعة الاوروبية، لكنها مسألة حياة او موت بالنسبة الينا والعضوية شبه محتمة اذا ما دعينا اليها."

ويخفي التحفظ ازاء المجموعة الاوروبية كرهاً عميق الجذور للحكم الموسع وتعلقا شديداً بنظام فريد من الديموقراطية المباشرة. فالحكم السويسري لامركزي، أساساً، يمنح سلطات مهمة للمجالس المحلية والكانتونات الستة والعشرين التي يحظى كل منها ببرلمانه الخاص ودستوره وقوانينه وانظمته وموازنته. والحكومة الاتحادية ملزمة استفتاء الشعب في كل المسائل المهمة. ويمكن المواطنين الدعوة الى استفتاءات وطنية اذا تمكنوا من جمع ١٠٠ الف توقيع.

والنتيجة هي ان سويسرا تعتبر، بلا منازع، البلد الذي يكثر فيه التصويت. ومع ان المواطنين السويسريين يتذمرون أحياناً من التصويت وإزعاجه، لكنهم، رغم ذلك، ضنينون بهذا الامتياز. وهناك خمسة كانتونات لا تزال موازناتها تخضع للمصادقة الشعبية، فيجتمع لهذه الغاية نوابها المنتخبون برفع الايدي، في الساحة الرئيسية لعاصمة الكانتون.

الغاء الجيش. فيما تشهد اوروبا تغييرات جذرية، أظهر استفتاء وطني أجري في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩ أن أعداداً كبيرة من السويسريين ترغب في القيام بقفزة، غير متوقعة، في المجهول. وكان موضوع الاستفتاء إلغاء الجيش وأتت النتيجة مدهشة إذ وافق ٣٥ في المئة من الشعب على هذا الموضوع.

ولكن كيف تم ذلك؟ فالسويسريون يعتدون بقواتهم المسلحة التي يلقى فيها كل مواطن تدريباً أساسيا لمدة أربعة أشهر، تتبعه دورة سنوية تستغرق ثلاثة أسابيع على الاقل يلزم خلالها أرباب العمل بدفع اجور الملتحقين بها. وهكذا

فان سويسرا قادرة على تعبئة قوة مقاتلة كاملة التدريب تعد ٦٢٥ الف عنصر خلال ٤٨ ساعة، ونشرها في أماكن معينة وممونة سلفاً. وليست مصادفة أن تترك سويسرا وشأنها خلال الحربين العالميتين.

واليوم، مع انتهاء الحرب الباردة، يتساءل السويسريون أكثر فأكثر عن جدوى تخصيص ٢٠ في المئة من الموازنة الاتحادية لحماية الحياد الذي فقد معناه بالنسبة الى الذين صوتوا ضد الابقاء على الجيش.

في الربيع المنصرم قررت الحكومة الاتحادية، في ضوء نتائج الاستفتاء، خفض عديد أفراد الجيش الى ٤٠٠ الف من جهة، ومعدل سن الخدمة من ٥٠ الى ٤٢ سنة، من جهة اخرى.

وفي يونيو (حزيران) الماضي ظهرت نسبة مئوية جديدة أثارت دهشة كبيرة اذ قلبت الفكرة السائدة عن العقلية التقليدية. فقد تبين من استطلاع للرأي العام أن ٥٤ في المئة من الشعب تؤيد انضمام سويسرا الى المجموعة الاوروبية. وهكذا بين استطلاع واستفتاء يظهر تفاوت في الرأي يتعذر التنبؤ به. فالحجج الاقتصادية المتماسكة التي تقدم بها أمثال هانز بار لا تصمد كثيراً في وجه انتقادات المواطنين العاديين خصوصا عندما يساوون بين المجموعة الاوروبية من جهة وتدفق الاجانب أو مواكب الشاحنات العملاقة، من جهة أخرى التي تؤدي الى تلوث جبال الالب النقية. وبدأ بالفعل ستار من الضباب والدخان يغطي الجبال في المناطق التي تشهد زحمة سير. لكن الوضع يزداد سوءاً على الطريقين الرئيسيتين اللتين تصلان سويسرا بألمانيا وايطاليا عبر ممري سان غوتار وسان برنار الكبيرين. ويقدر العلماء أن الدخان المنبعث من عوادم السيارات أتلف أكثر من نصف الثروة الحرجية في جبال الالب السويسرية. ولكن، في حال انضمام سويسرا الى المجموعة الاوروبية، فسيترتب عليها رفع حد أوزان الشاحنات التي تعبر طرقاتها، من ٢٨ طناً الى ٤٠ طناً مما سيؤدي الى مرور شاحنات أكبر واستفحال التلوث. وثار أنصار الطبيعة لمجرد احتمال تنفيذ هذه الخطوة فيما استعد آخرون لمعالجة هذه المشكلة على الطريقة السويسرية القديمة التي تقضي بتحقيق مشروع "ألب ترانزيت،" وهو نفق كبير يخترق الجبال ويؤدي الى تخفيف التلوث من خلال نقله الشاحنات على متن قطارات. وقد وافق مجلس النواب الاتحادي على هذا المشروع الذي لا يزال يستلزم عملا طويلا وشاقاً فضلا عن عشر سنين على الأقل لحفر الجبال وبناء النفق وسط الغرانيت الصلب. لكن السويسريين أمضوا قروناً عدة في بناء الانفاق والجسور والطرق ومد السكك الحديد وكدوا في سبيل إنشاء بنية تحتية رائعة في منطقة جرداء كانت لتزرع الاحباط في نفوس من هم أقل عزماً وإصراراً.

ولمست هذا العزم الراسخ أينما ذهبت في سويسرا. غير أنه لم يكن لافتاً في أي مكان بالمقدار الذي تحسسته لدى بول يانز صاحب فندق "فروهسين" في ارستفلد جنوب لوسرن. فقد ورث يانز (٤٠ عاماً) الملتحي والقوي البنية، أصغر فندق في المدينة وحوله أكبر فندق فيها (٢٨ غرفة). وهو دائم الانشغال فإما يحسن أو يخطط او يستحدث. كما لا يكف عن العمل عبر عضويته في مجلس البلدية ومن خلال كونه مديراً لمصلحة الاطفاء والدفاع المدني.

يقع المقر الرئيسي للدفاع المدني تحت الارض خلف باب فولاذي حفر في الجبل الذي يعلو المدينة. ويؤمن هذا المقر بيئة اصطناعية مصغرة كاملة مضادة للحرائق والقذائف والغاز. وقد زود كل ما يحتاج اليه لاداء مهمته، من الكاشفات الضوئية الكهربائية والثاقبات وصولا الى عدادات جايجر، لقياس الاشعاع النووي، وأقنعة الغاز. وصنفت هذه المعدات بشكل واضح وأعدت لمواجهة اي طارىء في أي لحظة. وأخبرني يانز أن المدينة تضم أربعة مقرات مشابهة لهذا المقر مخصصة لحماية سكان ارستفلد في حال اندلاع الحرب.

عالم من خيال. غادرت هذا العالم الذي ينتمي الى الخيال العلمي برفقة يانز وتوجهنا الى كنيسة صغيرة بنيت عام ١٥٨٨ في مدينة بورغلن الاخاذة. ووقفنا بجانب المدفن حيث "تستريح" أجيال من الأسلاف فيما راحت أجراس الكنيسة تقرع وتصم آذاننا بجلجلتها. وسرّحنا ناظرينا في الوادي الصغير الذي امتد عند اسفل التلة. وبذل يانز قصارى جهده للتظاهر باللامبالاة لكنه لم يستطع كتم كبريائه فقال بجدية: "أنا راض بالحاضر لكني لست راضياً بعد بالمستقبل وأريد أن أقوم بقسطي لأجعله أفضل."

وفي اليوم التالي حدقت الى الريف من خلال نافذة القطار الذي حملني وانسل عبر جبال الالب. وما رأته عيناي كان درسا ميدانيا وتطبيقيا لما رمى اليه يانز في حديثه: طرق مخططة وأبقار سمينة ترعى في مراتع نظيفة وفناءات كنست ورتبت كما لو انها تستعد للتفتيش ورجال ينظفون بعناية الدغل على جانبي الطرق.

إن السويسريين اليوم، كما في الامس البعيد أي قبل سبعة قرون، يعملون بكد وعزم لا يلين لجعل بلدهم أفضل مما هو.

قلت في نفسي: عيداً سعيداً يا سويسرا، لا تتغيري مهما حصل.

رودولف شلمنسكي ■

سائقات

كنت مع والدتي واثنتين من صديقاتها نجوب شوارع المدينة ليلا في السيارة. فهتفت والدتي فجاة: "يا الهي! كنت اقود السيارة وانوارها مطفأة!"

فقالت إحدى الصديقتين: "لا باس، لم يرنا أحد."

م.ف.

حكايات من العالم

عرسان يوغوسلافيا

□■ ايها الشبان، اذا كنتم تعتزمون الزواج فابتعدوا عن بلدة غورازدي. الا تعلمون ماذا يحصل هناك؟ عندما يعلن موعد زواج مقبل، يبادر جيران العروس الى الامساك بالعريس وجرّه خارج البيت. ثم يربطونه الى عمود قريب من نار مضرمة، ويروّحون باللهب في اتجاهه. ولكي تتفادى والدة العروس تحويل صهرها العتيد شواء، يتعين عليها تقديم الطعام والشراب الى الجميع، وبعد اعداد المائدة يُفك رباط العريس ويسود المكان لهو ومرح. لذلك، ايها السادة، تجنبوا فتيات غورازدي ما لم تكونوا على يقين من أن حماتكم تحبكم حقا.

صحيفة "غازيت"

طريق المايا

□■ قبل اكثر من ثلاثة آلاف سنة ظهر شعب المايا في شبه جزيرة يوكاتان القاسية في امريكا الوسطى وارسى حضارة ازدهرت في زمن كانت اوروبا غارقة في ظلمات القرون الوسطى.
وكانت لدى المايا روزنامة كتلك المعتمدة في العالم الحديث. واستنبط سكان المايا مفهوم الصفر وتتبعوا مسار كوكب الزهرة بفارق يوم واحد كل ٦٠٠٠ سنة.
وفي القرن السادس عشر كانت حضارة المايا الكلاسيكية اندثرت حين قدم الفاتحون الاسبان واطلقوا عليها "رصاصة الرحمة."

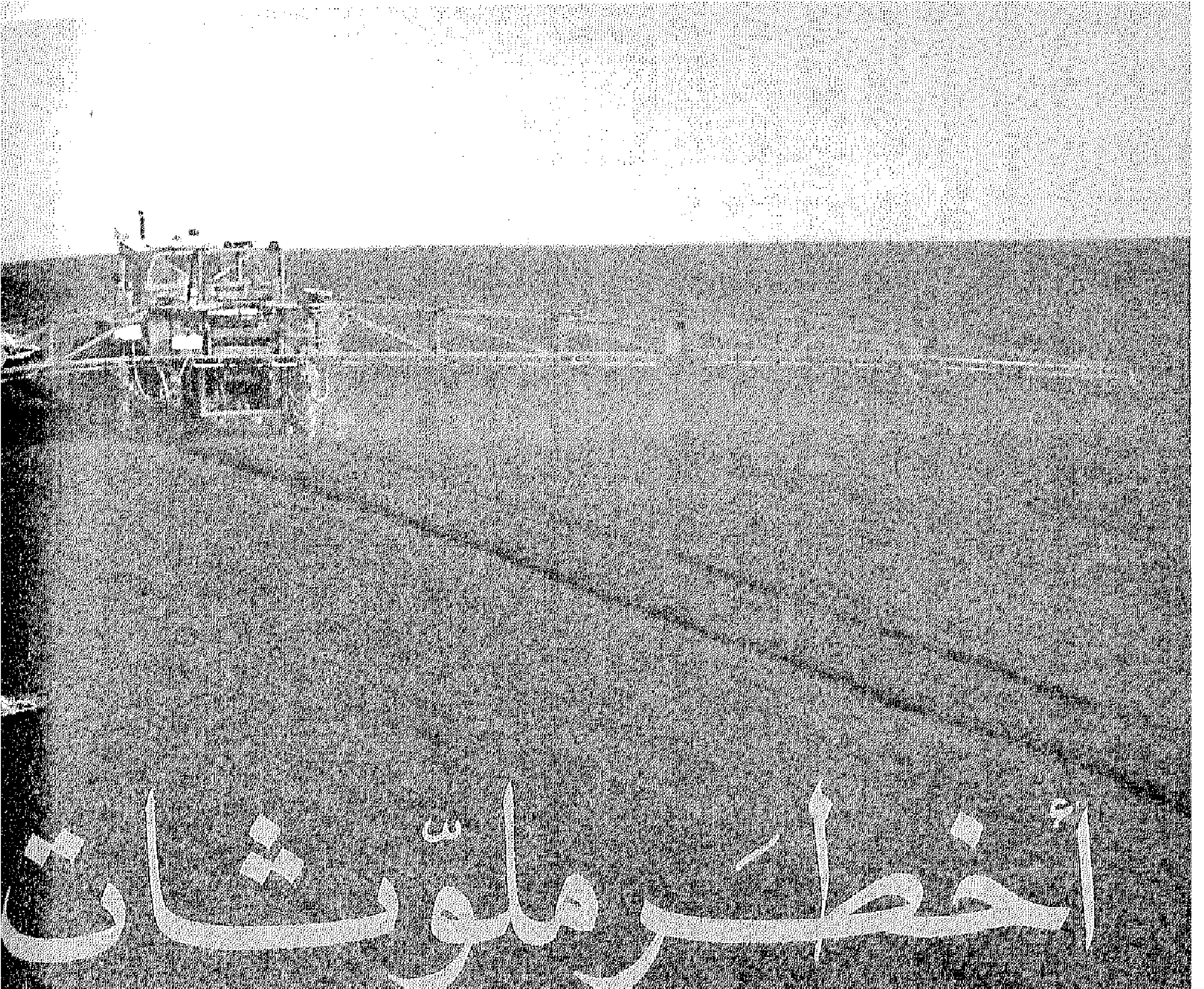
واليوم تتبلور فكرة جريئة من المكسيك وغواتيمالا وهندوراس وبيليز والسلفادور التي كانت كلها مواطن شعب المايا، تقضي بانشاء "لا روتا مايا" وهي طريق تمتد ٢٥٠٠ كيلومتر وتقطع حدوداً دولية عدة وتصل مواطن المايا الرئيسية بعضها ببعض. وياتي يوم يصبح في امكان السياح، بتاشيرة سفر موحدة، زيارة مناطق تندر رؤيتها الآن. وبواسطة سكة حديد مفردة او قطار كهربائي عبر المناطق الحساسة بيئيا، يمكن تفادي تدمير الغابات الذي يرافق شق طرق جديدة. "لا روتا مايا" هي احدى سبل الحفاظ على تراث المايا وعلى الغابة الاستوائية التي تكتنفه.

مجلة "ناشونال جيوغرافيك"

أكواخ اليابان

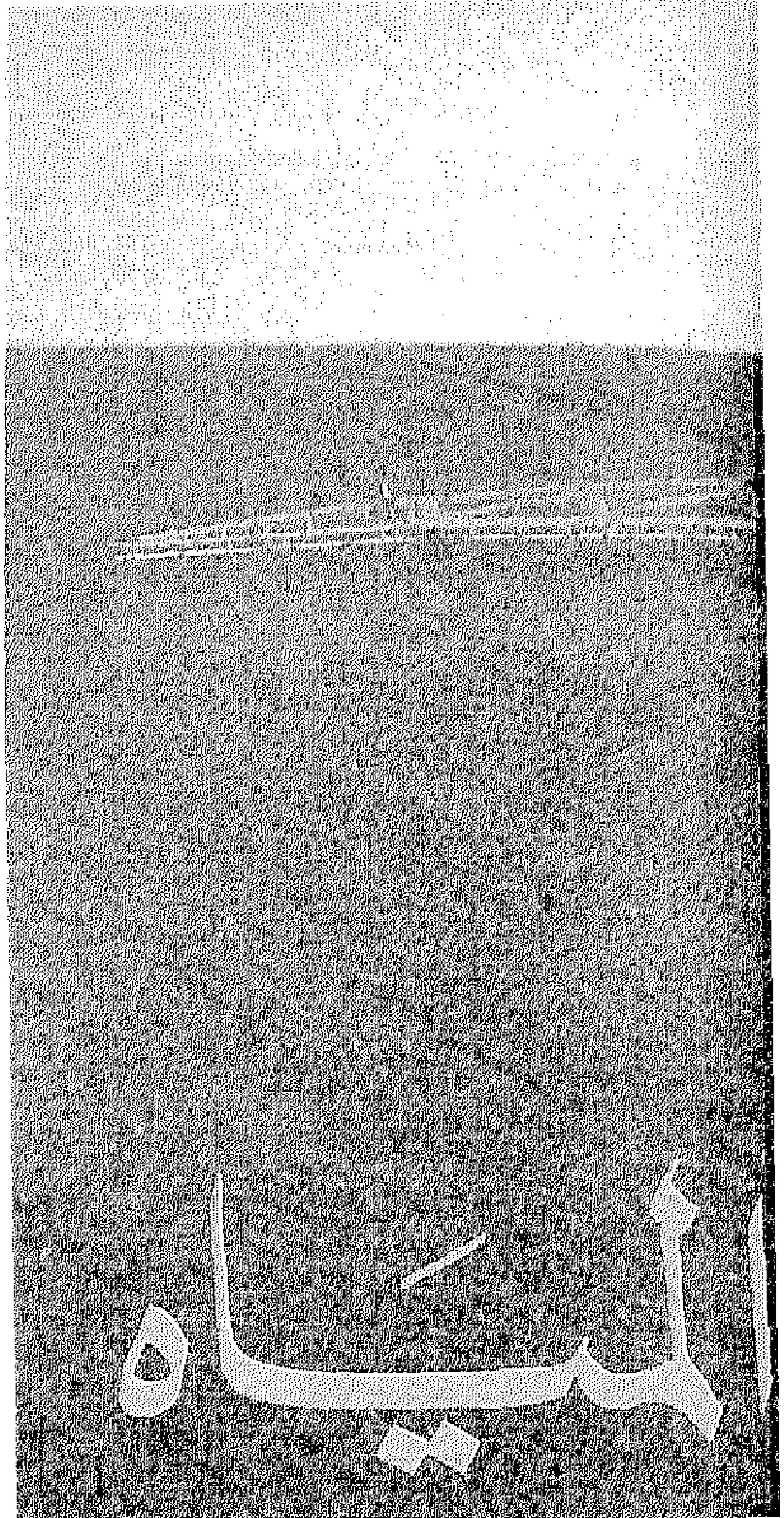
□■ اصبحت الاكواخ المبنية بجذوع الشجر هوسا في اليابان. فهناك مجمّعات سكنية من هذه الاكواخ في منتجعات وقرى جديدة قيد البناء تؤمن المنامة وفطور الصباح على مدار السنة.
وحلّقت مبيعات الاكواخ في السنوات الخمس المنصرمة، ومعظم الشارين من سكان الشقق في طوكيو. يقول مستورد الاكواخ كوتارو نودا: "لقد ارتفعت اسعار العقارات في المدينة بحيث يئس الناس من قدرتهم على شراء مسكن فيها. لذا يسعون الى شراء قطعة ارض صغيرة في الريف يشيدون عليها كوخا من جذوع الشجر."

مجلة "فورتشن"



عندما نفق ١٥ كلبا و٢٠ حملاً في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩ قرب خزّان روتلاند الضخم في لسترشير ببريطانيا، أرسلت مديرية الانهر خبراء لاجراء تحقيق. فاكتشفوا أن الخزان الذي وردته الحيوانات للارتواء اكتسى طبقة كثيفة من الطحالب الخضراء المزرقّة المولِّدة للسموم. وإذ أثار هـذا الأمر قلق السلطات، عمدت على الفور الى وقف النشاطات الترفيهية في المكان وفي ٢٥ خزانا وبحيرة وبركة تعاني مشاكل مماثلة، الى حين اختفاء هذه المتعضِّيات المجهرية. وكان ذلك أول حدث مدوَّن في بريطانيا عن مياه معتمدة للاستهلاك العام تتسبب في نفوق حياة حيوانية. ويرجح الخبراء الا يكون هذا الحدث الأخير في نوعه.

خزان روتلاند واحد من امثلة مثيرة عن الضرر الحاصل لموارد المياه الأوروبية بسبب أعمال الزراعة الحديثة. والمشكلة فيه كانت إخصاب المياه بالاسمدة الكيميائية المنجـرفة مـع السيول، فضلا عن مخلفات الفوسفات في مياه الخزان والصيف الحار المشمس



هذا درس من اوروبا: الاسمدة الصناعية والمبيدات تنمي محاصيل زراعية وافرة لكنها تهدد موارد المياه السطحية والجوفية

غير المألوف. سوى أن بلاء الطحالب لم يكن المشكلة الوحيدة، اذ ان المواد الكيميائية الزراعية، مثل النِترات والمبيدات، تشق هي أيضا طريقها الى المياه الجوفية ومنها الى أكواب الشرب وفناجين القهوة، مع ما يرافق ذلك من محاذير صحية مقلقة. وفي هذه الأثناء ينفث "جبل السماد" الأوروبي في الهواء مقادير هائلة من غاز الأمونيا (النشادر) الذي يسقط على التربة كجزء من "المطر الحمضي." ويحذر تقرير لـ"منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية"[1] الكائنة في باريس، من "الازدياد المستمر للتلوث الناجم عن الأساليب الزراعية الحديثة المكثفة وما يرافقها من مخاطر."

الخطر الاعظم. المفاعيل البيئية للزراعة المكثفة ماثلة للعيان في انحاء أوروبا:

□ في بريطانيا، حققت السلطات المائية في ٥٢ قضية تناولت تلوث المياه السطحية بالمبيدات عام ١٩٨٨. وترتفع

(1) Organization for Economic Cooperation and Development

مستويات النّترات باستمرار. يقول بريان كرول الباحث في مركز آنغليان للخدمات المائية في كمبردج: "يشرب نحو ١،٦ مليون بريطاني مياها تتجاوز أحياناً الحد الرسمي الاقصى للنترات وهو ٥٠ مليغراماً في الليتر الواحد. ويشرب ٨٥٠ الف مواطن مياها تجاور هذا الحد معظم الوقت."

□ في البلدان الاسكندينافية، تسببت النترات وغيرها من الكيميائيات الزراعية المنجرفة الى البلطيق في نمو طحلبي يهدد بكارثة. وفي العام ١٩٨٨ حاقت بالنباتات والحيوانات البحرية في البلطيق طحالب مجهرية خضراء غيَّرت لون البحر وأهلكت نحو ٥٠٠ طن من أسماك السلمون والتروتة. اذذاك سارع نحو ١٤٠ من مربي الاسماك النروجيين الذين واجهوا خسائر محتملة بملايين الدولارات، الى نقل أسماكهم الى أزقة بحرية تكتنفها الأجراف وتحميها.

□ في إيطاليا، اشمأز السياح صيف ١٩٨٩ عندما وجدوا مياه شاطىء البحر الأدرياتيكي مغطاة بطفاوة نتنة من طحالب تقتات بمغذيات المزارع المنتشرة في وادي البو. ومنذ ١٩٨٢ والطحالب تهاجم اهوار البندقية صيفاً وربيعاً وتنشر أبخرة مقيتة تبذر غيوماً من ذباب بالغ الصغر أدى في العام ١٩٨٥ الى إعاقة القطارات وشل حركة الطيران.

□ في ألمانيا "الغربية"، قدرت وزيرة الصحة أورسولا لهر أن نحو ١٠ في المئة من محطات المياه (وعددها ٦٣٠٠) تتضمن مقادير من المبيدات تتجاوز ٠،١ ميكروغرام في الليتر الواحد، وهو الحد الأقصى الذي اعتمدته المجموعة الاوروبية. وأوفر هذه الملوثات هو الأترازين[2] الذي يمكن أن يتسبب في السرطان. ويعادله ضرراً التلوث النتراتي الذي أدى في الفترة الممتدة بين ١٩٨٣ و١٩٨٨ الى إقفال ٨٤ محطة مائية في مقاطعة راينلاند - بالاتينيت وحدها. وفي بيلفيلد، شمال الراين - وستفاليا، حذر مفتش صحي من "أعظم خطر يتهدد سلامة مياه الشفة منذ انحسار وباءي التيفوئيد والكوليرا."

□ في باريس، ترتفع مستويات النِتْرات باستمرار بسبب تكثيف زراعة الذرة والقمح وغيرهما من المحاصيل في محيط المدينة. ويفيد تقرير أعده "معهد السياسة البيئية في أوروبا" أنه بحلول سنة ١٩٩٥ قد يؤدي الافراط في النترات الى تلويث مياه الشفة التي يشربها ١٠ ملايين مواطن في فرنسا.

محاذير صحية. بدأ التلوث الزراعي في أوروبا أواخر الخمسينات عندما دمجت المزارع الصغيرة في شركات كبيرة متخصصة بزراعات تكثيفية. ولزيادة الغلال عمد المزارعون الى الاكثار من الأسمدة والمبيدات، فتسربت هذه الى موارد المياه وتسببت في أعباء بيئية بالغة الخطورة. فالنترات، مثلاً، وان تكن غير شديدة السُمِّية في ذاتها، تتحول في المعدة نتريتات[3] تكمن فيها أخطار صحية

(٢) Atrazine
(٣) Nitrates change into nitrites



كبيرة، إذ انها تتسرب الى مجرى الدم وتعيق قدرته على حمل الاوكسيجين. وفي حالات قصوى – عادة في الأطفال الذين يرضعون زجاجات – يؤدي هذا الأمر الى "أعراض الطفل الأزرق" نسبة الى اللون الذي يتخذه الجلد عندما يفتقر الى الاوكسيجين. وعلى رغم ان معظم هذه الحالات قابلة للشفاء، فقد أفيد عن حصول وفيات.

ادراكاً لهذه الأخطار، وعملا بارشادات منظمة الصحة العالمية، حددت المجموعة الاوروبية النسبة القصوى المسموح بها لمحتوى النترات في الليتر الواحد من الماء بـ ٥٠ مليغراماً. ومذذاك وبريطانيا واسبانيا وبلجيكا وفرنسا تُستدعى الى محكمة العدل الاوروبية لمخالفتها هذا المعيار، فيما يواصل التحقيق في أوضاع خمس دوَل أخرى.

والحل ليس بسيطاً، كما يحذِّر غبريال سيممي نائب مدير مصلحة البيئة في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. وهو يضيف: "إن التلوث الزراعي هو أكثر مكراً وتعقيداً من التلوث الصناعيّ، لأنه يفرض التعامل مع ملايين المزارعين في كل مكان بدلا من عدد قليل نسبياً من المصانع. والى ذلك، حين تتلوث طبقة صخر مائية، يكون فات الاوان. وحتى ان أوقفنا غداً كل استعمال للكيميائيات الزراعية، فستبقى كميات كبيرة من المياه الجوفية ملوثة على مدى خمسين سنة."

قليلة هي البلدان التي لم يضربها التلوث. ففي الدانمرك زادت مستويات النترات بنسبة مثيرة خلال السنوات الثلاثين الأخيرة. وفي المانيا "الغربية" بلغ مستوى النترات في ٢ في المئة من موارد المياه ٩٠ مليغراماً في الليتر. وفي هولندا تحوي آلاف الآبار الخاصة كثافات نتراتية تصل الى ٤٠٠ مليغرام في الليتر، ويتوقع الخبراء مشاكل جديسة في السنوات المقبلة. وتبين النتائج التي توصل اليها معهد السياسة البيئية في اوروبا ان النترات في طبقات الصخر المائية الاسبانية، زادت الى مستوى مذهل بلغ ٥٠٠ مليغرام في الليتر.

وثمة أخطار كامنة في اطنان المبيدات التي نثرت في تربة أوروبا خلال العقود الثلاثة الماضية والتي أقر استعمال معظمها قبل ادراك الباحثين مدى الخطر الناجم عنها. وحتى في هذه الايام، كما تفيد دراسة أعدتها منظمة الصحة العالمية "هناك كثير من الشكوك حول المحاذير الصحية الناجمة عن التعرض الحاصل (للمبيدات)." اذ مع الوقت قد تتحول بعض المبيدات في التربة مركبات أشد خطراً تتلبث لسنوات. وتحذر "الجمعية الأوروبية للشركات المائية" في بروكسل من أن "موارد مياه الشفة في جميع بلدان المجموعة الاوروبية ستتعرض لأخطار المبيدات ما لم تعتمد إجراءات فورية ناجعة."

ملوثات للشرب! ما يقلق الاختصاصيين هو أن أفضل مختبرات المحطات المائية لا تستطيع قياس أكثر من ربع العناصر النشطة في المبيدات المستعملة اليوم والمشتملة على نحو ٣٥٠ عنصراً. ويقول بيتر هول من "اتحاد مصالح الخدمات المائية في إنكلترا وويلز": "إن وسائل الكشف المتوافرة لدينا لا تستطيع تحديد كثير من العناصر. وليس هناك ما يُلزم الصناعيين تزويدنا بيانات تسهل هذه المهمة." ويضيف روبرت كروتس من "اتحاد محطات المياه الهولندية": "نحن عادة لا نكشف وجود مبيد جديد في الماء الا بعد أن يبلغ مستوى عالياً ويحدث تلوثاً."

حدث ذلك، مثلاً، عام ١٩٨٧ عندما سجَّلت محطات المياه في أمستردام وجوداً مفاجئاً للمبيد "بنتازون"[٤] بنسبة ٠،٣ ميكروغرام في الليتر – أي ما يفوق ثلاثة أضعاف الحد القياسي – ولم يدر أحد كم مضى من الزمن على وجوده. اذذاك عمد المهندسون الى جر كميات غير ملوثة من موارد مائية أخرى وصبها في المياه الملوثة وصولا الى المستوى المقبول، كما زادوا كمية مسحوق الكربون المنشط الذي يمتص الملوثات. ومع ذلك تبقى المفاعيل الصحية البعيدة المدى مجهولة. ويقول ج.هـ. أوتردوم وهو عالم مائي من أمستردام: "ما نخشاه هو أن يكون مستوى البنتازون بلغ في الماضي نسبة أعلى مما هو اليوم. لا بد أننا شربنا مياهاً ملوثة لسنوات من دون أن ندري."

ويعتقد البعض أنه لو لجأ المزارعون في أوروبا الى الأسمدة العضوية لما

(٤) Bentazone

حصل ما حصل. فلئن تكن المحاصيل النامية من دون اضافات صناعية تعني جهداً اكبر وغلالا أقل، فإن الفاكهة والخضر الناتجة تستحق أسعاراً تشجيعية. وفي السنوات الاخيرة بدأت الزراعة بالوسائل العضوية تنمو في اوروبا وأمريكا.

وفي بلدة نرون جنوب غرب باريس، نجح فرنسوا لوبيتو في زراعة حبوب أثمرت أرباحاً من غير لجوء الى مواد كيميائية مضافة. وهو يقول ضاحكاً: "اني اذ أخفض غلالي أوفر على المجموعة الاوروبية ٥٥٠٠ فرنك في الهكتار (نحو الف دولار) مساعدات تصديرية، فيما أواصل دفع ما يترتب عليّ من ضرائب. كما أني أنتج أطعمة عالية الجودة تتآلف والطبيعة، وهذا أمر يقدره كثيرون."

المطر الحمضي. يشمل التلوث الزراعي أيضاً المنتجات الجانبية الحاصلة من تربية الدواجن التي ارتفعت أعدادها الى حد مثير. ففي المانيا "الغربية" وحدها نحو ٤٠ مليوناً من المواشي التي تنتج سنويا ١٧٠ مليون طن من الروث تحتوي على ١،١ مليون طن من مركبات النتروجين المتضمنة نترات وأمونيا. وفي هولندا اليوم ضعفا ما كان فيها من مواش عام ١٩٥٠. وأحيانا تتكثف الدواجن في منطقة واحدة. مثلاً، يتركز أكثر من ثلث الطيور الداجنة في فرنسا في منطقة بريتاني. وليست النترات الناتجة من سمادها سوى واحد من الأسباب التي جعلت خليج بريوك الجميل موبوءاً بالطحالب اللزجة القذرة.

واكتشف الباحثون في "مركز التكنولوجيا البيئية" بلندن أن هذه القطعان الهائلة لا تؤثر في المياه فقط بل في الجو أيضاً. فحين يُستعمل الروث الحيوانيّ كسماد، يتبخر معظم محتواه من الأمونيا. ومتى انتشر في الجو يتحول الى سلفات الامونيا،[٥] وهو مركب أشد مفعولا من الحمض الكبريتي، ويتساقط فوق التربة كمطر حمضي. يقول هارن كروس - بلاس الباحث في المركز: "تتسبب الدواجن في جزء لا يستهان به من المطر الحمضي الذي يقضي على غابات أوروبا وبحيراتها."

غير أن الحد من انبعاث الامونيا سيكون مكلفاً. ففي بلدة بوتن الهولندية مُزارع متحمس عمره ٢٦ سنة جال بي في مزرعة عائلته الصغيرة، وقال لي: "تدعي الحكومة أن علينا خفض ناتج الأمونيا في العقد المقبل بنسبة ٨٠ في المئة. اني أبني محبساً للامونيا يكلف ٢٧ ألف دولار. ولكن ان لم يحل ذلك المشكلة فسنضطر الى خفض عدد مواشينا بنسبة ٣٠ في المئة. وهذه خسارة."

وقد يتعذر تجنب بعض الخسائر، اذ أدت السياسة الزراعية المشتركة للمجموعة الاوروبية، على مدى ثلاثة عقود، الى نتائج أسوأ في الجهتين: فوائض زراعية غالية لا سبيل الى تصريفها، واستعمال مفرط للأسمدة

(٥) ammonium sulfate او كبريتات النشادر.

والمبيدات قد يسبب كارثة. وحتى اليوم لا تخصص المجموعة الاوروبية سوى ٠،٠١ في المئة من موازنتها لحماية البيئة، فيما تقدم الى المزارعين إعانات مالية تبلغ ٥٦ في المئة من هذه الموازنة.

في هذه الأثناء يتحمل المستهلكون أعباء تنظيف البيئة بواسطة مصانع معالجة مياه الشفة وشراء مزيد من المياه المعبَّأة في قوارير. وفي ولاية بادن – ورتمبرغ الالمانية "الغربية" يدفع المواطنون ضريبة مباشرة لتحسين المياه.

وفيما يسعى المهندسون الى استنباط طرق لتحسين معالجة المياه، يعمد الباحثون والاختصاصيون الحكوميون الى معالجة جذور المسألة. وهم اتفقوا على ضرورة أخذ بعض الاجراءات:

تعديل الأساليب الزراعية. يهدف هذا الاجراء الى الحد من استعمال الأسمدة والمبيدات الكيميائية من طريق فرض ضرائب رادعة. وقد بدأت أسوج (السويد) تطبيق هذا الاجراء. من ناحية أخرى، على الحكومات والمجموعة الاوروبية ان تواصل خفض الاعانات المالية للمزارعين لكي يعدلوا عن الافراط في استعمال الاسمدة والمبيدات. كما يتوجب تشجيع التسميد العضوي عبر تقديم الدعم المالي والتدريب الى من ينتهج هذا الاسلوب.

كشف محتوى المبيدات. يجب أخذ إجراء يفرض على الصناعيين إعلام السلطات بطرق تبيِّن عناصر المبيدات المسوَّقة. كما يجب وضع نظام تسجيل أوروبي لتوحيد المعيار الصحي وضبط استعمال المبيدات.

حماية مستجمعات مياه الامطار. يجب حماية المناطق الحساسة من المبيدات. في بريطانيا، مثلا، عشر مناطق حددت فيها كميات المواد المضافة الى التربة ووضعت ضوابط لتربية المواشي.

التعاون. على الحكومات أن تحسن مستوى التعاون الرسمي بين المزارعين ووزارات البيئة لتسوية التضارب بين الازدهار الزراعي والصحة البيئية. وعلى البلدان الاوروبية ان تتعاون على نحو أوثق لوضع خطة تستهدف خفض مستويات النترات، وأن توحد أبحاثها في مضمار تأثير المبيدات في الحياة البشرية.

جوزف أ. هاريس ■

طبيب أصلع

يناوب في المستشفى حيث تعمل امي طبيب أصلع كان هدفاً للتنكيت والمزاح. وذات يوم ردّ على ممازحة احدى الممرضات: "يا اختي، ان الله عز وجل اصطفى بعض الرؤوس وخلقها كاملة. أما البقية فقد اضطر الى أن يكسوها بالشعر."

ثم سار مبتعداً في الرواق.

د.م.

موزار العبقري الباقي

قال المؤلف الموسيقي جوزف هايدن في وُلفغانغ اماديوس موزار: "سينقضي قرن قبل أن تشهد الاجيال القادمة مثل هذه الموهبة الفذة." وأصاب هايدن في نبوءته باستثناء تقديره للمدة الزمنية، إذ فيما الولع بموزار يلفّ العالم في الذكرى المئوية الثانية لوفاته، يعتقد كثيرون أن لا أحد يضارعه نبوغاً. فدور الموسيقى من لندن الى برلين، ومن سان فرنسيسكو الى طوكيو، مترعة حتى الثمالة بموسيقى موزار، فيما يتناول مهرجان موسيقي يقام في مركز لينكولن في نيويورك طوال ١٩ شهراً كل نوطة من مؤلفاته الستمئة والستة والعشرين المتضمنة ٤١ سمفونية و٤٨ كونشيرتو و١٨ اوبرا و١٩ لحنا كنسياً.



موسيقى موزار تشهد هذه السنة أكثر عهودها زخماً بالحياة في احتفالات المئوية الثانية لرحيله

PHOTO: THE GRANGER COLLECTION

غير أن محط التكريم العالمي هو بالطبع وطنه الام (ووطني) النمسا. فسالزبورغ، حيث أعمل عازفاً، تمر بأيام محمومة وتعد العدة لتكريم ابنها الذي اطبقت شهرته الآفاق. وقد نظمنا لهذه الغاية حفلات موسيقية يومية تمتد من يناير (كانون الثاني) حتى ديسمبر (كانون الاول).

ويتساءل الناس هنا: "الا تملّون كثرة الاستماع الى موسيقى موزار؟" فاجيب أن العكس هو الصحيح، وأعتبر نفسي محظوظاً حقاً لأكون من عازفي موسيقاه. فهل من مؤلف سواه بقي قبلة الأسماع وقد عزفت موسيقاه بمثل هذا الإفراط؟ تلك الموسيقى التي بالغاً ما بلغ استماعك اليها، تبقى دائم الاندهاش أمام غنى الحانها واتساق هذه الالحان. ولكم ترنم الناس العاديون في الطرقات، أيام موزار، بانغام من مقطوعة "الناي السحرية."[1]

وكان موزار، كما يتبين لنا من فيلم "أماديوس" الحائز جائزة اوسكار، سليط اللسان يلقي دعابات سمجة. ولكن ما ان يتحول الى الموسيقى حتى يصبح رقيق الشعور مرهفاً. ولطالما عزفت مع مجموعة الفرادى مقطوعات طريفة الّفها موزار للحفلات. ففي مقطوعة "الطرفة الموسيقية"،[2] مثلاً، بدأت أربع آلات وترية وبوقان عزف فواصل موسيقية كلاسيكية كاملة، ثم تهاوت بجنون خارج اللحن وانتهت على نحو فوضوي، فانفجر الحضور بالضحك حتى اننا، نحن الموسيقيين، كبتنا ضحكاتنا بصعوبة.

بين موزار وهايدن. كان موزار مولعاً بمعاكسة زملائه. وذات مرة راهنه جوزف هايدن انه قادر على عزف أي مقطوعة على البيانو بمجرد الاطلاع عليها. فوضع موزار لحناً وسلمه اياه. وبدأ هايدن العزف لكنه توقف مصعوقاً لدى وصوله الى ما بدا له نوطة خاطئة، إذ عجز عن عزفها لانشغال أصابعه كلها. فاحتج هايدن قائلا: "يستحيل عزف هذه المقطوعة." فأجابه موزار: "هذا غير صحيح." وتولى العزف بنفسه. فلما وصل الى النوطة التعجيزية نقر بأنفه المفتاح المطابق لها وقال لهايدن ضاحكاً: "ارأيت؟ إنها صالحة للعزف تماماً."

ومن يراجع سجل الولادات في ابرشية كاتدرائية سالزبورغ يجد اسم وُلفغانغوس ثيوفيلوس موزار مدوناً في قيود ٢٧ يناير (كانون الثاني) ١٧٥٦. ولكن عندما بلغ المؤلف السن الرابعة عشرة استبدل ثيوفيلوس بأماديوس اذ وجد فيه وقعاً موسيقياً جميلاً.

وقد تحول منزله الواقع في شقة في الدور الثالث متحفاً يؤمه المعجبون من كل حدب وصوب. وعندما أتجول في الغرف ذات السقف المنخفض والتي غصت بالآلات الموسيقية وصور العائلة، أكاد أرى الصبي الصغير ذا السنوات الاربع بشعره الرملي اللون وعينيه البنيتين الكبيرتين ورجليه القصيرتين تتدليان من كرسي البيانو، فيما أصابعه

(١) The Magic Flute

(٢) Musical Joke

الصغيرة تتجاوب مع تعليمات والده ليوبولد الذي كان موسيقيا هو الآخر.
وبعد سنة، دخل الاب على ابنه فوجده جالساً وراء مكتب وفي يده قلم ريشي. وقد بادره وُلفغانغ قائلا: "اني اكتب كونشيرتو." فابتسم الاب. ولكن عندما حدق الى الصفحة الملطخة بالحبر اغرورقت عيناه بالدمع اذ رأى امامه قطعة موسيقية حقيقية! واحتفظ ليوبولد للاجيال القادمة بهذه المعزوفة المعتدلة البطء والمعدَّة للعزف على البيانو.
وللحال عمل ليوبولد على توسيع آفاق معلومات ابنه بالبيانو والكمان فأعطاه دروسا في فن التأليف وكان استاذاً صارما. ولما بلغ وُلفغانغ السادسة من عمره رأى والده انه بات على أهبة الاستعداد للسفر الى ميونيخ وفيينا لعرض موهبته. وغالباً ما كان موزار يعزف ثنائياً مع اخته نانرل التي تكبره بخمس سنوات. وقد أولعت به الطبقة الاريستوقراطية منذ البداية كما البسته الامبراطورة النمسوية ماري تيريز سترة رسمية مطرزة بالذهب، وبالغت في تدليله.

طفولة بائسة. أمضى الطفل المعجزة اكثر من عشر سنين متنقلا من مكان الى آخر، ولم يحظ بطفولة حقيقية. ولا عجب ان كان دائم السقم وضعيف البنية. ولطالما أمضى أياماً طويلة في عربات ترتج وتتخبط بقوة فكان يجلس على يديه ليخفف من وطأة الارتجاجات. لكنه، مع ذلك، أحب السفر. وقد كتب مرة الى امه في سالزبورغ: "امي الحبيبة، انا سعيد لانني امضي أوقاتا ممتعة خلال هذه الرحلة، فالعربات دافئة جد' والحوذي يقود بسرعة."
وكان خلال اسفاره يتوقف في محطات عدة ويتمرن على ارغن الكنيسة المحلية فيستقطب الناس بعزفه الفريد. وعندما يصل الى وجهته لم يكن يجد متسعاً من الوقت للراحة قبل بدء الحفلات.
كان موزار يتطلب من حضوره تركيزاً تاما ويغضب لدى سماعه سعالا خفيفا أو خشخشة. وإذا ما ثابر الحضور على الضجيج كان يضرب مفاتيح البيانو اشمئزازا ويتمتم شاتماً الجمهور.
برع في تأليف كل أنواع الموسيقى. وكانت أولى مقطوعاته المنشورة عبارة عن أربعة ألحان (سوناتة) للكمان والبيانو ألّفها في شتاء ١٧٦٣ – ١٧٦٤ عندما بلغ الثامنة من عمره. كما أكمل، وهو في سن الثانية عشرة، تأليف مسرحيته الغنائية الاولى. وبعد سنتين وقف الحضور في ميلانو مصفقاً للمراهق الذي قاد بنفسه أولى أوبراه الكبرى "ميتريداتي ري دي بونتو."[٣]

وعلى رغم ان أوروبا بأسرها أحبت موزار ومنحه البابا كليمانس الرابع عشر ميدالية "الفارس ذي المهماز الذهبي" تقديراً لموهبته الفنية، فقد كان عليه ان يكافح لينال التقدير في بلده. ومن اجل ارضاء والده تحمّل ٩ سنوات من الذل وعمل قائد فرقة لدى امير ورئيس أساقفة

(٣) *Mitridati re di Pontu*

سالزبورغ الصارم الذي عامله معاملة الخادم. ولما ثارت ثائرته عند بلوغه الخامسة والعشرين، صرف من العمل، فتوسل اليه والده ان يطلب المغفرة، فرفض بعناد وقال: "ان من يسيء الي، خادماً كان ام كونتاً، فهو نذل خسيس."

لكن موزار كان في الغالب إبناً مطيعاً. وقد حدث وهو في الثانية والعشرين من عمره أن وقع في غرام فتاة تؤدي سوبرانو وهي في السادسة عشرة من عمرها تدعى ألويزيا وبر وتقطن في بلدة مانهايم. فحاول تأجيل رحلة مقررة الى باريس. وعندما علم والده بالامر فرق بينه وبين حبيبته وأمره بالتوجه الى باريس، فأذعن.

وبعد ثلاث سنوات، تحول حب موزار الى كونستانزا شقيقة الويزيا الصغرى. فغضب الوالد مجدداً. لكن وُلفغانغ تحلى بكثير من الصبر والاحترام وحض والده على إعادة النظر في المسألة. وكتب اليه في سالزبورغ: "انها ليست فتاة قبيحة كما ان الجمال لم يعرف طريقه اليها. وهي ليست ذكية لكن لديها ما يكفي من حسن الادراك لتكون قادرة على القيام بواجباتها أما وزوجة."

تزوج الاثنان في ٤ اغسطس (آب) ١٧٨٢ في كاتدرائية القديس اسطفان في فيينا، وعاشا تسع سنوات من الحياة الزوجية السعيدة، لكنهما ذاقا اللوعة والحسرة بوفاة اربعة من أولادهما الستة بعد ولادتهم بفترة وجيزة. وعانى موزار كذلك دسائس زملائه الحسّاد وابتعاد الجمهور عنه. واعتبر سكان فيينا ان موسيقاه موجهة الى طبقة معينة من الناس. ورفض ناقد في فيينا سمفونية "كوزي فان توتي"[٤] رفضاً قاطعاً ونعتها ببئس الموسيقى فيما هي تعتبر اليوم إحدى أهم مؤلفاته. وعلى رغم ان الامبراطور جوزف الثاني عين موزار عام ١٧٨٧ مؤلفاً في البلاط الملكي فقد دفع له نصف الراتب الذي كان يتقاضاه سلفه غلوك.

المؤلف السريع. كان موزار يؤلف موسيقاه بسرعة مدهشة. ونشر في اغسطس (آب) ١٧٨٦ رائعته سوناتة (F major) التي تعزف على آلتي بيانو وثلاثية كلارينت ورباعية وترية. وألف بعد سنتين "جوبيتر" وسمفونيتين من أروع سمفونياته خلال ستة اسابيع محمومة من فصل الصيف. مع ذلك لم يظهر في أعماله ما يشير الى سرعة في التأليف.

وتراكمت عليه الديون خلال السنوات الاخيرة من حياته على رغم الارباح التي كان يجنيها من حفلاته والجُعَل على حقوق النشر والعزف التي زادت من مدخوله. لكنه كان مسرفاً لا يحسن وزوجته تنظيم انفاقهما. وقد اقتنى هو ملابس فاخرة مطرزة تليق بالامراء.

وعندما اشتد عليه المرض تابع العمل وهو طريح الفراش واعطى توجيهات لاحد تلاميذه في أصول التأليف لانهاء مقطوعة موسيقية لقداس جنائزي كلف موزار

(٤) *Cosi Fan Tutte*

تأليفها. وكتبت صوفي: "كانت حركته الاخيرة محاولة بفمه للتعبير عن مقاطع الطبول في المقطوعة."

توفي موزار في ٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٧٩١ بعد منتصف الليل وقبل شهرين من عيد مولده السادس والثلاثين. ومع ظهور فيلم "اماديوس" خرجت الى الاضواء مجدداً الاساطير التي نسجت في السنوات الاخيرة حول موته ودفنه. فقيل مثلا ان انطونيو ساليري مؤلف البلاط كان يحسد موزار فقتله. ويعتقد معظم الخبراء انه أصيب بحمى روماتزمية حادة ألزمته الفراش. وهو قضى نتيجة العلاج بالفصد الذي كان شائعاً في تلك الايام. أما نهاية الفيلم المأسوية فتظهر جثة موزار وقد ألقيت ككيس قمامة في مقبرة جماعية للفقراء. والحقيقة انه دفن في مقبرة القديس مرقص شرق فيينا من دون اي احتفال كما درجت العادة آنذاك.

وتختم الاحتفالات بالذكرى المئوية الثانية لوفاة موزار في ٥ ديسمبر (كانون الاول) بموسيقى القداس الجنائزي التي ستعزفها اوركسترا فيينا في كاتدرائية القديس اسطفان بمشاركة جوق اوبرا فيينا بقيادة السير جورج سولتي. وستصور تلفزيونياً وتبث في العالم.

هل سننتظر مئة سنة أخرى قبل التعرف الى مؤلف مثل موزار؟

ربما. لكن هذا لا يزعجني لانني سأكون سعيداً في عزف موسيقاه خلال السنوات الاتية ومنها السيريندات ذات الروعة الفائقة والسمفونيات الفاتنة والاوبرات وموسيقى القداديس، وبالطبع تلك المعزوفات القصيرة والطريفة التي فتنت العالم.

ألوا آغنر ■

الكاتب عازف بوق فرنسي في اوركسترا موزار في سالزبورغ بالنمسا ومدير مجموعة العازفين المنفردين وهو يدرس الموسيقى وينظم سيريندات موزار.



إغفاءة طبيب

دعيت ذات ليلة في الثانية فجراً الى معاينة مريض يشكو آلاماً حادة في الصدر. وكان الاعياء بلغ مني اشدّه بعد مناوبتي ثلاث ليال متتالية في المستشفى. فجلست في كرسي قرب سرير المريض ورحت افحصه بمسماعي الطبي وانا اغالب النعاس. وفجاة غفوت! وافقت بعد برهة فوجدتني في الوضع ذاته ومسماعي ما زال على صدر المريض. اما هو فظل ساكناً. فتابعت فحصه وانا أطرح عليه أسئلة كأن شيئاً لم يكن.

لكني لم اتمالك عن سؤاله عما اذا كان لحظ شيئاً ما اثناء معاينتي اياه. فأجاب: "يا طبيبي العزيز، في الحقيقة، لم أكن لألحظ شيئاً لولا شخيرك العالي."

ب.غ.

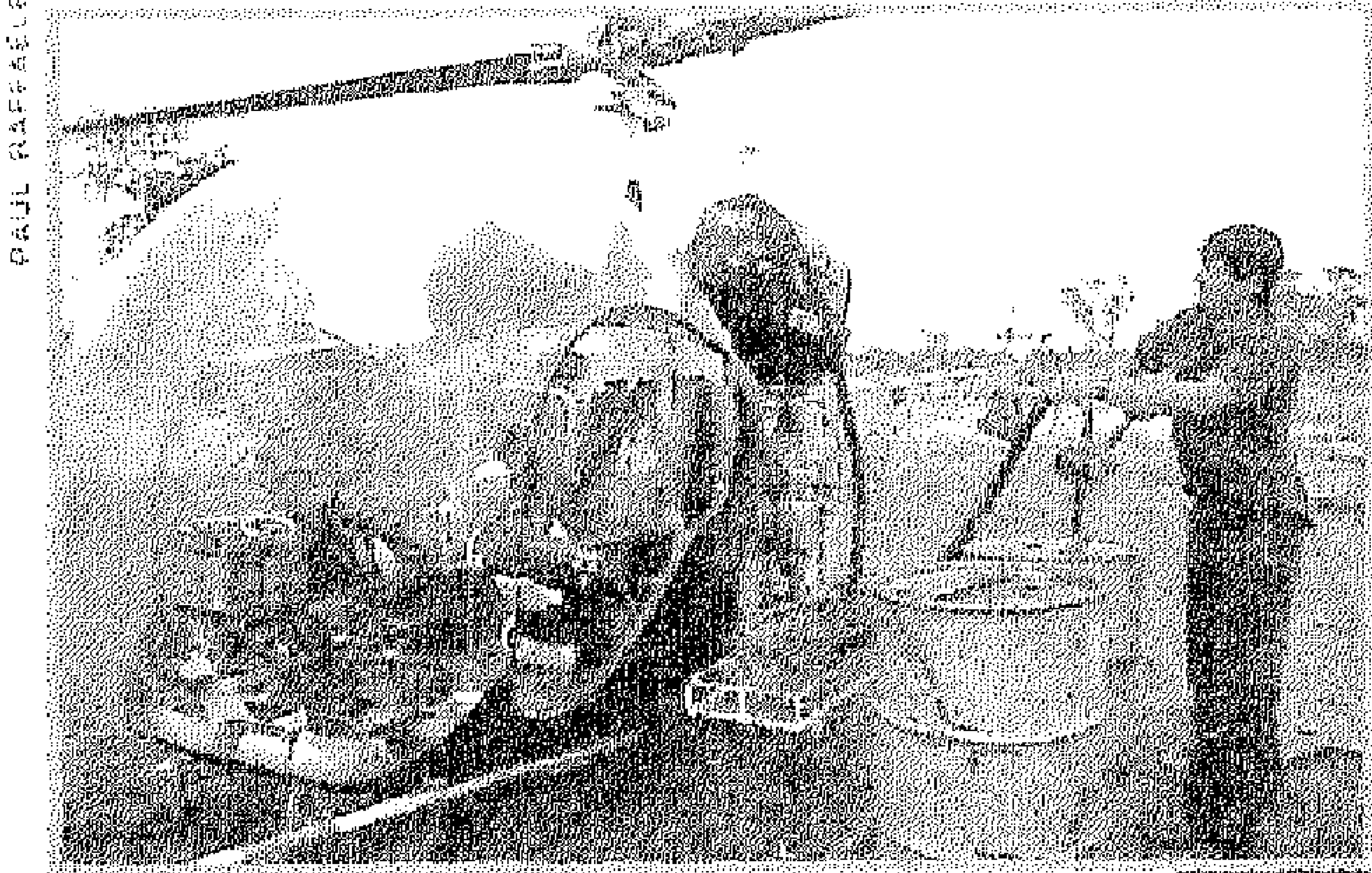


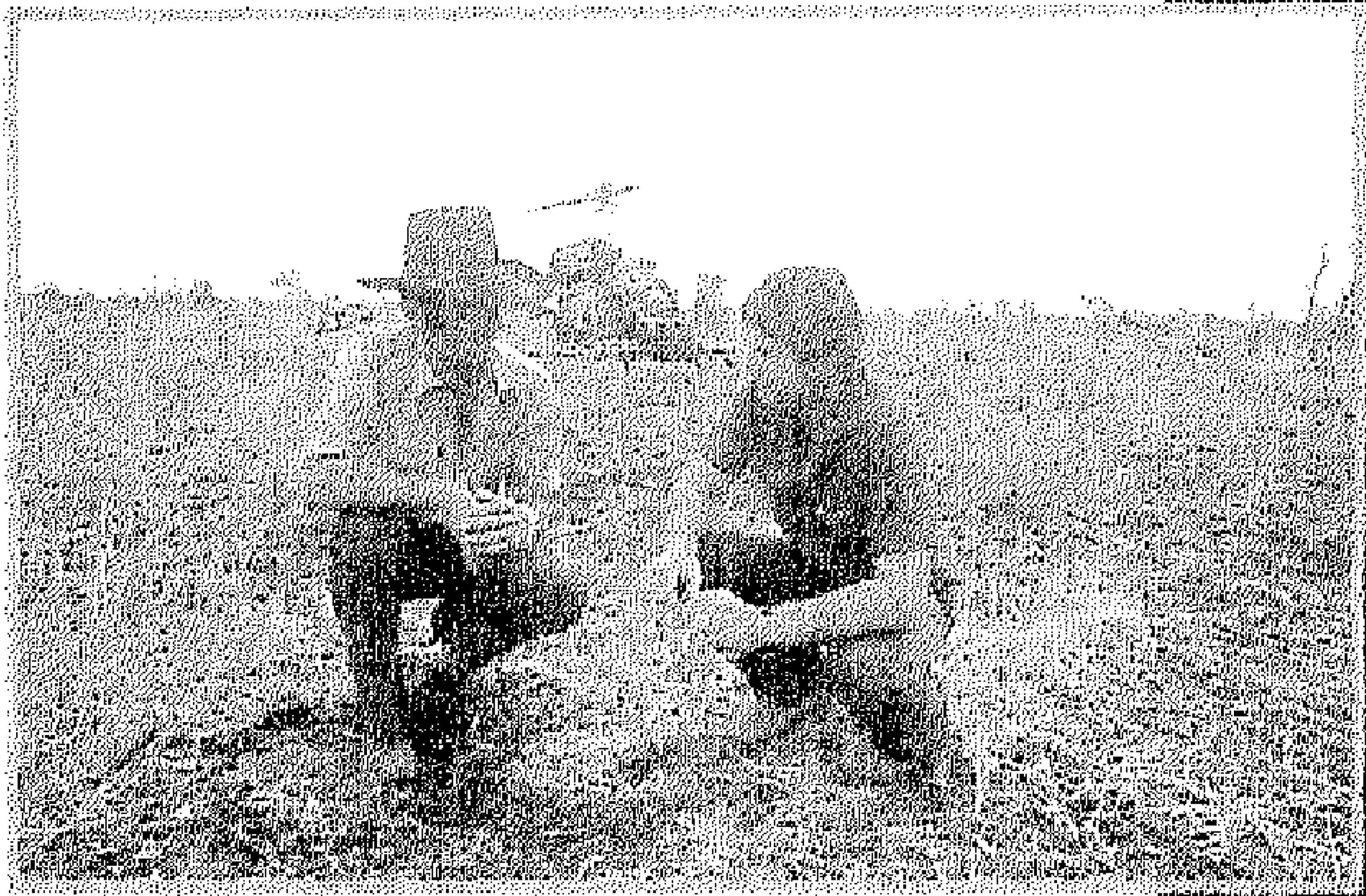
انه يوم استثنائي حار في مثل هذا الوقت من يونيو (حزيران)، اذ بلغت الحرارة ٣٤ درجة مئوية، فيما قطيع من البقر يتحرك عبر الاراضي الجافة لفيكتوريا ريفر داونز، وهي محطة للماشية في "نورثرن تريتوري[1]" تبلغ مساحتها ربع مساحة الدانمرك. تقود القطيع مجموعة من مربي الماشية يمتطون الخيول ويستحثون، بصيحات عالية، ١٨٠٠ رأس من بقر بول شورتهورن – براهمانز على مواصلة السير نحو حظيرة قريبة.

وفيما الغبار الاحمر المتصاعد من أرض هذه المنطقة الداخلية النائية من

(١) مقاطعة في شمال وسط اوستراليا عاصمتها داروين ومساحتها ١،٣٥٠،٠٠٠ كيلومتر مربع.

القائد جيوف سلفي يزود طائرته وقوداً تمهيداً ليوم حافل. ويبدو محادثه مدير محطة مولولو يان راش.





مهارة هؤلاء الاوستراليين الشجعان تحبس الانفاس

اوستراليا، يلف الابقار، بدا الامر كأن شيئاً لم يتغيّر منذ دجّن رعاة المواشي منطقة توب اند[٢] قبل أكثر من قرن. ولكن، على امتار فقط فوق القطيع واصوات خواره، تحوّم طوّافة، يدفع صوت شفرات مروحتها الذي لا يتوقف "تشوب، تشوب، تشوب" الابقار قُدُماً فيما يبقيها الفرسان في خط منتظم. في هذه الاثناء ينطلق قائد الطوافة جيوف سلفي بطائرته جيئة وذهاباً عبر السهل وبحركات سريعة، مجفلاً بقرة من أجمة في الدغل، ثم يندفع بسرعة فوق مجاري الجداول الجافة منقضاً بين جذوع اشجار الصمغ (اوكاليبتوس) ليسوق أبقاراً شاردة أخرى صوب القطيع.

(٢) Top End

تحول هذا الطيران الذي يحبس الأنفاس، نمط عمل روتينياً لسلفي ونحو ٨٠ قائد طوافة آخر يغطون فيه المناطق الاوسترالية الداخلية النائية، ستة أيام في الاسبوع، من مارس (آذار) الى آخر نوفمبر (تشرين الثاني) من كل سنة. وتعتبر مهاراتهم هذه التي تتميز بالجرأة والاقدام، العمود الفقري لصناعة تصدير اللحوم الغنية.

خيول طائرة. كان مربو الماشية الاوستراليون، حتى أوائل السبعينات، يمضــون أسابيــع، وأحيانــاً أشهراً، مستعينين بخيول مدربة جيداً، لجمع القطعان الكبيرة وسوقها الى زرائب خاصة تمهيداً لنقلها الى الاسواق. أما الآن، فتقوم الطوافات بمعظم هذا العمل. يقول مايك باك المدير التنفيذي لجمعية مربي الماشية في نورثرن تريتوري: "ان مهارة جمع الماشية بواسطة الطوافات أسرع وأنظف وأفعل. ويستطيع قائد طوافة أن يجمع بمفرده في يوم واحد العدد نفسه من الابقار الذي يجمعه ثمانية فرسانٌ في ثلاثة أو أربعة أسابيع."

تتولى شركة هيلي – مستر، كبرى الشركات الخمس لجمع الماشية بواسطة الطوافات في منطقة توب اند، تغطية محطة فيكتوريا ريفر داونز الشاسعة التي تقع على مسافة ٢٥٠ كيلومترا جنوب غرب مدينة كاثرين.

رافقتُ نصف دستة من قادة الطوافات يرتدون الجينــز والقمصان القطنيــة وجزمات رعاة البقر، فيما هم يخرجون فجراً من مقطوراتهم او من اكواخهم المقامة في القفر. يلوّح كبير الطيارين سلفي لزوجته جوان ولطفلتهما جيسيكا ذات السنوات الثلاث، مودعاً، ثم يقود الرجال في اتجاه ثماني طوافات صغيرة مصطفة على فسحة من العشب الاخضر امام مرأب.

"انه افضل اوقات النهار" يعلن سلفي وهو يتنشق الهواء الرطب النظيف، ويهز زميله الطيار آندي بايج رأسه موافقا.

ولد بايج في الدغل مثل كثيرين من الطيارين النخبة لدى هيلي – مستر، ومارس طوال سبع سنوات قيادة قطعان الماشية على ظهر فرس. وبعدما رأى قادة الطوافات اثناء عملهم، ادّخر بصبر ١٨ الف دولار[٣] لتغطية نفقات ٧٠ ساعة تدريباً على قيادة الطوافات، وهذه الساعات ضرورية للحصول على اجازة قيادة تجارية. وهو يقول: "معظم القواعد التي تتّبع من على السرج تطبق في الطوافة. قد تكون أفضل قائد طوافة في اوستراليا، لكنك لن تنجح في هذا العمل ابدا ما لم تعرف كيف تتصرف الماشية."

يؤيد جون كير الذي ولد أيضاً في المناطق الداخلية، ما قاله زميله ويضيف: "تعيش الماشية في الدغل فلا ترى بشريا طوال سنة. عليك ان تكون ماكراً كالفأر لتجعلها تمتثل لما تريده."

(٣) الدولار الاوسترالي يساوي حاليا نحو ٠،٧٨٥٠ دولار اميركي.

يحمل كير صرّة وكيساً للنوم ملفوفاً في قماش مشمع، لانه سيطير لجمع ماشية في مالّابونيا على مسافة ٤٩٠ كيلومتراً، وهي مهمة تستغرق اسبوعاً أو اكثر. وسينام قرب طوافته، والنوم في الظروف الشاقة هذه أمر عادي.

تملك الشركة ٢٨ طوافة، ولكن نادراً ما نجد في القاعدة اكثر من ثمان او تسع منها، اما الأخر فمنتشرة عبر "التوب اند" من نهر روبر في الشرق الى هضبة كيمبرلي في الغرب.

وفيما نحن نتبادل الحديث، تنطلق مئات الببغاوات الكُكَتوه باعرافها الصفر المائلة الى الخضرة وطيور الغالا الزهرية والرمادية تنشد للفجر باصواتها الخشنة، ثم ترتفع كأنها جسم واحد وتطير وسط زعيق مدوٍ عبر القاعدة الى نهر فيكتوريا القريب. ويعلن سلفي مبتسماً وهو يتسلق طوافته: "انه وقت الاقلاع!" وكما يربت راعي البقر عنق حصانه، يحقن الدواسات الارضية ليتحسس جواده الآلي، ثم يشعل المحرك. واذ تبدأ شفرات المحرك تدويمها يعتمر سلفي خوذته ذات اللون الذهبي المتألق والمزينة بصورة لحيوان الكانغارو الاوسترالي في شكل مقاتل يضع قفازي ملاكم ونظارتي طيار ووشاحاً ابيض.

عندما يبلغ دوران الشفرة سرعته القصوى (٣٢٠ دورة في الدقيقة) يسحب سلفي ذراع الطاقة الى الوراء، وننطلق بسرعة نحو الفضاء. كان بابا الطوافة قد ازيلا من مكانيهما فعصفت ريح باردة كالثلج في المقصورة الصغيرة فيما نحن نتوجه الى مولولو وهي محطة متقدمة تابعة لفيكتوريا ريفر داونز على ٥٥ كيلومترا الى الشرق. وسيكون الهواء لاحقا في النهار بمثابة مكيّف طبيعي. يحلّق سلفي بالطوافة في أجواء المستوطنة ماراً فوق مساكن الشركة فمكتب بريد فمتجر عام فعيادة وملعب لكرة المضرب وعدد من البيوت المسقوفة بالواح تنك. ويشق نهر فيكتوريا العريض الموحل طريقه حول مولولو كالافعى. ويهبط سلفي بطوافته ويهاديها على ارتفاع امتار عن سطح الماء. واذ ننطلق فوق الممر المائي المتعرج، تغوص التماسيح المتكاسلة مذعورة.

النار آخر الدواء. كان هدفنا حقلا تبلغ مساحته ٣٠٠ كيلومتر مربع، ومنه سنسوق ١٨٠٠ رأس من الماشية الى حظيرة حيث تعاين للتأكد من خلوّها من التدرن الرئوي (السل) وتذبح الحيوانات المصابة للتخلص منها. وللحصول على تصريح عمل يفيد خلوَّ الابقار من السل، يجب الا يبقى حيوانٍ واحد في الحقل. ولا يخلو من الامر أن يتمكن عدد من الثيران والبقرات المسنّة الماكرة من التملص والافلات، فيعود احد الطيارين بطوافته بعد أربعة أو خمسة أيام الى الحقل يرافقه مفتش ماشية يتولى اطلاق النار على أي رأس ماشية لا يزال داخل حدود الحقل. اذذاك فقط يمكن اعادة الابقار السليمة الى الحقل.

تحتنا تقع مولولو، الاشجار متفرقة في الارض الصخرية المجدبة، معظمها من الاوكاليبتوس[4] منتشرة على جانبي جدول باتيل، وهو مجرى ماء جاف كبير يخترق مولولو كالندب الذي تتركه حفلات العماد القبلية على وجوه افراد القبيلة.

تتفرق الماشية اثناء مرورنا فوق حواجز الاسلاك الشائكة المحيطة بالحقل، ويصرخ سلفي بصوت يعلو هدير المحرك: "انها تعرف اننا نلاحقها فتتجه نحو مكان تختبىء فيه." ثم يشير، عبر الفضاء، الى طوافة ثانية ويضيف: "سيشاركنا آندي هناك في جمعها."

يبدأ بايج وسلفي الطيران في مسارات متقاطعة منسقة جيئة وذهوباً فوق الحقل، منقضين على مستويات منخفضة فوق مجموعات صغيرة من الماشية، يساعدهما ضجيج محرك الطوافة لحثها على الانسياق داخل مجرى النهر الجاف. وغالباً ما كان سلفي يخفض السرعة الى الصفر ويميل الطوافة على جنبها تماماً ليتمكن من رؤية ثور متخف، بشكل أوضح. ولا ينجينا من السقوط عبر البابين المشرعين سوى مهارة الطيار واحزمة الامان.

ما ان تدخل الماشية الممر المائي الجاف، حتى يبدأ سلفي حثها على التقدم بوتيرة بطيئة منتظمة محوّماً خلف القطيع على ارتفاع مئة متر، في اتجاه حظيرة على مسافة ١٥ كيلومتراً على الطريق امامنا، وهو المدى الاقصى الذي تستطيع الطوافات سوق القطيع عبره في يوم واحد. وتسير الابقار متثاقلة، كل اثنتين او ثلاث معاً، رؤوسها محنية، تلاحق رتلها الطويل غمامة من الغبار الاحمر.

يقول سلفي: "السر في هذه العمليات هو الا تجهد الماشية كثيراً. احرص فقط على ان تبقيها هادئة. ان الابقار التي لم تُسمْ بعد، اي التي لم تمسكها يد ابداً، هي التي تسبب المشاكل عادة."

تقع عينا سلفي المدربتان، ونحن نطير، على رأس من الماشية في مكان لم ألحظ فيه أنا سوى صخور وأشجار. وحين يلمح سلفي ثوراً متوارياً في أجمة، يهتف: "لقد أمسكت بك!" ويبدأ مطاردته. وثمة اربعة أجهزة تحكم حوله في القمرة، وكثيراً ما يضطر الى استخدامها كلها في آن. وتبدل ذراع التشغيل الجماعي درجة ميل شفرات المروحة، فتعدّل بذلك قوة الرفع. ويتصل بهذه الذراع مخنق السرعة الذي ينظم سرعة دوران المحرك. اما الذراع الدائرية فتتحكم بالمروحة كلها، كجيروسكوب[5] عملاق، موجها الطائرة الى الامام او الى الخلف أو جانبياً. وتتحكم دواستان ارضيتان بمروحة الذيل التي هي بمثابة الدفة التي تحافظ على سير الطوافة في خط مستقيم أو تغير وجهتها.

اذ نقترب من الثور، يدفع سلفي بيمناه الذراع الدائرية الى الامام، فتميل

---

(٤) شجر يستعمل ورقه وزهره طبياً.
(٥) Gyroscope، اداة تستخدم لحفظ توازن الطائرة ولتحديد الاتجاه الخ.

الطوافة في زاوية حادة، فيما قدماه على الدواستين ويسراه تمسك بمخنق السرعة وهو يضغط ذراع التشغيل الجماعي ليهبط بالطائرة مسافة نحو الارض. ثم يغطس بين اشجار الممر المائي الجاف وشفرات المروحة تشق الهواء على بعد امتار فقط من الاغصان.

بعد هذا الانقضاض نحو الممر، يسحب سلفي الذراع الدائرية فتجمد الطوافة في مكانها على ارتفاع مترين او ثلاثة مباشرة فوق الثور الشارد. فيخور الثور غاضبا، ثم يستدير في مواجهة الطوافة يرمقها كما لو أنه يود سحقها تحت أظلافه. فيبتسم سلفي أمام هذا التحدي الشجاع. وفيما الشفرات تشق الهواء بعنف فوق رأس الثور، يتقدم هذا خطوات، ويتردد، وفجأة يفقد شجاعته ويستسلم. ثم ينضم الى القطيع خانعا. فيسحب سلفي ذراع الطاقة ونحلق ثانية.

أبرز أداء سلفي مهارة تحبس الانفاس. غير أن هذا الطيار يواصل عمله كأن شيئا لم يكن. ويؤكد، ردا على سؤالي: "كلا، لا أصاب بارتخاء مفاصلي أبدا اثناء قيادة الطوافة، فثمة امور كثيرة أخرى يتعين علي الاهتمام بها."

على رغم ما في جواب سلفي من شجاعة، فان هذه المهنة تنطوي على مخاطر كبيرة. في العام ١٩٨٩، كان الطيار جون ارمسترونغ يسوق القطيع الى مراح تملكه شركة فيكتوريا ريفر داونز، أثناء واحدة من اخطر مهمات جمع الماشية، شارك فيها ما وصل أحيانا الى



آندي بايج ينهي نهاره باعادة القطيع الى الحظيرة.

اربع طوافات كانت تحلق على مسافات متقاربة، فيما الغبار المتصاعد نتيجة الهواء العاصف للمراوح يحجب الرؤية امام الطيارين معظم الوقت. وقد أفلت ثور من القطيع، فالتف أرمسترونغ بالطوافة في حركة دائرية سريعة على ارتفاع امتار من الارض، لكن انحرافه الى اليسار كان اقسى مما تتحمله الطوافة، ففقدت توازنها وانحدرت الى ارتفاع منخفض الى درجة ان احدى شفرات المروحة اصطدمت بالارض، فتشقلبت الطوافة وتحطمت على السياج. ولحسن الحظ لم يصب ارمسترونغ ومساعده بأي أذى.

"لكن القدر لا يرحم دائما،" يقول جون كنينغهام، وهو مهندس يعمل لشركة هيلي – مستر: "تحمل كل طوافة نحو ٢٠٠ ليتر من الوقود في مستوعبات توضع الى جانب المحرك. قد ينجو الطيار

من فعل الاصطدام، لكنه يقضي محترقا عندما تنفجر الوقود."

ولضمان سلامة الطيارين، يفحص المهندسون المختصون الطوافات، كل مئة ساعة طيرانا. ويفككون المحرك وجهاز نقل الحركة ويعيدون تجميعهما، بعد كل ١٢٠٠ الى ٢٠٠٠ ساعة طيرانا، بحسب طراز الطوافة، أو هم يفككون الطائرة كلها ويعيدون تركيبها.

مع النسور. مرة اخرى نطير فوق مولولو والشمس تسفعنا بقسوة داخل "الفقاعة"، وأعني بها قمرة قيادة سلفي. مضت على تحليقنا ساعتان وأخذ معدل الوقود بالانخفاض. يهبط سلفي بالطوافة على ممر ضيق حيث رصفت براميل وقود. وفيما لا تزال المروحة تدوم فوق رأسه، يسحب سلفي خرطوما اسود يصله باحد البراميل ثم يستعين بمضخة يدوية لدفع الوقود الى خزان الطوافة قبل ان يقلع ثانية.

بعد توقفين آخرين لتزود الوقود، كان سلفي وبايج قد ساقا عمليا ١٨٠٠ رأس من الماشية في مجرى جدول باتيل الجاف، فعبْر نفق مصنوع من الاسلاك الشائكة واكياس الخيش، الى حظيرة التجميع. ولمنع الماشية من الدوران على نفسها قرب السياج محاولة العودة الى موطنها، عمد الطياران الى حثها على التقدم عبر تلة صغيرة الى بركتين تغذيهما بئران ارتوازيتان حيث بدأ القطيع عبّ الماء البارد.

أبلغ سلفي الى زميله عبر الراديو: "سألقي نظرة أخيرة." وأدار ذيل طوافته لتلتف ١٨٠ درجة. وتأكد بالمعاينة من ارتفاع منخفض ان الحقل خال كليا ثم توجه عائدا الى حظيرة التجميع وانقض منخفضا فوق سبعة نسور ضخمة من فصيلة اكيلا اوداكس، وقد خفضت أذيالها وهي تقتات من جيفة طير حبارى.

انطلقت النسور الى الفضاء مذعورة من هدير الطوافة، وراح سلفي يلعب مع احدها مقلّدا حركاته الرشيقة في رقصة هوائية ثنائية. ثم توقف وتحول نحو الاشجار تحته حيث كان طائر لقلاق كبير بلونيه الابيض والاسود يتحرك بجلال عبر جدول باتيل.

الرابعة بعد الظهر، عاد الطياران الى مقرهما، وكانت طيور الككتوه والغالا عادت الى مأواها عندما هبط سلفي في القاعدة بعد عشرين دقيقة. وهو انضم، بعدما اغتسل، الى زملائه لتناول شراب منعش قبل ان يتوجه الى منزله للعشاء. وفيما هو يقترب من منزله، تركض طفلته جيسيكا لملاقاته فينحني لالتقاطها ويرفعها عاليا.

يؤكد سلفي انه لا يستطيع تخيل نمط حياة يمنحه رضا أكبر على رغم مخاطر العمل اليومية، ويقول مبتسماً: "لقد راكمت في خمس سنوات من عملي جامع ماشية نحو ٥٠٠٠ ساعة طيراناً في طوافة، وأظنني سأبقى ملازماً هذا "السرج" بضع سنوات أخرى."

بول رافاييل ■

نصائح قد تساعدك في ازالة السمنة حول وسطك

الكرش قنبلة في البطن

عندما نزع إد قميصه لاجراء فحص جسماني صحي، لم يعر كرشه الكبيرة البارزة اهتماماً. لكن بريانت ستامفورد، الخبير بالصحة واللياقة الجسدية، أعرب عن عدم رضاه وقال: "يجب ان نجد حلا لمشكلة بطنك." فعلق إد ضاحكاً: "لا حول لي فيه بشيء. هكذا هي بنيتي. ولكن، ماذا كنت لتقول لو رأيت فخذي زوجتي كيف تهتزان. انها هي التي يجب ان تخفف وزنها."

فأوضح له ستامفورد: "لكن فخذي زوجتك لا تشكلان الخطر نفسه الذي تشكله كرشك على أوردة القلب."

فقاطعه إد: "مهلا، فأنت لن تجد غراماً واحداً من الدهن يكتنف بطني. انه صلب كالصخر."

PHOTO: ROBERT MICAZZO

فلفته ستامفورد الى "أن السبب الوحيد لاحساسك بأن بطنك قاس هو أن الطبقة الدهنية تحت عضلاتك الجوفية تشد هذه العضلات بقوة تجعلها كأوتار القيثارة. قد لا تعتبر نفسك مفرطاً في السمنة لكنك ستواجه مشاكل ان لم تتدارك الأمر."

يرتكب كثيرون، في نظرتهم الى الكرش، الخطأ نفسه الذي وقع فيه إد، وظنهم أنها "اذا كانت لا تهتز فهي ليست مواد دهنية." ويعتقد آخرون أيضاً ان وزنهم الزائد يتجمع عند الوركين او الفخذين ثم يدهشون اذ يعلمون انهم يحملون معظم بدانتهم حول الوسط.

وهنا مكمن الخطر لأن البحوث أثبتت أن تراكم الدهن في البطن يعرض الانسان لأخطار ارتفاع معدل الكولسترول لديه، واصابته بأمراض القلب، والسكري، وضغط الدم، والشلل. كذلك برزت دلائل عزت تزايد خطر اصابة النساء بسرطان الثدي الى علة الكرش.

وعلى رغم ثبوت هذه الحقائق، لا يزال الرأي السائد في ضخامة الكرش – وسبل التخلص منها – يبنى على مفاهيم خاطئة.

وهذه حقائق خمس غير شائعة يمكن أن تساعدك في التغلب على مشكلة الكرش:

١ . **ليس كل من له كرش سميناً**. تقول جوديث رودين، الباحثة في شؤون السمنة ورئيسة دائرة علم النفس في جامعة يال: "قد يكون الانسان نحيلا، ومع ذلك يحوي تجويفه البطني كمية دهن كبيرة جداً بالمقارنة مع بقية أجزاء جسمه."

ثمة طريقتان سريعتان لمعرفة اذا كان وسطك أسمن مما يجب. الاولى، ان تقف منتصبا ثم تخفض بصرك الى الارض، فاذا لم تستطع أن ترى رؤوس اصابع قدميك، فمعنى ذلك ان لديك كرشاً. أو، تمدد على الارض وضع مسطرة يكون أحد طرفيها فوق قفصك الصدري والآخر فوق حوضك. فاذا توازنت العصا على معدتك كما الارجوحة، فأنت في مأزق.

وثمة طريقة علمية أكثر نسبياً، تتمثل في حساب نسبة حجم وسطك الى وركيك، وهي الناتج من قسمة القياس الأدنى لوسطك (وأنت واقف) على القياس الأقصى لوركيك (حول الردفين). فاذا تجاوزت هذه النسبة ٠،٨٥ لدى النساء أو ٠،٩٥ لدى الرجال، فهي دليل على سمنة البطن.

٢ . **للنساء كروش أيضاً**. تلازم البطون البارزة الرجال عادة لأن المادة الدهنية لديهم تتجمع عموماً في التجويف البطني، بينما تتميز سمنة النساء ببروزها في الاوراك والافخاذ. ومع ذلك، فقد يتعرض كلا الجنسين لأي من ظاهرة توزع السمنة لدى الآخر.

بدأت ميليسا، وهي ممرضة في الثامنة والثلاثين من عمرها، تزداد سمنة بعد تخرجها في المدرسة الثانوية، اذ توقفت عن ممارسة سباقات السباحة، لكنها

واصلت تناول كمية الوجبات نفسها الخاصة بالسباحين. وبعد سنوات، حين التحقت ببرنامج لانقاص الوزن، اظهرت مقاسات جسدها ان وزنها ليس زائداً على اللزوم فحسب بل انها تعاني سمنة في البطن أيضاً.

وبصرف النظر عن عاداتها الغذائية، يمكن ان تكون بنية ميليسا قد تأثرت بانجابها ولدين. تقول رودين: "ان نسبة الدهن في التجويف البطني تزداد مع عدد مرات الحمل." وبينما يدّعي بعض الخبراء ان اتساع محيط الوسط لدى الامهات هو نتيجة تمدد الجلد والعضل، خلصت دراسات أجريت حديثاً الى ان جزءاً من السبب قد يكون ناجماً عن تراكم دهني متأصل في البطن.

ولم يعرف بعد سبب لهذه الظاهرة. فقد يكون بعض النساء اكثر عرضة لتراكم الدهن في البطن لاسباب وراثية ولا يظهر هذا الا بعد ان يصبحن حاملات. أو، قد يكون الأمر مرتبطاً بالإرضاع. وتوضح رودين هذا الامر: "يمكن ان تنمو لدى النساء اللواتي لا يرضعن نسبة أكبر من الدهن الجوفي، لأن افراز الحليب يستنزف مخزون الدهن."

٣. لست مضطراً الى ان تجوع.

لتتخلص من كرشك، عليك ان تخفض عدد السعرات الحرارية التي تتناولها. والطريقة الفضلى الى ذلك هي الحد من استهلاك المواد الدهنية. فالدهن "يعج" بالسعرات الحرارية مقارناً مع البروتيين والنشويات. فبينما يزودك البروتيين والنشويات نحو أربع سعرات حرارية في كل غرام، يعطيك الدهن تسع وحدات.

يقول دوغلاس ل. بالّور، الاختصاصي بالتمارين الفيزيائية: "اذا تناولت العدد نفسه من الوحدات الحرارية من الدهن والنشويات، فان الدهن يكسبك وزناً اكثر، لأنه يدخل الخلايا "كما هو"، بينما تحتاج النشويات الى ان تتحول دهناً لكي تُخزَّن، وهذا يحتاج بدوره الى طاقة، والطاقة تحرق الوحدات الحرارية."

تأكد من أن وجباتك غنية بالنشويات المركبة بما فيها الحبوب والرز والمعكرونة والبقول والفواكه والخضر وخصوصاً البطاطا بقشرتها والذرة والقرع والشمندر والجزر. وتناول البسكويت القاسي غير المملح والفشار (بوب كورن) من دون زبدة.

ظل الخبراء سنوات عدة يوصون بتحديد كمية الدهن الذي تتناوله يومياً بـ٣٠ في المئة من مجموع السعرات الحرارية المسموح بها، لكن ستامفورد يقول: "اذا انقصت تلك النسبة الى ٢٠ في المئة، فسترى تغييرات اكبر."

تفاد، في أي حال، خطط انقاص الوزن السريعة. فقد أشار بحث أجري حديثاً الى وجود علاقة بين سمنة البطن ونظام "اليويو"[١] للحمية وهو الجولات المتكررة

(١) اليويو (yo-yo): لعبة مؤلفة من قرص مزدوج محزوز مزود سلكاً لُفَّ احد طرفيه حول الحز وشُدَّ الآخر الى يد المرء او اصبعه على نحو يمكنه من قذف القرص في اتجاه ما واعادته من ثم الى اليد. وهكذا...

من انقاص الوزن واستعادته مجدداً. وتقول رودين: "يمكن ان تؤدي سلسلة كهذه من انقاص الوزن واستعادته الى ابطاء عملية الأيض او ان يغرق كثيرون من الناس في تناول الدهنيات فور انتهائهم من نظام الحمية."

اكتشفت الدكتورة جوديث س. ستيرن، استاذة علم التغذية والامراض الداخلية في جامعة كاليفورنيا بديفيس أن فئران المختبرات التي تجبر على انقاص وزنها ثم يسمح لها بتناول ما تريده، تختار غذاء تبلغ نسبة الدهن فيه ٥٠ وحتى ٦٠ في المئة.

والمؤسف، تقول رودين، ان للبشر الميل نفسه. فقد أظهر مشاركون في احدى الدراسات اخضعوا تكراراً لعملية خفض وزيادة كبيرين في الوزن، ميلا مميزاً الى الاطعمة الدهنية. وفي دراسة اخرى تناولت نساء اتبعن انظمة حمية كهذه وجبات غنية بالدهنيات اكثر من النساء اللواتي لم يمارسن نظام حمية.

٤. التمارين القاسية ليست ضرورية. يقول ستامفورد: "حالما تنقص كمية الدهن في نظام حميتك يسهل عليك ان تحرق سعرات حرارية اكثر مما تتناول." حتى ان التمارين البسيطة تفيد لأن دهن البطن هو بين الاسهل احتراقا.

ويمكن نصف ساعة من التمارين الحيهوائية يومياً مثل المشي السريع، والهرولة والعدو، والسباحة وقيادة الدراجات الهوائية، ان يعطي نتائج مثلى، وحتى التمرين المعتدل يترك أثرا. وتوصي جوان بلوس، الباحثة في علم الغذائيات في كلية وسكونسن الطبية في ميلووكي، بادخال جلّ ما تستطيع من نشاطات جسدية في برنامج حياتك اليومي. أوقف سيارتك في آخر الموقف وامش. اصعد الدرج بدلا من استخدام المصعد. وتقول: "ان مجرد المشي العادي مدة ١٥ او ٢٠ دقيقة، مرات عدة في الاسبوع، هو بداية رائعة."

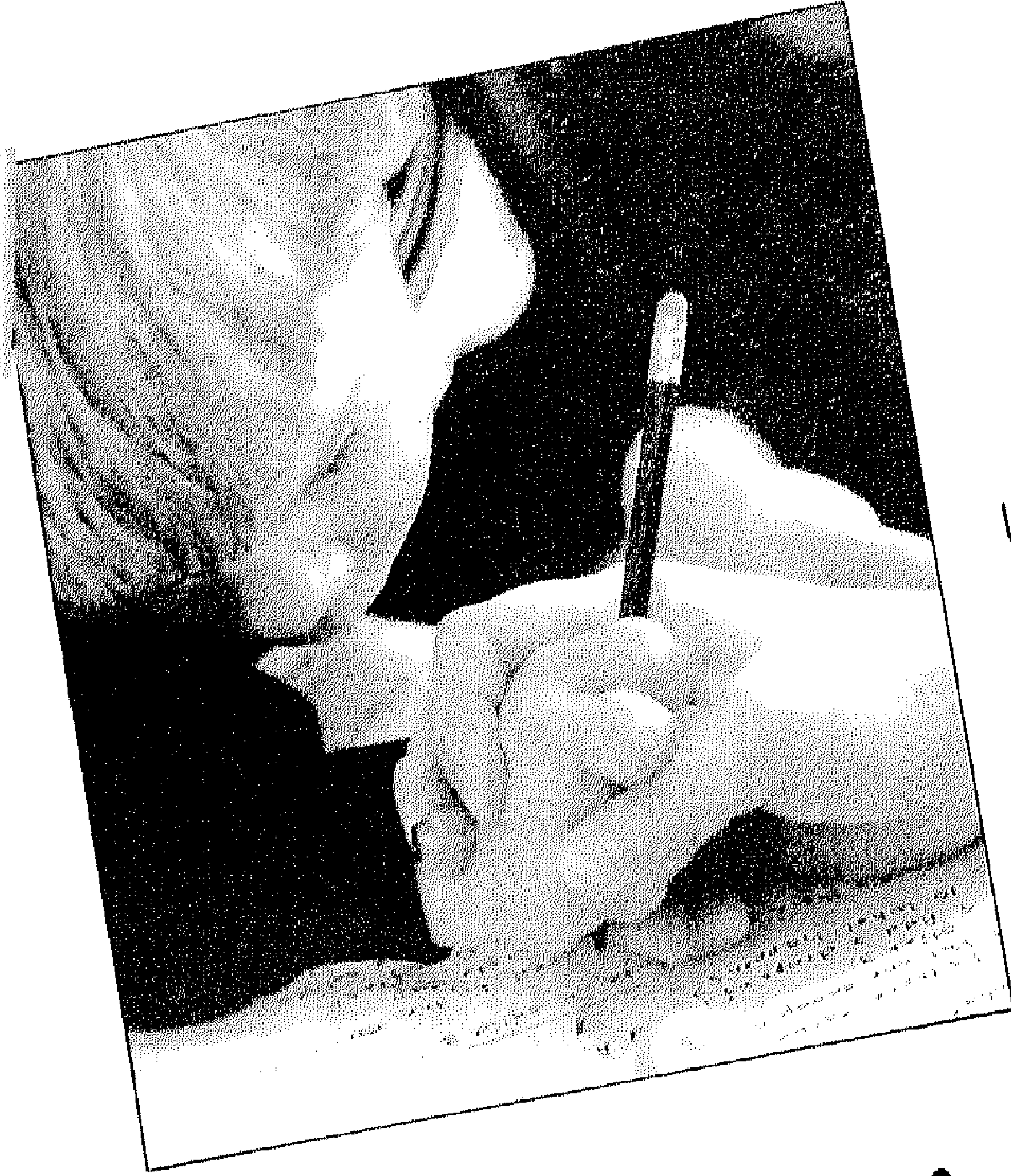
٥. لا طائل من تمرين عضلات المعدة.[٢] انه ليس افضل طريقة للتخلص من كرشك.

يقول بالّور: "ان تقوية عضلات معدتك لا تنفع لان اسباب نمو الكرش ناتجة من الزيادة الكبيرة في كميات الدهن لا من ترهل عضلات المعدة. وليس هناك ما يسمى تخفيف وزن موضعياً. كما ان لا تأثير مباشراً لتمرين العضلات على الدهن المحيط بها."

من الشائع ان لا نلقي بالا للسمنة حول الوسط او ننكرها، ولكن هذا المنحى الفروسي قد يؤدي الى نتائج خطيرة. ان الذين يتخذون الخطوات المناسبة لمنع ظهور الكرش أو التخلص منها، يفعلون اكثر من مجرد اكتساب مظهر افضل. انهم يضعون الاسس لحياة اطول وافضل صحيا.

كاريل س. إيفري ■

(٢) الاستلقاء على الظهر ثم رفع منتصف الجسم العلوي الى وضعية زاوية قائمة ثم تكرار العملية.



كان جميع تلاميذها
من الاولاد الموهوبين،
لكن أياً منهم
لم يُدانِ إيان هدسن

ذكاؤه أكبرَ مِنه

ما ان انتهت مارغريت زيمرمان من الاشراف على انتظام الاولاد في أماكنهم في اليوم المدرسي الأول من شهر أغسطس (آب) ١٩٨٩، حتى ألقت نظرة ترقب على الباب. ففي أي لحظة سينضم إيان هدسن البالغ ستة أعوام، الى التلاميذ العشرين في صفها المخصص للموهوبين في مدرسة لورا هوز الابتدائية في كروفوردسفيل بولاية إنديانا الامريكية.

بدت "السيدة ز." التي تمارس مهنة التعليم منذ عشرين سنة، قلقة في شأن ما سيكونه رد فعل تلاميذها في الصفين الاول والثاني الابتدائيين، خصوصاً انهم اطفال ذوو مواهب استثنائية ويتمتعون بثقة في النفس عالية... وكيف ستتعاطى

هي نفسها مع هذا الأمر.

خاطبت السيدة ز. الأطفال: "سنشهد هذا الصباح مغامرة استثنائية. فسينضم الينا صبي يدعى إيان هدسن." في تلك اللحظة فُتح الباب. وراقب الأطفال بهدوء زميلهم الجديد يدخل وقد اتسعت حدقاتهم دهشة.

كان الصبي الأشقر الناحل مربوطاً بحزام الى مقعده المثبت داخل إطار أنبوبي الشكل ذي أربع عجلات تدفعه شابة باسمة تدعى جويس زركوسكي، بادرت التلاميذ بمرح: "مرحبا. هذا هو إيان. إنه مصاب بشلل مخي. وهو عاجز عن المشي أو الكلام. واعضاء جسده لا تؤدي وظائفها كما يجب لكنه لا يقل عنكم ذكاء ويرغب في ان يكون صديقكم."

أحنى إيان رأسه ولوح بذراعيه. وجالت عيناه الزرقاوان على الرؤوس المشرئبة ثم ما لبثتا ان استدارتا في محجريهما ليستقر نظره بعيداً.

جلست جويس وإيان في حجرها بعدما رفعته عن المقعد. لكن القسم العلوي من جسم إيان انقبض فجأة وأرتد مرتطماً بصدر جويس. وأطلق الصبي صرخة عالية حادة. قالت جويس: "انه منفعل. وهو يصرخ على هذا النحو متى كان مسروراً."

فوجىء الجميع بالامر وارتسمت في عيونهم نظرات تساؤل: ماذا يفعل هذا الصبي الغريب في صف السيدة ز.؟ قالت جويس في نفسها وهي تعانقه بقوة: عليك ان تثبت نفسك ايها الصغير.

في تلك الأثناء كانت هيلين، والدة إيان، تغادر المدرسة في سيارتها ودموع الفرح في عينيها غير مصدقة أنها أوصلته الى المدرسة، تماما مثل اي طفل في السادسة من عمره!

الاذكى والالمع. كان هذا الحدث العادي، حتى وقت قريب، يتجاوز تصورات هيلين. أما الآن فإيان يبدأ ثقافته المدرسية في عداد أطفال المدينة الاذكى والالمع.

أطل إيان هدسن على هذه الدنيا في ٢٩ يوليو (تموز) عام ١٩٨٣ مولوداً يزن كيلوغرامين ونصف كيلوغرام، رمادي اللون لافتقاره الى مادة الاوكسيجين، يجهد في التقاط انفاسه.

وكانت هيلين هدسن أمضت اثنتي عشرة ساعة في مخاض غير مجد، اضطر الاطباء في مستشفى أوماك بواشنطن الى اجراء جراحة توليد قيصرية عاجلة لانقاذ الطفل الذي حملته طائرة هليكوبتر الى مستشفى سبوكان حيث أسعف بجهاز تهوئة. وأعلم والداه انه اذا قُيّض له أن يعيش فسيعاني شللا مخياً، وربما نشأ متخلفاً عقليا.

حمل مارك وهيلين هدسن مولودهما الى المنزل والحزن يكتنفهما.

وفي حين أن اطفالا كثيرين مصابين بشلل في الدماغ يظهرون بعض النمو الوظيفي، لم يبد على ايان، مع مرور الاشهر، سوى تقدم بطيء. لكن عينيه الزرقاوين الأخاذتين كانتا دائمتي اليقظة،

تلاحقان كل ايماءة من والديه، الامر الذي ترك لدى هيلين انطباعاً بأن شيئاً ما يدور في هاتين العينين.

عندما بلغ ايان الرابعة من عمره تقريباً، عملت هيلين مساعدة لأستاذ العلوم الانسانية في كلية سانت نوربرت في دوبير بولاية ويسكنسن. وانتقلت العائلة الى غرين باي المجاورة حيث صار مارك محاضرا في دائرة اللغة الانكليزية في جامعة ويسكنسن. وكان الوالدان يتناوبان القراءة لإيان وهو في حجرهما. وقد سهل عليهما معرفة كتبه المفضلة، من ابتساماته وأصوات الإثارة المرتبكة التي يطلقها.

ذات يوم، وكان إيان في منتصف عامه الثالث، جاءت جويس زركوسكي، احدى تلميذات هيلين، لرعايته اثناء غياب والديه، فلفتها مارك الى ان "ايان يفضل اختيار كتبه بنفسه."

القت جويس نظرة غير مصدقة على الطفل، لكنها لاحظت البريق في عينيه. ومذذاك باتت الفتاة فرداً من العائلة. فقرأت مع إيان عشرات الكتب وشاهدا معاً برامج تلفزيونية عدة. وكان إيان يتابع بشغف برنامج التسلية "افتح يا سمسم،" وينشدّ الى برنامجي "حي السيد روجرز" و"دولاب الثروة." ولاحظت جويس ان إيان كان يتابع كل حرف يتلفظ به المتبارون.

الاختبار الحاسم. التحق إيان لدى اتمامه عامه الثالث بروضة للأطفال خاصة بالمعاقين. غير انه بات حزيناً بسبب قصر رفقته على الاطفال الكسيحين والبكم. ثم ما لبث ان استعاد مرحه عندما نقل الى روضة أطفال عادية. واثناء احدى النزهات زعق إيان مبتهجا إذ رأى فتاة صغيرة تنطلق على منزلق، فأدرك والده الامر مخاطبا نفسه: انه يتمثل تلك الطفلة. انه يشاركها في بهجتها.

كانت هيلين متأكدة من ان إيان غير متخلف عقليا وذلك من خلال ملاحظته القوية وبعض الاشارات الصغيرة الأخرى كضحكاته الخافتة لدى سماعه المفارقات الطريفة في القصص. بيد ان الشكوك ظلت تساور مارك. وتباينت الآراء الطبية في شأنه وقدر معظم الاختبارات النفسية ان ذكاءه هو دون المتوسط، غير ان عدداً قليلا من الأطباء اعرب عن اعتقاده باحتمال ان يكون ايان ذا ذكاء طبيعي. وابلغ احدهم الى والديه: "صدقاني ان طفلكما قادر على فهم كل شيء."

ذات يوم وضعت هيلين لوحا على الأرض وثبتت في جزئه العلوي حروفاً ممغنطة شكلت بها كلمة "بقرة"، وكلمة "ضفدعة" على الجزء السفلي منه. ثم سألت إيان: "أيهما الحيوان ذو اللون الأخضر؟"

فاندفع إيان من حجر امه الى الأمام وغطى بجسده كلمة ضفدعة.

وفي وقت لاحق أفردت هيلين صفحات جريدة وسألت إيان اذا كان قادراً على رؤية كلمة "نار" في أي من العناوين



آمبر مولندور زميلة ايان ارادت هي ايضاً دفع كرسيه المتحرك.

الرئيسية. واغمضت عينيها فيما انحنى إيان الى الأمام. وعندما فتحتهما كانت ذراعه تستقر على الكلمة المنشودة.

ومع شعورها بالغبطة، لاحظت هيلين أن القدرة على تحديد الكلمات لا تتأتى منها فائدة عملية لطفل عاجز عن تناول طعامه او الذهاب الى الحمام من دون مساعدة. وقالت في نفسها ان ما فعله لا يعدو كونه أمراً بسيطاً يمكن امثاله القيام به.

انتقلت العائلة عام ١٩٨٨ الى كروفوردسفيل بولاية انديانا حيث عين مارك مساعدا لاستاذ اللغة الانكليزية في كلية واباش. وفي ربيع ذلك العام انجبت هيلين طفلة تتمتع بصحة جيدة سميت الكسندرا. وكان إيان حينذاك شارف عامه السادس واستدعت الحال التفكير في مستقبله الدراسي. قالت هيلين: "لنستشر اختصاصيين في مدى قدراته."

حضرت ماريلين ويب الاختصاصية بعلم نفس الطفل الى منزل آل هدسن

لامتحان قدرات ايان. وبعدما اخبرتها هيلين ان إيان يستطيع الإشارة الى الأشياء التي يطلب منه تحديدها، وضعت ويب امامه على الأرض أربع بطاقات كبيرة مرقمة من ١ الى ٤. واحتفظت في يدها بأربع صور تحمل الأرقام نفسها، بينها صورة لفتاة تتأرجح. وطلبت ويب من إيان تحديد البطاقة على الارض التي يطابق رقمها رقم صورة الفتاة. ومن دون أي تردد انتقى إيان الرقم الصحيح. وراح يعطي الأجوبة الصحيحة الواحد بعد الآخر. فخفق قلب هيلين وفكرت: انه يظهر لنا اخيرا ما يمكنه القيام به. ولم ينته الاختبار الا وكان إيان حل مسائل حسابية مركبة ذات مرحلتين في الجمع والطرح والضرب. وبدت عيناه "ترقصان" فرحا لما أنجزه. اما هيلين فقد ادهشتها معرفته لبعض الكلمات الصعبة مثل "قاحل"، "متهدم"، "يزود" و"مخلب."

بعد أسبوع تلقى آل هدسن تقرير ويب، فصعقتهم النتيجة: اثبت إيان أنه واحد من النخبة الاذكى الذين لا تتعدى نسبتهم بين أقرانه في البلاد واحداً في المئة. وعجز الوالدان عن فهم سبب موهبته الحسابية، في حين بدا واضحاً انه استوعب اللغة من طريق القراءة التي كانت تُتلى عليه ومشاهدته التلفاز واصغائه الى الأحاديث.

ولدى اجتماع الوالدين بأعضاء "تعاونية الخدمات الخاصة"*، قدم مديرها رونالد لويس اقتراحا مجفلا: "نظراً الى قدرات إيان، لماذا لا يلتحق بأحد الصفوف المخصصة بالموهوبين؟" وكانت مدرسة هوس هي التي تتولى تنفيذ برنامج عمل المؤسسة في كروفوردسفيل.

قبل خمسة أيام من بدء الدروس التقت مارغريت زيمرمان آل هدسن وهي مشدوهة. فبادرها مارك قائلا: "أُعلمنا ان صفك هو المكان الملائم لولدنا." وفكرت السيدة ز. وهي تنظر الى الصبي في حجر والدته: يمكنني تزويد إيان المعلومات اللازمة ولكن كيف أستطيع استخراج قدراته؟ وما لبثت ان قالت: "سيكون إيان تلميذي."

عرّفت جويس إيان الى زملائه في الصف ثم حملته الى كرسي جُهز بصينية وأحزمة للقدمين.

تدلى رأس إيان لكن عينيه راحتا تعاينان الغرفة. وحدق اليه بعض الأطفال بينما أشاح عنه آخرون.

أراد إيان أن يُفهمهم، بأي ثمن، انه صبي ذكي ومرح. ولكن تعين عليهم القيام بالخطوة الاولى.

هتف صبي هزيل ذو شعر كستنائي جعد: "هل يهوى إيان السيارات؟"

فأجابت جويس: "لِمَ لا تسأله؟"

لوح إيان بذراعيه عندما سمع السؤال لكن أيرن شيفر لم يبد أي اهتمام بل ركز ناظريه على الابتسامة المرتسمة على وجه إيان. وقال: "سنمرح معا وسوف تحب هذا المكان."

(*) منظمة محلية تعنى بمساعدة الاولاد الذين يحتاجون الى برامج تربوية خاصة.

كانت هذه المرة الاولى يسمع إيان مثل هذه الكلمات من صبي في عمره. وفكر جذلا: إنه لا يهتم لاعاقتي بل يهتم بي!

شعرت السيدة ز. بالبهجة تتدفق في داخلها. لقد أجلست أيرن المحبوب الهادىء قرب إيان، مصادفة، وها هما يغدوان صديقين! لقد نظر أيرن الى إيان من خلال قلبه كما من خلال عينيه.

بعيد انتهاء الدوام كانت هيلين تنتظر إيان وقلبها يخفق، وفي ذهنها آلاف الأسئلة. لكن اهمها أجيب عنه بابتسامة أشرقت على وجه جويس التي بادرتها: "كل شيء سيكون على ما يرام."

وبعد أسبوع عادت جويس الى الجامعة. وتأقلم إيان بسهولة مع جيني فرودج المعاونة المسؤولة عنه في المدرسة. وكانت السيدة ز. حضرت بعناية ملصقين كبيرين يحمل احدهما أرقاما من واحد الى ١٠ والآخر الأحرف الأبجدية.

عمل إيان مع جيني على الأرض، فكانت ذراعه تطوف فوق الأحرف والأرقام وهو يحل المسائل الحسابية ويركّب الجمل. وأثار ذلك دهشة السيدة ز. فاقتعدت الأرض قربهما لتتأكد من ان جيني لا تساعد إيان في تحريك ذراعه.

وحينما درس التلاميذ حيوان الدينوصور المنقرض توجب على كل طفل ان يكتب مقطعاً صغيرا عنه. وتبدت في ملامح إيان امارات المستغرق في افكار بعيدة وخيال جامح وهو يرسم الكلمات لجيني لتدون هذا الوصف: "ادعى ديوي، الدينوصور. وأنا ذاهب الى مطعم مكدونالد. سأطلب دينوبرغر وشرائح البطاطا المقلية المفضلة لدى رجل الكهف ومشروب الكولا في كوب قدَّ من صخر."

وذات يوم حاول إيان المشاركة في اداء النشيد الوطني، لكنه لم يصدر سوى همهمات غير منضبطة فانهار باكيا. وقد أحزن ذلك الجميع. وشجعت السيدة ز. في ما بعد التلاميذ على النظر الى النواحي الايجابية في إيان: "انه ذكي وخلاق. يجيء الينا مشرقا كل صباح. ويسعدنا وجوده بيننا."

ما قالته السيدة ز. تحقق فعلا، فقد نمت بين إيان وزملائه علاقة خاصة. وفي ملعب كرة السلة كان أيرن يضع الكرة لإيان على الصينية ليتمكن هذا من تمريرها. وفي فصل الخريف، كانت الاوراق المتساقطة من الاشجار تتكدس على صينية إيان، واذ ينثرها هو في الهواء يتعالى الهتاف بين رفاقه تشجيعاً.

اثناء احدى الفرص، وبعدما هرع الاطفال الى الخارج واستعدت جيني للحاق بهم مصطحبة إيان في كرسيه، قال أيرن: "سأتولى أنا إخراجه." فأمال مقعد إيان الى الوراء وانزله في الاطار المدولب وهتف لدى اقترابهما من منحدر الاسفلت الذي يؤدي الى الملعب: "إيان. ها نحن ننطلق في السباق!" أرجع إيان رأسه الى الخلف وهو يشعر بالهواء يلفح وجهه، وسمع الأطفال يصيحون: "أنظروا! إيان قادم!"

وسرعان ما بدأوا يطلبون من جيني التناوب في دفع كرسي إيان. فاجابتهم ذات مرة ضاحكة: "أراني مضطرة والحال هذه الى وضع لائحة بأسمائكم جميعاً."

وفي احد الأيام، فيما كان إيان يلهو مع أيرن في منزله بلعبة سباق السيارات همست غريس، والدة أيرن لابنها: "دع إيان يفوز في اللعبة." الا ان أيرن أصرّ: "لا. عليه ان يغلبني." وقد استطاع إيان ذلك.

أعجبت غريس شيفر بالتصرف الطبيعي لايان وهي تتأمله يلعب، وتحسرت على كل الأطفال المعاقين الذين لن يلتحقوا ابدا بصف مدرسي ويفوزوا بصداقات اقران لهم. لكنها امتلأت فخراً اذ ادركت أن أيرن يمثل جزءاً، ولو صغيرا، من قصة إيان.

انهمك إيان خلال شهر فبراير (شباط)، بالاشتراك مع أيرن وشقيقه التوأم براد وصبي يدعى جون هلينغ، في اعداد مشروع لمعرض للوسائط السمعية - البصرية شملت معروضاته شرائح فوتوغرافية (سلايدز)، وأفلام فيديو وتسجيلات صوتية.

ووضع إيان نصا عنوانه "الحفرة الكبيرة السوداء." وتولى أيرن التصوير وسرد الاحداث. استُهل شريط الفيديو بمشهد لإيان وبراد وجون في ملعب المدرسة. وفجأة يهوون في حفرة كبيرة فغرت أمامهم وقد صنعوها من ورق أسود مقوى. ثم تظهر رسوم تمثل الصبية باحجام قزمة يستكشفون باطن الأرض الخطر، يقودهم بشجاعة إيان، الصبي المتكامل صوتا وجسدا. ويلتقون اثناء مغامرتهم هذه جنديا يحمل سيفا، وفأرا عملاقا. وفي ختام القصة، يتشقلب الأولاد مجددا من داخل الحفرة الى الملعب، فيعود إيان الى كرسيه مرة أخرى وهو يكافح كي يبقي رأسه عاليا. ويُسمع آنذاك صوت أيرن مردداً: "أتمنى لو يمكننا العيش في مكان حيث الجميع سواسية. لم أكن مسرورا بصغر حجمي. لكن إيان كان قادرا على المشي."

أسر شريط الفيديو مشاعر الحكام في المعرض الاعلامي فمنحوه الجائزة الاولى. واثناء مراسم تقديم الجوائز، هرع آيرن وبراد وجون الى المنصة لتسلم جوائزهم. وضجت القاعة بتصفيق حاد كالرعد لدى ظهور إيان هدسن في الممشى بين ذراعي والده وهو يلوح بيديه وقد اتسع وجهه.

أنهى إيان عامه الابتدائي الأول بين المتفوقين الذين يمثلون واحداً في المئة من أطفال امريكا. وفي عامه الابتدائي الثاني، اذ تابع دروسه في صف السيدة ز.، اشتد عوده وصارت ذراعه اليسرى تشير بثقة اكبر الى الحروف على لوح الابجدية.

قلما يعير إيان عجزه اهتماماً، ونادراً ما يفعل ذلك والداه. فهما يأملان ان تلهم قصة إيان الآخرين.

بيتر ميتشلمور ■

تراثيات

جداريات واشغال خرزية تعكس بعداً تراثياً افريقياً فريداً

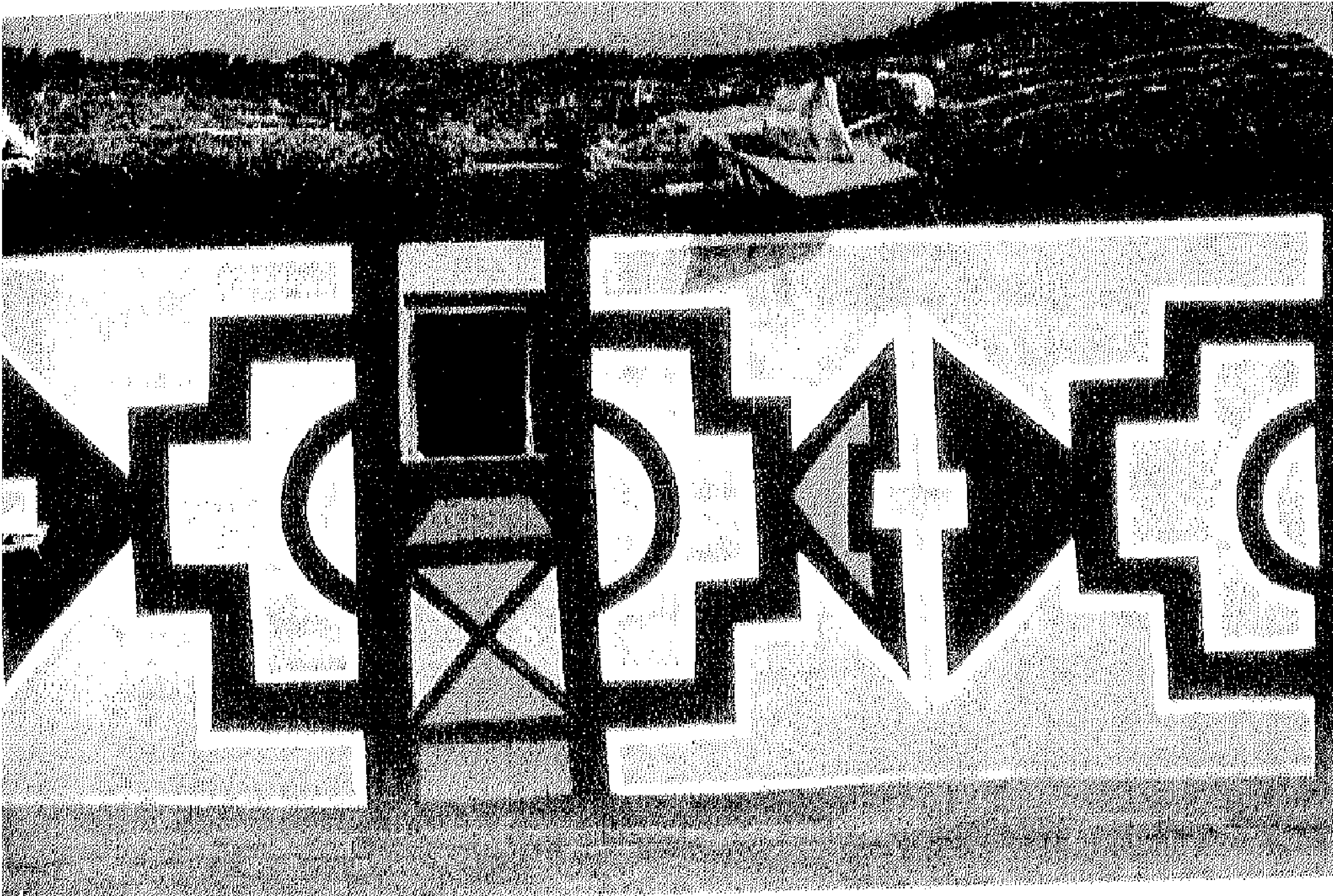
عندما ترسم المرأة النديبيلية فانها تفعل ذلك ليس رغبة في الاطراء او طمعا بالمال وإنما لتجميل منزلها الذي تعتبره مقاما مقدساً.

وما يميز امرأة عن غيرها هو اسلوبها في الزخرفة والالوان التي تنتقيها لجدران مسكنها الترابي. ولكن حين تسأل اولئك النسوة عن فنّهن يجبنك باقتضاب: "تعلمته من امي"، او "هو شريعة النديبيليين."

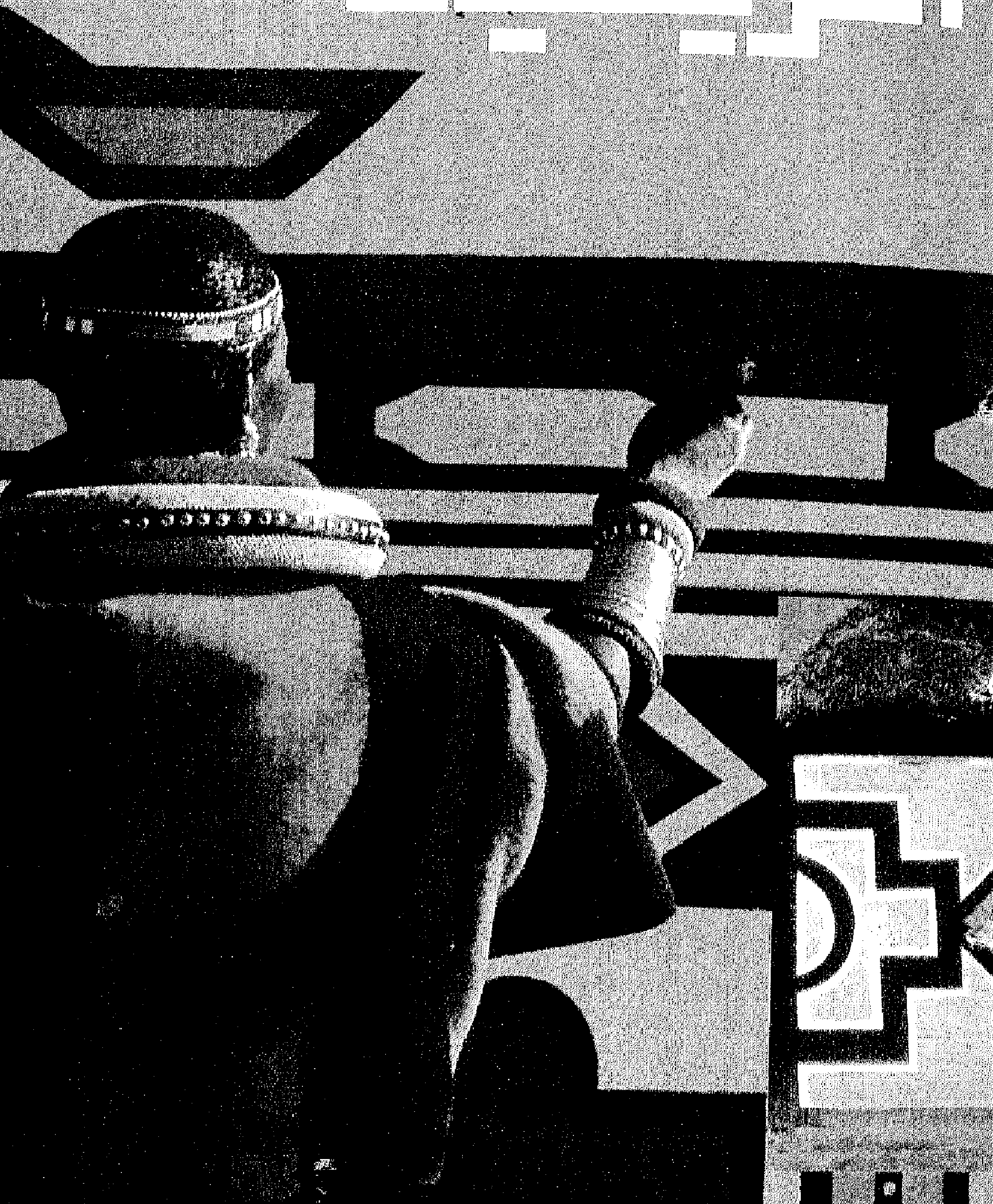
منذ اجيال ونساء نديبيلي في جنوب افريقيا يبدعن اعمالا فنية غنية رائعة، زاخرة بالحيوية.

في فتوته، كان جيل هؤلاء الرسامات يقتصر في عمله على الالوان الترابية – البني والمغرة والاحمر والاسود. اما اليوم فان الالوان المتوافرة باتت تتيح للنساء استعمال مجموعة الالوان الطيفية spectrum كاملة. فاللون المشرق الزاهي الذي يعززه النور الساطع في منطقة الترنسفال هو في أساس زخرفة نديبيلي.

وتتحرك لريشة النديبيلية بحرية على

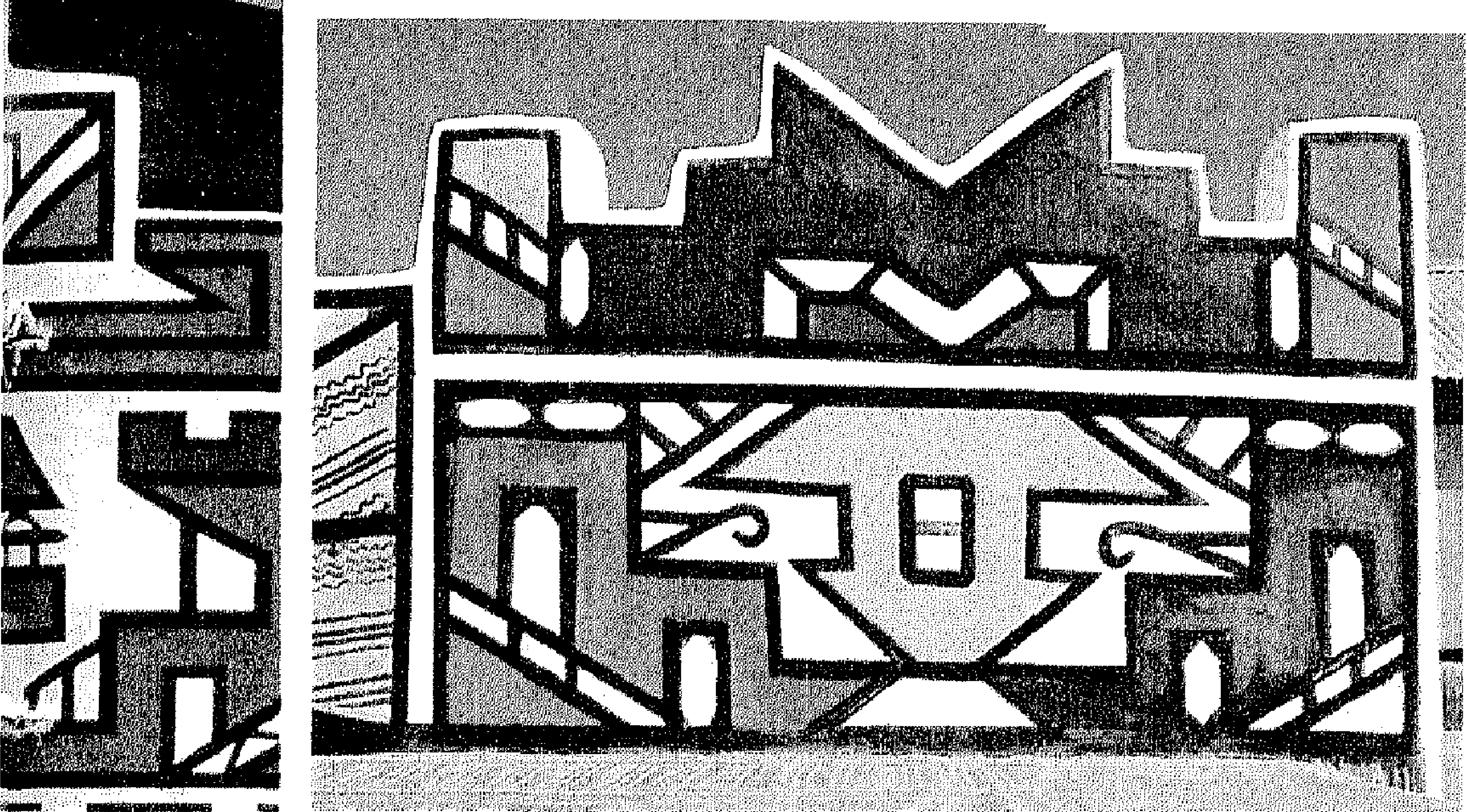


افريقية





امراتان في زي
يغلب عليه الطابع
النديبيلي. وخصوصا الخرز

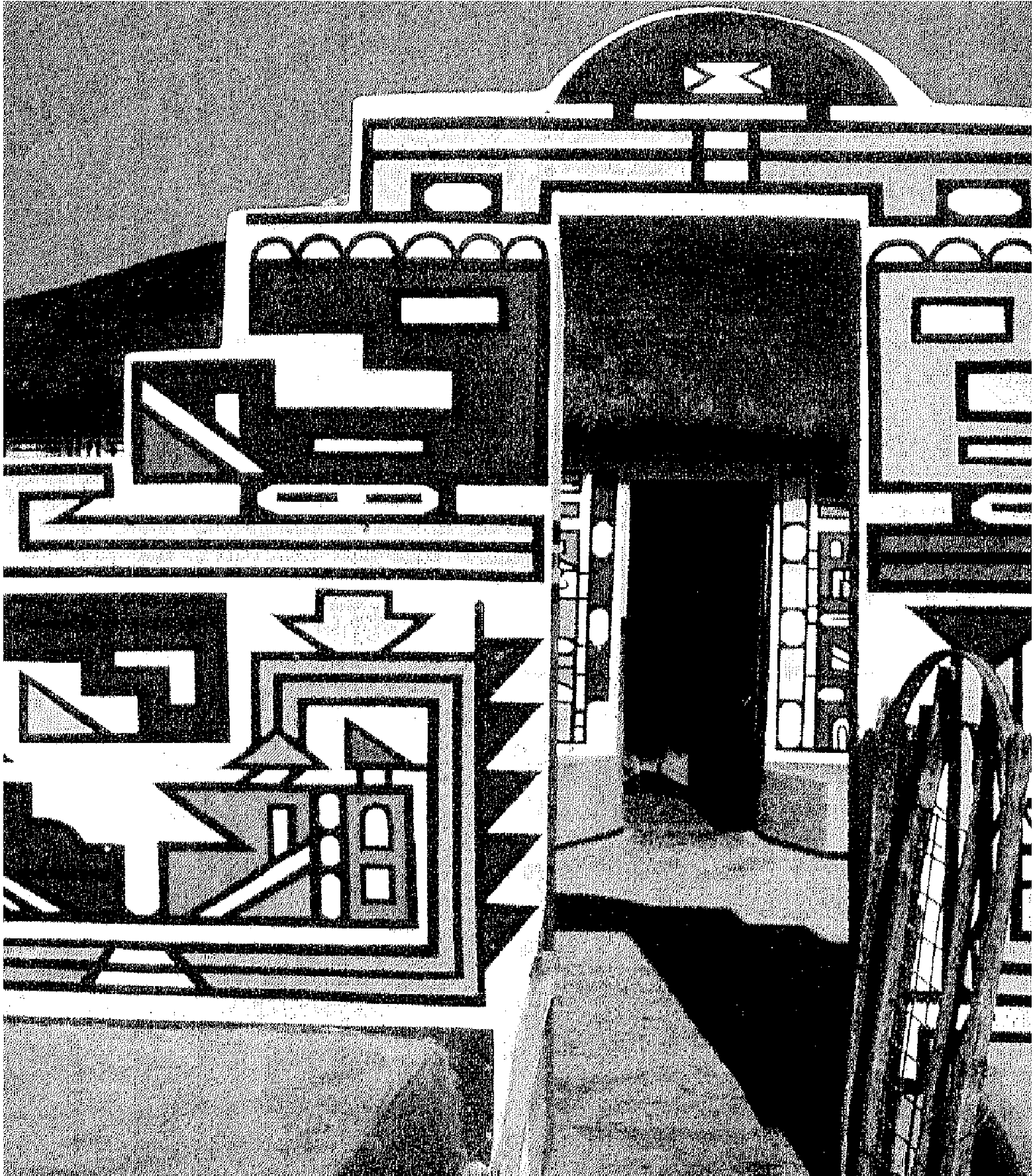


راس بوابة مزخرفة بنقوش والوان

مدخل مزخرف
لاحد المنازل العائلية
في كوانديبل

الجدران مستهدية بواحد من اسلوبين رئيسيين: التقليدي والعصري. وفي بعض الاحيان يلتقي الأسلوبان في المسكن ذاته. ففي الاسلوب التقليدي تبدو الرسوم واضحة، متواصلة الخطوط وتجريدية، وهي تزداد تعقيدا في الواجهة الرئيسية للمنزل. اما الأسلوب العصري فهو تمثيلي اكثر ويرمز الى الدور والساحات أمام الابنية والى الأبواب والنوافذ. والخطوط القطرية فيه، المائلة والأفقية والعمودية، ما هي الا ترجيع لاشكال الدعامات التي تقوم عليها الجدران الطينية.

تنتقي فنـانات نـديبيلي الاشكال الهندسية والبيانية الاكثر تعقيداً من الحياة اليوميـة. فالازهـار والاشجار





فنانة ترسم مباشرة على الجدار، مستعينة بيديها والفرشاة.

حاضرة دائماً في أعمالهن لان في الامكان رسم اجزاء محددة منها بوضوح.

ولا يقل افتخار نســاء نديبيلي بأشغالهن الخرزية عن افتخارهن برسوم جدارياتهن. اذ هن يجتمعن، بعد الانتهاء من اعمالهن المنزلية اليومية، في ظل إحدى الاشجار وينشغلن في صنع عقود وادوات زينة من خرز الزجاج او البلاستيك. ويرتدين في الاحتفالات الدُّثر (الحرامات) المزركشة بالخرز وعصابات الرأس والتنانير المرصعة بالخرز اللامع.

ويقدر عدد افراد الشعب النديبيلي في جنوب الترنسفال بقرابة ٤٠٠ الف. وهم حافظوا على كيانهم كأمة حية لأنهم ظلوا متمسكين بتقاليدهم الحضارية. وعلى رغم الاضطرابات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي عصفت بجنوب افريقيا فان هؤلاء النساء تابعن بعناد نهجهن الجمالي المميز.

مارغريت كورتني - كلارك ■

دائرة المعارف

■ اعداد وليم صعب

دائرة المعارف هذا الشهر امتحان في المحفوظات الشعرية. هنا ٤٠ بيتاً منتقاة من قصائد مختلفة. والمطلوب من القارىء ان يعرف مطلع القصيدة التي اختير منها كل بيت، واسم ناظم القصيدة، ويرسل الاجوبة الى مجلة "المختار" على العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
C/O Aramex Internationl Courier
P.O.BOX 3814 Deira United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar, B.P. 819
94549 Orly Aerogare France

وستسحب اسماء الفائزين بالقرعة وتنشر في عدد يناير (كانون الثاني) ١٩٩٢ الجائزة الاولى ١٠٠ دولار، والجائزة الثانية ٥٠ دولاراً، والجائزة الثالثة ٢٥ دولاراً، اضافة الى عشر جوائز اشتراكات لمدة سنة في "المختار".

١. أيقنت أني – لا محالة –
حيث صار القوم صائرْ

٢. ولستُ بخالعٍ درعي وسيفي
إلى أنْ يخلع الليلَ النهارُ

٣. مِكَرٍ مِفَرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً
كجلمودِ صخرٍ حطّه السّيلُ من علِ

٤. سئمتُ تكاليف الحياة، ومن يعش
ثمانين حولاً – لا أبا لك – يسأمِ

٥. وظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضةً
على النفسِ من وقع الحسام المهنَّدِ

٦. كناطحٍ صخرةً يوماً ليفلقها
فلم يضِرْها، وأوهى قرنَهُ الوعلُ

٧. أمست خلاءً وأمسى أهلُها احتملوا
أخنى عليها الذي أخنى على لبَدِ

٨. إن الأفاعي، وإن لانت ملامسها،
عند التقلب في أنيابها العَطبُ

٩. فما التأنيث لاسم الشمسِ عيبٌ
ولا التذكير فخرٌ للهلالِ

١٠. ليس من يقطع طرقاً بطلاً
إنما من يتقي الله البطلْ

١١. أم تلك ليلى العامرية أسفرت
ليلاً فصيَّرت المساء صباحا

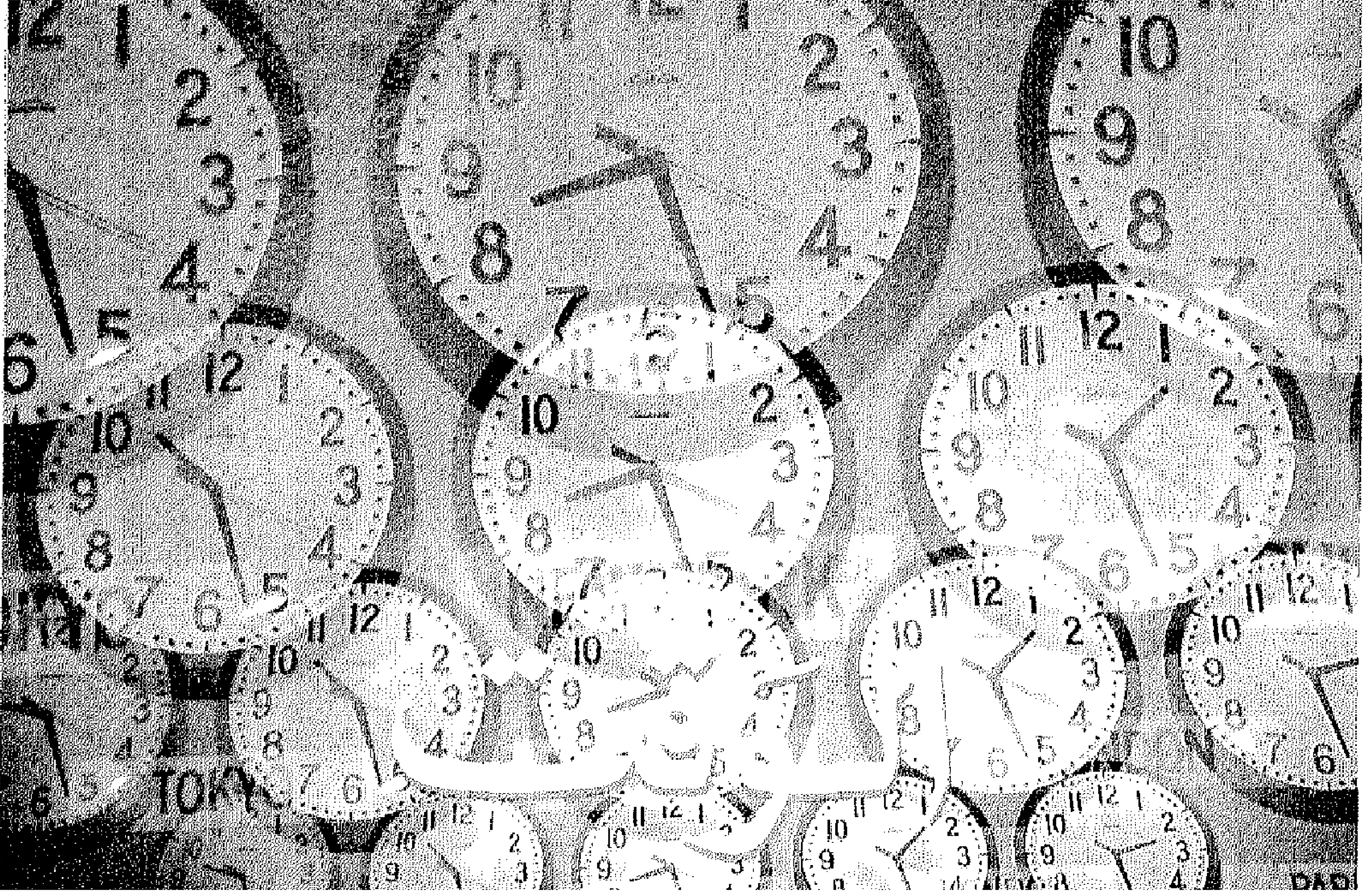
١٢. الله – لا إله إلاّ
الله مولاك الأحدْ

١٣. زمان الفرد يا فرعون ولّى
ودالت دولة المتجبرينا

١٤. كلُّ قومٍ خالِقو نيرونهم
"قيصرٌ" قيلَ له أو قيل "كسرى"

دائرة المعارف

١٥. وفي الزرازير جُبن وهي طائرةٌ
وفي البزاة شموخ وهي تُحتضَرُ
١٦. قالوا: أشدُّ وأدهى، قلتُ: ويحكم
إذا لقد مات سعدٌ وانطوى العلمُ
١٧. قل يا غريب الجنس عنا ما ترى
حقاً فان الحق لا يتجنسُ
١٨. أنا من طيورك بلبلٌ
غنّى بمجدك فاغتنى
١٩. وقد كنت الضياء على زوالٍ
فأمسيت الضياء بلا زوالِ
٢٠. ما كانَ أرسخ منه في عروبته
أبو العلاء المعري وابن حمدانِ
٢١. ما كدتُ أعتزم التحملَ عن
بردى وفيه كان مبتردي
٢٢. أمةُ الفتح لن تموت، وإني
أتحدّاك باسمها يا فناءُ
٢٣. يرتمي الموج على أقدامه
دون أن يرفع للهامة هامَةْ
٢٤. إن تكن جزّت الخيانة شعري
في ضلالي، فقوّني في شعوري
٢٥. ومن لا يحبُّ صعود الجبال
يعشْ أبدَ الدهر بين الحفرْ
٢٦. يا ربِّ إنْ بلفور أنجز وعده
كم مسلم يبقى وكم نصراني
٢٧. فاحملوا حملةً على الأذناب
لا تخافوا طنين هذا الذباب
٢٨. وهبتكِ روحي يا جزائرُ فأْمُري
كما شئتِ: إني خاضعٌ لكِ خادمُ
٢٩. تُشاد له المنازلُ شاهقاتٍ
وفي تشييد ساحتها الدمار
٣٠. ربَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً
ضاحك من تزاحم الاضدادِ
٣١. أعدَّ اللهُ للشعراءِ مني
صواعق يخضعون لها الرقابا
٣٢. وإذا اتسعتَ برزق ربك فاجعلن
منه الأجلّ لأوجه الصدقاتِ
٣٣. وما ضرَّنا أنا قليل وجارُنا
عزيزٌ وجار الأكثرين ذليلُ
٣٤. لا تحسبوا نأيكم عنا يغيّرنا
إن طال ما غيّر النأي المحبينا
٣٥. شهد البحر لم أدع فيه من
درٍّ بمفرقيكِ خليقِ
٣٦. إن تُتهمي فتهامةٌ وطني
أو تُنجدي إنّ الهوى نجدُ
٣٧. كنتُ مشغوفاً بكم إذ كنتُمُ
شجراً لا تبلغ الطير ذراها
٣٨. توخّى حِمامُ الموت أوسط صبيتي
فلله كيف اختار واسطة العقدِ
٣٩. في نبعةٍ من قريشٍ يعصبون بها
ما ان يوازي بأعلى نبتها الشجرُ
٤٠. هذا ابن فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَهُ
بجدِّه أنبياء الله قد خُتموا



ذلِك اللغز العَجيبُ

نستعين في حياتنا بالساعات والروزنامات...
ولكن ما هو الوقت؟

يقول ريتشارد ب. فينمان، الحائز جائزة نوبل: "نتعامل، نحن، علماء الفيزياء، مع الوقت يومياً، ولكن لا تسألني عن ماهيته، انه أصعب مما نستطيع ادراكه...

لفت نظري حديثاً شعار علق على جدار في مقهى بأوستن من ولاية تكساس الامريكية، فيه محاولة للاجابة، اذ يعتبر "أن الوقت وسيلة الطبيعة لمنع حدوث الاشياء كلها في آن."

نظر الانسان الى الوقت عبر معظم مراحل التاريخ كأنه جريان، كحركة النهر. حتى ان العالم الانكليزي الشهير السيد اسحق نيوتن، اعتبر جريان الوقت منتظماً. ولكن مع بروز نظرية النسبية لالبرت أنشتاين، اعتبر الوقت، أول الأمر، واحداً من الابعاد - كالاتساع او الارتفاع - مضفيا على الاحداث صورة موحدة في الزمان والمكان.

يقول غرنوت وينكلر، مدير دائرة

خدمات التوقيت في المرصد البحري الامريكي في العاصمة واشنطن: "لقد اولينا قياس الوقت اهتماماً اكثر من اهتمامنا بأي من متغيّرات الطبيعة. لكنه يبقى لغزاً موجوداً في عقولنا فقط".

اثبت تصميم الروزنامات والساعات الدقيقة لقياس جريان الوقت، عبر التاريخ، انه سعي فكري متطاول ومخادع. وقد طور الانسان الروزنامة مستلهماً حركة الاجرام السماوية وتبدل الفصول. وقسم السومريون (في العراق القديم) السنة ٣٦٠ يوماً، ثم حددوها في ١٢ شهراً قمرياً مدة كل شهر ٣٠ يوماً. وأضاف المصريون خمسة ايام الى السنة، واخيراً اعطتنا التغييرات التي أدخلها الرومان، مشفوعة بالتحسينات التي لحظها البابا غريغوري الثالث عشر عام ١٥٨٢، التقويم الغريغوري الذي نعتمده حاليا والمضبوط بفارق يوم واحد كل ٣٣٢٣ سنة.

قسّمت المجتمعات الاولى أيضا النهار وحدات أصغر، ربما للاسباب نفسها التي تدعونا نحن الى ذلك – لكي نعرف متى يفترض ان نكون في مكان معيّن. ومما لا شك فيه أن الشمس المتقوسة فوق الرؤوس يوميا، كانت المقياس الاول للوقت، وتلا ذلك، ربما، ظل عصا زرعت في الارض – ساعة شمسية بسيطة.

الساعة الاولى. في القرن الحادي عشر، بنى عالم صيني، يدعى سو سونغ، اداة عملاقة غريبة الشكل كانت بين اولى الساعات المائية الآلية. وكانت ساعة سونغ التي بلغ ارتفاعها اكثر من عشرة امتار، مزودة اذرع حركة اسطوانات وتديرها ناعورة وتعلن الساعات بواسطة الاجراس والطبول.

لكن الساعة الآلية حققت عظمتها الكبرى في الغرب. وقد بنيت واحدة من اولى هذه الساعات لدير انكليزي في القرن الثالث عشر. ويعتقد المؤرخون، استناداً الى امثلة أحدث، ان هذه الساعة ومثيلاتها من ساعات الاديرة كانت تتكوّن من تروس حديد بدائية تحركها أثقال ولكن من دون عقارب. وكانت دعوة الرهبان المبتدئين الى الصلاة تتم بواسطة اجراس كانت تعرف في اللغة الانكليزية المتوسطة (بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر)، باسم "كلوكس".

وقيل ان طالب طب ايطاليا يدعى غاليليو غاليلي رأى في القرن السادس عشر قنديلا مضاء يترجح في كاتدرائية في بيزا. ولاحظ غاليليو، مستخدما نبضه لتوقيت ايقاع حركة القنديل، ان هذا كان يترجح بفواصل زمنية متساوية بصرف النظر عن اتساع المسافة التي يقطعها: لقد اكتشف الشاب رقاص الساعة. لكن سبعة عقود مرت قبل ان يبني العالم الهولندي كريستيان هايجينز الساعة الاولى المزودة رقاصاً، مفتتحاً بذلك عصر قياس الوقت بدقة.

ويبدو ان الفكرة التي انتشرت في الغرب، ومؤداها ان الماضي والحاضر والمستقبل مرتبة في خط مستقيم وان

الوقت لا يتكرر، ترعرعت في كنف تقليد اتخذ فيه تاريخ ولادة السيد المسيح (عيسى) معنى خاصاً لانه كان فريداً، وتاليا لا يتكرر. وهكذا، عندما نسرع في هذا العصر، الى موعد فنحن نسيّر حياتنا بموجب نظام من التقويم السومري مضافا اليه علوم المصريين، في اطار ملحمة توراتية ضبطت ايقاعها كلها تقنية قادرة على تجزئة الثانية فعلا الى عدد غير محدود من الاجزاء.

بالمفهوم البشري، لا تكاد تراقب الثانية تمضي حتى تكون انقضت. ولكن عالمنا التكنولوجي يحتاج الى وقت دقيق. فالملاح في عرض البحر او في الطائرة يعتمد، وهو يحدد موقعه بواسطة قمر اصطناعي، على اشارات زمنية دقيقة الى حدود جزء من المليون من الثانية (ميكروثانية). وتوجه مركبات فضائية مثل "فوياجر ٢"، بأوامر بالراديو موقتة في حدود جزء من مليار من الثانية (نانو ثانية). اما علماء الفيزياء الذين يتتبعون الحركة داخل الذرة، فيحسبونها بجزء من التريليون[1] من الثانية (بيكو ثانية) أو حتى بجزء من الف من تريليون من الثانية (فيمتو ثانية). حتى يسهل ادراك الامر، إعرفْ ان ثانية واحدة تحوي عدداً من الفيمتو ثانية اكثر مما كان عدد الثواني في السنوات الاحدى والثلاثين مليون الاخيرة.

ان الساعات الذرية في ٥٠ محطة لضبط الوقت في انحاء العالم، من واشنطن الى باريس وموسكو، تتيح هذا التجزيء المثير للثانية. ولقد ادرك العلماء، منذ الاربعينات، ان الكترونات الذرة تتذبذب بايقاع منتظم – مثل رقاص الساعة – مما يجعلها صالحة للتوقيت. وتستخدم الساعات الذرية التي بنيت الاولى منها عام ١٩٤٨، ذرات السيزيوم، وهي معدن فضي اللون، تبلغ دقتها حدود بضعة اجزاء من مليار من الثانية (نانو ثانية) في اليوم.

القياسية الامريكية. تحتفظ الولايات المتحدة بساعتها القياسية لتحديد طول الثانية، في مكان امين في مختبر في بولدر من كولورادو. وتعد هذه الساعة التي يشرف على تشغيلها المعهد الوطني للمقاييس والتكنولوجيا وتدعى "ان بي اس – ٦"، من ادق الساعات الذرية في الولايات المتحدة، اذ تبلغ دقتها حدود ثانية واحدة كل ٣٠٠ الف سنة.

هل يعطينا كل ما سبق مفتاحا لمعرفة الوقت؟

"في الحقيقة لا،" يقول ديفيد آلان، الباحث في نظريات علم الزمن في المعهد الوطني للقياس والتكنولوجيا. ويضيف: "ان الساعات هي اجهزة ذات قدرة محدودة جداً." ويشير الى "ان الماضي ليس موجوداً في سوى ذاكرتنا، ولا مستقبل الا في توقعاتنا. ان افضل ما تستطيعه الساعة هو تحديد وقت لحظة مرت."

وتحدد الساعة أيضاً المدة التي

(١) يساوي مليارا في الولايات المتحدة.

يستغرقها انجاز عمل ما. وهذا الامر نجده مثيرا، في اعتقادي، لان الفترة الزمنية الفاصلة – في الالعاب الرياضية والعلوم وقيادة السيارة على الطرق الرئيسية او في ايقاعات الموسيقى والرقص والشعر – تحفل بالحركة عادة.

كان زينون الايليالي، وهو فيلسوف اغريقي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، اول من تساءل عن طريقة تكوّن فترة زمنية معينة من فترات اصغر يمكن قسمتها هي بدورها الى ما لانهاية.

ولقد حيّرت هذه الظاهرة التناقضية الانسان على مرّ العصور.

لكن ألان لا يلقي بالا الى تساؤلات زينون، فالثانية بالنسبة اليه قابلة للتجزئة فعلا الى ما لانهاية: "اننا نستطيع تقسيم الثانية اجزاء بمقدار ما تسمح به التكنولوجيا المتوافرة لدينا، ولا يبدو أن هناك حدوداً لذلك. ان ضبط الوقت هو اختراعنا نحن."

المادة المضغوطة. ترشدنا الساعة الى متى – وربما كيف كذلك – نتصرف. ان كل ساعة من الزمن هي دلو صغير للوقت بحاجة الى أن نملأه، والساعة هي التي تحدد لنا متى نبدأ افراغ اللحظات فيه.

وللطبيعة ساعاتها أيضاً. اكتشف عالم الكيمياء الامريكي ويلارد ليبي عام ١٩٤٧، ضابطاً طبيعيا للوقت في كل شيء عاش في السنوات الخمسين الفا الاخيرة: ذرة "الكربون – ١٤" التي يتحلل نشاطها الاشعاعي عند معدل معين. وبتحديدهم مستوى نشاط "الكربون – ١٤"، يستطيع العلماء تحديد عمر مومياء أو قطعة فحم من موقد هندي قديم.

اما الفلكيون فقد غاصوا الى أبعد من ذلك في الزمن السحيق. فهم يستطيعون، من خلال مشاهدتهم الضوء الآتي من مجرّة بعيدة جداً معرفة احوال المجرة كما كانت قبل مليارات السنين، لأن معدل ابتعاد هذه المجرات بعضها عن البعض ينبىء العلماء بتاريخ بدء رحلة المادة في الكون.

يقول ستيفن هوكنغ، عالم الفيزياء النظرية في جامعة كمبريدج ببريطانيا: "لقد اثبتنا أن المادة في الكون لا بد كانت مضغوطة على نحو لامتناه قبل زهاء ١٥ مليار سنة." وقبل ذلك؟ "لم يكن هناك وجود للوقت كما نقيسه الآن." والسبب أن الجانب الآخر من بداية الزمن هو لغز باق، ظلام لا يسبر غوره.

لكن الوقت البشري – الادراك الحسي لأجسادنا وعقولنا – متجذر عميقاً في الماضي السحيق، قبل ان تبدأ مجموعة من الآلات ابلاغنا مواعيد النوم بزمن طويل جداً. تدعى دورة الوقت الاساسية في جسم الانسان "الايقاع الزمني المحتمل" ويعتقد ان مركز التحكم بهذه الدورة يقع في مركز معين تحت السرير البصري في الدماغ، فوق سقف الفم. ان طول الدورة الزمنية الطبيعية لغالبية البشر هو ٢٥ ساعة بفارق ١٥ دقيقة.

ويرى بعض دارسي الساعات الجسمانية، اننا ربما نكون مزودين أيضا مجموعة منتظمة من الدورات الزمنية الاسبوعية يعتقد أنها تنظم التحولات في كيمياء الجسم، وردات فعل جهاز المناعة، وارتفاع وهبوط دوريين في نبض القلب والدورة الدموية. ويلاحظ بعض علماء البيولوجيا المرتبطة بالوقت، ان هذه الايقاعات قد تساعد في تفسير الاسبوع بأيامه السبعة كوحدة زمنية – القياس الوحيد في الروزنامة الذي لا ترقى جذوره الى علم الفلك.

الايقاع الداخلي. يثق ايهريت بانك اذا اسأت استعمال ايقاعات جسمك الداخلية – الايقاع الزمني المحتمل او غيره – فانك تسعى الى المشاكل وقد تتأتى كآبة صباحات الاثنين واضطرابات النوم وحتى الاحباط، من تمايز بين الساعة المعلقة على الحائط وتلك التي في جسمك.

وهكذا يكون الجسم البشري جزءا من كون منتظم كأي من آلات الوقت التي صنعناها.

ولكن، ماذا عن الاسئلة الأخرى التي تراودنا جميعا: هل نستطيع الانتقال في الزمن، او هل يمكن ان نعكسه؟ من منا لم يحلم باعادة عقارب الساعة او أوراق الروزنامة الى الوراء – من اجل محو اخطاء ارتكبها، او ليعود طفلا بحكمة البالغين، او للتحدث الى شكسبير؟

يقول العلماء انه على رغم ان قواعد الفيزياء قد لا تمنع ذلك، فان كل الاسهم المنظورة التي تشير الى الوقت، تذهب في اتجاه واحد.

أيا تكن ماهية الوقت، فقد اضفينا عليه، نحن البشر، من ذواتنا ما جعله يأخذ معنى متفرداً به. اننا نسيِّر حياتنا تبع ارقام مثبتة على ساعات وروزنامات خلقناها نحن بانفسنا.

يستبعد ديفيد لاندس، وهو مؤرخ لتطور مفهوم التوقيت في جامعة هارفارد: "ان الساعات تنبىء الفرد بالوقت الذي يجب ان يخصصه لعمله والوقت الذي يخصصه لنفسه. وبات العمال اكثر تحرراً من قبل. لا وجود للعالم الحديث بدون ساعة، ساعة اليد. انها تشكل الفرق بين مجتمع مركب معقد التنسيق وآخر بدائي يكاد لا يعي أهمية الوقت.

"لا نزال، في المطلق، اسياداً في طريقة استخدام الوقت وتأثيره في حياتنا." ان الوقت، اكثر من أي شيء آخر، ما نصنعه منه.

جون بوشلو ■

بهلوان صغير

رات جارتنا العجوز ابني الصغير يوازن نفسه وقوفاً على راسه، فسالته: "الست صغيراً جداً على هذا العمل البهلواني وليس لك من العمر سوى سبع سنوات؟" أجابها: "لا تخافي، فعندما انقلب يصبح عمري ثماني سنوات."

ش.ش.

سَيقفون وَيمْشون من جَديد

انجاز طبي مثير في علاج اصابات النخاع الشوكي

قبيل بزوغ فجر يوم أحد من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦ أغفا البائع رون نوزي (٢٨ عاما) خلف مقود سيارته الصغيرة واصطدم بمؤخر شاحنة – قاطرة على الطريق العامة قرب يونغستون من ولاية أوهايو الامريكية. وللحال، استدعى صاحب الشاحنة، عبر جهاز اللاسلكي، سيارة اسعاف، سرعان م وصلت ونقلت المصاب الى المستشفى المحلي حيث ثبت طبيب طوقاً حول عنق المكسورة. ثم نقلته طوافة الى مستشفى ألغيني العمومي في بيتسبرغ.

ولدى وصوله الى غرفة الطوارى استقبلته الممرضة الاختصاصية سار ليمان التي كانت تساعد الأطباء. وعلى رغم أن نوزي ظل واعيا، فقد كان جسمه فاقداً الحركة، وخشي الاطباء ان يكون أصيب بشلل. سألته ليمان: "هل تقدر ان تهز كتفيك؟" فاستجاب لها وتمكن من رفعهما قليلا. وبناء على طلبها كذلك ثنى مرفقيه بصعوبة، لكنه عجز عن بسط ساعديه او تحريك يديه وساقيه وقدميه. واذ وخزته ليمان في أنحاء جسده لم



PHOTO. © LLOYD S. JONES

يشعر بشيء، من أسفل كتفيه وما دون. وتبين أن كل نشاط عصبي لديه بدءاً من الفقرة العمودية الخامسة في عنقه تعطل عن العمل، وان رون أصيب بشلل في اطرافه الاربعة.

حالة نادرة. ان معظم ضحايا اصابات النخاع الشوكي الذين يصلون أحياء الى غرف الطوارىء هم من الأحداث والشباب الذين يكونون تعرضوا لحوادث اصطدام او سقطات. وتتسبب ممارسة النشاطات الرياضية والاعمال العنيفة في وقوع اصابات ايضاً. ويقضى على غالبية المصابين هؤلاء بالعيش مشلولي الاطراف أو مشلولين نصفيا. وقد يتعافى بعضهم تلقائيا، لكن فرص الشفاء في حالات الشلل الشامل، مثلما حدث لرون نوزي، ضئيلة جدا لا تتعدى واحداً في المئة.

لم ينقطع الحبل الشوكي لنوزي الذي يشبه حزمة من أسلاك الهاتف، ولكنه أصيب بارتجاج ورضوض شديدة. ويتفاقم الضرر في الساعات التي تلي الاصابة بسبب التورّم وتمزق أغشية الخلايا مما يترك في الحبل تجاويف فارغة حيث تكون الخلايا ماتت.

لم يكن اي من العلاجات السابقة أتى بنتيجة فاعلة في الحد من هذا المسلسل القاتل. ولكن في الوقت الذي وقع الحادث لنوزي، كان مستشفى ألغيني وتسعة مراكز طبية أخرى في الولايات المتحدة مكبة على اختيار عقارين سبق أن استخدما في خفض الشلل لدى الهررة، ويدعى أحدهما "ستيرويد ميثيلبردنيسولون"[1] وهو دواء شائع مقاوم للالتهاب، والآخر "نالوكسون"[2] الذي يخفف آثار الجرعات المفرطة من المخدرات.

كان البروفسور مايكل براكن من كلية الطب في جامعة يال بنيوهافن من كونتيكت المشرف على تجربة "التعمية المزدوجة،" وتقضي هذه بالا يعلم لا الاطباء ولا المرضى اذا كان الدواء المستخدم هو احد العقارين المذكورين ام مجرد دواء لا قيمة طبية له. واحتفظ براكن لنفسه بالرموز العائدة الى صناديق الادوية التي شحنت الى المراكز الطبية العشرة التي تجري الاختبار.

قالت ليمان لنوزي: "لقد اصيب الحبل الشوكي لديك اصابة بالغة. سنبذل ما في وسعنا لمساعدتك، ولكن ليس لدينا اي علاج ناجع مؤكد." وشرحت له أسلوب اختبار الدواء وشدّدت على ضرورة الا يعرف هو أو الفريق الطبي المعالج الذي يرئسه الدكتور جوزف مارون، اذا كان سيتلقى دواء حقيقيا ام مهدئاً. وسألته: "هل توافق على هذا الشرط؟"

اجاب نوزي: "بكل تأكيد، سأجرب حظي."

اتصلت ليمان بالصيدلي المداوم في مستشفى يال بنيوهافن وزودته طول قامة المريض ووزنه. فحدد الجرعة الصحيحة

---

(١) Steroid Methylprednisolone
(٢) Naloxone

ثم اتصل بدوره بمستشفى ألغيني وزوده رقماً مرمزاً يحدد اثنين من الصناديق التي شحنت من يال.

ولم تمر ساعة حتى كان محلولان مختلفان يُضخان في ذراعي نوزي. ولم يكن ثمة سبيل الى معرفة اذا كان هذا يتلقى العقار ميثيلبردنيسولون ممزوجا بآخر زائف او العقار نالوكسون ممزوجا بالدواء الزائف، أم دواءين زائفين. (تضاف الادوية الزائفة الى الدواء الصحيح، لاخفاء نوع الدواء المستخدم، في حال استخدم الدواء فعلا.) وكانت مرت ست ساعات على الحادث حين بوشر حقن نوزي وريديا، علما انه ينبغي اعطاء المصاب الدواء الاختباري ضمن مهلة اقصاها ١٢ ساعة بعد الحادث.

نتائج عجيبة. ظل نوزي ثلاثة أسابيع بعد جراحة لدمج حبله الشوكي، موصولا بجهاز تنفس. وقبل اسبوع من قطع الجهاز عنه تبين له انه بات قادرا على بسط ساعده الايسر قليلا وضم ابهامه وسبابته معا. وبعد ستة اسابيع حرك باعتزاز الاصبع الكبرى لقدمه اليسرى واستعاد جانبه الايسر ايضا حركة أنشط ونما بعض الاحساس في جانبه الأيمن. وغادر نوزي المستشفى في يونيو (حزيران) مستعينا بعكاز ذي عجلات ورجلاه مشدودتان بسنادتين مقوِّمتين من أعلى فخذيه حتى أسفل قدميه. ويتذكر: "رحت أخطر كجندي من تنك، لكني عددت نفسي رجلا محظوظا."

مع مرور الوقت تخلى نوزي عن السنادتين مكتفيا بالمتكأ النقال فيما شُدّ رسغ قدمه اليمنى برباط. تقول ليمان: "كان شفاؤه مدهشاً." وسجلت لدى اطباء آخرين اعتمدوا هذا الاختبار حالات شفاء مماثلة ملفتة للنظر. وقد كان شفاء امرأة مسنّة في الثانية والستين احدى حالات الشفاء الاكثر إثارة.

ادخلت المرأة جامعة كارولينا الجنوبية للطب في تشارلستون مصابة بكسور في ثلاث فقرات. وبعد بقائها اسابيع مشلولة الاطراف لاحظت أثر حركة في ساقيها وساعديها. وعشية عيد رأس السنة، أي بعد تسعة اشهر من اصابتها، تمكنت، بخطوات متثاقلة، من مراقصة حفيدها.

أوقف براكن في نهاية عام ١٩٨٨ تجربة الدواء على مرضى آخرين، وركز جهده على دراسة النتائج. وحين بلغته نتائج التحاليل الالكترونية لـ٤٨٧ من المرضى المتطوعين، غمره شعور بالالم والاحباط. وهو يقول: "كانت النتائج كلها واحدة، لا فرق أتمت المعالجة بميثيلبردنيسولون او بنالوكسون أو بالدواء الزائف."

ولمعرفة الاسباب، اكب براكن، والاحصائيون العاملون في فريقه، على تحليل المعلومات عن المرضى الذين عولجوا في الساعات الثماني التي تلت اصابتهم. وقد اختاروا هذه المجموعة بعدما غلب لديهم الظن ان النخاع الشوكي المصاب يتضرر بعد ثماني

ساعات الى حد يصبح شفاؤه ميؤوسا منه وان جرعات الدواء الكبيرة يمكن الا تؤدي فائدة. كذلك، أظهرت المحصلة الاجمالية أن النتائج الهزيلة لكل علاج لاحق تحجب أي نتائج جيدة يكون حققها علاج سابق.

حين ظهرت نتائج التحاليل الجديدة تجمّد براكن. وهو يقول: "حصلنا على معلومات مثيرة جدا."

وفي اجتماع مغلق بدالاس في ٢ أغسطس (آب) ١٩٨٩، وقف براكن امام جراحي الجهاز العصبي المشاركين في الدراسة وعرض على الشاشة شرائح تبين الطريقة العشوائية التي أجري بها الاختبار على المرضى المتطوعين. وكان ثلث هؤلاء قد أعطي الستيرويد ميثيلبردنيسولون وثلث آخر أعطي نالوكسون والآخرون دواء زائفا. ثم انتقى براكن شريحة اخرى واعلن بهدوء: "هذه هي النتائج التي كنتم جميعا تنتظرونها." وحين انعكست الصورة على الشاشة ساد القاعة صمت وذهول. فقد قسم خط بياني المصابين الذين عولجوا في غضون الساعات الثماني التالية لوقوع الاصابة، ثلاث فئات، بحسب وسيلة العلاج، مبرزاً نسبة التحسن الذي طرأ عليهم بعد ستة اشهر. وظهر الخط الذي يشير الى ميثيلبردنيسولون على مسافة لافتة فوق الخطين اللذين يشيران الى نالوكسون والدواء الزائف. وتبين أن المصابين الذين عولجوا بالستيرويد استعادوا في المتوسط ٢٠ في المئة من ارتكاس الحركة والحس المفقودين، بينما لم يستعد الذين عولجوا بنالوكسون او بالدواء الزائف، سوى ثمانية في المئة فقط من الارتكاس. وقد يعني هذا الفارق القدرة على استعادة استخدام الساعدين والساقين.

هتف أحد الاطباء: "هذا لا يصدّق! ان العملية ناجحة."

ويقول الدكتور فانور ل. بيرو رئيس دائرة جراحة الاعصاب في جامعة كارولينا الجنوبية للطب: "كان الامر مثيراً. اذ هي المرة الاولى يقوم دليل على تحسّن في نتيجة معالجة اصابة الحبل الشوكي."

ولكن، شاب الإثارة قلق، لأنه تعين أولا وضع تقرير علمي وعرضه على خبراء آخرين قبل نشره في مجلة طبية، الامر الذي يستغرق أشهراً.

في غضون ذلك وافق جميع أطباء الفريق على ابقاء نتائج الدراسة سرّية وقصر المعالجة على الحالات الملحة، وقرر عدد منهم انتظار اطّلاع الاختصاصيين على التقرير بينما صمم آخرون على مباشرة استخدام العلاج ولكن حرصوا على الا ينكشف الامر، وبين هؤلاء الدكتور فولكر زونتاغ من معهد الأمراض العصبية في مستشفى القديس جوزف في فينكس بأريزونا.

وبعد ثمانية ايام من الاجتماع الطبي في دالاس غادرت دنيز شوبلوم وسبعة آخرون مدينة لايك هافاسو في أريزونا برحلة الى متنزه الوادي الكبير الوطني.

جلست شوبلوم، وهي رياضية، في الثانية والاربعين من عمرها تعمل مسؤولة في محطة اذاعية، في سيارة "بيك أب" بين ابنها البالغ ١٧ عاما، وأحد اصدقائه. وتبعهم الخمسة الآخرون في سيارة أخرى.

وبعيد التاسعة مساء، انفجر احد الاطارات فسقطت السيارة في أخدود صغير. وتمكن ابن شوبلوم من الخروج من الشاحنة الصغيرة سالماً، وقذفت قوة الصدمة صديقه خارجها من غير ان يصاب بأذى، في حين احتجزت شوبلوم تحت الحطام وقد فقدت كل إحساس في جسمها.

هُرع بشوبلوم الى مركز طبي صغير في كينغمان حيث اظهر فحص بالأشعة السينية (اكس) انها اصيبت بكسور في ثلاث فقرات من رقبتها وبتخلع شديد. فاتّخذت الترتيبات لنقلها بالطائرة الى مستشفى القديس جوزف في فينكس، حيث اقترح الجراح المختص، قبل نقلها: "احقنوها اولا جرعة قوية من ميثيلبردنيسولون، لقد عاد علينا استخدامه بالنجاح."

بعيد ظهر اليوم التالي تناهى الى دنيز شوبلوم تكهّن قاس بأنها ستبقى مشلولة الاطراف مدى الحياة. ولكن، بعد ثلاثة ايام شعرت بحركة خفيفة في الاصبع الكبرى لقدمها اليسرى فأوضحت لها احدى الممرضات: "هذا تطور رائع! انه يعني ان لديك فرصا افضل للشفاء."

وفي الاسابيع التالية استعادت شوبلوم القدرة على تحريك قدميها ورجليها، وبعد خمسة أشهر غادرت المستشفى مستعينة بعكازات. وهي في طريقها حاليا الى الشفاء الذي يؤمل ان يكون بنسبة ٩٥ في المئة.

"**الصدمة الكبيرة.**" في هذه الاثناء قدم براكن تقريره الى مجلة "نيو إنغلند جورنال اوف ميديسين." وبعد التدقيق فيه ومراجعته بات جاهزاً للنشر في ١٧ مايو (ايار) ١٩٩٠.

لكن صبر براكن وجراحي الاعصاب كاد ينفد. فالربيع هو الفصل الذي تسجل فيه أعلى نسبة من اصابات النخاع الشوكي في الولايات المتحدة، والتأخر في نشر التقرير يحرم مئات الضحايا فرصتهم الوحيدة المتاحة للتخفيف من مأساة الشلل مدى الحياة. وكانت المراكز العشرة كلها بدأت تستخدم الستيرويد للمعالجة. وناشد عدد منها مستشفيات المنطقة ارسال مرضاها في اسرع ما يمكن.

وفي ٣٠ مارس (آذار) بعد انتهاء عملية مراجعة التقرير وبموافقة المجلة الطبية، دعت المعاهد الوطنية للصحة الى مؤتمر صحافي أعلن فيه براكن نتائج تجربة الدواء. وتصدر الميثلبردنيسولون الصفحات الاولى في الصحف في انحاء البلاد.

إلا ان فكرة إعطاء الستيرويد بمثل هذه الجرعات القوية بدت راديكالية الى حد لم يستسغه بعض الاطباء. لذلك،

امتنعوا، ويا للمأساة! عن استخدامه. وقد أفاد مصاب واحد فقط من الدواء، طوال الفترة التي استغرقتها اجراءات اجازة استخدامه، ويدعى ديفيد تود، وهو نجار في الثانية والثلاثين تحطمت فقرات عدة في عموده نتيجة سقوطه من ارتفاع ستة امتار على ارض من الاسمنت في نورث ميرتل بيتش بكارولينا الجنوبية ونقل الى الجامعة الطبية في الولاية ذاتها. وحين اعطي تود ميثيلبردنيسولون لم يكن تبقى سوى بضع دقائق لانقضاء مهلة الثماني ساعات. وهو يتذكر: "سمعت احد الاطباء يقول: "اعطوه الصدمة الكبيرة."

وبعد عشرة ايام، استطاع تود التنقل في محيط غرفته مستعينا بمتكأ نقال. وبعد شهر خطا بضع خطوات من دون مساعدة. واخذت قدرته على التحرك تتحسن باطراد.

وتستخدم حاليا جرعات كبيرة من ميثيلبردنيسولون على نطاق واسع في معالجات اصابات النخاع الشوكي الحادة في الولايات المتحدة. ويأمل جراحو الاعصاب ان يؤهل المسعفون الطبيون في وقت قريب لاعطاء الستيرويد في مكان وقوع الاصابة، وهم يتوقعون ان تزداد فاعليته حين يعطى في وقت أبكر.

يقول الدكتور بيرو: "ان النتائج المرتقبة مشرقة."

ويجسد رون نوزي هذا الامل، فهو بات قادراً الآن، بعد اربع سنوات من حادث اصابته، على التنقل بمساعدة عكاز نقال وقيادة السيارة وكتابة تقرير. وهو يخطط للالتحاق قريبا باحدى الجامعات، ويقول: "كلما تقدم بي الوقت أشعر اني ازددت قوة. ثمة خيارات كثيرة استطيع الافادة منها الآن. إن مستقبلي يبدو اكثر إشراقا."

بيتر ميتشلمور ■

حكمة معمّر

أقيمت في احدى دور العجزة حفلة لتكريم احد النزلاء لمناسبة بلوغه عامه المئة. واثناء الاحتفال بدا العجوز يقظا ناشطا وعيناه تتألقان مرحا، واجاب بظرف عن الاسئلة الكثيرة التي طرحت عليه في شان عمره المديد. وحين ساله عجوز آخر في التسعين عما يتعيّن عليه عمله لبلوغ المئة، اجاب ببساطة: "ما عليك الا الانتظار."

ج.ا.

ست بيت صغيرة

اثناء زيارتي احدى صديقاتي سمعت ابنتها الصغيرة تسالها: "ماما، هل تسمحين لي بمساعدة الخادمة في تنظيف البيت؟"

فاجابتها امها: "كلا يا عزيزتي، ليس اليوم، فلديها أعمال كثيرة."

ا.ن.

جحيم ڤردان

غرقت ڤردان خلال الحرب العالمية الاولى في "حمّام دم" لم يشهد التاريخ مثله. واليوم أصبح الموقع رمزاً للمصالحة والسلام

"أنزل زجاج النافذة، وستسمع زقزقة العصافير." كان دليلي يقود السيارة عبر دروب ضيقة. فالتفت الى يميني حيث انتصبت شجرات التنوب الضامرة وسط الضباب الخريفي، فسمعت سقسقات طيور الغابات الفرنسية. ثم استدرت نحو اليسار حيث الضباب والشجر متشابهان، فلم اسمع أي صوت. منذ خمسة وسبعين عاماً لم يعشش طائر هنا ولم يعدُ غزال عبر الشجيرات النامية.

JALAIN / EXPLORER





مبنى "أوسوير" والمقبرة العسكرية. (فوق) داخل حصن دوامون.

هنا، على أرض معركة ڤردان، التحم الجيشان الفرنسي والالماني خلال عشرة أشهر من العام ١٩١٦، في أعظم صدام لاعظم حرب شهدها العالم أبداً. غطّت المعركة مساحة مئتي كيلومتر مربع من الغابات والاراضي الزراعية التي انهمرت عليها ستون مليون قذيفة مدفعية وقضى فيها نحو نصف مليون رجل.

تغيّرت معالم الارض، وحفرت القذائف العملاقة عشرة أمتار في بعض المواقع، حتى بدت المنطقة في النهاية كأنها رقعة واسعة من سطح القمر، خالية من كل حياة الا الحشرات والجرذان.

خلال سنوات ترحالي في أوروبا عبرتُ مواقع عشرات المعارك الكبرى. كان بعضها أكثر حسماً في التاريخ من ڤردان، وبعضها أكثر دموية، ولكن لا ميدان آخر يترجّع صداه في ذاكرة الانسانية كهذا الموقع. لم يسبق ان انحشر هذا العدد الكبير من الجنود في مساحة محدودة كهذه لفترة متطاولة وهم يتلقّون عقوبة مدبّرة.

تضعك منطقة ڤردان، حتى اليوم، في جو حرب. كنت أحس بكآبة باردة مقلقة أينما اتجهت عبر التلال والوهاد على ضفتي نهر الموز. لا شيء يشدّ النظر سوى صلبان وشواهد قبور وأبراج وتماثيل تنقّط رقعة الارض. مع ذلك لم يسعني أن أسير أكثر من مئتي متر في أي اتجاه من دون أن أصادف بقعة أغرقت بالدم في ما مضى.

وصلت الى منخفض ساكن هو أخدود طويل ضيق. كان في امكان من سيطر على أحد طرفيه عام ١٩١٦ أن يطلق النار من مدفع رشاش على امتداد طوله. وهو أصبح يعرف باسم "وهدة الموت."

هنا كانت "التلة ٣٠٤" حيث قضى عشرة آلاف فرنسي وألوف الالمان. كان عدد الجثث كبيراً الى حد أن الالمان الذين احتلّوا التلة طلبوا حصة اضافية من التبغ لتغطية رائحة الموت.

أما تلك المساحة المنبسطة الجرداء فكانت في ما مضى قرية فلوري التي تبادلتها الايدي ١٦ مرة في صيف ١٩١٦. لم يبق فيها بعد الحرب ورقة عشب. كل ما تبقى كأس فضية في كنيسة المدينة وعقيفة حديد لتعليق القدور فوق الموقد في احدى المزارع، والقطعتان محفوظتان في متحف المعركة الذي أقيم حيث كانت محطة القطارات.

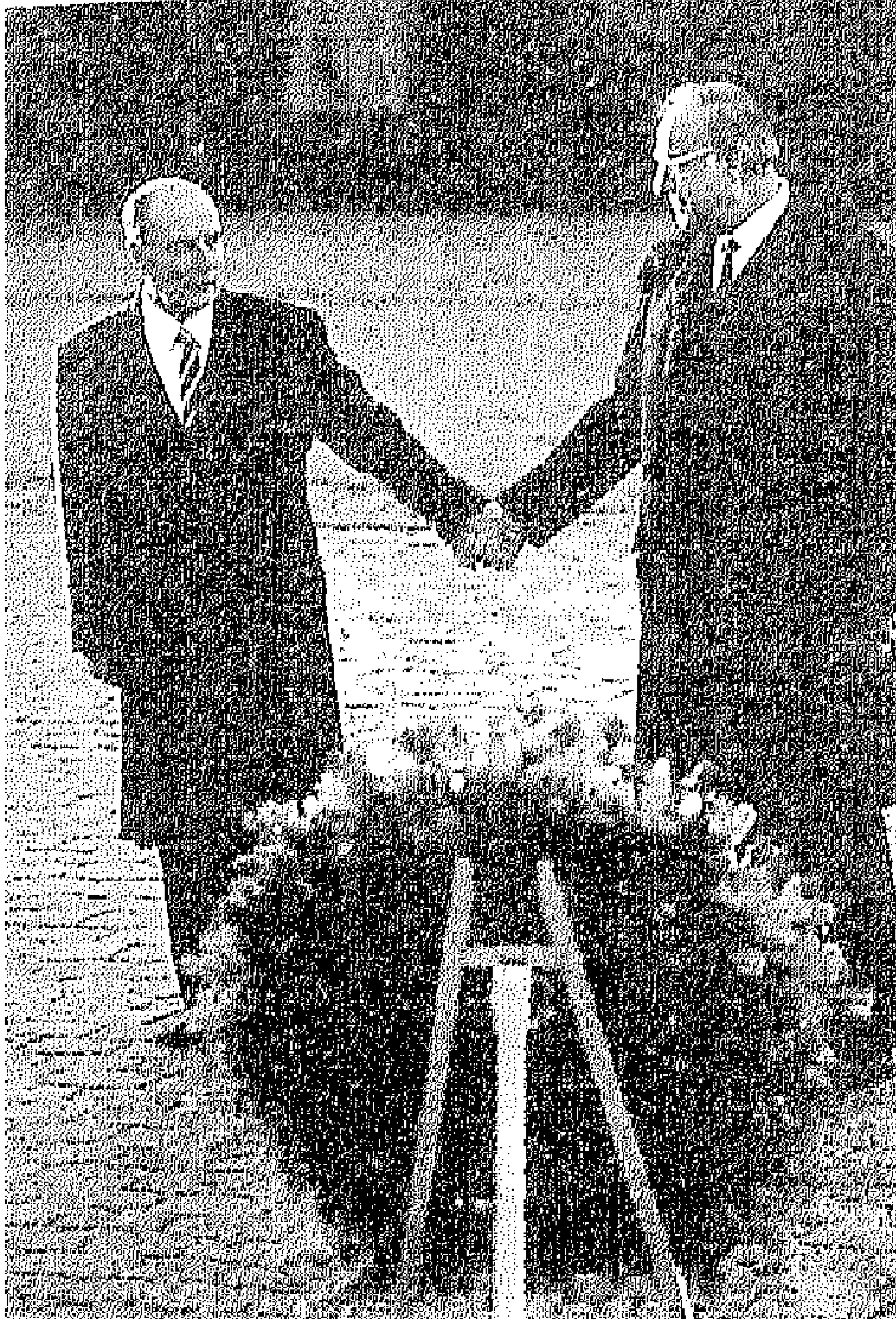
درستُ الخرائط والنماذج في المتحف لاعيد رسم سير المعارك القديمة: هجم الالمان على الضفة اليمنى لنهر الموز في فبراير (شباط) وتقدموا حوالى ثمانية كيلومترات. ثم اتسع الهجوم ليشمل الضفة اليسرى في مارس (آذار). وفي يوليو (تموز) أصبحت الوحدات الالمانية على مرأى من الحصن القديم في ڤردان. لكن الفرنسيين استعادوا المبادرة في أغسطس (آب) وقاتلوا لاستعادة المواقع التي خسروها. وفي ديسمبر (كانون الاول) عندما انتهت المعركة أخيراً، كانت

الخطوط الامامية في مرمى المدفعية التي ركزت حيث كان موقعها في فبراير (شباط).

ان الامر الاشد هولا في مذبحة ڤردان هو أنها خططت لتكون كذلك. أصدر الجنرال اريك فون فالكنهاين، رئيس هيئة أركان القوات الالمانية، أوامره الى الجيش الخامس للتقدم في اتجاه ڤردان، لكن خطته الحقيقية لم تكن الاستيلاء على المدينة وانما دفع الفرنسيين الى ارسال مزيد من الجنود للدفاع عن القطاع. كانت تقديرات فون فالكنهاين أن المدافع الالمانية الضخمة سوف تمزق الفرنسيين خلال تقدمهم وتنزل بهم خسائر فادحة وتحطم معنوياتهم وتنهي الحرب. وسمّى خطته "أوسبلوتونغ" أي معركة "النزف الابيض."[1]

أحضر الالمان، بسريَّة محكمة، ١٢٠٠ مدفع كبير بينها ١٣ من أكبر المدافع قاطبة ويدعى "بيغ بيرتا"[2] من عيار ٤٢٠ مليمتراً. فتحت كل هذه المدافع نيرانها معاً في السابعة والربع من صباح ٢١ فبراير (شباط) على خط الدفاع الفرنسي الذي لم يتجاوز طوله ١٢ كيلومتراً. كان ذلك أقوى تركيز للقوة النارية شاهده انسان. واستمر القصف تسع ساعات.

لكن خطة فالكنهاين واجهت مصاعب منذ البداية. ارتبك الفرنسيون أولا بسبب الهجوم، لكنهم سرعان ما استجمعوا قواهم. ومع استمرار القتال ازدادت صلابة عزمهم. لم تعد ڤردان مجرد موقع حصين، بل أصبحت رمزاً فرنسياً تجب



الرئيس الفرنسي ميتران والمستشار الالماني كول في مبنى "أوسوير" عام ١٩٨٤.

المحافظة عليه بأي ثمن. وغمرت نشوة عصبية الاستحكامات الفرنسية الموحلة على امتداد نهر الموز. ودعيت الطريق، الممتدة مسافة ٧٥ كيلومتراً من بار – لو – دوك "الطريق المقدسة" وهي الوحيدة التي أمكن عبرها احضار الجنود والمؤن بمأمن من المدفعية الالمانية. مر في هذه الطريق ثلثا وحدات الجيش الفرنسي، وعبرها جنود كثيرون غير مرة. وبلغ العدد الرسمي للخسائر ٣٧٧ ألفا بين قتيل وجريح.

(١) Ausblutung
(٢) Big Bertha

قصص بسالة. لم يستشرف فالكنهاين أن "النزف الابيض" سيكون سيفاً ذا حدين. فقد أحضر الفرنسيون مدافعهم الكبيرة بالمئات. وطالت المعركة وأصبح الالمان مهووسين بالاستيلاء على ڤردان والفرنسيون مهووسين بالاحتفاظ بها. وعقد الالمان العزم على الانتصار بأي ثمن، فتكبدوا ٣٣٧ ألف اصابة.

حقق الرجال مآثر من البسالة من أجل احتلال بضعة أمتار مربعة من الارض الموحلة أو الدفاع عنها. في غابة كور، النقطة الشمالية القصوى في الخطوط الفرنسية عند بدء المعركة، نصب تذكاري على قبر المقدَّم اميل دريان الذي كان على رأس ١٣٠٠ رجل في تلك البقعة. عندما انفتح سد النار[٣] ليغطي المنطقة كرشاش ماء من صنبور حديقة، بدت غابة الاشجار الضخمة العتيقة كأنها تتحلل حول رجال دريان. وبدت السماء ملأى بالحجار، كما روى أحد عُرفاء الجيش. فقد تطايرت الشظايا المعدنية الكبيرة الناجمة عن انفجار قنابل ذلك الزمن، حاملة قطعاً من التراب والعربات والمدافع وأشلاء من الخيل والرجال.

وأفاد الطيارون الالمان الذين كانوا يستكشفون المنطقة من الجو، أن أحداً لم ينجُ. لكن كثيرين نجوا في الواقع. ففي غابة كور استبسل دريان و٤٠٠ من رجاله المذهولين المدمّين وقاتلوا الالمان المتقدمين بالبنادق والحراب. تغلبت الكثرة في النهاية، لكن المقدم دريان، باعاقته رأس الحربة الالمانية أربعا وعشرين ساعة قبل سقوطه، قد يكون أنقذ الجيش الفرنسي، بكامله، من كارثة.

المسافة بين غابة كور وحصن دوامون ثمانية كيلومترات قطعها الالمان في ثلاثة أيام، وهذه سرعة مذهلة بمقاييس الحرب العالمية الاولى. كان حصن دوامون منيعاً على القصف المدفعي، اذ بلغت كثافة سقفه ٢،٥ متر من الاسمنت وفوقه نحو تسعة أمتار من التراب. كما كانت مدافعه تتحكم بكل الطرق التي يمكن أن يسلكها العدو للتقدم نحوه. وكان الالمان يعتبرون الحصن العقبة الاكثر صعوبة في وجههم.

ما لم يعرفه الالمان أن مزيجا مستغرباً من سوء التقدير والحظ العاثر جرّد الحصن الا من حامية صغيرة بلغ

(٣) سد النار (barrage) حاجز من نيران المدفعية يستخدم لمنع العدو من التقدم او لتمكين القوات الناشطة خلف تلك النيران من العمل باقل مقدار ممكن من الاصابات.



صورة التقطها جندي لخندق في ميدان المعركة

تعدادها ٥٠٠ رجل. وفي ٢٥ فبراير (شباط) أرسل رقيب ألماني يدعى كونز مع سرية من عشرة رجال لقطع الاسلاك الشائكة حول الحصن، فاكتشف أنه يستطيع التسلل الى الحصن الضخم من جانب مدفع مهجور. وعندما اندفع عبر باب صارخاً "ارفعوا أيديكم!" استسلم له طاقم مدفع من عيار ١٥٥ مليمتراً.

وقد لزم الفرنسيين ثمانية أشهر وتكلفوا بحراً من الدماء (نحو ١٠٠ ألف اصابة) لاستعادة الحصن الذي سقط في دقائق.

يقع حصن ڤو على أقل من خمسة كيلومترات خلف دوامون، الا أن قطع المسافة استغرق الالمان أكثر من ثلاثة أشهر. وهاجموا في الاول من يونيو (حزيران) بأعداد كبيرة واحتلوا أعلى الحصن. لكنهم اضطروا في الايام الخمسة التالية الى شق طريقهم قتالا عبر دهاليز حالكة الظلمة ترتفع مترا ونصف متر ويقل عرضها عن متر. انسحب الرائد سيلفان – أوجين رينال ورجاله من غير أن يتوقفوا عن اقامة حواجز من أكياس الرمل، فيما الرصاص يرتد نحوهم من الجدران، والدخان يثقل صدورهم. واضطروا أخيراً الى الاستسلام لان الرصاص ثقَّب خزانات المياه فقاتلوا في اليومين الاخيرين مكتفين بكوب واحد من الماء لكل عنصر. وهم لم يجرؤوا على الاكل، لان اللحم في زادهم كان مملَّحا.

ذهل الالمان الذين خسروا ثلاثة آلاف رجل قبل الاستيلاء على حصن ڤو، حين رأوا الحامية الصغيرة التي خرجت منه مستسلمة، فهي ضمت نحو ٢٥٠ رجلا ومعهم كلب صغير، حتى ان الالمان عاملوهم باحترام غير عادي. وتقدم ولي العهد الالماني الذي كان يقود الجيش الخامس، وصافح رينال ومنحه سيفاً أخذه الفرنسي معه الى معسكر أسرى الحرب.

في ڤردان قصص كثيرة كهذه، عن التضحية والبسالة والمعاناة. ويؤم المنطقة ربع مليون زائر كل عام، يعبرون "الطريق المقدسة" حيث تنتثر نماذج من خوذات الحرب العالمية الاولى، ويزورون حصن ڤردان، وفيه سبعة كيلومترات من الدهاليز والحجرات حفرت في الصخر في القرن السابع عشر. هنا عملت قيادة فرنسية خلال المعركة. وهنا يقدَّم عرض حي بالصوت والصورة: نماذج بالحجم الحقيقي للمخابز العملاقة التي أمّنت الخبز للجيش، ومقسّم الهاتف، وغرفة طعام حيث كان الضباط، ببزاتهم الانيقة، يأكلون ويشربون جالسين الى موائد مغطاة بشراشف نظيفة مكوية، قبل أن يخرجوا الى رعب المعركة.

ثم ينتقل الزوار في سيارات لرؤية حصني دوامون وڤو، وامتدادات من النصب والمقابر، ومتحف فلوري المليء بصور لا تنسى عن أرض مدمرة ورجال هالكين. ويذهبون كلهم الى أوسوير، وهو مبنى طويل منخفض له برج في شكل قذيفة مدفع. في المبنى ٤٦ نافذة تطلّ كل

واحدة على مُختلى في حديقة، ولا يلبثون أن يُصدموا عندما يعلن الدليل أن كل مختلى يحوي نصف متر مكعب من العظام البشرية التي لم يعرف أصحابها.

لم ينقطع سيل الوفود الى ڤردان منذ نهاية الحرب العالمية الاولى، لكن نوعيتهم تبدلت كثيراً. ظلوا لسنوات يأتون في تظاهرات وطنية "انعزالية"، اذ لم يكن الالمان والفرنسيون يحلمون بأن يزوروا موتاهم في وقت واحد أو في مقبرة واحدة. أما الآن فيسير أحفاد الاعداء القدامى، وأحفاد أولادهم، جنباً الى جنب، تهزهم المأساة التي فرضت على أجدادهم.

التقيت في ڤردان آخر الاحياء في الفرع المحلي للمنظمة الوطنية الفرنسية "رجال ڤردان."[٤] كان رينه فنسان في السادسة والتسعين من العمر ولا يزال منتصب القامة حاد النظر. كان رقيباً عندما خدم هناك مع وحدة انسحبت بعدما خسرت ثلثي عناصرها الفاعلين في ثمانية أيام، ثم مع وحدة أخرى خسرت ثلثها في عشرين يوماً.

لا تزال ذاكرته حية، يسكنها رعب لا يرحم. وهو يذكر كيف كان ينام واقفاً مستنداً الى رفيق، لانه لو استلقى لتمكّن منه الغاز السام الزاحف غادراً على مستوى الارض. ويذكر القمل، فتتحرك يده لحك رقبته. القمل أحبَّ رباط العنق الذي استخدمه الجنود الفرنسيون في تلك الحرب. لكن ما يذكره فنسان بوضوح أكبر هو قطعان الجرذان المسمَّنة. ولا يزال يذكر مئات من العيون تشع صفراء في الظلام فيما هو يحاول اقتناص لحظات من النوم.

لقد تغيّر العالم، وتغيرت معه ڤردان. عندما كان الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران والمستشار الالماني هيلموت كول يبحثان عن موقع مناسب للمصافحة الرمزية التي تقرّ اتفاقهما على تعاون طويل الامد، اختارا أوسوير.

أخبرني دومينيك بيريدون رئيس المكتب السياحي في ڤردان: "كنا رمزاً للكفاح، أما الآن فنحن نترقب افتتاح "المركز الدولي للسلام والحرية وحقوق الانسان" في العام ١٩٩٢، الذي سيعزز سمعة ڤردان كمكان للمصالحة والسلام."

وروى لي رينه فنسان قصة ويلي نوثديرست الذي يعيش في بون والذي أمضى أشهر مارس (آذار) وابريل (نيسان) ومايو (أيار) من العام ١٩١٦ في جحيم ڤردان الذي لا يرحم. وأقام نصباً في العام ١٩٨٤ على هذه الارض الكئيبة، كرّسه للصداقة الفرنسية – الالمانية، وهو يأتي لزيارته كل ثلاثة أشهر أو نحوها، فيسير اليه بصمت مع صديقه رينه ويضعان أزهاراً على قاعدته. انهما رقيبان يشارفان عيدهما المئوي، تجمعهما ذكريات أيام حين كان الواحد منهما ليقتل الآخر لو رآه.

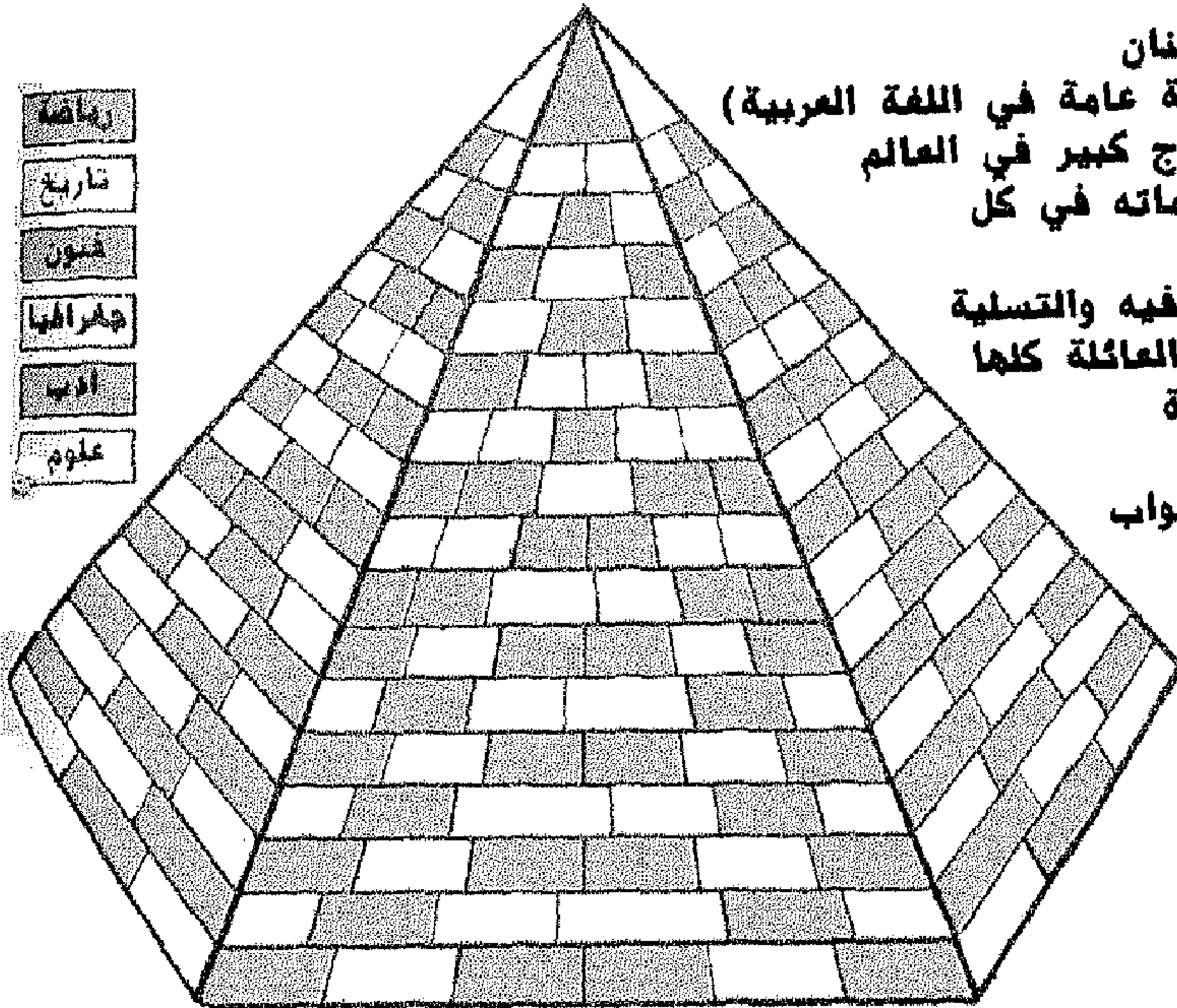
روبرت فرنيك ■

(٤) Ceux de Verdun

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مشوقة



- هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

خاص

تائهون في المحيط الهندي

بقلم كورتي تاور



تائهون في المحيط الهندي

نفد الوقود
في قارب الصيادين
أول الأمر،
ثم الطعام فالماء.
ابتهلوا الى الله يائسين،
فهو وحده القادر
على انقاذهم من موت محتم.

ILLUSTRATIONS: JIM DENEAU



راح جيرار فاس ينتفض ويتأوه ثم يرتمي على جانبي الـ"سانتا جود"، وهو زورق صيد سري لانكي طوله نحو عشرة امتار، ظل يترجح وحيداً بين امواج المحيط الهندي. وكانت صور من الدم والعنف تضطرب في ذهنه وهو نائم على متن الزورق تحت شمس الظهيرة المحرقة. وقد تمكن، مترنحاً، من الوقوف بقامته النحيلة الفارعة، ثم استعان بيسراه التي تشقق جلدها ليثبُت في وقفته، مستندا الى حجرة المحرك. بانت عيناه الهائجتان تتقدان كجمرتين سوداوين محمرتين، عميقاً داخل إطار من الشعر الاسود اللبد ولحية شعثاء. أخذ يلوح بيمناه بعنف ممسكا سكيناً يستخدم لاخراج احشاء السمك.

صرخ فاس: "يا رفاق! باتت حياتنا عقيمة. فلا طعام لدينا. وليس في الافق أثر ليابسة. أنتم الاربعة لديكم اولاد، أما أنا فلا أولاد لي. سأقتل نفسي وأفتديكم. ليبارككم الله!"

ولما كان فاس (٢٩ عاما)، صاحب السانتا جود، رجلا زئبقيا، نظراً الى طبعه الحاد، لم يتردد الربان انطوني فونسيكا ومعه انطوني فرناندو في الانقضاض عليه والامساك بيده، وصاحا به: "ايها المالك، لا تأتِ عملا مجنوناً!" وأيدهما في ذلك الشبحان الآخران المتسربلان في جلد متقرح سودته الشمس. فطمأنه الجميع: "أنظر، السماء تكفهر وستمطر. استرح ونحن نجمع الماء."

كانت المياه هي كل ما حولهم. مياه تمتد الى ما لانهاية داخل الافق الخالي. واذا ما كانت تثور احياناً، فهي بدت في ذلك اليوم، كما الحال غالباً، صحراء من المياه، منبسطة، حارة، موحشة، ولا أثر من حياة يلوح للصيادين الخمسة المحمومين الهائمين في البحر في ١٤ فبراير (شباط) عام ١٩٨٨ لليوم الثاني والثمانين.

لم يكن تبقى لديهم من ماء الشرب سوى نزر يسير. وكانوا احيانا يُحرمونه تماماً مدة تكفي لدفعهم الى حافة الجنون أو شفا الموت.

تراجع فاس، مطوحاً بذراعيه لاطما صدره، اذ كان لا يزال تحت تأثير حلمه المحموم. ثم دب الى تحت المتن الضيق للزورق، وتمدد في الفسحة القذرة الواطئة خلف المحرك الصامت. أمطرت السماء فعلا، سيولا منعشة، فسدَّ الصيادون الاربعة مصارف الزورق وجمعوا ماء عذباً فنجوا من معاناة العطش مرة أخرى. ودب فاس خارجاً من خلوته وقد خمدت ثورته. وجثا الخمسة يصلون سائلين الخالق ان يريهم "علامة، شيئاً ما – أي شيء – يبشرنا باننا سننجو."

منذ اكثر من عشرين سنة وانطوني فونسيكا، الربان القدير الهادىء، يمتهن صيد السمك قبالة ساحل سري لانكا الجنوبي. الثالثة فجر الاربعاء ٢٥ نوفمبر

(تشرين الثاني) ١٩٨٧، ترك فونسيكا منزله القرميدي الصغير في بنداروانه وهي قرية تقع قرب بروويلا، بهدوء لئلا يوقظ زوجته فيلومنا واطفاله الثلاثة، وتوجه الرجل النحيل الذي يتمتع بثقة مطمئنة وصوت هادىء، ناحية الشاطىء حيث صعد الى السانتا جود، الزورق المصنوع من مادة الفايبرغلاس[١]، ليجهزه لرحلة صيد تستغرق ثلاثة أو اربعة ايام. كان عليه ان يعود وافراد طاقمه الثلاثة بصيد من سمك القرش الذي يقدم في مطاعم العاصمة كولومبو، وسمك البالايا الرائج لدى العامة، الى أنواع الورنك والتونا اللحيم والكوبارا السمين التي تتميز بها الفنادق السياحية المنتشرة على امتداد الساحل ذي الشاطىء الرملي. وكان يؤمل ان يعود السانتا جود من رحلته بحمولة كاملة قيمتها نحو ٢٨٠٠ دولار يخصص نصفها لصاحب الزورق جيرار فاس، بعد حسم ثمن الطعام والوقود ومصاريف اخرى، وتوزع البقية بالتساوي على أفراد الطاقم.

بدا الربان الشاب البالغ السادسة والثلاثين منشغل البال، اذ ادرك، وهو يستعيد في ذهنه لائحة حاجات الرحلة، ان الزورق ليس مزوداً سوى ٣٠٠ ليتر من الوقود. كان يجدر بفاس ان يرفع هذه الكمية الى الضعفين، تحوطاً. الى ذلك، كانت تعوزهم الاشرعة، وهي تدبير احتياطي أولي يمكن الركون اليه اذا ما توقف المحرك الذي تبلغ قوته ثلاثة وثلاثين حصاناً. ثم ان السانتا جود لم يكن مزوداً أجهزة اتصال لاسلكي، اذ كانت الحكومة حظرت استخدام مثل هذه الاجهزة في محاولة للحؤول دون تسلل المهربين والارهابيين الى سري لانكا من البحر في مراكب صغيرة. في اي حال، كانت كمية الطعام تكفيهم عشرة ايام على الاقل، كذلك علب من عيدان الثقاب لايقاد نار الطهو، فضلا عن ٢٠ كيساً من الثلج حفظت في عنبر السمك، تصلح لخمسة ايام. وفي مؤخر الزورق احتفظ بنحو مئة ليتر من مياه الشرب في براميل بلاستيك ربطت الى خزان الوقود.

تفحص فونسيكا صنانير الصيد الـ١٥ بخيوطها الطويلة والخاصة بصيد التونا والبالايا. وبدت شباك متينة تطول عشرات الامتار ملفوفة امام حجرتين ترتفعان نحو نصف متر فوق المتن الذي يبلغ عرضه نحو مترين ونصف متر. وتحتل الحجرة التي فوق المحرك ويبلغ عرضها متراً ونصف متر وطولها نحو مترين، والحجرة الاخرى المماثلة حجما فوق عنبر السمك، معظم مساحة المتن، باستثناء مواضع الشباك والعدة وجهاز القيادة. وافردت تحت المتن، خلف المحرك ذي الهدير الضاج والى جانبيه، فسحات رطبة ضيقة يملأ الشحم انحاءها ويعبق فيها الدخان، لينام فيها اربعة أشخاص. وأخليت لفونسيكا فسحة مماثلة في مقدم الزورق.

وما هي الا دقائق حتى صعد انطوني روهيتا (روي) فرناندو (٢٣ عاما) الى الزورق.

---

(١) Fiberglass

وروي هذا شاب نشط قليل الصبر أحياناً، لكنه بحار مجتهد ومساعد خبير. وكان يسعى الى جمع المال ليبني منزلا في فترة قصيرة لزوجته الحامل دفيكا وابنهما تشامارا البالغ عامين من العمر.

بادره انطوني فرناندو (٢٥ عاما) الذي لا يمت اليه بقربى: "كيف حالك؟" وانطوني شاب هادىء مقل في الكلام لا يُظهر تأثره بسرعة. غير ان داخله يضطرم بكل انواع المشاعر، وقل بالغضب اذا شئت. وهو يعيش وزوجته اسونتا سريماثي وابنتهما دينوشا (عامين) وابنهما نيلانكا (عام واحد) مع اهل زوجته في قطعة أرض ريفية تبعد ثمانية كيلومترات عن بنداروانه. كان همه ان يسدد مبلغ ٧٠ دولاراً استدانها من شقيق زوجته ليقيم حفلة لابنه في عيد مولده الاول. ولأنه كان مستاء من تصرفات فاس التي لا تطاق احياناً، قرر في نفسه العمل في زورق آخر، مع مطلع السنة التالية.

انتاب القلق أنيل سويسا، الشاب العصبي، وهو ينضم الى الطاقم اذ سقط أمامه غصن شجرة من جوز الهند اثناء توجهه من كوخه الهزيل المصنوع من الواح خشب. وقال في نفسه: هذا نذير شؤم. لقد سبق ان حدث هذا لي وكدنا نغرق. شعر سويسا بالخجل امام فاس، وهو الذي يعتبره صياداً مغروراً تعوزه الخبرة، وبخيلا لا يأبه لمصلحة الآخرين. لكن الشاب كان في حاجة الى المال ليسدد مبلغا استدانه من مراب ليحج الى مزار كاتاراغاما، ويحمل اليه هدايا من الزهور والرز وجوز الهند المقشور والمال وافيا بذلك نذراً من اجل صحة اطفاله الثلاثة وزوجته بريانثي. أخيراً وصل جيرار فاس منهكاً بعد حفلة شارك فيها الليلة السابقة. وهو لم يكترث لتوسلات زوجته الشابة كاميني كانثي (١٧ عاما) ألّا يذهب. وكان منجِّم في قرية الوثغاما القريبة ابلغ اليها أن الساعة التاسعة والدقيقة الثانية من صباح التاسع من ديسمبر (كانون الاول) ستكون بشير خير لانتقالهما من منزل والديها الى منزل كبير اعطاهما اياه والد جيرار. وعليهما قبل هذا التاريخ ان يكشطا الجدران ويسوياها ثم يطلياها كما ان عليهما اجراء بعض الترميمات العامة في المنزل.

لم يكن لدى فاس سبب حقيقي ليشترك في هذه الرحلة. ويبدو أنه فعل ذلك بدافع الضجر والرغبة في مغامرة صغيرة. وكان اشترى الزورق من مدخرات جمعها اثناء عمله نادلا في ناد للموظفين الاوروبيين في العراق، علما انه لا يتقن عمل الصيادين مثل وضع الطعم في الصنارة وسحب الشباك والتنظيف. وقد حاول في رحلة صيد سابقة المطالبة بخمس حصة الطاقم من ارباح الصيد الى حصة النصف التي تحق له كمالك للزورق، لمجرد مشاركته في الرحلة، لكن الرجال هددوه بالاستقالة. وقال له فونسيكا: "لا ندري لماذا أتيت. أنت لا تعمل وليس من العدل أن تأخذ مالنا." وتراجع فاس عن مطلبه، لكنه ظل يكتم في نفسه ضغينة.

الساعة الرابعة فجراً، أبحر السانتا جود وزورق آخر من زوارق برووبلا الثلاثمئة يدعى "النسر"، متخطيين معا حائل الامواج وتوجها جنوبا غرباً نحو المحيط الهندي بسرعة ثلاثة اميال[٢] في الساعة. وتسافر زوارق برووبلا عادة في مجموعات غير محددة العدد لتبادل الحماية في حال توقف محرك احدها عن العمل. وكان السانتا جود والنسر يعتزمان الصيد معاً ثم العودة في غضون ثلاثة أو اربعة ايام.

بعد سبع ساعات كان سويسا وآل فرناندو اصطادا نحو ستين سمكة بالايا تزن الواحدة اربعة الى خمسة كيلوغرامات. انها بداية لا بأس بها، كانت كافية لاحتفاظ افراد الطاقم بشعور يكتنفهم منذ سنة بأن السانتا جود كما يقول فاس: "زورق محظوظ يعود دائماً بصيد ما." وظلوا يبحرون الشباك حتى الغروب حين توقفوا عن رميها في مياه البحر العميقة.

وتحول الربان فونسيكا طاهيا اخذ يحضر الرز المسلوق والخضر المنكهة بالكري على موقد ذي رأس واحد يعمل بالغاز. في هذه الاثناء تولى سويسا وآل فرناندو لف الشباك وتقطيع سمك البالايا ووضع الطعوم في صنانير الاسلاك الطويلة ثم بسطها. واذ اقتعد البحارة الخمسة ارض الزورق لاحظ فونسيكا ان: "الريح ليست قوية اليوم، لكن التيار يبدو قوياً بعض الشيء."

قرابة الساعة الثالثة من فجر الخميس، خرج الرجال من مضاجعهم وسحبوا الشباك. ولسوء حظهم لم يجدوا سوى عدد قليل متناثر من الاسماك عالق فيها. قال فونسيكا: "ثمة قطيع من الدلافين يتجه جنوباً. سنلحق به لأن سمك التونا يتقفى أثر الدلافين عادة."

ارتاح السانتا جود والنسر تلك الليلة، تفصل بينهما مسافة نحو ٤٥٠ متراً ليوفر واحدهما الحماية للآخر، وارخيا شباكهما. لكن صباح الجمعة طلع من غير ان يظهر اي اثر للنور الاحمر الذي ينبعث عادة من مستودع الفحم الحجري في النسر. قال فونسيكا: "كان التيار قوياً ليلة أمس. سنسحب الشباك ونبحث عنهم. لقد توغلنا اكثر من المعتاد والافضل ان نكون قرب اصدقائنا." وأقصى ما امكنه معرفته، ودليله المامه باحوال الطقس وبوصلة وغريزة مدربة، انهم تخطوا كثيراً الخمسين أو الستين ميلا التي تفصلهم عن شواطىء بلادهم. وبدا فونسيكا قلقاً حيال تضاؤل كمية الوقود.

سحب سويسا وروي وانطوني فرناندو الشباك، فتساقطت اسماك التونا الفضية والبالايا من ثنياتها. كان صيداً جيداً، ولكن دون المستوى الذي يريدون. قال فاس الذي يريد صيداً أوفر يكفيه ليدفع تكاليف الاصلاحات في بيته: "سنواصل الصيد."

(٢) الميل البحري الدولي يساوي ١٨٥٢ مترا.

ومع ان أياً منهم لم يعتد البقاء في البحر اكثر من ثلاثة ايام، لم يعترض فونسيكا على طلب المالك وامتثل الاخرون، على عادتهم، لرأيه. وطمأن سويسا نفسه: وثقنا دائماً بانطوني فونسيكا، وانا اثق به الآن.

تابع السانتا جود صيده وبحثه عن النسر مدى ثلاث ساعات قال بعدها فونسيكا: "أنني متأسف، ولكن لا نستطيع مواصلة البحث. علينا ان نعود في اتجاه الشاطىء."

وظل ركاب السانتا جود يبحرون طوال فترة بعد الظهر في اتجاه ما اعتقدوا انه اليابسة. وتحول لغو الصيادين قلقاً صامتاً. لم يكن في الافق اي زورق أو طائر أو اي مظهر للحياة. تفحص فونسيكا خزان الوقود والرجال يراقبونه من غير ان ينبسوا بشفة. ولاحظ بتجهم أنه "لم يبق سوى ٢٥ ليتراً تقريباً." واوقف المحرك. أخذ افراد الطاقم يتبادلون النظرات القلقة بحدة وهم يؤدون عملهم المسائي المعتاد من طرح الشباك ووضع الطعوم في الصنانير وبسط الاسلاك الى ما هنالك. أما فاس وقد بدا انه لم يشعر بالخطر المحدق، فانتحى جانباً وانهمك في تناول عشائه بنهم.

بدأت الامواج العاتية تلطم السانتا جود، فسارع الرجال الى سحب الشباك. وانجرف المركب على نحو متسارع مبتعداً أكثر فأكثر عن اليابسة. قال روي فرناندو: "البحر هائج. سأشغل المحرك من جديد لمقاومة التيار، وإلا جرفنا الى حيث لن نتمكن من العودة ابداً." ووافقه فاس الرأي وقد أصبح أقل ابتهاجاً. وراح الزورق الصغير يواجه ما تحول أخيراً أقوى تيار عرفه الرجال الخمسة. وطفقوا يجلسون ويقفون على متنه والقلق ينتابهم وفونسيكا يوجه الدفة. وواصلت الريح عصفها والتيار اندفاعه، والزورق يصارع. وفي ساعة متقدمة من الليل خيم الهدوء فجأة – لقد توقف المحرك. صرخ فونسيكا: "إنها النهاية. نفد الوقود."

فجر يوم السبت هرع الرجال اليائسون الى المستودع في مؤخر الزورق، حيث المصباح الليلي. التقطوا خرقاً وغمسوها في وقود المصباح ثم عصروها داخل زجاجة. وسكب فونسيكا السائل الثمين في خزان المحرك وهو مدرك ان هذه محاولة عبثية. بالطبع شغلت هذه الكمية الضئيلة المحرك مجدداً ولكن لدقائق معدودة. قال فونسيكا لرفاقه: "لقد توقف المحرك. نفد الوقود. كان الله في عوننا."

وقف فاس على متن الزورق، رافعاً ذراعيه، متضرعاً الى العلي بصوت عال. وحاول فونسيكا طمأنته: "لا تخف. لا بد أن نصادف زورقاً آخر أو سفينة." أما سائر افراد الطاقم الخائفين فصبوا جام غضبهم على صاحب الزورق بسيل من الاتهامات. قال أحدهم: "إنها غلطتك. كان عليك ان تجهز الزورق بكمية كافية من الوقود." ولاحظ آخر: "أنت دائماً تبخل بالوقود. انظر الى حالتنا الآن – ليس لدينا حتى شراع! هذه نتيجة

تقتيرك." وبالكاد سمعهم فاس، اذ كان غارقاً في نواح صاخب.
فجأة، كف الجميع عن ارهاصاتهم، وقد اعتراهم الخجل. وبدأوا يتضرعون الى الله.
اخيراً بادر الربان قائلا: "حسنا، دعنا نأخذ هذه الاغطية البلاستيكية ونصنع شراعاً. سنحاول ابقاء الزورق في اتجاه اليابسة." وخاطوا شراعاً غير متقن ورفعوه على الصاري، حيث شرع يخفق محدثاً ضجيجاً. وبدا ان لا جدوى منه اذ أخذ ينتسل ويتمزق مع كل هبة ريح. ومع هذا رأى فونسيكا: "اننا نحاول ان نفعل شيئا على الأقل."

اليوم السابع. يوم الثلثاء، قلّت كمية الطعام ونفدت الخضر الطازجة وذاب الثلج في عنبر السمك فألقي ما كان فيه من سمك مهترىء في البحر. وبقي لديهم من الرز والعدس والبسكويت ما يكفيهم اياماً أخرى. وحض فونسيكا كل فرد على احتساء نصف كوب فقط من الماء، علماً أنه كان بدأ خفض حصص الطعام منذ السبت.
فجأة ظهرت في الافق سفينة. وصرخ فاس وهو مفعم بالحماسة: "لقد نجونا."
لاحظ فونسيكا ان "الشمس وراءها تماماً، وهذا يعني انها آتية من اليابسة. وقد لا تكون اليابسة بعيدة كثيراً." وتبين للآخرين "انها سفينة شحن. وستكون مزودة كمية كبيرة من الوقود."
بدأ الرجال يلوحون بعصبية مستخدمين ملابس عقد بعضها ببعض. واذ صارت السفينة الصغيرة على مقربة منهم توقفت. فرفع السري لانكيون اوعية الوقود البلاستيكية الفارغة للدلالة على ان الوقود نفد منهم. وادار فونسيكا المحرك بما كان تبقى فيه من الوقود الذي سحب من المصباح واتجه بالزورق الى ان صار بجانب السفينة. والقي اليهم حبل لربط زورقهم.
لم يكن احد على السفينة، المجهولة هوية واسماً، يتكلم السري لانكية. فحاول فاس ان يشرح لهم الامر بالانكليزية، قال: "لا وقود لدينا. أين نحن؟ وكيف نصل الى كولومبو؟" وبعدما علم مَنْ في السفينة أن السانتا جود يقطع أربعة أميال في الساعة، أجاب أحدهم عبر مكبر للصوت: "انتم على مسافة ٢٤ ساعة من كولومبو." فابتهج الصيادون، اذ كانوا على مسافة يوم واحد من وطنهم.
ودلّيت اليهم بحبل آخر خريطة مرسومة باليد، تظهر ساحل سري لانكا، من كولومبو في الغرب الى غال في الجنوب ورأس دوندرا في اقصى الجنوب. كانت كولومبو تقع، من حيث هم، على خط مستقيم ذي ٣٤٠ درجة. رفع السانتا جود الى متن السفينة ستة اوعية بلاستيكية فارغة أعيد ثلاثة منها ملأى فقط، اثنان وقوداً والثالث ماء

للشرب، فضلا عن تسع رزم من عصائب الرز. وبرر الصوت عبر المكبر الامر بحزم: ان ركاب السفينة على عجلة. وابحرت هذه قبل ان تتاح للصيادين فرصة للاحتجاج.

تساءل فونسيكا بغضب وهو يشغّل المحرك: "٤٥ ليتراً؟ لأربعة وعشرين ساعة؟" وابحروا في الاتجاه الذي حدد لهم، بسرعة قصوى، مدة سبع او ثماني ساعات. اخيراً نفد الوقود وانجرفوا مع التيار مجدداً. وبينما هم في حال من الاحباط والخيبة، شاهدوا زورق صيد محملا بالسمك يمر بقربهم من غير ان يلتفت من فيه اليهم. وحلقت طائرتان فوقهم، مما أحيا فيهم الامل ثانية، لكن الخلاص لم يأت. قال فونسيكا: "لا تخافوا. سيجدنا أحد ما. لسنا مجرمين ولم نخطىء لنعاقب."

انقضت الايام التالية حارة حارقة، معرقة وقذرة، وأسوأ من ذلك كله، مضجرة على نحو فاق الوصف. أعد الرجال، من اكياس الثلج المصنوعة من القنب الاصطناعي، وقاء استظلوا به من الشمس. وكانوا لدى اشتداد الحر ينزلقون من الزورق الصغير في مياه البحر الدافئة. وقد اضطروا الى صيد السمك بالصنانير، لان وهنهم كان يمنعهم من طرح الشباك. وعندما تمطر، كانوا يجمعون مياه الشرب.

أخيراً، تمزق الشراع الذي صنعوه، فخاطوا ملابسهم بعضها الى بعض، شراعاً آخر. وانجرفوا مع الريح والتيار داخل الافق. ولبثوا يتحدثون عن ديارهم وعائلاتهم بلا انقطاع. أبقاهم فونسيكا على نظام التقنين الصارم – قليل من الرز مع سمكة طازجة وقطعة بسكويت – الى ان حل الاثنين، السابع من ديسمبر (كانون الاول)، يوم نفدت المؤن.

قال فونسيكا: "لم يبقَ لدينا سوى السمك الذي نصطاده، لكننا لا نزال نستطيع على الاقل طهوه." وكان يستعين لذلك بمياه البحر ويضيف بعض الكري المتبقي ومسحوق الفلفل الحار ليصبح سائغاً. ولما كادت مياه الشرب تنفد حرصوا على ان يشربوها باقتصاد في اكواب نصف ملأى. لكن فاس اتهم بشربها سراً من ابريق الشاي. وادعى الآخرون – وفاس ينكر بشدة – انه كان ينهض ليلا ليشرب الماء وحده.

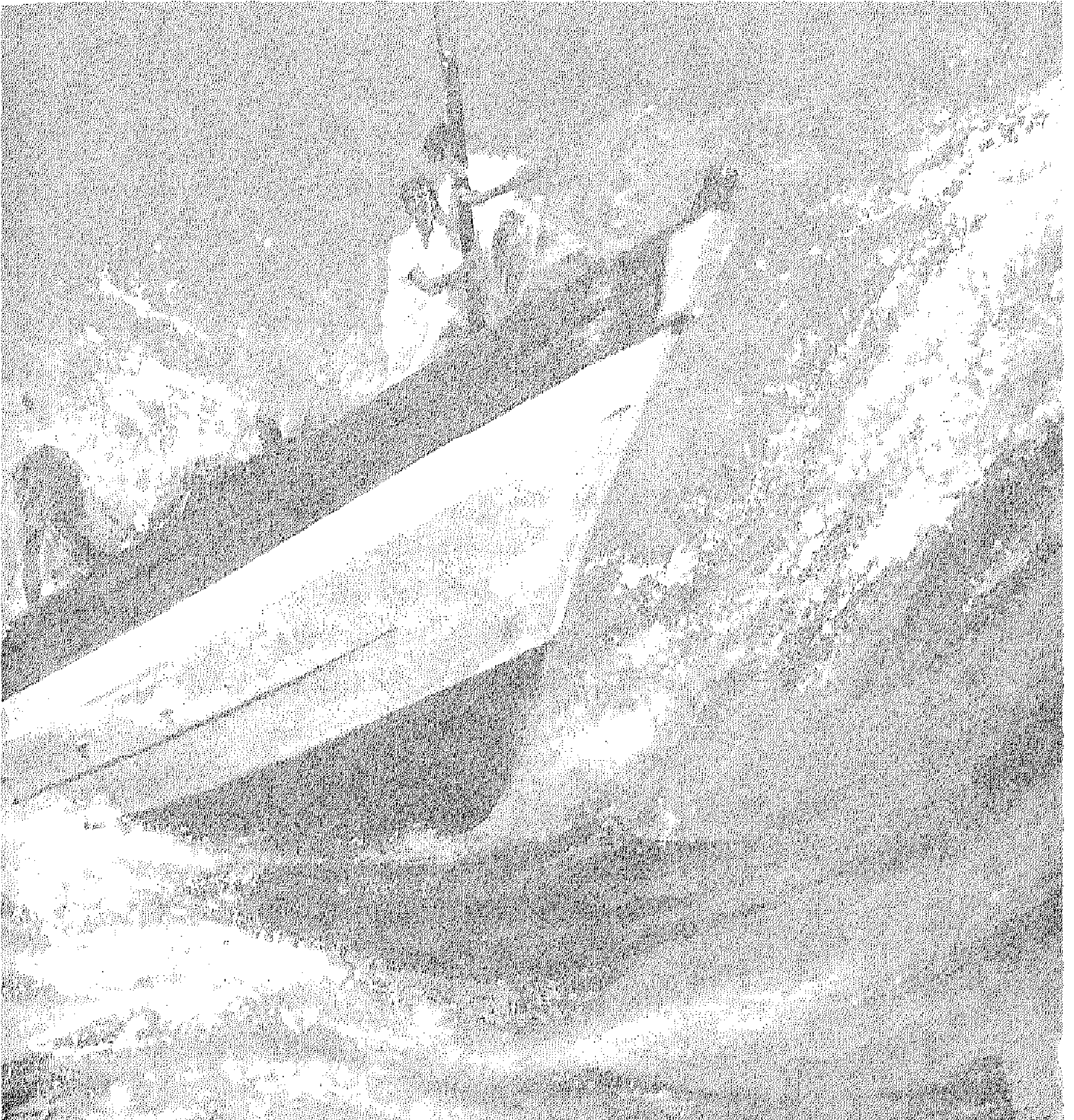
اليوم الرابع عشر. خفّت الانتقادات التي وجهت الى فاس لأنه مالك الزورق. ولكن في اليوم التالي عندما لم يبق على متن الزورق سوى ثمانية ليترات فقط، لم يتورع فاس عن عب الماء علناً. فنبهه فونسيكا بحدة: "استخدم كوباً صغيراً كما نفعل نحن! اذا تماديت على هذا النحو، سينفد الماء قريباً جداً."

صرخ فاس: "هذا ليس شأنك!"

فأجابه فونسيكا صارخاً بدوره: "بل انه شأننا جميعاً!" أمسك فاس فونسيكا بياقة قميصه، فلكمه فونسيكا على وجهه. اذذاك هب روي وانطوني فرناندو للفصل بينهما.

احتج فاس: "انه زورقي. ويحق لي ان افعل ما يحلو لي!" وحمل برميل ماء الشرب بغضب ورماه في البحر ثم أتبعه بكيس يحوي ما لديهم من فتات السمك المجفف. وقد أمكن انتشال برميل الماء لكن مياه البحر تسربت الى داخله. وعادوا الى رشدهم فجأة وجلسوا واجمين.

قال انيل سويسا والشابان فرناندو: "ليس هذا وقتاً للعراك. صحيح انك المالك، يا فاس، لكن الوقت يوجب عليك ان تتبع أوامر الربان. علينا ان نكابد لنجد اليابسة ونصل

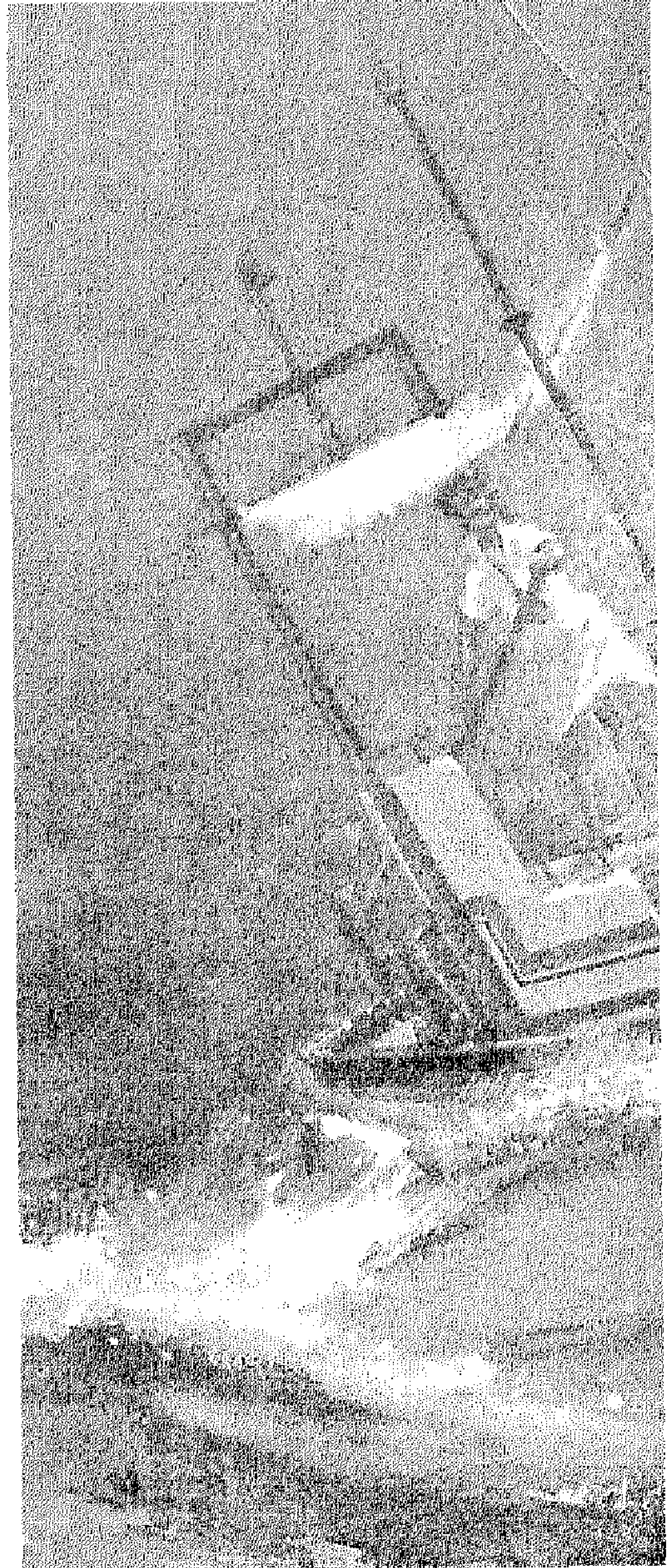


الى ديارنا وعائلاتنا." واتفق الجميع على التزام التقنين، ثم صلوا معاً كي تمطر.

انهمر المطر طوال اليوم التالي فجمعوا كفافهم لايام عدة.

المطر والعراك نقيا الاجواء على متن الزورق. وادرك الجميع ان خلاصهم يعتمد جزئياً على رفع بعضهم معنويات البعض. قال انطوني فرناندو: "لا يمكننا ان نستسلم للخوف. اذا ما اصيب احدنا بالاحباط، فذلك يؤثر علينا جميعاً، ونستسلم."

مذذاك، كان كلما بكى أحدهم نادباً حظه لانه لن يرى عائلته ثانية، ينبري له الجميع مؤاسين: "بالطبع سترى زوجتك واولادك. سننجو وسيجدنا احدهم."



لكن الايام كرت ونفدت مياه الشرب، وظل الرجال ثلاثة أو أربعة ايام محرومين نقطة ماء. وهم كانوا أقروا رأي فونسيكا: "اذا شربنا مياه البحر، ادمنّاها فنصاب بالاسهال الحاد... ثم نموت."

أجل، ولكن ما العمل والشمس التي لا ترحم جففت حلوقهم والحناجر حتى باتت اصواتهم مجرد همس أجش؟ كان انيل سويسا أول من خرق الاتفاق، فتناول بهدوء زجاجة، فصاح به الآخرون: "حذار، يا أنيل! أنت تعرف ماذا سيحدث! أصمد قليلا بعد!"

لم يجب سويسا، ثم غطّس يده والزجاجة من فوق حافة الزورق، ورفع الزجاجة الملأى الى فمه وأفرغها في جوفه في لحظة ارتياح يائس. وكرت السبحة. قال انطوني فرناندو: "أعطني الزجاجة، يا أنيل." ثم ملأها وعب محتواها بشره. احس بالغثيان، ولكن بالاكتفاء الآني ايضاً. ثم اخذت اعراض الاسهال تظهر عليه بعد وقت قصير. في هذه الاثناء بدأ روي فرناندو وفاس شرب المياه المالحة، كذلك فعل فونسيكا الذي

قال في نفسه: "إنها فكرة سيئة جداً. يجب ان امتنع عنها، لكنني عاجز."
أعد فونسيكا حساء السمك، لكنهم تناولوا منه القليل. ودفعهم الظمأ الملحاح الى زجاجتهم اربع مرات او خمساً ذلك اليوم. وعندما اشتدت حرارة الشمس في الايام الاربعة التالية، اخذوا يعبون من المياه المالحة بغير حساب. وصاروا أوهن من ان يعدوا يخنة السمك او يتناولوا وجبتهم هذه فكانوا يكتفون بقضم السمك المجفف الذي يعده فونسيكا.

اليوم الرابع والعشرون. في الثامن عشر من ديسمبر (كانون الاول)، تمدد الرجال الخمسة واهنين على متن الزورق الضيق، ووجوههم المتورمة صوب الشمس المتوهجة. واستغرقوا في نوم محموم حفل باحلام محمومة. ألفى روي فرناندو نفسه في فندق ايمبالا في بروويلا. وبعدما اشبع نهمه من طبق من عصائب الرز بالكري، أثنى على صاحب الفندق: "طعامكم هذا شهي."
ولم يعد انطوني فرناندو شبحاً مرتعشاً على متن الزورق، يصعب تمييزه برأس ولحية يغطيهما شعر قذر متلبد. كلا، يا سيدي! إنه يرتدي الآن افخر الثياب ويقدم بكل اعتزاز الرز والكري الى عائلته واصدقائه في وليمة الذكرى الاولى لميلاد ابنه.
أما الآخرون فهم في منازلهم، أو مع اصدقائهم في فندق "النجم الجديد" في الشارع الرئيسي لمدينة بروويلا، حيث الجرار الزجاجية في النوافذ مليئة بالحلوى والسكاكر. انهم في مقهى "سريباثي" يبتاعون الكعك المحلى الطري يأكلونه مع الموز الطازج وجرعات كبيرة لذيذة من الشاي. جيرار فاس نقلته مخيلته الى مقهى حيث قدم المشروبات الباردة الى اصدقائه.
واذ أفاقوا وقد قاربوا الجنون من جراء احلامهم الجميلة، أدرك كل واحد منهم انه لا بد مشرف على الموت. لكن التصميم على عدم الاستسلام للخوف، لم يفارقهم، فعادوا يضرعون من أجل أن تمطر.
وانهمر المطر صباح اليوم التالي على الاجساد الخمسة المنطرحة على متن الزورق. انتعشوا قليلاً، فدبوا والالم يعتصرهم وسدوا مصارف المياه، ثم غرفوا ما تجمع على أرض الزورق، وخزنوا منها في عنبر السمك الذي بات خالياً نظيفاً، كمية كفتهم أربعة أو خمسة ايام توقف في اثنائها الاسهال. وأمطرت ثانية وأخذوا يستعيدون عافيتهم ببطء.

مساء ٢٣ ديسمبر (كانون الاول)، اي قبل عيد الميلاد بيومين، امتحنت الرياح العاتية الصيادين النحيلين. فراح المطر يجلدهم والريح تولول والامواج تعلو الزورق الصغير اضعاف ارتفاعه، فتجتاح السانتا جود لتعود فتفيض منه بينما الرجال

الخمسة جاثمون متلاصقين تحت حجرة المحرك أو ممددون في الامكنة الضيقة وباتوا في مهب الريح، يرتطمون بالمحرك تارة وبجانبي الزورق طوراً أو بعضهم ببعض، فأصيبوا برضوض وكدمات سببت لهم آلاما مبرحة. وما ان كانت الريح تهدأ لحظة حتى يغامر فونسيكا أو انطوني فرناندو بالخروج لسحب الصنانير التي يكون علق بها سمك فيأكلونه نيئاً، ذلك لان احداً منهم لم يقو على اكثر من القضم. وسكنت اخيراً اسوأ عاصفة واجهوها في حياتهم. فخرجوا من أماكنهم متألمين واهنين وجائعين، ولكن احياء من جديد.

اليوم الحادي والثلاثون. صبيحة عيد الميلاد لم يكن لديهم ما يسد جوعهم. بكوا جميعاً وهم يفكرون في عائلاتهم وبما كانوا سيفعلونه لو كانوا في منازلهم. وتذكر فونسيكا: "كانت زوجتي فيلومنا تعتزم خياطة ملابس جديدة لاطفالنا الثلاثة، وشراء ثوب جديد لها وسروال جديد لي."

وصلى قاس بصوت مرتفع: "لو كنت في بيتي مع أسرتي، لكنت قدمت اوراق التنبول الى والدتي ووالدي وبجلتهما، ولاشتريت الدجاج من السوق، وتناولنا وجبة عائلية في جو من الحبور."

الحادية عشرة والنصف ظهراً، وكان عضهم الجوع، لمح أنيل سويسا وانطوني فرناندو سلحفاة. فبدأا ينقران بلطف على حافة الزورق لاجتذابها، ودنت تسبح بمحاذاتهما. قال انطوني لأنيل: "التقطها بهذه الصنارة الكبيرة." اجابه هذا بعد لحظة: "حسنا. التقطتها. انها ثقيلة. طولها نحو ستين سنتيمترا. ساعدني من الطرف الآخر." وتمكنا من سحب السلحفاة الى متن المركب. وكانت قارورة الغاز قد فرغت بعد تسعة ايام من مغادرتهم برووبيلا، فصنعوا موقداً ذا محرق واحد من وعاء من الالمنيوم قلبوه رأساً على عقب وأحدثوا فيه ثقباً تمر عبره النار التي كانوا يغذونها بقطع من خشب الصناديق المكسرة. وضع فونسيكا وعاء آخر مملوءاً ماء على الموقد وراح يسلق قطع لحم السلحفاة.

يوم رأس السنة. لم يشعر احد بالبهجة، فهذا يوم للولائم والعائلة والاصدقاء. لكن انطوني فرناندو بدا مستاء بنوع خاص. انتحى بعيداً عن رفاقه وبكى. غير انه ما لبث ان شرح لهم الامر: "انها ذكرى مولدي، وليس لدينا طعام ولم يأت أحد الى نجدتنا."

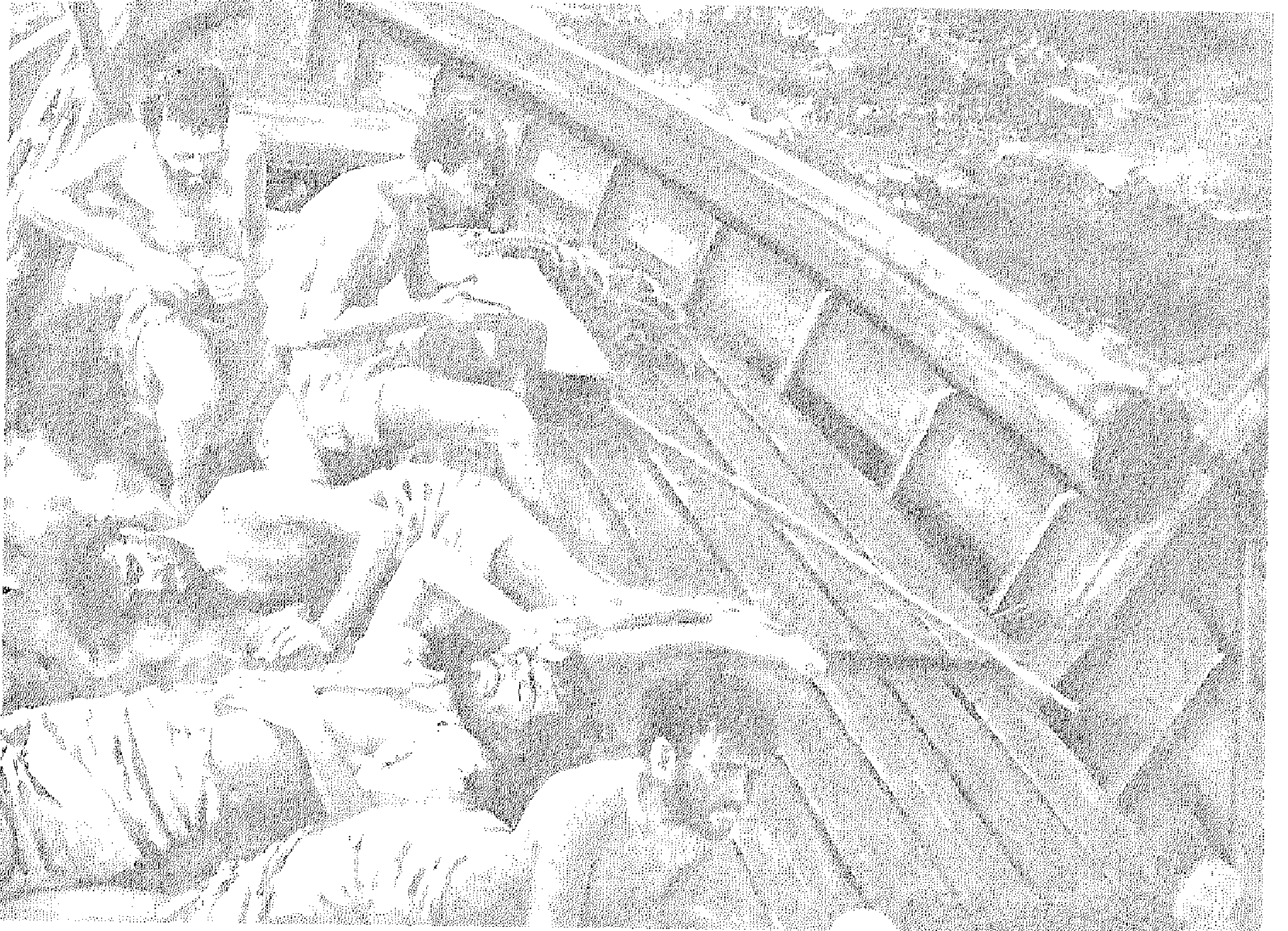
فجأة، رأى الرجال البائسون سمكة وانا، وهي من النوع الذي يبلغ طوله ٦٠ سنتيمتراً، خضراء اللون تشوبها بقع صفر، فالتقطوها. وتحولت هذه السمكة بعد سلقها مأدبة عشاء في ذكرى مولد انطوني فرناندو. وتبادلوا في أحاديث مقتضبة ما

اعتادوا ان يفعلوه وعائلاتهم في يوم رأس السنة. ثم أدوا الصلاة سائلين الله ان ينقذهم لاعياد مقبلة.

بعيداً في وطنهم، أضاءت فيلومنا فونسيكا وبريانتي سويسا والزوجات الاخريات المصابيح في منازلهن وصلين. هزت المصيبة والد انطوني فرناندو، وهو في الخامسة والستين، فأمسى طريح الفراش وفارق الحياة حزناً في فبراير (شباط). أما والد فاس فرفض حلق ذقنه قبل ان يعود ابنه.

وأقام رجال الدين صلوات خاصة من اجل الرجال المفقودين. وتركت الزوجات خمس شجيرات جوز هند وخمسة مصغرات قوارب وخمس صور صغيرة تمثل الصيادين المفقودين في كنيسة كوداغاما واضأن ٣٥ شمعة في كنيسة راغاما. وفي المعبد البوذي في كالوتارا نذرن تقديم ما يعادل زنة الرجال الخمسة زيت جوز الهند، وهذا مكلف جداً بالنسبة الى صيادي السمك. وفي مسجد اسلامي نذرن ما يعادل وزن الرجال ملحاً.

وأخذت بريانتي النسوة الاخريات الى كانده بانسالا حيث ظل الرهبان ينشدون طوال سبع ليال متواصلة، ترتيلة شعرية خاصة تدعى "ست كافي" كرروا فيها اسماء



الرجال المفقودين وانهم لم يعودوا من البحر بعد. وبطلب من الرهبان، أحضرت بريانثي الى المعبد سبع زهرات مختلفة وخمسة اصناف من الحلوى وجوزة هند كبيرة وزجاجة من زيت جوز الهند وعدداً من عيدان البخور وارزاً وتنبولا. وكانت تضيء كل يوم مصابيح زيت فيما الكاهن يرتل.

صبيحة الخامس عشر من فبراير (شباط) عام ١٩٨٨،

خرج الرجال من الفسحة الضيقة تحت متن الزورق. ووقف روي فرناندو وفونسيكا وسط الزرقة اللامحدودة، البحر تحتهما والسماء فوقهما يفرك واحدهما ظهر الآخر مستخدمين مياه البحر وقطعاً خشنة من الشباك لازالة الملح والسخام المجبول بالعرق. وفعل انطوني فرناندو وأنيل سويسا الامر نفسه قبل ان يصطادا خمس سمكات صغيرات ويقطعانها لتكون قوامهم ليوم آخر.

في التاسعة صباحاً، تطلع روي فرناندو نحو الافق، وهتف فجأة: "انظروا! طائرتان!" وهما كانتا الاشارة الاولى الى وجود بشري يرونه منذ شهرين. "إنهما قادمتان من كاتونایاك (مطار سري لانكا الدولي وقاعدة جوية). إذاً جرفنا التيار الى قبالة كولومبو."

بعد ساعتين لمح روي مركبا في الماء. تجمع الرجال حول روي باجسادهم الهزيلة وشعورهم الطويلة وجلودهم المتقرحة وظهورهم المقوسة وانعموا النظر الى المكان الذي اشار اليه. ولاحظ أحدهم متهللا: "أعتقد انه مركب صيد من النوع الذي يصنعونه في نغومبو في حوض كوماري." بكى الرجال فرحاً بصوت خافت.

قال فونسيكا آمراً: "لنصعد الى سطح الحجرة حتى يتمكنوا من رؤيتنا." كان روي اول من ارتقى السطح. ناوله فونسيكا السراويل المعقودة بعضها ببعض وقطعة من القماش الاحمر. وصعد كل منهم بدوره الى سطح الحجرة مستعينا بكاحلين وركبتين تورمت وعصيت على الحركة، وانتصب يلوح ويلوح ويلوح. وتناوبوا مدى ساعة ونصف ساعة يومئون للحرية بأيد تورمت مفاصلها.

قال روي اخيراً بصوت اجش: "لقد رأونا. انهم آتون!" كان ذلك مركب صيد يتقدم نحو السانتا جود. دنا الى ان بات على مدى السمع منهم. لكن صيحات الصيادين على المركب الغريب لم تكن باللغة السري لانكية!

وتبين لهم، وقد صار المركب في محاذاتهم، انه ليس من نغومبو. وأبلغ الغرباء الى السري لانكيين بالاشارة، ان عليهم الانتظار، فعجبوا للأمر. وبعد اكثر من ساعة، وصل مركب صيد آخر. قال فونسيكا لفاس: "يشيرون اليك والي كي نصعد الى المركب الاول. هيا بنا."

مد صيادو المركب الاول ايديهم لفاس وفونسيكا ورفعوهما الى المتن، في حين رفع الرجال الثلاثة الاخرون الى المركب الثاني. ولم يتمكن الخمسة من فهم لغة الرجال الغرباء. ثم قدم اليهم أحد الصيادين علبة سجائره فقرأ فاس عليها عبارة "صنعت في اندونيسيا،" الامر الذي صعق له فاس فسقطت السجائر وعلبة الكبريت من يديه. وادرك الرجال على الفور ان مركبهم الصغير لم يكن على مقربة من سري لانكا، بل قبالة بادانغ في سومطرة، باندونيسيا. لقد جرف التيار السانتا جود مسافة ١٨٦٠ ميلا خلال ٨٣ يوماً!

قدمت القهوة القوية والحلوة الى الرجال، فاذا بها شهية لذيذة، لكن فنجانا واحدا لكل منهم ملأ معدهم المنقبضة فلم يستطيعوا احتساء المزيد. وفهموا من منقذيهم أنهم لا يستطيعون قطر السانتا جود الى الشاطىء. فبكى فاس وقبّل مقدم الزورق. وبكل مظاهر الاسى، دفعه لينجرف مع التيار من جديد، وقبع حزيناً يراقبه مدى ساعة ونصف ساعة حتى غاب عن ناظريه. وقال مخاطباً اياه: "اشتريتك بمال جنيته في بلد اجنبي، وها أنا أتخلى عنك لبلد اجنبي."

ظل مركبا الصيد ثمانية ايام اخرى يصطادان في البحر، الى ان ملأا عنابرهما ثم ابحرا الى مرفأ بادانغ. ولدى وصولهم الى الشاطىء بعد ٩١ يوماً، ركع الرجال السري لانكيون وقبلوا الارض.

احتجزت سلطات المرفأ الرجال في سجن محلي سبعة ايام. ثم انتقلوا في حافلة الى العاصمة الاندونيسية جاكارتا، ليعودوا في طائرة الى بلادهم.

في الاول من مارس (آذار) في بنداروانه، كانت عائلة انطوني فرناندو وعدد من اصدقائه مجتمعين حول الغداء التقليدي في ذكرى مرور اسبوع على وفاة والده، فاذا بلوكاس فاس، والد جيرار، يطل من الباب المفتوح مبتسماً، حاملا شيئاً ما في يده. وبادر زوجة انطوني، اسونتا: "تسلمنا هذه الرسالة. انها من جيرار. جميعهم سالمون وفي صحة جيدة، في اندونيسيا!"

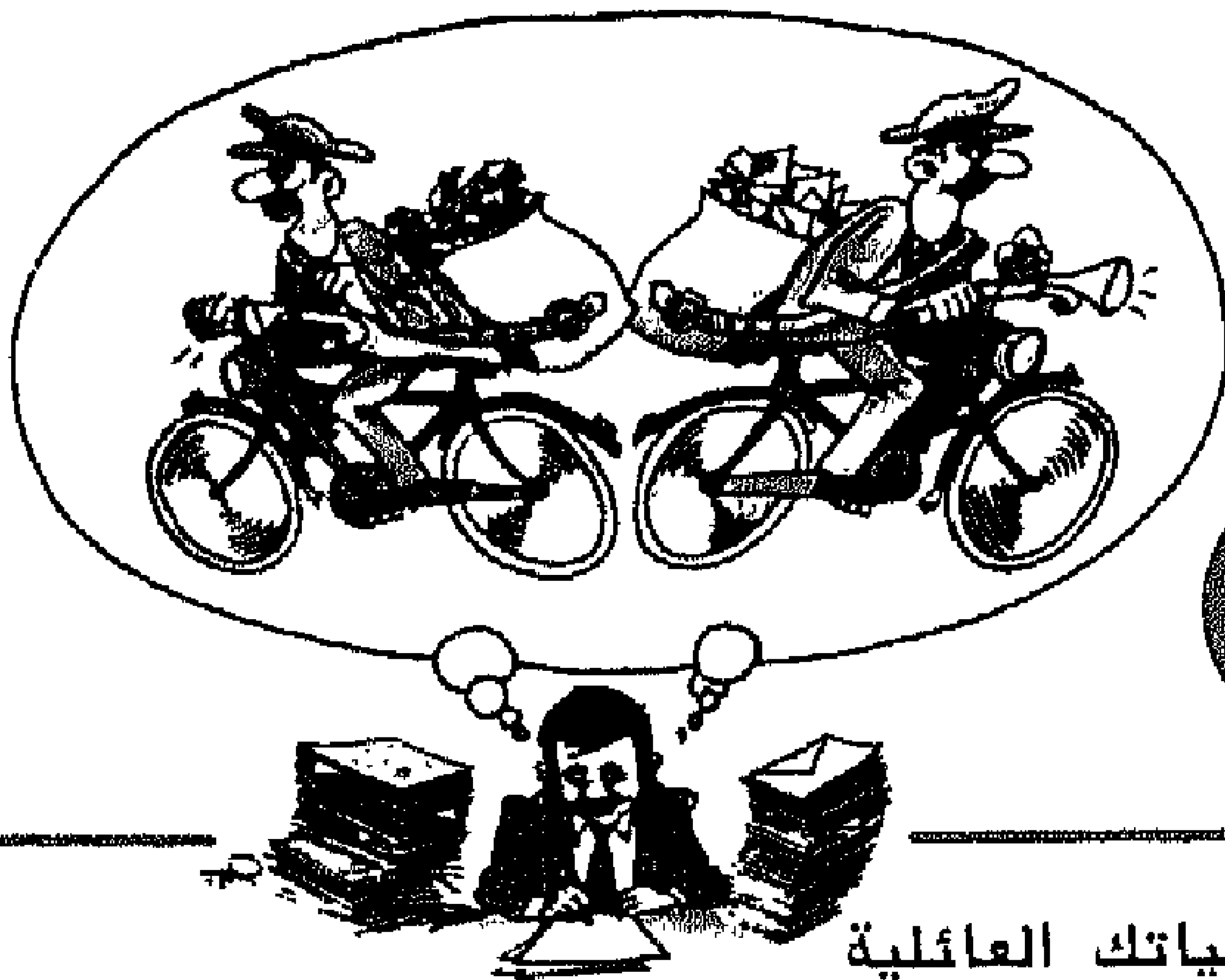
وفي الرابع من مارس (آذار) هبط الرجال الخمسة في مطار كاتونايان حيث استقبلهم ثلاثمئة صديق قروي مبتهجين. وتقدمت عائلات الرجال الجمع المحتشد. وعندما ترجل الخمسة بحياء ارتفعت الهتافات.

عاود افراد الطاقم عملهم في البحر مع اصحاب زوارق آخرين. أما فاس فيحاول حالياً شراء زورق جديد. لقد انقذهم ثباتهم وصلابتهم وايمانهم. لكن فيلومنا فونسيكا تقول، واثقة، بوجود سبب أبسط: "الله هو الذي انقذهم!"

كورتني تاور ■

ترجمة سام نجار

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.


الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت. شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩١ - جمادى الاولى ١٤١٢

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest November '91 N° 156

الدهن مصدر السمنة والسرطان
(ص ٦٠)

قاهرو الصحراء الكبرى
(ص ١٠١)

مأساة الطائرة الكورية
(ص ٢٤)

ماذا يكذب الأطفال؟
(ص ٣٣)

Reader's Digest

المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف

مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر شركة "ابيراك" للمنشورات الدولية - بيروت.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح

المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ۸۷۰۷ بيروت – لبنان.

التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE. الهاتف: ۳۵۰۷٦۰/۳۷۰۵۷۵

الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر. الهاتف ۳۱٦۰۵۸ – ۰۱/۳۲۷٤۸٤

التلكس PRESSE LE ٤۳۲۸۳ – فاكس ۸٦٤٥۷۲ – ص ب ٦۸۸ – ۱۱ بيروت – لبنان

التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE. Tel. 350760 / 370575



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

November '91 N° 156 (New Series) Vol. 13

ريدرز دايجست

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

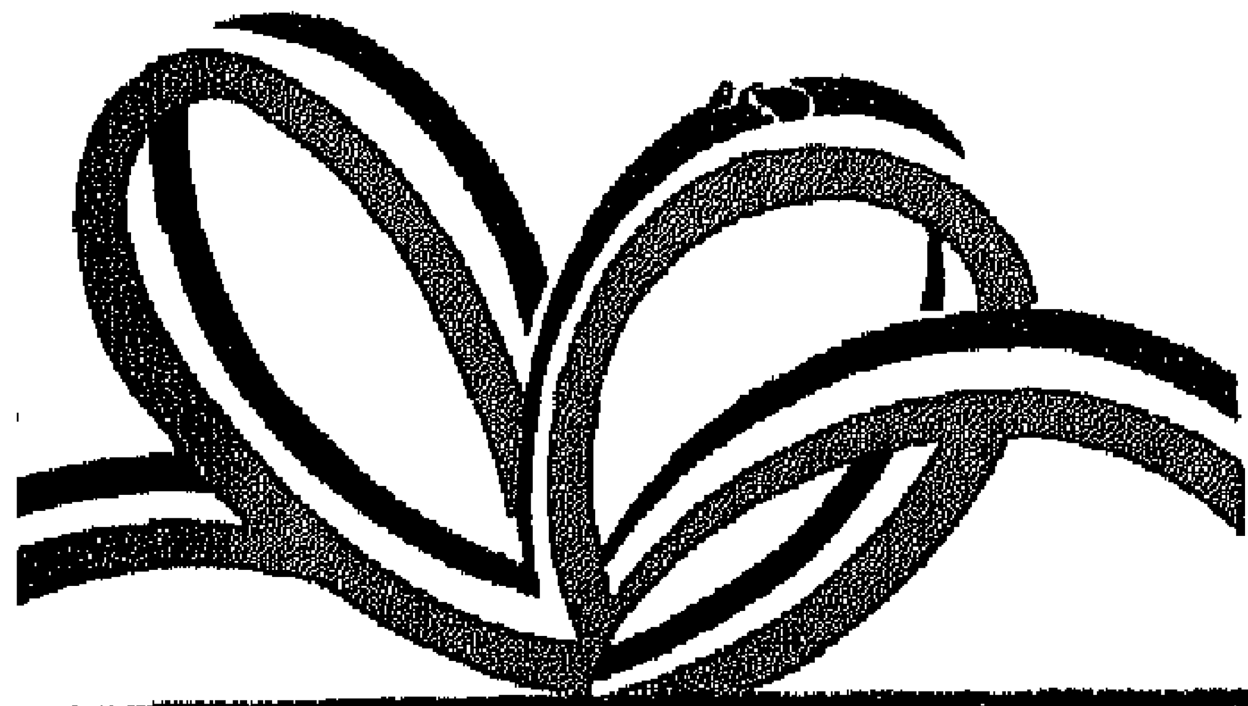
الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كنيث غيلمور. مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والأسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والروسية والهنغارية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضا في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة.

لبنان ۱۰۰۰ل – سورية ٤۰ل – الأردن ۷۰۰ف – الكويت ۷۰۰ف – الامارات العربية المتحدة ۹د – قطر ۹ر – البحرين ۹۰۰ف
السعودية ۱۲ر – مصر ۱،۵ج – السودان ۱ج – ليبيا ۵۰۰د – الجمهورية اليمنية ۲۵ ر – مسقط ۹۰۰ ب – قبرص ۱ ج
...۷۰۰م – المغرب ۸د – الجزائر ۷د – انكلترا ۱ج – اليونان ۲۰۰د – كندا وامريكا الشمالية ۲،۵د

فاجئوا من تحبون بهدية لا تنسى



تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او عيد الحب...
فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟
فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٩١/١/١ و١٩٩١/١٢/٣١ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٠ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L. L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
c/o Aramex International Courier
P.O.Box 3814 Deira United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar B P. 819
94549 Orly Aerogare France

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ______________

____

عنوانه ______________

____

المناسبة وتاريخها ______________

توقيع المهدي ______________

مع أخلص تمنياتنا

احموا أولادكم من التلفزيون!

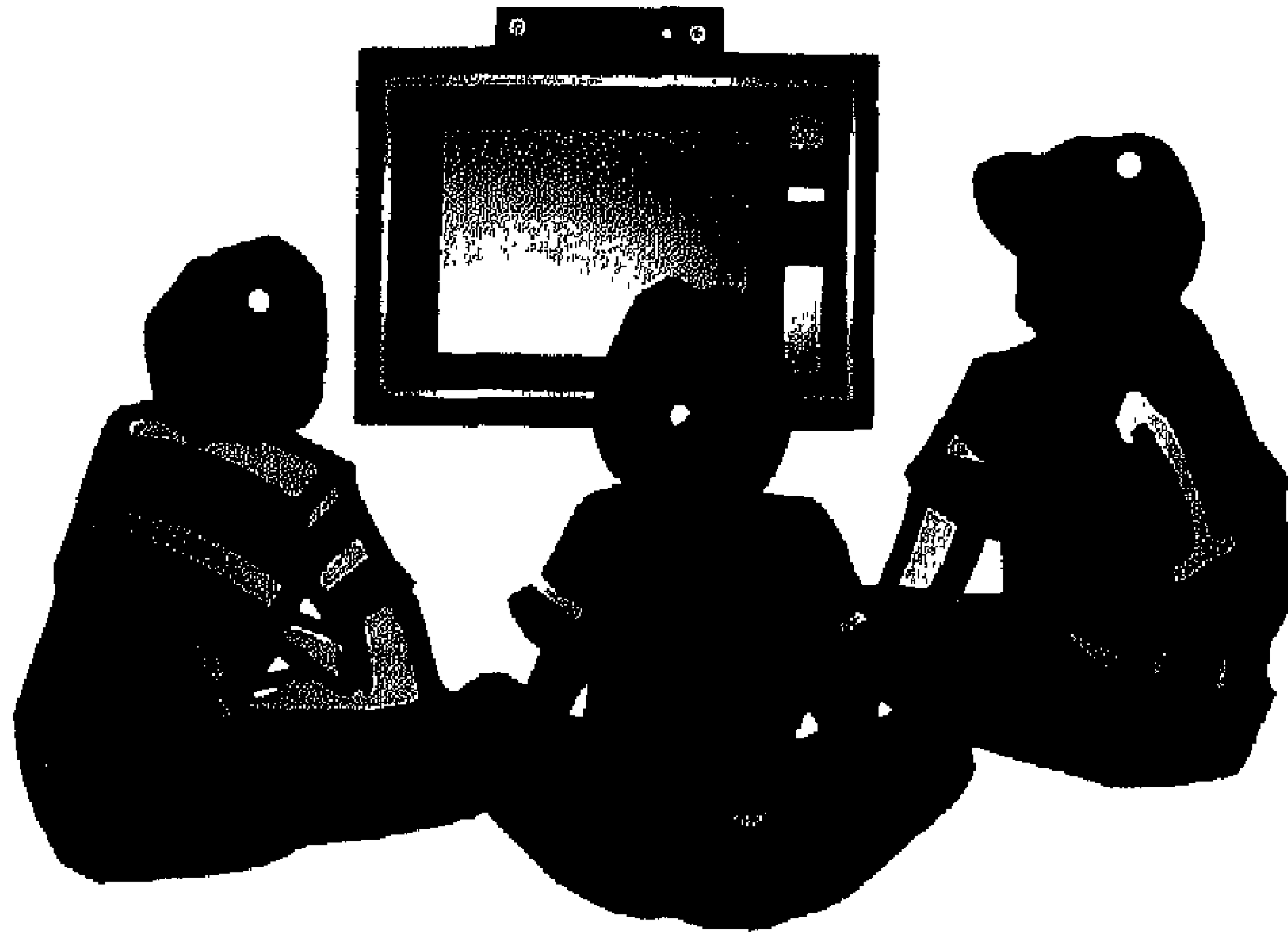
ذات ليلة من شهر أغسطس (آب) ١٩٩٠ جلست ملايين العائلات الامريكية أمام أجهزة التلفزة لمشاهدة "استعراض" للمغنية مادونا نقلته شبكة «HBO»[١] مباشرة من فرنسا. ونظراً الى شهرة مادونا التي طبقت الآفاق والحملة الدعائية التي سبقت الاستعراض الذي بُثّ خلال عطلة الاسبوع في فترة مسائية تشهد أكبر نسبة من الحضور، فقد تسنى لملايين الاطفال مشاهدته.

ظهرت مادونا أمام ملايين المتفرجين وهي تردد كلمة بذيئة لطالما منع بثها على الهواء في الولايات المتحدة. وارتمت في مشهد آخر على سرير وأخذت تتلوى وتتلفظ بكلمات فاحشة.

اننا نعيش في عصر يتقبل الكبيرة والصغيرة، لذا فان المحتوى الضحل للاستعراض الذي تعمد الابتذال لم يكن مستغرباً. كما أن اللغة المستعملة، في ذاتها، لا تختلف عما نسمعه في الافلام.

(١) Home Box Office

مشاهد فاضحة تبث على مرأى من الاطفال وما من صوت واحد يعلو استياء



أما المستغرب فهو أن قلة ضئيلة من الأولياء اتصلت بشبكة التلفزة للاحتجاج على عرض هذا البرنامج. وأفاد ناطق باسم الشبكة أن عدد الشكاوى لم يخرج على المألوف، وأن استعراض مادونا هو البرنامج الترفيهي الاصيل الاسمى منزلة في تاريخ الشبكة.

لذا يبدو جلياً أن الاولياء في الولايات المتحدة فقدوا الامل نهائياً في امكان مراقبة ما يشاهده أولادهم على شاشات التلفزة.

والحقيقة اني لا أتكلم عن مادونا بالذات. صحيح أني لا أجد متعة في حركاتها المدروسة وغير المحتشمة، الا أنها حرة في أن تجمع المال بالطريقة التي تحلو لها. فمنذ عشرات السنين يحاول مغنون متوسطو الموهبة تعبئة الافكار التمرُّدية وتسويقها، ويبدو أنهم ينجحون دائماً في أوساط الشباب. وكذلك نجحت مادونا في تسويق سلعتها.

لكن المقلق في الامر أن سلعتها ظهرت في المنازل الامريكية، في يوم عطلة، وفي وقت يشهد "زحمة" متفرجين. والشعب لم يكترث للامر.

كان المسؤولون عن شبكات التلفزة في ما مضى يدققون في أصغر تفاصيل البرامج المعروضة، خصوصاً تلك التي يشاهدها الاطفال. غير أن البلاد تعاني اليوم اضمحلالا شديداً في القيم الاخلاقية لدى المشاهدين، بحيث أن مثل هذه المشاهد الفاضحة باتت تعرض على ملايين العائلات من دون أن تثير موجة صغرى من الاحتجاج.

فماذا عن دعوة الاولياء الى اطفاء جهاز التلفزة إن لم يعجبهم البرنامج؟

إنها دعوة مفيدة. لكن جولة مادونا الاولى من المشاهد الفاضحة لم يسبقها أي تحذير. ولئن زعم القيِّمون على الشبكة أن البث مباشر، فالحقيقة أن الاستعراض سُجِّل قبل ساعات. وبالتالي كانت الشبكة على علم بمضمونه، ومع ذلك بثته كما هو من دون أن تُسبقه بأي تنبيه. ويقول أحد المسؤولين فيها بافتخار: "كان قرارنا ابداعيا."

و«HBO» واحدة من شبكات الـ"كايبل"[٢] غير الملزمة بالقيود المفروضة على الشبكات الاخرى. غير أن هذه الحقيقة لا تهمّ الاولاد الذين نشأوا وفي منازلهم تلفاز يلتقط محطة كهذه. فشبكة «HBO» ليست بالنسبة الى هؤلاء سوى محطة تعرض برامج شائقة.

سوف تصل الى مسامع الاطفال ألفاظ أسوأ من ألفاظ مادونا، أو لعلها وصلت. كما أن بث استعراض مادونا أو ما يشبهه لم يعد يثير جدلا خاصا، بل ما يثير الجدل هو التساؤل العلني حول صلاح بثه والقول ان عرضه على أطفال الامة عمل خاطىء، لأن من يتبنى وجهة النظر هذه يخالف العالم.

لكني مع ذلك أقول انه عمل خاطىء، وخاطىء جداً.

بوب غرين ■

(٢) Cable network. اي انها شبكة خاصة تقتضي مشاهدتها دفع اشتراك شهري.



- المنطق قد يضللنا، اما الضمير فلا.

جان جاك روسو، فيلسوف فرنسي

- الوقت قصير بين لحظة ادّخارك قرشاً ابيض ليوم أسود ولحظة حلول السواد.

جين كوين، صحافية اقتصادية

- الموهبة شعلة. والعبقرية نار.

برن وليمس

- القراءة تزوّد العقل معرفة فحسب. اما التفكير فيجعل قراءاتنا جزءاً منا.

جون لوك، فيلسوف بريطاني

- حريّ بالماضي ان يكون منصة وثب لا ارجوحة.

ايفرن بول

- الظرف نفّاذ، والفكاهة غامرة. الظرف فعل ذكاء كلامي، والفكاهة فعل خيال واسع في طبيعة طيبة.

بيغي نونان، كاتبة خطابات الرئيسين ريغان وبوش

- مقياس مجد الرجال العظام هو وسيلتهم في كسبه.

لا روشفوكو، معلّم اخلاقي فرنسي

- رحلة الاستكشاف الحقيقية ليست سعياً الى أصقاع جديدة، بل هي النظر بعينين جديدتين.

مارسيل بروست، روائي فرنسي

- المقدرة عاجزة أبداً عن تلبية جميع الطلبات.

مالكوم فوربس، ناشر وكاتب امريكي

Reader's Digest
المختار
نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩١
جمادى الاولى ١٤١٢
السنة الثالثة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

قصة من واقع الحياة

«أرجوك لا تتركني أحترق!»

كان بادي مارش يقود صهريجا محملا بأكثر من ٣٢ ألف ليتر من البنزين على الطريق المزدحمة المؤدية الى أكبر المراكز التجارية في نيوزيلندة والواقع في جنوب أوكلاند. ولدى اقتراب الصهريج من المركز خرجت سيارة أجرة من موقف فسدَّت طريق مارش. فانحرف الى الخط الآخر من الطريق، واطمأن اذ تطلع في المرآة ورأى أن شاحنته تجاوزت السيارة بسلام. لكنه حبس أنفاسه رعبا عندما نظر أمامه وشاهد سيارة أخرى متوقفة في طريقه.

برم مارش المقود وضغط كابح الهواء، ولكن بعد فوات الاوان، اذ صدمت الشاحنة مؤخر السيارة مما جعلها تدور على نفسها وأدى الى تمزق خزان الوقود فيها فتطاير رذاذ البنزين على الآليتين واشتعل فوراً. بينما التف الصهريج

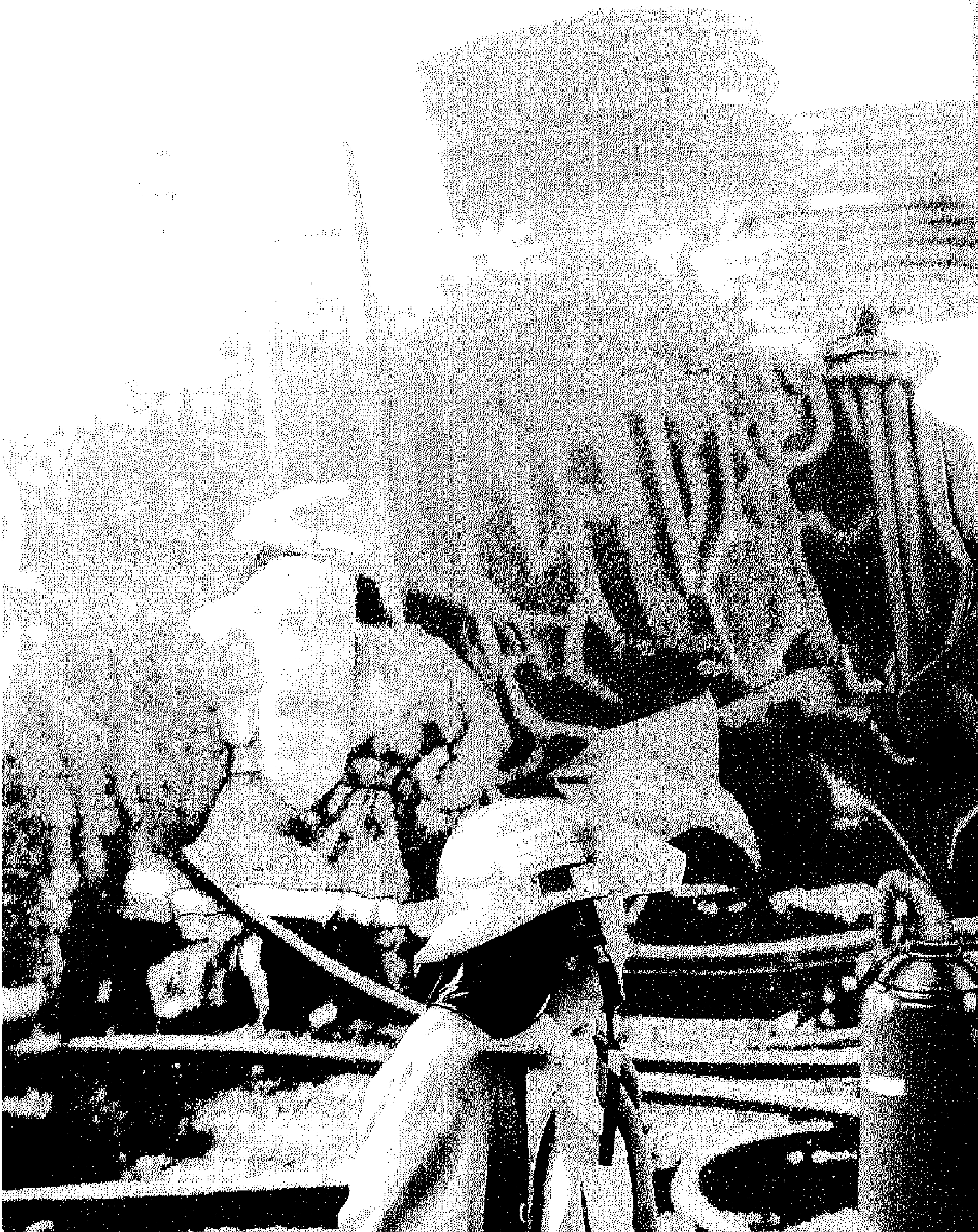
ILLUSTRATION: DAVID LOEW; PHOTOS FROM TRISTAN FILMS VIDEO, CAMERAMAN REX WILMSHURST



المقطور على مقدم الشاحنة وانقلب على السيارة.

اتصل مارش بزميله المناوب عبر جهاز الراديو. قال: "بريان، وقع لي حادث! الشاحنة تشتعل. اتصل بقسم الطوارىء!" ثم قفز من مقصورته وهرع نحو السيارة الرازحة تحت المقطورة المقلوبة وألسنة النار تمتد صعداً. وزاد الخطر أن الوقود كان يتسرب من ثقب في الصهريج، مهدداً بانفجار عظيم.

تحت الشاحنة. مساء ذلك الخميس ٩ أغسطس (آب) ١٩٩٠ توسلت شيرلي يونغ الى والدتها غايلين: "دعينا نذهب يا أمي." ففي يوم الخميس يفتح المركز التجاري "سيتي سنتر" حتى ساعة متقدمة من المساء، والذهاب اليه بالنسبة الى فتاة في الثانية عشرة هو الحدث الاسبوعي الابرز. فتناولت الام مفاتيح سيارتها وانطلقت وابنتها الى السوق.



انحرفت غايلين بالسيارة الى المنعطف المفضي داخل المركز وانزلت شيرلي على الرصيف. لكن ابنتها أوقفتها: "انتظري يا أمي. نقودي!" وفتحت الباب الامامي الايمن وانحنت لتوضح لأمها أنها نسيت محفظتها وعليها أن تعود الى المنزل لاحضارها.

للحظة كانت غايلين يونغ تتحدث الى ابنتها، وفي اللحظة التالية كانت تدور في دوامة من المعدن المتمعج. واندفعت ألسنة اللهب داخل السيارة. وتساءلت غايلين هلعة: "أين شيرلي؟" وفجأة احست بألم شديد في رجليها. كانت ثيابها تحترق. حاولت فتح الابواب المنبعجة. وصرخت: "لا! لن أموت هكذا!"

وصل مارش الى السيارة في وقت كان عابر سبيل يدعى ديفيد بيتيرا قد سحب غايلين، مخمداً بجسده ألسنة اللهب عنها. وسمع مارش صوتاً ينادي: "ماما! ماما!" فتش تحت الصهريج المنقلب فرأى فتاة سوداء الشعر محشورة في فسحة صغيرة بين العجلة الخلفية وأسفل الهيكل (الشاسي).

أمسك مارش شيرلي من ابطيها، لكنه لم يستطع زحزحتها لأن موصل العجلة سمّر الجزء السفلي من جسدها الى الارض. زحف بيتيرا الى جانب مارش، ومن خلال فجوة في الهيكل رأى هذا سيلاً من الوقود يتدفق من الصهريج الى قناة محاذية للطريق، فصاح في بيتيرا: "علينا أن نخرجها الآن!"

هرع مارش عائداً الى مقصورة شاحنته المشتعلة وأدار المفتاح، فهدر المحرك. وتقدم بالشاحنة ببطء، لكن شيرلي صرخت من الألم. ناداه بيتيرا: "لا جدوى من ذلك، فهي لا تزال عالقة."

وارتفع جدار من النار على طول الصهريج مهدداً بالامتداد تحت المقطورة حيث كانت شيرلي. تناول مارش مطفأة من مقصورة الشاحنة ورش حول الفتاة آملا كسب بضع ثوان ثمينة.

ثم سُمع دوي راعد اذ أحدث انفجار ثقباً في احدى حاويات الوقود الاربع في الصهريج. لكن هيكله كان حاجزاً واقياً لمارش وبيتيرا من قوة الانفجار، فخرجا من تحته يترنحان. وأمرهما شرطي بالابتعاد، اذ كانت ألسنة النار لفت الشاحنة والصهريج والسيارة وارتفعت حوالى ١٠٠ متر.

أشكال بشرية. وصلت سيارتا اطفاء من محطة مانوكاو تسبقهما صفاراتهما المدوية. كانت الحرارة شديدة الى درجة أن الاطفائي رويد كينيدي، وهو أول الواصلين الى المكان، لاحظ أن جزمته وسرواله المقاوم للنار والطبقة المطاط التي تغلف جهاز تنفسه بدأت تشوط. وعندما أدار وزميله مايك كيز خرطوم الماء نحو النار، تحول الماء بخاراً.

وكان أكثر ما شغل رجال الاطفاء معرفتهم أن الصهريج قد ينفجر في حريق هائل من مزيج الوقود والهواء يمتد مئات الامتار. وكانت السوق التي تبعد

مئة متر عن الشاحنة المشتعلة مزدحمة بنحو ٢٠ ألف متسوق تلك الليلة.

ووصل مزيد من رجال الاطفاء وركزوا مياه خراطيمهم في محاولة لابعاد ألسنة اللهب عن الصهريج، لكن انفجارات متتالية اضطرت كينيدي والآخرين الى التراجع.

وبينما هم يحضِّرون لمحاولة أخرى، سمع عويل قطع سكون الليل، واعتقد الاطفائيون انه ناجم عن تمدد المعدن. وعندما تردد الصوت المخيف اقشعر بدن كينيدي وقال في نفسه: "الصوت آت من ناحية الصهريج!" ارخى عن خوذته الحاجب الواقي للعينين وحدق الى جدار اللهب الذي ما ان انشق لحظة حتى رأى كينيدي تحت الصهريج شيئاً يلوح... يد ولد!

صرخ كينيدي: "غطّوني!" وركض مباشرة الى الجحيم المستعر.

كانت شيرلي تتقلّى في بحر من النار منذ عشر دقائق وهي تستغيث. وأصيبت بدوار من جراء الألم وأبخرة البنزين وبدأ ذهنها يتشتت. وتراءى لها جدها ادوارد يونغ وخال والدها فنسنت بيديوس اللذان توفيا قبل سنوات، لكنها لم تخف بل فكرت: "سوف يعتنيان بي." ومنحتها هذه الفكرة قوة جديدة، فجهدت لتتطلع عبر ألسنة النار، ولمحت أشكالا بشرية تتحرك. ثم جمعت كل قواها وصرخت.

"**سأبقى معها**!" عندما اقترب كينيدي من اللهب سفعته الحرارة كمن تلقّى لطمة، وشعر بوخز في وجهه المغطى بالخوذة. وجد شيرلي ممددة على ظهرها تحت الصهريج وممسكة بسلك كابح فوق رأسها. كانت ركاها وفخذاها عالقة تحت موصل العجلات، وساقاها مطويتين قرب صدرها كقائمتي جندب.

انتحبت شيرلي: "انني خائفة! أرجوك، لا تتركني!"

طمأنها كينيدي وهو يحدق الى عينيها الواثقتين به: "أعدك بألا أتركك. إننا معاً في هذه الورطة، وعلى كل منا أن يساعد الآخر." ثم حضن جسدها بين ذراعيه. كان الصهريج لا يزال يحميهما من الحريق الرئيسي، لكن الهواء كان مشبعاً بأبخرة البنزين مما جعلهما يتنفسان بصعوبة.

فجأة اشتعل البخار وانفجر الهواء حولهما. قال كينيدي في نفسه: "انها النهاية! نحن مائتان لا محالة!" وشعر بالوهن المشوب بالعجز فيما ألسنة اللهب تجتاح الفتاة. تراجعت النار لحظة، فخلع خوذته وقال لشيرلي: "اعتمري هذه." وأحكم رباط الخوذة تحت ذقنها وأنزل القناع على وجهها.

اجتاحتهما موجة ثانية من النار. ووفرت الخوذة هذه المرة بعض الحماية لرأس شيرلي، لكن مزيداً من الانفجارات هز الصهريج. نظر كينيدي الى جسد الفتاة العالق وقال: "لن أتركك. أعدك بذلك." لف ذراعيه حولها وانتظر موجة اللهب الاخيرة متوقعاً أن تقضي عليهما.

ولكن عوض ذلك تساقط عليهما شلال

مفاجىء من المياه الباردة، فهتف كينيدي: "لقد تقدم زملائي نحونا!" كانت أربعة خراطيم موجهة نحو كينيدي وشيرلي تصب عليهما ٤٥٠٠ ليتر من المياه المثلجة كل دقيقة.

صرخ أحد رجال الاطفاء لكينيدي: "سنرسل أحداً ليحل مكانك."

أجاب كينيدي بحزم: "لا، سأبقى معها. لقد وعدتها بذلك!"

"شيرلي، كلميني!" ارتدى المسعف غرانت بنيكوك معطفاً واقياً وخوذة واندفع نحو ألسنة اللهب متجاسراً على خوفه. وبينما [illegible] يزحف الى حيث شيرلي وكينيدي، لم يجد [illegible] متسع لتمرير أنبوب مصل، فعاد أدراجه واتصل لاسلكيا بفريق الصدمات في مستشفى ميدلمور. قال: "أعدوا العدة لمريضة تعاني حروقاً بالغة وكسوراً وتحطماً في الجزء السفلي من جسمها."

ومن الضروري أن يصل ضحايا الصدمات الى المستشفى خلال ساعة من اصابتهم لتتسنى لهم فرصة معقولة في النجاة. وكانت شيرلي تحت الصهريج منذ أكثر من نصف ساعة.

ظل كينيدي يكلمها لئلا تفقد وعيها. فسألها: "ماذا تشاهدين على التلفاز؟" وتحدثا عن برامجها المفضلة. فقالت شيرلي في نفسها: "هذا الرجل شجاع، يستطيع الخروج من هنا ساعة يشاء. لعلّ جدي والخال فنسنت أرسلاه."

كانت تطلق أنات مخنوقة بين الفينة والاخرى. وشجعها كينيدي على الصراخ قائلاً: "لا بأس. اصرخي ما شئت." واذ صار ألمها لا يحتمل، صرخت وهي تشد كينيدي من شعره الكث. لكنها لم تذرف دمعة واحدة.

توقف تدفق المياه لحظة فاندفعت نحوهما ألسنة اللهب من جديد. وعندما عاودت المياه تدفقها ذعر كينيدي اذ لاحظ طبقات من جلد ذراعي شيرلي تنزلق حول معصميها، وبدا له بوضوح أنها تزداد وهناً.

سألها في محاولة يائسة لحضّها على الكلام: "هل تحبين الجياد؟"

أجابت: "لم أركب جواداً من قبل."

فقال: "عندما نخرج من هنا، أعدك بنزهة على حصان ابنتي."

وفيما كينيدي يتكلم ظل يتفحص نبض شيرلي. لقد انقضت أربعون دقيقة وهي عالقة في ذلك المكان. وتساءل في نفسه: "يا الهي، كم ستتحمل بعد؟"

فجأة شعر بنبضها يرتعش، وما لبثت أن اغمضت عينيها. خاطبها راجياً: "شيرلي، كلميني!" فاستجمعت قواها لبرهة وجيزة ورفعت رأسها ونظرت في عينيه. ثم همست له: "اذا لم انجُ، أبلغ الى أمي أنني أحبها." قالت هذا وتراخى رأسها بين ذراعيه.

صرخ كينيدي: "انها تحتضر. ارموا الي جهاز انعاش!"* وضع قناع الانعاش على وجهها وحقن الهواء في رئتيها، ففتحت عينيها.

(*) Air Viva



قال لها موبخاً: "قولي أنت لأمك انك تحبينها. وعدتك بألا أتركك، وعليك انت الآن الا تتركيني!"

فتاة شجاعة. حدا اليأس فريق الأنقاذ على احضار أكياس هواء لرفع الصهريج. وفي امكان هذه الأكياس المطاطة المقواة بالفولاذ أن ترفع عربة سكة حديد ستين سنتيمتراً، أي ما يكفي لاخراج الفتاة من تحت الصهريج.

وضعوا كيساً تحتَ كلّ من العجلات الخلفية وضخوا الهواء. لكن الارض كانت اخضلّت بالمياه فغاص أحد الاكياس في الوحل. راح افراد فريق الانقاذ يجاهدون لكسب بضعة سنتيمترات أخرى، وأدخلوا مكبساً هيدروليكياً صغيراً تحت هيكل الشاحنة. ارتفع الصهريج قليلا بمقدار بدا كافياً.

سحب كينيدي ساقي شيرلي برفق من تحت العجلة. كانتا مهشمتين بحيث بدتا كالهلام بين يديه. وبعد وقت قصير تحرر جسدها المتغضن من محبسه.

قال لها كينيدي وهو يحملها الى نقالة اسعاف: "إننا حرّان الآن!"

فابتسمت له بوهن. فطبع قبلة على وجنتها وقال لها: "لقد نجوت يا شيرلي." ثم ألقاها بين ذراعي اطفائي آخر وقد أنهكه البرد والتوتر والدخان.

أخيراً تمكن رجال الاطفاء من صب رغوة على الصهريج لم يكن في امكانهم استعمالها قبلا تفادياً لتعريض كينيدي والفتاة للخطر. وفي دقائق خمدت ألسنة اللهب.

عندما عاد جون هايلاند، الضابط المسؤول في مركز الاطفاء، الى مكان الحادث صباح اليوم التالي، رأى شيئاً لن يبرح ذاكرته طوال حياته. لقد ذابت طبقة الاسفلت العليا بفعل الحريق على مساحة اتسعت خمسة وستين متراً. وفي أحد الاماكن بانت الحصى التحتية الا في رقعة لا تتجاوز مساحة طاولة صغيرة سفعتها النار سطحياً حتى ان طلاء خط الطريق ظل بيِّناً. في تلك الرقعة بالذات كانت شيرلي ممددة.

عمد الاطباء في مستشفى ميدلمور

الى جبر كسور شيرلي وزرع قضيب معدني في ساقها اليمنى المهشمة. وعمل اختصاصيو الحروق على انقاذ ما يمكن انقاذه من اللحم المحترق على ساقيها. لكن الصدمة التي تلقاها جسدها الفتي كانت كبيرة.

وضعت شيرلي في غرفة العناية المركزة مدة أسبوعين، وكانت تعطى أحيانا كميات من مسكنات الألم. وكان جهاز التنفس الاصطناعي يمنعها عن الكلام. وصباح اليوم الرابع، بينما كانت بين صحو ونوم، خربشت هذه الكلمات: "أحبك يا أمي."

في اليوم التالي أُدخلت غايلين الى جناح شيرلي، فبكت الام والابنة فرحاً.

أصيبت ربلة ساق شيرلي بتلف شديد مما استدعى بتر ساقها اليمنى من تحت الركبة، لكنها تلقت النبأ بشجاعة.

وعادها كينيدي مرات عدة متجاهلا العرف الذي يحظر على الاطفائيين زيارة الضحايا لئلا يصيروا عاطفيين الى درجة تحول دون أدائهم وظيفتهم كما يجب. وكان يأكل من حلواها ويمازحها. وشارك الاطباء في "معاينة" حالها، فدون على الرسم البياني المعلق على سريرها والذي يوضح تطور وضعها الصحي: "هذه الفتاة ضاجّة على نحو لا يحتمل."

يقول كينيدي: "إنها أعجوبة. لا أحد يعلم كيف نجت من الحادث."

لكن شيرلي تعرف: "كان لي ملاك حارس يهتم بي."

قبيل الميلاد تماثلت شيرلي الى درجة كافية سمحت لها بالعودة الى البيت. وبعد أربعة أسابيع وفى رويد كينيدي بوعد آخر. ففي يوم جميل من أيام يناير (كانون الثاني) أخذها في نزهة على حصان ابنته.

جايمس هتشيسون ■

لقد التقيت رجلا...

تقدم رجل من شباك المراهنة في مدرّج سباق الخيل معتزماً المراهنة على الحصان الرقم ٣، فلاحظ أن رجلا أمامه راهن على الرقم ٤، فغير رأيه واختار الرقم ٤. فكانت النتيجة أن فاز الحصان الرقم ٣.

سأله صديقه: "ما بك؟ كنت أظن أنك اخترت الرقم ٣؟"

أجاب: "لقد التقيت رجلا..."

في الشوط التالي اعتزم صاحبنا المراهنة على الحصان الرقم ٥، لكنه التقى رجلا يراهن على الحصان الرقم ٦ فغير رأيه، وفاز الرقم ٥.

بعد خسارة ستة أشواط متتالية على هذا المنوال قال الرجل لصديقه: "لقد نلت كفايتي، انني ذاهب لشراء شطيرة جبنة."

وعندما عاد حاملا شطيرة همبرغر سأله صديقه: "ماذا تفعل بالهمبرغر؟"

فأجاب: "حسنا، لقد التقيت رجلا..."

ك.ا.

أيها الزوج العظيم!

بعد اثني عشر عاماً من الزواج ● وضعتُ زوجتي حيث تريدني هي

يزعم بعض الناس أن الحياة الزوجية ليست أمراً سهلا، وأن على المرء أن يغذيها ويسقيها ويشذبها، الى ما هنالك من تعابير مأخوذة من عالم العشبيات.

هراء! لقد تزوجت قبل أكثر من عقد، وفي استطاعتي القول ان نجاح الزواج لا يرتبط بالعمل الا قليلا، وأقل بالصبر. المسألة الحقيقية هي: هل تستطيع ادارة زوجتك أم لا؟

الرجل الذي يدير زوجته – فيما هي تديره – قد يتمكن من تحقيق السعادة والحياة الزوجية المستقرة في آن، والا كان مثله مثل ذلك الاحمق الذي يلتهم الفستق المملح في أحد المقاهي من دون أن يدري ان القصد من وضع الفستق المملح على الطاولة هو جعله يشعر بالظمأ فيطلب كأساً أخرى من الشراب. هل ترغب في أن تكون مثل هذا الاحمق؟ بالطبع لا! على الاقل ليس كل يوم.

اذاً، اتبع هذه الوصايا البسيطة:

إكتفِ بكلمة "نعم." تتقدم الزوجة العادية بما معدّله ٦،٨ مطالب كل ثماني ساعات يقظة، لا لسبب الا لانك، كقمة إفرست، حاضر أمامها. الرجل الذي يتحرك لتلبية كل هذه الطلبات محكوم عليه بحياة ملؤها نشاط غير مجدٍ ونزاعات زوجية، مما لا يدع له مجالاً للهو.

ان اتباع سياسة الموافقة بدماثة على كل مطالب الزوجة يضعها في موقف صعب ومنهك اذ ترى أنها تضايق رجلا يبدو مستعداً للموافقة على كل شيء.

لا تغالِ في ردود فعلك نادراً ما تحس الزوجات أنهن على حق أكثر مما حين يكنَّ غير منطقيات. في لقائنا الاول، اختارت الفتاة التي أصبحت زوجتي مطعماً يقدم شرائح مقززة من الهمبرغر

مكسوَّة بأنواع مختلفة من التوابل والمرق لاخفاء حقيقتها.

هل يظن أحدكم أنني أصررت على مطعم بديل؟ أبداً! عندما قررنا أن نخرج ثانية لتناول طعام العشاء، أخذتها في جولة استطلاعية على كل المطاعم الاخرى. وفي النهاية أنهكتها معقوليتي العنيدة وفات وقت تناول العشاء خارجاً وانتهى بنا المطاف الى تناول كميات من الاطعمة الغريبة في منزلها. ولم يطل بنا الامر حتى تزوجنا.

قم بواجباتك المنزلية. مفتاح السر هنا أن تدفع بعملية التنظيف الى هوة التأجيل السحيقة: غداً. لاحقاً. في ما بعد. وعندما يأتي الوقت المحتوم قم بقسطك من العمل في فورة من النشاط. زوجتي قانعة تماماً بأن تدع المنزل يغرق في الفوضى تدريجاً على مدى أسبوع فيما تغزو الالعاب والملابس وعلّاقات الثياب وبقايا الطعام أرجاء البيت. فجأة يصل صبرها الى نقطة الانفجار، وهذا يعنيني أنا.

كافحتُ لسنوات وتملقتُ محاولا التملص. أما الآن فصرت أرفع أكمامي وأتنقل في البيت بسرعة الطاعون. هنا بعض الافكار المفيدة:

□ في ترتيب الثياب، كوِّم كل شيء في سلة الغسيل بدلا من تعليق ما يمكن أن يلبس ثانية.

□ عندما يطلب منك تنظيف صواني الميكروويف* التي بات الطعام جزءاً من تركيبتها، أنجز العمل بكدّ، ولكن بطريقة سيئة تدفع زوجتك الى التفكير الحكيم في أداء العمل بنفسها في المرة التالية.

□ تحت الاسرّة والكنبات وفوق رفوف الكتب وخلفها مساحات وافرة غير مكتشفة. لا تهمل استخدامها!

ان الزوج الذي يعمل بسرعة وبخيال واسع يمكنه أن يقلّص الوقت المخصص للاعمال المنزلية الى أقل من عشرين دقيقة أسبوعياً من دون أن يتبادل وزوجته كلمة غضب.

حظاً سعيداً!

ابذل جهدك وتأكد من الفشل. أقام صديقي بروس برهاناً أبدياً على قصوره بضربة حظ واحدة في أغسطس (آب) الماضي. كانت أمام منزله بركة سباحة صغيرة، فطلبت منه زوجته بناء سياج يحمي طفليهما. دعاني بروس الى مساعدته في اقامة السياج بنفسه، وبذلك ضاعف حماقته مرتين.

برز السياج متلوياً كالافعى عبر الفناء. وعندما رغب الزوجان في بيع العقار لاحقا اكتشفا أن قيمته تدنت ٣٠ ألف دولار بسبب بشاعة السياج. وهما الآن يستأجران حِرَفياً لانجاز أي عمل مهما يكن صغيراً.

عافاك الله يا بروس!

اخرجا واصرفا معاً. لا تمثل دور المدير المالي المقتّر. شجّع زوجتك على

(*) فرن الموجة الصغرى.

الشراء، فلا يطاوعها ضميرها لاحقاً على انتقاد شرائك رقاقة لجهاز الكمبيوتر بعد أن تكون هي اشترت ست بذلات رياضية عجيبة الالوان.

المهم أن يكون في جيبك ما يكفي. اذا كانت زوجتك مقترة، وخصوصاً اذا كانت تحصّل من عملها نصف مصروف العائلة، فقد يؤدي نقص المال الى ابتزاز خفيف أو تخاطف محفظة أو اخفاء نقود.

لا تسحب مبالغ كبيرة من حساب مشترك في أيٍ ظرف. هذا الامر مغرٍ، خصوصاً بعد توافر أجهزة السحب الالكترونية. قبل سنوات تورطت في عمليات سحب عدة بواسطة بطاقة الكترونية. وذات يوم، فيما كانت زوجتي تراجع كشف حسابنا في المصرف، زعقت من أعماقها زعقة مرعبة ونظرت الي بعينين جاحظتين قائلة: "هناك فرق ٦٠٠٠ دولار بين ما كنت أعتقد أننا نملك وما يدَّعيه المصرف. لماذا؟" ومنذ ذلك الوقت تصرّ زوجتي على التدقيق في كشوف حسابنا.

اتركها تاكل ما تشاء. تُقلّ النساء من تناول بعض الاطعمة (اللحم مثلا) وتكثر من أخرى (الخضر النيئة والشوكولاتة). فعليك أن تحمي حقك في تناول اللحوم والنقانق والنشويات والدهون التي تسدّ الشرايين.

لا تسمح لنفسك، في مطلق الاحوال، بالتدخل في نظام أكلها. اذا كانت زوجتك مثل زوجتي، فسوف ترسلك في طلب الكعك والحلوى ثم تتهمك بمحاولة تخريب نظام حميتها. اذا تعذر عليك الفوز باللعبة، فلا تلعبها!

لا تنتقم بل اطلق لغضبك العنان. عندما تفشل كل السبل، خذ موقفاً ثابتاً. ترك صديقي زوجته تشتري منزلا من دون موافقته المعلنة. وعندما سألته عن السبب أجابني: "سألتني اذا كنت أوافق، فقلت لها إن علي أن أفكر في الامر. وقبل أن أنتهي من التفكير اشترت المنزل."

وبعد شهرين أصابت صديقي نوبة غضب جنونية داخل السيارة. فبدأ يصرخ ويضرب عجلة القيادة بقبضتيه، مما أثار الذعر في قلب زوجته فأذعنت له وأعادت بيع البيت لأول زبون. لقد انتصر صديقي! وها هما الآن ينتقلان الى منزل آخر لا يرغب صديقي في سكناه!

تذكرْ في النهاية أنك تزوجت هذه المرأة بسبب كل الامور التي تزعجك فيها وليس على رغم هذه الامور. ولو شئت شخصاً أكثر تفهماً وادراكاً لتزوجت ذاتك!

في زوجتي كل ما ليس فيّ، ولذلك، أنا أقدرها. ففي نهاية يوم عمل طويل، عندما ترتسم في عينيها تلك النظرة المراهقة الحالمة وتطوقني بذراعيها وتقول: "انك رجل عظيم يا ستانلي،" أدرك أنني وضعت زوجتي حيث تريدني هي.

ستانلي بنغ ■

فرنسا يا حلوتي!

أربعة عقود مرت على اكتشاف تيرنس كونران فرنسا، وهو مصمم بريطاني ومؤسس شبكة محال المفروشات الشعبية "أبيتا." وتكررت مذذاك زياراته للبلد وبات يمضي أوقاتاً طويلة في منزله في بروفانس. وضمَّ كتابه الذي نشر حديثاً بعنوان "فرنسا يا حلوتي" مجموعة ساحرة من الصور الفوتوغرافية تمثل، بالنسبة اليه، جوهر الأمة الفرنسية. وهو يأمل أن يكون أفلح في التقاط بعض من روح البلاد فيفيها نزراً يسيراً من دينه لها.

كانت فرنسا مصدر الهامي الاكبر، وجسدت لي نموذجا لفن الحياة. كانت سفرتي الاولى الى فرنسا، عام ١٩٥٢، وخلفت في نفسي انطباعاً عميقاً لا يمحى، لانني قدمت من بريطانيا حيث

غزارة من الالوان والملامس والروائح تتجلى في الطبيعة وفي السوق.

TOP: «MY BEAUTIFUL FRANCE» BY TERENCE CONRAN. BOTTOM: CONDENSED FROM «TERENCE CONRAN'S FRANCE,» © CONRAN OCTOPUS 1987, PUBLISHED BY CONRAN OCTOPUS LTD., LONDON. PHOTOS: (BACKGROUND) EXPLORER / F. JALAIN, (INSET) MICHAEL BUSSELLE



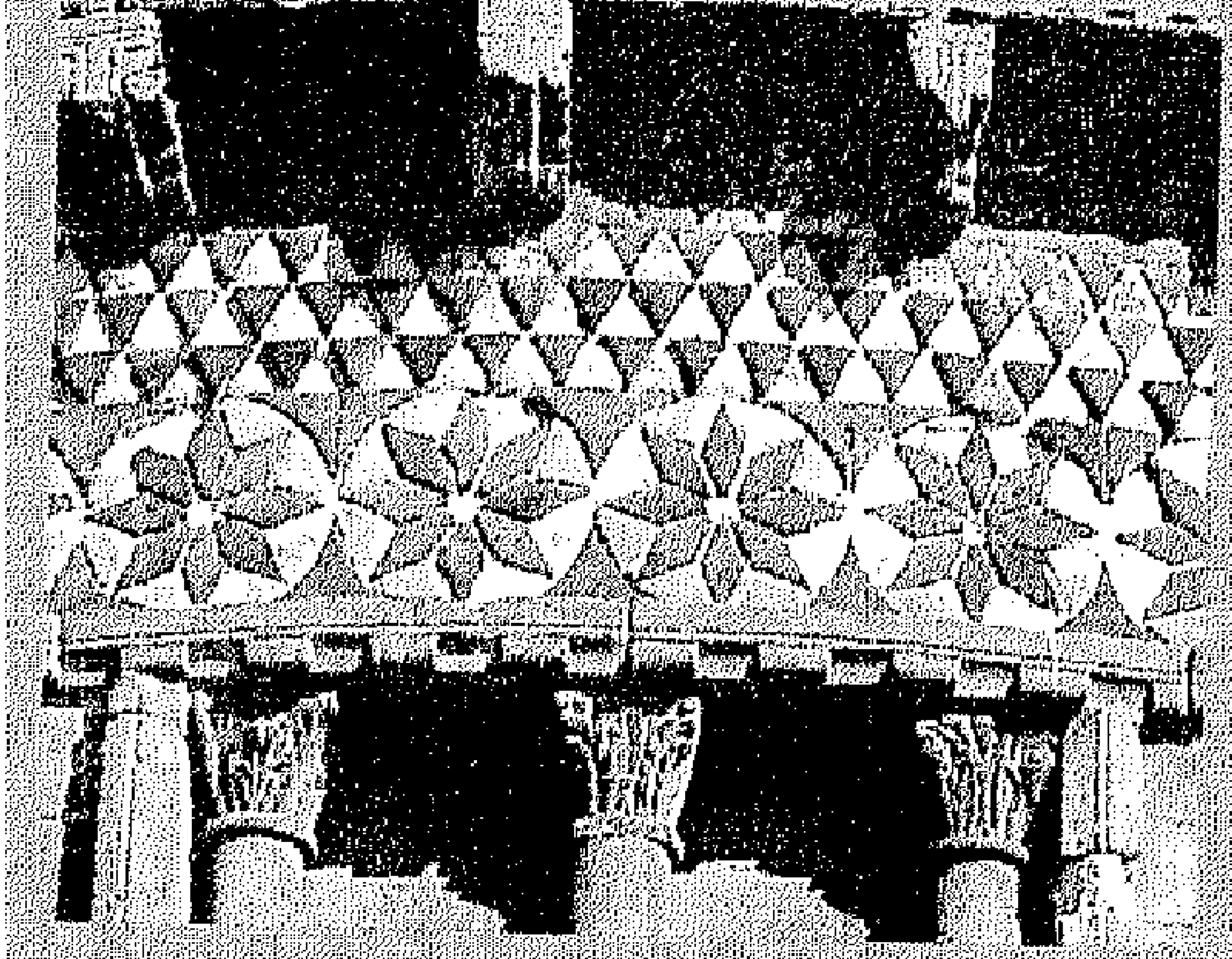
استبد بالناس التقشف والتشاؤم على أثر الحرب وساد الشقاء والرتابة فأغرقا الحياة في السواد. وكانت فرنسا في تلك الاثناء تفيض بالالوان والجمال. وفاح عبير غريب عندما وطئت الرصيف في ميناء كاليه، عرفت لاحقاً أنه مزيج من رائحتي التبغ القوي والثوم الطازج.

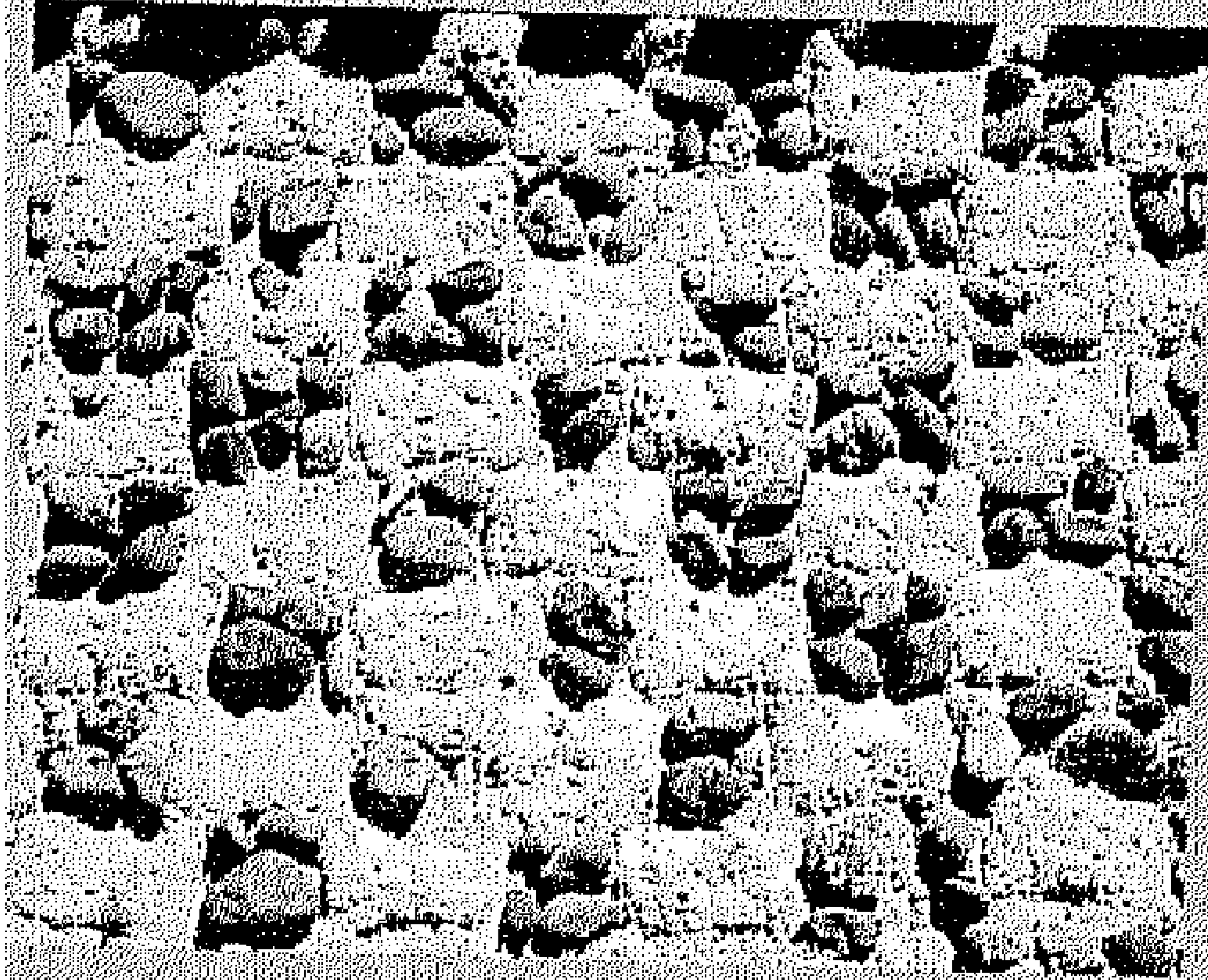
كنت شاباً سريع التأثر، فاستسلمت لدفق أبسط الامور. وسرَّحت ناظري في كل ما أحاط بي ولم أفوِّت شيئاً. فنعمت عيناي بالألوان المتراقصة في الاسواق النابضة بالحياة وبجمال أبنية الريف المتداعية ونوره الساطع ومناظره الخلابة.

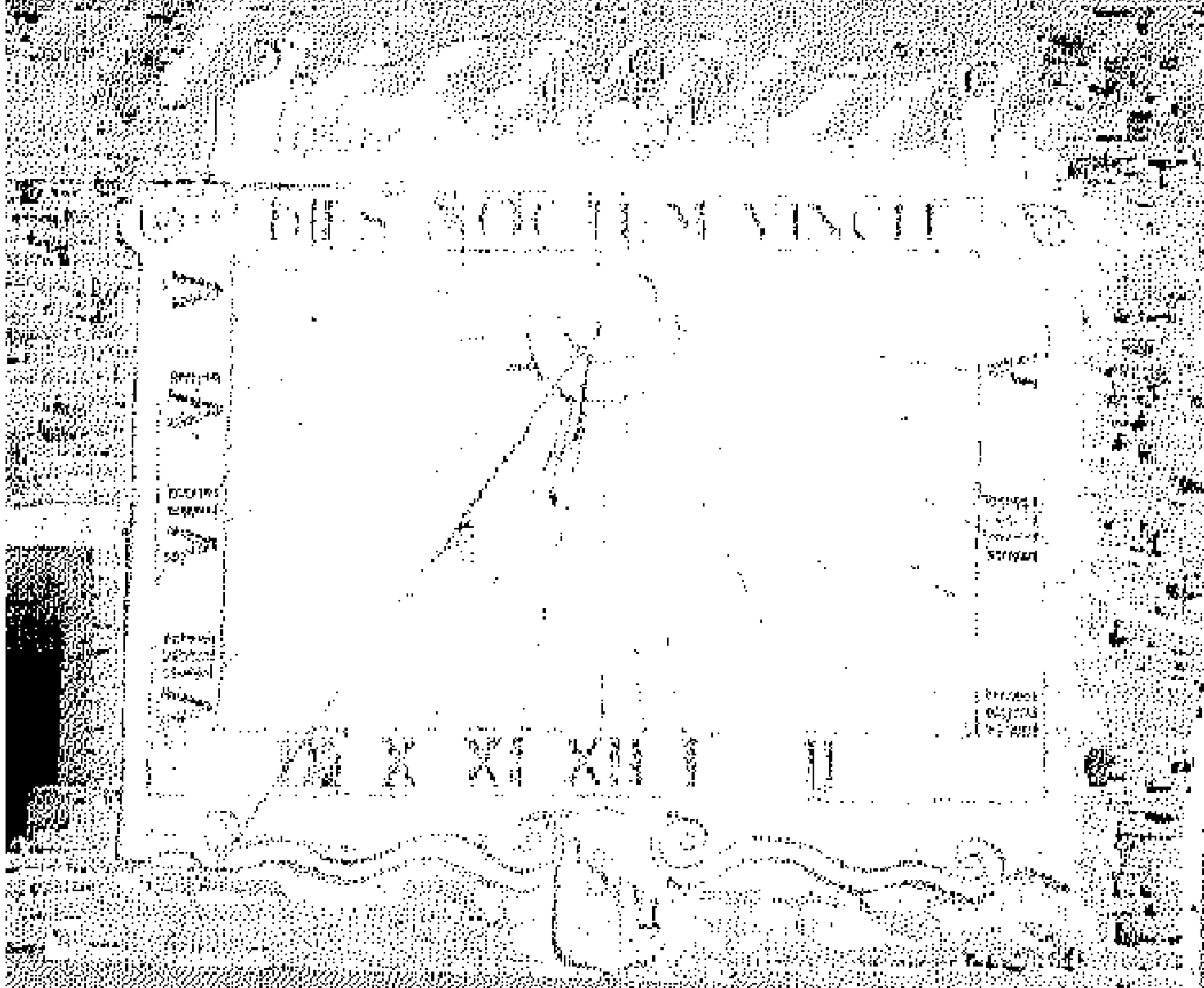
أسر انتباهي جمال الاشياء البسيطة العادية. هنا أكوام فاكهة وخضر تخطف الانفاس قبل أن يسيل لها اللعاب. وهناك زحمة أزهار في باقات كبيرة غُطست في دلاء متواضعة من غير تنسيق أُبَّهي. وطالعني كل يوم جديد حافلا بالوعود.

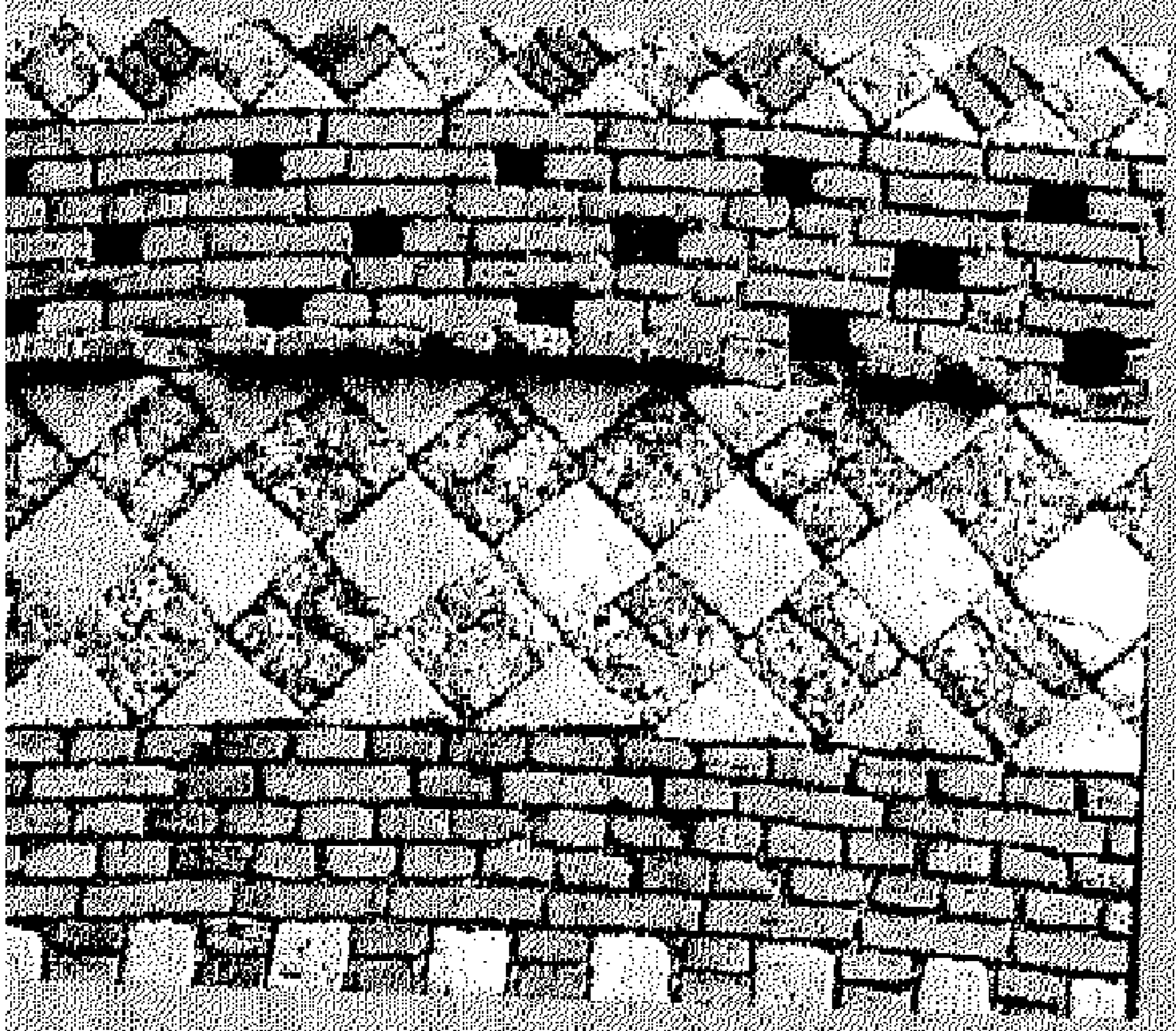


(من فوق الى تحت) افريز روماني يزين مبنى في سانت اوستروموان (مقاطعة بوي دي دوم). حائط حجري في أوجان مورنيد مزخرف بحجار أصغر حجماً. ساعة شمسية تعلو صرحاً في مواساك (مقاطعة تارن وغارون). زخرفة على بيت للحمام في مقاطعة النورماندي.





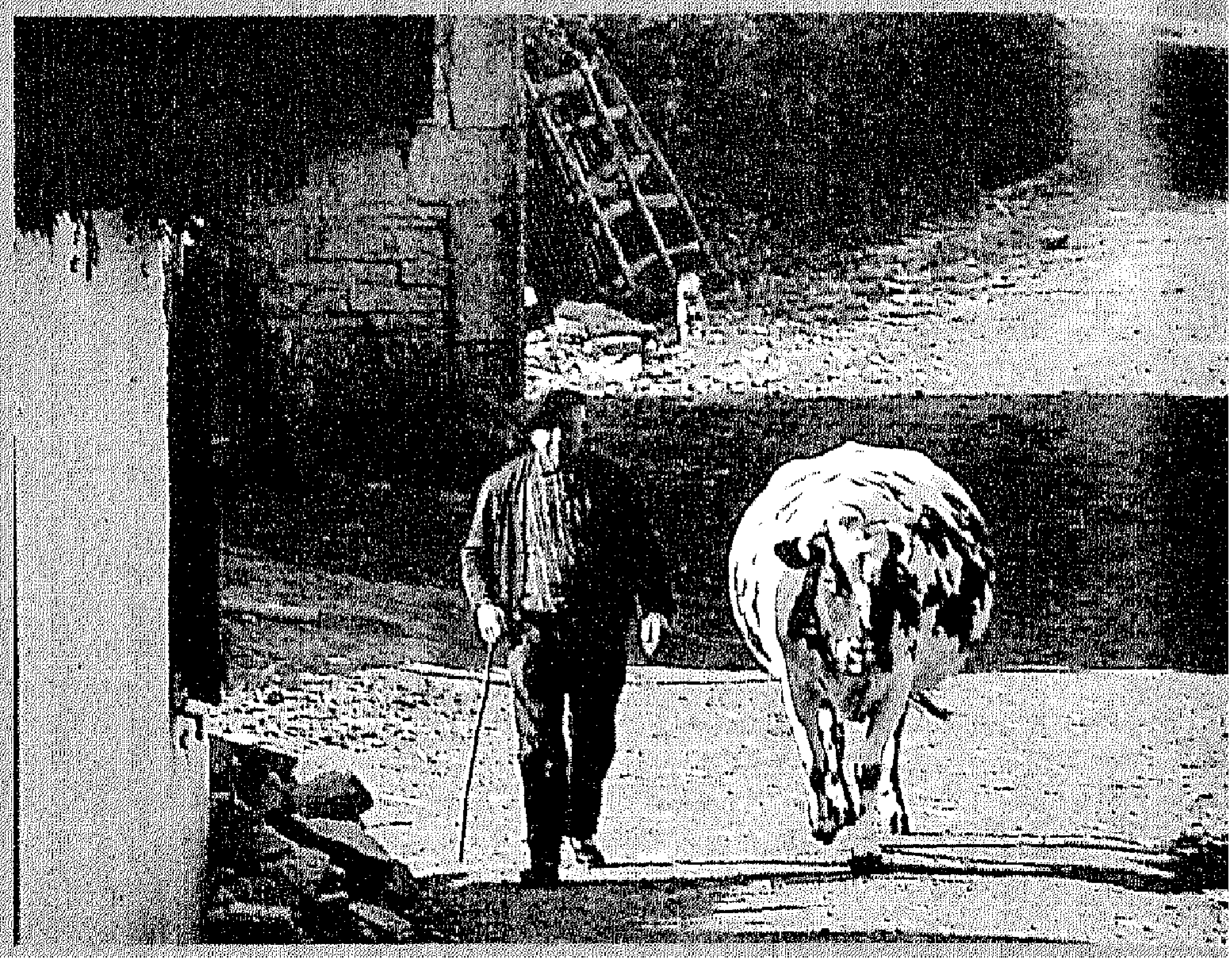




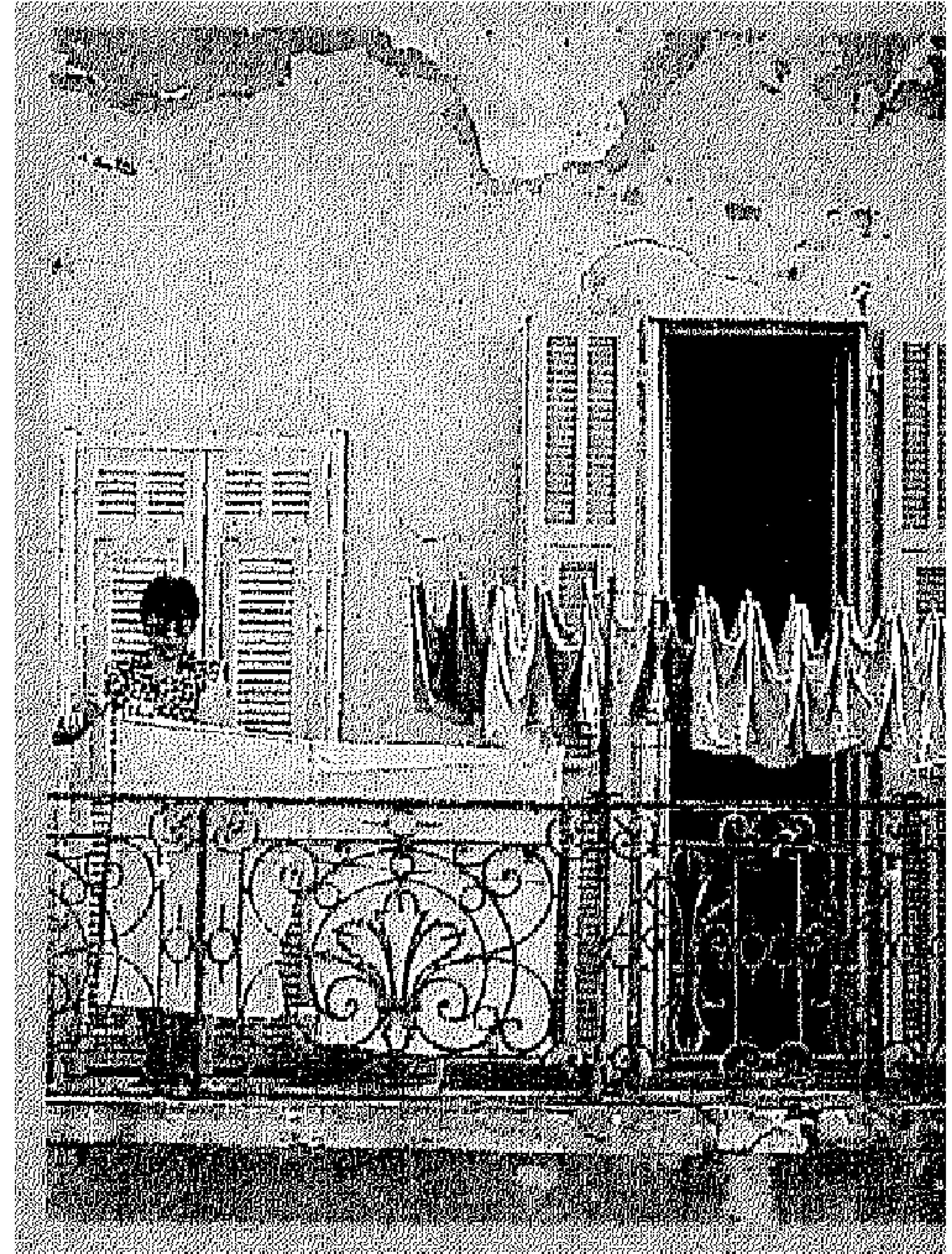
(تحت) تتميز المزارع بطابعها المحلي الخاص. تطل هذه المزرعة على البحر وتقع على مقربة من مورغا في بريتانيا.







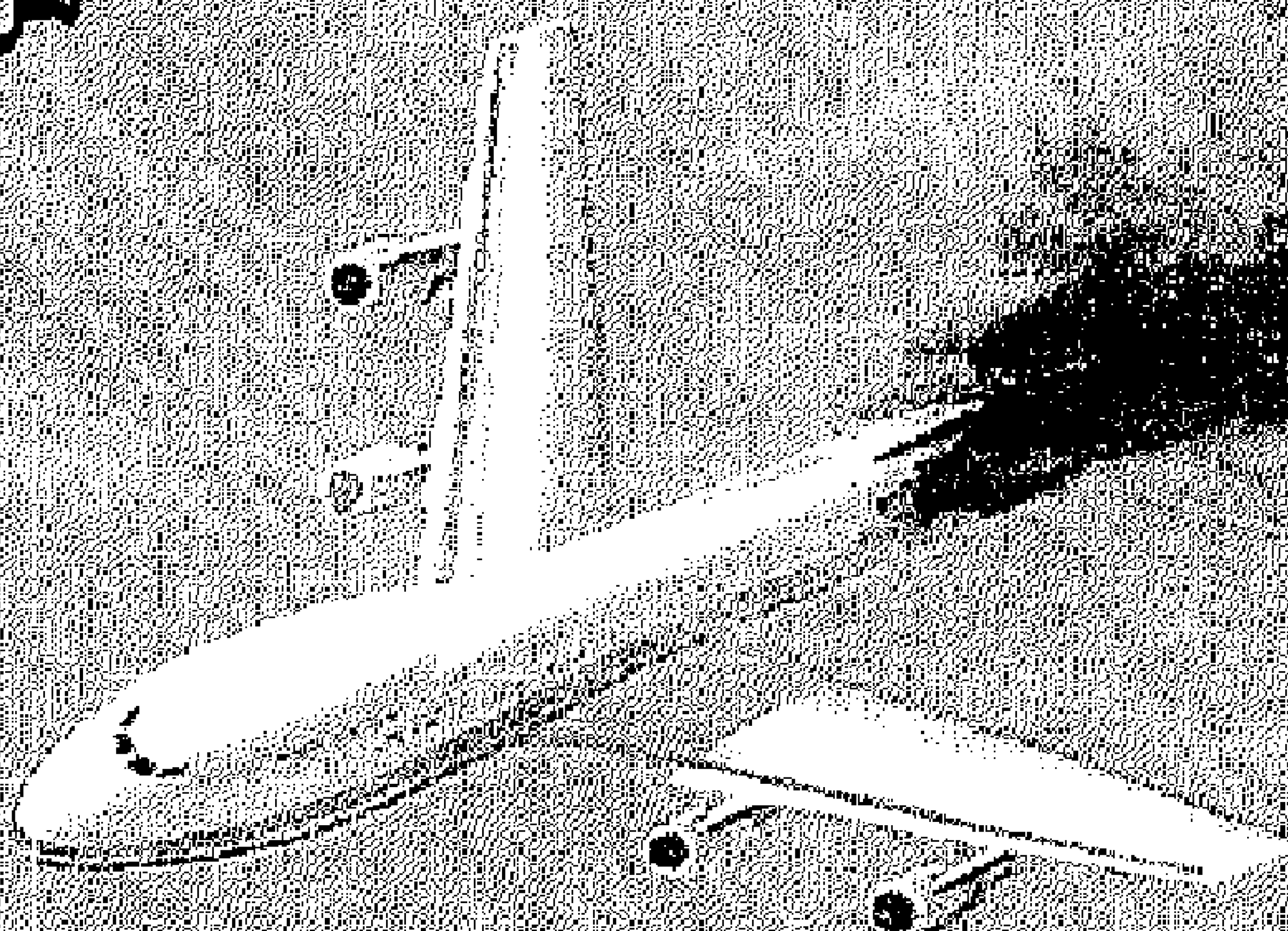
كانما الوقت توقف تماما في هذه القرية الصغيرة في جبال البيرينيه (فوق). ويبدو الغسيل المنشور على الشرفة (تحت) تكملة للحائط خلفه.
(الى اليمين) واجهة منزل ريفي في منطقة بوجوليه الشهيرة. هنا يتضارب لون الحجر الأصفر مع لون المصاريع الارجوانية.

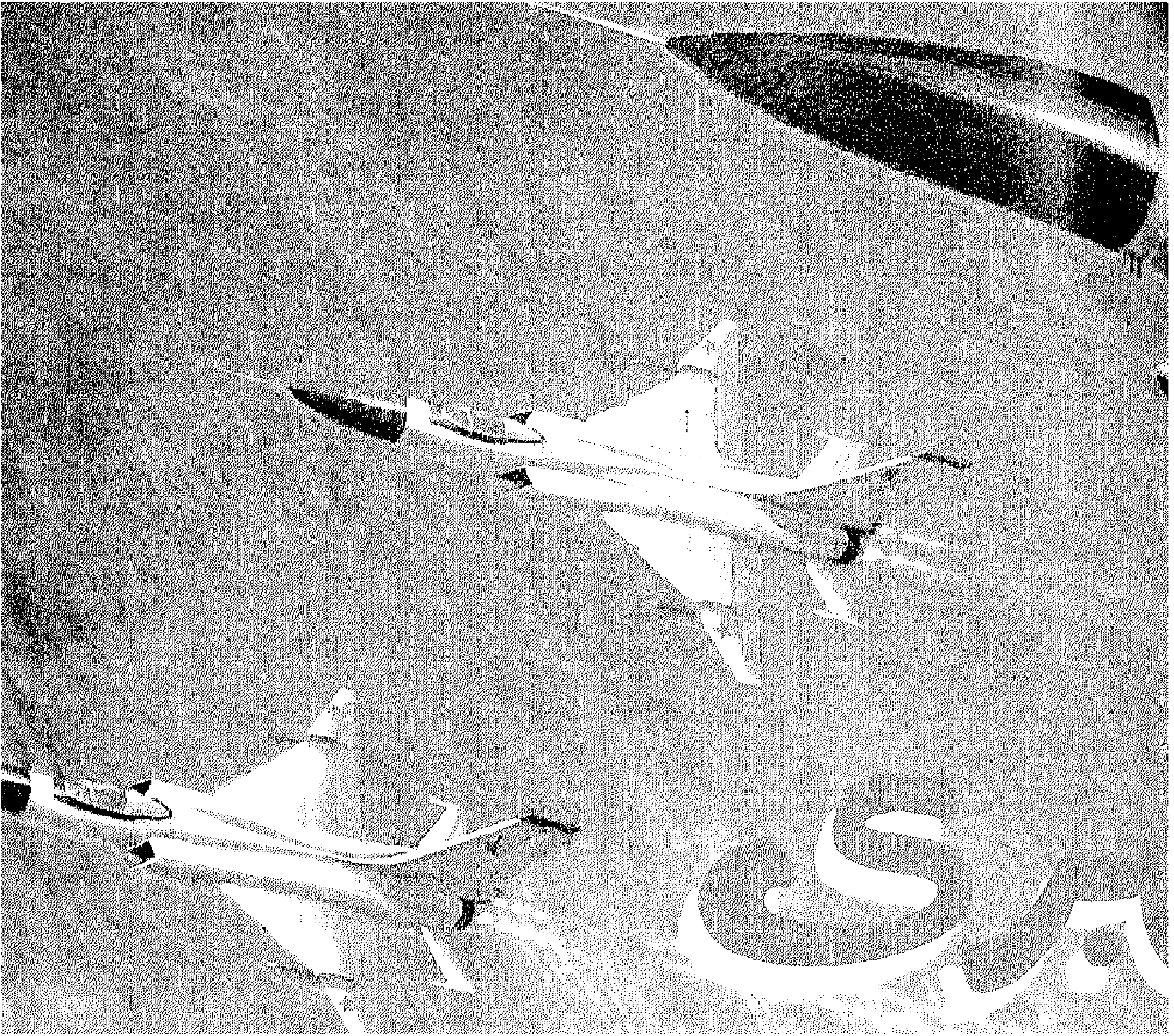


ومن صميم رغبتي في نقل اعجابي بفرنسا الى الآخرين، برزت أمور كثيرة كان لها تأثير كبير في عملي كمصمم. وتبدَّل مسار حياتي منذ اجازتي الاولى هناك، وبتّ أتردد الى المطاعم أكثر من أي وقت مضى، وامتلأت خزانة الاطباق في منزلي بصحون وأوانٍ من الطراز الريفي الفرنسي. وصرت متضلعاً من سمة أخرى للحياة في فرنسا هي سهولة تحويل الامور العادية مصدر متعة.

تيرنس كونران ■

هل كانت تائهة
في الاجواء السوفييتية
أم كانت
في مهمة تجسس؟





يبقى اختفاء طائرة الـ"بوينغ ٧٤٧" التابعة للخطوط الجوية الكورية الجنوبية وركابها الـ٢٦٩ دغشة فجر أول سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣، واحداً من أحلك الاسرار المأسوية للحرب الباردة. لا شك في أن تلك الطائرة تاهت عن المسار الذي كان يتوجب أن تسلكه في رحلتها الرقم ٠٠٧ من أنكوراج في الاسكا الى سيول. ولا جدل أيضاً في أن طائرة سوفييتية معترضة من طراز «SU-15» أطلقت عليها النار وأصابتها بعدما حلقت فوق جزيرة سخالين السوفييتية.

ولكن فيما أصرت السلطات السوفييتية آنذاك على أنها لا تعرف أين سقطت الطائرة وأنه لم يعثر على بقايا بشرية تعود الى ركاب تلك الرحلة، أثبتت صحيفة "الازفستيا" السوفييتية في سلسلة تحقيقات مميزة أجرتها هذه السنة، أن تلك الرواية السوفييتية مليئة بالاباطيل. وفيما تجاهلت وسائل الاعلام الامريكية تقارير "الازفستيا"، أعاد بعض المحللين في شؤون الاستقصاء فتح ملفات القضية.

وهنا قصة الرحلة المشؤومة كما كشفها الصحافيون الروس ومصادر المعلومات الغربية.

ILLUSTRATION: DAN BURR

ادعى السوفييت بادىء الامر أنهم لا يعلمون شيئاً عن اختفاء الطائرة الكورية. وفي ٢ سبتمبر (أيلول) وجه اليهم الرئيس الامريكي آنئذ رونالد ريغان اتهاماً غاضباً بارتكاب "عمل رهيب من أعمال العنف."

ثم أعلن الماريشال نيكولاي أوغاركوف، رئيس هيئة الاركان السوفييتية، في مؤتمر صحافي عقده في موسكو في ٩ سبتمبر (أيلول) ان الطائرة المدنية كانت في الواقع طائرة تجسس. وأضاف أنها التقت، بتدبير معد سابقاً، طائرة استطلاع عسكرية أمريكية من طراز «RC 135» وحلقت في محاذاتها مدة عشر دقائق قبل اختراقها الاجواء السوفييتية فوق شبه جزيرة كمتشاتكا مباشرة، وأكد أن ملاحي الطائرة الكورية أرسلوا بعد ذلك معلومات بالشيفرة الى الامريكيين عبر اتصالات متقطعة.

وادعى أوغاركوف أن البوينغ ٧٤٧ كانت تحلق وأضواؤها الملاحية والداخلية مطفأة، وان هذا الامر لم يثن قائد الطائرة الاعتراضية السوفييتية عن تحذير الطائرة الكورية تكراراً، عبر الراديو وباطلاق رصاص خطاط وبهز جناحي طائرته واطفاء أنوارها ثم اضاءتها.

لكن الطائرة الكورية تجاهلت كل هذه الاشارات، كما قال أوغاركوف، وبدأت تناور محاولة التملص. ولم يبقَ لدى الاتحاد السوفييتي خيار سوى حماية أراضيه بـ"انهاء" الرحلة.

وحمّل أوغاركوف الولايات المتحدة تبعة مقتل الركاب متهماً اياها باستغلال طائرة ركاب مدنية لاغراض التجسس

بعد أسابيع، في تقرير الى المنظمة الدولية للطيران المدني، أعلن الاتحاد السوفييتي أنه "لم يعثر بعد على جثث الضحايا ولا على أجهزة الطائرة ولا على التسجيلات الصوتية في قمرة القيادة." ولا تزال هذه هي الرواية الرسمية.

"نمط اجرامي." لم تكن الولايات المتحدة في حاجة الى استخدام طائرة مدنية أجنبية في مهمة سرية فوق الاراضي السوفييتية، نظراً الى قدراتها الواسعة في مجال الاستطلاع. وهي تجمع كل ما تحتاج اليه من معلومات بواسطة الاقمار الاصطناعية والطائرات الاستطلاعية التي تحلق خارج المجال الجوي السوفييتي. حتى ان موسكو لم تشرح قط لماذا تختار الولايات المتحدة طائرة الـ"بوينغ ٧٤٧" الضخمة البطيئة نسبياً، بدل طائرتها «SR-71» التي تتفوق على أي صاروخ أو طائرة معترضة لدى السوفييت.

خلصت لجنة مجلس الشيوخ الامريكي لشؤون الاستخبارات عام ١٩٨٤، عقب تحقيقات مستفيضة، الى أن "أجهزة الاستخبارات الامريكية لم تتورط مباشرة، ولا على نحو غير مباشر، في الاحداث التي ادت الى وقوع كارثة الرحلة ٠٠٧ للخطوط الجوية الكورية."

وكان كينيث دوغرافنريد، وهو عضو بارز في مجلس الامن القومي الامريكي، لاحظ عام ١٩٨٣ أن "اسقاط الطائرة

الكورية لم يكن حادثاً طارئاً بل عمل ذو نمط اجرامي. ان السوفييت لم يكتفوا باسقاط طائرات أجنبية بريئة، فنحن نعرف أنهم أسقطوا أيضاً كثيراً من طائراتهم، بما فيها طائرات ركاب مدنية."

وقد اشتُهر عن قيادة الدفاع الجوي السوفييتية أن وحداتها تطلق النار أولا ثم تطرح الاسئلة لاحقاً، هذا اذا كلفت نفسها عناء السؤال. في العام ١٩٧٨ أصغى عاملون على اجهزة تنصت غربية الى سلسلة من الرسائل المذهلة عبر الراديو، اذ أبلغ قائد مطاردة سوفييتية مرتين الى مركز المراقبة الارضية أن طائرة "بوينغ ٧٠٧" تابعة للخطوط الجوية الكورية تائهة في الاجواء السوفييتية وهي طائرة مدنية. وبعدما رفض مرتين أوامر باسقاطها، أطلق صاروخاً واحداً فقتل راكبين. وتمكن الطيار الكوري من الهبوط بالطائرة المصابة على سطح بحيرة متجمدة. وبعد يومين أطلق السوفييت الركاب والطاقم، لكنهم احتفظوا بالطائرة.

كانت الخرائط الملاحية التي استخدمتها شركات الطيران الدولية عام ١٩٨٣ تحذر بوضوح من التحليق قرب الاتحاد السوفييتي. وكانت الدول الغربية حذرة من عادة السوفييت بث اشارات ملاحية مضلّلة لاجتذاب طائرات أجنبية الى مجالهم الجوي ثم اسقاطها.

"طبقات من الاضاليل." في الشتاء الماضي بدأت القصة السوفييتية عن حادث الرحلة ٠٠٧ للخطوط الجوية الكورية تتداعى عندما بدأت صحيفة الحكومة السوفييتية تحقيقاتها. وأفادت "الازفستيا" الى اقصى حد من سياسة المكاشفة (غلاسنوست) فأجرت مقابلة مع المقدَّم غيناديي نيكولايفيتش أوسيبوفيتش، الطيار السوفييتي الذي أسقط الطائرة الكورية. فأقر أوسيبوفيتش صراحة بأنه لم يحاول تحديد هوية الطائرة الكورية ولا إنذارها، ولم يطلق قط، كما قيل، رصاصاً خطاطاً لجذب انتباه ملاحيها، اذ لم تكن طائرته الـ«SU-15» مزودة رصاصاً من هذا النوع، ولا هو بذل جهداً للاتصال بالطائرة.

وقد أبلغ الطيار الى المراقبين الارضيين ثلاث مرات أن الاضواء الملاحية للطائرة كانت تومض، وأنه لم يهزّ جناحي طائرته قط ولم يسلط أنوارها الكاشفة ولم يحلق في مسار يمكّن الطيارين الكوريين من رؤيته. وخلصت "الازفستيا" الى أن التقرير السوفييتي الرسمي عن الحادث يحوي "طبقات من الاضاليل." وأكد أوسيبوفيتش أن رؤساءه أمروه بأن يكذب أمام كاميرات التلفزة و"حصّنوه" بمشروب الفودكا لتهدئة أعصابه قبل أن يسرد السيناريو المعدّ سابقاً.

الى ذلك، أبرزت "الازفستيا" اقراراً رسمياً غير متوقع أدلى به ماريشال الجو بيتر كيرزانوف، اذ اكد بلا تردد: "لقد عثرنا على الطائرة." وأوضحت مصادر

عدة للصحيفة أن الغواصين الذين تولوا سحب الحطام عثروا على "الصندوق الاسود" لطائرة البوينغ وأرسلوه الى موسكو لتحليل تسجيلاته.

وادعى مصدر سوفييتي متباهياً أن الماريشال أوغاركوف ضلّل البحرية الامريكية باصدار أوامره الى الغواصات السوفييتية لتزرع منبهات تطلق أصواتاً تحاكي تلك التي تصدر عن أجهزة التسجيل، في قاع المحيط بعيداً عن الموقع الذي كان السوفييت يعرفون أنه يضم بقايا الطائرة الكورية. وقد خدعت هذه الاجهزة الاسطول الامريكي الذي بحث في المواقع الخطأ ولم يعثر على شيء.

وقال غواص سوفييتي فحص حطام الطائرة الكورية لـ"الازفستيا": "لم يكن الشيء الرئيسي ما رأيناه هناك، بل ما لم نره. اذ لم يعثر الغواصون على جثث أو بقايا بشرية."

عمليــة تغطيــة. رأى محللو الاستخبارات في هذه المعلومات نذير شؤم. ففي العام ١٩٨٥ دمرت قنبلة، في عملية تخريبية، طائرة بوينغ ٧٤٧ تابعة للخطوط الجوية الهندية فوق المحيط الاطلسي. وعثرت فرق الانقاذ على ١٣١ جثة من ركابها. وانفجرت طائرة من الطراز نفسه تابعة للخطوط الجوية الجنوب - افريقية عام ١٩٨٧ فوق المحيط الهندي، وأمكن سحب ١٥ من جثث ضحاياها. وتساءل المحللون لماذا لم يعثر على أي من جثث ركاب الطائرة الكورية، مع اقتناعهم بأنها سقطت في مياه أقل عمقاً بكثير.*

استحوذت تصريحات اخرى نشرت في "الازفستيا" لموظفين سوفييت شاركوا في عملية انتشال حطام الطائرة، على اهتمام المحللين الغربيين. وقال أحد هؤلاء الموظفين: "كان علينا أن نتلف هذا الدليل الحسي [من حطام الطائرة]... لقد أتلفوا كل شيء تسلموه... كان بعض السفن [السوفييتية] يبحث فيما تولت أخرى اخفاء ما عثرت عليه ومحو آثار تحركاتها."

شملت المعلومات التي أعيد النظر فيها التسجيلات الاصلية لاقتفاء الرادارات أثر الطائرة وللاتصالات التي أجراها السوفييت، كذلك معلومات شديدة الحساسية توافرت حديثاً من مصادر سرية. ودرس المحللون أيضاً دلائل جديدة جمعها حلفاء للولايات المتحدة عبر التنصت على الاتصالات السوفييتية.

وهنا عدد من الحقائق الجديدة مستمد من هذه التقويمات الحديثة:

علم الامريكيون ليل ٣١ أغسطس (آب) - ١ سبتمبر (ايلول) ١٩٨٣ أن السوفييت خططوا لاجراء اختبار سري على صاروخ جديد من طراز «SS-25». وكانت معاهدات الحد من التسلح أقرت

(*) بعد ثمانية ايام على تحطم الطائرة الكورية، عثر على جثتين متحللتين استحال التعرف الى هويتيهما فضلا عن "اجزاء صغيرة لاعضاء بشرية" على شواطيء قريبة من اليابان، ولكن لم يكن في الامكان ايجاد رابط حاسم بينها وبين ركاب الرحلة ٠٠٧.

بحق كل جانب في مراقبة التزام الفريق الآخر. وبناء على ذلك، ظل عدد من طائرات «RC-135» الامريكية يحلق قرب شبه جزيرة كمتشاتكا حيث تسقط الرؤوس الحربيــة السوفيييتيــة أثناء التجارب.

ذلك المساء، لاحظ العاملون على اجهزة الرادار السوفييتية في شبه الجزيرة ما صار أمراً روتينياً لهم وهو المسار المتلكىء لطائرة «RC-135».

في الساعة ٣،١٦ فجراً ظهرت على شاشات الرادار نقطة وامضة أخرى لم يعبأ بها المراقبون مفترضين أنها طائرة استطلاع أمريكية اخرى. كانت النقطة هي الطائرة الكورية التي انحرفت عن مسارها، لاسباب لا تزال مجهولة، بعيد اقلاعها من مطار انكوراج في طريقها الى سيول. وبخلاف ما ادّعاه السوفييت لاحقاً، ظلت طائرة الاستطلاع الامريكية والطائرة الكورية بعيدتين الواحدة عن الاخرى ١٢٠ كيلومتراً على الاقل.

لكن الطائرة الكورية توجهت مباشرة نحو كمتشاتكا بدل الانحراف بعيداً كما كانت تفعل الطائرة الامريكية دائماً، فأبدل قائد سوفييتي في كمتشاتكا العلامة المميزة للنقطة الثانية الوامضة على الشاشة الى "طائرة دخيلة مجهولة الهوية." وانطلقت في اتجاهها طائرات معترضة.

تلا ذلك فوضى تامة، كما أظهرت تقارير سوفييتية حصلت عليها أجهزة استخبارات غربية. ولما كان معظم الرادارات السوفييتية معطلا أو سيىء الاداء، فقد ارتكب المراقبون الارضيون السوفييت خطأ جسيما في توجيه طائراتهم المعترضة بحيث ظلت متخلفة ٨٠ كيلومترا عن اللحاق بطائرة ركاب مدنية تمكنت من اجتياز أجواء شبه الجزيرة بسرعة لا تتجاوز ثلث سرعة المطاردات السوفييتية.

لكن المراقبين في كمتشاتكا كانوا انذروا الدفاعات الجوية في جزيرة سخالين، فأُرسلت اربع طائرات معترضة على الأقل في اثر الطائرة الكورية. وبعد ١٨ دقيقة رصدت أجهزة الرادار في سخالين الطائرة المدنية، ووجه المراقبون الطيار أوسيبوفيتش الى موقعها. وهو آفاد أن جهاز الرادار في الطائرة، الذي يتحكم بعملية اطلاق النار، ثبت على "الهدف".

كشفت الاتصالات التي تمكن حلفاء للولايات المتحدة من التنصت عليها أن حالا من الارباك سادت في سخالين وفي أمكنة اخرى من الاتحاد السوفييتي. فقد حوَّر العاملون على الرادارات، أو رؤساؤهم، من دون أي مبرر، اشارة "طائرة غير سوفييتية" الى اشارة "طائرة أمريكية من طراز RC-135." لكن تقارير أوسيبوفيتش المتكررة أن "الطائرة المتطفلة تضيء أنوارها على نحو يتيح لأي انسان رؤيتها،" زرعت الشكوك لدى كبار القادة السوفييت.

"أقتل المتطفل." في الساعة ٦،١٥ صباحاً قرر الجنرال ايفان تريتياك قائد

روايات الصحف

بدت تحقيقات "الازفستيا" التي فضحت عملية التستر على حادث الرحلة الرقم ٠٠٧ للخطوط الجوية الكورية الجنوبية، متعارضة على نحو مثير مع المقاربة التي اتخذها عدد من وسائل الاعلام الغربية من هذه المسألة. في العام ١٩٨٤ نشرت مجلة بريطانية مغمورة هي "ديفنس أتاشيه" مقالا لكاتب "استدعى مركزه الحساس أن يستخدم اسماً مستعاراً" وأورد فيه سلسلة من الاحداث الملتبسة غير الموثّقة تتهم الطائرة الكورية الجنوبية بالتورط في عملية تجسس.

وردّدت صحيفة "الواشنطن بوست" الامريكية اتهامات مجلة "ديفنس أتاشيه" تحت عنوان رئيسي على ستة أعمدة جاء فيه: "مقال في بريطانيا يربط الرحلة المشؤومة للطائرة الكورية بمهمة تجسس." ومع ملاحظتها احتمال تضمن القصة معلومات خاطئة، كتبت "الواشنطن بوست": "يسود شعور لدى بعض المصادر أن المقال هو أفضل ما كتب عن الموضوع."

وعلى أثر دعوى تشهير رفعتها شركة الخطوط الجوية الكورية على مجلة "ديفنس أتاشيه" نشرت هذه اعتذاراً وأقرت بافتقارها الى أي دليل يدعم ادعاءاتها. ثم كشفت هوية كاتب المقال وتبين أنه يعمل في حقل الاعلان في لندن وتعوزه الخبرة التقنية.

في العام ١٩٨٨ نشرت مجلة "نايشن" الامريكية مقالا في الموضوع لخريج في جامعة يال يدعى ديفيد بيرسون ادعى فيه "وجوب تحميل الحكومة الامريكية أيضاً تبعة" مقتل ٢٦٩ راكباً كانوا في الرحلة ٠٠٧ للخطوط الجوية الكورية. وهو استهلّ كثيراً من أجزاء عرضه الضعيف بجمل تتضمن معنى التكهن، ومن ذلك قوله: "يبدو محتملا أن تكون الولايات المتحدة اعترضت اشارات الرادارات السوفييتية وشوشت عليها في كمتشاتكا على الاقل وربما في جزيرة سخالين." وهذا ما لم يزعمه السوفييت أنفسهم.

ووصف طوم ويكر، وهو كاتب عمود في صحيفة "نيويورك تايمز"، تقرير مجلة "نايشن" بأنه جدير بالثقة، وقال: "ان التشويش على الرادارات السوفييتية وتغيير الطائرة مسارها يوحيان بقوة ما يبدو واضحاً أن السيد بيرسون يخشاه، وهو أن يكون اختراق الطائرة الكورية للاجواء السوفييتية أبعد من حادث عرضي، وعملاً متقن الاخراج تولت فيه ادارة الرئيس ريغان عملية الاخراج."

أما مجلة "در شبيغل" الالمانية في معرض أخذها بالنظريات المختلفة التي تؤكد وجود مؤامرة ما، فأعلنت "ان هذا الشك سيبقي السؤال في أذهان الامريكيين، ليس فقط عما اذا كانت استخبارات الولايات المتحدة تعقبت بدقة رحلة الطائرة الى الكارثة، بل عما اذا كانت أبدعتها ودبرتها كذلك." وفي العام الماضي روجت صحيفة "لو موند" في باريس قصة وهمية مفادها أن الولايات المتحدة الامريكية، وليس الاتحاد السوفييتي، هي التي أسقطت الطائرة الكورية.

"منطقة الشرق الاقصى العسكرية" السوفييتية، ورئيسه الجنرال فلاديمير غوفوروف قائد "مسرح عمليات الشرق الاقصى"، وجوب اقتراب أوسيبوفيتش من الطائرة في مناورة للتأكد من هويتها.

في هذه الاثناء تدنى مخزون الوقود في طائرة أوسيبوفيتش (كان السوفييت يمنعون الطيارين من ملء خزانات طائراتهم خوفاً من هربهم خارج البلاد). الى ذلك كانت الطائرة الكورية، وقد عبرت أجواء جزيرة سخالين، تتجه عائدة الى الاجواء الدولية. وهكذا، قبل أن يتمكن أوسيبوفيتش من تحديد هوية الهدف، أصدر الجنرال تريتياك أوامره: "اقتل المتطفل." وكرر هذه العبارة خمس مرات.

في الساعة ٦،٢٦ أطلق أوسيبوفيتش صاروخين في اتجاه الطائرة وأبلغ الى قيادته: "لقد دُمّر الهدف."

لكن الهدف لم يدمّر! ففي الساعة ٦،٢٧ أعلن مراقبون جويون في طوكيو أنهم تلقوا بثاً ضعيفاً مشوشاً مصدره الطائرة الكورية: "انخفاض سريع في الضغط. اننا نهبط الى ارتفاع عشرة آلاف قدم (٣٠٤٨ متراً)." كان الطيارون الكوريون يتصرفون كما يفترض بهم أن يفعلوا حين ينعدم الضغط في قمرة الطائرة، وهو الهبوط بها الى مستوى أدنى حيث يمكن الركاب أن يتنفسوا.

ولو أن طائرة البوينغ ٧٤٧ انفجرت أو تطايرت أجزاءً لكانت سقطت في المحيط في أقل من ثلاث دقائق. لكن اعادة تقويم سجلات الرادارات - وقد أهمل بعضها وقتاً طويلا - تظهر أن ملاحي الطائرة الكورية استطاعوا على رغم كل الاضرار التي لحقت بها، السيطرة عليها طوال ١٢ دقيقة على الاقل، وهبطوا بها من ارتفاع ١٠٦٦٨ متراً الى ٤٩٩٩ متراً في خمس دقائق، ثم أخذوا يبطئون سرعتها. وهبطوا بها الى ارتفاع ١٥٢٤ متراً في الدقائق الاربع التي تلت، فالى ٣٠٥ أمتار بعد ثلاث دقائق. ولم تعد الطائرة تظهر على الرادار دون هذا الارتفاع. ويوحي هذا الدليل احتمال أن يكون الطيارون حاولوا الهبوط في البحر على مسافة حوالى كيلومترين من جزيرة مونرون. •

خدعة كبرى. تكشف مصادر غربية أخرى أن طياراً سوفييتياً آخر أفاد، بعد ٢٧ دقيقة من اطلاق أوسيبوفيتش صاروخيه، عن "قيامه بتحليق دائري اشارة الى نقطة محددة." وخلص محللون الى أنه كان يحاول ابلاغ العاملين على أجهزة الرادار موقع الطائرة الكورية. وتضيف المصادر أن طائرات سوفييتية حلقت في المنطقة نفسها بعض الوقت وأفادت ان "عمليات الانقاذ" بدأت.

ومع حلول الصباح الباكر كانت مراكز الدفاع الجوي في سخالين تُعلم موسكو بأنها أسقطت خطأ طائرة مدنية، وأن بين الركاب عدداً من الامريكيين، وأن السوفييت سيحمَّلون تبعة "قتل أمريكيين."

أثارت الاشارات السوفييتية المتكررة الى "الامريكيين" أسئلة خطيرة أمام المحللين. فكيف استطاع رجال الدفاع الجوي السوفييتي تحديد وجود أمريكيين على متن طائرة الركاب؟ وهل عثرت فرق البحث السوفييتية على جثث تحمل هويات أمريكية، أو على ناجين؟ إن البيِّنات الالكترونية عن الهبوط البطيء للطائرة، وحشد السفن والطائرات السوفييتية في المنطقة، وعدد الجثث المنتشلة من حطام طائرات أخرى من طراز بوينغ ٧٤٧، كلها تعزز هذه النظريات.

واذ يعاود المحللون الامريكيون النظر في مقابلات "الازفستيا" وفي معلومات سرية لدى الاستخبارات، يستنتج بعضهم أن السوفييت جردوا الطائرة من الجثث والحقائب ثم أخفوا الحطام.

بعد أربع ساعات على اسقاط الطائرة رأى الماريشال أوغاركوف كارثة في طور التكوُّن، فبدأ عملية خداع كبرى في محاولة لوأدها. وفي مساء أول سبتمبر (ايلول) تفرقت السفن والطائرات السوفييتية التي كانت تجمعت حول جزيرة مونرون صباح اليوم نفسه. لكنها، في الايام التي تلت، ضللت السفن والطائرات الغربية، اذ راحت تبحث في المياه الدولية بعيداً جداً عن الموقع الحقيقي لتحطم الطائرة أو هبوطها.

ونجحت حملة الخداع السوفييتية من أوجه مختلفة. فقد تخلت البحرية الامريكية أخيراً عن كل عمليات البحث، وأفلت العسكريون السوفييت من العقاب لقصورهم، وتمكن المسؤولون السوفييت من اخفاء حقيقة عثورهم على الحطام وتسجيلات الرحلة واحتمال وجود أحياء. وعين الجنرال تريتياك مسؤولا عن كل أنظمة الدفاع الجوي السوفييتي، وصار الجنرال غوفوروف نائباً لوزير الدفاع. (أقيل الاثنان من منصبيهما غداة الانقلاب الفاشل الذي قاده الشيوعيون المتشددون في اغسطس (آب) ١٩٩١ ضد الرئيس ميخائيل غورباتشيوف.) أما الماريشال أوغاركوف فعين مستشاراً عسكرياً خاصاً لغورباتشيوف.

جون بارون ■

أمير الاحلام

بعد مشاهدة النهاية الرومانسية لاحد افلام والت ديزني، تنهدت ابنتي التي تبلغ الخامسة من عمرها وقالت: "أتمنى أن ألتقي أمير أحلامي يوماً!"

فطمأنتها: "لا شك في أنك ستلتقينه يا حبيبتي. أتدرين؟ لقد وجدتُ أنا أميري عندما التقيت والدك."

فنظرت الي مذهولة وسألتني: "صحيح؟ أين هو؟"

ا.ب.

ماذا تفعلين حين يكذب طفلك؟

الكذب مشكلة تربوية معقدة وحلولها ليست سهلة أبداً

"لقد كذب ابني علي، وهو لم يتجاوز الخامسة. فهل هذا طبيعي؟"

"أعرف أن ابنتي تكذب علي عندما تقول انها لا تدخن. فكيف أتصرف؟"

يشكل الكذب محور اهتمام كل أب وأم. ومع أنني درست الكذب عند الكبار مدة تجاوزت العشرين عاماً بحكم كوني عالماً نفسانياً، فقد وجدت صعوبة في التعامل مع هذه المشكلة كأب. لذلك عقدتُ العزم على معرفة المزيد عن الكذب عند الأطفال معتمداً على أبحاثي الطويلة، والمقابلات التي أجريتها مع الأطفال وذويهم، وانطباعات زوجتي ماريان وابني طوم، وخبرتي كأب. وهذه خمس نصائح جمعتها من خبرتي، حول سبل تشجيع الصدق عند الأطفال.

• الأفعال أمضى من الأقوال.

لعلّ أهم الأمور التي يجب أن يأخذها الوالدان في الاعتبار عندما يكذب طفلهما، نزعتهما الذاتية الى الكذب. فقد لا تعني الكذبات "البيضاء" شيئاً كثيراً بالنسبة الى البالغين، لكنها بمنظار الأطفال كذبات حقيقية في معظم الأحيان.

غضبتُ يوماً إذ اكتشفت أن ابني طوم، وكان في الثالثة عشرة من عمره، كذب علي نافياً اقامة حفلة لأصدقائه أثناء غيابي مع زوجتي عن المنزل ذات

ليلة. وعندما تحدثنا في الموضوع تذكرت زوجتي مشاكل أخرى في المدرسة، منها حوادث كذب حول فروض لم ينجزها طوم وصفوف لم يحضرها وأعذار زائفة قدمها. ثم فكرت ملياً مع زوجتي: هل نحن نطبّق حقا ما ننادي به؟

توحي الأبحاث أن الاولاد الذين يكذبون ينشأون عادة في بيوت يكذب فيها الوالدان أو يخالفان "القوانين."

خلال الاسبوع الذي تلا اكتشافنا كذبة طوم، ضبطت زوجتي وهي تكذب ثماني مرات، من ذلك زعمها لشرطي السير أنها دخلت المخزن لبضع لحظات، كي لا ينظم محضر مخالفة في حقها لايقافها السيارة في مكان ممنوع. فان اردتم تعزيز الصدق عند اولادكم فلا تسلكوا هذا السبيل.

اتعمّد التحدث الى أولادي عن وسائل معالجة مثل هذه الحالات. فماذا تقول ابنتي إيف (١١ عاما) لصديقتها التي لم تدعُها الى حفلة عيد ميلادها؟ اقترحت عليها أن تخبرها أنني وأمها حددنا عدد المدعوين، فذلك أمر طبيعي. وأضفت أن الفتاة قد تتألم أكثر اذا عرفت أن إيف كذبت عليها.

• احترموا خصوصية أولادكم.

قد تتقبل الطفلة ذات الأعوام السبعة العائدة من حفلة عيد ميلاد، أسئلة والدتها عمن كان مدعوا وكيف امضت الوقت وفي أي نوع من الالعاب شاركت. أما في السن الرابعة عشرة فقد يكون رد فعل الفتاة نفسها غضباً أو مراوغة وربما كذبا.

ان حاجة الطفل المتنامية الى الإستقلالية والتكتم، تقابلها حاجة الأهل إلى حمايته وإرشاده، هي احدى أهم مصادر التوتر بين الاهل والابناء. والوالدان، لسوء الحظ، نادراً ما يفكران جدياً في الأمور التي تجدر بهما معرفتها عن حياة ولدهما. ومن واجبهما وضع قائمة ذهنية يمكن أن تتضمن الأمور الآتية: الأماكن التي يرتادها الولد في أوقات فراغه، التأكد من إنجازه فروضه المدرسية ومن حسن سلوكه في المدرسة، ضبط أوقات مشاهدته التلفاز. ويمكن إجراء بعض التعديلات على هذه القائمة خلال مرحلة نمو الولد بهدف تشجيعه على الاستقلالية.

عندما يحدد الوالدان الأمور التي يريدان معرفتها عن ولدهما، يمكنهما أن يوضحا له أنه لا يزال يتمتع باستقلالية في بعض المجالات والاماكن. قد تكون غرفته أحد هذه الاماكن في نظر بعض الآباء والأمهات. وقد يؤكد له بعض آخر أن مكالماته الهاتفية ورسائله هي أمور شخصية. لذلك من المهم أن يحدد الوالدان أولا ما يريدان معرفته عن ولدهما في سن معينة، ثم يكلّمانه في الامر.

• اعرفوا أصدقاء أولادكم.

تظهر الأبحاث أن الاولاد الذين يكذبون يعاشرون أصدقاء كاذبين.

شكت الي صديقتي مارتا ابنها البالغ من العمر ثلاثة عشر عاما: "يحاول بن التشبه بصديقه مات الذي أعرف أنه يكذب على والديه. ولكن إن أنا منعته من اللعب معه فسوف يلتقيه في كل حال ويكذب علي."

خيبة مارتا شائعة بين معظم الآباء والامهات. فأولادنا يختارون لدى دخولهم المدرسة صداقات قد لا نحبذها نحن لكننا نقف عاجزين عن منعها. وبمرور الزمن قد تصبح هذه الصداقات اقوى من الروابط التي تشدهم الى والديهم.

لهذا السبب يتوجب على الأهل معرفة أصدقاء أولادهم وماذا يفعلون معا في أوقات فراغهم. كما ينبغي تشجيع الابناء على دعوة أصدقائهم الى المنزل.

يحق للوالدين اخبار ولدهما أن أحد أصدقائه لا يروقهما، وذلك عندما تتوافر لديهما شواهد معينة تظهر سوء تصرفاته، كاكتشافهما أن هذا الصديق كذب أو سرق. ولكن عليهما في الوقت نفسه أن يستعدّا لمعركة حقيقية إن هما حاولا ابعاد ولدهما عن معشر السوء.

قد تكون احدى وسائل المعالجة أن تشرحا لولدكما أسباب معارضتكما الكذب والسلوك غير اللائق اجتماعيا، ثم تبينا له كيف يشجعه أصدقاؤه على هذه التصرفات. يزفّ الينا العالم النفساني توماس برنت المختص بتأثير الأنداد، أنباء سارة مفادها أن تأثر الولد بأترابه يخفّ قبيل نهاية دراسته الثانوية، مما يتيح تحسن علاقته بوالديه.

• ضعوا خطة لمواجهة الكذب.

خير الآباء والأمهات قد يضبطون اولادهم يكذبون. فكيف يعالجون هذه المشكلة؟

أحد أسوأ أساليب المعالجة الضغط على الولد لحمله على الاعتراف. فالأم التي تهدد ابنتها قائلة: "سأتصل بوالدة سوسو وأسألها إن كانت سيارتها تعطلت فعلا،" قد تنجح في إثبات كذب ابنتها. ولكن هل تلقنها بذلك درسا أخلاقيا؟

من الأفضل أن يركز الوالدان على أساليب يمكنهما اتباعها لمنع تكرار الخطأ، عوض محاولة ضبط ولدهما وهو يكذب. فان كانت الكذبة تتعلق بحظر الخروج من المنزل او التأخر عن وقت معيَّن، فعليكما توضيح أهمية الحظر والأسباب التي من أجلها تبغيان معرفة الحقيقة. يمكنكما مثلا أن تقولا: "لا نريد سماع أعذار. ما يهمنا هو سلامتك. فان تأخرت عن العودة الى المنزل في الوقت المحدد، عليك الاتصال هاتفيا." وأوضحا له أن ايمانكما بصدق كلامه لا يقل عن رغبتكما في معرفة مكان وجوده.

• ثقوا بأولادكم.

قد تكون المساهمة الكبرى التي يمكن أن يحققها الوالدان في تنشئة ولد صادق هي إرساء علاقة مبنية على الثقة. فهما عندما يظهران ثقتهما بولدهما مرارا، أيا تكن سنّه، يشعرانه بالفخر وبأنه انسان راشد.

وحتى اذا ضبط الولد يلفّق كذبة

مكشوفة، فيجب ألا يضع ذلك حداً لثقة والديه، بل يمكن أن يخبره أحدهما أن كذبة واحدة قد تغتفر، ثم يوضح له أن الثقة ستحجب عنه إن هو استمر في الكذب.

عندما أقام ابننا تلك الحفلة من دون استئذاننا، عاقبناه، فحرمناه المشاركة في لقاءات ليلية وفي نشاطات نهاية الأسبوع لمدة شهر. وأعلمناه أننا لن نسمح له بالبقاء وحيداً ليلة أخرى لأننا لم نعد نجرؤ على الثقة به. وقد لقنه حجز حريته درساً مهماً، إذ أدرك صعوبة العيش مع أناس لا يثقون به. وبعد مضي نحو ثلاث سنوات استحقّ اعادة ثقتنا به.

على الوالدين أن يتذكرا دائماً أن لا حل سهلا لمشكلة الكذب. يمكننا أن نكون قدوة ومثالا لولدنا، ونوفر له مجالا للعزلة، ونوجه صداقاته، وننمي ثقتنا به، ونعاقبه على أخطائه... ونكتشف مع ذلك أنه يكذب علينا.

هذا هو سبب الحاجة إلى الثقة المتبادلة بين الطرفين. الكذب يقضي على التقارب والمودة، لذلك يتوجب على الأهل أن يشعروا ولدهم دائماً بأنهم جديرون بالثقة وبمعرفة الحقيقة. وقد يمتلكون ثقته في البداية، ولكن عليهم أن يستحقوها فيما هو ينمو ويكبر.

بول وماريان وطوم ايكمان ■



كابوس في قطار

كنت مسافراً في قطار عندما دوّت في المقطورة صرخة مرعبة. استدارت الرؤوس نحو مصدرها، فاذا بشابة في العشرين تتمتم وقد بدا عليها الاحراج: "انني آسفة فعلا، كنت غافية ورأيت كابوساً مرعباً."

وعاد الهدوء بعد ضحكات مكتومة. ولاحظت رجلا يجلس الى جانب الفتاة ويبادلها الحديث: أين تسكن؟ ماذا تعمل؟ هل تحب التنقل في القطار؟

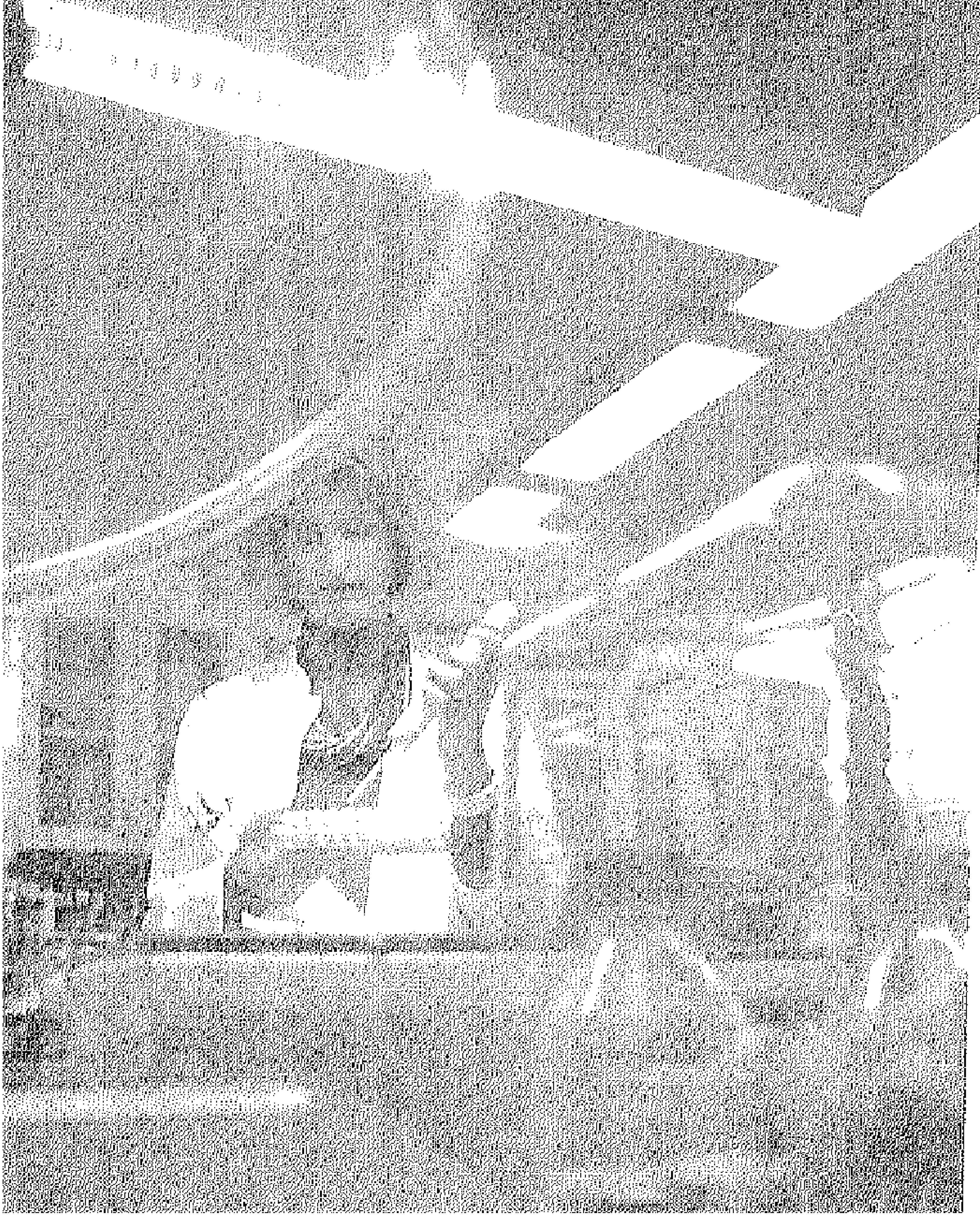
عندما نزلت الفتاة في احدى المحطات ملت ناحية الرجل مهنئاً: "ان طريقتك في تهدئة روع الفتاة كانت غاية في اللطف."

فاستدار الرجل نحوي وقال: "ماذا؟ كنت أحاول منعها من النوم ثانية."

ن.ك.

من قاد السيارة؟

وصلنا الى منزل احد الاصدقاء بعد رحلة طويلة مضنية. ولما سألني الصديق عمن قاد السيارة، اجبت: "حسناً، قدت انا نصف المسافة وقادت زوجتي المسافة كلها!"



نجحت مختبرات الهندسة الوراثية التابعة لشركة "نوفو نورديسك" الدانمركية في تعديل جينات احدى الفطريات المستعملة اليوم لانتاج خميرة الليبولاز الحالة للدهن.

التكنولوجيا الحيوية:

عقاقير "طبيعية" وطاقة من النفايات

يعمل الباحثون في الدانمرك على مصادقة الطبيعة لخدمة الانسان

كانت لون سميدت في الثالثة من عمرها عندما بدأت تعاني عطشاً لا يروى. فراحت تشرب الماء أكواباً بلا فائدة. وعندما وصل بها العطش الى حد لعق ماء الاستحمام، قررت والدتها مراجعة طبيب. فجاء التشخيص أنها مصابة بالسكري.

لقد تألّب جهاز المناعة في جسم لون ضدها، وراح يدمر خلايا البنكرياس المنتجة للانسولين. ومن دون الانسولين يتراكم السكر المتأتي من الطعام في مجرى الدم بدل أن تمتصه العضلات والاعضاء الاخرى. والعطش الذي استبد بالصغيرة لم يكن إلا محاولة جسمها غسل السكر الزائد.

تقول لون، وقد باتت الآن أماً في الخامسة والأربعين: "كنت محظوظة اذ

PHOTOS: COURTESY OF NOVO NORDISK

اكتشفت أنني متى عرفت طبيعة الداء فسيكون في وسعي أن أحيا حياة شبه عادية."

تعيش لون على مقربة من كوبنهاغن في جوار مقر "نوڤو نورديسك" احدى أبرز شركات البيوتكنولوجيا[1] ومراكز الخبرة في معالجة داء السكري في العالم. وقد حققت هذه الشركة إنجازات كبرى راوحت بين الانسولين ذي المفعول الطويل الاجل الذي أنتج عام ١٩٤٦ والمحقنة المضبوطة الجرعات التي أنتجت عام ١٩٨٩. وهذه المحقنة معبأة بالأنسولين ولها شكل قلم يُطرح بعد الاستعمال. تقول لون: "كنا في ما مضى نستعمل ابرة طويلة في محقنة تُملأ بمقدار محدد بدقة. أما القلم فهو أكثر ملاءمة، اذ يمكن استعماله في أي مكان والحقن به عبر الملابس، وهو لا يسبب ألما." وتجري "نوڤو نورديسك" حالياً تجارب على نوع من الانسولين في شكل رذاذ ينشق عبر الانف ليحل مكان الحقن في معالجة الداء.

وقد ساهمت هذه الانجازات في زيادة مبيعات "نوڤو نورديسك" الى ما يربو على سبعة مليارات كورون دانمركي (نحو مليار دولار) عام ١٩٨٩. والشركة لا تكتفي بتصنيع نصف حاجة العالم من الانسولين، بل تنشط في ميادين أخرى أيضاً. فهي تصنع، مثلا، نصف الانتاج العالمي من الانزيمات (الخمائر) الاصطناعية، كما أنها قوة رئيسية في تصنيع هرمون النمو البشري، وتؤدي دوراً بارزاً في أبحاث تتناول عوامل تخثر الدم لدى المصابين بداء النزف الوراثي، ونماذج متطورة من البنيسيلين. يقول مدير الشركة مادز أوفليسن: "علينا مواصلة البحث عن أفكار جديدة."

جدائل حية. يعمل نحو ألفين من موظفي "نوڤو نورديسك" الثمانية آلاف في حقلي الابحاث والتنمية. وقد رأيت الممرات في فترة الغداء تعج بمجموعات من علماء يرتدون سترات بيضا ويتناقشون في أعمالهم. ولمحت برج ديدريشسن، رئيس دائرة البيوتكنولوجيا الجزيئية، يستطير حماسة لدى حل مسألة معقدة في تكنولوجيا الجينات. قال: "إن عملنا يستثير حماستنا، فنحتفل لدى تحقيق أي تقدم."

ويبقى الانسولين في طليعة اهتمامات الشركة، لما في ميدانه من مشاكل، أُولاها تحسين سرعة امتصاص الجسم للهرمون المحقون.

تستجيب البنكرياس للطعام الداخل بإفراز سيل عارم من الانسولين يُستنفد خلال ثلاث ساعات. وفي المقابل، يحقق الانسولين المحقون ثلث المفعول المطلوب فوراً، لكن عمله يدوم ساعات أطول من اللازم. ونتيجة لذلك يحتفظ المصاب بالسكري، بادىء الأمر، بكميات كبيرة من السكر في دمه، لكنه قد يواجه لاحقا نقصاً بسبب الوجود الدائم للانسولين.

(١) Biotechnology. اي التكنولوجيا الحيوية.

وسبب هذه المشكلة نزوع جزيئات الانسولين الى التكتل في مجموعات سداسية "ضخمة" تستلزم وقتا للعبور من الجلد حيث يحقن الانسولين، الى الكبد حيث الحاجة اليه. ويحاول علماء "نوڤو نورديسك" استنباط نوع محسَّن من الانسولين بتعديل الاحماض الأمينية الواحد والخمسين التي تؤلف كل جزيء.

وبالفعل، بدأت "نوڤو نورديسك"، بالتعاون مع كيميائيين من جامعة يورك في بريطانيا، تعديل الاحماض الامينية على سطح الجزيء. ولإطلاعي على العملية، استدعى عالِم الأبحاث في "نوڤو نورديسك"، ليف نورشكوف، الى شاشة الكمبيوتر صورة خضراء متوهجة تمثل جزيء إنسولين. ثم كبر الصورة مئات الوف المرات، فبدت مثل سياج معدني شبكي متغضِّن، وكل سلك مجدول فيه يمثل سلسلة من الاحماض الامينية.

قال نورشكوف ناقراً بأصابعه لوحة المفاتيح: "لقد غيَّرنا الشحنة الكهربائية في احدى الجدائل من محايدة الى سالبة." وهنا استدارت كرة الأسلاك حتى بانت في أعلاها جديلة صغيرة ناتئة حمراء اللون. فقال: "نأمل الآن أن تُطرد هذه الجديلة بدلاً من أن تشبك في جديلة مشابهة في جزيء آخر." ومتى أُبقيت الجزيئات متباعدة، فانها تعمل أسرع من أي إنسولين طوِّر حتى الآن. وإذا ما نجحت الاختبارات القائمة التي ستستغرق ما بين سنتين وخمس سنوات، فان مفعول الحقن سيصبح أكثر مماثلة



معمل التخمير التابع لشركة "نوڤو نورديسك" في كالنبورغ بالدانمرك، حيث تُستعمل وحدات تخمير واستخلاص في تصنيع واسع النطاق للانزيمات الاصطناعية والانسولين والبنيسيلين.

لعمل البنكرياس. تقول لون: "مع كل تطور جديد يزداد الامل في العثور على العلاج الناجع ذات يوم."

يعرفون ما يفعلون. أسس الدانمركي أوغست كروغ، وهو عالم بوظائف الاعضاء (الفيزيولوجيا) وحائز جائزة نوبل، "مختبر نورديسك للانسولين" عام ١٩٢٣. والمختبر هو إحدى الشركتين اللتين اندمجتا لاحقاً في شركة "نوڤو نورديسك." وقد أُسس بعد فترة وجيزة من اكتشاف الباحثين الكنديين فردريك بانتينغ وتشارلز بست هرمون الانسولين. أقنعهما كروغ بأن يسمحا له بتصنيع الانسولين في اسكندينافيا. وبعد فترة استقدم الصيدلي ثورفالد بدرسن وشقيقه

الحدّاد هارالد لينضما الى شركته.

لكن تعاونهم لم يدم طويلا إذ انفصل الشقيقان غاضبين عام ١٩٢٥ وأسسا مختبرهما الخاص "نوفو" لتصنيع الانسولين في شكل محلول بدلا من أقراص. فاحتدمت المنافسة بين الشركتين طوال السنوات اللاحقة. وفي العام ١٩٤٦ كانت شركة "نورديسك" أول من أنتج الـ"ايزوفان" وهو الانسولين الاكثر استعمالا في العالم، بينما أنتجت شركة "نوفو" عام ١٩٨٢ أول إنسولين مطابق كيميائياً للهرمون الذي تنتجه البنكرياس البشرية.

كانت لـ"نورديسك" اليد الطولى في أسواق الدانمرك، فيما حققت "نوفو" نجاحاً كبيراً في أسواق الخارج. ويقول أولريك لاسن، الذي عمل سابقاً في "نوفو" وهو اليوم رئيس أبحاث العلوم في الشركة المدمَّجة: "أرست نورديسك علاقات وثيقة مع أطباء دانمركيين مما اضطر نوفو الى الانطلاق دولياً. وتبين أن هذا الانطلاق أخفى حسنة إذ غدونا رجال أعمال يركزون اهتمامهم على المنتجات ووسائل الانتاج بدل الابحاث."

وفي الثمانينات برز منافسون عمالقة على غرار شركة "ايلي ليلي" الامريكية و"هوكست" الألمانية. ونظراً الى طول فترة الاختبارات السريرية التي تقتضيها الأدوية الجديدة والتي قد تمتد نحو عشر سنين، وارتفاع كلفة الابحاث، قررت الشركتان الدانمركيتان دفن الاحقاد والاتحاد. يقول أوفليسن ان منطق الاتحاد "طغا" بسبب تكامل الابحاث. واندمجت الشركتان في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩.

قُسمت الشركة الجديدة دوائر تغطي نشاطات رئيسية، مثل معالجة السكري والعناية بالصحة وتصنيع الانزيمات، كيما يحتفظ كل فريق ببنيته الطليقة التي سبقت عملية الدمج.

يقول نود أونسترب الذي عمل سابقا في "نوفو" ويرئس اليوم دائرة البيوتكنولوجيا الصناعية في "نوفو نورديسك": "نحن لا نحب الجداول التنظيمية التي تبيّن تسلسل المسؤوليات، ولا خطوط التوجيه الضيقة التي توزع المهمات. فلقد استعضنا عنها بخطة شاملة ولقاءات يتحدث الموظفون خلالها عما يفعلون. حتى اذا اضطررنا الى اتمام مادة ما عرف كل شخص ما يجدر فعله."

مزيل الاوساخ. برهنت مجموعة أونسترب فاعلية تنظيمها الطليق في العاشر من سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧، عندما تمكن فريق أبحاث متباين يعمل على الانزيمات من حل مشكلة جعلت "نوفو نورديسك" لاحقا قائدة عالمية في مجال انتاج الليباز[٢] الخميرة الحالّة للدُّهن. وتشكّل هذه الخميرة، التي تُعتبر الاكثر تعقيداً بين الأنزيمات الطبيعية، مدخلا الى تصنيع مُنظّف خارق.

والأنزيمات خمائر صغيرة جداً الى حد أن الكائن المجهري الحيّ قادر على

(٢) Lipase

احتواء ألف منها. ويتولى الانزيم الملائم تفكيك الجزيء العضوي الملائم - الملائم لحظة التقائهما - أنزيم الاميلاز للنشاء والبروتياز للبروتيين والليباز للدهن. ومن دون الانزيمات فإن الطعام، الذي يُهضم في وقت يراوح بين ثلاث ساعات وست، يحتاج الى ثلاثين سنة لإطلاق الطاقة الكامنة فيه.

أما الأنزيمات الأكثر شيوعاً في المجال التجاري، فهي المتوافرة في الخميرة التي تطلق السكر وثاني أوكسيد الكربون من الطحين لينتفخ الخبز. وهناك خمائر أخرى تفتّت نشاء الشعير الى سكّر للتخمير، وتعدِّل الكازين في الحليب لصنع الجبنة. وقد تحققت خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية زيادة مثيرة في انتاج أنزيمات التنظيف التي تزيل البقع العضوية من دم وعشب وغير ذلك.

ظهر البروتياز[٣] عام ١٩٦٢، وهو أول أنزيم منظف أنتجته "نوفو." وأعقبته أنزيمات أخرى أكثر فاعلية. لكن أحداً لم ينجح في إنتاج نوع من أنزيم الليباز يزيل الأوساخ الشحمية والبقع الدهنية. يقول برج ديدريشسن: "هناك ألوف الأنواع من الليباز في الطبيعة، لكنها غير قادرة على الصمود في محاليل الغسيل القلوية." لذا شرع علماء "نوفو" في البحث عن ليباز متوافر في بيئة قلوية طبيعية مثل الينابيع الحارة في اليابان.

وخلال السنوات اللاحقة دُرست مئات الكائنات المجهرية من دون جدوى. وما إن حل العام ١٩٨٧ حتى عثر باحثو



تستعمل اقلام الانسولين التي تنتجها "نوفو نورديسك" في معالجة الاطفال.

"نوفو" في اليابان على ليباز واعد في فطر ليفي أبيض. فعُزلت جينة الليباز وأُرسلت جواً الى الدانمرك حيث زاوجها مهندسو الوراثة بفطر آخر من فصيلة "أسبرجيلوس."[٤] فتكاثر المضيف المتجدد بسرعة كبيرة (تستطيع خلية واحدة التضاعف الى مليون خلال ٢٤ ساعة) وبات مع الجينة الجديدة قادراً، نظرياً، على إنتاج كميات كبيرة من الليباز القادر على الصمود في ظروف قلوية.

الاوّلون. بقي إيجاد طريقة لحضّ المضيف على انتاج كميات كبيرة من الليباز. لذلك عُدِّلت جينة الليباز في أنابيب الاختبار لانتاج أشكال متغايرة من الانزيم. ثم نُمِّيت، في عشرات الاطباق

(٣) Protease

(٤) Aspergillus oryzae

البلاستيكية المستديرة، ٥٠٠ سلالة مختلفة من الفطر المضيف (تحوي كل منها نوعا مختلفاً من الليباز) وتابع الباحثون فحصها لتقويم الليباز الذي تنتجه.

حقق هذا العمل تقدماً في ١٠ سبتمبر (أيلول) عندما زيدت كمية صغيرة من الدهن الى مُستنبَت واعد من فطر "أسبرجيلوس" المعدَّل جينيّاً. وبعد عشر دقائق عاين فريق ديدريششسن السائل المدروس، فوجد أن الفطر أنتج ما يكفي من الليباز لحلّ الدهن كليا.

لكن الوقت كان ضيقاً، إذ الحَّت "ليون"، احدى كبرى الشركات اليابانية المنتجة لمستحضرات التنظيف، في الحصول على العنصر الجديد عاجلا. لذلك باشرت "نوفو" الانتاج على نطاق واسع متخطية مرحلة الانتاج التجريبي.

وبحلول ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٧ أُرسلت من الدانمرك الى اليابان عيِّنة من السلالة المعدلة جينيّاً، وأُدخلت حوض تخمير ضخماً مُلىء بحساء غني من طحين الصويا وجريش البطاطا. وطوال أسبوع، حُرِّك الحساء بمجاذيف ضخمة وهُوِّىء وأُبقي في حرارة بلغت ٣٦ درجة مئوية. وقبيل نهاية السنة جُفِّفت الدفعة الأولى وحُبِّبت.

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ أنزلت السلعة الجديدة "ليبولاز" الى الاسواق.

يقول أونسترب: "من المهم أن نكون الأوَّلين كي نحصل على نتائج. إن خير تشجيع للعلماء هو أن يروا شركتهم تتبنّى شيئاً صنعوه، شيئا مفيدا."

أبيس المصري. تبقى آفاق الابحاث غير محدودة بالنسبة الى "نوفو نورديسك"، إذ إن ما أُستعمل تجاريا حتى الآن لا يزيد على ٥٠ أنزيما، في حين أن الطبيعة زاخرة بملايين الانزيمات، ومجالات استعمالها مذهلة:

□ هناك أنزيمات كثيرة تحوِّل الحبوب النشوية، مثل الذرة والشعير، شرابا غنيا بسكَّر الفركتوز.

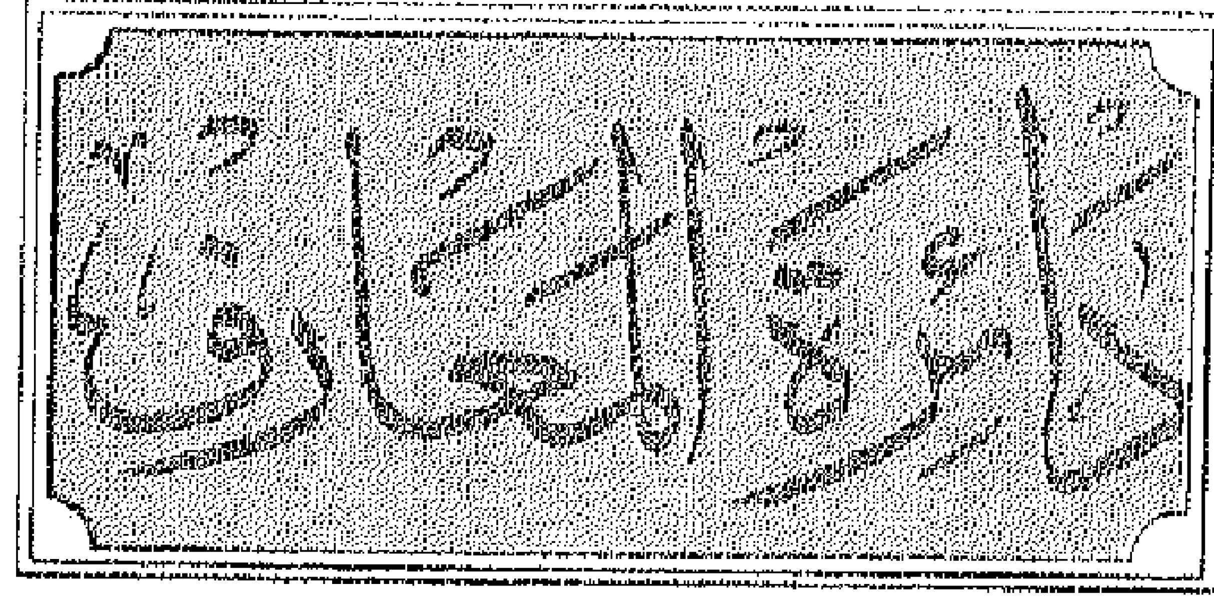
□ تتيح الأنزيمات انتاج مبيدات تقتل الحشرات المؤذية من دون أن تخلِّف سموماً ضارة في "الحلقة الغذائية" في الطبيعة.

□ يمكن أن تحل الانزيمات محل الكلور المستعمل في تبييض عجينة الورق، ومحل المواد الكيميائية اللازمة لاعادة تصنيع أوراق الصحف.

□ ثمة انزيمات لتطهير المياه المبتذلة من السموم، وتوليد الطاقة من النفايات النباتية.

لا شك في أن كثيراً من المنتجات الأنزيمية المستقبلية سيحمل شعار "نوفو نورديسك،" وهو رسم العجل "أبيس" المعروف عند قدماء المصريين رمزاً للموت والابداع في آن. ان شركة تبتكر عقاقير تردّ غائلة الأمراض الفتاكة، وتُصنِّع منتجات جديدة تُولِّد الطاقة من مواد متعفنة، لن تجد شعاراً أفضل.

أندرو لنكلاتر ■



برع العرب في ابتكار التشابيه والاستعارات والكنايات. وهنا بعض منها.

سهم الإسلام: كان السّلف يقولون في وصاياهم: إذا مررتَ بقوم فابدأهم بسَهْم الإسلام، وهو السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكان النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول يوم دخول المدينة: "أفشوا السلام، وأطعِموا الطعام، وصلّوا بالليل والناس نيام، وصِلُوا الأرحام، تدخلوا الجنة بسلام."

خبايا الأرض: هي الزرع، يُروى عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال: "التمسوا الرزقَ في خبايا الأرض."

خَلاخِيل الرجال: وهي القيود، قال علي ابن الجهم وهو في الحبس:

إذا سلِمت نفسُ الحبيب تشابهت
صُروفُ الليالي سَهْلُها وشَديدُها
فلا تَجزعي إما رأيتِ قيودَه
فإن خَلاخيلَ الرجال قُيودُها

فاكهة الشتاء: يقال للنار فاكهة الشتاء، قال الشاعر:

النار فاكهة الشتاء فمن يُرِدْ
أكلَ الفواكه شاتيا فلْيَصْطلِ

غِذاء الرُّوح: يقال: إن الادب غِذاء الروح، كما أن الطعام غِذاء الجسم. وفي الكتاب المبهج: الكلام الفائق بالحظ الرائق، نزهةُ العين وفاكهةُ القلب ورَيحانة الرُّوح.

داء الأسد: هي الحمّى لأنها كثيرا ما تغزو الاسد حتى إنه قلّما يخلو منها ساعة، قال أبو تمام:

فإن يكُ قد نالتك أطراف وَعْكة
فلا عجبٌ أن يوعَكَ الأُسد الوَرْدُ

كُنوز الجنة: كان يقال: اربع من كنوز الجنّة: كتمان المصيبة، وكتمان المرض، وكتمان الفاقة، وكتمان الصَّدَقة.

مُعترك المنايا: هو ما بين السّتين الى السبعين من أعمار الناس، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اكثر اعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين." ولمًا أنافت سِنُو عبد الملك بن مروان على الستين وسئلَ عن عمره قال: في معترَك المنايا.

عِتَاق الطير: احرارُها، وهي تَصِيد ولا تصاد ولا تُملَك، قال الشاعر:

ولا عيبَ فيها غيرَ زُرقةِ عينها
كذاكَ عِتاقُ الطير زُرقٌ عُيونُهَا

وقال خلف الأحمر: عتاق الطير هي الجوارح، وعتاق الخيل هي التي تفوت إذا طُلِبت، وتُدرِك اذا طَلَبتْ.

وقال الجاحظ: عِتاق الطير كالعِقبان والبُزاة والصقور والشواهين، لاسيما العقبان، فإنها تبيت حيث لا ينالها سبعٌ ولا ذو اربع، وتَحيد عنها سِباع الطير ولا تُعاني

الصيد إلّا في الضرورة، لأنها تَسلُب كل ذي صيد صيده، وإذا اجتمع صاحبُ الصقر وصاحبُ الشاهين وصاحبُ البازي وصاحب العُقاب لم يُرسلوا اطيارهم خوفاً من العُقاب. وهي طويلةُ العمر، عاقّة بولَدِها، وإن شاءت كانت فوق كل شيء، وإن شاءت تَفُوق كل شيء، لانها تتغدى بالعِراق، وتتعشى باليَمَن، وريشها الذي عليها هو فَرْوَتُها في الشتاء.

لُعاب الشمس: لُعاب الشمس عند العرب هو ما يَتراءى كالخيوط في الجو عند شدة الحر، قال الراجز:

وذاب للشمس لعابٌ فنَزَلْ
وقامَ ميزانُ النهار فاعتدَلْ

وقد يشبَّه به الشيء الباطل الذي لا اصل له. ويقال له ايضا: مُخاط الشيطان وخَيْط الشيطان، وخَيط الشمس، وكما يقال: لُعاب الشمس يقال: بُصاق القمر للحجر الأبيضِ الذي يقال له حَجَر المَها.

داء الضرائر: من أمثال العرب قولهم: بينهم داء الضرائر، إذا كان بينهم شرّ دائم وحسد وبغض، لأن الضرائر يبغض بعضهنّ بعضا ولا يكدْن يخلُون من مُشاجرة.

أصابع الأيتام: قال بعض السّلف: احذَروا أصابعَ الأيتام – يعني رفعهم إياها في الدّعاء على الظالم – وهذا كما قيل: احذَروا مجانيق الضعفاء، أي دعواتهم. وفي اصابعِ الأيتام يقول أبو فراس:

ابذُلِ الحقَّ للخصومِ إذا ما
عَجزتْ عنه قدرةُ الحُكّامِ
رُبَّ أمر عففتُ عنه اختيارا
حذراً من أصابعِ الأيتامِ

واسطةُ القِلادة: يُضرَب بها المَثَل في تفضيل بعض الشيء على كلِّه، فقال: واسطةُ القلادة، ودُرَّة التاج، وإنسانِ الحَدَقة، وعينُ الكَتيبَة، وأول الجريدة، وبيتُ القصيدة.

وفي الكتاب المبهج: الصّديق الصّدوق واسطة العِقد، وأول العَقْد.

نار الحُمَّى: يقال: إنّ النِّيران ثلاث: نار تأكل وتَشرب وهي نارُ الحُمّى، تأكل اللحم وتشرب الدم، ونارٌ تأكل ولا تَشرَب، وهي نار الدنيا، قال الشاعر:

النار تأكل نفسَها
ان لم تجِد ما تأكُلُه

ونار لا تأكل ولا تَشرَب، وهيَ نار جهنّم.

داء البطن: يُضرب مَثَلا للشر المستور الذي لا يُقدَر على مُداواته.

قال الاسود بن الهيثم النخعي:

بَني عَمِّنا إن العداوة شرّها
ضغائنُ تبقى في صدور الاقاربِ
تكون كدَاء البطن ليس بظاهر
فيُشفى وداء البطْنِ من شرِّ صاحب

وقال آخر:

وبعض خلائقِ الأقوامِ داء
كداء البطْن ليس له دواءُ

ومن البطون المستعارة: بطن الوادي، بطن القرطاس، وبطن الكف وظهر الامر وبطنه.

شمس العصر: تُضرَب مثلا للشيخ المُسِنّ ذي السنّ العالية الذي خرف وبلغ ساحل الحياة، فيقال: ما هو إلا شمسُ العصرِ على القَصْر.

تيجان العرب: جاء في الخبر: إن العمائم تيجان العرب، فاذا وضعوها وضع الله عزهم. وكان يقال: اختصَّت العرب من بين الامم بأربع: العمائمُ تيجانها، والدروع حيطانها، والسيوف سيجانها، والشِعر ديوانها.

اجعلوا الريَاضة خبزكم اليَومي

ما من انسان سويّ يحب ممارسة التمارين الرياضية. صحيح أننا نهوى الحديث عن تمارين زاولناها، لكن غلاة المهتمين باللياقة البدنية يتخموننا بأخبار عن سرعات نبض مخفوضة وقوة احتمال مستجدّة وعن عشرة كيلوغرامات من وزنهم تخلصوا منها. وهم يستشهدون بمعادلات باحثين في جامعة ستانفورد يدّعون أن كل ساعة تمرين تطيل العمر ساعة أخرى.

لكننا لا نسمع أبداً عاقلاً يقول: "عندما رنّ منبه ساعتي تمام الخامسة والنصف هذا الصباح، لم أستطع الأنتظار فسارعت الى الخروج من المنزل لممارسة الهرولة تحت المطر البارد."

ولا يرى الخبير باللياقة البدنية رود ديشمان مصادفة في كون كثيرين يبدأون برنامج تمرين ما ثم يفشلون في التزامه. لنواجه الامر: عندما يحين موعد التمرين تفضّل غالبيتنا الاستلقاء على كنبة وتناول المعجنات.

وهناك، في المقابل، أناس يكرهون ممارسة التمارين لكنهم يستطيعون التغلب على بلادتهم ويزاولون الرياضة

ـ هل في العالم امرؤ عاقل يحبّ مغادرة أريكة وثيرة ليركض خمسة كيلومترات؟

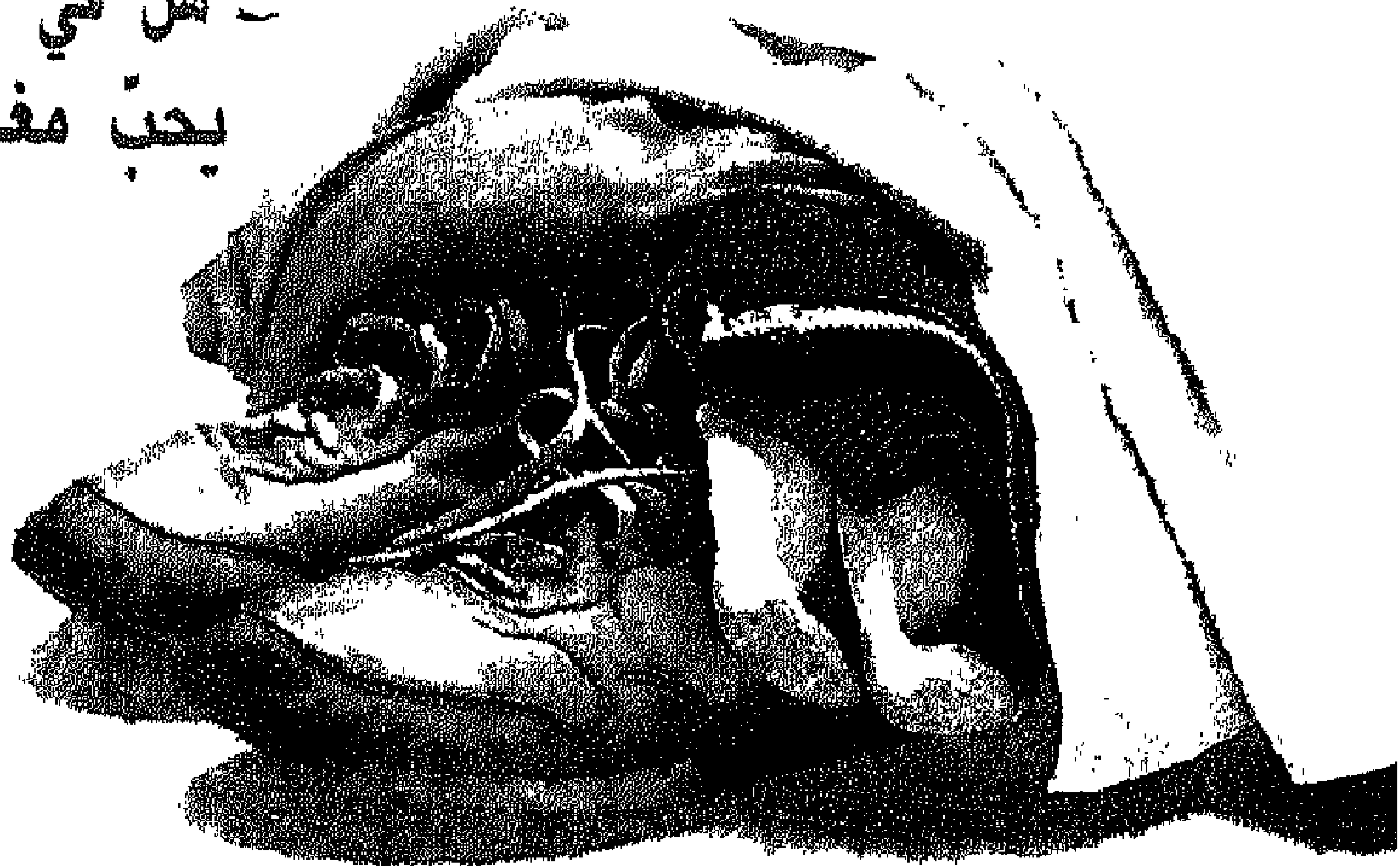


PHOTO: ERNEST COPPOLINO

سنة كل سنتين. وقد ذهلت اذ أدركت أني صرت الآن واحدة من هؤلاء.

اكتشفت ذات يوم قبل سنتين ونصف سنة أن مجرد المشي بضع مئات من الامتار يتركني، أنا ابنة الثانية والاربعين، مبهورة الانفاس لاهثة كأنني في التسعين. وأقلقني السؤال: هل فات الاوان لارجاع عقارب ساعتي البيولوجية الى الوراء؟

علمت أن كثيراً من اختصاصيي العلوم مقتنعون بأن الرياضة يمكن أن تعكس بعض آثار التقدم في العمر. وأظهرت دراسة أجريت على عشرة رجال ونساء واهنين، بعضهم في السادسة والتسعين من العمر، مارسوا تمارين منتظمة على آلات خاصة لرفع الاثقال، أن خمسة منهم تمكنوا بعد شهرين فقط من مضاعفة سرعة مشيهم في حين استغنى اثنان آخران عن عكازاتهما.

بدا في ذلك كثير من المبالغة، لكن جسدي كان يحتجّ مع كل خطوة ويطالبني بنشاط ما. أخيرا قررت أن أجرب السباحة.

كدت أعجز أول الامر عن قطع مسبح البلدة مرة واحدة ذهوبا وايابا. لكنني صرت بعد شهرين أطويه ١٨ مرة. وقد بلغ مجموع ما سبحته حتى الآن ٥٩٢٢ دورة.

عندما أخبر أصدقائي أنني سأكون، بحلول ميلادي الرابع والخمسين، سبحت مسافة ٢٧٠٠ كيلومتر ظهراً وفراشة، أي ما يقارب المسافة بين لبنان والسعودية، ينظرون الي غير مصدقين. لكنني أعرف في قرارتي أنني سأحقق ذلك، اذ تعلمت كيف لا أكون من الذين يتخلون بسهولة عن ممارسة التمارين.

واليكم نصائحي:

لا مفر من الاحساس بالاجهاد. يصرّ هواة اللياقة البدنية المتحمسون على أن التمارين الرياضية تمنحنا للحال شعوراً بأننا اكثر نشاطا. لا تعتدّوا بذلك، اذ ان كل ما استطعته بعد جولاتي الصباحية الاولى في السباحة كان جر جسدي المنهك ثانية الى الفراش.

ولم أتوصل الى مشي أسرع وعمل أكثر من غير تعب الا بعد ستة أشهر من السباحة وزيادة المسافات التي أقطعها. ومن حسن حظي أن صديقا لي حذرني من الفترة الاولى الصعبة، والا لكنت استسلمت معتقدة أنني أكبر سنا من أن أمارس هذا النشاط.

لا تتوقعوا مكافآت ظاهرة. لا شك في أن التمارين تحسّن مظهر الجسد في آخر الامر. فقد أنقصتُ من وزني أكثر من ستة كيلوغرامات في غضون سنتين ونصف سنة، ويقول أصدقائي انني أبدو أصغر مما أنا بخمس سنوات. لكن أحداً لن يحصل أبداً على عضلات مصارع أو خصر راقصة وإن مارس رفع الاثقال ١٨ ساعة يوميا.

يعتبر ديشمان أن تعليل النفس بكمال الجسم توطئة تساعد المرء على أن يبدأ.

ولكن لتواظبوا على التمرين عليكم التركيز على مكافآت داخلية غير ظاهرة. هل تجعلكم التمارين أقل قلقا؟ أكثر حيوية؟ هل صرتم تنامون أفضل؟

شعر نحو ٦٠ في المئة من الرجال المتوسطي الاعمار الذين اشتركوا في احدى الدراسات بأنهم صاروا أكثر قدرة على التركيز وأخذ القرارات وأن نظرتهم الى العمل باتت أكثر ايجابية، وذلك بعد ممارستهم التمارين الرياضية ساعة واحدة في اليوم ثلاث مرات أسبوعيا.

ان أغنى المكافآت ذاتية وشفّافة. ابحثوا عنها فتمنحكم استمرارية.

افعلوا ما يلائمكم. اذا كانت ثمة قاعدة ذهبية واحدة تمنحكم استمرارية فهي اختياركم نظام تمرين يناسب شخصيتكم. اذا كنتم ممن يتمتعون باقامة صداقات، فانتم مؤهلون للانخراط في نشاط اجتماعي مثل رياضة الكرة الطائرة أو كرة المضرب اكثر منكم في مزاولة رياضة فردية كركوب الدراجات الهوائية. واذا كنتم تخشون الاصابة فستتقبلون المشي أكثر من رياضة فنون القتال كالملاكمة والجودو والكاراتيه.

كانت سيدة في السبعين من عمرها، ترغم نفسها قبل سنة على التمرن على دراجة ثابتة، الى أن اقترح عليها صديق أن تلتحق ببرنامج رياضات مائية. اعترضت السيدة أولا بحجة "أنني اسمن من أن ارتدي ثوب سباحة." لكنها وافقت على الاقتراح أخيرا، وهي الآن امرأة متحفزة، نشطة، مرحة، متحمسة للتمارين. انها مثل حي على الشعار الذي أطلقه موريس شوفالييه[1]: "لا يصبح العمر مزعجا الا عندما تتوقف عن تدليله."

اذا تخلفتم احيانا، فلا تستسلموا. اذا كنتم اعتدتم الخمول لسنوات، فستكون الحركة النشطة مدة ٣٠ دقيقة ثلاث مرات في الاسبوع تحولا رئيسيا. ولكن لا يكفي أن تتغلبوا على "إدمان" الاريكة المريحة، بل عليكم ايضا أن تكتسبوا عادة جديدة قد تثير احتجاج كل عضلة في اجسامكم بادئ الامر. ولا مناص من الانقطاع عن التمرين بين فترة وأخرى.

يرجح الخبير بالطب الرياضي غيلبرت غليم، أن تتخلفوا عن ممارسة تمارينكم وخصوصا في الشهر الثالث، اذ تتلاشى الفورة الاولى من الحماسة والشعور الجديد بالنشاط والمظهر الحسن.

عندما تضعفون، كونوا متسامحين. فما اهمية بضعة أيام أو أسابيع حين تكونون في طور تنمية عادة تكتسبونها مدى الحياة؟

كان زوجي سبح ما مجموعه ٧٧ كيلومترا وأنقص ١٢ كيلوغراما من وزنه قبل أن يبدأ العمل ٧٠ ساعة اسبوعيا... ويتوقف عن السباحة. وبعد خمسة اشهر زاد وزنه خلالها ستة كيلوغرامات، عاود ممارسة السباحة تلقائيا. واذ تساءلت

(١) ممثل ومغن فرنسي (١٨٨٨ - ١٩٧٢).

كيف استطاع ذلك من دون أن يشعر بالذنب لتوقفه، لاحظت أنه غالباً ما كان يتحدث عن انقطاعه كأنه اجازة أو استراحة. لكن الكلمتين الاكثر تدميراً للذات – إني فشلت – لم تكونا في قاموسه.

جربوا احلام اليقظة. أشغلوا فكركم أثناء أداء التمارين لئلاّ يصيبكم تكرارها بالسأم. كنت عندما اسبح على ظهري أحسب عدد ضربات ذراعيّ أو انظم أبياتاً شعرية أو أردد أغاني شعبية. يدعو الخبراء هذه الطريقة لشغل الفكر عما نفعل "انفصالا" عن الذات، لكنني اسميها، ببساطة، أحلام يقظة.

تتمرن ابنتي، وهي في الثامنة عشرة من عمرها، ساعة كاملة على دراجة ثابتة وهي تطالع في كتاب علم الاحياء المثبت أمامها. وهي ليست مثالا للياقة البدنية فحسب، وانما حصلت أيضا على علامة امتياز في امتحانها الاخير في علم الاحياء.

حدِّدوا درجة تحملكم. كثيرا ما يردد غلاة المتحمسين للياقة البدنية اشاعات واقوالا من نوع: "لا ألم، لا نتيجة." تجاهلوا هذه الترهات واصغوا الى أستاذة الرياضة جودي آلتر التي تقول: "توقفوا اذا احسستم أن التمرين يؤذيكم." وتظهر الابحاث الاخيرة أن التمارين المعتدلة التي لا تسبب الألم، مفيدة بمقدار ما هي التمارين المنهكة.

وترى الخبيرة بالطب الرياضي شارلوت تيت ان "ركض سباق ماراثون[2] لا يجعلكم أكثر صحة مما لو مارستم مشيا سريعا مسافة خمسة كيلومترات ثلاث مرات أسبوعيا."

تمارس سيدة تجاوزت الستين من عمرها، السباحة ثلاثة صباحات في الاسبوع، مع أنها تخاف أن تنزل تحت الماء. كيف تستطيع ذلك؟ تحتفظ برأسها فوق الماء وتسبح ببطء السلحفاة، على عكس السباحين الاقوى الذين يتسابقون حولها. وهي حافظت على برنامج السباحة هذا لاكثر من ثماني سنوات بتحديدها وتيرة امكاناتها والتزامها اياها.

مارسوا الرياضة مع أصدقاء. لدى سؤال عدد من قدامى ممارسي التمارين ما الذي يحضهم على الاستمرار، أجاب كثيرون: "لم نشأ أن نخيب أمل أصدقائنا الذين يتمرنون معنا." وأظهرت دراسة أجرتها صحيفة أمريكية تعنى بشؤون الصحة[3] أن نحو ٩٠ في المئة من الرجال المعرضين للاصابة بنوبات قلبية وجدوا أن ممارسة التمارين مع صديق أو مجموعة أصدقاء اسهل من ممارستها منفردين، فأصدقاؤكم الذين يشاركونكم في التمارين يهلّلون لانجازاتكم، كما أنهم لا يرثون لحالكم لأنهم يلتزمون برنامج التمارين فلا يرون لعدم التزامكم اياها

(٢) سباق في العدو او المشي مسافة طويلة.
(٣) Public Health Reports

تبريرا. ويمكن أن يصبح تصميمكم أقوى اذا تمرنتم مع أزواجكم وزوجاتكم. فقد اظهرت دراسة أن ٨٠ في المئة من الرجال التزموا برامج تمرينهم متى كانت زوجاتهم سنداً لهم ومشجعاً، بينما لم يلتزمها سوى ٤٠ في المئة من الذين اظهرت زوجاتهم مواقف سلبية أو حيادية.

ويلاحظ أستاذ علوم الصحة نيل اولدريدج أن "ليست هناك استراتيجية واحدة لجعل كل الناس يثابرون على التمرين. فالامر يتطلب طرقا مختلفة باختلاف الاشخاص."

وهنا خمسة منشطات لقوة الارادة:

١. الهموا أنفسكم بالموسيقى. استمعوا الى موسيقى صاخبة وأنتم تتمرنون على دراجة. رددوا مقاطع من اغنية شعبية وانتم تركضون. أظهر استطلاع أجراه العالم بالفيزيولوجيا الرياضية باري فرنكلين أن ٩٩ عداء من أصل ١١٤ يفضلون الركض وهم يستمعون الى الموسيقى، وقد أكد كثيرون منهم أن الموسيقى تسهل ممارستهم التمرين.

٢. أنتم ما تفكرون. اذا تخيلتم أنكم نشيطون فسوف تصبحون نشيطين. تصفّحوا مجلات رياضية. اشتروا معدات لا يستخدمها الا المحترفون. ارتدوا ملابس الرياضة في عطلة نهاية الاسبوع.

٣. احفظوا سجلا لتقدمكم. اعتدت تسجيل المسافة التي اقطعها كلما سبحت. ان مجرد تسجيل مسافة متواضعة لا تتجاوز ٥٠٠ متر يجعلني اشعر كانني نلت ميدالية ذهبية.

٤. احتفظوا بمعداتكم مرئية. عندما تضعون معدات التمرين حيث يمكنكم رؤيتها، تُذكرون انفسكم باستخدامها. احتفظوا بمضرب الكرة في السيارة، وبحذاء الركض قرب الفراش.

٥. قاوموا الاعذار قبل اختلاقها. تمرنوا في مكان يسهل الوصول اليه. اذا كنتم تمارسون التمارين بعد العمل، التحقوا بناد قريب من المكتب. لتكن مواعيد التمارين في الصباح الباكر او في ساعة متقدمة مساء، اذذاك لا يمكنكم أن تبرروا كسلكم بالقول: "عليّ أن اتتبع تطور أسعار العملات في سوق القطع."

أما الاخبار الجيدة فهي هذه: ان التزام التمارين يصبح أسهل كثيرا اذ تزاولونها اسبوعا بعد أسبوع. خرجت أخيرا من حوض سباحة وأنا افكر: "ياه، كم كان ذلك ممتعا!" وأطرف من ذلك أنني كنت أبتسم. هل من الممكن أن أكون، بعد كل هذه السنوات من نعيم الكسل، بدأت اتمتع بممارسة التمارين الرياضية؟ أن مجرد التفكير في ذلك يثير فيّ قشعريرة!

سو برودر ■

النهدة مكبر صوت للذين يعانون بصمت. ا.ك.

"حرب سيارات" بين أوروبا واليابان

لجأ الاوروبيون طويلا الى تدابير الحماية السلبية لصدّ المنافسة اليابانية. لكن الوقت حان لمواجهة مباشرة تنقذ السيارات الاوروبية من خطر الانقراض

طغى جو من الاثارة على معرض جنيف الدولي للسيارات، حين تدفقت الجموع الى القاعة ذات التصميم الكهفي لمشاهدة السيارات الحديثة الطراز. ولأن أوروبا هي حاليا السوق الاولى للسيارات في العالم، حرص الصانعون على عرض أحدث ما انتجوه من جديدهم البراق. وراح زوار المعرض المولعون بالسيارات يقفزون الى مقاعد القيادة ويصفقون أبواب السيارات وينعمون النظر في

اجزاء محركاتها ويتلمسون خطوطها الانسيابية ويغرقون الباعة بفيض من الاسئلة التقنية.

ولكن بعد القاء نظرات خاطفة على سيارات جديدة أمثال "سيتروين ZX" و"أوبل فرونتيرا" تحول الالوف عن السيارات الاوروبية الصنع واحتشدوا امام المنصات المتألقة التي تضيء اسماء سيارات أمثال "تويوتا" و"هوندا" و"نيسان." وظهرت في مدخل صالة العرض سيارة "تويوتا ليكسوس" لماعة زرقاء تدور فوق طاولة مغمورة بالضوء. ويرمز طراز "ليكسوس" الفخم الى ارادة اليابان تحدي فضلى السيارات الاوروبية، علماً أن ما يباع منه في الولايات المتحدة حاليا يعادل مبيعات جميع طرازات سيارة "ب ام ف."

بيَّن ولع زائري معرض جنيف أن المستهلكين الاوروبيين مأخوذون بالسيارات اليابانية، الامر الذي أثار قلقَ صانعي السيارات الاوروبيين الكبار. ففي بعض البلدان تبلغ نسبة مبيعات السيارات اليابانية أكثر من ٣٠ في المئة من مبيعات جميع السيارات. والسبب واضح: فقد أظهرت معاينات شاملة للنوعية أن الاصناف اليابانية تحتلّ مراتب أولى باطراد. وبناء على هذه النتائج يتوقع المحللون في مجال صناعة السيارات أن ينخفض عدد الشركات المصنعة "الست الكبرى" في أوروبا الى "خمس كبرى" أو أقل بحلول السنة ٢٠٠٠. ويقول روبرت ايتون رئيس شركة "جنرال موتورز" في أوروبا: "نقدِّر أن يسيطر اليابانيون على ٢٠ في المئة من السوق بُعَيد السنة ٢٠٠٠، بل قد تكون هذه النسبة أعلى كثيراً."

مواجهة التحدي. ما تشهده التسعينات هو ما يمكن أن يسمى "حرب السيارات." فبعدما زادت اليابان انتاجها سبعة أضعاف خلال ٢٥ سنة، وحلت محل الولايات المتحدة صانعا أوَّل للسيارات في العالم، تتطلع اليوم الى السيطرة على أوروبا. وقد سيطرت منتجاتها على ١١ في المئة من سوق القارة، ويذهب ١٥ في المئة من السيارات المنتجة في اليابان الى أوروبا.

ومع ذلك، لم تبلغ المنافسة اليابانية ذروتها. فالمنتجون الثلاثة الكبار، "تويوتا" و"نيسان" و"هوندا"، يخططون في أوروبا ويبنون مصانع تستطيع انتاج نصف مليون سيارة في السنة. فالغزو الياباني يهدد كبرى الصناعات في أوروبا التي تشغِّل ٢،٦ مليون عامل. يقول ريمون ليفي رئيس شركة "رينو": "ان الخطر واضح. ستغلق مصانع وتتوقف شركات كبيرة عن العمل، وسيسجل ارتفاع هائل في معدل البطالة." لكن المنافسة اليابانية هي ايضاً تحد لصانعي السيارات الاوروبيين يحضّهم على انتاج سيارات أفضل بأسعار أدنى.

ولسوء الحظ، تردد صانعو السيارات الكبار في أوروبا طويلا في تقرير سبل

مواجهة التحدي الياباني. ولأن مؤسساتهم كانت تعتبر وطنية وتحصل على دعم حكومي سخي وتتمتع بحماية الاسواق المحلية، باتوا أقل كفاية وقدرة على المنافسة. واقتصرت طريقتهم الفضلى في التصدي لليابانيين على محاولة ابقائهم خارج السوق. فثمة خمسة بلدان هي بريطانيا وفرنسا وايطاليا والبرتغال واسبانيا، تحمي أسواقها الوطنية من منافسة السيارات اليابانية عبر نظام الحصص واجراءات أخرى. وبما أن هذه الاجراءات ستصير غير قانونية بموجب قوانين السوق الاوروبية الواحدة بعد ١٩٩٢، فقد طلب أصحاب مصانع السيارات من الهيئات التمثيلية للمجموعة الاوروبية، ومقرها بروكسيل، وضع قيود أشمل تحمي أوروبا كلها.

في يوليو (تموز) ١٩٩١، بعد أكثر من سنتين ونصف سنة من المحادثات بين أصحاب صناعة السيارات الاوروبيين واليابانيين والمسؤولين الحكوميين، وافقت اليابان "طوعاً" على تحديد صادراتها الى السوق الاوروبية بما لا يتعدى ١،٢٣ مليون سيارة سنوياً لمدة سبع سنوات تلي ولادة "السوق الموحدة." وبذلك تكون حصة اليابان نحو ١٦ في المئة من السوق الاوروبية، بما فيها السيارات اليابانية المصنوعة في أوروبا، لفترة انتقالية تنتهي سنة ١٩٩٩، يترتب بعدها على صانعي السيارات في أوروبا أن يدافعوا عن انفسهم بأنفسهم.

ويقول موظف حكومي رفيع يعمل مساعداً لمارتن بانغمان مفوض المجموعة الاوروبية للشؤون الصناعية: "في النهاية، سيتعين على صانعي السيارات في بلداننا التصدي مباشرة للتحدي الياباني."

فوارق حضارية؟ ان اتكال صانعي السيارات الاوروبيين على الحماية جعلهم غير مهيَّئين لهذا الصراع، بل انه أضرَّ بمصالحهم وبمصالح المستهلكين في أوروبا على السواء، ذلك لأن الصناعات المحمية لا تتمتع بحوافز كافية تجعلها أقدر على المنافسة أو خفض الاسعار. وعلى سبيل المثال، تبين للمجلس الاوروبي لحماية المستهلك، ومقره في بروكسيل، أن ثمن سيارة "مازدا ٣٢٣" في بلجيكا حيث لا يعتمد نظام الحصص يبلغ ١٠٦٩٢ إيكو[1] بينما يبلغ ١٥٧٥٢ إيكو في ايطاليا حيث حددت حصة مبيعات السيارات اليابانية بثلاثة في المئة من استهلاك السوق. وأظهرت دراسة أجراها المجلس الوطني للمستهلك في بريطانيا أن القيود المفروضة على مبيعات السيارات اليابانية تكلف المستهلكين نحو ٢،٨ مليار إيكو سنوياً، أي ١٨٢٨ إيكو عن كل سيارة تباع في بلدان المجموعة الاوروبية. وخلصت الدراسة الى أن أسعار السيارات اليابانية المبيعة في المجموعة الاوروبية هي أعلى بنسبة ٢٠ في المئة مما ستكون

(١) الايكو (ecu) هي وحدة النقد الاوروبية.

لو رفعت القيود المفروضة عليها حاليا.

وإذا ما أراد صانعو السيارات الاوروبيون حماية متواصلة، فذلك لكونهم منتجين أقل كفاية من اليابانيين. لقد صرف معهد مساتشوستس للتكنولوجيا (MIT) خمس سنوات (١٩٨٤ - ١٩٨٩) وأنفق خمسة ملايين دولار لدراسة صناعة السيارات في ١٤ بلداً. وجاء في معرض تقويمه المثبط: "إن صانعي السيارات الاوروبية هم في مقدم الدعاة الى انتاج جملي محافظ، وعمل مجزأ الى أصغر التفاصيل، ومخزونات هائلة، ومصانع ضخمة." ويبدو مدى تخلف انتاج السيارات في أوروبا واضحا على نحو لافت في احصاءات الانتاج. فبينما يقتضي اليابانيين ١٦ ساعة لصنع سيارة، يستغرق الأمر ٣٥ ساعة في المصانع الاوروبية. وتخرج السيارات اليابانية من خط التجميع وفيها عيوب في التصنيع تقل عما في السيارات الاوروبية بنسبة ٣٧ في المئة. وتسجل نسبة التخلف عن العمل في أوروبا ضعفي ما هي في اليابان. ويستطيع الصناع اليابانيون تطوير طراز جديد في غضون ٤٦ شهراً بالمقارنة مع ٦٠ شهراً للاوروبيين.

ويعزو المديرون هذا التخلف الى أعذار مختلفة، منها ما يعود في الأساس الى الفوارق بين اليابان وأوروبا. ويصرح جاك كالفيه رئيس شركة "بيجو - سيتروين PSA" مدافعا: "ان الاقتصاد الياباني موجه برمته ناحية الارباح، وتترتب على الشركات اليابانية نفقات أدنى للضمان الاجتماعي." ويشير هؤلاء المديرون أيضاً الى حب الاوروبيين للعيش برخاء. ففيما يشتغل العامل الياباني في صناعة السيارات ٢٢٠٠ ساعة في السنة، يشتغل العامل الاوروبي ١٨٠٠ ساعة. ويدعي كارل هان رئيس شركة "فولكسفاغن": "لنا نظرة متباينة الى رخاء العيش. فنحن سعداء وناجحون كما نحن، فلماذا نتخلى عن نمط حياتنا لنتبع أسلوب اليابان في العمل؟"

زواج رائع! غالبا ما أساء الحقد والتوتر في العلاقات بين العمال وأرباب العمل الى منتجي السيارات في المجموعة الاوروبية. يقول لندسي هالستد رئيس شركة "فورد" في أوروبا: "نحن نحمل عبئا تاريخيا ثقيلا. وللمثال، عانينا في بريطانيا من اضراب استمر سبعة أسابيع قبل أن نتمكن من الحصول على موافقة الاتحاد العمالي على قيام العمال بأكثر من مهمة، أسوة بالعمال اليابانيين." ويضيف أحد الاداريين الكبار في شركة "رينو": "لست متأكداً من قدرتنا على تحقيق التوافق مع العمال كاليابانيين. فلأسباب حضارية، لم تتحقق كلياً في فرنسا الثقة المتبادلة بين الادارة والنقابات العمالية."

ويكاد الاتجاه في أوروبا الى التمسك بالوسائل القديمة يصل أحيانا الى حدود سخيفة... ومكلفة. فقد قرر مديرو شركة "بيجو - سيتروين PSA" عام ١٩٨٥

توسيع مبنى "بيجو" الرئيسي القديم في سوشو بشرق فرنسا حيث يقوم عدد من المباني القديمة يعود تاريخها الى العام ١٩١٢، بدل بناء معمل جديد في مكان آخر. ولكي يتم لهم تحقيق مشروعهم تعين عليهم تحويل مجرى نهر آلان المجاور بكلفة بلغت ١،٧ مليار دولار.

ومع أن هذه العوائق حقيقة واقعة فالتغلب عليها ليس مستحيلا. ان العنصر الاساسي لتفوق اليابانيين في صنع السيارات لا يكمن فقط في عدد الساعات التي يصرفونها على العمل أو في عمر مصانعهم. يقول فيكتور ديال الرئيس السابق لقسم المبيعات والتسويق في «PSA»: "ان السبب كامن في قدرة اليابانيين على ادارة أعمالهم بطريقة أفضل." أما اذا اقترن انجاز العمال الاوروبيين بطرائق الانتاج اليابانية – كما تُظهر المعامل اليابانية في بريطانيا – فقد ينجم عن ذلك زواج رائع.

ورشة تحسين. لكي تتسنى لي نظرة قريبة الى طريقة العمل اليابانية زرت معمل "نيسان" في بريطانيا، في بلدة سندرلاند قرب نيوكاسل. فطالعتني على المدخل دمية "داروما" قصيرة ضخمة ذات ملامح متوحّشة، مقامة لجلب الحظ. وفي الداخل ارتدى معظم المديرين والعمال البالغ عددهم ٢٨٠٠ بذلات زرقاء علقت على كتفها اليسرى شارة الشركة. ومن تدابير المساواة المتبعة في المعمل غياب ساعات ضبط وقت الحضور وعدم تخصيص مكاتب للمديرين أو مواقف لسياراتهم. ولا يقوم على خطوط التجميع مراقبون لضبط جودة الانتاج. وعوض ذلك تنمي الشركة لدى موظفيها حسّاً بالنوعية، وتشجّعهم على اطلاق أفكارهم عبر "ورشة التحسين."

أفاد أحد العمال في قسم تجميع هياكل السيارات: "حين أتبين أي خلل في الجودة على خط التجميع، أشدّ حبلا خاصاً وألفت المشرف الى الامر. واذا لم نتمكن من اصلاح العطل فاننا نوقف العمل على الخط، بينما يعود الى الادارة وحدها اتخاذ مثل هذا القرار في معظم المصانع الاخرى."

وفيما كنت أراقب مسار العمل رنّ جرس وومض ضوء أزرق في محطة عمل أخرى. فهرع المشرف الى المكان للتشاور مع العامل الذي شد حبل الانذار. وفجأة توقف الخط عن العمل. وما هي سوى بضع دقائق حتى أصلح العطل وعاد العمل على الخط.

يقول مدير الانتاج جون كوشناغان مشيرا الى العامل والمشرف وهما منهمكان في اصلاح العطل: "ان هؤلاء الناس ملتزمون كليا جودة الانتاج والعمل فريقاً واحداً. وذلك هو مفتاح نجاحنا."

وتختار شركة "نيسان" في سندرلاند فريق عملها بدقة، فمن بين كل ٥٠ طلب عمل ينتقى طلب واحد. ويشارك العمال بحماسة في دورات تدريبية اضافية. ويمكن العامل النموذجي أن يكتسب مهارات ميكانيكية والكترونية

وهيدروليكية. ويتناوب العمال خلال السنة مراكز مختلفة، الامر الذي يجنبهم الضجر الذي يصيب كثيرين من عمال المصانع. أما نسبة التغيّب عن العمل فهي أقل من ثلاثة في المئة، أي انها ثلث النسبة العادية في المصانع البريطانية.

ويبدو عمال شركة "نيسان" ومديروها على أتم وفاق في بريطانيا حيث العلاقات السائدة بين العمال وأرباب العمل هي الاسوأ في أوروبا. وقد لاحظت أن علب الكرتون التي تحوي أجزاء السيارات في خط التجميع الاخير موضبة على حامل مائل في متناول اليد. وشرحت لنا احدى العاملات: "تعبت كثيرات منا من الانحناء والتقاط الاجزاء عن الارض. فتفتقت لنا فكرة: ذهبنا الى ورشة التحسين وصنعنا منصباً لم يكلفنا شيئاً، وها هو الآن معتمد هنا. ولو اتكلنا على أحد المهندسين ليحلّ مشكلتنا لكان لا يزال يرسم ويصمم."

خطوات ملحّة. تنتج شركة "نيسان" في بريطانيا ١٢٠ ألف سيارة "بريميرا" في السنة، ويصدّر ٨٠ في المئة منها الى ٢٩ بلداً بينها اليابان. وهي وفرت فرص عمل كثيرة في المنطقة وحسّنت ميزان التجارة البريطاني. وتقول مارغريت باين الخبيرة الاقتصادية لدى جمعية صناعة السيارات في بريطانيا: "أن المصانع اليابانية هنا ستغير مسار صناعة السيارات في بريطانيا في التسعينات."

لكن هذه المصانع لن تغير مسار صناعات السيارات في بقية أوروبا، وان تكن ثمة دلائل مشجعة على ذلك. ففي مصنع "فيات" في كاسينو بايطاليا تملك الشركة واحداً من أفضل نظم الانتاج الاوتوماتيكية في العالم. وباشرت "فولكسفاغن" أكبر برنامج انفاق في تاريخها. وزادت "بيجو" انتاجيتها في السنوات الخمس الاخيرة بنسبة ٥٠ في المئة. لكن المهمة الرئيسية لم تنجز بعد.

ويحذر مارتن بانغمان مفوض الشؤون الصناعية في المجموعة الاوروبية من أن "على الاوروبيين أن يصيروا قادرين على المنافسة دولياً، فلا مجال لديهم لاهدار مزيد من الوقت."

ويمكن أن تتحقق نتائج سريعة ما ان تتخذ قرارات صعبة. ويتفق الخبراء بصناعة السيارات على أن ثمة حاجة ملحة الى أخذ الخطوات الآتية:

□ تطبيق "الانتاج الناحل المركّز" الذي يعتمد استخدام أقل مما خُصِّص من كل شيء لتطوير منتجات جديدة. وذلك يعني اقفال المعامل غير المنتجة، واحالة العمال الاكبر سنا على التقاعد اذا عجزوا عن التكيف، وخفض المخزونات، وتوظيف الرساميل في تعزيز الوسائل الميكانيكية والالكترونية.

□ تقصير "دورات التطوير." يتعين على منتجي السيارات الاوروبية تقديم مجموعة أوسع من الطرازات المجهزة بمواصفات تكنولوجية متطورة تعتبر قياسية وعادية وليست "زوائد." وينبغي توفير ذلك في فترات متقاربة.

□ على منتجي السيارات انفاق مزيد من موازناتهم على البحث والتطوير. فالشركات اليابانية تسجّل براءات اختراع لنماذج جديدة تزيد ثلاثة أضعاف على ما يسجله الأوروبيون. وهي تنجز تجارب البحث والتطوير في وقت أقصر.

□ على صانعي السيارات تعزيز قواهم العاملة عبر جهد منتظم في مجالي التوظيف والتدريب لرفع مستويات المهارة، مما يتيح منح العمال مزيداً من المسؤوليات ويحسن لديهم حوافز العمل. وعلى العمال والمديرين أن يدركوا أن لهم مصلحة مشتركة في انقاذ هذه الصناعة.

دأب صانعو السيارات الاوروبيون طويلا على الكفاح للتمسك بطرق الانتاج القديمة وبالامتيازات التي تضمن لهم حماية حكومية من المنافسة. ولكن اذا عدّلوا موقفهم وواجهوا التحدي الياباني مباشرة، فقد تكون هذه الأزمة فاتحة خير لصناعة السيارات في اوروبا. وتكون الحصيلة سيارات أفضل وأسعاراً أدنى وخيارات أوفر، مما يجعل المستهلكين الاوروبيين المنتصرين الحقيقيين في "حرب السيارات" الدائرة.

جوزف هاريس ■

شركة رابحة

كانت الزوجة دائمة الشكوى لان زوجها يلازم المنزل صامتاً نائماً. وفي محاولة لارضائها، ذهب الزوج لاستشارة طبيب نفساني.

قال له الطبيب: "استلقِ على الاريكة ودعنا نتحدث. اذا خطر شيء ببالك، فذلك حسن، والا ففي الزيارة المقبلة."

تمدد الرجل على الاريكة وسرعان ما استغرق في النوم. وفي نهاية الساعة أيقظه الطبيب قائلا: "هذا يكفي اليوم. مئة دولار من فضلك."

دفع الرجل المبلغ وانصرف، ليعود كل ثلثاء وخميس. وكان كل مرة يستغرق في النوم من دون أن يفوه بكلمة، ثم يستيقظ ويدفع "الاتعاب."

في الاسبوع الثالث وصل الى عيادة الطبيب، وما كاد يجلس على الاريكة حتى انتفض واقفا. فهتف الطبيب: "أخيراً! هل خطر ببالك شيء تقوله؟"

فرد الرجل: "بالتاكيد، هل تحتاج الى شريك؟"

د.ت.

يد حمراء

مرت فترة كانت كل نبتة المسها تذوي بعد حين. وفي يوم عيد ميلادي أهدت الي ابنتي نبتة لبلاب ضخمة تدلت أوراقها خضراء يانعة من جوانب الاناء الذي غرست فيه. وعندما رفعت الاناء ليرى الجميع النبتة، قال زوجي متمتما: "ستحتاجين الى وقت طويل لتميتي هذه يا عزيزتي."

ف.ل.

حالم في عالم الظلال

حين أُوصدت أبواب الحظ في وجهي تعلمت كيف يكون الصمود

كثيراً ما يطلعني شبان على رغبتهم في أن يصبحوا كتّاباً، فأشجعهم دائماً وأقرن تشجيعي بشرح الفارق الشاسع بين الكتابة و"أن يكون المرء كاتباً."

معظم هؤلاء الشبان يحلمون بالثروة والشهرة لا بالساعات الطويلة أمام الآلة الكاتبة. فأقول لهم: "عليكم أن ترغبوا في الكتابة لا في أن تصبحوا كتّاباً."

الكتابة في الواقع عمل خاص موحش شحيح المردود. ففي مقابل كل كاتب ابتسمت له الثروة ألوف ذهبت أعمالهم سدى. حتى أولئك الذين حالفهم الحظ أخيراً، غالبا ما استبد بهم الفقر وطواهم الاهمال والنسيان مدة طويلة. تماماً كما حصل لي.



عندما تركت عملي في خفر السواحل بعد عشرين سنة من الخدمة لاصبح كاتبا حراً، كنت أعقد آمالا على النجاح ولم تكن لي تطلعات الى الربح المادي. كل ما كان لدي صديقٌ مقيم في نيويورك يدعى جورج سيمز، وكنا ترعرعنا معا في بلدة هيننغ بولاية تنيسي. عثر لي جورج على مكان أقيم فيه هو قبو في المبنى حيث كانٍ يعمل ناطوراً. لم أكترث للبرد الذي قضّ مضجعي ولا لعدم توافر حمام في الغرفة، بل سارعت الى شراء آلة كاتبة مستعملة فشعرت اذذاك بأني كاتب حقيقي.

مرت سنة والحظ لم يقرع بابي. فراح الشك يتأكلني. لم يتيسّر لي بيع قصة من تأليفي، فكنت أجني قوتي بشق النفس. لكني كنت راغبا في الكتابة، أحلم بها منذ سنوات طويلة، وقررت ألا أكون واحداً من أولئك الذين يموتون وهم يتساءلون: "ترى كيف كانت حياتي لو فعلت كذا؟" بل سأختبر حلمي دوماً وإن اقتضى ذلك العيش في الشك والخوف من الفشل. فهذا هو عالم ظلال الأمل، وعلى كل

PHOTO: ERNEST COPPOLINO

امرىء حالم أن يتعلم العيش فيه.

ذات يوم تلقيت مكالمة غيرت مسار حياتي. والشخص الذي اتصل بي لم يكن مندوبا ولا ناشراً يعرض علي عقداً رائعا، بل على العكس تماماً، كان الاتصال بمثابة منبه يغويني لكي أتخلى عن حلمي. فقد اتصل بي صديق من خفر السواحل انتقل الى العمل في سان فرنسيسكو، وكان أقرضني بضعة دولارات في ما مضى، فسألني مازحاً: "متى ستعيد الي الخمسة عشر دولاراً يا أليكس؟"

فأجبته: "عندما أوفق ببيعة."

فقال: "لدي فكرة أفضل، فنحن في حاجة الى موظف هنا، وسندفع له ستة آلاف دولار في السنة. الوظيفة لك إن أردتها."

ستة آلاف دولار عام ١٩٦٠! كان ذلك راتباً جيداً يؤمن لي شقة سكنية جميلة وسيارة مستعملة ويسدد ديوني. وقد أستطيع ادخار مبلغ صغير، فضلا عن أني سأتابع الكتابة الى جانب الوظيفة.

وفيما الدولارات تتراقص في مخيلتي لمعت فكرة في رأسي أعادت الي صوابي. وسرعان ما بزغ من أعماقي قرار عنيد لا يلين. فحلمي هو أن أكون كاتبا متفرغا، وهذا ما سأحققه.

وإذا بي أقول لصديقي: "لا، شكراً، سأثابر على الكتابة."

أعدت سماعة الهاتف الى مكانها ورحت أجوب الغرفة ذهاباً واياباً شاعراً بأنني فقدت رشدي. ثم توجهت الى الخزانة المسمرة في الحائط وأخرجت منها محتوياتها: علبتي سردين. وغاصت يداي في جيوبي فأخرجت منها ١٨ سنتاً. أخذت "ممتلكاتي" ووضعتها داخل كيس من ورق قائلا في نفسي: "هذا كل ما جنيته حتى الآن يا أليكس."

ولا أظنني شعرت بمثل هذا الاحباط من قبل.

كنت أود أن أخبركم بأن الامور أخذت في التحسن فوراً، لكنها لم تتحسن. والحمد لله على أن جورج سيمز كان هنا ليساعدني خلال هذه المحنة.

تعرفت من خلال جورج الى فنانين مكافحين أمثال جو ديلاني، وهو رسام بارع من نوكسفيل غالباً ما كان يفتقر الى ثمن طعامه، فكان يعيش على فتات اللحم والعظام من جاره الجزار وعلى الخضر الذابلة التي يهبه اياها البقال. وكان في البلدة أيضا مغن شاب وسيم المحيا يدعى هاري بيلافونت يدير مطعما



PHOTO: © DAVID LUTTRELL

متعثراً. وكان عندما يدخل زبون مطعمه ويطلب شريحة لحم، يسارع هاري الى شرائها من المخزن القريب.[١]

إن أشخاصاً أمثال ديلاني وبيلافونت باتوا قدوة لي. وأدركت أن على المرء أن يضحي ويعيش بابداع لكي يحقق حلمه. هذا هو قوام الحياة في عالم الظلال.

ولما استوعبت هذا الدرس بدأت أبيع مقالاتي تدريجاً. كنت أكتب عن مواضيع يتجادل فيها كثيرون: الحقوق المدنية، والزنوج الامريكيون، وأفريقيا. وسرعان ما عادت بي الذاكرة الى طفولتي كما تطير العصافير صوب الجنوب. وفي سكون غرفتي تناهت الي أصوات جدتي وابنة عمي جورجيا والعمة بلوس والعمة ليز والعمة تيل وهن يروين قصصاً حول عائلتنا والعبودية.

تلك كانت قصصاً حاول الزنوج الامريكيون تجنبها من قبل، لذا أبقيتها لنفسي طويلاً. ولكن ذات يوم، فيما كنت أتناول طعام الغداء مع محررين في مجلة "ريدرز دايجست"، رويت لهم بعضاً من قصص جدتي وأقاربي وأسررت اليهم بأنني أحلم في تقصي سيرة عائلتي منذ أسر أول سلف لي وانزاله مكبلاً بالسلاسل على الشاطىء الامريكي. وانتهى الغداء وغادرت المكان حاملاً عقداً ساعدني في أبحاثي وكتاباتي طوال تسع سنوات.

وبدأتُ رحلة طويلة بطيئة انتشلتني من الظلال. ونشر كتابي "جذور"[٢] عام ١٩٧٦ بعد ١٧ سنة على تركي وظيفتي في خفر السواحل. وعرفت شهرة ونجاحاً لم يختبرهما سوى قلة من الكتّاب. وتحولت الظلال أضواء باهرة.

وللمرة الاولى في حياتي امتلأت جيوبي مالا وشرّعت الأبواب في وجهي.

وذات يوم فيما كنت أرتب أمتعتي عثرت على علبة تحوي أشياء امتلكتها قبل سنوات. ووجدت داخلها كيسا من ورق.

فتحت الكيس فعثرت على علبتي سردين صدئتين وقطع نقدية. فاجتاح الماضي مخيلتي ورأيتني منحنياً فوق آلتي الكاتبة في شقتي الجرداء الباردة. وقلت في نفسي: "هذه الاشياء جزء من جذوري أيضاً، ولا يجوز أن أنسى ذلك."

فأرسلتها الى محترَف لوضعها ضمن اطار بلاستيكي أبقيه على مرأى من ناظري. وها هي الآن على طاولة مكتبي في نوكسفيل بولاية تنيسي، الى جانب جائزة "بوليتزر" الادبية وصورة لتسع جوائز "ايمي" نالها المسلسل التلفزيوني "جذور" وميدالية "سبينغارن" التي منحتنيها "الجمعية الوطنية لتقدم الشعوب الملوّنة." ويصعب علي أن أحدد أيا من هذه الجوائز يحمل معنى أبلغ بالنسبة الي. لكن واحدة فقط تذكرني بالشجاعة والمثابرة الضروريتين للصمود في عالم الظلال.

إنها أمثولة الزامية لكل حالم.

اليكس هايلي ■

(١) اصبح بيلافونت مغنياً شهيراً.
(٢) Roots



ابتعدوا عن الدهن تسلموا من البدانة والسرطان

الدهن هو المشكلة، فاليكم بعض الوسائل الناجعة لتفاديه

"لا تأخذوا من الدهن أكثر من ٣٠ في المئة من سعراتكم الحرارية." هذا هو الشعار الذي يرفعه حالياً الخبراء بالصحة آملين وقايتنا من مرض القلب والبدانة والسرطان. وقد يكون هذا الشعار مفهوماً لديهم لكنه يثير لدينا نحن الآخرين ارتباكاً.

اذا استبدت بك رغبة في معرفة نسبة السعرات الحرارية (كالوري) المستمدَّة من الدهن في عشائك، فستحتاجين الى آلة حاسبة وميزان وكتيّب عن مقومات أنواع الطعام ودفتر للحساب ووقت كثير. ويتعين عليك، أولاً، أن تقدري عدد السعرات وغرامات الدهن في الحصة الواحدة، ثم تضربي عدد غرامات الدهن في تسعة (عدد السعرات في كل غرام) وتقسمي الحاصل على عدد السعرات التي تحويها الحصة الواحدة وتضربي النتيجة في مئة.

ويمكنك، في المقابل، أن تطوي صفحة الارقام وجدولي الضرب والقسمة وتكتفي باتباع الارشادات السبعة الآتية. فاذا

CONDENSED FROM IN HEALTH (NOVEMBER/DECEMBER '90), © 1990 BY HIPPOCRATES PARTNERS, SAUSALITO, CALIF. ILLUSTRATIONS: PAT DYPOLD

أوليت معظمها وقتك استطعت ابقاء نسبة سعراتك الحرارية الدهنية دون الـ٣٠ في المئة.

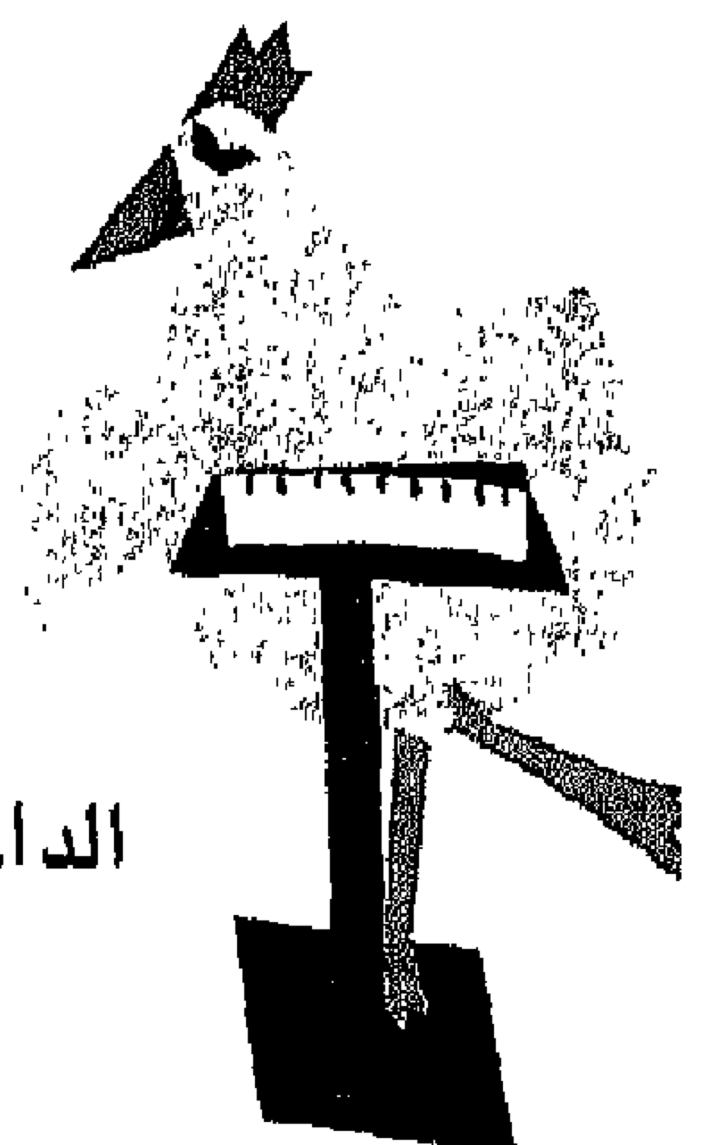
١. قلّلي من اللحم واشتري منه الهبر فقط.

في امكانك تخفيف غذائك بتناول حصص أصغر من اللحوم. ان حصة معقولة من الدجاج هي عادة نصف صدر (القطعة التي تعتقد غالبيتنا أنها صدر كامل) أو فخذ واحدة.

اذا اشتريت شريحة مكتنزة من اللحم، قطعيها حصصاً الواحدة بحجم راحة اليد. ان الوجبة التي تتألف من ٢٨٠ غراماً من اللحم مع رز وبازيلاء وسلطة خالية من التوابل، تحتوي على ٨٠٠ سعرة حرارية منها ٣٤ في المئة دهناً. فاذا خفضت حصة اللحم الى ٨٥ غراما مقلية مع بازيلاء خضراء، تكونين قد أزلت ٤٢٤ سعرة، وتتدنى نسبة الدهن الى ٢٣ في المئة.

احرصي على الا تتعدى كمية اللحم في غذائك اليومي مقدار ١٧٠ غراماً.

اختاري الشرائح القليلة الدهن، وهي متوافرة في لحم البقر والعجل والحمل، كذلك لحم الطيور الداجنة اذ يصير قليل الدهن حين يجرد من الجلد.



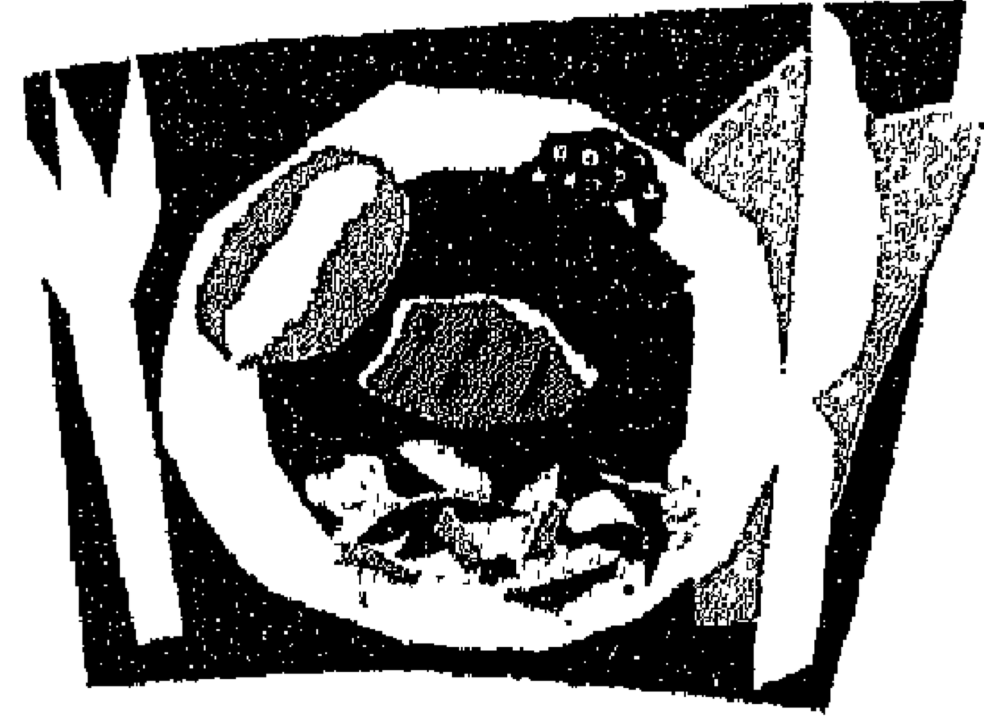
أخيراً، اقشدي الدهن عن الطعام حيثما وجدته. فبمجرد ازالة الجلد عن صدر دجاج تنخفض السعرات الحرارية الدهنية من ٣٦ الى ١٩ في المئة. وقبل تحضير صلصة مرق اللحم من المتقطّر منه، اقشدي عنه الشحم. وحين تضعين الحساء أو المرق في الثلاجة انتظري حتى يكتنز الدهن على صفحته ثم اقشديه.

٢. أضيفي مزيداً من الحبوب والخضر والفاكهة الى وجباتك.

لا داعي الى تطبيق قاعدة الـ٣٠ في المئة على كل لقمة. فشريحة لحم البقر تحتوي على ٤٤ في المئة من السعرات الحرارية الدهنية. ولكن يمكنك خفض النسبة الاجمالية في وجبة طعام قوامها اللحم باضافة أطعمة مثل البطاطا المشوية والقنبيط والجزر والملفوف والحمّص والسلطة والفليفلة. أما اذا أغرقت السلطة بالتوابل، والبطاطا بالقشدة، والقنبيط بالزبدة المذابة، فقد ترتفع نسبة السعرات الحرارية الدهنية الى ٤٠ في المئة. ويمكن ان تتدنى النسبة من دون هذه الاضافات الى أقل من ٢٠ في المئة.

٣. انتقي أجباناً وألباناً خفيضة الدسم.

اشربي الحليب واللبن المقشودين أو القليلي الدسم. فالحليب الذي يحتوي على اثنين في المئة دَسَماً، تكون ٣٥ في



المئة من سعراته الحرارية دهناً، بينما ترتفع هذه النسبة في الحليب الكامل الدسم الى نحو ٥٠ في المئة. أما اذا حوى فطورك حليباً فيه واحد في المئة من الدسم، فان نسبة الوحدات الحرارية الدهنية تنخفض من ٣٠ الى ١١ في المئة، الامر الذي يتيح لك تناول شطيرة همبرغر وقت الغداء.

لا تفرطي في تناول الاجبان، فهي تحوي غالباً نسباً من الدهن أكثر مما في اللحوم. حتى الاصناف المصنوعة من حليب مقشود مثل الـ"موتساريـلا" والـ"ريكوتا" تصنف غنية بالدهن.

٤. دققي في نسبة الدهن في الاطعمة الجاهزة.

لا تركُني الى المواصفات المدوّنة على ملصقات الاطعمة الجاهزة مثل "خال من الكولسترول" وغيرها. فذلك لا يعني دائما أن الطعام يحتوي على نسبة قليلة من الدهن.

كذلك، لا تعني عبارة "دهن قليل" على ملصقات اللحوم المعلّبة شيئاً سوى أن الصنف يحتوي على نسبة ٢٥ في المئة من الدهن أقل مما يحويه عادة، فقد تحتوي شطيرة نقانق "قليلة الدهن" على ٦٠ في المئة من السعرات الحرارية دهناً، بالمقارنة مع النقانق العادية التي تحوي ٨٠ في المئة سعرات دهنية.

دققي في عدد غرامات الدهن في الوجبات الجاهزة المجلدة ذات الاسماء الموحية أنها خالية من الدهن أو قليلة الدهن، لأن بعضها ليس كذلك.

ولكي تحددي عدد غرامات الدهن الذي يجوز لك استهلاكه يومياً، احسبي عدد السعرات الحرارية التي تستهلكينها يوميا على وجه التقريب، وأسقطي منها الصفر الاخير، ثم اقسمي الحاصل على ثلاثة. يتعين، مثلاً، على المرأة العادية التي تستهلك ١٦٠٠ سعرة حرارية في اليوم، تحديد ما تتناوله من الدهن بما بين ٥٠ و٥٥ غراماً (١٦٠ مقسومة على ٣). وعلى الرجل الكثير الجلوس الذي يجب ألا يستهلك أكثر من ٢٠٠٠ وحدة حرارية في اليوم، التزام حدود ٦٧ غراماً من الدهن. لا تنسي التدقيق واعادة التدقيق في مقدار غرامات الدهن المذكورة على ملصقات الاطعمة.

اذا رغبت في تناول غداء خفيف من الحساء والسلطة، اجتنبي حساء دسماً من الدجاج مع الفطر (فيه ٢٤ غراما من الدهن) والسلطة المتبّلة بالزبدة والمايونيز (تحتوي على ٢١ غراما من الدهن). ثمة خيار أفضل يشتمل على حساء البندورة (٣ غرامات من الدهن) وسلطة بالخل وسعة ملعقة صغيرة من زيت الزيتون (تحتوي على ٤،٥ غرامات

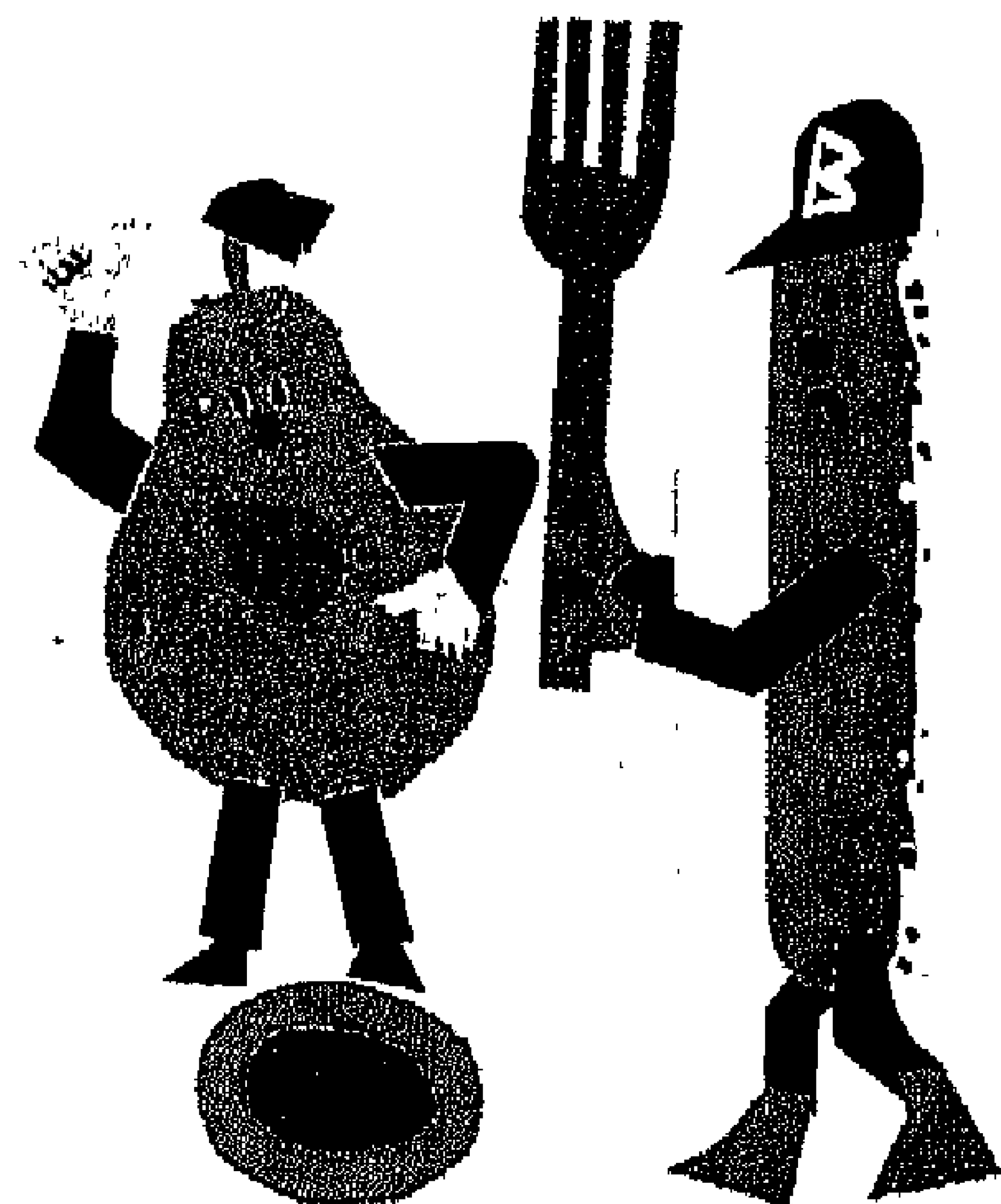
من الدهن) أو توابل خالية من الدهن معبأة في زجاجات.

٥. احرصي على أن تكون وجباتك المفضلة خفيفة.

يتناول معظم الناس وجباتهم المفضّلة اياها أسبوعاً بعد أسبوع. اذا كنت تفضلين اللحم الاحمر، ففي وسعك اضافة وجبة سمك أو وجبة نباتية (مثل حساء الفاصوليا أو طبق معكرونة) الى برنامجك الاسبوعي.

استخدمي بدائل قليلة الدهن في وجباتك المطهوة، مثل الحليب المركز الخالي من الدسم بدل القشدة الغنية، واللبن الخالي من الدهن بدل القشدة الرائبة. ويمكن خفض كمية الزيت المستخدمة في كثير من الاطعمة بمقدار النصف أو أكثر.

وأخيراً، تجنبي القلي. اشوي، حمِّصي، اغلي، اسلقي، استخدمي فرن الميكروويف.[١] وبدلا من تطرية اللحم بالزبدة أو السمن أو الدهن، استخدمي مرقاً خاليا من الدهن أو عصير فواكه.



٦. دققي في أنواع الطعام المقدم خارج المنزل.

يكون الطبق الرئيسي في وجبات معظم المطاعم الحصة الاكبر حجما والاغنى دهنا. فاقتسميه مع صديقتك أو اطلبي نصف حصة أو استعيضي عنه بمقبِّلات وحساء وسلطة.

نقبي في قائمة الطعام عن كلمات "مشوي" و"محمَّص" و"مسلوق." ولا تترددي في طلب الطعام مطهوا بقليل من الشحم أو من دون شحم. دعي جانبا الأطعمة المحضَّرة بالزبدة والقشدة وصفار البيض والخبز والجبن المبروش (غراتان) أكانت مقلية أم لا. فالقريدس المقلي مع شرائح الخبز المشبعة بالزبدة، مثلا، يحتوي على ٤٦ في المئة من السعرات الحرارية دهنا، بينما لا يحتوي القريدس المشوي على سوى عشرة في المئة.

يجب أن تكون الاطباق الجانبية خالية من الدهن ما أمكن. ومن أجل تفادي الخضر المغمَّسة بالزيت، اطلبي توابل السلطة على حدة. واذا وضعت أمامك سلة خبز شهيّ، فتجاهلي الزبدة المقدمة معها.

في مطاعم الوجبات السريعة، انتقي أطعمة بسيطة. ان شطيرة همبرغر مع

(١) Microwave اي فرن الموجة الصغرى.

علبة بطاطا من الحجم العادي تحتويان على نسبة ٤٠ في المئة من السعرات الحرارية الدهنية. وترتفع هذه النسبة الى ٥٠ في المئة في الشطيرة الكبيرة. اطلبي مكمّلات من الخس والبندورة (الطماطم) بدل الجبن والخردل، والكاتشاب بدلا من المايونيز.

٧. لا تقلقي اذا انغمست أحياناً في مآكل غنية وشهية.

قد تكون المناسبة عشاء تقليديا يلم شمل العائلة مرة كل سنة ويشمل ديكاً رومياً مع صلصة من مرق اللحم وبطاطا مهروسة مع الزبدة وحلوى بالقشدة، وفيها ٤٠ في المئة من السعرات الحرارية دهناً. وقد تكون المناسبة غداء تقيمه الشركة التي تعملين فيها ويتضمن لحما مشويا (باربكيو) وبطاطا وسلطة وجيلاتي (آيس كريم)، وفيها أكثر من ٦٥ في المئة من السعرات الحرارية دهناً.

ما دمت لا تحتفلين بالمناسبات يوميا فلا ضرر من هذه المآكل الشهية. صحيح أن الخبراء ينصحون باستهلاك أقل من عشرة في المئة من السعرات الحرارية من الدهن المشبع[٢] المتوافر بكثرة في الآيس كريم ولحم الضلوع، ولكن اذا حافظت على مجموع الوحدات الحرارية الدهنية دون مستوى الـ٣٠ في المئة، فستكونين أقرب الى مستوى العشرة في المئة المحددة للدهن المشبع أيضاً.

باتريشا لونغ ■

(٢) Saturated Fat

زوجة ضائعة

حجز زوجي على الهاتف غرفة مزدوجة تطل على مناظر طبيعية، لكننا فوجئنا لدى وصولنا الى الفندق بغرفة مفردة لا تطل على شيء. فابلغ زوجي الامر الى مكتب الاستقبال، ثم غادر الفندق لحضور مؤتمر.

خلال غيابه نُقلتُ الى غرفة جديدة. ولدى عودته قيل له ان جهاز الكمبيوتر قد تعطل وعليه الانتظار لمعرفة رقم الغرفة التي نقلت اليها. لكنه تذكر كلاماً سمعه مصادفة، فركب المصعد الى الطبقة السابعة عشرة وقرع باب الغرفة ١٧١١ من دون تردد.

فتحت الباب لاجده واقفاً يبتسم. قال: "الكمبيوتر معطل ولا أحد يعرف أين انت."

سالته: "وكيف عثرت علي اذا؟"

اجاب: "سمعت حمالا يخبر زميله ساخراً انه نقل امتعة امراة من غرفة الى أخرى وأن زوجها لن يعثر عليها أبداً في الغرفة ١٧١١."

د.ل.

عندما تحصل على شيء من دون مقابل، فاغلب الظن انك لم تتلقَّ الفاتورة بعد.

ف.ج.



"ليت الشباب..."

■ اقام ابني حفلة لاصدقائه، وكنت ترددت كثيراً قبل السماح له بدعوة مراهقين الى منزلنا. لكني دهشت لحسن تصرفهم ولياقتهم وإطرائهم نشاطي ومظهر شبابي (عمري ٣٤ عاماً).
وبعد انتهاء الحفلة اعربت لابني عن سروري بأصدقائه وحسن سلوكهم واطرائهم اياي. فتبسم وسألني ان كنت شعرت بانني عدت مراهقة.
فاجبته: "نعم، ويا لهذا الشعور الرائع!"
فقال: "اني سعيد جداً بذلك. بالمناسبة، لقد اخبرت الجميع انك في الرابعة والخمسين من عمرك."

ك.ت.

الارادة الجبارة

■ حين عملت مديراً لأحد المتاجر طلبت موظفاً يقوم بالاعمال الشاقة. فتقدم للوظيفة شاب ضعيف البنية لم اقبله، وشرحت له السبب، فقال لي: "إنني في حاجة ماسة الى هذا العمل. وانا واثق بانني ساعوض، بارادتي القوية، ما ينقصني من قوة بدنية."
فوظفته. ولم اندم على ذلك ابداً، لأنه بعد بضعة اشهر اصبح احد افضل الباعة في المؤسسة.

هـ.م.

عادات الامهات

■ بعد رحلة طويلة مضنية لزيارة والدتها، اوت صديقتي الى فراشها باكراً. وراحت تقرا حتى ساعة متقدمة من الليل.
واذا بوالدتها تقرع الباب قائلة: "حان لك التوقف عن القراءة، فنحن في منتصف الليل."
فردت صديقتي على والدتها البالغة من العمر ٩٧ عاماً: "يا امي العزيزة، لي من العمر ٦٢ عاماً، وقد بت راشدة ويجوز لي السهر الى ما اشاء!"

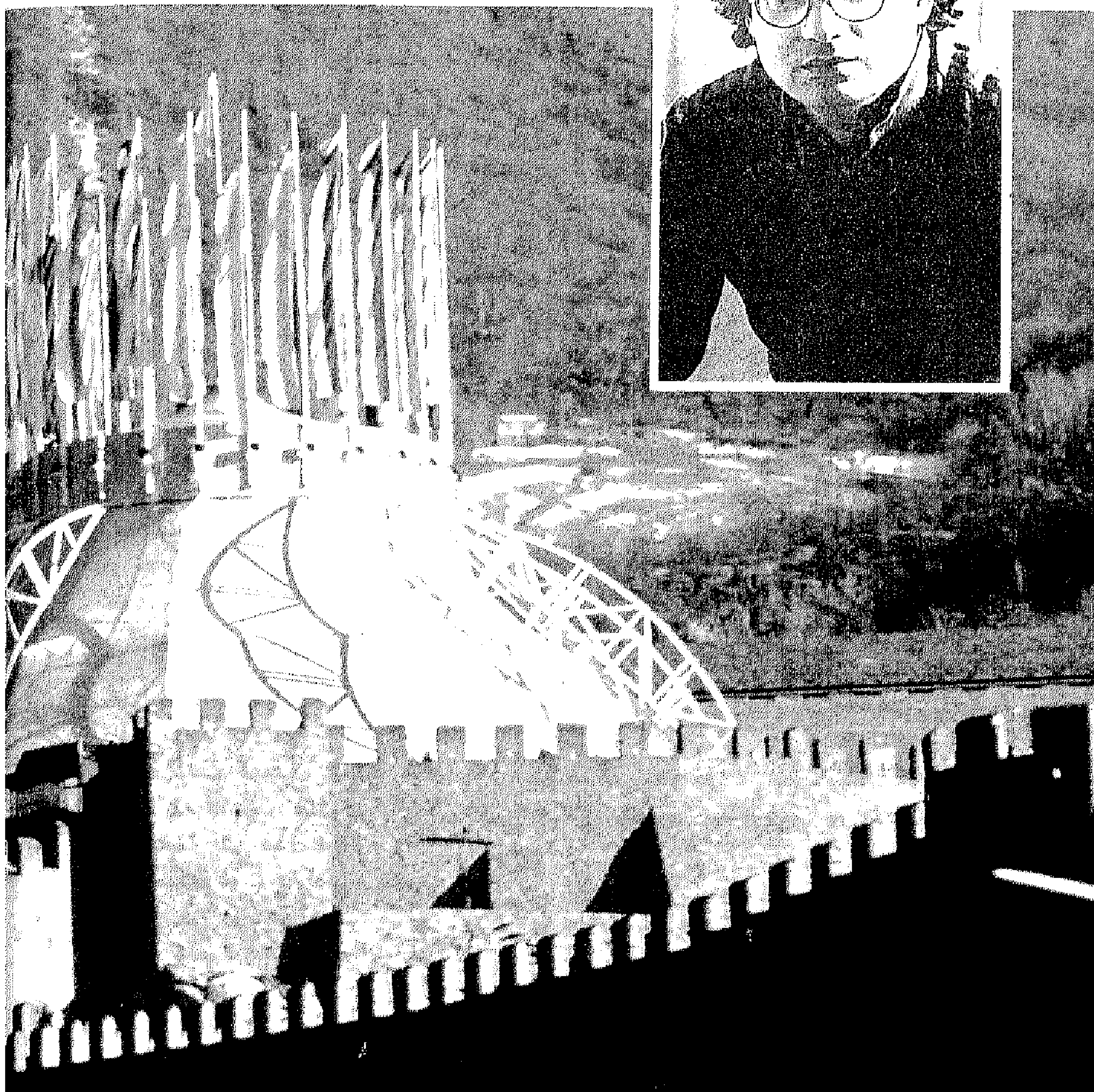
ر.م.

كهرباء تحت الطلب

■ ذات يوم بعيد انتقالنا الى بلدة صغيرة طرق بابنا عامل من شركة الكهرباء لابلاغنا أن التيار سيقطع لفترة ساعة. فهتفت: "اوه، لقد وضعت اربعة ارغفة في الفرن قبل لحظات!"
فسالني العامل كم يستغرق خبزها. ثم قال: "حسنا، ساجري بعض الاصلاحات في الناحية الاخرى من البلدة، ثم اعود."
لكن التيار لم ينقطع في ذلك اليوم ولا في اليوم التالي. وبعد بضعة ايام جاءني العامل ذاته سائلا: "هل تخبزين اليوم يا سيدتي؟"

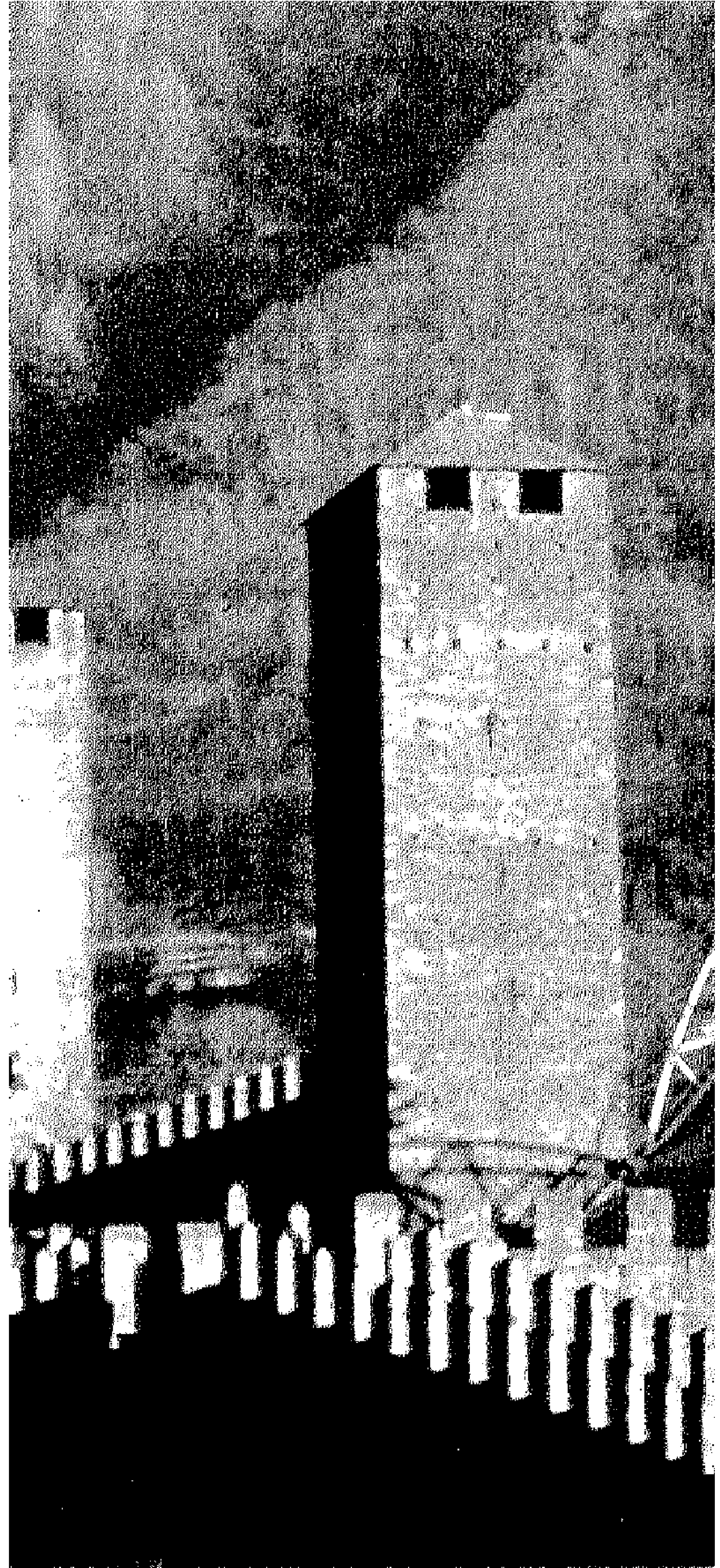
ل.ت.

ماريو بوتا



خيمة الاحتفالات بالذكرى المئوية السابعة لقيام سويسرا.

المعماري الجريء



تصاميمه ابداعية صارخة
ومبانيه كأنها من بنات الاساطير

تتميز احتفالات هذه السنة بالذكرى المئوية السابعة لتأسيس سويسرا بمركز رمزي هو خيمة فضية اللون فريدة الشكل صممها ماريو بوتا، تجول على سبع مدن سويسرية لاستضافة الوقائع الاحتفالية. ويبدو هذا الهيكل الذي يبلغ ارتفاعه ١٨ متراً وعرضه ٤٤ متراً بزواياه الثلاث عشرة مثل تاج عملاق أو قصر من قصور الاساطير. ويقول فيه ماركو سولاري عضو المجلس الاتحادي المسؤول عن الاحتفالات: "انه نتاج عبقري."

ولدت فكرة الخيمة بعد ظهر يوم من سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩ اذ التقى سولاري مصادفة صديقه بوتا على شاطىء بحيرة جنيف، وسأله أمراً "يبدو مشكلة مستعصية. فالمجلس لا يريد اقامة احتفالات ضخمة مكلفة، بل سلسلة من العروض التاريخية والثقافية القيِّمة في مناطق مختلفة، وهو لا يملك المال لاقامة مبان جديدة." ومع ذلك كان سولاري

PHOTOS: (SPREAD) KEYCOLOR; (INSET) KEYSTONE PINO MUSI



الـ"ميدياتيك" (بيت الإعلام) في فيلوربان بفرنسا مثل صارخ على تلاعب ماريو بوتا بالاشكال الهندسية.

يرى أن المناسبة تستدعي موقع احتفالات مميزاً.

وعده بوتا بأن ينظر في الامر. وبعد ثلاثة أيام سلمه التصاميم الاولية لخيمة الاحتفالات.

يقول بوتا: "كان تصميم الخيمة سهلا، فقد أردت استحداث مكان يستطيع الناس الالتقاء فيه للاحتفال بماضيهم السعيد." ويضيف بابتسامة ماكرة: "أردت أيضاً أن أذهلهم قليلا بجعل الخيمة كأنها سقطت من القمر."

وتتميز خيمة بوتا عن غيرها من الخيم العادية بأنها هيكل ثابت. وبدل أن يستخدم الصواري التي تقوم عليها خيمة السيرك عادة، استعان بـ١٢ دعامة من أنابيب الفولاذ ثبتت في الارض وارتفعت لتحتضن سقفاً تاجي الشكل تمسك بجنباته حبال مزركشة. ويلاحظ بوتا متأملا: "ولكن عندما نصبت الخيمة في فناء "كاستيل غراندي"، القلعة القديمة الهائلة في بلينزونا، بدت موقتة بالفعل، ودفعت الزوار الى القاء نظرة جديدة على

قلعتهم الصامدة التي بنيت لتخلد." وهو راض، لان تحفته الجديدة تجعل الناس أيضاً يعيدون تقويم مبان قائمة حاليا في برن ولوزان وبرونين وسيلزماريا وجنيف وبال وهي المدن السويسرية الاخرى حيث سترتفع الخيمة.

والواقع أن التصاميم المذهلة الخارجة على المألوف جعلت من بوتا أشهر مهندس عمارة في سويسرا. وهو اختير عضوا فخريا في "المعهد الامريكي للمهندسين المعماريين" وصنوه في ألمانيا. وفي ١٩٨٦ أقام متحف نيويورك للفن الحديث عرضا لصور فوتوغرافية ورسوم وخرائط للمباني التي شادها بوتا. ولحظ الكتيب الذي أعد للمعرض أن "أعمال ماريو بوتا أدت دورا أساسيا في اعادة الحياة الى فن العمارة الحديث،" مشيدا بمبانيه الجميلة وأشكالها الهندسية الرائعة.

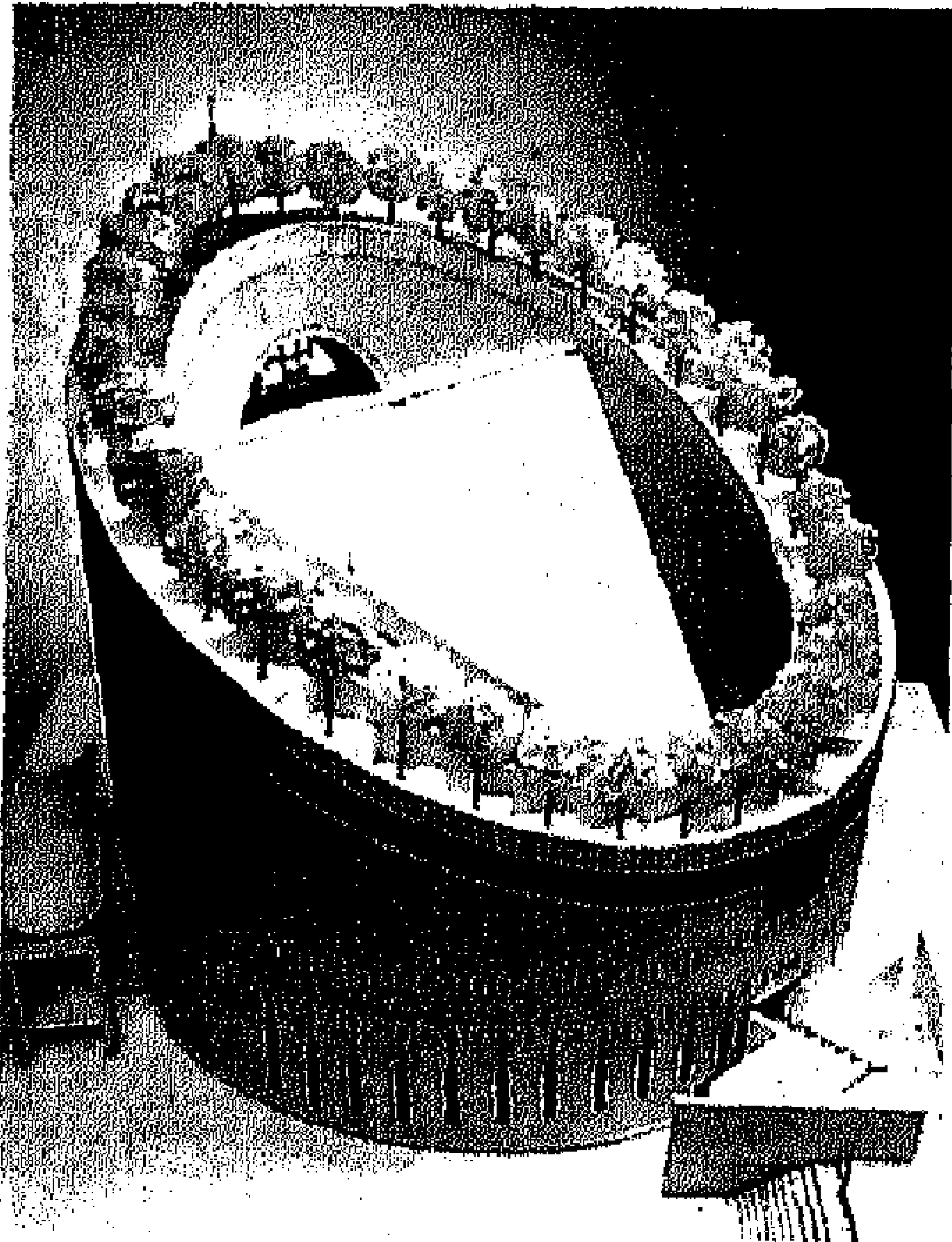
"يا لقوّتي!" ولد بوتا في أول ابريل (نيسان) ١٩٤٣ في مندريسيو بمنطقة تيتشينو، وأمضى طفولته في قرية جنستريريو. ترك والده المنزل وهو في السابعة من عمره، ويقول بوتا عن والدته: "كانت امرأة شجاعة ذات ايمان راسخ. علمتني قيمة العمل لمصلحة الجماعة، وجعلتني أدرك أن العلاقة الوثيقة بالطبيعة هي سر الرضى."

كان ماريو يصمم بيوتا في وقت كان رفاقه يلعبون كرة القدم. وترك المدرسة وهو في السادسة عشرة ليتعلم الصنعة في مكتب تيتا كارلوني ولويجي كامينيش للهندسة في لوغانو. وبعد بضعة أشهر أحس أنه بات يملك الخبرة الكافية لبناء منزل. وأتاح له هذه الفرصة قريبُهُ غيدو كريفيلي الذي طلب منه تصميم منزل له في قرية جبلية في موربيو سوبريوري على مسافة ٢٠ كيلومترا جنوبا من لوغانو. وقال له هذا: "انت لا تزال ولدا، لكنني أرى أنك تعلمت مهنتك. ومع أن أصدقائي يعتقدون انني أرتكب خطأ كبيرا، فسأعهد اليك في بناء منزلي."

ولم يضع ماريو وقتا.

يقول بشيء من التعجب: "رأيت الجدران ترتفع حيث كانت الحشائش تغطي الارض قبل أيام. البيت الذي كنت أشيده أجبر العشب على التراجع. كنت مأخوذا. يا لقوتي!"

سر قريبه بالمنزل بعدما أنجز بناؤه، وعاش فيه بقية حياته.



نموذج صرح ايفري في فرنسا.



منظر خارجي وآخر داخلي لمنزل في بريغانزونا بسويسرا. وفي اعلى اليسار احد تصاميم بوتا للمفروشات: كنبة "لا كوارتا."

بعد ثلاث سنوات من العمل مع كارلوني انتقل ماريو عام ١٩٦٢ الى ميلانو للتحضير لشهادة البكالوريا التي تؤهله للالتحاق بكلية الهندسة المعمارية في جامعة البندقية. وفي البندقية وظفه اثنان من كبار المعماريين في العالم هما لو كوربوزييه ولوي كان، وكل منهما يتولى تنفيذ مشروع هناك. فصرف ماريو سنته الاولى في المدينة مع لو كوربوزييه في بناء مستشفى البندقية، ثم مع كان في بناء مقر المؤتمرات.

تزوج بوتا عام ١٩٦٨ ماريا ديلا كازا التي كان التقاها في قطار قبل ست سنوات. وبعد سنة تخرج في كلية الهندسة المعمارية وافتتح مكتباً في لوغانو. وراح يشترك في مباريات هندسية مدفوعاً بطموح متفجر الى الانطلاق في مشاريع البناء، لكن الجوائز كانت تذهب الى آخرين قدموا تصاميم معمارية ذات مواصفات تقليدية أكثر من تصاميمه. ويستعيد بوتا تلك الايام القاسية: "ان عزيمة ماريا مكنتني من الاستمرار."

PHOTOS: (HOUSE) PINO MUSI; (CHAIR) ALDO BALLO

شهرة مفاجئة. في العام ١٩٧٢، اتصل به صديقه كارلو بيانكي قائلا: "انا وزوجتي لا نملك مالا كثيرا، لكننا نرغب في امتلاك منزل. هل يمكنك تصميم بيت لنا يمنحنا وأولادنا الثلاثة خصوصية وقربى ويبقي التكاليف مخفوضة؟"

باشر بوتا العمل فوراً. وهو يتذكر: "حرصت جداً على مراعاة عاداتهم اليومية وأنا أضع التصاميم الاولية، وكان هدفي بناء منزل يكونون فيه سعداء." وبعدما أنجز بناء المنزل ظهرت صورة له في مجلة مرموقة تعنى بشؤون العمارة، وذاعت شهرة بوتا عالمياً بين ليلة وضحاها.

يقوم المبنى في قرية ريفا سان فيتالي على موقع منحدر يواجه بحيرة لوغانو. ويتألف من برج ذي اطار مكعب يرتكز على أعمدة من الاسمنت. مدخله في الطبقة العليا عبر جسر طويل فولاذي أحمر. وخلافاً للشكل الخارجي الضخم، يتألف الداخل من ممرات كثيرة ويوحي دفئاً وألفة. يقول بيانكي: "اننا نعيش في بيت ذي أربع طبقات تحوطها شرفات واسعة مفتوحة. لقد منحنا ماريو ما نرغب فيه تماماً."

أغرقت الشهرة الجديدة بوتا في طوفان من العقود لمشاريع كبيرة. ففي منتصف السبعينات صمم مكتبة تحت الارض في فناء دير في لوغانو يرقى الى القرن السابع عشر. ويوضح جيوفاني بوتزي: "لقد رغبنا في أن نضع في تصرف الجمهور كتبنا المئة ألف التي كانت مخزنة في الطبقة العليا. لكننا لم نشأ أن نخلَّ بتناسق الفن المعماري القديم. ان تصاميم بوتا الواسعة الخيال جعلت الامر ممكناً."

يواجه الزائر الذي يدخل ردهة مكتبة الدير عبر جناحه الغربي الموسَّع عالماً من الصفاء والسكون. ويطل من شرفة واسعة على قاعة للمطالعة من طبقتين مجهزة بمقاعد وطاولات سود. وتنعكس أشعة الشمس المتدفقة من منور واسع على الجدران البيض مانحة احساساً مؤثراً.

منازل حميمة. اشترك بوتا عام ١٩٨٢ في مباراة أعلنت عنها مدينة شامبري الفرنسية التي شيدت في القرون الوسطى، لبناء مركز ثقافي داخل ثكنة ضخمة رباعية الشكل بنيت في عهد نابوليون. وفاز بالجائزة الاولى لتصميمه الذي دمج مسرحاً يضم ٩٥٠ مقعداً وصالة سينما صغيرة ضمن الهيكل القائم. ويقول بوتا مبتسماً: "كانت عملية مزج عناصر متنافرة جدا لصنع وحدة متكاملة سببا اضافيا حفزني على قبول التحدي."

افتتح المسرح النصف الدائري عام ١٩٨٧. وهو بارتفاع ثلاث طبقات سكنية، ويترك لدى الناظر اليه من الخارج انطباعاً بأنه قلعة من القرون الوسطى اقتُلعت أجزاء من جدرانها بطريقة "غامضة" ليظهر خلفها صف من النوافذ المصنوعة من الفولاذ والزجاج. وتقول

دومينيك جامبون مديرة المركز: "ان مواطنينا فخورون جداً بهذا المبنى العام الحديث، وهو الاول والوحيد في المدينة."

في هذه الاثناء، استمر بوتا في تصميم المنازل، ومنها واحد أثار عاصفة من المعارضة. ففي ربيع ١٩٨٣ طلب الزوجان ليونيلو وصونيا جينيني من بوتا بناء منزل لهما في بريغانزونا خارج لوغانو. وهما ابتهجا بتصميم المنزل الذي يماثل شكل حرف اللام باللاتينية (L) والقائم على قاعدة مربعة، مثل قلعة مشرفة على منظر طبيعي ومفتوحة كصدفة. كذلك أُعجبا بوسطه الذي ضم شرفات وبالمنور الذي بدا على شكل أسطوانة مقسومة جزءين. كان التصميم مبتكراً ومدهشاً الى حد أنه ظهر على غلاف الكتيِّب المخصص لمعرض بوتا في متحف نيويورك للفن الحديث. لكن أحد الجيران رفض الموافقة على المشروع عند تقديم التصميم الى لجنة الاهالي للموافقة عليه، بحجة أن المنزل كبير الى حد غير مقبول ولا يتلاءم والمحيط. وتبنت السلطات المحلية هذا الرأي. في تلك الاثناء أعدَّ بوتا تصميما معدلا. وتلا ذلك معركة قانونية انتهت عام ١٩٨٨ بموافقة المحكمة السويسرية العليا على السماح للزوجين ببناء منزلهما وفق التصميم الجديد.

تقول صونيا جينيني: "لقد تحسنت نوعية حياتنا كثيراً منذ انتقلنا الى هنا. ان منزلنا الرائع يمنحنا رضى تاما." فباستثناء غرفتي نوم مستقلتين، ليس فيه سوى مساحات مفتوحة بكل الاشكال المختلفة التي يمكن تخيلها. وهو يطل على مناظر للجبال والبحيرة تحبس الانفاس. وتضيف السيدة جينيني: "ان بساطة البيت وتناسقه واتساعه تعكس كلها خصائص تفكير ماريو."

يقول بوتا: "يجب أن يكون هناك حوار مستمر بين المنزل وساكنيه." ويضيف ضاحكاً من الاعماق: "لهذا لا يمكنني أن أعيش في منزل من تصميمي، فالمرء لا يمكن أن يقيم حواراً مع نفسه."

ويعيش بوتا وزوجته في دير سابق في موربيو سوبريور مع أولادهما الثلاثة جوديتا (٢٠ عاماً) وتوبيا (١٦ عاما) وتوماسو (١٤ عاما). وبيتهم المكون من عشرين غرفة مفروش ببساطة عملية، وفيه مقاعد ومناضد ومصابيح من تصميم ماريو.

مهندس طيّار. ماريو الديناميكي هو الآن في الثامنة والاربعين من عمره وفي ذروة حياته المهنية. وهو غارق دائماً في عقود من كل أطراف العالم. وفيما كنت أحادثه في مكتبه في لوغانو، اتصل به رجل أعمال كوري يسأله اذا كان في امكانه التوجه الى سيول لمناقشة تصميم مبنى تجاري، فأجابه بوتا موافقاً. وهو يذهب الى سان فرنسيسكو مراراً كل سنة لمعالجة تفاصيل تتعلق بمتحف الفن الحديث الذي يعتزم بناءه في تلك المدينة. وهو أنجز في سبتمبر (أيلول)

١٩٩٠ مبنى متحف "واتاري" للفن الحديث في طوكيو، الذي تطلّب التعرف الى قوانين البناء اليابانية الصارمة ونُظُم الوقاية من الهزات الارضية. وهو يقول: "أعددت ألوف التصاميم الاولية قبل أن أتوصل الى الشكل المناسب لذلك المبنى." أما أشهر مجلات اليابان لفن العمارة "ايكون" فكتبت: "يمتاز متحف واتاري الذي صممه بوتا بأنه مثال على المثابرة التي نجحت في المحافظة على كمال تصميم رائع."

ويقر المهندس المعماري وعيناه السوداوان تتقدان حماسة: "لدي دافع لا يقاوم للتعبير عن نفسي. قلمي هو لغتي، ومن حسن حظي أنها لغة عالمية. عندما تخطر لي فكرة اسارع الى ترجمتها على الورق ولا أستريح قبل أن تتخذ شكلها النهائي."

يصل بوتا الى مكتبه في الثامنة صباحاً، ونادراً ما يغادره قبل الثامنة مساء. وهو يغتنم ساعات الطيران الطويلة في رحلاته ليستنبط افكارا جديدة لتصاميم مفروشات أو مصابيح، ثم يوزع الأوراق التي تحمل أفكاره الاولية على مساعديه العشرين طالبا وضع تصاميم مفصّلة لها. ويقول موريتسيو بيلي: "لدى تقديمنا عملنا اليه، يبدو الامر كأنه امتحان عسير. وهو قد يسحق أحدنا بالسؤال: أهذا حقاً أفضل ما تستطيعه؟ ثم يعود بعد دقائق ودوداً ومشجعاً."

بوتا منشغل الآن بكاتدرائية صممها لبلدة ايفري الصناعية الفرنسية على مسافة ٣٠ كيلومتراً من باريس. وهي الاولى تبنى في فرنسا منذ ١٨٥٢، وقد وضع الحجر الاساس في مارس (آذار) ١٩٩١.

في الليالي المقمرة يحلو لبوتا أن يتجول في حديقته متأملاً. ويقول: "على الانسان أن يواجه ذلك الفضاء المترامي، وأن يكتشف في نفسه ثانية ذلك الطفل المحدق بدهشة الى معجزات العالم المحيط بنا. اننا جميعا في حاجة الى أن نحلم. هكذا تتشكل الافكار..."

ليلي فولدز ■



ترتيب لا ينفع

اعتادت ابنتي أن تترك حذاءها حيث تخلعه: تحت السرير او تحت المقعد او تحت طاولة الطعام، فأضعه أنا في خزانة الاحذية.

وذات صباح سمعت زعقتها: "أين حذائي يا أمي؟"

فسألتها: "هل بحثت عنه في خزانة الاحذية؟"

صمتت برهة ثم عاد الي صوتها: "كيف تتوقعين مني أن أجده ما دمت تصرين على وضعه في مكانه؟"

ف.ج.



قطاف جوز الهند

القرود تبز الرجال في القطاف وتجني من المال أكثر مما يجنون

في قرية بيلادو الصغيرة الواقعة على الساحل الشرقي لشبه جزيرة ملقة[1] في الشرق الاقصى، وقف رجلان وراحا يناديان قروداً اعتلت رؤوس أشجار جوز الهند. ثم ثار أحد الرجلين وصاح بقرد غاضباً: "ما نفع يديك هاتين؟" ولم يلبث أن لان وراح يناشده: "هيا، كن قرداً لطيفاً واقطف الجوزة."

وصرخ الرجل الثاني بقرد آخر: "انظر إليّ! هيا انظر إليّ." وأمسك برأسه وراح يلويه يمنة ويسرة ممثلاً للقرد ما يريد منه. ولما ازرقّت أذنا الرجل حدق اليه القرد وصفّق بيديه فرحاً مقرراً التعاون، ثم قطف جوزة هند ورماها الى معلمه.

يقدّر محصول جوز الهند في ماليزيا بنحو ١٢٥ مليون ثمرة سنوياً. وعلى مر القرون تولّى ماليزيّو الساحل الشرقي القطاف بأنفسهم متسلقين بجهد جذوع

---

(١) Malay Peninsula. وهي تضم ماليزيا وسنغافورة وجزءاً من تايلند.

الاشجار السامقة المترجحة وصولا الى الثمار. أما اليوم فقد حلّت قرود المكّاك[٢] الكبيرة المحمرّة اللون محل كثيرين. وبرهنت هذه القرود المستوطنة غابات جنوب شرق آسيا المطيرة أنها قوة عاملة أكثر فاعلية من الانسان. ويبلغ طول الذكر منها نحو ٦٠ سنتيمتراً من الرأس حتى الردفين، ويزن نحو ١٣،٥ كيلوغراماً.

تُربط هذه القرود عند القطاف الى "معلميها" البشر بواسطة حبال طويلة رفيعة. والقرد النشط قادر على قطف ما بين ٣٠٠ و٤٠٠ ثمرة قبل اشتداد حرارة شمس الظهيرة. ولما كانت مواسم القطاف الناجحة تعزز الاقتصاد الريفيّ، فقد أولى القرويون هذه الثدييات الرشيقة الذكية اهتماماً كبيراً.

بزغ الفجر في بيلادو، كما في غيرها من قرى ولاية تيرينغانو، على زقزقة عصافير المربوك السجينة في الأقفاص. وتراكض الأولاد والماعز والدجاج خارج منزل طاهر بن امبونغ في منطقة تعج بالشجيرات والاكواخ.

طاهر والقرد. بدأ طاهر العمل في السادسة والنصف صباحاً بعد صلاة الفجر. وكان أمضى ٣٤ سنة من الشراكة الناجحة مع القردة. وإذ وقف على عتبة كوخه يسوّي عقدة السارنغ[٣] على خصره، راح سكان القرية يتهامسون: "طاهر بروك، طاهر بروك." وكلمة "بروك" في اللغة الماليزية تعني قرد المكّاك، وهو لقب ينمّ عن احترام. فطاهر رائد في تدريب القردة ويملك القرد "بيتوك" أحد أشرس القردة وأنشطها قطافاً في المنطقة. لكن بيتوك متكدر المزاج اليوم، فاختار طاهر "هيثم" وهو قرد أصغر سناً قُيِّد بحبل الى عمود يعلو خمسة أمتار قرب المنزل. استكان هيثم فيما طاهر يطوقه برسن العمل. ثم امتطيا معاً دراجة جلس هيثم على مقودها، وانطلقا الى أيكة جوز هند تبعد بضعة كيلومترات.

وكان طاهر عقد اتفاقاً مع احدى الكامبونغات[٤] يتيح له قطف ٣٠ نخلة جوز هند منتشرة بين الأكواخ. وعندما وصل الى القرية نظر الى العناقيد المتدلية على علو ١٢ متراً. ثم اقتاد هيثم الى أول شجرة، فتسلقها هذا بسرعة فيما طاهر يرخي الرسن، حتى وصل القرد الى الثمار وراح يتمايل وسط السعف. وسرعان ما راحت الشجرة تهتز فيما هيثم يجهد في اقتلاع جوزة هند من عنقها القاسي. فجأة راحت الثمار تتساقط على الارض الناعمة وطاهر يتحرك بسرعة لتفاديها. وبعد قطف خمس جوزات أو ست شدّ طاهر الرسن اشارة الى هيثم لكي ينزل وينتقل الى الشجرة التالية على بعد حوالى تسعة أمتار.

تدريب القردة. يتّبع طاهر وغيره من القرويين أسلوبا خاصا في تدريب قردة جوز الهند. أولا، يربط المدرب طوق القرد

(٢) Macaca nemestrina
(٣) السارُنغ هو اللباس التقليدي لكلا الجنسين في ماليزيا، ويتالف من قطعة قماش تكتنف الجسم.
(٤) الكامبونغ قرية صغيرة.

الى رسن ويقربه منه، ثم يدلّي أمامه جوزة هند يانعة ما زالت عالقة بفرعها ويبين له كيف أنَّ ليّ الثمرة يؤدي الى اسقاطها. ثم يضع المدرب يدي القرد على الجوزة، فيقلد القرد الحركات التي شاهدها، وتقع الثمرة. وفي نهاية الدرس يقطع المدرب جوزة الهند ويتقاسمها والقرد.

وفي اليوم الثاني تُربط جوزة الهند الى شجرة صغيرة وتُكرر تمارين الامس بفارق واحد هو أن يتسلق القرد الشجرة هذه المرة. واذا ما نجح في قطف الجوزة حظي بأخرى مكافأة له. وفي اليوم الثالث يكرر القرد الدرس السابق، ثم يلحق بمدربه الى شجرة أطول فيتسلقها لدى سماعه كلمة "جي!" (هيا!) ورسنه الطويل يتدلى الى المدرب في الاسفل.

ويطلق المدرب صوتاً كالنخير فيما القرد يتلمس الثمار المتفاوتة النضج. ويغير الرجل نبرة صوته لدى عثور القرد على جوزة ناضجة ويصرخ: "ها ها! أوليك، أوليك!" أي جيد، رائع. وبعد ٢٠ يوماً من التمرين، يصبح القرد مدرَّباً تماماً وقادراً على العمل ست ساعات متواصلة.

يقول مكايل كافاناغ وهو عالم بالثدييات الرئيسة[٥] يعمل في "الصندوق العالمي للطبيعة"[٦] في ماليزيا: "قرود المكّاك حيوانات ذكية، سياسية. وهي، كأكثر الثدييات الرئيسة، تتميز في البرية بتماسك جيد بين الام والصغير وتفاعل متين بين الاتراب في العشرة واللعب."

وبالتالي، يقول كافاناغ، فان الذين يدربون المكّاك على قطف جوز الهند هم بحاجة الى فهم سياسة القردة ولغتها الجسدية، لأن الامر يتعدى مجرد تقليد القرد لمعلمه. وعلى المدرب الجيد أن يُقنع القرد بأن قطف جوز الهند هو لمصلحته أيضاً. لكن غالبية المدربين لا يعتبرون أن قرودهم تعمل لنيل مكافأة فحسب، ويرون من الضروري نسج روابط صداقة وثيقة مع القردة. يقول طاهر: "اني أولي قرودي عطفاً كل يوم، فأجلس معها وأهتم بها



قرد ومدربه يستريحان بعد تمارين تنمّي المهارة والثقة المشتركة.

(٥) Primates

(٦) World Wild Fund for Nature

ونهتم بي ونتقاسم الثمار أو نسير الى النهر للاستحمام."

"**أسرع من أي قرد.**" للقردة القاطفة ميزتان ضروريتان هما القوة والذكاء. والجميع تقريباً يقر بأن قرود المكّاك تبزّ الانسان براعة في القطاف. وحده داود يخالف هذا الرأي ويدَّعي أنه "أسرع من أي قرد." وإذ بلغ به الأمر حد التحدي، تسابق وأحد القردة الى شجرتين وتمكن من قطف ثلاث جوزات قبل أن يقطف القرد واحدة، ثم نزل الى الارض وتجرَّع ابريقا من الماء متأملا بحبور خطوات خصمه البطيئة. لكنه ما لبث أن انكفأ الى ظل كوخ متلويا من الالم، وراح ينزع النمل الاحمر اللاسع عن جسمه. وكان ما يزال جالساً هناك يضمد جروحه عندما تسلق القرد الشجرة الثانية، ففراؤه الكثيف يحميه من لسعات النحل والنمل.

لذلك ليس عجباً أن يتقاعد قرويون كثيرون من هذا العمل الشاق. فارتفاع الاشجار يشكل خطراً كبيراً، والقش في أعلى الشجرة غالباً ما يخبىء النمل والنحل والافاعي أحياناً.

ما زالت بعض قرى الساحل الشرقي لشبه جزيرة ملقة تعتمد على القردة العاملة. يقول زرينا مجيد وهو اختصاصي بعلم الانسان (انثروبولوجيا): "ان جوز الهند عنصر أساسي في نظامنا الغذائي، فنحن نشرب ماءه ونطبخ بزيته ونحضر الحلوى والمرق من لبِّه وحليبه." ونسغ الجوز مشروب رائج في الجالية الهندية، كما تُصنع من الشجرة لوازم كثيرة للحياة اليومية من دواء وصابون ووقود وحبال وخميرة وأصبغة وأسمدة وفلين وزبدة وأكواب وآلات موسيقية وزينة وحلى. ويراوح سعر مئة ثمرة من الجوز البني الناضج بين ٥ دولارات و١٥ دولاراً، فيما تباع الثمرة الخضراء بما لا يقل عن ٢٥ سنتاً. وفي بلد حيث متوسط الدخل الفردي نحو ١٨٠٠ دولار سنوياً (اقلّ كثيراً في القرى) يساهم جوز الهند في زيادة دخل الاسرة.

وقد درج بعض صيادي السمك على تربية قرد أو اثنين لقطف جوز الهند وزيادة دخلهم عندما تمنعهم الانواء من الصيد.

جلس زكريا، وهو صياد سمك في بانتاي مالاوي، أمام كوخه فيما قرد صغير يلعب بين طيَّات السارنغ الذي ارتداه. قال: "تستطيع هذه القردة العمل في أي وقت تقريباً. ويعتقد البعض ان القرد حيوان مدلل عندنا، لكن هذا غير صحيح، فالقردة رفيقتنا وشريكتنا وليست حيوانات مدللة لا نفع فيها." وأضاف أن العلاقة بين الانسان وقرده تنمو ببطء، ولكن متى توطدت فلا يبقى أمر لا يفعله القرد خدمة لصاحبه. والعكس صحيح أيضا. ويروي زكريا أن قرداً له انقض يوماً على كلب مسعور ليمنعه من عضه، وأن قردة رباها كانت تزعق لتحذره من الأفاعي السامة. وفي المقابل كان زكريا يعتني بقروده ويداويها عندما تمرض.

فحين كُسرت قدم احداها جبرها لها وأطعمها بنفسه طوال أسابيع وكأنها طفل صغير.

أشجع الشجعان. تحظى قرود المكّاك في ماليزيا بحماية السلطات بحيث أن أسرها يستلزم رخصة خاصة. بيد أن المسؤولين عن الحياة البرية، وقاطفي جوز الهند، يعترفون ضمناً بأنْ ليس لدى كل صائد قرود رخصة، كما أن الوسائل المتبعة في "أسر" القرود ليست دائماً انسانية الطابع، فبعض الصيادين يطلقون النار على القردة المرضعة لاختطاف صغارها وبيعها. ويرى المدربون المخلصون أن هذه الطريقة العنيفة وغير المشروعة منافية لمعتقداتهم الاسلامية. يقول طاهر بن امبونغ: "لا تجوز معاملة القرود بوحشية. فهي تستحق منا الصبر واللطف."

ويشرح الحاج اندوت الذي يعامل قرده بعطف خاص: "انه يداي، ولعلي أحتاج اليه أكثر مما يحتاج هو الي." وقد حضت مثل هذه الاحاسيس كثيراً من المدربين على البحث عن سبل أكثر انسانية لاقتناء القرود الصغيرة.

وبحسب الكاتبة الماليزية فاطمة بوزو، التي تستلهم أبطال قصصها من القردة، هناك أمر شبه مسرحي في العلاقة بين القرد ومدربه، فهي تشبه مشاهدة سِيرك بما فيه من بهلوانيات وأخطار وتشويق في ترويض حيوان متوحش، "ومن وقت الى آخر يجد أحدهم قرداً مميزاً يستقطب اهتمام القرية كلها."

وبيتوك، قرد طاهر بن امبونغ، له صفات كهذه. فهو يتحرك كالعنكبوت، ويمتاز عن سواه بقدرته على القفز من شجرة الى أخرى وقطف ما يربو على ٦٠٠ ثمرة في يوم عمل. إن رؤية هذا القرد مترجِّحاً فوق الاشجار على ارتفاع عشرة أمتار أو أكثر وهو يرمي الجوز كوابل مطر في اعصار، لأمر يثير الهلع في قلوب المتفرجين. وتخاله أحيانا يمثل أمام جمهور، اذ يجثم على سعفة بعد قفزة خطرة ثم يطلق صوتاً راعداً: "موا!" وهو يهز الشجرة بعنف.

ضحك أحد المتفرجين إذ رأى بيتوك واقفاً على غرار رامبو[7] وقال: "انظروا اليه، انه أشجع الشجعان." لكن المتفرجين لم يَفُتْهم أن بيتوك قطف لتوه ما قيمته ٤٠ دولاراً من جوز الهند.

وبدا الرسن المتدلي الى يد طاهر كخيط من ذهب في نور الشمس الباهر.

راندال بفر ■

(٧) رامبو بطل افلام سينمائية عدة.

ابن شاطر

قال رجل لصديقه: "لقد التحق ابني بالجامعة بناء على اتفاق عمل ودراسة... أنا أعمل وهو يدرس."

ر.ر.

صديقتي لورا

افتحوا عيونكم
على الروائع حولكم
فتلقوا من الناس ما يدهشكم

صادفتها للمرّة الاولى ذات يوم خريفي من العام ١٩٧٦ في حافلة هادرة تعبر الجادة الخامسة في نيويورك. ففي احدى المحطات كان راكب هرم يلاقي صعوبة بالغة في هبوط الدرجة الأخيرة من الحافلة الى الارض، واذا بصوت امرأة خلفي يزعق بالسائق: "ايّها الشاب، هذه حافلة قابلة للخفض،* هلاّ تفضّلتَ وخفضتها قليلا؟"

أنزل السائق مقدّم الحافلة منزعجاً. ولم أتمالك عن الابتسام، اذ انّ صاحبة ذلك الصوت الجهوري كانت عجوزاً تجاوزت الثمانين.

التقيتها ثانية في أحد مخازن الأغذية ذات يوم جمعة. كان بصرها شحيحاً الى حد أنّها عجزت عن عدّ المبلغ المتوجِّب عليها ثمناً لما ابتاعته. اقتربتُ منها واخترت قطع النقد المناسبة من يدها قائلة: "تفضّلي يا سيّدتي، هذا ما يتوجب عليك." فشكرتني ودفعت وانصرفَتْ.

حين رأيتها ثالثة كانت تنوء بحمل رزمة كبيرة. عرضتُ عليها المساعدة، فقبلت. وفي الطريق عرفتُ أنّ اسمها لورا وأن منزلها قريب من مبنى مهاجع الطالبات في جامعتي.

تلاحقت المصادفات التي جمعتنا خلال الأسابيع والاشهر التي تلت، لتنشأ بيننا علاقة صداقة في منتهى الغرابة كوّنتْها أحاديث مقتضبة تبادلناها ولقاءات لم تكن لتخطر على بال. ثم التقينا لتناول العشاء في أحد المطاعم. وهناك أبدت اهتماما بالغا في طموحي الى أن أكون

(*) نوع من الحافلات يمكن خفض مقدمه هوائيا لتسهيل الدخول والخروج.

كاتبة. أمّا أنا فكنت أشعر بأن لطافتي تسعد عجوزاً متوحّدة.

دعتني ذات شتاء الى شقتها الدافئة الصغيرة المزدحمة بالكتب وقصاصات الصحف وصناديق الرسائل. ثم أحضرَتْ بريدها وناولتني مجلّة شعر وقالت: "لا يمكنني أن أقرأها، أفيها شيء لي؟".

لورا شاعرة؟ نظرتُ، فاذا اسمها مدرج على غلاف المجلّة. فأجبتُها: "نعم! نعم! خلّيتُ الاشجار تدرك أنني كنتُ هناك."

فعلت وجهها ابتسامة وتلت القصيدة بكاملها عن ظهر قلب.

لم يكن ذلك سوى بداية اندهاشي. حين وضعتُ المجلّة على الرف لمحت نسخة من مجلّد "الملك داود" للكاتب الأمريكي ستيفن فنسنت بينيت، مزينة بأحرف ذهبية ناتئة، وهي النسخة الاولى التي خرجت من المطابع عام ١٩٢٣ وتحمل اهداء بينيت الى أهله.

فسألتُ لورا: "كيف تمكّنتِ من الحصول على هذا الكتاب؟"

أجابت ببساطة: "تيبي هو شقيقي الأصغر."

كانت لورا شقيقة ستيفن فنسنت بينيت الكبرى وتبلغ من العمر اثنين وتسعين عاماً.

واذ أحسّت انذهالي تطلّعتْ اليّ بعينين تتراقص فيهما البهجة وقالت: "يا عزيزتي، عليك دائماً أن تتيحي للآخرين أن يفاجئوك. وإن لم تفعلي فسوف يتصرّفون كما توقعتهم أن يفعلوا، أي بكثير من التفاهة."

كانت ملأى بالنخوة على رغم انحطاط جسدها. وكثيراً ما اتصلت بي في أوقات غير متوقّعة لتقول لي مذعورة: "بين يديّ فاتورة لا أستطيع قراءتها، ويبدو أنّها مهمّة، فماذا أفعل؟"

فأتنهد قائلة: "أوه يا لورا!" لكنني لم أتردد مرّة في الذهاب اليها لقراءة بريدها وترتيب فواتيرها وحسابها المصرفي، ثم نتجاذب أطراف الحديث لتملأني بالمفاجآت. لكم شاهدت هاتان العينان، شبه المعتمتين الآن، شعوباً وأماكن لم أعرفها قط، تنسج منها لورا أروع الحكايات. كانت هذه المرأة ذات الشعر المعقوص تحت قبعة أنيقة تعلّمني عن عالم الأدب ما لم أتعلمه من أي أستاذ آخر.

كانت عائلة بينيت منذ ستين عاماً من طليعيّات العائلات الأدبيّة في الولايات المتحدة. ولورا نفسها ألفت ما يربو على عشرين كتاباً، من سِيَر حياة وكتب أطفال وقصائد، كما عملتْ مساعدة اجتماعية في بداية هذا القرن. كانت تقول لي: "الله يهتمّ بنا وينتظر منّا أن يهتم بعضنا ببعض."

وكنتُ، ككلّ الكتّاب المبتدئين، أخاف الفشل وأشتكي الى لورا قائلة: "هنالك مؤلّف مسرحيات من منطقتي بلغ أوج الشهرة وتصدرت أخباره صفحات الجرائد، فكيف أتوقع شيئاً ازاءه؟"

فتجيبني بحدّة: "عليك أن تقرري يا عزيزتي ما اذا كنت تريدين أن تكوني كاتبة أو امرأة شهيرة. فالامران مختلفان.

خذي مثلا سكوت فيتزجيرالد. حين قرر ان يكتب، كان كاتبا عظيماً. أما حين شغل نفسه بالشهرة فكان أغبى رجل شاهدته في حياتي. ما يريده الله منّا هو ان نمهر في ما نفعل فنستثمر مواهبنا ونواظب على أعمالنا يوماً بعد يوم باذلين جهداً أكبر في كل مرّة، في عملنا كما في حياتنا."

صباح يوم أحد طرقت باب لورا فلم تفتح لي. فهرعت الى البواب قلقة. كانت مخاوفي في محلّها، فقد أصيبت لورا بنوبة قلبية تلك الليلة وكانت في غرفتها وحيدة، فوقعتْ وكسرتْ وركها وبقيتْ ملقاة على الأرض طوال الليل عاجزة عن الزحف الى الهاتف. وقال لي البواب: "وجدناها هذا الصباح، وهي الآن في المستشفى."

أسرعتُ الى المستشفى. فسألتني موظفة الاستقبال ما اذا كنتُ من انسبائها، فأجبتها بنعم من دون تردد. دخلت اليها في قسم العناية المركّزة الخاص باصابات القلب وأمسكتُ بيدها قائلة: "لورا، أنا أحبكِ."

خرجت لورا من المستشفى بعد أيام، لكنها لم تستطع العودة الى شقتها. فانتقلتْ الى دار قريبة للعجزة. كانت تفتقد حرّيتها السابقة، لكنّها حاولت وسعها تقبُّل المساعدة التي غدت في حاجة اليها.

بعد فترة وجيزة كنت واحدى صديقاتي نتناول طعام الغداء. فجأة، وقبل أن أنهي طعامي، دفعتُ كرسيَّ الى الوراء وهببتُ على قدميّ وقلت لصديقتي: "لقد سررتُ جدّاً برؤيتك، ولكن عليّ أن أذهب الآن." ولم تكن دهشتها أكبر من دهشتي أنا حين لبست معطفي ودفعت الحساب وأسرعت خارجا.

قفزتُ درجات سلّم دار العجزة اثنتين اثنتين. وحين بلغت غرفة لورا أدركتُ للحال ما الذي أتى بي. كانت لورا تتنفس بواسطة قناع أوكسيجين. وأومأتْ اليّ الممرّضة بالاقتراب، فهمستُ: "لورا، انا أحبكِ."

وفيما عيناها تغمضان للمرّة الأخيرة، تركتُ أصابعي تداعب شعرها الرمادي الناعم.

لم أشأ أن أغادر المكان. توقفتُ في أعلى السلّم محدّقة الى الساحة والى الناس المسرعين وزحمة السير الصاخبة. كان شيء ما آخذاً في التغيّر. فجأة أبصرت أمامي العالم الذي كانت لورا تشاهده كل يوم من سنواتها الأربع والتسعين: عالماً من الروعة والشعر، عالماً تتبدل فيه حياة امرىء في حافلة تعبر الجادّة الخامسة في نيويورك.

شرعت في هبوط درجات السلم. لم أكن أعرف ماذا ينتظرني من مفاجآت، لكنني أدركتُ أنني، بفضل لورا، مستعدة لكلّ شيء.

شارن لينيا ■

لا ترمِ دلوك القديم حتى تتأكد من أن الجديد لا يسرّب الماء.

مثل اسوجي

بعد فراق طال أربعة عقود تستعيد المدينة الموحدة دورها عاصمة للفنون

استقبلني وليم كولر من "غاليري برلين" في ضاحية دالم مرحّباً: "أتيت في وقت ميمون. فالمدينة تستعيد دورها كواحدة من أغنى خزائن الاعمال الفنية."

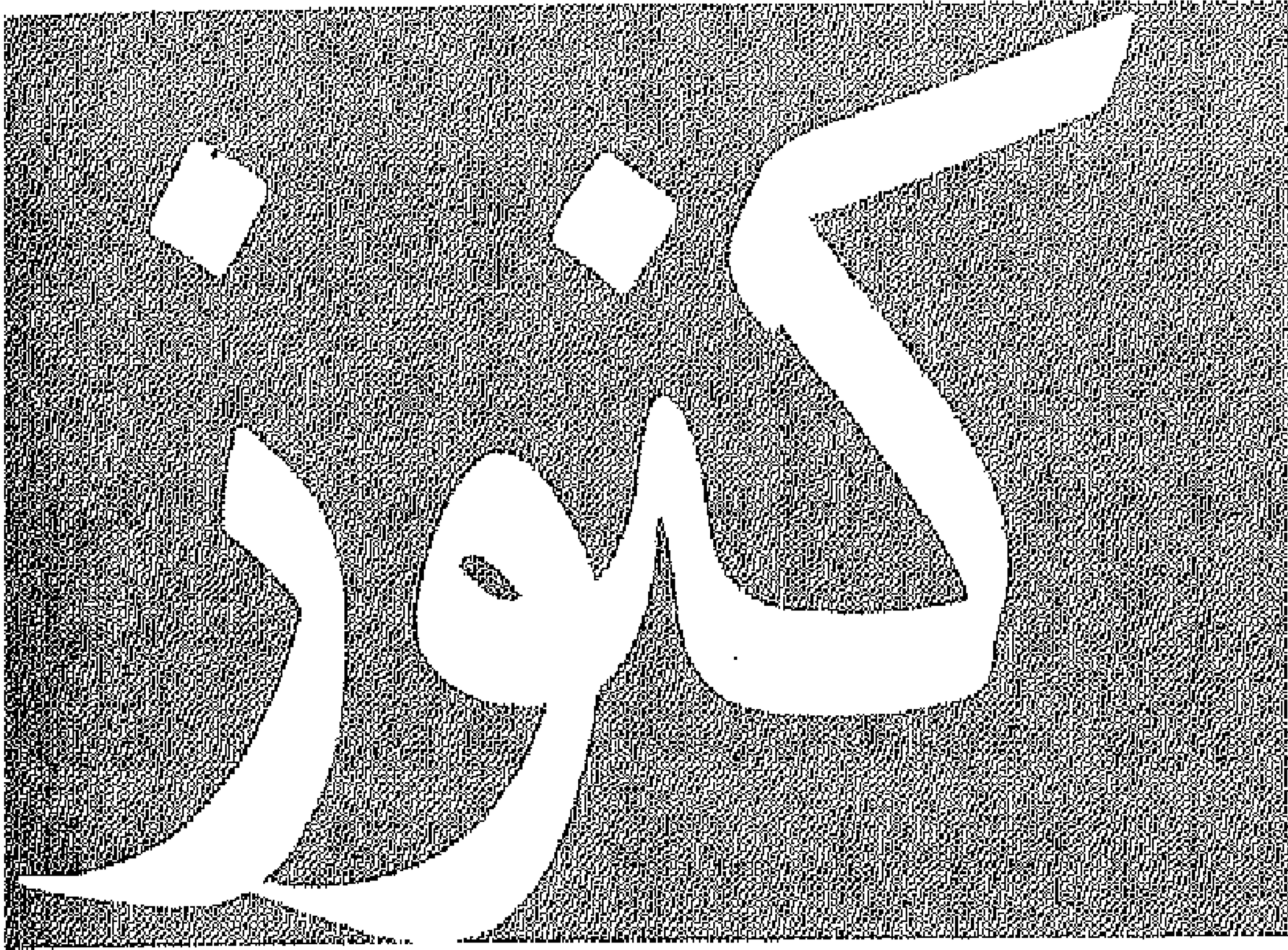
فقد باشرت متاحف كثيرة في برلين مفاوضات اندماج بعدما باعدت الحرب العالمية الثانية بين مجموعاتها الفنية، وابتهج موظفو هذه المتاحف لاحتمال اعادة جمع موجوداتها. فهل تعود عاصمة ألمانيا الموحدة "ضرورة" لعشاق الفن؟ جئت الى برلين لأتبين الأمر.

لم أزر برلين منذ أوائل الستينات حين رافقت اقامة الجدار نوبة عارمة من الكآبة واليأس. ففوجئت في زيارتي هذه بأجواء الثقة والأمل التي عمت المدينة.

ان "برلين الكبرى"، بمراكزها الثقافية الوافرة التي تشمل أكثر من ٥٠ مسرحاً وداري أوبرا وصالتي حفلات موسيقية ونحو ٢٠٠ مكتبة، هي حقاً اطار مؤثر في احتواء ثروتها الفنية. وقد جُمعت كنوز المدينة في نحو ٨٠ متحفاً، وهي تراوح زمنياً بين العصر الحجري وبيكاسو و"البدائيين الجدد."*

وانتهى الجزء الاكبر من لوحات مشاهير الرسامين القدامى في غاليري دالم حيث فرض ضيق المساحة عرض ٧٠٠ لوحة فقط من أصل ١٧٠٠. ومع ذلك فهي تخلف في ذهن الزائر انطباعاً لا يمحى. وتؤلف لوحات ديورر وهولباين وفان ايك وتيتيان وغينسبورو وبوسان كوكبة من الفن الاوروبي.

من أشهر معروضات دالم لوحة "الرجل ذي الخوذة الذهبية" التي ساد الظن زمناً طويلا أنها من رسوم رامبرانت. وكانت لوحة مقلدة لها معلّقة في منزل جدّي، ولطالما تأثرت بالكآبة البادية على وجه المحارب الهرم الذي سئم القتال. واذا كان النقاد ينسبونها اليوم الى أحد تلاميذ رامبرانت المجهولين، فذلك لن يقلل من روعتها بالنسبة إليّ.



ينبوع الشباب. تابعت جولتي فرأيت لوحة جان فرمير "شابة بعقد لؤلؤ" وفيها غرفة تنيرها أشعة الشمس تعكس بحبوحة الطبقة الوسطى في العصر الذهبي لبناء الامبراطورية الهولندية في القرن السابع عشر. وتنظر الشابة من

تحفتان نفيستان من شطري المدينة: بوابة عشتار البابلية وتمثال الملكة المصرية نفرتيتي.

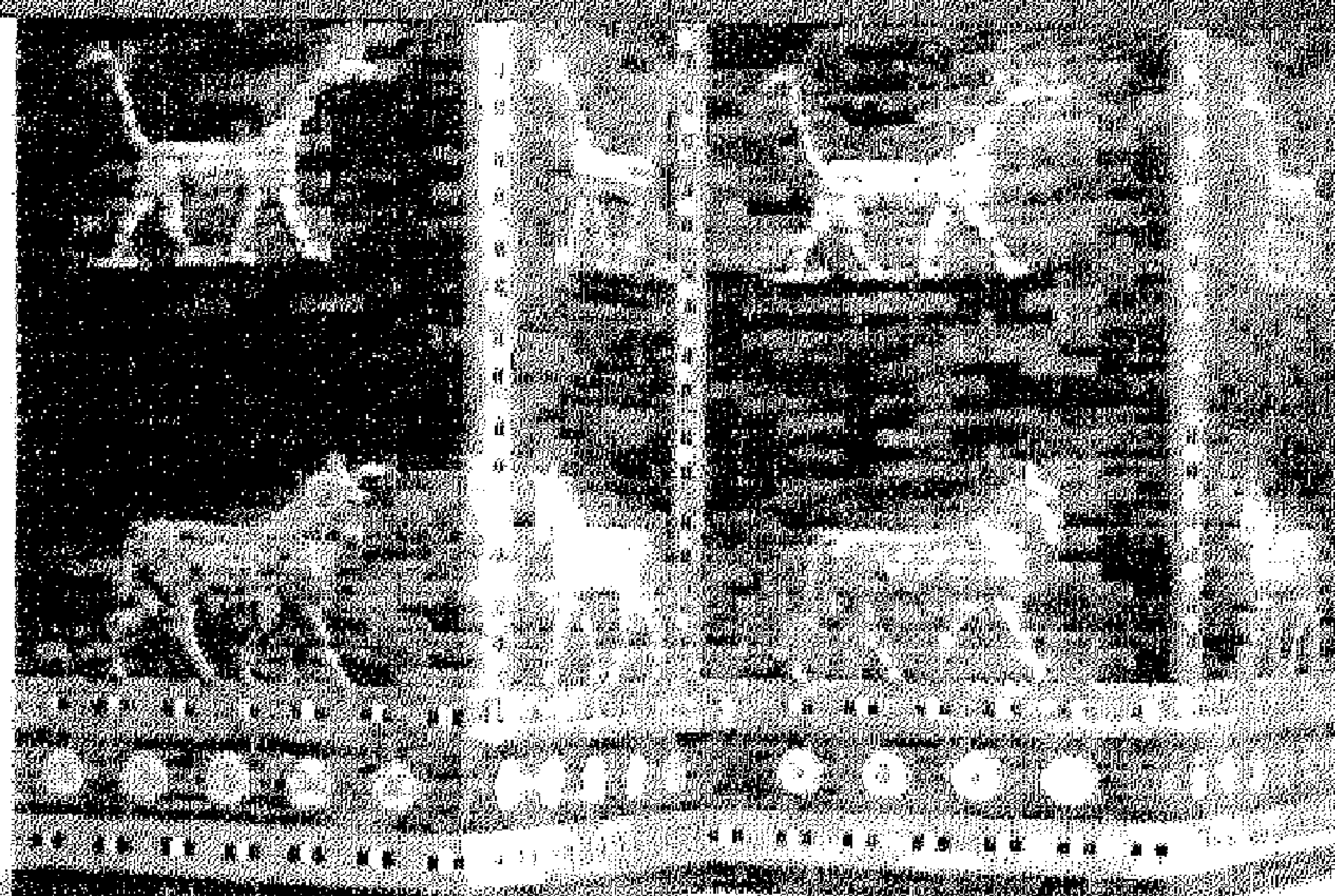
(*) Neuen Wilden

OTOS: BILDARCHIV PREUSSISCHER KULTURBESITZ



برلين







"شابة بعقد لؤلؤ" للهولندي يان فرمير فان دلت.

النافذة وهي غارقة في أفكارها، وحول عنقها عقد من اللؤلؤ. فهل جلب لها حبيبها هذه اللآلىء من جزر الانتيل؟ وهل ستضع العقد في حفلة زواجها؟ بدا واضحاً أنها متيَّمة حبا.

في الطبقة السفلى انضممت الى معجبين تسمروا أمام لوحة "ينبوع الشباب" التي رسمها لوكاس كراناش الأكبر عام ١٥٤٦. ويبدا في اللوحة المستوحاة من أسطورة قديمة حوضٍ فضي قاربته من اليسار نساء طاعنات في السن، ثم خرجن من اليمين وهن في ريعان الشباب ومضين يحتفلن مبتهجات مع فرسان وسيمين استعادوا شبابهم هم أيضاً. وترمز هذه اللوحة، في رأيي، الى برلين – المدينة التي تعيش انبعاثا عجيبا.

غادرت دالم متوجهاً الى "المعرض الوطني الجديد" وهو بناء عصري من الزجاج والفولاذ في تيرغارتن تُعرض فيه لوحات أكثر حداثة. وقد جمع بين أعمال الانطباعيين الفرنسيين أمثال كلود مونيه وادوار مانيه، والتعبيريين الالمان أمثال أوتو ديكس وماكس بكمان وارنست لودفيك كيرشنر، فضلا عن العملاق الاسباني بابلو بيكاسو ولوحته "المرأة الجالسة في كرسي" التي رسمها عام ١٩٠٩ وكانت إحدى أولى لوحاتـه التكعيبية.

نفرتيتي وحَماتها. في الجزء الغربي من برلين يرتفع قصر شارلوتنبرغ قبالة بناءين جميلين كانا في السابق ثكنتين لضباط الحرس الملكي. ويضم الجناح الأيمن من القصر "متحف العصور القديمة" فيما يضم الجناح الأيسر "المتحف المصري" الذي استقبلني مديره البروفسور ديتريش فيلدانغ بلباس صحراوي يرتديه خلال رحلات التنقيب عن الآثار في دلتا النيل. ورأيت في الخارج حافلات تنزل مئات من المتفرجين. قال لي فيلدانغ: "انهم آتون لزيارة نفرتيتي،" مشيراً الى الملكة التي حكمت مصر قرابة العام ١٣٤٠ قبل الميلاد.

PHOTO: GEMÄLDEGALERIE STAATLICHE MUSEEN PREUSSISCHER KULTURBESITZ, BERLIN

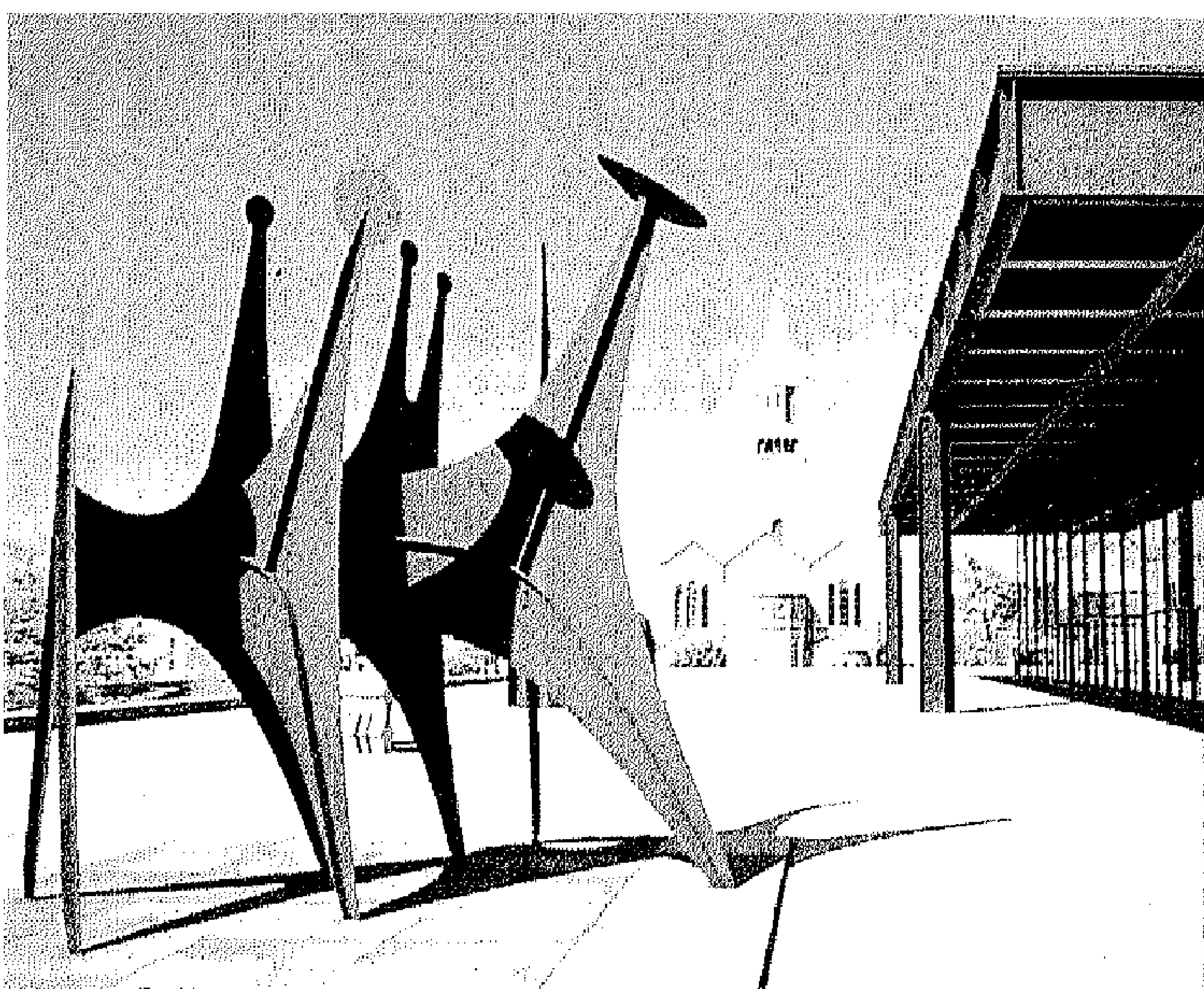
على قاعدة في غرفة مظلمة كشفت أنوار قوية تمثالا من حجر الجير المطلي بلغ طوله ٥٠ سنتيمتراً أظهر نفرتيتي بحاجبيها المقوسين ووجنتيها العاليتين وذقنها العنيد. لقد ولدت لتكون أميرة. وأضفى عليها عنقها الأفعواني أناقة صقيلة تسلب الالباب.

عثر فريق ألماني باحث عن الآثار على هذا التمثال النصفي عام ١٩١٢ في تل العمارنة على بعد ٣٠٠ كيلومتر من جنوب القاهرة. وكان تل العمارنة مركزاً لطائفة تميزت بأسلوب فني ثائر يعبر عنه تمثال نفرتيتي.

أضاف فيلدانغ: "لدينا قطعة أفضل من هذه." ثم اقتادني الى رأس خشبي لا يزيد حجمه على قبضة طفل يمثل الملكة تيي والدة الفرعون أخناتون زوج نفرتيتي، وهي تظهر للوهلة الاولى أقل جاذبية كثيراً من زوجة ابنها. كما تبدو، بشفتيها الناتئتين استياء، متقدة غضباً، بل قاسية. وقيمة هذه القطعة الصغيرة لا تقبل الجدل، فهي من روائع فن النحت الواقعي.

وذكرني فيلدانغ بالتماثيل الفرعونية العظيمة ومخطوطات ورق البَرْديّ التي لا تقدر بثمن المحفوظة في متحف بود ببرلين "الشرقية". قال: "يحق لبرلين أن تتباهى بامتلاكها إحدى أبرز مجموعات الفن المصري."

بوابة بابل. في رحلة خاطفة على متن قطار "إس - بان" المكتظ بالركاب، وصلتُ الى قلب برلين "الشرقية" حيث جزيرة المتاحف القائمة على قطعة أرض تشبه سفينة وسط "ذراعين" من نهر سبري. في هذا المكان افتتح عام ١٨٣٠



منحوتة للامريكي الكسندر كالدر تزين شرفة "المعرض الوطني الجديد."

أول متحف فني للعموم في برلين، وهو لا يزال يعرف بـ"المتحف القديم." وأتبع بأربعة أبنية حديثة هي "المتحف الجديد" و"المعرض الوطني" و"متحف بود" و"متحف برغامون." ولكن خلال الحرب العالمية الثانية تضررت جميع هذه المتاحف بفعل القنابل. وما زال المتحف الجديد خرابا حتى اليوم. وتشهد الصدوع في الجدران والطلاء المتقشر كم كانت العناية بهذه الابنية سيئة. ولكن يبقى الجزء الشرقي من المدينة محتفظا بكنوز لا تقدر بثمن.

افتتح متحف برغامون عام ١٩٣٠ ليستقبل، الى أشياء أخرى، المذبح الشهير الذي نُبش ما بين ١٨٧٨ و١٨٨٦ في برغاموم (في تركيا اليوم). بناه الملك يومنس الثاني في القرن الثاني قبل الميلاد تخليداً لانتصاراته. وقد اعتبر في الأزمنة القديمة من عجائب العالم إذ بلغ طوله أكثر من ٣٦ متراً وعرضه أكثر من ٣٤ متراً وارتفاعه حوالى ١٢ متراً. ويدلّ الجزء المعروض منه على حجمه الاساسي. وعلى افريز المرمر الذي يحوط قاعدته منحوتات مضخّمة نُقشت بمهارة فائقة.

قبيل انتهاء الحرب أصيبت القاعة الكبرى بقنبلة تسببت في أضرار فادحة. ولحسن الحظ كانت المنحوتات محفوظة خارج جزيرة المتاحف. ونقلها السوفييت بعد الحرب الى لينينغراد (بطرسبرج حاليا) ثم أعادوها عام ١٩٥٨.

جُلت بين هذه المنحوتات ترافقني نائبة مدير النقوش القديمة هيوبرتا هرز وهي عالمة آثار شاركت في حفريات برغاموم. وجلسنا على مقعد قبالة الصرح نشاهد معركة خيالية بين عمالقة.

ولجتُ لاحقاً الجناح الجنوبي من المبنى، فإذا بي أغوص في حقبة العهد القديم وأرى عظمة بابل مجسدة في بوابتها العملاقة التي بناها نبوخذنصّر الثاني ونبشها علماء آثار ألمان ما بين ١٨٩٩ و ١٩١٧ على ضفة الفرات اليسرى. تغلّف البوابة رقاقات صقيلة من الآجرّ الملون، وتزينها رسوم ثيران وتنانين في خلفيَّة فيروزية داكنة. نادرة هي الاعمال التي تعبر عن القوة الصارخة بمثل هذه الفاعلية.

أثينا الصاخبة. محطتي الاخيرة في البحث عن الكنوز كانت في "المعرض الوطني القديم" القائم في الجانب الشرقي والمبني على الطراز الكورنثي. هنا تُعرض أعمال أوسكار كوكوشكا وماكس ليبرمان ومنزيل، كما في الجانب الغربي من المدينة. وقد استُهلت بعض الخطوات لاعادة توحيد المجموعات المتكاملة. وفي ٣٠ أغسطس (آب) ١٩٩٠ بدأ المعرضان الوطنيان مشروعهما المشترك الاول، فعرضت أعمال الرومنطيقي كارل بليشين في المعرض الوطني الجديد الى جانب لوحات كاسبار ديفيد فريدريش وسواه من المعاصرين. وسجل العرض بداية عصر جديد.

ان مشكلة تقسيم ارث المدينة لا تعالج بين ليلة وضحاها. ففي "ساحة الثقافة" على طرف تيرغارتن ستبنى صالة عرض للرسوم الزيتية، تتبعها أخرى للمنحوتات. ويهدف مشروع آخر الى إعادة بناء المتحف الجديد وتوحيد المجموعتين المصريتين.

يتفق جميع الخبراء الذين التقيتهم على أن برلين هي اليوم مدينة مميزة جداً. يقول فيلدانغ: "ثمة شيء في الاجواء يجعل عملنا مثيراً."

مع التئام شمل المجموعات الفنية الرائعة ستتمكن المدينة من استعادة لقبها الشرفي القديم المحبب "أثينا الصاخبة." يقول كريستوفر براون القيم على "الغاليري الوطني" في لندن: "نأمل أن تكون لنا نشاطات مشتركة مع برلين التي أصبحت بتوحدها أحد أعظم المراكز الفنية في أوروبا."

ليس عجبا أن أهوى برلين، أنا الذي أعشق الفن. واني أخطط لزيارتي التالية الى هذا الموئل الفني النابض. فإلى اللقاء يا برلين!

ارنست هوسر ■



تعالوا نتكلم الفرنسية

كان زوجي فخوراً بلغته الفرنسية التي تعلمها خلال سني دراسته، ولكن لم تسنح له فرصة لاستخدامها حتى زيارتنا كندا. كنا نقود السيارة في مونريال محاولين العثور على المتحف الوطني، وسرعان ما ضللنا الطريق. فلمح زوجي رجلا يقف وحيداً على رصيف، فاوقف السيارة الى جانبه وتنحنح ثم سأله بالفرنسية: "من فضلك، هل يمكن أن تدلنا الى طريق المتحف الوطني؟"

بدا الارتباك على الرجل للحظة ثم قال بالانكليزية: "أسف يا سيدي، فانا لا اتكلم الفرنسية."

رفع زوجي زجاج النافذة وقد بدا عليه الارتياح ثم استرخى في مقعده وقال لي. "انه لا يتكلم الفرنسية يا عزيزتي. سنضطر الى سؤال شخص آخر!"

ش.ك.

ربة بيت

كانت ضيفة لقاء اذاعي محلي امرأة تملك مؤسسة لتنظيف المنازل. وبعدما اوضحت الضيفة أنواع الخدمات التي تقدمها المؤسسة، بدأت المحطة تلقّي اسئلة المستمعين. وكانت المتصلة الاولى ربة بيت سألت الضيفة بارتياب: "ما هي كمية التنظيف التي ستتوجب علي قبل أن يلبي موظفوك طلبي؟"

ك.ش.



تستضيف برشلونة المباريات الاولمبية في الفروسية سنة ١٩٩٢ فماذا فعلت السلطات الاسبانية لكبح وباء الخيول الافريقية الذي فتك بألوف الجياد في اسبانيا والبرتغال؟

أنقذوا خيول الأندلس

حين رن جرس الهاتف في مكتب البروفسور مانويل رودريغز في جامعة مدريد، المجاور لمختبرات الباثولوجيا الحيوانية التي يشرف عليها، كان رودريغز يحلم بركوب دراجة على طريق جبلية متلوِّية. فتنهد، وأسف مرة أخرى للقرار الذي أخذه بتمضية العطلة تحت وطأة حرارة مدريد الخانقة تحضيراً للبرنامج التعليمي في السنة المقبلة.

في ذلك اليوم، الجمعة ٢١ أغسطس (آب) ١٩٨٧، اتصلت به تلميذته السابقة الطبيبة البيطرية آنا خونكو لاستشارته في مسألة غريبة. فمنذ يوليو (تموز) من

PHOTO: J.C. COUTAUSSE / EDITING

ذلك العام نفقت تسعة جياد وحمار وحشي أسيوي في حديقة حيوان "ألديا دل فرسنو" الواقعة على بعد ٦٠ كيلومترا جنوب غرب مدريد. والغريب في الامر ان هذه الحيوانات نفقت بالطريقة نفسها. كانت تبدو سليمة معافاة، ثم تتصلب فجأة وتفقد توازنها وتتهادى حول مربطها مترنحة الى أن تنهار وتنفق. في البداية عزت خونكو السبب الى مغص غير مألوف. ثم اشتبهت في وجود تسمم. ولكن عندما نفقت الحيوانات متوالية أدركت خونكو أن السبب يكمن في شيء آخر. أيعقل أن تكون هذه الحيوانات ضحايا مرض نادر ومعد؟

سألت رودريغز: "أنت خبير بالجياد، فهلا ساعدتني في تشريح جواد نافق في المستقبل؟"

فوعد رودريغز بمساعدتها.

تمتد حديقة حيوان "إل رنكون" على مساحة ١٠٠ هكتار في أرض منخفضة تتناثر فيها الصخور. وفي العام ١٩٨٧ قرر مالكو الحديقة زيادة الحيوانات فيها، فاشتروا ستة حُمُر وحشية من ناميبيا. وبعد توقف في لواندا عاصمة أنغولا، نُقلت الحيوانات على ظهر سفينة الى البرتغال، وأنزلت في لشبونة في ١٦ يونيو (حزيران) على رغم تحريم السلطات البرتغالية استيراد الحُمُر الوحشية. وهناك أودعت حديقة حيوان مدة ثلاثة أيام، شحنت بعدها برا الى اسبانيا حيث أغفل المسؤولون اخضاعها للحجر الصحي. هكذا وصلت الحُمُر الوحشية الستة الى "إل رنكون" في ٢٠ يونيو (حزيران).

وبعد ٣٢ يوما بدأت تتهاوى نافقة.

فيروس قاتل. كالمتْ آنا خونكو البروفسور مانويل رودريغز ثانية لتعلمه بنفوق حمار آخر. وعلى الفور، توجه رودريغز مع زميلته ماريا كاستانو لمعاينة الجيفة. وفي الايام التالية واصل الاثنان زياراتهما إثر نفوق خيول أخرى. ويذكر رودريغز: "في جميع الحالات، كان التجويف الشغافي حول القلب غارقا في السوائل، والرئتان متضخمتين، والأعضاء الداخلية متضررة جدا."

تذكّر رودريغز صورا لحالات مشابهة في كتاب عن الطب البيطري يصف "داء الخيول الافريقية"[١] (AHS) المتأتي عن فيروس تنقله حشرة صغيرة من فصيلة البعوض اسمها "كوليكويدس إميكولا"[٢] وتعرف بالذبابة اللاسعة. فعندما تلسع هذه الذبابة حيوانا مريضا، تمتص من دمه نزرا زاخرا بالفيروس الذي يتطلب مدة تراوح بين ثمانية أيام وعشرة للمرور عبر جهاز الذبابة والاستقرار في غددها اللعابية حيث يتكاثر. وتتحول الحشرة، خلال ما تبقّى من أسابيع عمرها الثلاثة، حاملة تيفوس[٣] مجنّحة يكفي ٠,٠٠٠١ مليمتر من لعابها للقضاء على جواد معافى زنته ٥٠٠ كيلوغرام. لذلك فان أكثر

(١) African horse sickness
(٢) Culicoides imicola
(٣) التيفوس هو مرض التيفوئيد.

من ٩٠ في المئة من الجياد التي تصاب بالداء هالكة لامحالة.

صنّف العلماء تسعة أنواع مختلفة من الفيروس «AHS» الذي لا يصيب البشر. وتبين أن الحُمُر الوحشية والحمير الافريقية هي من الحيوانات الحاملة للفيروس، مع أنها نادراً ما تصاب بهذا المرض الذي يكاد يكون مجهولا خارج أفريقيا على رغم تصنيفه معدياً في "المكتب الدولي للأوبئة الحيوانية" في باريس.

ولدى مراجعة القرائن تأكد رودريغز من أن الحيوانات نفقت نتيجة إصابتها بالفيروس. وفي ١٢ سبتمبر (أيلول) أكد "المختبر الوطني للصحة الحيوانية" في بلدة ألخيتي المجاورة لمدريد هذا التشخيص، كما تبين لاحقاً أن المرض القاتل هو النوع الرابع من فيروس «AHS» المكون من فيروسات متنوعة لم يعثر عليها سابقاً الا في جنوب أفريقيا ووسطها. فكيف وصل الى اسبانيا؟

يقول رودريغز: "من المحتمل جداً أن تكون الحُمُر الوحشية أتت به الى هنا." وعندما فحص دم هذه الحمر تبين أن اثنين منها يحملان الفيروس.

دورة أولمبية. حتى ٥ سبتمبر (أيلول) كان المرض حصد ٢٩ جواداً في حديقة حيوان "إل رنكون." كما تدفقت على وزارة الزراعة تقارير يومية عن جياد مريضة ونافقة في مواقع أخرى، أكدت استشراء وباء حيواني في اسبانيا.

وفي محاولة لاحتواء "وباء الخيول"، كما سمي الفيروس «AHS»، منعت السلطات نقل الخيول وجميع النشاطات المتصلة بها، بما في ذلك مصارعة الثيران. كما ألزمت الاطباء البيطريين التبليغ عن نفوق الجياد وإرسال عينات من طحالها ودمها الى المختبر الوطني للصحة الحيوانية لتحليلها. الى ذلك، قضت التدابير بذبح الخيول التي ترتفع حرارتها الى ٤٠ درجة مئوية أو أكثر، ودفنها في حفر كلسية مخافة احتضانها المرض. كما بُخِّرت الاسطبلات والمستنقعات تكراراً لتطهيرها من بؤر الذباب اللاسع.

لكن كثيرين من مربي الخيول والبغال ومزارعي المواشي والرعاة والعاملين في حصاد الفلّين تحدو القرار ونجحوا في الافلات من العقوبة. ولم يصدر قرار وزارة الزراعة بالقضاء على الحمر الوحشية والجياد المتبقية في حديقة "إل رنكون" الا في ٢٤ سبتمبر (أيلول) بعدما استشرى المرض في مقاطعات مدريد وتوليدو (طليطلة) وأفيلا.

وأكثر ما أثار الجدل في برنامج الحكومة كان حملة التلقيح المحدودة التي رافقته. ولهذه الغاية وفد الى اسبانيا الطبيب الجنوب – أفريقي بالتوس اراسموس، وهو المرجع العالمي الاول بالفيروس «AHS» ومطور اللقاح الوحيد للنوع الرابع منه، واقترح حملة تلقيح واسعة النطاق في المقاطعات الثلاث.

وطالب مربو خيول أمثال ألفارو دوميك،

وهو من أبرز المربين ومؤسس "مدرسة الفروسية الاندلسية" الشهيرة في بلدة خرين، بحملة تلقيح تغطي البلاد من أقصاها الى اقصاها. قال دوميك: "علينا ان نقنع العالم بأن أحصنتنا لا تشكل خطراً على بنات جنسها."

مع ذلك، استُوردت خمسون ألف جرعة لقاح فقط من جنوب افريقيا وأعطيت للخيول والبغال والحمر الصغيرة ضمن شعاع ٢٥ كيلومتراً من كل من المناطق الثماني المتضررة. كان ذلك بديلا هزيلا من حملة اللقاح العامة، وقراراً سياسياً الى حد كبير، لأن من شأن تلقيح خيول البلاد التي يبلغ تعدادها مليونا أن يصنِّف اسبانيا – بحسب قوانين مكتب الأوبئة الحيوانية آنذاك – بلداً استوطن فيه الفيروس «AHS»، مما قد يحول دون استضافة برشلونة مباريات الفروسية الاولمبية سنة ١٩٩٢.

"ليس لدينا لقاح." يتفق الخبراء على أن زوال الوباء يستلزم موسمين خاليين من الامراض. ومع ذلك، ففي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٧، بعد مرور أقل من ثلاثة أشهر على اعلان سقوط الضحية الرقم ١٦٢، أعلنت السلطات تمام "القضاء" على وباء الخيول ورفعت جميع القيود عن نشاطاتها. وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٨، بعد عشرة أشهر فقط على هذا الاعلان، ظهر المرض مجدداً في الاندلس، موئل الخيول الاسبانية.

وقعت المسؤولية، هذه المرة، على عاتق الحكومة المحلية المستقلة ذاتيا ومقرها اشبيلية. فعمدت باديء الأمر الى طلب ١٥ ألف جرعة من اللقاح لمعالجة نحو ٢٠٠ ألف جواد موزعة في ثمانية أقاليم. واعتمدت في حملتها تدابير محدودة في مجالات الحجر الصحي واللقاحات ورش المبيدات لاحتواء الوباء. فارتفعت الخسائر باطراد الى أن بلغت ٢٠٠ جواد في مقاطعتي قادس وملقة الاندلسيتين.

في أوائل أبريل (نيسان) ١٩٨٩، في وقت استبق اقامة معرض اشبيلية (وما يدره من أرباح سياحية)، أعلنت حكومة الأندلس فجأة "القضاء" على الوباء، ثانية، فكان لاعلانها وقع الصاعقة على مربي الخيول الاندلسيين. وأكدت وزارة الزراعة هذا الاعلان في يوليو (تموز). فاعتبر مانويل نوفاليز، رئيس "الجمعية الاسبانية لمربي الخيول الاصيلة" آنذاك، أن هذا التصرف مناف للعقل وحذر من مغبة الانجرار وراء هذا التهور.

في أواخر الربيع سرت اشاعات في مقاطعة هولفه الاندلسية حول نفوق أحصنة في مستنقعات نهر الوادي الكبير، وتناهت الى مسمع فرنسيسكو لازو في مزرعته الواقعة في بلدة هويفار على بعد ٣٠ كيلومتراً شرقا. فتوجه الى مقر الحكومة في اشبيلية حيث قال: "انني أملك ١٠٠ حصان أندلسي ثمين، ويقلقني ألا أجد لقاحا ضد وباء الخيول." فقيل له: "ليس لدينا لقاح."

لا أمل. ابتداء من أوائل أغسطس (آب) راقب لازو بغضب متزايد نفوق ١٩ حصاناً اندلسياً أصيلا من خيوله بفيروس «AHS». وهي خيول تتسم بأعناق رائعة وعيون براقة وأعراف طويلة متهدلة، ويراوح ثمن الواحد منها بين ١٥ ألف دولار و٣٠ ألفاً. قال لازو متفجعاً: "لم تكن هذه الاحصنة مورد رزقي فحسب، بل موضع فخري وبهجتي."

وعانى آخرون تجارب مماثلة، فمنذ فصل الربيع ظل ديفيد ستيرلنغ، رئيس نادي البولو[٤] في سوتو غراندي بمقاطعة قادس، يلح على الحكومة المحلية طالباً إعطاءه لقاحاً يكفي ٤٢ جواداً جيء بها من الاوروغواي للمشاركة في دورة بولو دولية تبدأ في الاول من أغسطس (آب). وعلى رغم التقارير المتواصلة عن فتك فيروس «AHS» بجياد المنطقة قيل له أن اللقاح غير ضروري. ولكن في ٣١ يوليو (تموز) زار الطبيب البيطري كارلوس دلغادو إسطبلات نادي البولو خلال احدى جولاته اليومية، وعندما وقع نظره على الحصان في المربط ١٥، اتصل فوراً بمقر الحكومة في اشبيلية مناشداً: "عليكم إيفاد مسؤول بسرعة، فلدينا حصان مصاب بوباء الخيول." وعلى رغم اسراع السلطات في ارسال بقايا لقاح، فقد نفقت سبعة أحصنة. ومع ذلك لم يُطلب مزيد من اللقاح الا منتصف أغسطس (آب).

في هذه الأثناء كان الداء انتشر في جنوب اسبانيا كاللهب المستعر. وبلغ عدد الخيول النافقة في الأندلس ذلك الخريف أكثر من ألف. أما الضربة القاسية فحلت في منطقة موغير بمقاطعة هويلفا وذهب ضحيتها ٤٠٠ حصان. يقول خوسيه انجيل رويز الطبيب البيطري في موغير: "يشعر المرء بالعجز اذ يرى الحيوان يخر أمامه."

افلاس وشيك. على رغم تفشي الوباء لم تتوافر في البرتغال المجاورة لقاحات مضادة يوم عثر في ٢٦ سبتمبر (أيلول) على بغل نافق في الجانب البرتغالي من نهر غواديانا. فأرسلت عاجلا من جنوب أفريقيا شحنة لقاحات الى لشبونة. لكنها وصلت متأخرة ولم تحُل دون تفشي الوباء. وبحلول نهاية العام قضى اكثر من ٢٠٠ حصان.

قال فرنسيسكو ابرو، وهو مدرب خيل عالمي المستوى يدير مركزاً للفروسية في شمال لشبونة: "كل ما أملكه مرتبط بهذا المركز. قبل تفشي الوباء في اسبانيا كان نصف الاحصنة الواردة على المركز يأتي من مصادر أجنبية. أما الآن وقد أُغلقت الحدود، فقد صرت مرغماً على الاكتفاء بالسوق البرتغالية الضيقة. نحن نكافح للاستمرار، لكن أدنى ضربة للوباء هنا ستجرنا الى الافلاس."

وفي فبراير (شباط) ١٩٩٠ قررت الحكومة البرتغالية تلقيح جميع الاحصنة في البلاد وعددها ١٧٠ ألفاً.

(٤) البولو لعبة رياضية شبيهة بالهوكي تمارس على متون الخيل بمضارب طويلة وكرة خشبية.

وفي الاندلس كلّف نحو ١٥٠ طبيبا بيطريا تلقيح ١٦٠ ألف دابة عام ١٩٨٩. كذلك أخضعت الحكومة المحلية في الأندلس جميع جياد المنطقة لحجر صحي صارم وحصرتها ضمن شعاع بلغ ستة كيلومترات انطلاقا من اسطبلاتها. كما ألغت جميع مباريات الفروسية. ومع ذلك أُفيد في أوائل سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠ عن تفشٍ جديد للوباء في مقاطعة ملقة قضى خلال شهر على أكثر من ١٨٠ حيوانا غالبيتها من المُهُر غير الملقحة.

وفي يوليو (تموز) ١٩٩٠ وضعت فرنسا رقابة شديدة على الخيول المقيمة أو العابرة في أراضيها المتاخمة للحدود الاسبانية. كما فرضت الابلاغ عن ولادة أي من هذه الخيول أو نفوقها أو ذبحها. يقول جورج بيديس، وهو نائب مدير في وزارة الزراعة الفرنسية: "هذا شيء لا يذكر بالمقارنة بما سنفعله إذا ما وقعت إصابة واحدة على هذا الجانب من الحدود."

منذ أواخر العام ١٩٩٠، بعد تأكيد اختيار برشلونة مضيفة لدورة الفروسية الاولمبية سنة ١٩٩٢، تجرى عملية تلقيح سريعة للجياد في الاندلس، لكن اسبانيا لا تزال تواجه احتمال مقاطعة بعض كبار مربي الخيل لهذه الدورة.

باختصار، لن يُغفل مربو الخيل الاخطار الناجمة عن إرسال جيادهم الى برشلونة. ويتساءل فرنسيسكو ابرو: "اذا كنت تملك حصانا يساوي مليون دولار، فهل تخاطر بارساله الى هناك؟"

خلال ثلاث سنوات ونصف سنة قضى الوباء على نحو ١٨٠٠ حصان وبغل وحمار صغير في اسبانيا والبرتغال على رغم انفاق ملايين الدولارات لمكافحة المرض المتفشي. وشُلّت مصالح تربية الخيول التي تدر سنويا على اسبانيا زهاء ٥٠ مليون دولار. أما أكثر ما يثير الحزن فهو انه كان من الممكن انقاذ مئات الحيوانات وتفادي كثير من القهر لو أن حكومتي اسبانيا والاندلس أفادتا باكرا من الوسائل المتاحة.

تشارلز بارميتر ■

مشحونة

شقيقي رجل جدي رصين، لذا بدا تصرفه غريبا أمام شباك التدقيق في تذاكر السفر في المطار.

فبينما كان وزوجته يضعان حقائبهما على حزام الامتعة المتحرك، سقطت حقيبة يدها على الحزام. فحاولت التقاطها لكنها لم تدركها في الوقت المناسب. فتسلقت الحزام محاولة الوصول اليها. وفيما هي توشك ان تختفي مع الحقائب عبر الباب راح شقيقي يلوّح بيديه محتدا ويصرخ: "لا، لا يا عزيزتي، كل شيء على ما يرام، لقد اشترينا تذاكر هذه المرة!"

غ.ك.

ثري كريم وعجوز شهم وباحث لا يخاف الموت

• نخوة الرجال •

ديفيد مارتينيز (٩٤ عاما) جندي قديم في سلاح المدفعية قُلّد وسام الشجاعة لاستبساله في الحرب العالمية الاولى. لكن هذا كان في الماضي.

وفي ٧ فبراير (شباط) ١٩٩١ جلس مارتينيز في غرفته يحدق عبر النافذة يائساً راجياً أن يختصر الله سني عجزه فيموت بسلام. فجأة رأى كلبا شارداً يقترب من ابن الجيران شون تروسو وهو صبي في السادسة من عمره. حاول شون التقاط الطوق المحلول عن عنق الكلب آملا ان يصطحبه الى بيته.

تملك الرعب مارتينيز العجوز عندما هجم الكلب على الطفل وألقاه أرضا وراح ينهشه. فهرع الى الخارج، وهو في العادة لا يقوى على السير من دون عصاه. وركض مسافة ٢٠ متراً الى الصبي الطريح وراح يضرب الكلب بعصاه الى أن هرب تاركاً شون مخضبا بدمه. وبعد دقائق وصل فريق طبي الى المكان وباشر عملية الاسعاف.

وأفاد الاطباء لاحقا أن الصبي أنقذ في الوقت المناسب وكان سينزف حتى الموت لو استمر الكلب في نهشه لبضع ثوان.

لقد انقذ العجوز حياة شون. ويتذكر مارتينيز "تلك الضربات الحاسمة بعصاي على رأس الكلب." وترتسم على وجهه نظرة من أنجز أمراً عظيماً.

ويقول ابنه دان: "لقد يئس والدي من الحياة في الفترة الاخيرة، وكان كئيباً. أما اليوم فهو يشكر الله لأنه ما زال حياً. ان انقاذ الصبي ألهب مشاعره ونفخ فيه حب الحياة."

دنيس ماكارثي

في "ديلي نيوز"

• ليلة لا تنسى •

يحبّ دون برونز لعبة البايسبول (كرة القاعدة) وهو من أنصار فريق "سينسيناتي ريدز." ويشاركه ابنه آرون في هذا الاعجاب. وفي عيد ميلاده الحادي عشر قرر والده أن يصطحبه لمشاهدة المباراة الاولى في بطولة العالم للعام ١٩٩٠ في مدينة سينسيناتي على بعد ساعتين بالسيارة. لم تكن لديهما

بطاقات، لكنهما أملا الحصول على اثنتين من "السوق السوداء."

ولدى وصولهما الى الملعب حملا لافتة كتبا عليها: "نريد بطاقتين للمباراة." ويذكر دون: "كان هناك باعة كثيرون، لكن سعر البطاقة الواحدة تجاوز موازنتنا إذ بلغ ١٧٥ دولاراً. وقد تفهم أرون الموقف."

بعد مضي ساعتين وهما يجوبان الشوارع، اقترب منهما مايكل تيتشر العامل في شركة لانتاج برامج تلفزيونية خاصة بالبايسبول، وقدم اليهما بطاقتين. ولما سأله دون عن ثمنهما أجاب: "لا، لا، شكرا. استمتعا باللعبة."

سُئل تيتشر لاحقا عن سبب بادرته فقال: "انني أعمل لدى شخص يدعى جو بوديستا لم يفوِّت مباراة واحدة في البطولة العالمية على امتداد ١٦ عاماً. لكنه أصيب هذه السنة بنوبة قلبية منعته من الحضور. وطلب مني أن أهب البطاقتين، مشترطا أن تكونا من نصيب شخصين يطيران فرحا بهما."

جال تيتشر في البلدة ساعات، قبل أن يلتقي دون وابنه. وبدا له أن معظم الذين التقاهم كانوا "سيأخذون البطاقتين ويبيعونهما... الى أن رأيت هذا الرجل وابنه الوسيم النحيف الذي يضع نظارتين، وهو بدا لي حزينا ومحبطا. ذكّراني بوالدي وبي يوم كنت صبيا متحمسا للقيام بأي شيء في مقابل مشاهدة هذه المباراة التي لم أحضرها قط."

أما دون برونز فيقول: "لن ننسى في حياتنا هذا الحدث. كنت كل بضع دقائق أنظر الى ابني وينظر هو الي ونحن غير مصدقين أننا نحضر المباراة. لن ننسى تلك الليلة."

بوب غرين

في "شيكاغو تريبيون"

• دَين مستحق •

علق حوت أحدب* في شبكة شفافة على مسافة ٢٧ كيلومتراً من شرق غلوستر في ولاية مساتشوستس. والتفّت الشبكة حول منخره وزعانفه فأعاقت تنفسه ومنعته من الحراك والأكل.

كان مصير الحوت موتا محتما لو حدث ذلك في الماضي. إلا أن الأحد اختلف في ١٦ يوليو (تموز) من العام ١٩٩٠ بفضل تشارلز مايو أحد مؤسسي "مركز الدراسات الساحلية" في بروفينستاون ومدير قسم الابحاث فيه ورئيس فريق تخليص الحيتان التابع له. وهو عالم بالاحياء البحرية في السابعة والاربعين من العمر.

قاد مايو مركب الانقاذ الى مكان الحادث. وتعرف الى الحوت على أنه "مالارد" الذي يتردد على الشاطىء. يقول مايو في وصفه: "طوله ١٢ مترا ووزنه ٣٠ طناً. وهو فضولي، مرح، ودود.

(*) Megaptera

يقصد المركب الذي نجري فيه أبحاثنا ويحدق الينا بوقاحة."

ربط رجال الانقاذ عوامات ثقيلة بالشبكة التي علق فيها مالارد، مما أضعف مقاومته ومكّن رئيس الفريق من الدنو أكثر من ذلك الكائن البحري الذي يفوقه حجماً ٣٠٠ مرة. وكان مايو ومعاونوه يركبون آنذاك زوارق مطاطية صغيرة.

اقترب مايو خائفاً من الحوت الذي بدا مرهقاً ومتألماً، وراح يقطع الشبك بسكين كبيرة وينزع جدائل الحبل واحدة تلو أخرى. وكان مالارد في هذه الاثناء طيعاً. ولكن عندما وصل مايو الى الجزء الذي يغطي منخره قفز في الهواء وكاد يقع على الزورق. ثم هدأ فجأة متيحاً لمايو مواصلة مهمته المضنية.

وعندما حُلّت الجديلة الاخيرة في الشبك تراجع الجميع اذ ظهر أمامهم حوت أحدب آخر بدا كأنه يطمئن رفيقه ويقول له: "انطلق، أنت حر الآن." فزمجر مالارد وتقلب في المياه، ثم رفع ذيله في الهواء وغطس الى الاعماق نافخاً رذاذاً هلّل له مايو ورفاقه.

هناك نحو ٦٠٠ حوت أحدب في خليج ماين بالولايات المتحدة. ومالارد هو تاسع الحيتان التي أنقذها فريق مايو. وجدير بالذكر أن عائلة مايو كانت اشتهرت بصيد الحيتان الكبيرة، وهو يعلّق على ذلك قائلا: "ان علاقتي بالحيتان وراثية، فقد كان أسلافي يقتلون أسلافها. وأنا أعتقد أنني بانقاذي اياها أسدد ديناً مستحقاً."

كريستوفر فيليبس

في "باريد"

عروس وعريس

كانت الطفلة تحضر حفلة زفاف للمرة الاولى. فهمست في اذن والدتها: "لماذا ترتدي العروس ثوباً أبيض يا ماما؟"

أجابت الأم: "لان الابيض هو لون السعادة، وهذا أسعد يوم في حياة العروس."

فكرت الصغيرة لحظة ثم عادت تسأل: "ولماذا يرتدي العريس ثياباً سوداء؟"

ج.س.

فنون الصيد

ذهبت شلة من الاصدقاء لاصطياد الغزلان، وانقسموا اثنين اثنين. وفي المساء عاد احدهم الى المخيم وحيداً ينوء تحت حمل غزال كبير، فسأله صياد آخر: "أين جهاد؟"

أجاب: "لقد أغمي عليه في الطريق."

– وتركته هناك وحيداً لتعود بالغزال؟

"كان ذلك خياراً صعباً. لكنني افترضت أن احداً لن يقدم على سرقة جهاد."

ذ.ج.

حكايات من العالم

صفير الكناري

□■ الصفير لغة ثانية في غوميرا، احدى جزر الكناري السبع الماهولة. وحين ينوي احد المزارعين التكلم مع صديق له عبر واد، يضم شفتيه ويصفر. ويشبه ممارسو هذا الاتصال البعيد طيور الكنار. يقول دومينغو دارياس بادرون الذي تعلم لغة الصفير المسمّاة "سيلبو" وهو صبي: "في امكانك ان تقول اي شيء بواسطة الصفير. وفي الطقس الجيد يسمع الصفير على بعد ثلاثة كيلومترات."

القاعدة سهلة، فلكل حرف صوت صفيري مرادف. وتتدفّق الكلمات من بين شفاه المواطنين سريعة سلسة، تعلو نبراتها وتهبط كغناء الكنار. وكما ان في الكلام لهجة ولكنة، فلكل قرية في غوميرا "لكنة" صفير خاصة.

وكالة "رويتر"

الفقمة الكندية

□■ في الماضي كان الوحيدون الذين يغامرون في الوصول الى الاطواف الجليدية قبالة جزر ماغدالين في كيبيك هم صيادو الفقمة (عجل البحر) القاطنون في تلك الجزر، فيضربون صغار الفقمة على رؤوسها حتى تنفق ويسلخون جلودها الفرائية البيضاء. كما كانت تقصد تلك الجزر جماعات من انصار البيئة والحيوان بهدف وضع حد لهذه المجزرة.

وفي العام ١٩٨٧ صدر قانون في كندا يحرّم قتل صغار الفقمة لاغراض تجارية. والآن يطير السياح الى تلك الجزر النائية لمشاهدة هذه الحيوانات اللطيفة. وبذلك شملت الفائدة الجميع: فالفقمة باتت بمنجاة من القتل، والسكان المحليون يربحون من السياحة، والسياح يصادقون احد الحيوانات الثديية المحبّبة.

مجلة "ترافل هوليداي"

تصفيق في الاوروغواي

□■ كنت ازور عمتي في منتجع "بونتا دل استي" على شاطىء البحر. وذات مساء سمعت في احدى اسواق الصناعات الحرفية تصفيقا إيقاعيا عاليا. فشرحت لي عمتي الامر: "هناك ولد ضائع. عندما يضيع احد الصغار ويشاهد تائها في مكان عام، يتجمع المارة حوله ويشرعون في التصفيق حتى ياتي ولي امره ويتسلمه."

اليزابيث شيل

أشباح النروج

□■ في اواسط النروج بين غيرنغر وغروتلي طريق جبلية قديمة العهد يحكى انها "مسكونة." وفي سبيل تحذير السائقين من مغبة رؤية مناظر غريبة وسماع اصوات غامضة، عمد المسؤولون المحليون الى رفع لافتات ليس لها مثيل في العالم، تنبه السائقين الى احتمال ظهور أشباح فجاة قد تروعهم فتنقلب بهم سياراتهم.

مجلة "بابليك اينوفيشن ابرود"

اعتقادات خاطئة

هل يرنّ هاتفك كلما دخلت الحمام؟ وهل ينجب الازواج العقماء اذا تبنوا أطفالا؟

يعتقد معظم لاعبي كرة السلة وهواتها بما يدعى "اليد الحامية." ويتصوّرون أن اللاعب ما ان يبدأ بتحقيق اصابتين أو ثلاث اصابات حتى يصبح حظه كبيراً في مواصلة التسجيل، أما اللاعب الذي يفشل تباعا في التسديد فيُعتبر أنه "برد" وسيخيب في محاولاته التالية.

قررنا أنا وزملائي أن ندرس هذا الاعتقاد عن كثب. فاستندنا الى أرقام فريق "فيلادلفيا – ٧٦" لكرة السلة* خلال موسم ١٩٨٠ – ١٩٨١. وخلافا لكل افتراضات "اليد الحامية" بدا لنا أن اللاعبين كانوا يسددون ضربات أفضل بعد كل ضربة ضائعة. فقد تبين أن ٥٤ في المئة من التسديدات الناجحة تحققت بعد تسديدات خاسرة، كما أن احتمال تحقيق رمية صائبة ازداد بعد خسارة رميتين أو ثلاث رميات.

هذه الدراسة، ودراسات أخرى أكثر تفصيلا، تناقض تماماً مقولة أن لاعبي كرة السلة يسجّلون اصاباتهم الرابحة تواليا. لكن معظم الناس يصرّون على صحة نظرية "اليد الحامية" حتى بعد مواجهتهم بهذه الوقائع.

وليس سهلا اقتلاع الأوهام من مخيّلة البشر. فالبعض، مثلا، يؤمن ايمانا راسخاً بأن للزوجين العقيمين حظاً حقيقيا في الانجاب بعد أن يتبنيا طفلا. أما التبرير المتّبع فهو أن الزوجين يكفّان بعد التبنّي عن انهاك انفسهما في محاولة الانجاب، فتعزز حال الصفاء الذهني التي أدركاها فرصهما في تحقيق حدث سعيد. لكن الابحاث الطبية تنفي هذه النظرية.

وتؤكد ممرّضات في أجنحة المواليد الجدد أن الولادات تزداد على نحو ملحوظ حين يكون القمر بدراً. لكنهن على خطأ.

(*) كان فريق "فيلادلفيا – ٧٦" أنذاك الوحيد الذي يسجل، تراتبيا، اصابات كل لاعب واخطاءه.

أما كيف يمكن البشر أن يتشبثوا بمعتقدات مريبة كهذه، فليس ذلك لأنهم أغبياء أو مغفّلون. نحن عادة نتمسك باعتقادات خاطئة لأننا ندرك أمور الحياة على نحو مجتزأ ومبهم. لذلك فان محاولاتنا الناقصة لفهم المعلـومات المتضاربة والمشوشة تجعلنا نصدق أشياء في غير محلها.

وهذه هي الحال في الاعتقاد السائد حول الأزواج العقماء. فنحن نسمع عن ازواج أنجبوا بعد تبنّيهم ولداً، لأن حظّهم الحسن لفت انتباهنا. أما حالات الأزواج الذين يتبنّون ولداً ولا ينجبون، أو أولئك الذين ينجبون من غير تبنٍ، فهي تبقى في الظلّ.

اذا، لماذا يأخذ الناس بفكرة "اليد الحامية" في كرة السلة؟

يحدث كثيراً أن يصيب اللاعب في خمسين في المئة من رمياته، وأن يحرز عشرين اصابة في مباراة واحدة، لذلك قد يحالفه الحظ في تحقيق أربعة أهداف أو خمسة متتالية، وهذا ما يبدو للآخرين سلسلة متتابعة لا تنقطع. لكن الأمر في حقيقته لا يتعدى قوانين الارجحيّة العادية جداً. فالناس، مثلا، يتوقعون من قطعة نقد تُنقف في الهواء أن ترسو متعاقبة بين "الطرّة" و"النقشة" أكثر مما يحصل في الواقع. فهبوطها على جهة "النقشة" أربع أو خمس مرات متتالية يتنافى وتوقعاتنا، مع أنه في عشرين نقفة متتالية يكون الاحتمال ٥٠ في المئة بهبوط القطعة على جهة "النقشة" أربع مرّات و٢٥ في المئة بهبوطها على الجهة ذاتها خمس مرّات. ويأتي "قانون المعدّلات" الذي يسميه الاحصائيون "قـانون الاعـداد الكبيرة"، ليضمن التساوي المتوقع بعد عدد كبير جداً من النقفات.

ويكمن خطأ لاعبي كرة السلّة وهواتها في ترجمتهم لما يرون. فتوالي الاصابات أو الاخفاقات أمر لافت يعلق في الذاكرة. في حين أن تسجيل اصابة وسط اخفاقات متكررة، أو العكس، أي الاخفاق في التسجيل وسط سلسلة من الاصابات الناجحة، أمر قد يمرّ من دون ملاحظة. ويحدث أن تدور الكرة طويلا داخل الحلقة المعدنية ثم تعود وتقع خارج السلة. فاذا كان اللاعب الذي أطلقها اصاب في ضرباته الأخيرة، اعتبرت ضربته هذه "فرصة قريبة." أما اذا كان اخطأ في رمياته السابقة فتُحتسب هذه دليلا على برودته الواضحة.

ويتأثر الناس أكثر بالدلائل التي تشير الى علاقة ما بين الأحداث. فنجد أشخاصا مقتنعين بأن أحلامهم رؤىً لأن بعضا منها تحقق، ناسين أو متناسين أن كثيراً منها لم يتحقق بتاتا.

يقول بعضهم ان الهاتف لا يرنّ إلا وهم يستحمّون. والحقيقة أن الهاتف عندما يرنّ ونحن في الحمّام، يكون في الحدث من الازعاج والغرابة ما يطبعه في الذاكرة. وإن لم يرنّ الهاتف ونحن في الحمّام، فان "اللاحدث" يمرّ من دون أن يلاحَظ.

يريد الناس أن يروا نظاما ونمطا ومغزى في العالم. وحتى حين تُثبت الاحصاءات بعض القواعد والانظمة، فكثيراً ما نبالغ في محاولة القراءة بين السطور.

لنأخذ أيضاً الاعتقاد الشائع أن المصائب، كالنكبات الشخصية والوفيات وحوادث تحطّم الطائرات، تحدث "ثلاثاً." وينتج هذا الاعتقاد من رغبة البشر في أن يجعلوا الحادث الثالث الذي يقع مقياساً لتحديد "فترة الكوارث." فاذا وقعت ثلاثة من حوادث تحطّم الطائرات خلال شهر، فان النطاق الزمني الذي يعتبر فترة كوارث جوية متعاقبة هو شهر. امّا اذا وقعت هذه الحوادث خلال سنة، فان نطاقها الزمني يتّسع تلقائياً.

ونحن نتجه الى تصديق ما نريد تصديقه. فغالبية الناس يعتقدون أنهم يقودون سياراتهم على نحو أذكى وأوسع أفقاً وأمهر من السائقين المتوسطين. ويعود أحد أسباب اعتدادنا بأنفسنا الى اعتمادنا مقاييس هي في مصلحتنا. وفي هذا الصدد، يقول الاقتصادي توماس شيلنغ: "كل شخص يصنّف نفسه عالياً في المزايا التي يقدِّرها. فالسائقون الحذرون يقدّرون الحذر، والسائقون المهرة يقدّرون المهارة، والسائقون المهذّبون يقدّرون اللياقة." وهكذا يصنّف كل شخص نفسه عالياً وفقا لمقياسه الخاص.

ولعل أهم عادة فكرية يمكننا تعلّمها هي توخّي الحذر في استخلاص النتائج، اذ ان "البيِّنات" التي نراها في حياتنا اليومية لا تقودنا دائماً في الاتجاه الصحيح. نحن هنا نحارب نزعة الفكر الانساني الى توهم رابط منطقي وبنيوي بين أنماط عشوائية والانبهار بالادلة المؤكدة والتعامي عن التناقضات والتأثر غير الموضوعي بأفضلياتنا ومعتقداتنا. علينا أن نعيد النظر في افتراضاتنا ونتحدّى ما نعتقد أننا نعرفه جيداً.

توماس جيلوفيتش ■

ومن الحرص ما جنى

حجزت وصديقة لي غرفة مشتركة في فندق أثناء تمضية عطلتنا في أحد المنتجعات. ولما لم نكن معتادتين الفنادق الكبيرة فقد كنا قلقتين على سلامتنا. في الليلة الاولى دعمنا الباب من الداخل بكرسي اثقلناه بحقائبنا. وكلمسة اخيرة، وضعنا سلة المهملات فوق الحقائب، حتى اذا حاول أحدهم الدخول سمعناه بالتاكيد.

قرابة الاولى بعد منتصف الليل سمعنا طرقاً على الباب. فسألت صديقتي بعصبية: "من هناك؟"

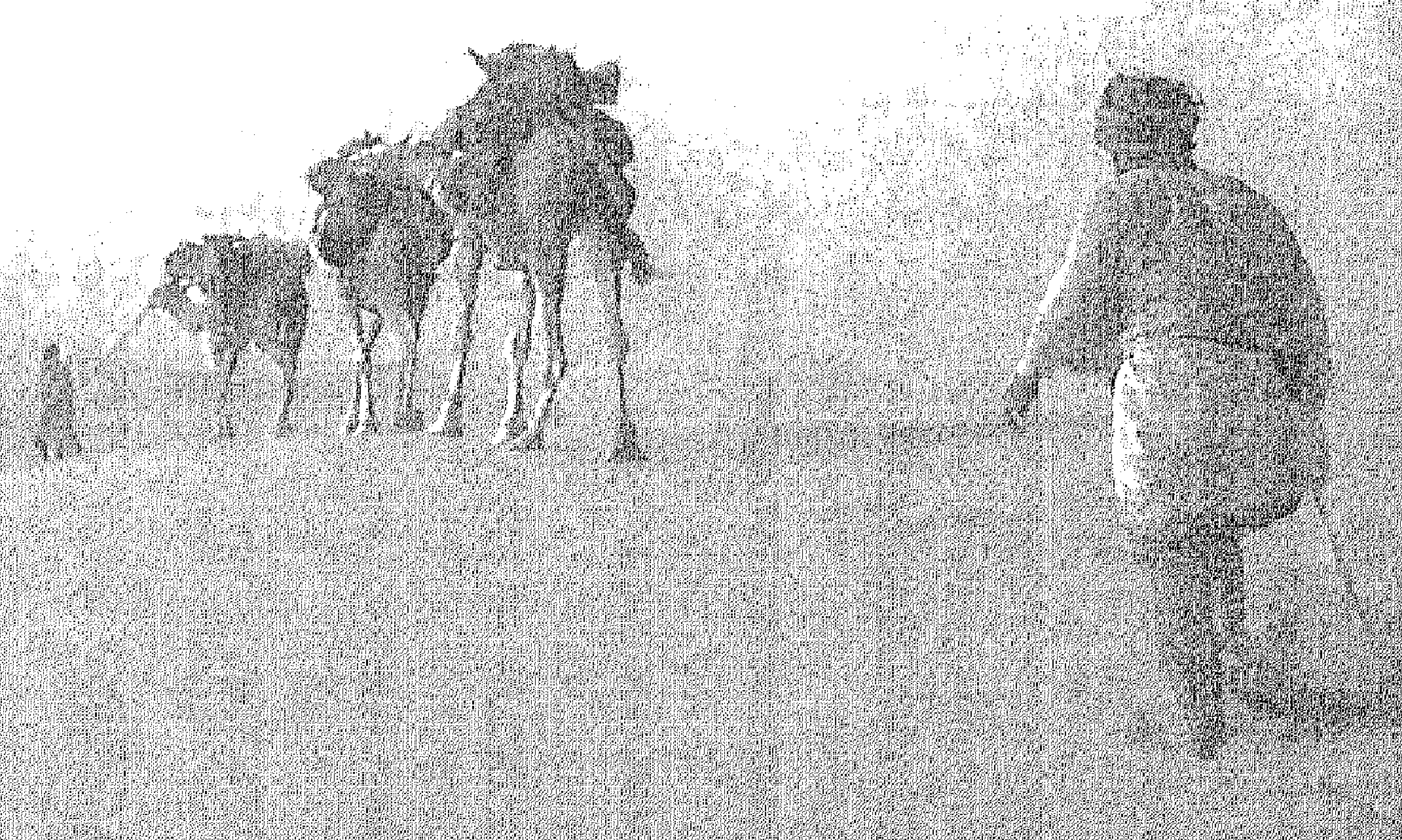
فهتفت امراة من الجانب الآخر: "يا عزيزتي، لقد تركت المفتاح في الباب!"

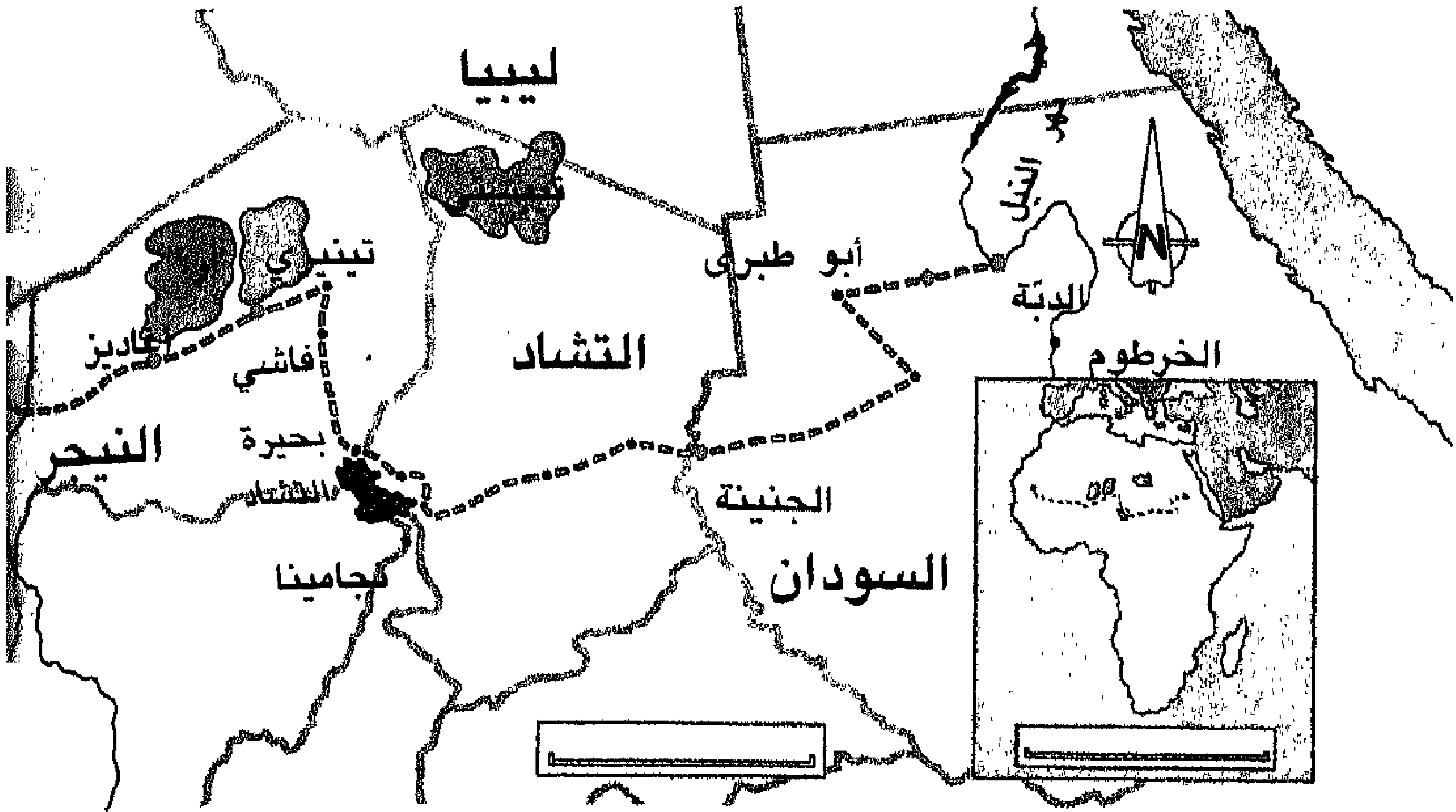
ب.ب.

كتاب الشهر

قاهرو الصحراء الكبرى

ملخص من كتاب "الرحلة المستحيلة:
اثنان يقتحمان الصحراء" بقلم مايكل آشر





قاهرو الصحراء الكبرى

كتب أحد رواد الصحراء الكبرى: "ان هذه الارض القاسية تأسرك بسحرها." وهذا السحر أسر مايكل آشر كما أسر آخرين قبله. فمنذ وقع نظره على تلك الصحراء الواسعة الموحشة استبدت به رغبة ملحة في كشف ما وراء أفقها البعيد.

حلم آشر بقطع الصحراء الكبرى من أقصاها الى أقصاها على متون الجمال. وتلك مغامرة لم يقدم عليها غربي قبله. كان التحدي كبيراً بحجم المغامرة التي تستنزف أقصى طاقات الشجاعة والاحتمال والتي اعتزم الشاب البريطاني خوضها مع عروسه الايطالية. وهما اختبرا في رحلتهما معنى المثل العربي: "يفعل اثنان ما يعجز عنه واحد."



اجتياز الصحراء الكبرى
على متون الجمال
من واحة تشينغيتي
الى نهر النيل.

وقفنا أمام باب منزلنا في واحة تشينغيتي على الطرف الغربي للصحراء الكبرى. وامتد أمامنا خضمّ من كثبان الرمل المنحدرة الى الوادي حيث تنتصب أشجار النخيل وينبسط الرمل أبيض ناعما كالثلج.

أنهضنا الجمال فأخذت ترغو وتهدر. فالتقط دليلنا محفوظ رسن جمل الطليعة وصاح: "بسم الله الرحمن الرحيم. هيا بنا، الطريق طويلة!"

وفيما انطلقت القافلة سمعنا هتافات داعية: "مع السلامة." ورافقنا سيد احمد، شيخ تشينغيتي ومالك المنزل، الى طرف الوادي حيث صافحنا مودعا: "الله معكما. ابعثا الي برسالة لدى وصولكما الى نهر النيل." فودعناه وسرنا على بركة الله، وتركناه منتصبا على حدود ملكه، محاربا عجوزا صلب العود فخورا.

وما هي الا لحظات حتى اكتنفتنا كثبان الرمل وغابت بلدة تشينغيتي الصحراوية القديمة عن عيوننا الى الأبد. قالت لي زوجتي ماريا نتونيتا: "أشعر كأني في بطن حوت."

سرنا الصباح كله بين كثبان محدودبة شكّلتها الرياح وصخور طمرتها الرمال ولم يظهر منها الا أطرافها المسنّنة الحادة. واجتزنا جسورا من الرمل حيث تعثرت جمالنا الثلاثة وانحرفت داخل ممرات ضيقة ارتفعت فيها جدران الرمال مقزّمة قافلتنا الصغيرة المتغطرسة الطامعة بقهر الصحراء الكبرى.

توقفتُ والتقطت رأس سهم شائك. وتساءلت كم من السنين مضى وذلك الرأس مدفون هناك. ألعلّه لأحد الصيادين الذين جابوا الصحراء يوم كانت غابة خضراء؟ لقد

زالت الغابة وزال الصيادون، لكن السكان تشبثوا بالارض وعدّلوا نمط حياتهم فصمدوا وبقوا أحياء. فان تكيّفنا نحن وشظف العيش في الصحراء فسيتاح لنا البقاء أحياء مثلهم.

كان الهجير لاهبا، فجف فمي وكنت أرطبه كل نصف ساعة برشفة ماء. كذلك فعلت ماريا نتونيتا. قالت لي: "يا لهذا الماء! طعمه كالعسل! لم أذق مثله في حياتي."

مرّت ساعات ونحن نطوي مواكب من الكثبان الرملية. وقبيل غياب الشمس بلغنا سهلا مرتفعاً من الحجر الأسود، فتابعنا سيرنا بصمت الى أن غابت الشمس وتلاشى وهجها وراء الافق وأطبق ظلام دامس على السهل.

زوجة ورفيقة

أقمنا مخيّمنا تلك الليلة. وجمع محفوظ بعض الحطب وأشعل النار وحضّر الشاي فيما كنا منهمكين بترتيب عدتنا. وقال معتذراً: "يجب أن أشرب الشاي أولا، والا ثار غضبي."

بعد تناول الطعام والشاي اللذيذ شعرنا جميعاً بحال أفضل. فجلسنا على الرمل الدافىء نراقب النار تخبو رويداً. كانت السماء مرصعة بالنجوم، وسمعنا حفيف خفاف الجمال القريبة التي حجبها الظلام وهي تتنقل متلمسة طعامها من الاعشاب النامية.

تنسّم محفوظ الهواء فتوقع مطراً. قال: "غداً سيهطل بعض المطر الذي يتبع اشتداد الحرارة في هذا الوقت من السنة. وسيترك بركا في الارض. وحين يتوافر الماء لا يخشى الحرّ. الماء نعمة من الله."

ثم تناول حرامه وابتعد عنا لينام على الرمل. وبسطت أنا وماريا نتونيتا حرامينا ونمنا متلاصقين. قلت معلقاً: "حسناً، هذا هو اليوم الاول من رحلتنا، فهل تعتقدين أننا سنصل الى النيل؟"

أجابت: "نعم." وبعد دقائق استسلمت للنوم.

لكني بقيت مستيقظا. وفي أفق خيالي جُبت ٧٠٠٠ كيلومتر عبر الرمال الافريقية وصولا الى السودان حيث نهر النيل هدفنا المنشود. فاستذكرت المياه العميقة المتدافعة، ونور الشمس يداعب رقرقة الموج، والمياه المزبدة البيضاء المقرقرة من الشلالات، ومشهد الصحراء للمرة الاولى عن ضفاف النيل، وكيف خفق قلبي إثارة وتشوقاً لاستكشاف تلك الارض الغامضة المترامية وراء الأفق.

وتذكرت لقائي ماريا نتونيتا للمرة الاولى.

في مدينة الخرطوم عاصمة السودان وقع نظري للمرة الاولى على المرأة التي أصبحت زوجتي. كان ذلك في مارس (آذار) ١٩٨٥ وقد مرّت ست سنوات على اقامتي

في البلاد حيث علَّمت الانكليزية، لغتي الام، وارتحلت مع بدو الكبابيش. وأثناء مروري بالخرطوم ذات يوم تلقيت رسالة من أحد ممثلي منظمة الامم المتحدة للطفولة (يونيسف) يطلب نصيحتي في شأن استخدام الجمال في مشروع إغاثة. وطلب مني التكلم مع ماريا نتونيتا بيرو. وهكذا التقيت تلك الايطالية الناعمة التي سافرت الى كثير من أقطار الارض وأتقنت لغات عدة.

قالت بعدما نظرت الى سروالي الجينز ومظهري المشوَّش: "اذاً أنت هو الكاتب الخبير بالجمال! هل كانت رحلتك في السيارة طويلة الى هنا؟"

أجبتها: "لم آت في السيارة، فليست لدي واحدة. جئت ماشيا."

قالت: "أوه، أرى ذلك." ورمقت سروالي الجينز ثانية، فخيل الي أن انفها شُكل خصوصاً لاظهار الازدراء.

ثم أخذت تطلعني على عملها مع اليونيسف وهي مقطبة الحاجبين. أحسست رغبة ملحة في الخروج من مكتبها. وبعد انتهائها من الشرح استدرتُ ماشيا الى الباب، فانقطع رباط لاصق في حذائي، فتعثرت واحمر وجهي ارتباكا.

واذا بي أسمع قهقهة صبيانية عذبة صافية غيرت الجو وغيرت حياتي. قالت لي ماريا نتونيتا: "لا عليك، أنا سأصلحه." وأتت بدبوس صغير أزرق كتبت عليه عبارة "يونيسف هي للاولاد." وأنقذ الدبوس الموقف، وأسرتني تلك الضحكة المنعشة. ولا شك في أني وقعت في حب ماريا نتونيتا بيرو تلك اللحظة.

لم أطلعها الا لاحقاً على خطتي لاقتحام الصحراء الكبرى على ظهور الجمال عبر ستة من أشدّ بلدان العالم جفافا وقحلا، وكانت الحرب مستعرة في إحداها. وهي لم توافق على الزواج بي فحسب، بل صممت أيضاً على مرافقتي في مغامرتي.

ترددت طويلا وقلت لها: "ستكون الرحلة محفوفة بالمخاطر في قلب الصحراء الواسعة، برمالها المحرقة وشمسها اللاهبة وعواصفها الرملية وبردها القارس ليلا، وبالطعام الرتيب والماء الآسن والسير المتعثر يوماً بعد يوم في متاهات من الهضاب والوهاد والنجود والسراب الخادع. إنها مغامرة لم يقدم عليها أحد قبلنا... ولاسيما من اهل الغرب."

احتجَّت ماريا نتونيتا: "انني أصلب وأشد مما أبدو لك. لا أريد أن أقضي حياتي كلها وأنا أعلِّم البدو. أريد أن أتعلَّم مما عندهم."

كان في اصطحابها فوائد جمة، منها أنها تتكلم الفرنسية والعربية، اضافة الى أنها مصورة ممتازة. وأهم من ذلك أني أحبها. فأقنعت نفسي بأن اصطحابها فكرة صائبة.

كنت حددت واحة تشينغيتي في موريتانيا نقطة لانطلاقنا نتوجه منها جنوبيا – شرقا الى مالي حيث نتوقف في تمبكتو، بلدة القوافل الأسطورية القديمة، ومن ثمّ ننعطف

شرقاً الى النيجر مخترقين جبال آر وبحر الرمال في تينيري. ثم يتعين علينا استكشاف طريق لعبور التشاد حيث تحتم علينا الحرب الناشبة في الشمال الانحراف مسافة طويلة عن الطريق الرئيسية. بعد ذلك نصل الى السودان حيث نكون في سلامة وأمان نسبيين، ونتابع من هناك مسيرتنا الى نهر النيل.

خطّطنا لاستئجار أدلاّء والاستعانة بالخرائط والبوصلات. لكن اعتماد التكنولوجيا المتطورة لم يحطّ من الروح الوثابة التي دفعتنا الى التحدي والمغامرة.

اعتزمنا الانطلاق في شهر أغسطس (آب) القائظ لكي لا نَعْلق خلال فصل الحر التالي في الجزء الشرقي الأقحل من الصحراء الكبرى حيث يكون الجفاف والحرارة على أشدهما ونكون نحن في أدنى دركات الضعف. وحتى إن هطل المطر فلن يكون لنا منه الا فرج موقت. واذا قدَّرنا أن متوسط المسافة التي نجتازها يوميا على ظهور الجمال هي ٤٠ كيلومتراً، مع ما يرافق ذلك من تأخر وتوقف للاستسقاء، فستستغرق الرحلة قرابة تسعة أشهر.

في قلب الصحراء

في ٢٠ إبريل (نيسان) ١٩٨٦، بعد نحو سنة على لقائنا الاول، نزلت وماريا نتونيتا في موريتانيا الحارة حيث اعتزمنا قضاء ثلاثة أشهر نتدرب خلالها على العيش في مناخ الصحراء. ولكن ما لبث أحدهم أن أخبرنا أن اجتياز الصحراء على متون الجمال بات مستحيلا بسبب نضب عدد كبير من الآبار.

ارتاع الشيخ سيد أحمد حين بلغه عزمنا على السفر في فصل الصيف، وهتف: "السفر في الصحراء الكبرى محرم في هذا الفصل من السنة. فما من مغربيّ يعرف الصحراء يقدم على هذا العمل."

وحين خاب فأله في اقناعنا بالعدول عن رحلتنا الجنونية ضحك وقال: "ستكون هذه المغامرة امتحاناً عسيراً لكما." ثم علَّمنا كيف نشدّ الرحل المغربي على ظهور جمالنا في شكل كرسي بذراعين، وكيف نربط قِرَب الماء بحيث تتدلى على جانبي الجمل. كانت تلك القرب أثمن ما لدينا من متاع. وقال لنا سيد أحمد: "من دون الماء لن تعيشا يوما واحداً في هذا الحر الحارق."

وأتانا بدليل اسمه محفوظ، وهو بدوي رقيق القوام متين البنية كأن صدره لفّ بأمراس من فولاذ. كان محفوظ يعمل مع القوافل، وجهه أسمر لوحته الشمس والابتسامة لا تفارق ثغره. وهو وافق على مرافقتنا داخل موريتانيا وصولا الى بلدة والاتا قرب الحدود مع مالي.

في ٧ أغسطس (آب) ١٩٨٦، اليوم التالي لانطلاقنا، طالعنا نذير عاصفة. فاكفهر

الجو بالغيوم وحملت الريح رطوبة. فجأة التمع ومض برق في الطريق أمامنا متشعبا كشجرة كهربائية زرقاء اخترقت الارض، وتلاه قصف رعد.

نصحنا محفوظ: "يستحسن أن ننصب مخيمنا."

قلت: "كلا، دعنا نجازف ونواصل السير حتى غياب الشمس."

في ذلك المساء نصبنا خيمتنا العربية. ولم يهطل المطر الا في الخامسة صباحاً، لكنه ضرب خيمتنا بعنف كانفجار. وتغلغلت الريح داخل خيمتنا وقلبتها بهبة واحدة. وبين الفينة والفينة كان وميض البرق يشق حجب الظلام، ويدمدم الرعد فوق رؤوسنا كأنه قصف مدفعي. وكان الظلام لا يزال مخيماً، وتدفق المطر بغزارة مخترقاً الرمل ومتسربا الى كل شيء.

بزغ الفجر كئيباً باهتاً، وتوقف المطر فعصفت ريح صرصر جليدية. فطفقنا نرتجف لاإراديا لشدة الصقيع، فيما انهمك محفوظ في إشعال النار لتهيئة شاي الصباح. قال إن علينا تجفيف كل شيء قبل الانطلاق، خصوصا الارحال التي تتمزق اذا استخدمت وهي مبللة.

قالت ماريا نتونيتا ضاحكة: "لم أشهد في حياتي ليلة كهذه".

فرد محفوظ: "الله كريم." ثم ضحك هو أيضا.

في الايام الثلاثة التالية اجتزنا أرضا عملت فيها مياه المطر فشقت في الرمل قنوات انساب فيها الماء الى برك بين الصخور. فكنا كلما سنحت لنا فرصة كهذه نملأ قربنا. ورأى محفوظ أن مياه المطر أفضل من مياه الآبار لانها ليست مالحة ولا كبريتية. ولا بأس لديه في أن يكون طعمها ملوّثاً بروث الجمال.

واذ أمعنا في السفر ازداد كل منا معرفة بعادات الآخرين. كان على محفوظ الاهتمام بأمور كثيرة. وكان يراقبني هازاً رأسه في الصباح وأنا أحاول ربط أمتعتنا بمتانة كما يفعل هو. قال لي مرة: "لا تقلق يا عمر" — وهو الاسم الذي كان العرب ينادونني به — "كل واحد يحتاج الى أن يتعلم."

كنا نمشي الساعات الثلاث الاولى من يومنا ثم نمتطي الجمال حتى الظهيرة، وعندئذ نبحث في كل اتجاه عن شجرة ننصب خيمتنا تحتها. ولم نكن نرى سوى أشجار قليلة عارية أشبه بهياكل عظمية، لكن شدة الحر كانت تدفعنا في النهاية الى القبول باحداها.

كانت ماريا نتونيتا تحضر طعام الغداء مما لدينا من الرز والمعكرونة والكوسكوس والسردين المعلب ولحم الغزال المقدّد. وكانت الحرارة تبلغ أشدها في منتصف النهار، فتقل شهيتنا للطعام ونرمي ما تبقى منه في الرمل، وهذا ما أثار محفوظ فكان يعبر عن إستيائه بهز رأسه. لكنه بدا أشد استياء لدى مشاهدته ماريا نتونيتا ترمي ماء القدر.

فقال لها مرة: "الماء عزيز جداً في الصحراء، ورميه جزافا جريمة نكراء."
حين وصلنا الى تيجيكجا، الواحة الاولى في طريقنا، ضحكت ماريا نتونيتا وبادرتني: "قلت اني لن أقوى على القيام بالرحلة!"
بعد الواحة الخضراء اجتزنا مفازة بدت كأنها مقبرة واسعة. فقد انتصبت فيها أشجار عارية كأنها هياكل من فولاذ. وكانت الارض مكسوة بعظام الجمال والماعز المبيضة المبعثرة هنا وهناك. فتعبت جمالنا الثلاثة وحلّ بها الظمأ وقلت مؤونتنا من الماء ونال منا الحر الشديد. حتى محفوظ نفسه هتف لائعاً: "والله العظيم انه ليوم حار!"

أين الجمال؟

كانت الجمال تتعثر نزولا في منحدرات رملية حادة وتخوض أغواراً طويلة من الرمال العميقة. واذا بجمل ماريا نتونيتا يكبو فجأة ويقتعد الرمل ويطبق فكيه على رسنه. فأدركت أنه لولا تألمه لما فعل ذلك. واذ لم يسعنا أن نتوقف أرغمناه على النهوض ركلا وشداً وتابعنا مسيرتنا المضنية. وحين توقفنا لاحقاً تفحصناه فوجدنا بثرتين ملتهبتين في جانبيه مبعثهما احتكاك الرحل بالجلد.
ثبتٌ رأس الجمل بين يدي فيما استل محفوظ سكينا من جيبه وبَضع الجلد ثلاث بضعات في كل من الجانبين لكي يتسرب السم من الورم. ولما انتهينا أطلق الجمل "غورفاف" نهدة حارة فيما كنا نترقب أن يزمجر غضباً.
كان ذلك أحرّ الايام في أحرّ فصول السنة. بدت الارض كأنها كتلة مشتعلة. وكانت الريح تصفعنا بهبات كأنها شعلات منبعثة من قاذفات لهب. وقرابة انتصاف النهار رحنا نبحث عن شجرة نستظلّ بها فلم نعثر على واحدة. ولشدة الرمضاء استحال علينا الوقوف على الرمل الحارق، فنصبنا خيمتنا ولجأنا اليها، لكن الجو داخلها كان خانقاً. فهيأت لنا ماريا نتونيتا شراباً مغربياً يسمى "زريغ" محضراً من الحليب المجفف والسكر والماء. ثم ركعنا وطفقنا نصلي لكي يبعد الله عنا هذا الجحيم المستعر.
قالت ماريا نتونيتا: "يتكرر في مخيلتي ذلك الاعلان عن مشروب مرطب حيث تغطس فتاة في حوض سباحة أزرق وينفجر عصير الليمون المحلى من زجاجة هناك. وأرى أيضاً أطباق السلطة اللذيذة التي كانت أمي تهيئها لنا، بل اني أستطيع شمها."
ضحكتُ، وخيل الي أنا أيضاً أني أشمها.
في منتصف الطريق بين تيجيكجا وولاتا ازداد قلق محفوظ فقال: "من هنا الى ولاتا نجتاز أصعب المراحل. فلا واحات ولا مخيمات. ها نحن منفردون نواجه قدرنا بأنفسنا." وحجب ضباب العاصفة الرملية معالم الطريق وزاد تقدمنا صعوبة.



وصول القافلة الى واحة دبيبلا في النيجر.

وما أن توقفنا في الظهيرة وأنزلنا أمتعتنا عن ظهور الجمال حتى اختفى محفوظ في عباب الضباب الرملي. قالت ماريا نتونيتا: "انه قلق، لا شك في ذلك." ومرت ساعة ولم يبن لمحفوظ أثر، فعزمت على البحث عنه، لكن ماريا نتونيتا ردعتني قائلة: "إنه يعرف طريق العودة."

وما عتم محفوظ أن ظهر كأنه انبثق من العدم، وأكبَّ من فوره على اعداد الشاي. واذا بقسمات وجهه الدقيق المستطيل تنفرج عن ابتسامة عريضة، قال لنا: "لا تقلقا، سنعثر على بئر نرتوي منها."

تابعنا سيرنا متعثرين في الكثبان والضباب الرملي يلفنا والجمال تزحر جاهدة متسلقة المنحدرات الناعمة.

في تلك الليلة تعذَّر المرعى على الجمال فأطعمناها حبوباً وتركناها على الكثبان القريبة. وقبيل الفجر دوى الرعد فجأة وسطَّرت البروق أخاديد مضيئة في سماء الليل وذرّت الريح الرمال على النجود والهضاب. لكن المطر انحبس. وفجأة صاحت ماريا نتونيتا: "أين الجمال؟"

تبادلت ومحفوظ نظرات يائسة اذ لم نكن لاحظنا اختفاء الجمال، وصحت به: "اعتقدت أنك قيدت قوائمها!"

فرد صائحاً: "وأنا اعتقدت أنك أنت قيدتها!"

كانت الريح طمست كل أثر لخفاف الجمال. وعند الفجر حمل محفوظ قربة ماء وانطلق للبحث عن مطيّاتنا التائهة. وارتقيت أنا أقرب الكثبان وربطت كوفيَّتي الزرقاء بعود مشكوك هناك لكي يستهدي بها محفوظ وتطلّعت الى مخيمنا فبان لي جزيرة

صغيرة وسط بحر من الرمال المتماوجة الى أبعاد الصحراء. وغاب محفوظ عن ناظري، وأدركت أنني لو كنت مكانه ولا بوصلة لدي لأضعت اتجاهي في عشر دقائق.

مضت ساعة على غياب محفوظ خلتها دهراً من القلق والخوف وتأنيب الذات. ولم أجرؤ على التفكير في ما قد يحل بنا إن لم يعثر محفوظ على الجمال أو اذا تاه لاحقاً بها. واذا بصفير محفوظ يتناهى الي من وراء الكثيب القريب وهو عائد يقود الجمال الثلاثة مربوطة بكوفيته التي أولجها في حلقات أنوفها. وعندما وصل الينا هتف: "الحمد لله انها لم تبعد كثيراً، والا وقعت الكارثة وهلكنا حتماً."

كنت خلال المسيرة أتفقد البوصلة فأجد أن اتجاهنا لم يتغير. فلو تابعنا السير شرقاً لوصلنا الى المرية، ربع موريتانيا الخالي. وترددت في تنبيه محفوظ، لكنني أخيراً ناديته: "محفوظ! إننا نتجه شرقاً، والبوصلة تشير الى أن الجنوب هو الى اليمين."

فرد ساخراً: "هذه هي طريق الجنوب، لا كما تدلك بوصلتك!" وضعت البوصلة على الرمل فاذا بالابرة الحمراء تشير الى أن الجنوب هو الى يميننا. لكن محفوظ رسم في الرمل بوصلة شمسية في شكل صليب وقال: "هذه هي اتجاهاتي! شمال – جنوب – شرق – غرب!" ثم غرز بينها عوداً وأضاف: "حين تميل الشمس الى المغيب وترتسم الظلال على الارض سنرى من منا على صواب!"

كان ذلك تحدياً، فانكفأنا الى الظل ننتظر حتى غلب علينا النعاس. واذا ماريا نتونيتا توقظني فجأة هاتفة: "انظر!"

كان الظل الذي يدل على الشرق واقعاً بوضوح حيث رسم محفوظ جهة الجنوب.

بدا ذلك نصراً فارغاً. وحين أقرّ محفوظ: "حسناً، انك دليل أفضل مني،" تمنيت لو كنت أنا على خطأ وليس هو.

كان أحد المعلمين في تشينغيتي أخبر محفوظ أن الارض مستديرة وأن المرء اذا سار في خط مستقيم فسيعود الى نقطة انطلاقه. وقال له المعلم أيضاً إن الارض تدور حول الشمس. وحين أكدت له الامرين استشاط غضباً منفساً عن عواطفه المكبوتة: "هذه ترهات! الشمس والقمر يسيران في كبد السماء. الشمس تدور لا الارض. لا جدل في ذلك."

سألته: "وماذا لو سرت في خط مستقيم أبداً؟"

قال: "تصل الى النقطة حيث تنتهي الارض، واذا تابعت سيرك سقطت."

في تلك الطبيعة المنفرة الموحشة كاد يغلب علي تصديق كلام محفوظ.

عثرنا مرة على بعض ماء المطر مختزناً في الصخور كأنه نثرات من الفضة. قال محفوظ: "هذه نعمة من الله. لا شيء أثمن من العثور على ماء في الصحراء حين لا تتوقعه." وكانت تلك هي "النعمة" الاخيرة التي أسبغت علينا.

ظمئت الجمال وظمئنا نحن أيضا وقلّ الماء في القرب التي انكمشت الى حد انذر بالخطر. ودخلنا متاهة من القحط والفراغ حيث لا أثر لماء المطر ولا لأقدام ماعز وجمال ورجال. لم يدب على تلك الارض القاحلة الجافة بفعل الريح والشمس الا بعض الغزلان البيض التي شاهدناها تثير سُحبا من الغبار. قال محفوظ وفي صوته رنة امتزج فيها الامل والاحباط: "ليتنا كالغزلان، فهي لا تشرب الا أيام الجمعة."

قرع طبول

خلّفنا كثبان الرمل وراءنا ودخلنا أرضا منبسطة حمراء قام في أحد جانبيها صدع صخري هائل يرتفع ٦٠ مترا ويمتد في الصحراء الغربية ما يزيد على ١٥٠ كيلومترا. والى الجانب الآخر امتد بحر مخيف من الرمال. ولم يبق لدينا من الماء الا قربة واحدة.

قدّر محفوظ أن في الطريق أمامنا بئرين، فما علينا إلا الحفاظ على ما تبقى لدينا من ماء وتعليل النفس بالعثور عليهما.

استيقظنا عطاشا، وما انتصف الصباح حتى كنا نتلوى على رحالنا بسبب آلام في الكلي. وانصبّت علينا الحرارة كالزيت الغالي، وكدنا نختنق بالغبار الذي أثارته مناسم الجمال والذي سبب وخزا في أعيننا. ولم يظهر أي دليل على بئر ماء.

انتصف النهار فانطلق محفوظ من المخيم مستكشفا. وتسلقت أنا جرفا رمليا قريبا وحاولت تحديد مواقع الهضاب الصغيرة المحيطة بنا على خريطتي، فلم أفلح. ولم تكن لبوصلتي أي فائدة، فعدت الى المخيم. ولدى دخولي كدت أصطدم بمحفوظ الذي ظهرت دلائل الخيبة على محياه. سألني: "بماذا أفادتك بوصلتك العظيمة؟"

فاعترفت: "لا شيء، لا شيء البتة."

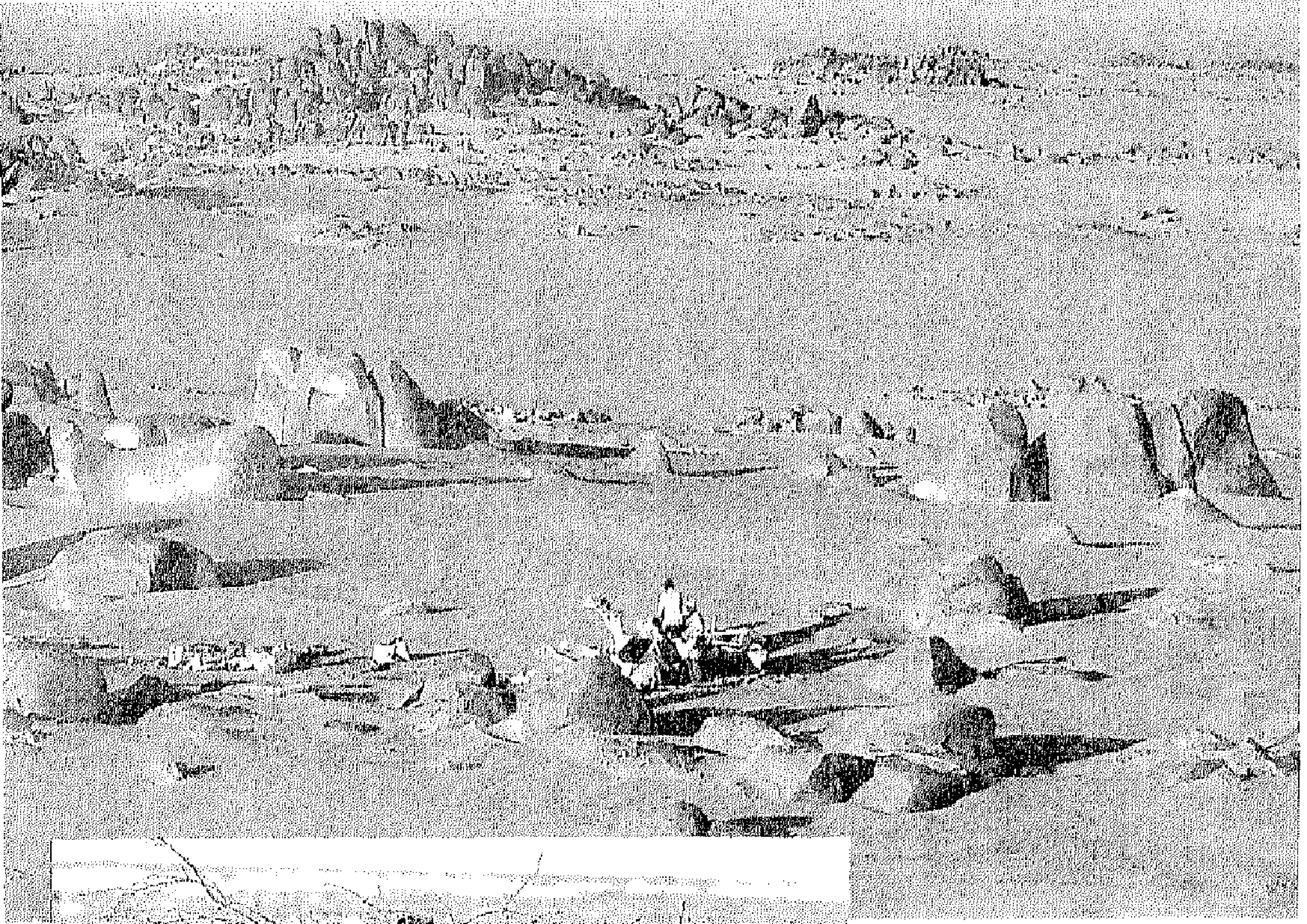
حلّ الاصيل وما زلنا نسير في محاذاة الصدع الصخري الذي بدا لا ينتهي. فجأة أوقف محفوظ جمله واستدار نحوي ووجهه ينمّ عن منتهى الانهاك واليأس والاخفاق، وقال: "لقد خاب ظني يا عمر. اعتقدت أن البئر هنا، لكني أخطأت التقدير."

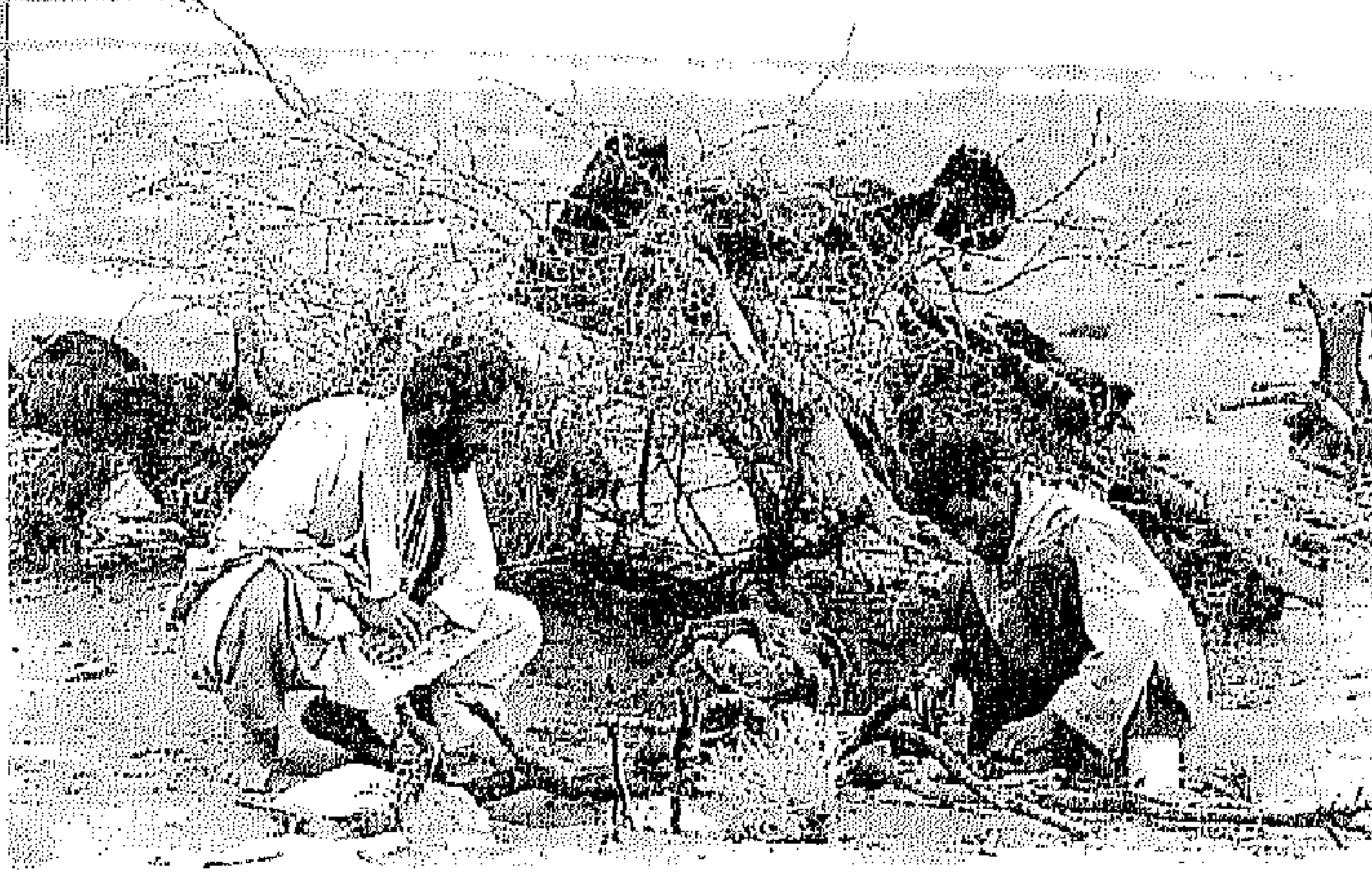
سألته: "أتعني أننا ضيعنا البئر؟"

أجاب لاهثا: "بل أضعنا البئرين."

نزل كلامه كالصاعقة علي وعلى ماريا نتونيتا، فارتعبنا لفشلنا القاتل في العثور على أي من الآبار الثلاث، علما أن أقرب بئر بعدها – واسمها بئر النصارى – تبعد مسيرة يوم. ولم يبقَ لدينا الا ما يكفي شربة واحدة لكل منا ليلا، وفي الغد لن تكون لدينا نقطة.

كان أملنا الوحيد في الخلاص أن نلتقي أناسا في الصحراء، لكننا لم نشاهد أحدا منذ تسعة أيام. وحين دللت محفوظ على رجل راكب جملا قال لي: "تلك شجرة، لا أناس في هذه البقاع، تجدهم فقط حيث يهطل المطر."





(فـوق) البحث عن "ابـو طبرى" البئر الوحيدة في السهل السوداني الصخري على مسيرة عشرة أيام من نهر النيل.

(الى اليسار) مايكل ومحفوظ يجففان اوراق الشاي.

وبعد مسيرة مضنية خلناها دهراً اقتربنا من "الرجل" فوجدناه شجرة.

كنت سابحاً في خيالي على الجمل، أرى أمامي زجاجات من الشراب المنعش وأفكر في نهر النيل ورغبتي اليائسة في الوصول اليه وهو ما زال على بعد ٥٥٠٠ كيلومتر. واذا بزوجتي توقظني من أحلامي صائحة: "ناس! ناس!"

أفقت وتطلعت فرأيت أشخاصاً بين شجيرات شائكة. وتبينت نساء في أثواب زرق ورجالا وجمالا وحميراً ترعى عشباً أخضر وقطيعاً من الماعز. تقدمنا وأنخنا جمالنا قريباً من خيمة شعر. فخرج رجل مسنّ أقبل نحونا وهو يعرج وصافحنا سائلا: "أنتم ذاهبون الى والاتا؟ انكم على وشك الوصول اليها!" ثم قدم الينا سلطانية من حليب الماعز الطازج.

فتناولتها وهمست: "الحمد لله!" خرجت الهمسة من أعماق قلبي ومأساتي ومعاناتي. فأنا لم أشعر في حياتي بالامتنان العميق لنعمة الله كما شعرت تلك اللحظة.

وصلنا في اليوم التالي الى بئر النصارى، فوجدنا حولها بسطة من العشب الاخضر الناعم كأنها طاولة بلياردو. واذ تفحص محفوظ البئر وجدها ناضبة فقال: "الحمد لله الذي أنعم علينا فالتقينا أولئك الناس ليلة أمس."

قبل غياب الشمس أطللنا على مدينة والاتا. ولدى اقترابنا تناهى الينا قرع طبول وعزف آلات موسيقية. بعد سكون الصحراء المطبق الذي لفنا طوال سفرتنا وجدنا الصخب أمراً غير عادي واعتقدت أن أذني تخدعانني.

نصبنا خيمتنا، ثم هيأ محفوظ الشاي فتبادلت وماريا نتونيتا نظرات الحنان. كنا حديثي الزواج، ولم تتح لنا الرحلة مختلى مريحاً.

كانت الموسيقى بهيجة كأنما ثمة حفلة. فسألت محفوظ: "يبدو أن في البلد عرساً. ألا ترغب في الذهاب الى هناك؟"

أضافت ماريا نتونيتا: "لا بأس بالفكرة، ولا بد أن الاكل والشرب متوافران بكثرة."

همّ محفوظ بالنهوض ثم قال: "لكنكما ستبقيان وحيدين."

أجبنا: "لا تقلق يا محفوظ. اذهب أنت واستمتع بوقتك."

وما هي الا دقائق حتى غسل محفوظ وجهه ولبس ثوباً نظيفاً وتوارى في الليل.

تنهدت ماريا نتونيتا قائلة: "أخيراً، ها نحن لوحدنا!" ودخلنا الخيمة.

في تلك اللحظة سمعنا صوتاً ينادي "عمر! أين أنت؟" أطللت الى الخارج فرأيت محفوظ يبادرني بابتسامة عريضة: "لم أقوَ على الذهاب. ليس من الصواب أن أترككما وحيدين بعد كل ما عانيناه معاً."

لعنة الشيخ أحمد

التقينا في أكبر متاجر والاتا تاجراً يدعى مولى علي، وهو رجل ضخم البنية ذو مظهر فظ يتناقض وأدبه. احتوى متجره على كل شيء، من قهوة "نسكافه" الى الفواكه المعلبة. وهو وعدنا بأن يجد لنا دليلا بدلا من محفوظ الذي اعتزم العودة الى عائلته في تشينغيتي.

كان الدليل الاول الذي عرض علينا حليق الوجه ذا عينين مراوغتين وشعر مزيت، تفوح منه رائحة عطرية خفيفة. وشعرت أن علي أخذ موقف حذر منه. قال وهو يشعل سيجارة: "اذا أنت هو الغربي الذي يطلب دليلا الى تمبكتو. أنا أفضل دليل في والاتا، وأريد أجرتي ٣٠ ألفا اضافة الى أجرة الاياب."

قلت له: "لن ندفع أجرة اياب."

فصاح: "هذه حماقة." واتقدت عيناه غضباً.
قلت: "لا أعتقد أنا سنتفق. ألا ترى ذلك؟"
فرمى سيجارته وسحقها بصندله قائلا: "ستندم على ذلك!" وانصرف.
قال صاحب المتجر معتذراً: "ذلك كان الشيخ أحمد."

وعرَّفني لاحقاً الى دليل آخر اسمه مختار ولد سيدي، وهو طويل القامة نحيف اعتمر عمامة تدلت على وجهه الوسيم. صافحني مختار مشيحا بنظره، فرأيت فيه خجلا محببا.

وافق مختار على مرافقتنا الى تمبكتو. وقال: "هناك مشكلة واحدة يجب أن أذكرها. لم أقطع المسافة كلها على متن الجمال من قبل، بل قطعت ثلثيها والبقية بالسيارة."

أعجبتي صراحته. وكان محفوظ أبى مفارقتنا قبل أن نجد دليلا جديداً. وهو أحب مختار وطرح عليه أسئلة دقيقة ثم أخبرنا: "ان مختار هو من أفضل الأدلاء. خذاه معكما." فعرفت عندئذ أننا حظينا بدليلنا الثاني.

وعدت محفوظ بوجبة وداعية من اللحم الطازج. فابتهج للأمر، ووضع اللحم على نار مكشوفة وتناولنا معا عشاء شهيا.

تلك الليلة دفعت له بدل أتعابه، وسألته: "ماذا ستفعل بهذا المبلغ كله؟"

أجاب: "كله معروف أصلا، فالمبلغ الذي اعطيتنيه في تشينغيتي أُنفق لشراء مؤونة لعائلتي، وستذهب البقية لتسديد الديون الى الدكاكين."

وفكّر لحظة ثم أشار الى كوفيته البالية اشارة نفذت الى أعماق مشاعري، وكان استخدمها رباطا لجرّ الجمال الثلاثة التائهة ذلك الصباح المريع. ورأيت أن أدفع له ثمن كوفية جديدة مكافأة له وإن زهيدة على مرافقتنا في رحلتنا القاسية في هذا الوقت المضني من السنة.

لقد أصبح محفوظ بمثابة أخ لنا، وشعرت بوحشة لفراقه.

صباح اليوم التالي تجمع بعض أهل المدينة لوداعنا، ووقف محفوظ معتمراً كوفيته وعقاله الازرقين الجديدين، وكانت نصيحته الينا في وداعنا: "لا تنسيا ملء قربكما كلها. اذا كان لديكما ماء فانكما قادران على أي شيء. الله معكما!"

امتدت أمامنا أبعاد ومفازات وكثبان لا نهاية لها. قال مختار: "يسير المرء أياما في هذه البوادي فلا يتغير عليه شيء، ومن السهل أن يضلّ السبيل."

سارت الجمال بخطى رتيبة كأنها دوابّ آلية. وحفظنا عاداتها فلم تعد تزعجنا: "غورفاف" الطمّاع يعضّ رفيقيه أثناء الاكل، و"ليشل" الصغير يئن ويبصق باستمرار، و"شيغار" رائع بغاربه النبيل وخطاه الواسعة وهدوئه وصبره على المكاره. كان "غورفاف" الوحيد بينها الذي سبب لنا المتاعب. فالقروح في جانبيه لم تكن

التأمت تماماً، وعالجها مختار كما عالجها محفوظ قبله ونصحنا بابدال "غورفاف" بجمل آخر لدى توقفنا في تمبكتو. فالجروح لن تندمل ما دام "غورفاف" مركوباً والرحل مشدوداً الى متنه.

كان مختار ملماً بكل الامور تقريباً، يعمل بكياسة ودراية ويعرف الابراج التي تدل على تغير الفصول. كان مقتفي آثار رائعاً، يدل عليها كأنه يقرأ في كتاب: "هذه آثار ناقة مضى عليها يوم واحد، وهذه آثار ابن آوى مرّ قبل لحظات من هنا."

إنما شانَ إلمام مختار اخفاقُه الذريع في العثور على بئر ملأى واحدة. سرنا جنوباً، وفقا لنصيحة الشيخ أحمد الدليل المراوغ الذي رفضناه، أربعة أيام على غير هدى. فاستهلكنا معظم مائنا ولم يبق معنا سوى قربتين. قال مختار قلقاً: "لست افهم لماذا قال لنا الشيخ أحمد أن هذه هي الطريق الصحيحة."

لكني أدركت السبب فجأة فقلت لمختار إن الشيخ أحمد، بعدما رفضته، هددني قائلاً: "ستندم على ذلك."

هتف مختار: "لا اله الا الله! لعنة الله على الشيخ أحمد!"

أخيراً حظينا ببئر قرب حدود مالي، فارتوت الجمال من الماء العكر حتى كادت بطونها تنفجر. وراحت في تلك الليلة تقضم العشب الغضّ بنهم. وفي مساء اليوم التالي خيمنا في مالي.

قالت ماريا نتونيتا: "للمرة الاولى أدخل بلداً جديداً من دون أن يُطلب مني إبراز جواز سفري."

خسوف في الصحراء

هطل المطر تلك الليلة. وأفقنا في الصباح فرأينا ألوفاً من الازهار الكبيرة الرائعة قد تفتحت وغطت السهل. وانعكس نور الشمس على قطرات الندى فحولها ملايين من الالماسات الأخاذة المتلألئة.

ولكن رافق الرطوبة ضيوف غير مستحبين. اذ فيما كنا نشد الرحال هبط منها على الارض عقرب ضخم أخضر شبه شفاف هو أكبر عقرب رأيته في حياتي. فسحقه مختار بعصاه، لكنه ظل يقاوم ويضرب بكماشتيه وذنبه. وخفنا من وجود عقارب أخر، فتوخينا الحذر في تحميل أمتعتنا.

كنا أحياناً نشاهد رجالاً من البدو راحلين الى مراع خضر مع جمالهم ومعزاهم أو منهمكين في نصب خيمهم. وكان معظمها على شكل خيم المغاربة الهرمية. ثم بدأت تطالعنا مساكن بدو الطوارق البيضوية الشكل والمسطحة قليلاً.

وكنت أتوق الى مقابلة أولئك المحجبين من أبناء الصحراء.

حضر الطوارقي الاول الى مخيمنا ظهراً. ويعتمر الطوارق كوفيات نيلية يلفون بها وجوههم فلا تظهر منها الا عيونهم.

في ١٦ سبتمبر (أيلول) ظهرت في الأفق أبراج تمبكتو، مركز تجارة الذهب والملح منذ منتصف القرن الرابع عشر. وبانت أسوار المدينة عند الاصيل غارقة في كثبان الرمال، قاتمة منفرة أماتت فينا الرغبة في مغادرة "السلامة" التي ألفناها في الصحراء، وكأنما الصحراء صارت جزءاً منا.

غابت عن تمبكتو صورة "المدينة الذهبية" الاسطورية القديمة التي علقت بالاذهان. فرأينا من نافذة فندقنا شوارع عطشى وجمالا هزيلة ناتئة العظام وصبية صغاراً يسوقون حميراً. لكن الكهرباء وصلت الى المدينة. وطلبنا في أحد الدكاكين كوبين من عصير البرتقال، ولما فُتحت الثلاجة انبعثت منها نفحة جليدية، وشعرت بالعصير بارداً كماء القطب ولذيذا كالرحيق. قالت ماريا نتونيتا: "هذا العصير المنعش يستحق قطع ألف كيلومتر للتلذذ به."

مكثنا في تمبكتو ريثما تيسر لنا العثور على دليل جديد وشراء المؤن وابدال "غورفاف" المريض. كانت أغادين، في بلاد النيجر، محطتنا التالية، وهي تبعد ١٥٠٠ كيلومتر وتشكل علامة فارقة في منتصف طريق رحلتنا.

انحبست الامطار ووجدنا أنفسنا، وفق الارصاد الجوية، عالقين في "أرض حرام" واقعة بين موسم الامطار الصحراوي وفصل الشتاء الذي يشهد انبعاث حرارة الصيف. وبدأت تطغى علينا تأثيرات المسافات الهائلة الضاغطة، تلك التي خلّفناها وراءنا وتلك التي ما زالت أمامنا. وكأن حياتنا باتت رتابة فارغة من أي معنى، فكنا نسير كأننا ندور في حلقة مفرغة حيث لا تغيير الا في الوقت.

بدا القمر ذات ليلة كأن أحدهم قضم جزءاً من أعلاه. ثم أتسع القضم فأدركت فجأة أني أشاهد خسوفاً. فوقفت مفتونا فيما انحسر النور حتى لم يبقَ ظاهراً من القمر الا خط رفيع في أدناه. بعد أشهر من السفر في الصحراء اكتسبت حدساً بديهياً لحجم الكرة الارضية واتساعها وصغرها، وبدت لي رحلتنا حدثاً صغيراً تافهاً في خضم الاحداث الأزلية الجسام التي تسيِّر الكون بدقة فائقة.

لم تخفّ شدة الحرارة ولم نعثر على برك ماء ولم نلتقِ أحداً. وتعبت الجمال وقل الماء لدينا وما زال نهر النيل حلماً بعيداً يراودنا كأنه خارج حدود الكون. ولكن لم يعد يخامرني شك في قدرة ماريا نتونيتا على إتمام الرحلة. فما حققته الى الآن كان عملا فريداً. وخلال ثلاثة أشهر منذ مغادرتنا تشينغيتي حدث أمر رائع أعجز عن شرحه. فقد بدأنا الرحلة شخصين يحملان هويتين مختلفتين، فامتزجنا تدريجا وصهرتنا المعاناة في شخص واحد.

دخلنا أغاديز صباح ٧ نوفمبر (تشرين الثاني). وكانت الشاحنات الثقيلة تمر بنا هادرة على الطريق الرئيسية. وقد ارتعبت الجمال لصخب تلك "الوحوش" التي تقذف الابخرة فأجفلت وراحت تشيح برؤوسها.

قصدنا السوق لابدال مطايانا، فأبدى اعرابي متجهم الوجه يدعى نجم رغبة في شرائها. لكنه لاحظ: "انها ضعيفة جداً!"

أجبته: "لو قطعتَ المسافات التي قطعتها هذه الجمال لكنت أنت ضعيفاً مثلها."

فضحك نجم وقبل شراء الجمال الثلاثة. وحين رأيته يقتادها شعرت بغصَّة وأسى لعلمي أنها ستغيب عنا الى الابد. فقد صرت، لطول الرفقة الحميمة، مولعا بها، خصوصا "شيغار" الصبور الهادىء الذي حملني طوال الرحلة من تشينغيتي التي تبعد ٣٠٠٠ كيلومتر. وهذه المسافة، بحسب خريطة "ميشلان" التي كنت أستهدي بها، تمثل نصف عرض القارة الافريقية من أدناها الى أقصاها، وقد اجتزناها في أقسى أوقات السنة. وكنت أعلم في أعماقي أن الفضل في نجاحنا يعود أولا الى تلك الجمال الرائعة التي حملتنا وسارت بنا ضاربة في البيد، طاوية النجود والوهاد، ظمأى، منهكة، جريحة أحياناً. فلا عجب اذا دعاها العرب "هبة الله" وقيل إنها "سفينة الصحراء."

مصاعب مع الجمال

استغرق حصولنا على اذن لاجتياز بلاد النيجر قرابة شهر، وذلك "لأسباب أمنية" كما أفاد مسؤولون رسميون. وبعد انجاز ترتيبات الرحلة انطلقنا في أوائل ديسمبر (كانون الاول) ومعنا خمسة جمال، اثنان منها لحمل العلف بسبب قلة المراعي في بيداء تينيري.

بدت جمالنا الجديدة قوية، خصيَّة ذوات أسنمة مكتنزة. وكان أحدها شائخاً متمرساً في قوافل الملح، فسميناه "شيبان."

وكان دليلنا الجديد أودونغو آغ ابرهيم رجلا في الستين، طيبا كجد عطوف، ذا وجه أجرد فيه براءة الاطفال وقد غطاه بكوفيته كعادة أبناء الطوارق.

في ١٣ ديسمبر (كانون الاول) عبرنا سوق أغاديز حيث هتف لنا الناس، ثم انعطفنا حول خزانات النفط الفضية اللامعة مروراً بأرتال من الحمير المحملة حطبا من التلال. وما ان صرنا خارج المدينة حتى أزاح أودونغو كوفيته عن وجهه اشارة الى أننا سنكون أصدقاء.

واذ توقفنا لشد أمتعتنا المحملة تملّص أحد الجمال، الذي سميناه "فلفل"، وراح يعدو بعيداً. فلحق به أودونغو على جمل آخر، وحين قاربه رمى بنفسه في الهواء وحط

على رحل "فلفل." فأجفل هذا وزمجر غاضباً وشرع يرفس بقوائمه الى أن ترنح أودونغو وسقط عنه. فهرعت اليه وقد نهض، فوجدت رسغه الأيسر مرضوضاً وغير مكسور. فدلكته ولففت ساعده بضماد قائلا في نفسي: "يا له من عجوز شجاع، لو كنت مكانه لما تجرأت على هذا العمل."

بعد لحظات تقدمت ماريا نتونيتا بهدوء من الجمل الشارد ولجمته كأنها اعتادت هذه الوظيفة منذ سنوات.

أهدر هذا الحادث ثلاث ساعات من يومنا، حملنا بعدها أمتعتنا وانطلقنا متثاقلين في مسيرة صامتة طوال الهجيرة حتى العصر. وحين بدأنا نحس البرد أرادت ماريا نتونيتا أن ترتدي جواربها القصيرة وهي على متن الجمل. فانحنت لكي تطاول قدميها، فمال الرحل معها على نحو خطر. فصاحت: "إنني أهوي!" وانقلب الرحل وسقطت هي تحت قوائم الجمل.

علق حزام الرحل حول قوائم البعير، واذ سحبتُ ماريا نتونيتا من تحته راح يرفس الرحل مسعوراً ويرغي ويزبد ويلتفّ يمنة ويسرة وعيناه تقدحان شرراً. وظل يدوس الرحل ولم يهدأ حتى سحقه. الا أني لبثت ممسكاً بزمامه حائلا دون فراره.

هتفت ماريا نتونيتا وهي ترتجف مصدومة: "الله أكبر!" ووقفت تحدق الى حطام رحلها.

لم يعد لنا خيار الا المشي ريثما نجد رحلا بديلا. وأمسكت يد زوجتي برهة فوجدتها باردة صغيرة ناعمة كيد طفل.

بحر الرمال

في غضون الايام القليلة التالية انحدرنا من مرتفعات آر فكان الطقس يزداد برودة مما حملنا على ارتداء ستراتنا وانتعال جزماتنا على الدوام. ولشدة البرد لم نكن نتوقف الا بضع دقائق لتناول الغداء الذي اشتمل على وجبة طهيت في المساء السابق وحفنة من التمر. وعاودنا الحنين الى أيام الراحة والتفيؤ بخيمتنا عند الظهيرة. واخترق البرد أجسادنا حتى العظام وأنسانا الحر اللاهب الذي كابدناه قبل أسابيع. وأضنى الصقيع الجمال فاشتد لهاثها وكادت تختنق. والتفّ أودونغو العجوز بحرام قديم رثّ وراح يعرج في مشيته وقد ارتسمت على محياه الاجعد تعابير البؤس والأسى. قال: "أنا مثل شيبان العجوز. لقد أنهكتنا صحراء تينيري نحن الاثنين."

كانت تلك الصحراء قاحلة مقفرة لا أثر فيها لبشري. ولئن كنا على احدى طرق القوافل الرئيسية فقد صعب علينا أن نتصور وصول أي كائن قبلنا الى هذه الارض البدائية. وطالعتنا لافتة من الفولاذ الاسود تشير الى أننا دخلنا بيداء تينيري المقفرة.

وما لبثنا أن رأينا قافلة ملح ضمت ١٠٠ جمل تسير مربوطة بحبلين فضيين كأنها دودة "أم أربع وأربعين." واذا بثلاثة رجال يندفعون نحونا عبر الرمال ولا غاية لهم الا مصافحتنا والاتصال البشري في هذا الفراغ.

ذات ليلة أقمنا مخيمنا الى جانب هيكل سيارة محترقة. سألت أودونغو عما اذا كان يعرف ما حل براكبي السيارة، فأجاب: "الله أعلم! هنا في تينيري تجد كثيراً من السيارات المدمرة." قال ذلك بخشوع نم عن احترام لذكرى أولئك الذين هلكوا.

كان كثيرون يموتون في هذا القفر كل سنة، الى أن باشرت الحكومة النيجرية نصب أعمدة معدنية لافتات تدل على الطريق الواجب سلوكها. ولولا هذه الاعمدة لاستحال السفر في الاتجاه السوي.

خلَت المنطقة كليا من معالم الحياة. كانت بحراً واسعاً من الرمال الاعظم في الصحراء الكبرى وتفوق الربع الخالي في شبه الجزيرة العربية اتساعاً. كان فراغها خانقا. فباستثناء أعمدة الارشاد لم تكن ثمة نأمة ولا حركة ولا رفة ظل عابرة تلفت النظر وتبعث شعوراً بالانفراج، بل سكون مطبق كسكون القبور وعالم من العدم والوحشة والفناء. وزاد السراب في ضياعنا، اذ تقدمنا الى مواضع حسبناها تلالا رملية فاذا بها تتبدد وتسفر عن تموجات خفيضة من الرمال لا يعدو ارتفاعها بضعة سنتيمترات.

قالت ماريا نتونيتا: "يا لعظمة الخالق الوهاب الذي أوجد هذا النظام الدقيق! ان هذه العظمة تشعرك بالاتضاع. الصحراء هي حقاً أرض الله."

فتذكرت قول محفوظ: "كل من لا يؤمن بالله هو أعمى."

كان شروق الشمس وغروبها المقياس الوحيد لدينا لضبط الوقت. فقد انبسطت الرمال أمامنا مواكب تليها مواكب من الكثبان والسهول والوهاد. وكالموج الجارف محا الرمل آثار الجمال والبشر وذرَّته الريح فوق الرمال العذراء حاجبة الاودية تحتنا. فكنا اذا سرنا على حافة منحدر نخال أننا نسير على حافة العالم. تُرى أهذا هو المكان الذي عناه محفوظ "حيث تنتهي الارض، فاذا ظللت سائراً سقطت في الهاوية"؟

في ٢٤ ديسمبر (كانون الاول) رأينا غرابين يحطان على الرمل. وما لبثنا أن شاهدنا على امتداد الافق خطا رصاصيا لأجراف بلدة فاشي ارتسمت عليه أشكال أشجار النخيل الباسقة هناك. وكان منظر الاشجار الخضر في تلك الأرجاء المجدبة عجائبيا حقا.

وما ان نصبنا مخيمنا حتى أطبق علينا الظلام. وكانت تلك ليلة الميلاد، ولها ذكرياتها الماضية والمستقبلية في حياتي. كانت للميلاد رنة عاطفية حميمة تدعو الى اجتماع الشمل، لكني كنت واثقا بأني، في هذا العيد بالذات، أؤثر أن أكون مع زوجتي

وهذا الطوارقي العجوز في هذه الجزيرة الخضراء وسط عظمى صحارى العالم، على أن أكون في أي مكان آخر على الارض.

أفقنا على دمدمة مئات الجمال في قافلة الملح التي حطت رحالها ليلا بقربنا. وكانت الجمال باركة تحتنا بين أشجار النخيل وحولها جبال من أكياس الملح والرحال وبالات التبن.

وعندما استيقظت صباحا اذا بجورب ضخم ملقى على كيس نومي، وداخله بسكويت وتمر وفرشاة أسنان جديدة ومفكّرة صغيرة وقطعة سكر وقطعة صابون، وفي أسفل الجورب قطع من الفحم النباتي. وضحكت ماريا نتونيتا قائلة: "في ايطاليا يهدي بابا نويل فحما الى الاولاد السيئي السلوك."

فقبّلتها وتمنيت لها ميلاداً سعيداً.

قطط وفئران

تناهى الى مسامعنا في المخيم صوت جهاز راديو بدا دخيلا نافراً متنافيا مع سكون الصحراء الذي لفنا طوال أشهر. للمرة الاولى نسمع صوت راديو في الصحراء. قال دليلنا الجديد مؤمن: "يدور في التشاد قتال مرير، اذ تحاول قوات الرئيس التشادي حسين حبري طرد المناوئين من تيبستي."

طفقنا نقوّم هذا الخبر في أفكارنا غير عارفين ما اذا كان في مصلحتنا أم لا. كان النزاع دائراً حول جبال تيبستي الواقعة على الحدود بين ليبيا والتشاد. وبدت المشاكل السياسية المعقدة في العالم الكبير خارج مخيمنا غامضة تثير فينا رهبة.

كان الحر على أشده وجاعت الجمال وتشققت خفافها المضمدة فخلفت على الرمال آثار دماء. أما أنا فتقرّحت قدمي، وتورم رسغ ماريا نتونيتا. ولا عجب، فقد كنا نمشي ونركب الجمال ما يزيد على ١٢ ساعة في اليوم.

وكم تمنيت أن أرتاح من مشقة السفر، لكن حرب التشاد أقضّت مضجعي. ترى هل يتصدون لنا على الحدود ويمنعوننا من متابعة سفرنا؟ وفي حال دخولنا التشاد، ألا يحتمل أن يهاجمنا قتلة من الطرفين؟ واذا منعنا من العبور، فستكون محاولتنا قطع الصحراء الكبرى أُجهضت. ولكن على رغم جميع هذه المحاذير صممنا على المضي.

كنت في الماضي معلما في بلدة الجنينة على الحدود بين السودان والتشاد، في الجانب الآخر من البلاد. وغالبا ما سمعت قصف المدفعية وشاهدت ألوف اللاجئين يتدفقون عبر الحدود. وروى هؤلاء قصصا مخيفة عن حالات اعتداء وتعذيب وقتل. واذ اقتربت وزوجتي من حدود التشاد، عادت الي ذكرى تلك الروايات المفجعة عن تصارع الاحزاب وحوادث القتل والحرب الضارية.

وكم كانت دهشتنا حين عبرنا الحدود من النيجر الى التشاد من دون أن يقع لنا أي حادث.

وتعين علينا الذهاب الى العاصمة نجامينا للحصول على تأشيرة لدخول السودان. وقد تعرضنا مراراً للتوقيف والتفتيش والتهديد بالسلاح. وكان الناس يلتئمون حولنا في المدن. واحتجزنا مراراً وأجبرنا على دفع "رسوم تبغ" وهمية وأطلق سبيلنا تكراراً لنعود ونحتجز، حتى شعرنا كأننا ضحايا في لعبة "القط والفأر."

وزاد قلقنا أن أولئك الناس كانوا قادرين على سلبنا كل شيء ولا حماية لنا الا أنفسنا. فصممنا على المضي في خطتنا مهما حدث وعدم التنازل عن جمالنا ورفض الافتراق بعضنا عن بعض وعدم دفع أي رشوة.

وذات يوم بعيد الظهر شاهدنا جنديين على جملين مندفعين نحونا، وجنديا ثالثا يتقدم نحونا على قدميه. فأحاطوا بنا وفي عيونهم نظرات غضبى. سدد الجندي الراجل بندقيته الينا وقال: "أنتم لستم سياحا."

ثم نزل رفيقاه عن جمليهما وقال أحدهما: "لنفتش كل ما لديهم."

وقال الآخر: "افتحوا حقائبكم، اننا نبحث عن سلاح ومخدرات، والويل لكم اذا عثرنا على شيء غير شرعي."

خشيت أن يعثروا على مسدس الشعلات الذي احتفظنا به لحالات الطوارىء فيحسبوه سلاحاً.

خلال التفتيش عثر أحد الجنود على قطع صابون دبقة وفرشاة أسنان وسخة وجوارب تفوح منها رائحة كريهة، فعلت وجهه علامات اشمئزاز وقال لرفيقيه: "هيا بنا، لا شيء لديهم." ثم وقفوا يحدقون الينا ونحن نحمّل أمتعتنا وتنطلق.

وصلنا الى نجامينا بعد غروب الشمس. فأُخذنا الى أحد الفنادق حيث أدخلنا غرفة خالية الا من فراش على الارض. وفتش أحد الحراس أمتعتنا وجلس خارج الغرفة ورشاشه على ركبتيه. وعبرت فوقنا طائرة عسكرية اهتز لها البناء، ثم سمعت الباب يقفل علينا.

صباح اليوم التالي أُخذنا الى مقر أمن الدولة الذي بدا كحصن قاتم. وجلس أمام البوابة حارس في ثياب رثة ممسكاً رشاشا صغيرا ملقى على ركبتيه.

أُمرنا بالجلوس على مقعد في الفناء. وكان حولنا عدد من المجندين الاحداث في بزاتهم الرسمية الجديدة وهم يلعبون الورق (الكوتشينة) ويصخبون ودلائل الاعتزاز بادية عليهم.

جلسنا على المقعد وحيدين تحت أشعة الشمس الحارقة، ثماني ساعات لم يكلمنا فيها أحد ولم يدعُنا أحد الى الدخول.

وخشينا أن تتطور الامور الى الاسوأ فنُتَّهم بالتجسس ويفرّق بيننا ونودع السجن.

وأخيراً، اذا برجل يرتدي بذلة زرقاء يومىء الينا. تقدمنا منه فناولني ورقة باحترام قائلاً: "اليك هذه." تطلعت الى الصفحة اليتيمة فوجدتها تصريحاً موقعاً من وزير الداخلية نفسه يجيز لنا عبور أرجاء التشاد.

غلبت علينا الصدمة وحدقنا الى الرجل مندهشين، فقال لنا: "الزما الطريق الرئيسية، لا تحيدا شمالا ولا يميناً. أبلغا عن وجودكما أي مركز للشرطة في طريقكما. رحلة موفقة، رافقتكما السلامة!"

أرض الضواري

حمّلنا أمتعتنا بسرعة وكلنا شوق الى الرحيل، وودعنا دليلنا مصممين على ألا نأخذ دليلا آخر. رفع أحد الجنود حاجز بوابة المدينة وهتف: "حذار الوحوش الضارية!"

وخرجنا وغابت المدينة وراءنا.

في ظلام الليل بدت الظلال وهمسات الاجمات مخيفة خطرة. وكانت حدود السودان تبعد قرابة ألف كيلومتر. كنا وحيدين في تلك القفار الشاسعة الموحشة.

ولاننا صرنا اثنين فقد ازداد عملنا صعوبة. لكننا كوفئنا بشعور جديد بالحرية. وبتّ على يقين من أننا سنتمّ الرحلة معاً الى نهر النيل من دون حاجة الى دليل.

كانت ماريا نتونيتا تقوم بأعمال الرجال الاقوياء. فتحمل الصفائح الثقيلة وأكياس المؤن وتقود الجمال ماشية ساعات تعادل الساعات التي كنت أمشيها. وازدادت سرعة مسيرنا على ما كانت حين رافقنا دليل، فسرنا بمعدل ١٢ ساعة قاطعين حوالى ٥٠ كيلومتراً يوميا.

في الليل كان الحنان والسكون يغمراننا، وما ان ينبثق الفجر حتى ننهض فنحزم أمتعتنا على متون الجمال ونعاود السير ونحن نتطلع الى السودان التي أضبحت لنا كأرض ميعاد، وبات عبور التشاد بوتقة اختبار تنصهر فيها قوة احتمالنا.

ذات مساء اقتربت منا ضباع فتجمدنا رعبا لدى سماعنا جرّ أقدامها وعويلها الشرير. وتوقفت الجمال عن الرعي وأصاخت بسمعها مذعورة.

قلت لماريا نتونيتا: "لا تخافي، فالضباع لا تهاجم الناس. انها قمّامة تقتات بالجيف." ولم أكن مقتنعا بما قلته، لان الاعتقاد الشائع أن الضباع لا تفترس الا الجيف ليس الا خرافة.

في تلك الليلة أيقظنا عويل ضبع في أجمة شائكة لا تبعد أكثر من خمسة أمتار. فسدّدت مشعلي اليه، واذا بعينيه الصفراوين الذهبيتين تلتمعان في الظلام. أمسكت بفأسنا الصغيرة وأمسكت ماريا نتونيتا بعصا وطفقنا نصيح ونضرب الصفائح والقدور

لابعاده. وأشعلت ناراً اضطرمت بسرعة، فتوارت عينا الوحش المتوهجتان في الظلام. لكننا أبقينا النار حتى بزوغ الفجر.

في اليوم التالي لم يغب عنا خوف الضباع. وبعد الغروب تناولنا طعام العشاء وذهبت لاجمع الجمال، ولدى عودتي رأيت ماريا نتونيتا ممسكة الفأس الصغيرة بيد والمشعل بالاخرى.

قالت لاهثة: "هناك! هناك شيء يتحرك في تلك الأجمة!"

فطمأنتها: "لا شيء هناك."

واذا بعويل مشؤوم يمزق السكون، وخرج حيوان ضخم من الاجمة تبعه صياح وشعاع شقّ حجاب الظلام.

وبرز صبيّان عربيان ومعهما مشعل كهربائي كان هو مصدر الشعاع، وقد تسلّحا بهراوة ورمح، وسألانا: "هل شاهدتما الضبع؟ هذا المكان خطر ترتاده الضباع الضخمة. وهو الاخطر في المنطقة."

سألتهما: "وحل تهاجم الضباع البشر؟"

فأجابا: "نعم، انها لا تخاف شيئاً الا النور والنار. لا تمكثا في العراء بل في مخيم او قرية. الضباع تهاجم الجمال أيضاً."

في تلك الليلة أيضاً أبقينا النار موقدة حتى الصباح.

ولشدة العياء الذي أصابنا نتيجة إذكاء النار باستمرار الليلة السابقة، نصبنا مخيمنا باكراً مساء اليوم التالي، وأبقينا الجمال قريبة منا وأشعلنا النار. واذ أوشكت النار أن تنطفىء همست ماريا نتونيتا محذرة: "لقد توقفت الجمال عن الاجترار!"

كانت على حق، فقد هدأت الجمال وراحت تحدق عكس اتجاه الريح الى شيء في الظلام لا نراه. واذا بنا نسمع ولولة ارتعدت لها فرائصنا. فهتفت ماريا نتونيتا: "ما هذا؟"

قلت لها: "كأنها معزاة تُذبح."

صاحت ماريا نتونيتا: "انه ضبع، وهو يندفع نحونا!"

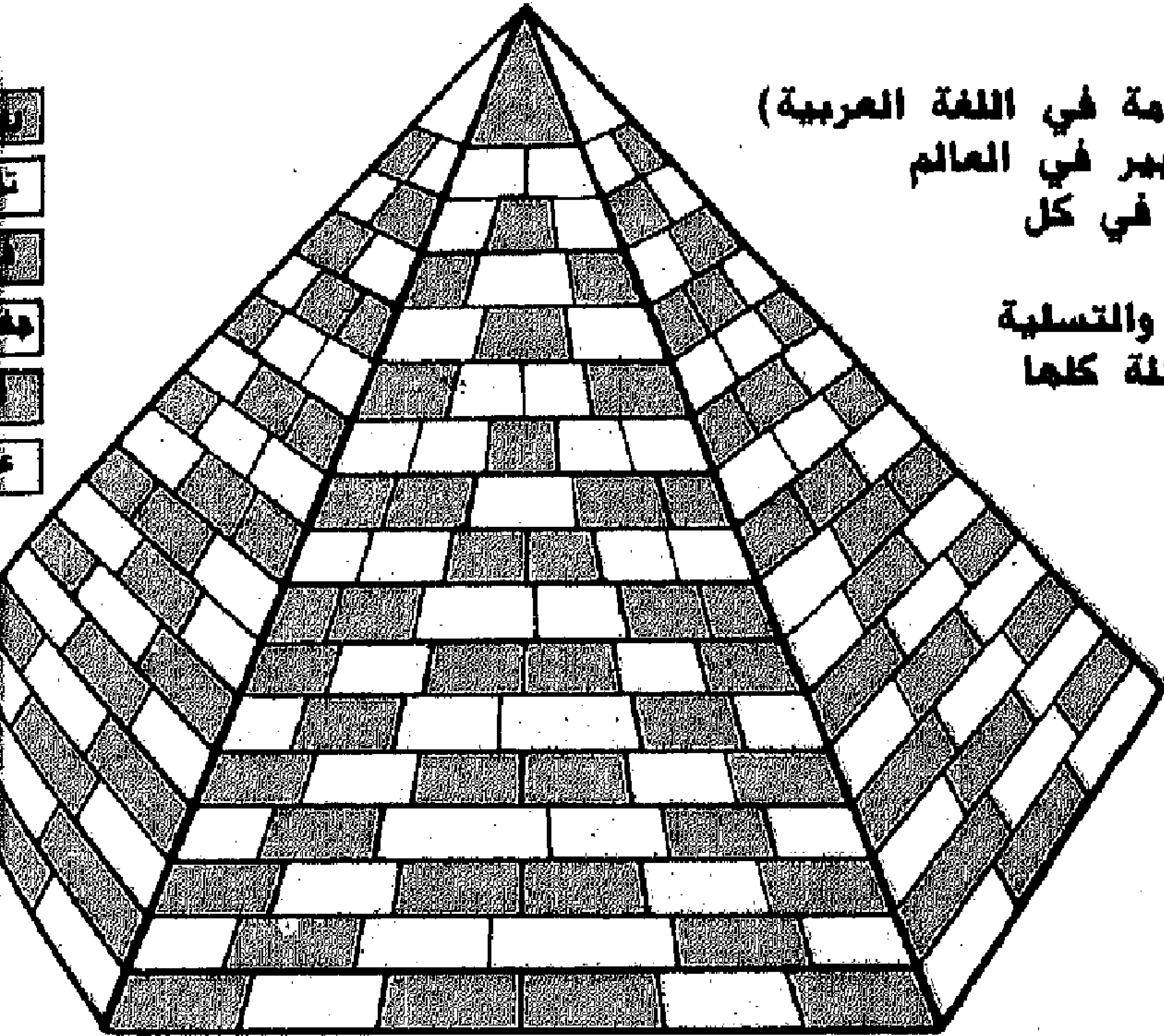
رأيت عينين تتوهجان على بعد رمية حجر من الجمال. وأطلق الوحش ولولة مرعبة وراح يطوف حولنا محاذراً. فرأينا بطنه المنتفخ ورأسه الضخم الاسود وسمعنا لهاثه ووقع أقدامه. كان أضخم ضبع وقع عليه نظرنا.

ثم اقترب وجبَهنا وجهاً لوجه وراح يستنشم الهواء. وحدّقت اليه فرأيت سعير الجحيم في عينيه وتصميماً عنيداً على مهاجمتنا وافتراسنا. صرخت لزوجتي: "هاتي مسدس الشعلات!"

وبعد بحث محموم في الرحل ناولتني ماريا نتونيتا المسدس، فلقمته خرطوشة

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة



▲ هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
▲ هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
▲ هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
▲ هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
▲ هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
▲ هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
▲ هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
▲ هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
▲ هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

وقدحت الزناد فخذلني مرتين ولم أسمع الا "كليك! كليك!" وفي المرة الثالثة دوى انفجار فاشتعل الليل بهالة من نار قرمزية لامعة. وما هي الا لحظة حتى توارى الضبع في ظلام الليل.

حضنتني ماريا نتونيتا وهي ترتعش وسألتني: "ماذا لو عاد؟ قد تهاجمنا ضباع أخرى."

قلت: "سنقيم سياجاً حولنا. أشعلي النار ولتبق مشتعلة!"

ثم تناولتُ الفأس وخرجت في العتمة أقطع ما تيسّر لي من الحطب حتى تقرّحت يداي. وعدت بأغصان صغيرة للوقود وأخرى كبيرة شائكة لتسييج موقعنا. وأخيراً جلسنا منهكين داخل حظيرتنا.

سألتني ماريا نتونيتا: "هل ستنام؟"

أجبت: "لا! سنتناوب الحراسة ساعتين لكل منا. دَوْري أولاً."

ولم تمر عشر دقائق حتى كنت مرتميا على الامتعة أشخر عالياً، فأيقظتني ماريا نتونيتا قائلة: "يا لجَلَدك وحراستك المجيدة! لو اتكلنا عليك لهلكنا."

بعد ستة أيام في ٢٧ فبراير (شباط) وصلنا الى احدى مجمّعات ماء المطر، فالتقينا عجوزاً محنية الظهر ذات وجه ودود، فسألناها: "هل نحن في التشاد أم في السودان؟"

فأشرق وجهها: "إيه؟ هنا السودان!"

تمتمت ماريا نتونيتا: "الحمد لله!"

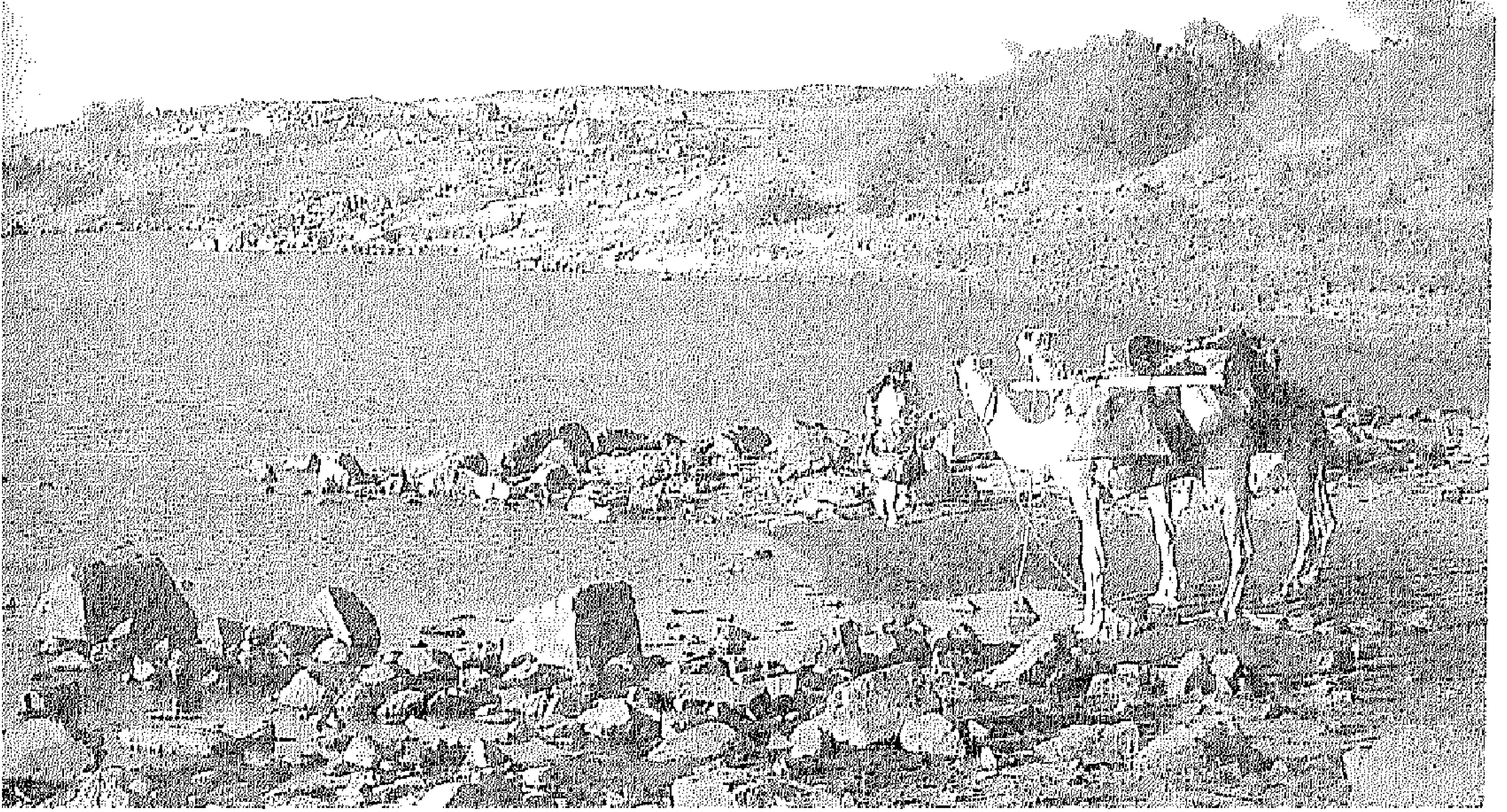
وطئنا أرض السودان مخلفين وراءنا خمسة آلاف كيلومتر من الصحراء والتحديات والمعاناة. لقد انتهى كابوسنا.

البئر الأخيرة

بعد شهر وصلنا الى مضارب عرب الكبابيش الذين عشت بينهم ثلاث سنوات. فأحاط بنا أصدقاء قدامى أنزلوا أمتعتنا وقيدوا قوائم جمالنا بالشكال وأطلقوها للمرعى.

ورحب بنا شيخ القبيلة التوم واد حسن باكرام ومحبة خالصة. وحضر معارف كثيرون للقائنا ولمشاهدة "زوجة عمر." وأمر الشيخ بذبح خروف تكريما لنا. وجلسنا في خيمة الضيافة الكبيرة بعض الوقت ونحن نسمع في الخارج أصوات النساء وهن يهيئن الشواء. وساد الجو شعور بالرغد والطمأنينة وبدا كل شيء في مكانه السوي وفق التقاليد المكرسة منذ القدم.

وصفت لزوجتي التقاليد العربية المتبعة في الولائم: أول الطعام يقدم الى الضيوف



خاتمة الرحلة تعبئة القرب من نهر النيل على الحدود السودانية المصرية

وهو لحم نيء، فعليها تناول قطعة منه والا عدّ امتناعها اهانة كبرى. وبدأت الوليمة، فقدمت الينا مكعبات من اللحم النيء التي اعتبرها مضيفونا لذائذ شهية. فبدت مسحة من الاشمئزاز على محيا ماريا نتونيتا، فهمستُ لها بالانكليزية: "هيا، كلي. انهم ينتظروننا لكي يبدأوا الأكل."

فتمالكت نفسها وتناولت قطعة مترددة، ثم أخذت تمضغها بسرور ظاهر. قالت: "انها لذيذة حقا!"

ثم أحضرت لنا أطباق اللحم المشوي فأشبعنا نهمنا حتى الانتفاخ.

بقي أمامنا سهل صخري يتعين اجتيازه وليس فيه سوى بئر واحدة تسمى "أبو طبرى" محجوبة في منطقة واسعة من الصخور التي نحتتها يد الريح. فأخذنا معنا دليلا اسمه آدم ليساعدنا في الاهتداء الى البئر، علما أن نهر النيل كان لا يبعد الا مسيرة عشرة أيام.

في ١٢ ابريل (نيسان) شاهدنا صخراً ذا رأسين فهتف آدم: "هذه هي بئر أبو طبرى." ومرّت ساعة ففارق الابتهاج آدم ولاذ بالصمت. وبدا الصخر ذو الرأسين بعيداً جداً عن المعالم التي حددتها بوصلتي. لم يطل صمت آدم، واذا به يعلن فجأة: "لا أعتقد أن هذه هي البئر المنشودة."

حدقنا اليه مذعورين، وصحت به: "لا تعتقد ذلك؟ أتعني أنك لست متأكداً من موقع البئر؟"

أجاب: "نسيت الموقع يا عمر. فمنذ عشرين سنة لم تطأ قدماي هذا المكان."


مايكل وماريا نتونيتا على عتبة منزلهما في واحة تشينغيتي.

كظمت غيظي وقلت له: "لا أحد معصوما عن الخطأ. ولكن ان لم نعثر على البئر غداً فسنعود من حيث أتينا."

فردّ محتجاً: "ولكن يمكننا الوصول الى نهر النيل."

قلت له وأنا عالم تماماً أنه يخشى أن يفقد اعتباره إن نحن عدنا: "آدم، النيل يبعد عنا مسيرة ستة أيام أو سبعة، والماء لدينا يكفينا ليومين فقط، وأنت أيضاً في حاجة الى الشرب."

فجر اليوم التالي انطلق آدم باحثا عن اثار جمال علّها تهدينا الى البئر. قالت ماريا نتونيتا متنهدة: "يا الله! أيحدث هذا ونحن على هذا القرب من نهر النيل؟"

فطوقتها بذراعي وسألتها: "هل أنت نادمة على القيام بهذه الرحلة؟"

أجابت: "لا، على الاطلاق، ولا اتمنى القيام بها مع أحد سواك."

في وقت لاحق وقف آدم على قمة برج من الصخر والرمل وأجال بصره عبر الصحراء ثم قال خائبا: "لا شيء."

كان ذلك قرابة الظهر وقد سرنا منذ الفجر من دون أن نشرب نقطة ماء. فشعرت بفمي جافاً كالحصى. قلت: "يكفينا ضياعاً، لنعد."

أدار آدم الجمال مكرها كالح الوجه. فجأة هتفت ماريا نتونيتا: "انظرا! هناك!" فاستدرت وشاهدت في البعد جملا ورجلا ينتشل ماء من بئر محجوبة عن الانظار.

هتفت: "أبو طبرى! لقد وجدناها!"

تقدمنا من الرجل فصافحنا ورفع لنا الدلو الجلدي لنشرب منه ونرتوي. فأخمدنا

عطشنا بالماء البارد المنعش الذي انسكب على صدورنا. والحقيقة أني لم أذق في حياتي ماء ألذّ أو أكثر انعاشاً من ذاك.

تابعنا السير، فعصفت بنا هبة ريح ساخنة منذرة بعاصفة رملية. فنزلنا عن الجمال وربطناها معاً.

كادت العاصفة تدفننا برمل رمادي. وكنا أثناء هبوبها نصرّ بأسناننا ثابتين في كفاحنا الأخير في وجه الصحراء.

عند شق الفجر هدأت العاصفة، فنهضنا من تحت ملاءات الرمل التي غطتنا. ومن فوق كتلة صخرية أشار آدم الى خط أخضر لم نتوقعه هناك والى ومض مياه مترقرقة أذهلتنا. وارتفعت خلف المياه الفضية تلال صفر على امتداد الأفق. قال آدم: "هناك تنتهي الصحراء."

انحدرنا عن الجرف ملهوفين نجرّ الجمال وراءنا. ودخلنا بلدة الدبّة الصغيرة على ضفة نهر النيل. أمسكت يد ماريا نتونيتا وسرنا بقافلتنا في شوارع البلدة حيث وقف الناس لمشاهدتنا.

لن تمحى من ذاكرتي صورة النيل العظيم الرمادي الصامت الازلي اذ شاهدته بعد اشهر السفر الطويلة.

مدت الجمال أعناقها الى صفحة المياه الجارية وراحت تعبّ الماء نهمة لارواء غلتها. ووقفت وماريا نتونيتا ويدانا متشابكتان ونحن نحدق غير مصدقين الى المياه المتدفقة رمز الحياة. فنزعت الصندل الذي كنت اشتريته في تشينغيتي قبل ٢٥٦ يوماً مرّت كأنها حياة ثانية. لقد دخل هذا الصندل التاريخ لاني اجتزت به عظمى صحارى العالم.

أمسكته بيدي وحدقت اليه هنيهة ثم رميت به في المياه المدوّمة.

مايكل آشر ■

ترجمة الياس عقل

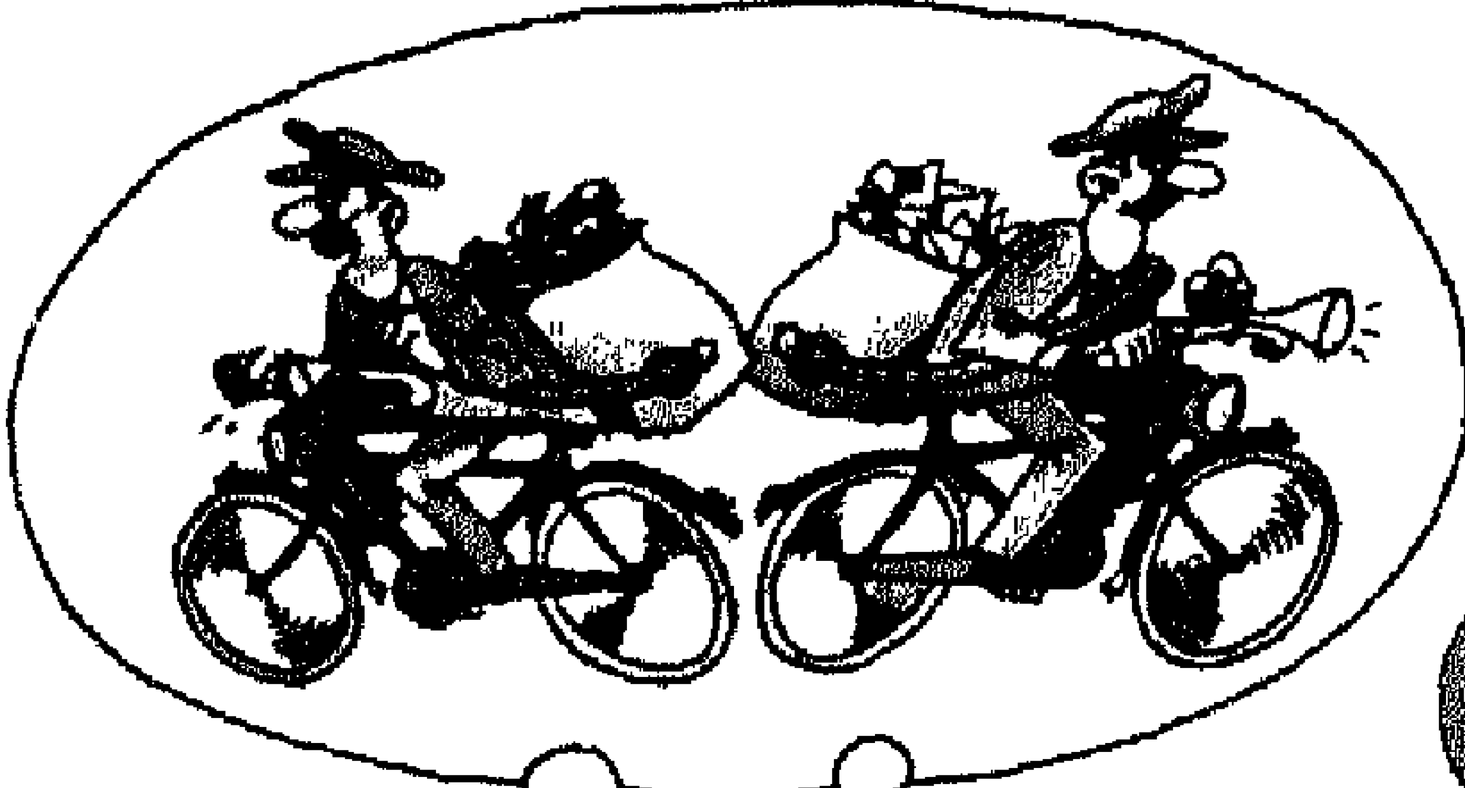
طرق الامهات

عادت رسالتنا الى العم سالم مختومة بالعبارة الآتية: "المرسل اليه غير معروف." مرة ثانية ينتقل عمي من دون أن يبلغ أحداً بعنوانه الجديد! لكن جدتي لم تهتم للامر، بل سارعت الى توجيه رسالة أخرى الى ابنها. ولشد ما كانت مفاجاتنا حين تلقت رداً بعد أسبوع.

عندما سألناها ماذا فعلت أجابت: "كتبت على الرسالة: أرجو تسليمها على عنوانه الجديد. ووقعتها: أمّ قلقة."

س.ر.

كتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

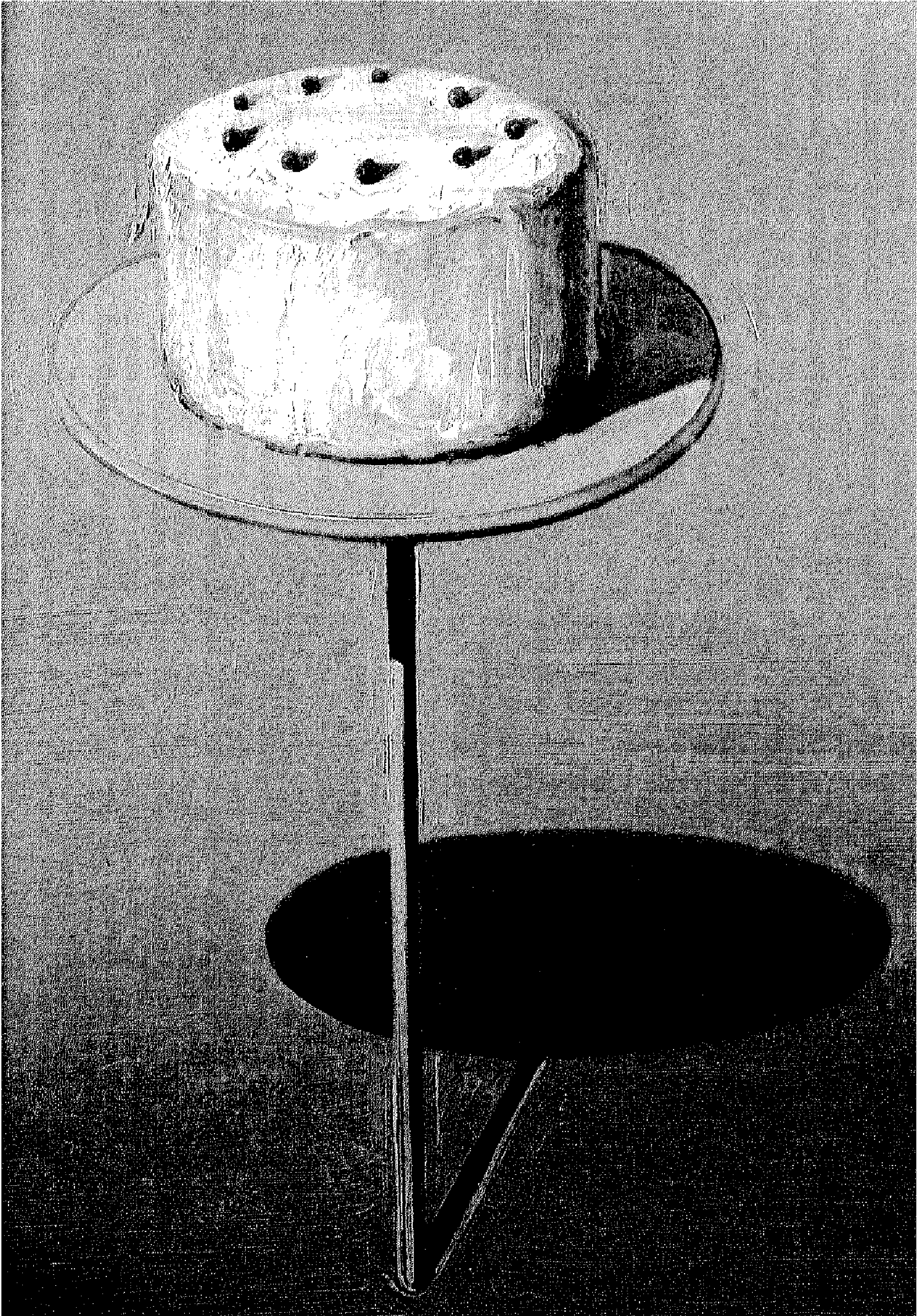
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست". بيروت.



"كعكة العيد" - زيتية للفنان الامريكي وين تيبو.

ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩١ - جمادى الثانية ١٤١٢

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest December '91 N° 157

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

جنون المخدرات
(ص ٩١)

قطار الأحلام
(ص ١٦)

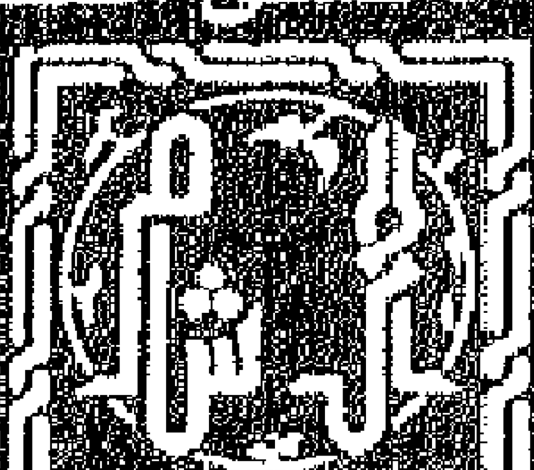
أمل لمرضى الايدز والسرطان
(ص ٩)

هلموت كول «صانع في ألمانيا»
(ص ٣٧)

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . صمم على أحدث طراز في ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . ولاتنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية باكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها



للحجز : فندق الشام - ص . ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

Reader's Digest

المختار
من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير: راغدة حداد. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف.
مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ابيراك" للمنشورات الدولية - بيروت.
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.
التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
التلكس (الموتر): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE. الهاتف: ٣٧٠٥٧٥/٣٥٠٧٦٠
الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف ٢١٦٠٥٨ - ٠١/٣٢٧٤٨٤
التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ - فاكس ٨٦٤٥٧٢ - ص.ب ٦٨٨ - ١١ بيروت - لبنان
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE. Tel. 350760 / 370575



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

December '91 N° 157 (New Series) Vol. 14

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس
الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كنيث غيلمور. مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والروسية والهنغارية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضاً في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة.

لبنان ١٠٠٠ل - سورية ٤٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٩ر - البحرين ٩٠٠ف
السعودية ١٢ر - مصر ١،٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - الجمهورية اليمنية ٢٥ ر - مسقط ٩٠٠ ب - قبرص ١ ج
تونس ٧٠٠م - المغرب ٨د - الجزائر ٧د - انكلترا ١ج - اليونان ٢٠٠د - كندا واميركا الشمالية ٢،٥د

اعـلان اسمـاء الفـائـزيـن فـي مسـابقـة

نعـرض

ما يحصل عندما ينتقل هؤلاء السائقون المثيرون

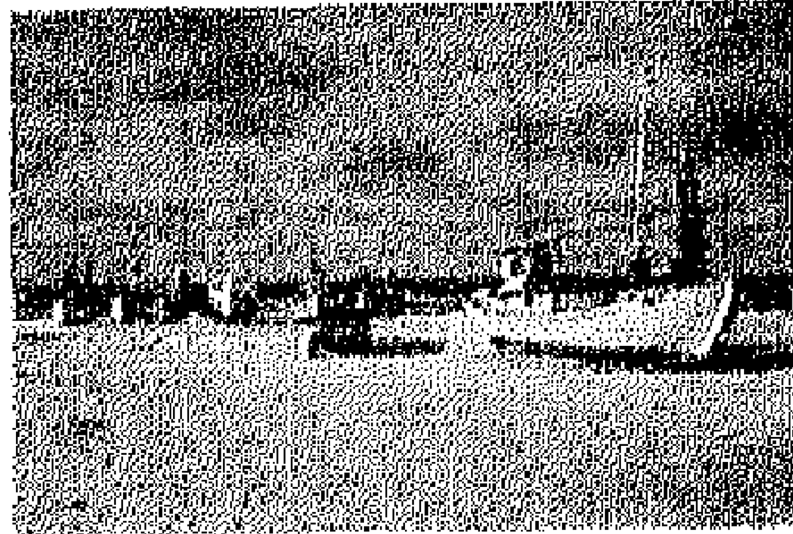
من وراء المقود الى خلف الكاميرا.

من خلال الصور التي تلقينا، اكتشفنا ان هناك كثيرين
من سائقي "مازدا" المثيرين اصبحوا مصورين لـ"مازدا" موهوبين
تهانينا للفائزين الخمسة عشر بالجائزة الاولى وللفائزين الخمسة والاربعين بالجائزة الثانية. وشكر حار
لجميع الذين جعلوا من هذه المسابقة الفوتوغرافية تجربة مثيرة لنا جميعا.

الفائزون بالجائزة الاولى



Ashley de Prazer *(Australia)*



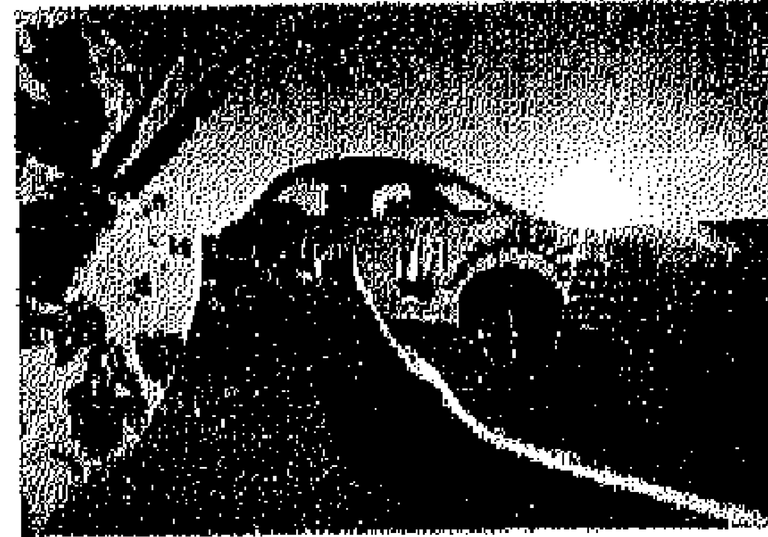
Erik Mathiesen *(Denmark)*



Dr. Peter Randell *(Australia)*



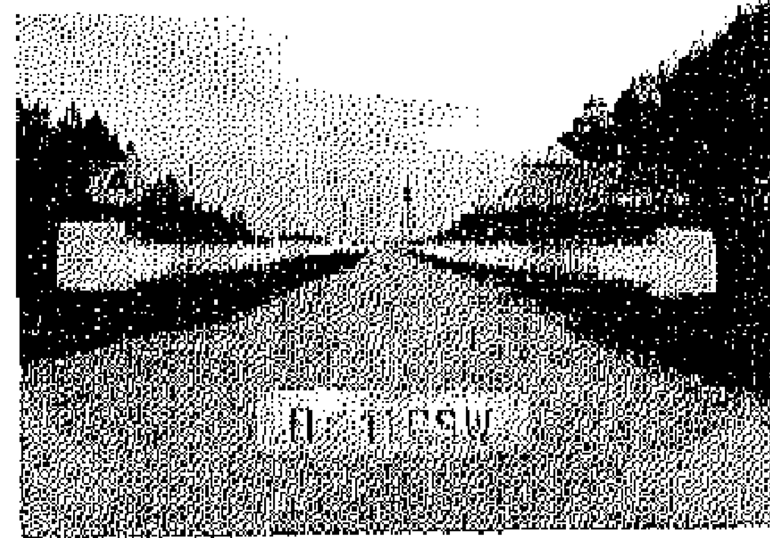
Henning Sorensen *(Denmark)*



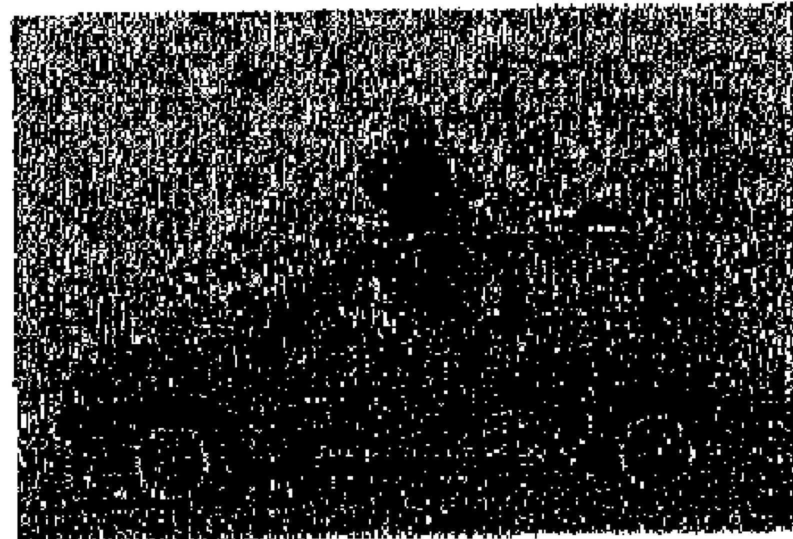
Tony McDonough and Annaliese Frank *(Australia)*



Pourelle Marc *(France)*



Adolf Blum *(Austria)*



Reintraut Semmler *(Germany)*

الفائزون بالجائزة الثانية

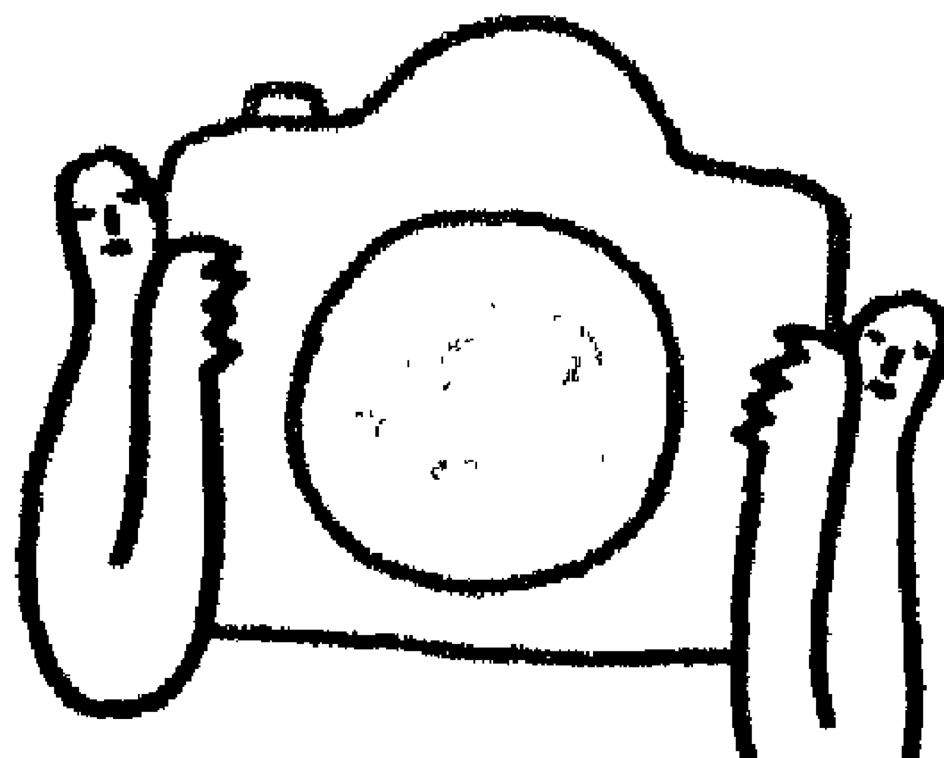
Bob Ball *(Australia)*
Sue Pingel *(Australia)*
Hecher Hubert *(Austria)*
Jens Ellensohn *(Austria)*
Johann Frank *(Austria)*
König Jürgen *(Austria)*
Michael Schachenhofer *(Austria)*
Rath Elfriede *(Austria)*

Resch Helmut *(Austria)*
Rafael Yip *(Canada)*
Rain Ackerman *(Canada)*
Rob Smith *(Canada)*
William Zierhofer *(Canada)*
Germán A. Jiménez Castro *(Colombia)*
Bo Nielsen *(Denmark)*

Carsten Medom Madsen *(Denmark)*
Jørgen Land Truelsen *(Denmark)*
Vagn Sangill *(Denmark)*
Dingo *(France)*
Guery Marie-Christine *(France)*
Merlot Marcel *(France)*
Burkhard Hillert *(Germany)*

rause Kerstin *(Germany)*
Ling Mo-sze, Monita *(Hong Kong)*
rd. Hutchinson *(Ireland)*
John J. Honny *(Ireland)*
Anthony Borg *(Malta)*
Gino Galea *(Malta)*
n Than Shwe *(Myanmar)*

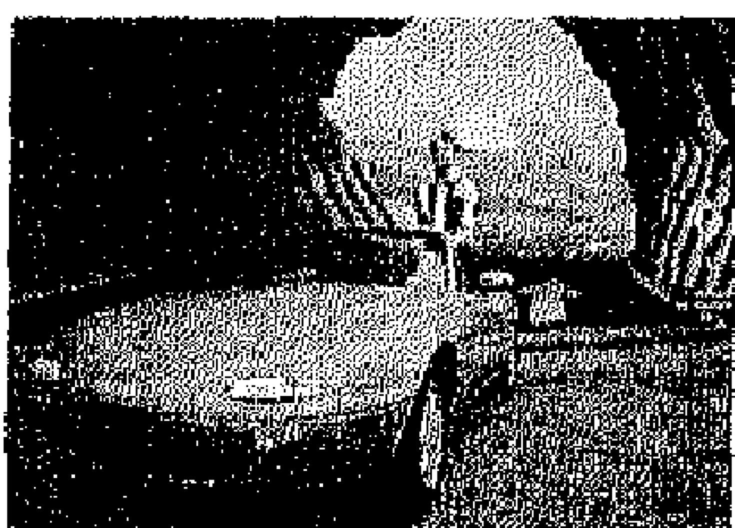
"مازدا" للتصوير للعام ٩٢.




Nuno Filipe Serrano *(Portugal)*


Nick Galante *(USA)*


Damrong Juntawonsup *(Thailand)*


Sonny Robinson *(USA)*


Santi Pangpaibul *(Thailand)*


Stephen S. Weygandt *(USA)*


Joe Livernois *(USA)*

فلنركز على السنة ٩٢.

السنة المقبلة، سنتطلع الى مزيد من الصور المثيرة. اي شخص يستطيع الاشتراك في المسابقة. جهز كاميرتك ووجهها نحو "مازدا"، وصوّر.

Tepchai Ariyabhandhu *(Thailand)*
Werapan Chaikere *(Thailand)*
Süleyman Iskender *(Turkey)*
Cliff Feulner *(USA)*
Jeffrey D. Commer *(USA)*
Jon Steinbring *(USA)*
Seidl Helmut *(USA)*
R S Oulton *(Zimbabwe)*

Mg Mg Hla Tint *(Myanmar)*
Tin Moe Hlaing *(Myanmar)*
John King *(New Zealand)*
Peter Romer *(New Zealand)*
Rocky Roe *(Papua New Guinea)*
Jitapron Kitpermpool *(Thailand)*
Nopawon Tripob *(Thailand)*
Pakdi Atisingha *(Thailand)*

طائر على درّاجة

سأحذر ابني الليلة من التحليق قريباً من الشمس

هو الآن في الخامسة من عمره، ويركب دراجة.

أقف في الطريق أراقبه، وأرى القضبان المعدنية داخل الاطارين المطاطيين الازرقين تلتمع في شمس الربيع.

لقد أتقن ركوب الدراجة حديثاً، كفرخ اوز يتعلم الطيران. في اليوم الاول راحت قدماه تديران الدواستين بقوة فيما يداه قابضتان على المقود. تعددت سقطاته، وبكى أحياناً، لكنه كل مرة كان ينهض أشد عزماً وشوقاً الى الدراجة، كأنه برعم خزامى يشق الارض بعناد. وغطت ساقيه رضوض وخدوش أثارت اشفاق أمه حين غسلته مساء. لكنها كانت، بالنسبة اليه، مدعاة اعتزاز وابتهاج وضحك.

في اليوم التالي تعلم الركوب والانطلاق وحيداً من دون حاجة الى إمساكي بالمقعد. وتعلم ايقاف الدراجة حيث يريد النزول. تكررت سقطاته وكثرت

رضوضه ورافقتها دموع وابتسامات وهتافات: "انظروا الي!"

في الصيف الفائت حاول، للمرة الاولى، ركوب دراجة ذات عجلتين، فسقط عنها مرتين. فنبذها وعاد الى الدراجة الثلاثية العجلات قائلا: "سأركب هذه عندما أبلغ الخامسة."

وفي الشتاء بلغ الخامسة.

وها هو الآن ينهض باكراً ويمضي أيامه مع أترابه متجولين في الحي من فناء الى فناء بين منازل الجيران.

ولن يطول به الامر حتى ينطلق بدراجته الى المحل ليشتري خبزاً لأمه أو لبانا له. أنا أعرف انني سأبتهج بحريته، وأعرف أيضاً أنني أنكمش خوفا عليه من أخطار الطريق. لقد كان هذا شعور ديدالوس، في الأساطير اليونانية، حين صنع لابنه إيكاروس جناحين من شمع وريش وحذره من التحليق قريباً من الشمس.

ابني يركب دراجة. فما الغرابة في ذلك؟ لا شيء اطلاقاً. بل كل شيء!

أذكر تلك الليلة حين كنا عائدين الى المنزل في ساعة متقدمة، كنت اقود السيارة مصغياً اليه وهو يغني في عتمة المقعد الخلفي. وأذكر يوم شاهد أعشابا مزهرة في الجدول قرب منزلنا فناداني وقد علت الدهشة وجهه.

تلك كانت لحظات حميمة، خاصة بنا وحدنا. ولكل الآباء والابناء ذكرياتهم ولحظاتهم معاً. لكن الأب الذي لا يتذكر لحظة ركوب ابنه دراجة للمرة الاولى فاتته ذكرى تنطبع في النفس الى الأبد.

وقفت في الشارع كأنني أمثل جميع الآباء السابقين واللاحقين. أعرف أن أبي وقف قبلي هناك، في زمان آخر ومكان آخر، وداخله الشعور ذاته الذي غمرني. كذلك فعل أصدقائي مع أولادهم الذين كبروا الآن، وكذلك سيشعر أصدقائي مع أولادهم الصغار.

وأغمض عيني في هواء المساء المنعش، فأعود الى طفولتي وأراني راكباً دراجتي الحمراء، متخيلا نفسي هنديا أحمر يركب حصاناً ويطارد الجواميس في السهول الامريكية الرحبة، أو شرطيا يمتطي دراجة نارية. وأعود ولداً.

سأحذر ابني الليلة من الاقتراب كثيراً من الشمس.

لكنه لن يصغي الي.

هو الآن في الخامسة من عمره، ويركب دراجة.

بول ديلا فالي ■

طبيب بوليسي

اندفعت الممرضة داخل العيادة وصاحت: "عفواً يا دكتور، لكن الرجل الذي عالجته الآن انهار على عتبة الباب اثناء خروجه وفارق الحياة!" فعاجلها الطبيب: "أديريه في اتجاه معاكس لكي يبدو كأنه انهار اثناء دخوله!"

ج.ر.

Reader's Digest
المختار
ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩١
جمادى الثانية ١٤١٢
السنة الرابعة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

تقرير خاص

أمل جديد لمرضى الايدز والقلب والسرطان

كشف طبي مذهل يَعِد بشفاء أكيد من الايدز والسرطان وأمراض القلب وعلل فتاكة أخرى

جلست طفلة في الرابعة من عمرها على حافة سرير في المركز الطبي التابع لمؤسسات الصحة الوطنية في مدينة بيتسدا بولاية ميريلاند. في ذلك النهار، ١٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠، كانت الطفلة تدرك، على رغم عمرها الغض، ان أمرا خطِرا على وشك الحدوث. وكان والداها ينتظران الى جانبها بقلق.

وفي الساعة ١٢،٥٢ بعد الظهر بدأ محلول رمادي يقطر في وريد في ذراعها اليسرى. وكان المحلول يحتوي على كريات بيضاء من دم الطفلة الذي عُدِّل ليتضمن نسخا سليمة من جينة (مورثة) معطوبة ورثتها.

استغرقت العملية ٢٨ دقيقة فقط، لكنها سجلت بداية تجربة عميقة الاثر في تاريخ الطب. لقد أصبحت هذه الطفلة أول مريضة في العالم تتلقى علاجا للجينات.[١]

تتحكم الجينات بكل السمات الجسدية التي نرثها، وذلك باعطاء خلايا الجسم تعليمات لانتاج انواع محددة من

(١) Gene therapy

البروتيينات. في حال هذه الطفلة، منعت جينة معطوبة جسمها من انتاج خميرة (أنزيم) أدينوسين دياميناز (ADA)[2] مما أعاق مقاومتها للامراض وجعلها تعاني، منذ ولادتها، التهابات وأمراضاً شبه مستديمة.

قبل عشرة أيام من عملية نقل الدم استخدم الاطباء فرنش أندرسون ومايكل بلايز وكينيث كولفر فيروسا مخمّداً وسيلة لنقل جينات ADA الطبيعية الى الكريات البيضاء في دم الطفلة، آملين أن يبدأ نحو مليار من الخلايا المهندسة جينيا انتاج الخميرة الحاسمة.

وما زالت الطفلة تخضع للعلاج الجيني بنقل الدم، وقد أكدت الاختبارات اللاحقة أن جسمها ينتج مقداراً وافراً من الـADA للمرة الاولى. وهي لم تعانِ، منذ بدء المعالجة، إلا اصابات زكام خفيفة.

والعلاج الجيني هو الخطوة الأحدث في فرع ثوري من العلوم الطبية يدعى "علم الوراثة الجزيئي."[3] بدأ هذا العلم، مقرونا بتكنولوجيات فاعلة جرى تطويرها منذ منتصف السبعينات، كشف أكثر أسرار البيولوجيا البشرية غموضاً، محققاً تقدما شبه يومي في مجالات الوقاية من الأمراض الفتاكة وسبل تشخيصها ومعالجتها والشفاء منها.

أذهل حجم هذه الاكتشافات وسرعتها العلماء أنفسهم. يقول الدكتور ليروي هود أحد أبرز الاختصاصيين بعلم الوراثة: "سوف تُحدث الثورة القائمة في علم الوراثة تغييرات في عالم الطب خلال السنوات العشرين المقبلة تفوق تلك الحاصلة خلال السنوات الالفين الماضية."

ان أقصى ما يثير الباحثين الطبيين هو امكان تسخير الجسم البشري لانتاج عقاراته الشافية ذاتياً. ويفترض أندرسون، الطبيب في مؤسسات الصحة الوطنية الذي أتاحت رؤياه حصول تجربة الـ ADA في حال الطفلة، أن العلم سيتمكن من إيصال العقاقير بشكل خلايا مهندسة جينياً الى حيث تدعو الحاجة. يقول: "لن تخفف هذه الطريقة من وطأة المرض فحسب، بل ستؤدي الى الشفاء في كثير من الحالات."

جينات وكروموزومات. كان العلماء قبل ٤٠ سنة يسعون الى جواب عن تساؤل أساسي: ما هي الجينة؟

لقد أدركوا، قبل زمن طويل، أن الجينات موجودة، كما فهموا ضمناً أنماط انتقال الصفات بالوراثة. لكن أحداً لم يعرف كيف تبدو الجينة أو كيف تنحو. فالتزم جلاءَ الموضوع عالمُ أحياء أمريكي شاب، متوقد الذكاء، اسمه جايمس واتسون.

في مختبر كافنديش في كامبريدج ببريطانيا، وحّد واتسون جهوده مع باحث آخر يضاهيه ذكاء اسمه فرنسيس كريك وعمره ٣٥ عاما. وفي أوائل ١٩٥٣ تمكن الاثنان من إماطة اللثام عن تركيبة

(٢) Adenosine deaminase
(٣) Molecular genetics

الحمض النووي DNA[٤] المكوِّن للجينات. نمهّد هذا الاكتشاف الطريق لعلم الوراثة الحديث. كان واتسون آنذاك في الرابعة والعشرين من عمره.

جايمس واتسون اليوم في الثالثة والستين وقد خط الشيب شعره الخفيف، وهو يساهم في ادارة أكبر مجهود بشري في مجال أبحاث الجينات.

أطلق "مشروع مسح العوامل الوراثية البشرية"[٥] رسمياً في الاول من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠ وهدفه رسم مخطط لكل جينة بشرية، من تلك التي تحدد لون العين الى تلك التي تسبب المرض.

تضاهي تطلعات هذا المشروع تلك التي رافقت انجاز واتسون وكريك اللذين أظهر اكتشافهما أن حمض DNA هو سلسلة مزدوجة محكمة الالتفاف تتألف من أربعة عناصر مترابطة منتظمة في تعاقب محدد وتدعى أزواج القاعدة[٦]. وقد تتضمن الجينة الواحدة ملايين من أزواج القاعدة هذه.

ويعتقد العلماء اليوم أن عدد الجينات في الجسم البشري يراوح بين ٥٠ ألفا و١٠٠ ألف تندرج في ٤٦ كروموزوما.[٧] والكروموزوم، أو الصبغي، جسيم يسروعي الشكل لا يتجاوز طوله ٢٥ جزءاً من مليون من المليمتر. وهناك مجموعة كاملة من هذه الكروموزومات داخل نواة كل خلية بشرية.

توجِّه الجينات نمو الجسم وحياته. لكن الجسم البشري يتسم بانضباط دقيق بحيث قد يؤدي تشوش في أي زوج قاعدي الى اختلالات مميتة.

لقد عرف العلماء منذ زمن أن جينة معطوبة واحدة تسبب تليّفاً كيسياً.[٨] أما الجديد فهو أن أمراض القلب والسرطان والاختلالات الرئيسية الاخرى تنشأ عن خلل في جينتين أو ثلاث جينات، أو أكثر، الأمر الذي يساعد في تفسير اصابة عائلات بهذه الأمراض التي تبدو "غير وراثية."

ويعتقد العلماء أن الجينات المرتبطة بهذه الامراض تجعل الجسم قابلا للاعتلال، فحسب، بحيث أن المرض قد لا يصيب المرء ما لم يحفزه عامل بيئي مؤذ. لذلك قد لا يصاب الشخص المهيأ جينياً بسرطان الرئة، مثلا، الا اذا تعاطى التدخين.

والى سرطان الرئة، نُسبت "جينات الامراض" الى سرطاني القولون والثدي وداء ألزهايمر[٩] والانسداد التاجي وانتفاخ الرئة وتصلب الانسجة المضاعَف والسكري. كما اكتشفت أخيراً جينة تسبب ضربا متفشيا من التخلف العقلي.[١٠] ويعتقد العلماء أن لكل الامراض مكونات جينية. ويهتم "مشروع مسح العوامل الوراثية البشرية" بتحديد الجينات "المتهمة" بتسبيب الامراض،

---

(٤) Deoxyribonuckic acid
(٥) Human Genome Project
(٦) Base pairs
(٧) Chromosomes
(٨) Cystic fibrosis
(٩) Alzheimer's disease
(١٠) Fragile X syndrome

كما سيفتح آفاقا جديدة في مجالي التشخيص والمعالجة.

في هذه الأثناء، أتاحت الهندسة الجينية انتاج الانسولين البشري ولقاح لالتهاب الكبد ولقاحات للانفلونزا وهرمون النمو البشري وجسم مضاد يساعد في منع نبذ الجسم كلية مزروعة. وقد تتوافر قريبا علاجات جينية لمرض النزف الوراثي وبعض أنواع السرطان.

كاسحات أمراض. جستين وجايسون كانو توأمان متشابهان ولدا في ٩ ابريل (نيسان) ١٩٨٢. وكانا يمارسان كل نشاطاتهما معا، من ألعاب الفيديو الى تلوين الرسوم. ولكن حين التحقا بروضة الاطفال كان جستين تأخر عن شقيقه في النمو. فظنت الام باديء الامر أن جستين يفتقر الى التناسق أو أنه كسول، وأخبرها الطبيب أنه طفل بطيء النمو.

وقبل عامين، أثبتت نتائج الفحوص أسوأ الاحتمالات، اذ تبين أن جستين يعاني ضموراً عضلياً من نوع "دوشين"[١١] وهو انحلال عضلي فاتك. لو كان جستين من مواليد ١٩٧٣، بدلا من ١٩٨٢، لكان أمله في الشفاء معدوما، اذ لم يعرف العلماء آنذاك أيا من البروتيينات العضلية الكثيرة هو المرتبط بالضمور العضلي. لكن الباحثين في علم الوراثة في مستشفى بوسطن للاطفال استطاعوا عام ١٩٨٧ تحديد هذا البروتيين المراوغ، وأطلقوا عليه اسم ديستروفين.

أدخل جستين وجايسون مستشفى الاطفال في سان فرنسيسكو أوائل العام ١٩٩١. وهناك استأصل الاطباء ثلاث قطع صغيرة من العضل من الذراع اليسرى في التوأم السليم، وزرعوها في محلول استنبات خاص، فبدأت أنسجة جايسون السليمة انتاج خلايا تحتوي على ملايين النسخ من الجينة التي تصنع الديستروفين. وفي أبريل (نيسان) ١٩٩١ حُقن جستين خلايا جايسون. واذا سارت الامور حسنا، فستلتحم الخلايا السليمة المنتجة للديستروفين بخلايا جستين المريضة، وتنتج أليافا عضلية جديدة تعكس عملية الانحلال العضلي. واذا نجحت هذه الطريقة، فلن تفيد الاطفال المصابين بالانحلال العضلي وحدهم، بل كذلك ملايين الناس الذين يعانون أحد ٤٠ نوعا من الاختلالات العصبية — العضلية بما فيها الوهن العضلي والتصلب الجانبي الضموري العضلي.[١٢]

كما قد تتوافر في المستقبل القريب معالجات جينية لأمراض قاتلة أخرى:

أمراض الشريان التاجي. يصاب ألوف الناس بذبحات ونوبات قلبية لافتقار خلاياهم الكبدية الى متقبِّلات[١٣] وافية لتنقية أجهزة الجسم من فائض البروتيينات الدهنية المتدنية الكثافة «LDL»[١٤] وهي شكل مؤذ من الكولسترول.

(١١) Duchenne muscular dystrophy
(١٢) Myasthenia gravis and amyotrophic lateral sclerosis
(١٣) Receptors
(١٤) Low-density lipoproteins

اكتشف الباحثون جينة LDL المتقبِّلة عام ١٩٨٣. واليوم تحاول مختبرات أمريكية عدة تطوير علاج جيني لأناس يعانون هذا الخلل. وسيجرى أول اختبار بشري لهذا العلاج الجيني على أطفال مصابين منذ الولادة بأخطر أشكال هذا المرض، ومعظمهم يتعرض لنوبات قلبية مميتة قبل سن البلوغ.

التصلب الكُيَيْسي. في العام ١٩٨٩ اكتشفت فرق أبحاث في جامعة ميشيغان ومستشفى الاطفال المرضى في تورونتو، الجينة المسؤولة عن التصلب الكُيَيْسي، أحد أكثر الامراض الجينية فتكاً بالاحداث والشباب. يصيب هذا المرض سنوياً ٣٠ ألف ضحية لا يتجاوز متوسط أعمارها ٢٦ عاماً. ويؤدي الخلل الجيني الاساسي الى مضاعفات عدة، منها افراز مادة مخاطية كثيفة تسد المجاري الرئوية وتسبب التهابات مزمنة.

تعتمد احدى طرق العلاج بروتيينا مُندسَ جينياً ويدعى «Dnase.» وقد اختُبر هذا البروتيين، الذي يتيح ترقيق المادة المخاطية، على ١٢ مريضاً عام ١٩٩٠. كما نجح فريق من الباحثين بقيادة الدكتور رونالد كريستال من مؤسسات الصحة الوطنية، في ادخاله مباشرة الى الشُعب الهوائية في شكل عقار رذاذي (سبراي). فتمكن المرضى اذذاك من التنفس بيسر. واليوم يخضع الـ Dnase لدراسة أشمل.

لا يعتبر Dnase علاجاً. ولكن يلوح في الافق علاج آخر. ففي خريف ١٩٩٠ تمكن باحثون، في مستنبتات مخبرية، من تصحيح الخلل الجيني المسبب للتصلب الكُيَيْسي. يقول روبرت ج. بيول مدير الشؤون الطبية والعلمية في "مؤسسة التصلب الكُيَيْسي": "نتوقع أن يتمكن الاطفال المصابون بهذا المرض القاتل من العيش عمراً طبيعياً في خلال سنوات قليلة مقبلة."

الايدز. يعرف الباحثون الآن أن فيروس قصور المناعة HIV[١٥] يدخل كريات الدم البيضاء عبر متقبِّل يدعى CD4. لذلك فإن سدّ نقطة دخول الفيروس سيوقف الايدز نهائياً.

وتتضمن احدى المحاولات الواعدة هندسة كرة دم بيضاء، جينياً، باستخدام متقبِّل CD4 طعماً. فاذا ما "خُدع" فيروس قصور المناعة والتصق بالطعم، فسوف يطفو في مجرى الدم من دون أن يسبب أذى. وقد بدأت مؤسسات الصحة الوطنية اختبار العلاج على حيوانات في ربيع ١٩٩١، واذا ثبت أنه مأمون فقد يصار الى اختباره بشرياً في مطلع ١٩٩٢.

الورم القتامي الخبيث.[١٦] في يناير (كانون الثاني) ١٩٩١، جرب باحثون في مؤسسات الصحة الوطنية علاجاً جديداً لسرطان الجلد المميت هذا. وقد شملت

(١٥) Human immuno-deficiency virus
(١٦) Malignant melanoma

التجربة امرأة في التاسعة والعشرين ورجلا في الثالثة والاربعين لم يبق لهما أمل بالحياة الا أشهرا ما لم يوقف امتداد السرطان.

هاجم الباحثون الورم الخبيث بواسطة عامل نخر الاورام TNF[17] وهو بروتيين قوي مضاد للسرطان تنتجه جينة متوافرة في كل الخلايا البشرية. لكن الصعوبة تكمن في عاملين، أولهما أن الجسم البشري لا ينتج من الـTNF كمية تكفي لتدمير الأورام، وثانيهما أن الـTNF يصبح ساماً إذا أعطي بكثافة.

لذلك ابتكر الدكتور ستيفن روزنبرغ، من مؤسسات الصحة الوطنية، طريقة لايصال بروتيين TNF مباشرة الى الورم من دون اغراق الجهاز الدموي بالمادة السامة. فبدأ ادخال جينات TNF على عيّنات من الخلايا وضعت في انابيب اختبار. ثم اعاد هذه الخلايا المهندسة جينيا الى جسمي المريضين.

فاذا سارت الامور وفق الخطة المرسومة، فستنتج الجينات ما يكفي من الـTNF لتدمير الورم، وستوصله الى الورم وحده وليس الى خلايا الجسم الاخرى. يقول روزنبرغ: "اذا نجحت طريقة المداواة هذه، فانها ستشكل بداية علاج قوي وجديد لانواع أخرى من الاورام الخبيثة تشمل سرطاني الثدي والقولون."

آمال ومخاوف. أمضى بيلي هايز معظم حياته في ظل غمامة جينية. كان خاله وخالته وجده لامه مصابين بمرض هنتينغتون.[18] لكن هايز واخوته لم يتقبلوا فكرة أن تكون والدتهم تعاني المصير ذاته عندما بدأت تتعرض لنوبات من الشك والارتياب الجنوني. وأبلغ اليهم الاطباء أنها تعاني اضطرابات عقلية. ولكن، مع تفاقم حالها، لم يبق مجال للريبة.

يهاجم مرض هنتينغتون العنيف الجهاز العصبي ويؤدي في النهاية الى الوفاة. ويكفي أن يحمل احد الوالدين جينة المرض حتى تنتقل الى الاطفال، واحتمال وراثة الاطفال المرض هو ٥٠ في المئة. ويعيش المصابون حياة عادية حتى ظهور الاعراض في منتصف العمر. وفي العام ١٩٨٣ وجد الباحثون علامة في DNA الكروموزوم الرقم ٤ تدل على الاصابة بمرض هنتينغتون، فطوّروا لذلك اختباراً يمكن أن يحدد، بدقة تصل الى ٩٩ في المئة، ما اذا كان الشخص مصاباً بهذا الخلل الفتاك.

أراد هاين، وقد بلغ السادسة والثلاثين، أن يعرف مصيره. يقول: "لم أعد أطيق متابعة حياتي متسائلا، كلما تعثرت في طريقي، عما اذا كانت العثرة احدى أعراض هنتينغتون."

تصاعد توتر هايز طوال شتاء ١٩٨٨ – ١٩٨٩ وهو قابع ينتظر اكتمال سلسلة الاختبارات الطويلة. أخيرا في يوم ماطر

(١٧) Tumor necrosis factor

(١٨) Huntington's disease مرض ترافقه اختلاجات تشنجية، يصيب المرضى وهم في منتصف العمر بضعف عقلي تصاعدي وبفقدان السيطرة على العواطف.

من أواخر أبريل (نيسان)، أبلغ أطباء في مستشفى جونز هوبكنز في بالتيمور الى هايز أن نتائج الاختبار جاءت سلبية. فأمسك وجهه بين يديه وأطلق زفرة ارتياح عميقة.

غيَّرت نتيجة الاختبار حياة هايز، فتزوج بعد سنة موظفة في جونز هوبكنز. وفي أبريل (نيسان) ١٩٩١ رزقا صبياً صحيح الجسم. يقول هايز: "لم أكن لانجب طفلا لو عرفت أني أحمل جينة هنتينغتون، أو كنت غير واثق من أمري."

قبل سنوات، كان أقصى ما يقدمه المستشارون الطبيون الى الازواج الذين لهم تاريخ عائلي من الامراض الوراثية، هو أرجحية انجاب طفل مصاب. أما اليوم فهناك نحو عشرة اختبارات مضمونة النتائج تشمل التصلُّب الكُيَيْسي وداء تاي – ساكس[١٩] وفقر الدم المنجلي[٢٠] ومتلازمة داون[٢١] وضمور دوشين.

ويبقى الوعد الذي تحمله الأبحاث الجينية براقا، ولكن قد يكون لها أيضا جانب مظلم، اذ يعتقد بعض الخبراء أن الافراد الذين تثبت اصابتهم بجينة مختلَّة قد يتحولون ضحايا "تمييز جيني." يقول الدكتور بول بيلنغز الاختصاصي بالطب الوراثي: "متى تكشفت معلومات عن اصابة شخص ما بداء جيني، فلن يبقى سبيل الى وقف انتشارها."

قد يكون أحد الحلول اصدار قوانين أكثر حزما لصون سرِّية المرضى. ولربما كانت التوعية هي الوسيلة الأنجع. يقول الباحث تشارلز كانتور من مختبر لورنس بركلي في كاليفورنيا: "لقد أخفقنا في ابلاغ الناس ماهية الابحاث الجينية، وتنتظرنا مهمة جُلّى."

إلا أن المستقبل يبدو، بالنسبة الى كانتور، حافلا بالوعود اكثر منه بالصعوبات، لأن "ما ستعود به الأبحاث الجينية من فوائد لا تصدق على البشرية جمعاء، سيفوق كثيراً ما قد يتأتى عنها من أذى."

جون بيكانن ■

(١٩) Tay-Sachs disease
(٢٠) Sickle-cell anemia
(٢١) Down syndrome

حجة لا تُرد

عملت في برنامج المكوك الفضائي مسؤولا عن طلب بضائع وتأمينها. فطلب مني احد المهندسين تزويده قاموسا جديداً. فسألته عن سبب رغبته في القاموس، متوقعاً ان يتحفني بجواب من نوع: "لقد فقدتُ نسختي القديمة" أو "لقد تمزّق الغلاف."

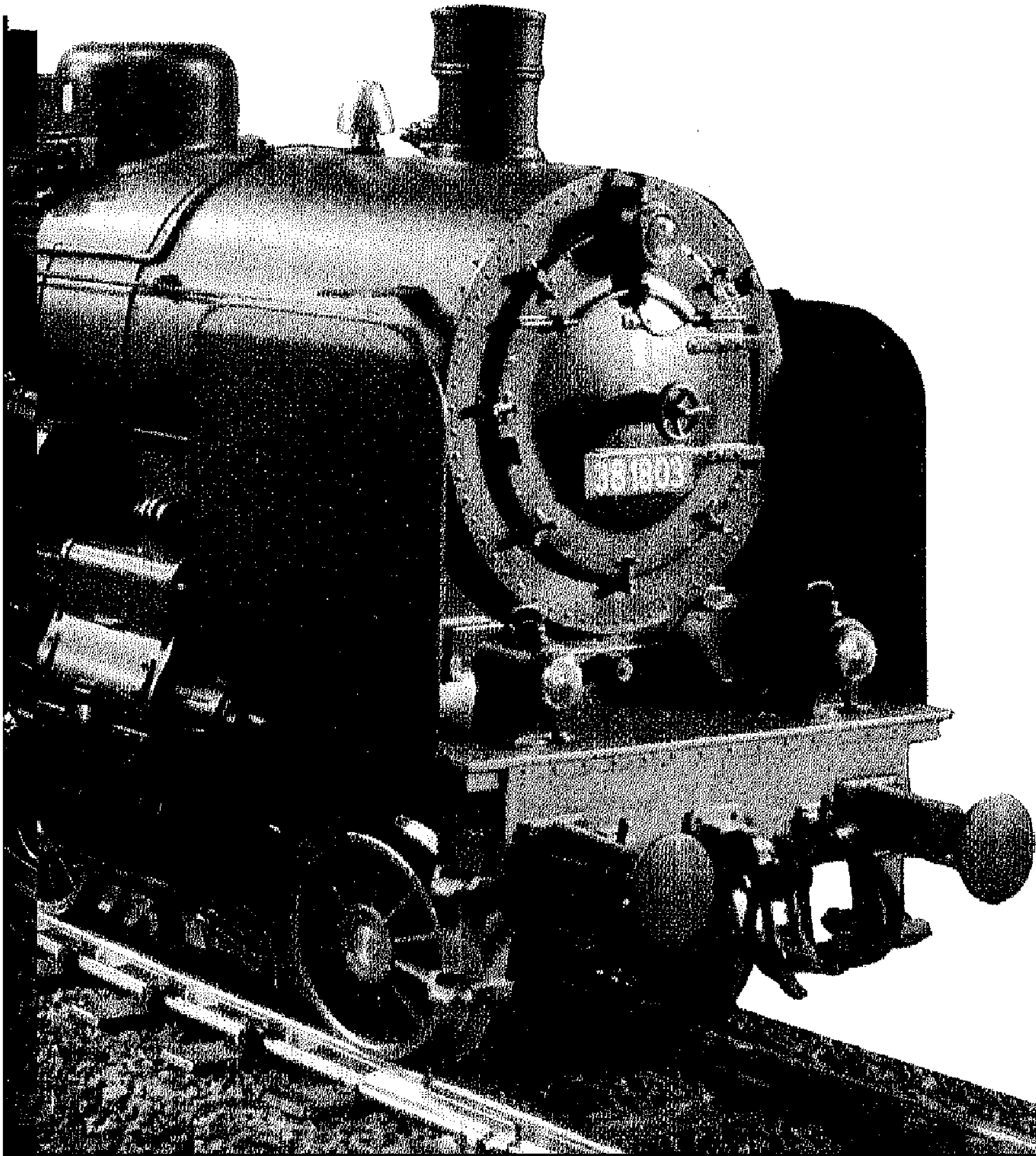
لكنه أجابني: "ان الطبعة التي لديّ تذكر أن المركبة الفضائية طائرة وهمية لا وجود لها."

فحصل على مراده.

د.ر.

قطار الأحلام

لا تزال هذه الدمى المثيرة تبهج الصغار والكبار



انتج هذا القطار عام ١٩٧٨ نقلا عن اصل الماني. وأحدث صوتا العادم والصفارة الكترونياً للمرة الاولى.

العاشرة والنصف صباح ٢٠ يوليو (تموز) ١٩٨٩ احتشد نحو ٨٠٠ شخص في قاعة مبيعات في مؤسسة "كريستي" في لندن يرقبون افتتاح المزاد على مجموعة الكونت أنطونيو جانسانتي – كولوتسي من اللعب ونماذج القطارات البالغ عددها ٣٠٠٠. وقد نُظمت هذه المجموعة النادرة، التي ضمت قطعاً من بداية القرن العشرين بينها قطارات ساعيَّة[1] وقاطرات بخارية تعمل بالطاقة الناتجة من مرجل كحولي، في قاعة حُوِّلت لتُماثل محطة سكك حديد من القرن التاسع عشر تزيّنها لوحة زيتية عملاقة لقطار مترف من طراز "غولدن آرو."[2]

وكولوتسي رجل أعمال إيطالي في الرابعة والسبعين من عمره، افتتن بالقطارات منذ كان في الثامنة. وهذه المرة الاولى تطرح في السوق مجموعة بهذا التنوع والنوعية.

---

(١) Clockwork trains. وتشتمل آليّتها على مجموعة دواليب صغيرة.

(٢) Golden Arrow

MÄRKLIN MAGAZIN



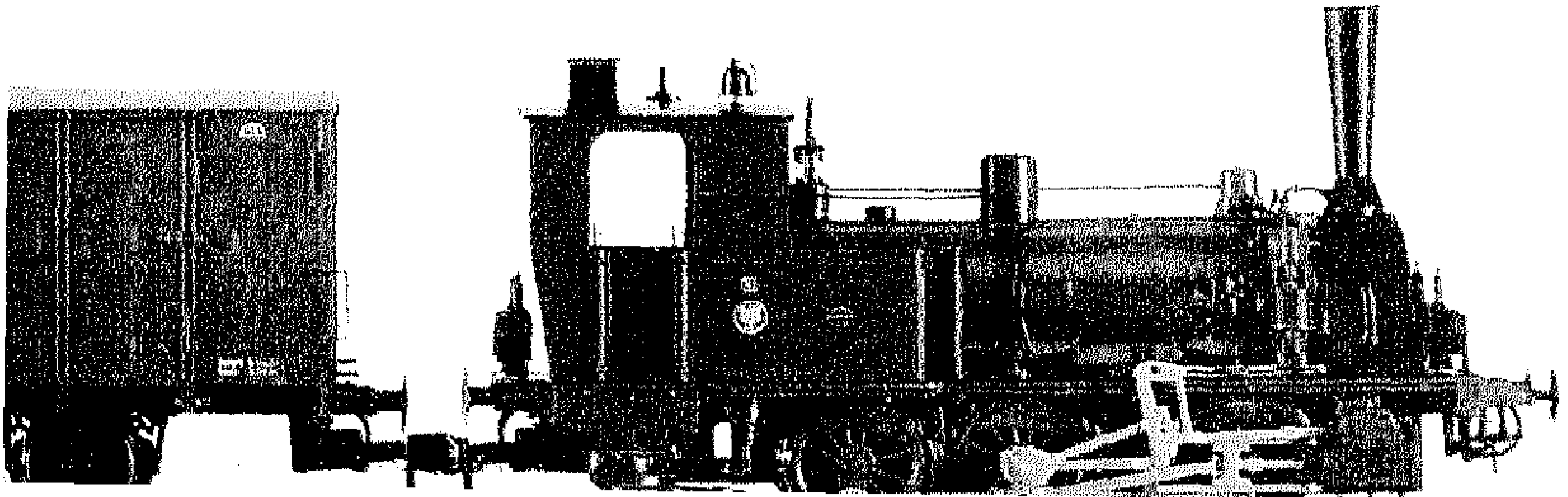
احتدمت المزايدات ووصلت أسعار بعض القطع الى أرقام قياسية، منها ١١ ألف جنيه استرليني (نحو ٢٠ ألف دولار) لقاطرة من طراز "٢٢٠ كوب - فان"[٣] و١٢ ألف جنيه (نحو ٢١ ألف دولار) لمحرك من طراز «231 PLM» و٢٩٧٠٠ جنيه (نحو ٥٣ ألف دولار) لقاطرة بخارية نابضة كانت عائلة فرتمبرغ أوصت بصنعها في العام ١٩١٢. ويجمع بين هذه النماذج الرائعة عنصر مشترك واحد هو صنعها في ألمانيا لدى شركة "ماركلين" صانعة القطارات الدُمى، الاقدم والاعظم والأدق في العالم. وقد دعيت منتجاتها "ملوك القطارات وقطارات الملوك" لما اتصفت به من صُنعة ودقة مذهلتين. يقول كلايف لامينغ أحد كبار خبراء نماذج القطارات في أوروبا: "لا تحتاج قطارات ماركلين الى صيانة أبداً، وعلى من يرغب في تحطيمها أن يرميها من نافذة."

عندما تلتقط واحداً من قطارات "ماركلين" تكون كمن أمسك قطعة من التاريخ بين يديه. كما تجد كل التفاصيل والملامح التقنية للسكك الحديد الحقيقية وقد أعيد بناؤها باخلاص في نماذج "ماركلين." من الامثلة الشهيرة "قطار زبلن" السيجاري الشكل الذي سجل عام ١٩٣١ رقماً قياسياً للسرعة بلغ ٢٣٠ كيلومتراً في الساعة. وفي العام التالي سيَّرت "ماركلين" على سككها نماذج مطابقة لهذا القطار. فغدا قطار زبلن الفضي واحداً من المنتجات الكلاسيكية للشركة.

للصغار والكبار. لم يحلم ثيودور فريدريك فيلم ماركلين أن الشركة التي تصنع ألعاباً من ألواح تنك والتي انشأها في بلدة غوبنغن في جنوب ألمانيا عام ١٨٥٩ ستطلق شرارة افتتان بنماذج القطارات. ولما توفي ثيودور بعد سبع سنوات، أدارت زوجته كارولين الشركة حتى العام ١٨٨٨ حين تسلم ولداها يوجين وكارل الادارة وهما في العشرينات من عمرهما. وسرعان ما راحا يصنعان دمى قطارات بعدما استوحيا الفكرة من اقبال الناس على السكك الحديد التي بدأ العمل بها في ألمانيا عام ١٨٣٥.

أظهر الاخوان، منذ البداية، موهبة في الابتكار. فقدَّما في معرض ليبزغ عام

(٣) 220 Coupe-Vent



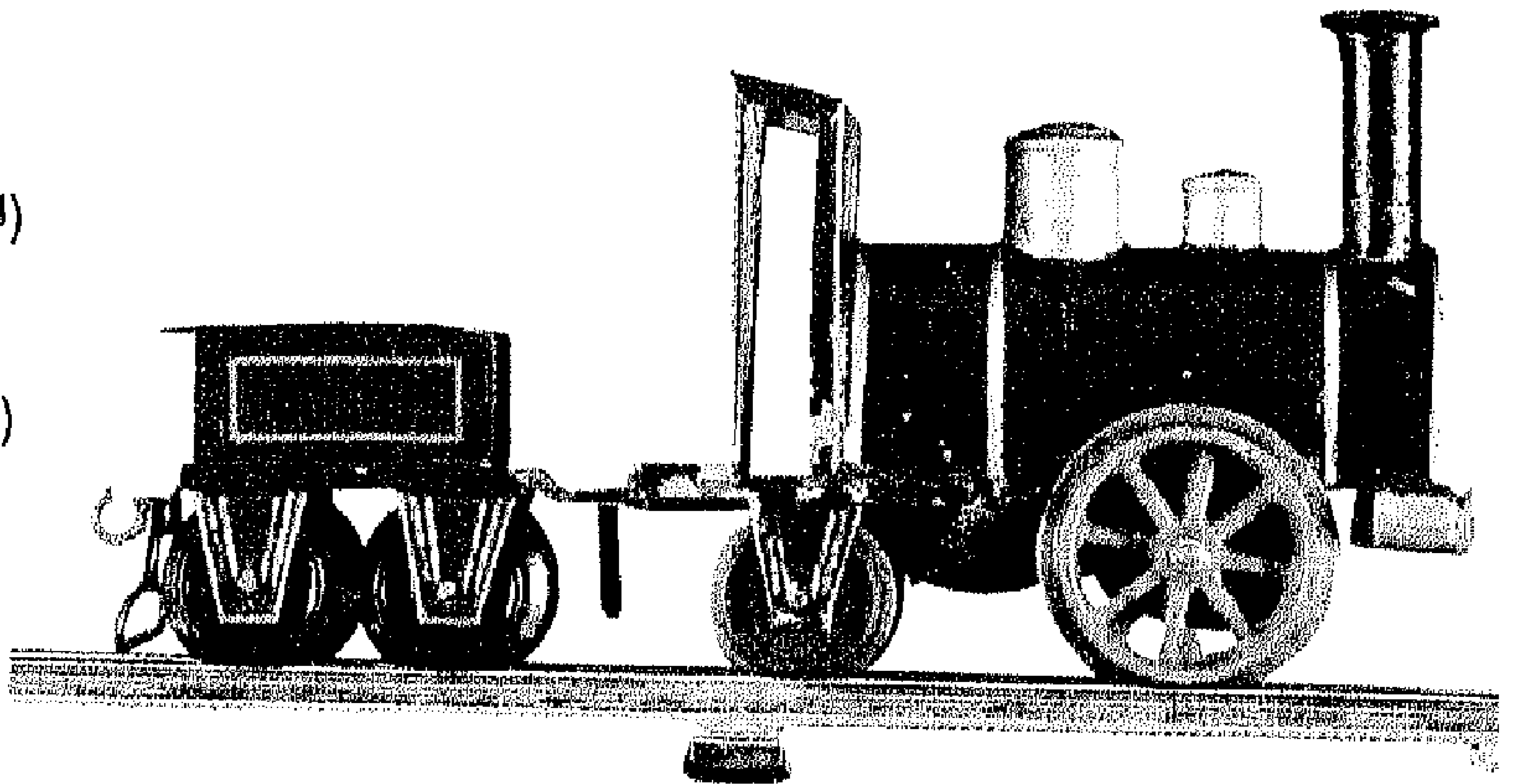
١٨٩١ أول قطار – دمية في العالم له سكّة مطابقة لمقاييس موحدة. وقد صُمم هذا النموذج لسكك عرضها ٤٥ مليمتراً تعرف بالمقياس الرقم ١[٤] وبنسَق يمكن تبديله وتكبيره قطعة قطعة. كانت فكرة ثورية. ولم يمض زمن طويل حتى بدأ صانعو القطارات – الدمى في كل مكان استخدام سكك حديد موحدة المقاييس.

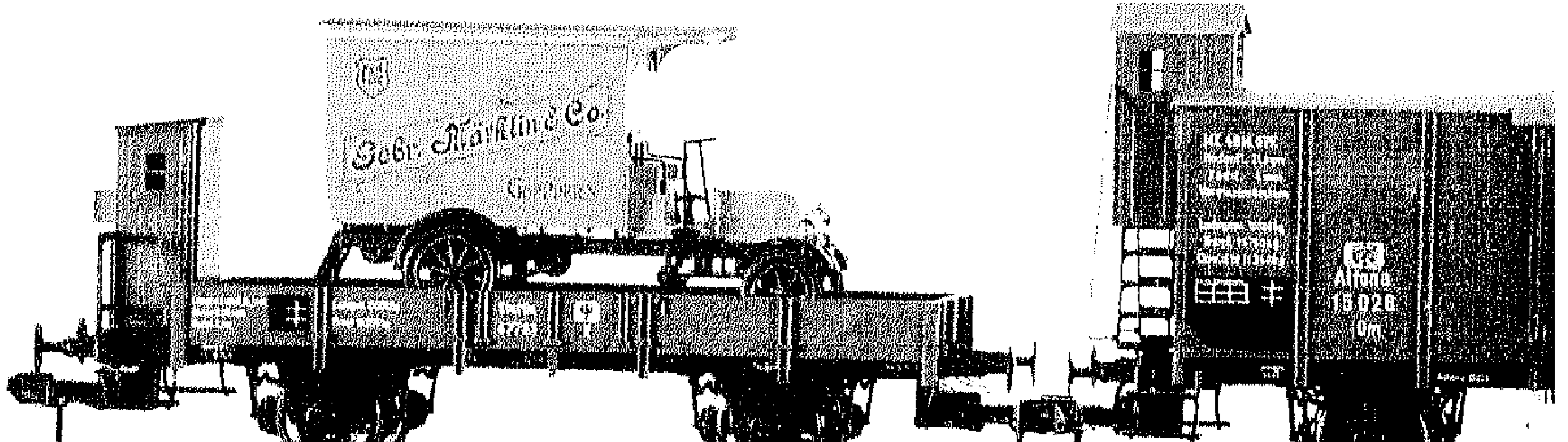
وبعد ست سنوات عرضت "ماركلين" مجدداً في معرض ليبزغ فكرة رابحة أخرى هي أول قطار – دمية في العالم يسير بالطاقة الكهربائية. فبدلا من تسييره بالطاقة الساعيَّة أو البخارية، سُيِّر هذا القطار بتيار كهربائي بقوة ١١٠ فولط، وهي خطوة جريئة باعتبار أن معظم البيوت لم تكن بعد ممدودة بالكهرباء.

وفي الثلاثينات أخذ الاخوان ماركلين قرارا يقضي بأن تتخصص شركتهما بصنع القطارات – الدمى.

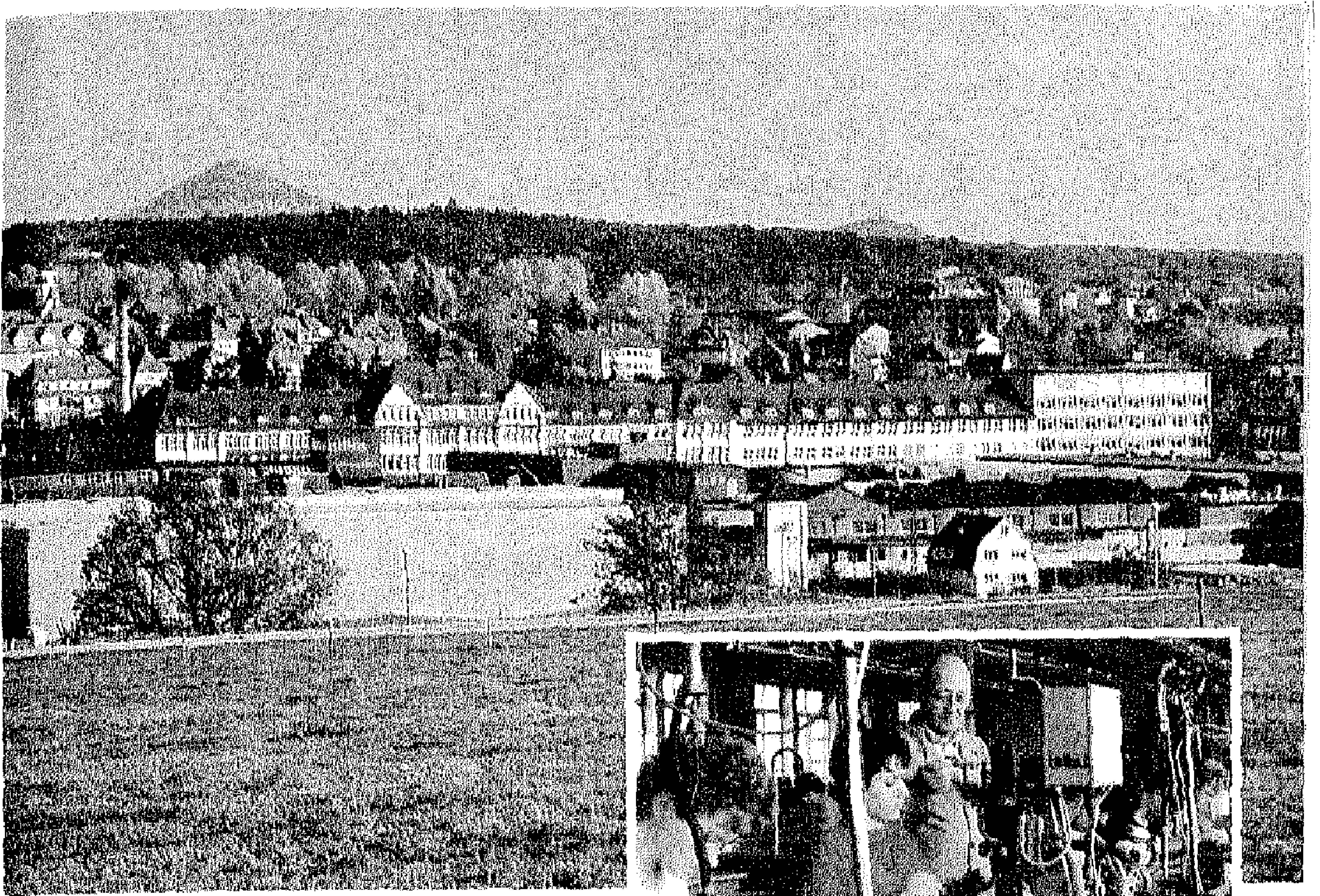
تابعت "ماركلين" غـزو الأسواق بمبتكراتها المتجددة. ولم يحل العام ١٩٣٥ حتى انتجت أول نموذج مصغر لسكة حديد كهربائية. فبات متيسراً بسط هذه الشبكة الرخيصة الثمن، المكوّنة من قطارات تسير على سكك عرضها ١٦،٥ مليمتراً (من طراز HO)، تحت شجرة الميلاد. وسرعان ما غزت العالم. وفي العام ١٩٧٢ اطلقت الشركة مجموعة أصغر وفيها سكك عرضها ٦،٥ مليمترات فقط من طراز «Z». وكانت القطارات التي لا تزيد حجماً على إبهام اليد، خفيفة الى

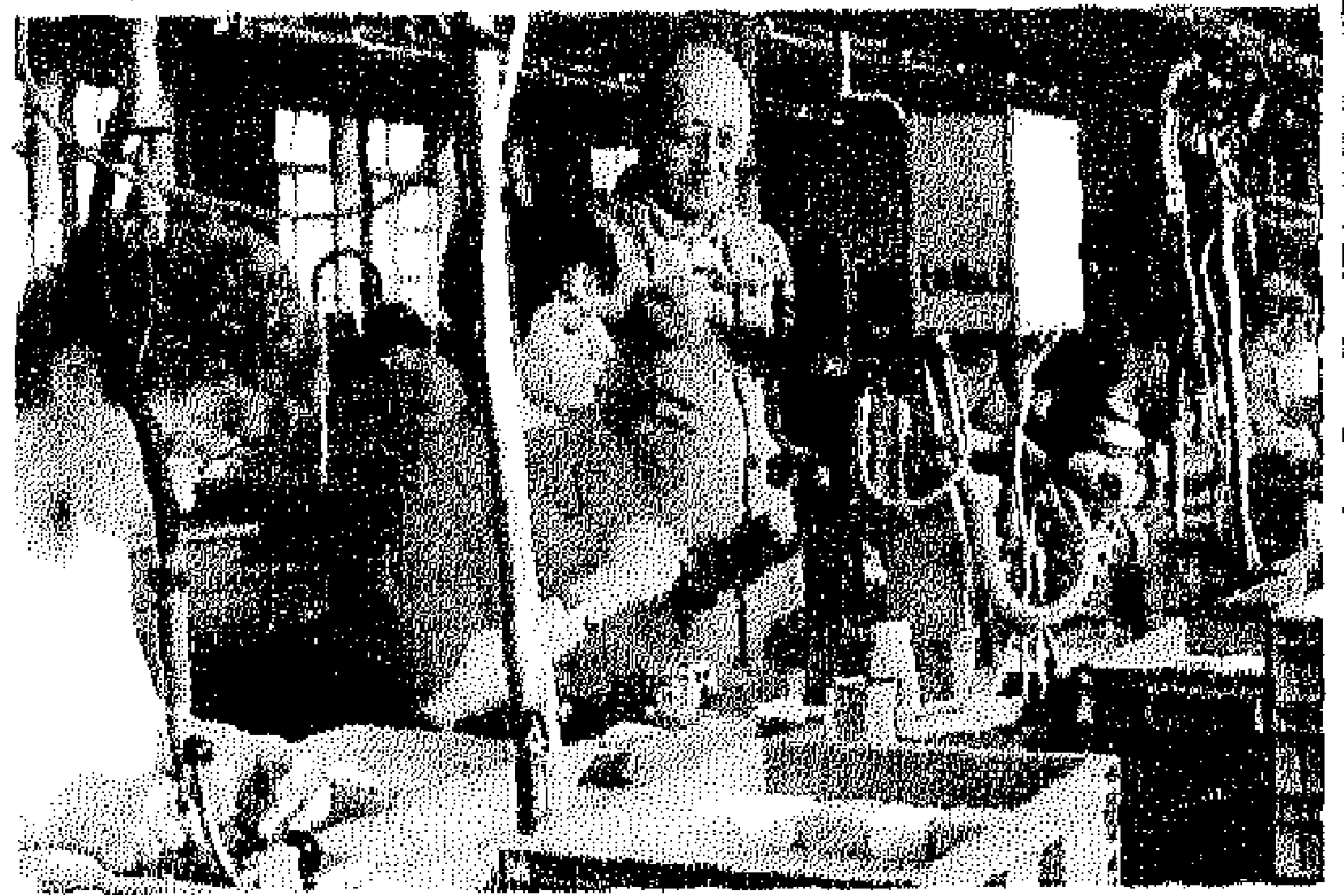
(٤) Gauge 1





(الى اليمين) أول قطار – دمية ذي سكّة موحدة المقاييس، انتج عام ١٨٩١.
(تحت) القطار الملكي البروسي الذي انتج عام ١٩٩١ لمناسبة الذكرى المئوية لشركة "ماركلين".





(فوق) بلدة غوبنغن. ويبدو مصنع "ماركلين" الذي نجا، بأعجوبة، من دمار الحرب العالمية الثانية.
(تحت) فريتز ريكر خلف خط تجميع.

حد أن فُتات خبز يمكن أن يُخرجها عن سكتها، لكنها كانت متينة الى درجة مذهلة. وفي العام ١٩٨١ جرَّت قاطرة من هذا الطراز ست عربات سريعة (اكسبرس) مسافة ٧٢٠ كيلومترا لمدة ١٢١٩ ساعة من دون توقف، مسجلة رقماً قياسياً في قوة الاحتمال دخل "كتاب غينيس الالماني للارقام القياسية."

ولم تلبث نماذج القطارات هذه أن تحوَّلت من مجرد دمى للاطفال الى "هواية شائعة بين البالغين،" كما يقول ديتر فولز مدير الصادرات لدى "ماركلين". وبما أن البالغين يرغبون في أنظمة أقرب الى الواقع، طوّرت "ماركلين" أجهزة تحكم رقمية يستطيع مستخدموها تشغيل ما يصل الى ٨٠ قاطرة و٢٥٦ عربة ملحقة انطلاقاً من جهاز تحكُّم مركزي يتيح تسريع كل قاطرة أو ابطاءها على حدة. وإذا وُصلت القاطرات الى جهاز تحويل كمبيوتري، فانها تقوم بعدد غير محدود من المناورات المبرمجة المتنوعة.

يقول فولز: "يصل ولع البالغين بنماذج القطارات حد الهوس، حتى ان بعضهم يحصي عدد المسامير "المبشّمة" في السكك. فاذا ما أنتجنا مجموعة تتضمن

١٨٠٠ مسمار بدل الالفين التي يتضمنها النموذج الاصلي، فانهم يثيرون ضجة كبيرة." وهذا ما يفسر الدقة العالية التي تعتمدها "ماركلين" في نماذجها، والاثمان الباهظة كذلك. ويباع نموذج قطار الشحن الملكي البروسي، الذي انتجت منه "ماركلين" عدداً محدوداً لمناسبة مرور مئة عام على انتاجها الاول، بمبلغ لا يقل عن ٢٠٠٠ دولار.

أنامل النساء. لا تزال مكاتب "ماركلين" الرئيسية قائمة في غوبنغن، وهي اليوم مدينة يبلغ تعداد سكانها ٥٣ الفا. ولا يزال أحفاد ثيودور وكارولين يملكون ٣٣ في المئة من أسهم الشركة التي تضم الآن ١٧٠٠ موظف ويديرها ثالوث من خبراء متخصصين بشؤون المال والانتاج والتسويق. وتمثل منتجات "ماركلين" نحو نصف الانتاج العالمي من نماذج القطارات، وهي بلغت أربعة ملايين قاطرة وعربة في العام ١٩٩٠. ويتضمن هذا العدد نماذج عربات نمسوية لنقل السيارات وعربات شحن سويسرية وقاطرات كهربائية فرنسية وقاطرات ديزل أمريكية، الى سلسلة لا تنتهي من العربات المكشوفة أخذت تصاميمها عن الاصلية المصنوعة في اليابان والمكسيك وكندا والولايات المتحدة وأوروبا. وبلغت نسبة صادرات الشركة الى خمسين بلداً ٢٠ في المئة من دخلها العام الذي بلغ ١٨٠،٢ مليون مارك ألماني (نحو ١١٠ ملايين دولار) في العام ١٩٩٠.

تخرج ٣٠٠٠ قاطرة و١٥ ألف عربة يوميا من خط التجميع في مصنع "ماركلين" المبني من الآجرّ الابيض والذي بدأ بالمبنى الذي شاده الاخوان يوجين وكارل في العام ١٩٠٠. وقد أبدلت قوالب السكب القديمة بأخرى حديثة متطورة، لكن المكان لا يزال يعبق بأنفاس الحرفية العتيقة. ويعمل رئيس خط التجميع فريتز ريكر في الشركة منذ ٤٥ عاما. وكان والده طور عام ١٩٣٣ قطار ماركلين الشهير "التمساح" الذي أخذ تصميمه عن أصل سويسري. كما يعمل شقيقه لدى الشركة رساماً هندسيا.

تطْلع ماركلين سنويا بنحو ١٥٠ ابتكارا يستغرق انتاج كل منها سنتين. مثال على ذلك ما حدث مع شركة "ميشلين" الفرنسية. ففي يونيو (حزيران) ١٩٨٨ خلال جلسة تبادل أفكار عاصفة في غوبنغن اقترح بيار فيلمان المدير العام لفرع "ماركلين" في فرنسا، انتاج عربة مفردة تجمع بين القاطرة وعربة الركاب كانت شركة "ميشلين" صممتها عام ١٩٣٢، مشيراً الى أن ناقلتين من هذا النوع لا تزالان قيد العمل في مدغشقر.

وافقت "ميشلين" على تقديم مخططات تصميماتها الاولية، فابتكر منها مصمّمو "ماركلين" مخططاتهم بمقياس نسبي هو ١:٨٧ راسمين كل جزء على حدة. وتبدو دائرة الابحاث والتطوير حيث

يعملون أشبه بمختبر تُستخدم فيه أجهزة كمبيوتر تتيح تحليل المكوِّنات المعدنية والبلاستيكية وفق نظام ثلاثي الابعاد وقياس أوزانها بدقة متناهية. يقول المصمم اندرياس شومان: "إن المهمة الأكثر تحدياً في مجال تصغير المقاييس هي تصميم العجلات بشكل يتيح لها الدوران على نحو موافق."

بعدما ثبت صلاح نموذج نحاسي أولي من الابتكار الجديد المقتبس عن "ميشلين"، في تجارب مطوَّلة على سكة اختبار، اعطت الادارة تعليمات ببدء الانتاج على نطاق واسع. فبدأت ورشة الانشاءات الميكانيكية صنع المعدات والقوالب المطلوبة لانتاج ألوف القطارات. وكالعادة، وُضعت اللمسات الاخيرة يدوياً بهمَّة نسوة تستطيع أناملهن الرشيقة تنفيذ أدق التفاصيل. وقد شاهدتُ امرأة تلتقط نابضاً صنع من أسلاك شعرية وتدخله في عجلة، فيما راحت أخرى تطلي شريطاً أسود دقيقا على ذراع توصيل بحجم ابرة.

بعد ذلك أُخضعت النماذج المكتملة لتجارب قاسية وانتُقي بعضها عشوائيا وفُكِّك لاختبار أجزائه. وفي يوليو (تموز) ١٩٩٠ أنزلت الى الاسواق الدفعة الاولى المؤلفة من ١٢ ألف نموذج من قطارات "ميشلين" بسعر افرادي بلغ ٥٠٠ دولار، فنفدت خلال أشهر قليلة.

رولز – رويس القطارات. تتوافر منتجات "ماركلين" الحديثة في جميع مجال الالعاب والمخازن الكبرى، لكن النماذج القديمة لا تتوافر إلا في متاجر الاثريات وفي قاعات المزاد.

من هؤلاء الهواة خباز من سوابيا، في جنوب ألمانيا، يحتفظ في قبو بيته الغريب بنحو ٢٠٠٠ نموذج ودمية لقطارات أثرية جمعها على مدى خمسة عقود وتقدر قيمتها حاليا بنحو ١،٥ مليون مارك (نحو ٩٠٠ ألف دولار).

ويذهب بعض الهواة الى أبعاد مذهلة. مثال على ذلك أثنان من هواة نماذج السكك الحديد يعيشان في منطقة قريبة من هامبورغ، حفرا ثقوباً في جدران قبوي منزليهما المتجاورين وأدخلا فيها أنبوبا يعمل نفقاً تمر قطاراتهما عبره. كذلك فعل هاويان من ستافودشير في بريطانيا في علِّيتي منزليهما المتجاورين.

بعد ١٢ ساعة من المزادات في قاعة "كريستي" ضرب الدلال مطرقته معلنا بيع القطعة الاخيرة في مجموعة كولوتسي، مسجلاً رقما قياسيا من المبيعات بلغ ١،٢ مليون جنيه استرليني (نحو ٢،١ مليون دولار). وكما كان متوقعا، سجلت نماذج "ماركلين" أعلى الاسعار. يقول طوم روز مدير مزادات النماذج في "كريستي": "لقد أثبت المزاد، مرة أخرى، أن ماركلين هي بمثابة رولز – رويس نماذج القطارات. ولسوف تتابع ادخال البهجة قلوب الأطفال والهواة في أنحاء العالم."

كولين أوكونر ■

الهدية لغة القلب

من لا يحب أن يتلقى هدية؟ ولكن كيف نختار نحن هدايا تعجب الآخرين؟

"بربارة،" ناداني زوجي، "هديتك للعيد هي في الثلاجة." توجهت نحو الثلاجة وقد أخذتني الحيرة وفتحتها وأنا أضحك. فقد وجدت داخلها علبة جيلاتي (آيس كريم) كبيرة ملفوفة بعناية. كان حبي للجيلاتي مضرب مثل في بيتنا.

انفجرت ضاحكة بعدما نزعت اللفافة عن الهدية، فبدلا من الجيلاتي وجدت في العلبة أربعة أرقام خشبية كبيرة لمدخل المنزل، محفورة باليد. كان زوجي بيل سمعني أقول، قبل أشهر، انني أرغب في أرقام للمنزل تسهل قراءتها.

تحرّكت مشاعري وأحببت اللفتة المرحة في مفاجأته المزدوجة.

ذكّرتني الهدية بحديث سمعته مصادفة في أحد المتاجر الكبرى. كانت امرأة تعيد هدية تلقتها من زوجها وهي تقول للبائعة: "ألا تفترضين أنه، بعد عشرين عاما من الزواج، كان على زوجي جورج أن يعرف أنني لا ألبس الحلى الذهبية مطلقا؟" **ومع أنها كانت تمزح فانني أحسست رنّة أسى في نبرتها.**

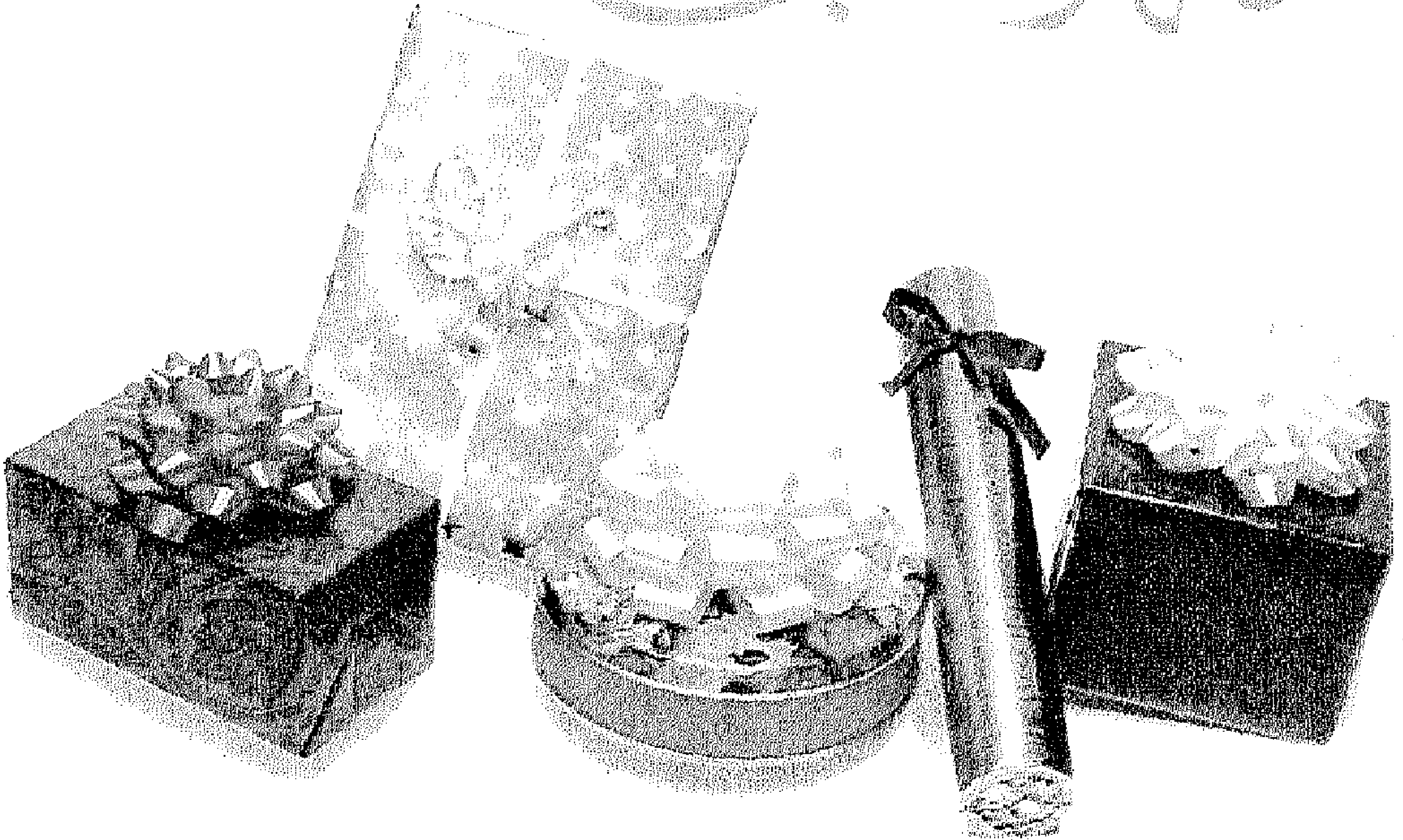


PHOTO: ROBERT MILAZZO

لم يسعني الا أن اقارن بين الاسلوبين في تقديم الهدية. فربما دفع جورج مئات الدولارات ثمن حلية لم تحبها زوجته، أما بيل فقد صرف عشرين دولاراً على الهدية لكنه، وقد فكّر بتأنٍ، اختار الهدية المناسبة لي. وهذا هو كل معنى الهدية.

كتب تشارلز ددلي وارنر في العام ١٨٧٣: "ان تميُّز الهدية يكمن في ملاءمتها وليس في قيمتها المادية."

معظمنا يرغب في تقديم الهدية المثالية الى أصدقائه وأحبابه، لكننا في هذا العالم المتسارع الخطى نندفع لانجاز العمل بسرعة. ليس من الضروري أن يكون اختيار الهدية عملا شاقاً، اذ يمكن أن يكون مبهجاً للذي يعطي وللذي يأخذ كذلك. وهنا خمسة سبل لاعادة **البهجة الى هذا التقليد العتيق الرائع:**

١. تأكد أن لهديتك معنى خاصاً لدى المهدى اليه. عندما تفكر في اختيار هدية، اسأل نفسك ماذا يهم المهدى اليه. ان ادراك ما يعتبره الآخر قيماً قد يكون هدية في ذاته.

في عيد زواجهما الثامن عشر تلقت روزيتا بيريز من زوجها راي بيت دمى خشبياً (بقياس متر × ١،٥ متر). فقد سمعها تتحدث تكراراً عن بيت الدمى الذي تاقت اليه دائما وهي طفلة ولم تحصل عليه. تقول روزيتا: "رأى زوجي الطفلة داخلي وأعطاني الهدية الاكثر اثارة للمشاعر في حياتي."

٢. ابقَ متنبهاً لهدية قد يرغب فيها الطرف الآخر من دون أن يدرك ذلك. لدى عودتي من المستشفى حيث أجريت لي جراحة بسيطة، لاحظت على طاولة المائدة قطعة زينة جديدة كانت هدية ترحيب من ولديَّ. لم **أدرك**، قبل ذلك، كم كانت القطعة القديمة بالية. لكن هذا ما احتجت اليه حقاً وما رغبت فيه.

ان الامر المهم في تقديم الهدايا هو أن تبقى متنبهاً خلال السنة لبعض الاحاديث العابرة. فقد كانت والدتي تحتفظ بدفتر خاص تسجل فيه أفكار هدايا تكوّنت خلال أحاديث مع أفراد العائلة، وكانت الصرخة المألوفة في بيتنا صباح العيد: "ماما! كيف عرفت أن هذا ما أريده حقاً؟"

قد نعرف أحياناً الحاجة الحقيقية لشخص ما أكثر مما هو يعرف. يضحك روني مايس عندما يذكر الهدية التي تلقاها من والده لدى تخرّجه في المدرسة الثانوية: "دورة تدريبية في تطوير الذات! **كم كان ذلك محبطا! لقد كنت أريد سيارة." لكن روني مقتنع الآن بان تلك الدورة أعطته المهارات الضرورية ليصبح محاضراً محترفا.**

٣. قدِّم وقتك وموهبتك. تلقت صديقتي ديان فوغل من ابنة زوجها هدية غير عادية لمناسبة عيد ميلادها. كانت جون في الرابعة عشرة من عمرها عندما تزوج والدها ديان، ومرّت العائلة بأوقات

صعبة، لكن العلاقة بين البنت و"الخالة" نمت تدريجاً وتوثقت. وفي السن العشرين قدّمت جون الى ديان هدية لا تخطر ببال: قسيمة وقعتها جون تلتزم فيها القيام بمهمات التسوّق والغسل والكي وتقديم طعام الفطور في الفراش لمدة اسبوع. وتفسر ديان الامر قائلة: "هذه خدمات أحبّت جون تقديمها تعويضا."

ان هدية يشع منها جهدك واهتمامك الشخصيان ستقدَّر أكثر من أغلى الجواهر. نبشت تويلا دل صندوقا يحوي صوراً لأمها، وجمعتها في "ألبوم" مع تعليق على كل صورة، وقدمته هدية الى أمها في عيد ميلادها الخامس والستين!

٤. لا تتأخر عن المناسبة. كلنا يعرف ضرورة أن نذكر الاطفال في أعياد ميلادهم. لكننا قد لا ندرك أهمية ذكر الجد في مناسبة مماثلة.

حتى في زحمة العمل، كل ما تحتاج اليه هو مكالمة هاتفية لترتيب عشاء خاص في مطعم مناسب.

٥. لا تنتظر المناسبات الخاصة. اعتاد ابني جون أن يفاجىء زوجته أثناء عملها بوردة واحدة، وهي لفتة عفوية تعني دائما: "أحبك." متى أعطينا هدية من دون سبب خاص، نكون كمن يبلغ الآخر شيئا أوضح من الكلمات: "انك مهم بالنسبة الي."

ان أكثر الهدايا التي قدمتها عفويا في حياتي كانت شيئا اشتريته في احدى الاجازات الصيفية. فقد دخل زوجي محلا تجاريا وأبدى اعجابه بحزام جلدي مزيَّن بنسر فضي نافر، لكنه أرجعه الى مكانه حين رأى أن سعره مرتفع. وعندما عدت الى المحل ورأيت الحزام ذاته، اشتريته، مع أنه كان غالي الثمن، لانني عرفت أن بيل سيحبه. وسُرّ بيل بالهدية، لكن سروره كان أكبر بفكرة شرائها من دون سبب خاص – الا أنني أحبه.

أحيانا تكون الهدية بسيطة جدا، وعميقة جداً بمعناها. والامر الاساسي هو أن تظهر أنك مهتم بالشخص الذي تقدم اليه الهدية.

بربارة بارتوتشي ■



بيت الجيران

اخبرتنا ابنتنا المراهقة بحماسة فائقة انها حصلت على عمل جزئي في تنظيف بيت الجيران. فعجبت أمها للامر لان ابنتها نادراً ما كانت تساعدها في أعمال المنزل، وسالتها: "وهل تجيدين تنظيف المنازل؟"

فأجابتها ببراءة: "هذا سهل يا ماما، فانا منذ سنتين اراقبك وأنت تعملين!"

ر.ب.



ILLUSTRATION: GARY GLOVER

قصة من واقع الحياة

أحست ماري أوليري رعشة تسري في جسدها وهي تنزع دعامات خيمتها المقببة الصغيرة. كانت سماء الصباح ملبدة بالغيوم والحرارة أربع درجات مئوية في ذلك المهد الجبلي الصغير المكشوف. كان ذلك يوم الجمعة ١١ آب (أغسطس) ١٩٨٩، الثالث في رحلتها التي كان مقرراً أن تستغرق خمسة أيام في غابة روزفلت الوطنية بولاية كولورادو التي تبلغ مساحتها ٣٠٠٠ كيلومتر مربع.

كانت هذه الجامعية الشقراء ابنة الثلاثة والعشرين تعشق البرية، لكنها لم تمارس هواية التخييم الا في الآونة الاخيرة. وكانت هذه أطول رحلة تقوم بها منفردة.

عندما بدأت الغيوم تتلبد في السماء، شدت ماري على ظهرها حقيبتها المنتفخة ذات الاطار المعدني وبدأت سيرها المتوحد. وفي الحادية عشرة وصلت الى مرجة معشبة عالية على جبل بالد (أي الاصلع) الذي سمي كذلك نسبة الى قمته الصخرية الجرداء. فأنزلت حقيبتها الثقيلة عن ظهرها واستندت الى صخرة كبيرة.

كانت ماري تأمل انحسار برد الصباح، اذ لم تكن ترتدي

سوى قميص رقيقة وسروال قصير وفوقهما بذلة رياضية قطنية رمادية. الا أن الهواء ازداد برودة والريح اشتداداً. واذ قصف الرعد في البعيد، انتصبت ماري على قدميها وقالت في نفسها: "من الافضل أن أواصل السير قبل أن تحاصرني العاصفة."

تسلقت المسافة المتبقية الى قمة الجبل بسرعة، ووقفت هناك تستمتع بالمنظر الجميل. ولاحظت في الأسفل سلسلة تلال صغيرة تمتد جنوباً على طول خط الأشجار المتعرج. فقدرت أن في امكانها هبوط الجبل على نحو أسرع ان هي تركت الدرب الرئيسية واجتازت السلسلة الى قمة مجاورة.

كانت منحدرة في طريقها عندما تساقطت أولى قطرات المطر. فتوقفت ماري لحظة وارتدت سترتها الواقية. وما ان وصلت الى خط الاشجار حتى كان المطر يهطل بغزارة. وحين ومض البرق عدَّت ماري خمس ثوان قبل أن تسمع الرعد، مما يعني أن العاصفة كانت لا تزال بعيدة عنها حوالى ١٦٠٠ متر.* فارتأت أن تتابع سيرها ما دامت تستطيع ذلك.

لكن العاصفة ما لبثت أن دوت برعد يصم الآذان، فخفت ماري الى تحت الاشجار مطأطأة الرأس اتقاء، غير أنها لم تنجُ من بلل المطر ونقر حبات البرد. واستمر هطول المطر غزيراً نحو ساعة ثم توقف قرابة الاولى بعد الظهر.

واذ أطلَّت الشمس مجدداً خرجت ماري من بين الأشجار. وفيما هي تنظر الى تحت محاولة تثبيت حزام وسطها، اذا بسيف برق ينزل من السماء الصافية على الاطار المعدني لحقيبة الظهر. وفي لحظة انفجر العالم حول ماري بضوء ساطع صاعق.

مشلولة! عَبَر سيف البرق جسد ماري محدثاً فرقعة مدوية ورافعاً اياها عن الأرض. فانقبضت عضلاتها وتشنجت عروقها حابسة تدفق الدم الى أطرافها، وانتصب شعرها على مداه. واذ اندفعت الشحنة الكهربائية عبر ساقيها سافعة الاعصاب وأنسجة العضلات، أزكمت رائحة اللحم المحترق منخريها. فبقيت جامدة في هذا الوهج الابيض الخالص. واخيراً توقف الهجوم الصاعق وسقطت ماري أرضاً. أحست وخزاً حاداً في رأسها وأعلى جسدها، لكنها لم تشعر بشيء دون وسطها. وخرجت من بين شفتيها همهمة جشاء: "ساعدوني!"

أدركت ماري ما حصل لها. لقد كان البرق صاعقة غير متوقعة انطلقت من غيمة عابرة غير مرئية تبعد كيلومترات وتقوَّست انحداراً وسقطت عليها من السماء الصافية فوقها. واذ تأكدت ماري من دنو أجلها أخذت تصلي: "ربي، لا تتركني..." وخيم عليها هدوء عميق وهي تتكلم. وما هي الا دقائق حتى تقلص الوخز وتمكنت من رفع رأسها ببطء.

قالت في نفسها غير مصدقة: "أظن

(*) كل ثلاث ثوان تعادل حوالى كيلومتر.

انني لا أزال على قيد الحياة." واستدارت على جنبها الأيمن وتخلصت من حقيبة الظهر، لكنها لم تستطع تحريك ساقيها. فارتسمت في مخيلتها صورة مخيفة: ماذا لو كانت جزمتها لا تحوي سوى أجزاء محروقة من قدميها؟ وراحت ترتجف وهي تقاوم دموع الخوف: "ماذا افعل الآن؟"

أدركت ماري، وقد أصيبت وهي بعيدة عن الدرب الرئيسية، أنها ستموت لا محالة ما لم تجد من يغيثها. وكان حظها ضعيفا في البقاء حية وان لليلة واحدة في صقيع تلك الجبال. وعاد المطر يسقط والريح الباردة تعصف. وفي وضعها الصعب تعين عليها ان تصل الى درب حيث يمكن أن يمر أحد الحطابين أو حراس الغابة.

انها تحتاج الى ماء قبل أي شيء، فأخرجت من حقيبتها زجاجة ماء ودستها في جيب سترتها، وقررت ألا تأخذ طعاما اقتناعا منها بأنها لن تستطيع حمل الكثير وهي عاجزة عن تحريك رجليها.

وتذكرت أن هناك طريقا في أسفل التلة مخصصة لسيارات الجيب. ولما كانت عاجزة عن الوقوف، بدأت تزحف على بطنها وهي تجر ساقيها الفاقدتي الحركة. وحاولت أن تتفادى الصخور المسننة، لكنها ما لبثت أن أحست ببرودة مروعة، فالتفتت الى الخلف لترى أنها كانت تسحب ساقها على صخرة حادة الطرف كسكين. ولاحظت أن الاحتكاك لم يسبب الما، بل برودة، فتساءلت عما يمكن أن يكون حصل لها. وتحسست ساقها بلطف، ثم بقوة. كانت فاقدة الحس تماما.

"**أمري لله.**" قررت ماري أن تجرب طريقة أخرى. فوضعت ساقيها أمامها وزحفت وقدماها في المقدمة بحيث ترى اين تضع طرفيها الميتين. وسرعان ما صادفت حاجزا بدا تجاوزه مستحيلا. كان ذلك شجرة مقطوعة طولها ٢٠ مترا، وسيستغرق الالتفاف حولها وقتا طويلا، وكان جذعها يعلو عن الأرض ثلاثة أمتار. أدركت ماري أنها لن تستطيع تجاوز هذه العقبة من دون استخدام رجليها. وعلى رغم ترددها، بدا أن ثمة صوتا داخلها يحضها على الاستمرار.

أخذت ماري نفسا عميقا ورفعت قدميها ووضعتهما على جانب جذع الشجرة، ثم ضغطت الارض براحتيها لترفع جسدها، وقدميها أولا، مقوسة ظهرها ليساعد في دفع وركيها وساقيها المرتخيتين فوق الجذع. وراحت تشجع نفسها: "هيا، انك على وشك أن تنجحي." ثم دفعت أعلى جسمها الى الأمام منشبة أطراف أصابعها في لحاء الشجرة مما جعل عضلات معدتها المشدودة ترتعش ألما. لكنها استطاعت أن ترفع نفسها فوق الجذع الضخم. ثم انزلقت بتؤدة الى الجانب الآخر.

كانت الساعة تجاوزت الثانية بعد الظهر. فحضت ماري نفسها وهي تتقدم بصعوبة: "قليلا بعد." كانت يداها تجرحتا وتحولت رجفتها ارتعاشا.

واكتشفت ماري أخيراً أنها تستطيع تحريك ساقها اليمنى قليلاً. فحاولت أن تنتصب من فرط حماستها، لكن الألم الحاد أفاق في جسدها، فانهارت على الارض الرطبة يملأها القنوط. وساءلت نفسها: "اذا تمكنت من الخروج من هنا، فهل سأقضي بقية حياتي في كرسي نقال؟"

وفجأة عاودتها ذكريات الصبا. عندما كانت في الثانية عشرة من عمرها، أبلغت الى مدربتها في فريق كرة السلة والدموع تغرق عينيها أنها تريد ترك الفريق بعدما اهانتها احدى رفيقاتها بتعليقات جارحة. فردت المدربة بهدوء: "حسناً يا ماري، ولكن اذا انسحبت الآن، فستعتبرين نفسك دائماً شخصاً انهزامياً." وبقيت ماري في الفريق وكلمات المدربة عالقة في ذهنها مذذاك.

خاطبت نفسها عالياً: "ها يا أوليري، تحركي!"

شاهدت ماري بقعة صخرية على مسافة مئة متر أمامها. واذ اقتربت منها أدركت أنها درب رملية. فحاولت أن تزحف بوتيرة أسرع خشية أن تمر سيارة من هناك فلا يراها سائقها بفعل المطر. وأحست أن اجتياز الامتار الخمسين الاخيرة سيستغرق دهراً، وقالت في نفسها: "لن أستطيع اجتيازها، انها مسافة بعيدة." ومع ذلك راحت تجر ساقيها أمامها، الواحدة بعد الأخرى، متجاهلة آلامها.

ولم تصل الى الدرب حتى هدها الانهاك وتملكتها الرجفة. فأستلقت قرب صخرة كبيرة مغمضة عينيها اتقاء للمطر البارد. وصارحت نفسها: "لقد بذلت وسعي. وأمري لله."

جسد في الطريق. كان سكوت أندرسون وغاري لونغ يبحثان في هذه المنطقة النائية عن خشب نادر يتميز بألياف لولبية. والرجلان شريكان في معمل نجارة. ولما هبت العاصفة هرعا الى شاحنة سكوت في انتظار أن تهدأ. وعادا الى موقع عملهما قرابة الثالثة بعد الظهر. لكن السماء اكفهرت مجدداً، فحملا معداتهما وسلكا الدرب الرملية عائدين الى منزليهما. وكان غاري يقود شاحنة صغيرة مقفلة يتبعه سكوت بشاحنته المكشوفة.

فجأة لمحا كلاهما جسد ماري الملطخ بالوحل ممدداً تحت المطر الى جانب الطريق. فقفز غاري من الشاحنة وركض نحوها، وسكوت في اثره. فصرخت ماري ناشجة: "أنا في حاجة الى مساعدة. لقد ضربتني صاعقة."

لم يصدق سكوت وغاري أول الأمر أن ماري نجت من اصابة برق مباشرة. ومدداها على المقعد الامامي في الشاحنة وهي نصف واعية تتأوه ألماً.

سلك سكوت الدرب الموحلة الوعرة. وراح يسترق نظرات قلقة الى الجسد المرتعش والوجه الشاحب للفتاة الممددة على المقعد قربه. وقال في نفسه: "لا تبدو في حال جيدة. يجب أن أجعلها

تحدثني باستمرار." فراح يسألها عن اسمها ومن أين هي وعن كل ما خطر بباله. وكلما امتنعت عن الاجابة كان سكوت يلح بالسؤال ويخاطبها بلطف: "ابقي معي يا ماري."

وفي منتصف الطريق نزولا من الجبل التقوا احد حراس الغابة الذي اتصل لاسلكيا طالبا مساعدة. وفي غضون دقائق حضرت سيارة إسعاف نقلت ماري الى طوافة طارت بها الى المستشفى.

فتاة مكافحة. حين أدخلت ماري المستشفى في الخامسة بعد الظهر كانت حرارتها هبطت الى ٣٥ درجة مئوية، وكان جسدها يرتعش بعنف، وسجل ضغط دمها انخفاضاً منذراً. والى الحروق في ظهرها وأسفل قدمها اليسرى، عانت حروقاً ورضوضاً في جانبيها. وازرقّت رجلاها المتورمتان.

وفي غرفة معالجة الصدمات، ذهل الدكتور دانيال تورنر حين علم أن ماري زحفت اكثر من كيلومتر ونصف كيلومتر على أرض جبلية وعرة لتصل الى حيث صادفت من أنجدها. حتى بقاؤها حية بدا له أمراً لا يصدق. فالصواعق تقتل سنويا نحو ١٠٠ أمريكي، علماً أن شحنة واحدة يمكن أن تحمل أكثر من ١٠٠ مليون فولط وتبلغ حرارتها ٢٨ ألف درجة مئوية.

أمر الدكتور تورنر بحقن ماري سوائل دافئة وبتغطيتها ببطانيات كهربائية تبعث الحرارة في جسدها. وبدأ يعالج حروقها. وشجعه انها ظلت محتفظة بوعيها ومتمالكة نفسها. ولكن حين سألته عن أملها بالسير ثانية لم يستطع الاجابة بسهولة واكتفى بالقول: "علينا أن ننتظر ونرى."

وفي الايام التالية التي أمضتها ماري في المستشفى، عادت الدورة الدموية الى الجزء السفلي من جسدها واستعادت الحركة والاحساس بساقيها. وبعد خمسة أيام على تجربتها المروعة استطاعت الوقوف على قدميها والسير مجدداً. وقال الطبيب المناوب جايمس بوش: "انها معجزة حقاً. ماري فتاة مكافحة."

وعلى رغم ان الحروق في ظهرها وجانبيها وقدمها ستذكرها دائماً بمحنتها، فانها لا تنوي التخلي عن هواية تسلق الجبال. وهي مصممة الآن، اكثر من أي وقت مضى، على مواجهة تحديات الحياة. وتعترف: "اني بت أخاف كثيراً من الصواعق،" ثم تستدرك: "ولكن لا يمكنني أن أدع الخوف يسيطر علي. لقد أدركت من رحلتي تلك أنني أقوى كثيراً مما كنت أعتقد، وانني لست انهزامية قطعاً."

ديبرا موريس ■

أنهى المذيع نشرة الاخبار بالآتي: "اليكم الآن نشرة الاحوال الجوية، التي كانت أسوأ من الاخبار."

"وول ستريت جورنال"

صور من الحياة

طراز قديم

■ طلبتُ في احد المحالّ حذاء مريحاً للمشي، لكن البائعة لم تقدم الي سوى احذية عصرية مصممة للشابات. فشرحت لها اني اريد حذاء واسعاً مريحاً من الطراز القديم. وبعدما انتقيت حذاء ملائماً سألتني: "اتدفعين نقداً ام ببطاقة اعتماد؟"
اجبت: "نقداً."
قالت: "انك حقا من الطراز القديم."

و.غ.

مرشد من الضلال

■ ذهبت وابن عمي مرة في رحلة لصيد السمك. واذ ضيَّعنا الطريق استرشدنا بأحد المارة المحليين فقال لنا: "تابعا السير حتى نهاية الطريق. هناك انعطفا يسرة اذا أردتما، لكن ذلك يقودكما في اتجاه خاطىء. عليكما سلوك الطريق الصحيحة."

ب.خ.

قميص عزيزة

■ أحب زوجي قميصه الرياضية الصفراء وظل يرتديها حتى امتلات ثقوباً تحت الابطين وحول الياقة. لكنه رفض التخلي عنها حتى بعد اهدائي اليه قميصاً جديدة.
فصممت على التخلص من تلك القميص اثناء غياب زوجي. واذ توجهت الى خزانته لاخراجها، فوجئت بالقميص الصفراء المخرَّمة معلقة في الواجهة وقد اولجت في كميّها سلسلة معدنية اخترقت عروة العلاقة ومُرِّرت فوق قضيب التعليق وقُيِّدت بقفل.

ا.و.

دراجة الصغير

■ طلب مني ابني الصغير ان اشتري له دراجة هوائية، فجاء جوابي عفوياً: "ليس لدينا مال نصرفه على دراجة، فابوك لا يسرق."
وبعد فترة اشتريت له واحدة مما ادخرته. وفيما هو يجربها في فناء المنزل ناداه جارنا: "يا لحظك السعيد! هل اشترى لك ابوك هذه الدراجة؟"
اجاب ابني: "نعم، كان يسرق المال ويجمعه لدفع ثمنها."

ا.د.س.

صهر ديبلوماسي

■ كان صهري يساعدني اثناء موسم التنزيلات في محل الاحذية الذي املكه. وذات يوم نزع حذاء سيدة مسنّة جاءت تبتغي الشراء، فاعتذرت له عن قدميها المكسوتين بالعقد و"المسامير."
فقال لها بلطف: "لا باس يا سيدتي، فلا يمكنك ان ترتجي الجمال في كلا طرفيك."

ك.ج.

أثمن هبات الحياة القدرة على ملامسة قلوب من نحب

أعزف لنا لحن الفرح

لن أنسى يوم ارتقى أبي سلَّم بيتنا حاملا آلة الأكورديون الثقيلة. وسرعان ما ناداني وأمي الى غرفة الجلوس وفتح العلبة، كأنها صندوق كنز، وقال: "ها هي. متى تعلمت العزف، فلن تنساه ما حييت."

ولئن لم تجارِ بسمتي المقتضبة ابتسامة أبي العريَضة، فلأني رجوت أن أنال غيتارا أو بيانو. كنا في العام ١٩٦٠، وكنت أتسمَّر الى جهاز الراديو لأستمع الى موسيقى الروك - آند - رول. ولم يكن للأكورديونات مكان على لائحة أمنياتي. واذ نظرت الى المفاتيح البيضاء اللماعة والمنافخ القشديَّة اللون، تخيلت هزء أصدقائي بي في الغد.

قبع الأكورديون طوال أسبوعين في خزانة غرفة الجلوس. وأخيراً أعلن أبي أن في وسعي بدء دروس الموسيقى في الاسبوع اللاحق. رمقتُ أمي مستنجداً، لكن الصرامة في اطباقة فكيها أنبأتني بنفاد حظي.

كـان انفـاق ٣٠٠ دولار ثمنـا للأكورديون، وخمسة دولارات للدرس الواحد، أمراً لا يتفق وطبع والدي الذي عرفناه عملياً على الدوام. فهو ترعرع في مزرعة حيث كان الملْبس والدفء، والمأكل أحياناً، أموراً عزيزة.

انتقل والداي، قبل ولادتي، الى منزل جدي لأمي في نيوجرزي. وكان أبي يقطع كل يوم مسافة تستغرق ثلاث ساعات ذهابا الى مركز عمله وايابا منه، حيث كان مراقبا في شركة لصيانة المحركات النفاثة. وفي عطل نهاية الاسبوع كان يمضي أوقاته في القبو منهمكا في طائفة

من الاعمال اليدوية المتنوعة. وكان هادىء الطبع، خجولا، يجد أقصى الراحة على منضدة العمل.

ولم يكن شيء ليزحزح أبي عن أدواته ومشاريعه سوى الموسيقى. فكان لحظة ركوبه السيارة أيام العطل يدير جهاز الراديو. وكنت، لدى توقفه أمام اشارات المرور الحمراء، ألاحظ نقر قدمه على وقع الالحان.

ومع ذلك فوجئت وأنا أقلّب محتويات احدى الخزائن، اذ وجدت علبة بدت كأنها لغيتار صغير. وعندما فتحتها طالعني بريق كمان صقيلة. فقالت أمي: "إنها لابيك، أهداها اليه والداه. لكني أظنه كان منهمكا في أعمال المزرعة فلم يتسنَّ له تعلُّم العزف عليها."

حاولت أن أتخيل يدي أبي الخشنتين وهما تعزفان على هذه الآلة الرقيقة، فلم أستطع.

"هذا جميل!" بدأتُ دروس الموسيقى على يدي الاستاذ زيلي في "مدرسة أليغرو للأكورديون." شعرت في يومي الأول، وحزاما الآلة يرهقان كتفي، بخَرَق يشوب كل حركاتي. وسأل والدي الاستاذ لدى انتهاء الدرس الأول: "كيف جرت الأمور؟"

فأجاب: "بداية لا بأس بها." فاتقدت وجنتاه أملا.

أُمرت بالتمرن على العزف نصف ساعة يوميا، فبتُّ كل يوم أحاول التملص من قسمتي. بدا مستقبلي زاهرا في لعب الكرة خارج المنزل، لا في العزف داخله محاولا أن أبرع في ألحان سرعان ما أنساها. لكن والديّ ما انفكا يرغمانني على مواصلة التمرين.

ودُهشت اذ وجدت نفسي بعد حين قادرا على تمييز المفاتيح وتنسيق حركة يديّ في عزف ألحان بسيطة. ولطالما طلب مني والدي، بعد العشاء، عزف لحن أو لحنين وهو غارق في كرسيه المريح. فأعزف له باذلا جلّ مقدرتي.

وكان يعلِّق على عزفي مثنيا: "حسن جدا! هذا أفضل من الاسبوع الفائت." فأتابع أنا عزف خليط من ألحانه المفضلة. وسرعان ما يغط في النوم والصحيفة مطوية في حضنه. كنت أعتبر اخلاده الى النوم على عزفي نوعا من الاطراء.

وذات أمسية من يوليو (تموز)، فيما كنت أعزف مقطوعة "عودة الى سورنتو" عزفا لا شائبة فيه، ناداني والداي الى حيث كانا واقفين أمام نافذة مفتوحة. فرأيت جارة لنا، عجوزا، تتكىء على سيارتنا وتدندن اللحن حالمة. وعندما انتهيت من العزف نادتني وعلى محياها ابتسامة عريضة، قالت: "أذكر هذه الأغنية مذ كنت طفلة في ايطاليا. هذا جميل، جميل جدا."

عزف منفرد. بمرور أشهر الصيف زادت دروس زيلي صعوبة، وبت أحتاج الى أسبوع أو أكثر لاتقان معزوفة واحدة. وكنت في تلك الاثناء أسمع أترابي يلعبون

يمرحون في الخارج. وتتناهى سخرياتهم الى مسمعي: "هاي، أين قردك وكوبه؟" (اشارة الى العازفين المتجولين، وخصوصا عازفي الاكورديون، الذين يقتنون قرداً يحمل كوباً لجمع الاكراميات.)

بيد أن شعوري بالمهانة لم يهمّني مثلما همَّتني الحفلة الموسيقية الوشيكة. كان علي أن أعزف منفرداً على مسرح دار السينما المحلية. ولما انطلقت بنا السيارة الى هناك في اليوم "الموعود" دارت بيني وبين والدي مشادَّة حامية.

قلت: "لا أرغب في العزف منفرداً."

فرد أبي: "عليك أن تفعل."

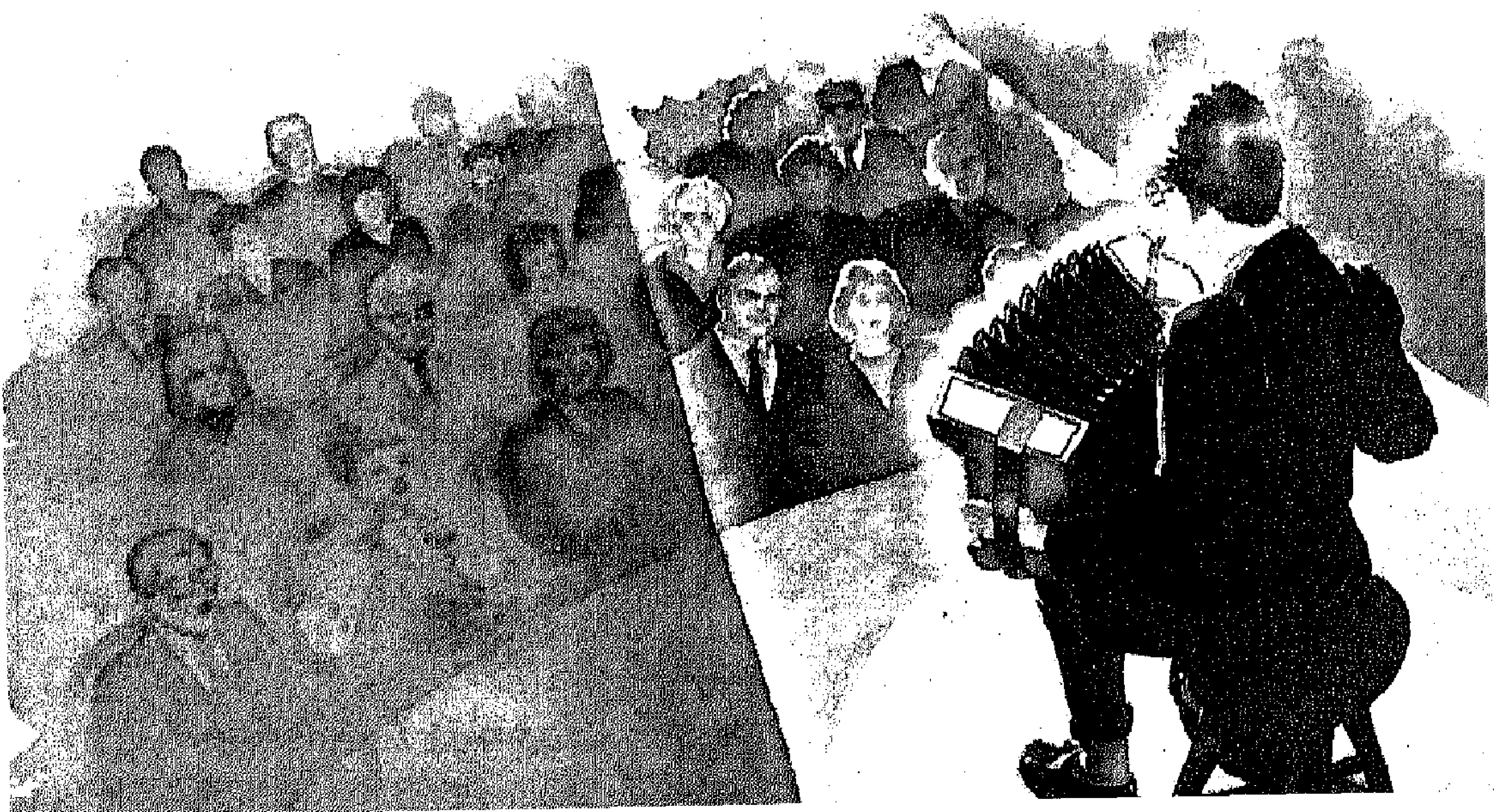
فصحت: "لماذا؟ ألأنك لم تعزف على كمانك وأنت صبي؟ لماذا يتوجب عليّ العزف على هذه الآلة الخرقاء، في حين لم تضطر أنت الى العزف على آلتك؟"

أوقف والدي السيارة جانبا وقال لي: "السبب هو أنك قادر على ادخال الفرح الى الناس، وعلى لمس قلوبهم بأناملك. وتلك، لعمري، موهبة لن أدعك تبددها." ثم أضاف برقة: "ستتاح لك يوما فرصة لم أحظَ بمثلها: أن تعزف موسيقى جميلة لعائلتك أنت. وستفهم يومئذٍ جدوى ما بذلتَه من جهد."

أفحمني كلامه، خصوصا لأني لم اسمعه يوما يتحدث بمثل هذه العاطفة عن أي شيء. ومذذاك وأنا أتمرن على العزف من دون أن يجبرني والداي على ذلك.

لا أذكر أن أمي تزينت وتبرجت مثلما فعلت مساء تلك الحفلة الموسيقية. أما أبي فعاد من عمله باكراً ولبس بذلة وعقد ربطة عنق وملّس شعره بمرهم عطري. وإذ جَهُز الاثنان قبل ساعة من موعد الحفلة، جلسنا معا في البيت نتجاذب

ILLUSTRATION: BRADLEY CLARK



أطراف الحديث بعصبية ظاهرة. في تلك الجلسة تناهت إليّ رسالة غير محكية: الليلة يتحول حلمهما الأثير حقيقة.

ولدى وصولنا الى دار السينما انتابني توتر اذ أدركت فجأة مدى رغبتي في جعل والديّ فخورين بي. وأخيراً حان دوري. فسرت نحو الكرسي المنفرد وسط المسرح، ورحت أعزف من دون ارتكاب أي خطأ. ولما انتهيت من المقطوعة ضجت القاعة بالتصفيق. فشعرت بارتياح لانقضاء محنتي.

بعد انتهاء الحفلة صعد والداي الى المسرح مرفوعي الرأس متوهجي الخدود، فعلمت للحال أنهما مسروران. ضمتني أمي إليها بقوة، وأحاطني أبي بذراعه وقربني إليه قائلا: "كنت عظيماً." ثم أمسك يدي مصافحا ولم يتركها إلا بعد حين.

كلمات من الماضي. مرت السنون وتوقفت دروس الموسيقى ولم أعد أعزف إلا في المناسبات العائلية نزولا عند رغبة أبي. وعندما التحقت بالجامعة تركت الأكورديون في خزانة غرفة الجلوس، الى جانب كمان أبي.

بعد سنة من تخرجي في الجامعة انتقل والداي الى منزل في بلدة مجاورة. لقد تمكن أبي أخيراً، وهو في الحادية والخمسين، من تملك منزل. ويوم الانتقال لم يطاوعني قلبي أن أطلب منه التخلص من الاكورديون. لذلك حملت الآلة معي الى منزلي أنا ووضعتها في العلّية.

بقي الأكورديون هناك سنوات، ذكرى يكسوها الغبار، الى أن اكتشفه ولداي مصادفة. ظنّه سكوت كنزاً سرياً، وظنت هولي أن شبحاً يسكنه. وكان الاثنان على حق.

وما إن فتحتُ العلبة حتى ضحكا وهتفا: "اعزف لنا، اعزف لنا." تمنطقت الأكورديون متردداً ورحت أعزف ألحان أغنيات بسيطة. ففوجئت بأن مهارتي لم تصدأ. وسرعان ما راح ولداي يرقصان ويقهقهان. حتى زوجتي راحت تضحك فرحة وتصفق مع الايقاع. فشدهني فرحهم الطليق العنان.

وعادت إليّ كلمات أبي: "ستتاح لك يوما فرصة لم أحظَ بمثلها. وستفهم يومئذ جدوى ما بذلتَه من جهد."

كان أبي على حق: ان أثمن هدية هي ملامسة قلوب من نحب.

اتصلت بأبي هاتفيا لأعلمه أني فهمت، أخيراً، مغزى كلماته ولأشكره على ميراث اكتشفته بعد ٣٠ سنة.

صحيح أن أبي لم يتعلم العزف على الكمان، لكنه أخطأ اذ اعتقد أن عائلته لن تسمع موسيقاه أبداً. في تلك الأمسية الرائعة رقصت زوجتي وولداي على عزف الاكورديون، لكن تلك النغمات كانت موسيقى أبي.

وين كالين ■

الاصدقاء يأتون ويمضون، اما الاعداء فيتراكمون. ت.ج.

هلموت كول: عاد "السمك" إلى الراين

مقابلة خاصة أجراها رؤساء تحرير الطبعات الاوروبية للـ"ريدرز دايجست" مع المستشار الالماني

س. سيدي المستشار، كيف كان شعورك بعد اعادة توحيد بلدك؟

ج. كان تأثري عميقا ليلة الثاني من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠. لقد دأبت على زيارة مبنى الرايشستاغ[1] في برلين الغربية على مدى عقود، فأجلس على حافة النافذة وأنظر الى الجدار حالما بساعة أشهد سقوطه. لم أشك قط في أنني سأرى ذلك اليوم، لأنني كنت مقتنعا بأن وطنا يرغب في الوحدة لا يمكن حرمانه اياها. وعندما التقيت ميخائيل غورباتشيوف هنا، في بون، صيف ١٩٨٩، جلسنا طوال ثلاث ساعات على حائط المتنزه ننظر الى نهر الراين. قلت له يومذاك: "يجري هذا النهر الى البحر، ولا يمكن وقفه. ولو سدّ مجراه لفجّر الماء ضفتيه، لكنه سيجد طريقه أخيراً الى

(١) Reichstag مبنى البرلمان الالماني في برلين حتى العام ١٩٤٥، والذي اكتسب صفته الرسمية مجددا بعد توحيد الالمانيتين.



PHOTO: JB PICTURES / JOHN NORDELL

البحر. وكما يتدفق الراين الى البحر، هكذا، بالتأكيد، ستتحقق الوحدة الالمانية والاوروبية."

وتذكرت تلك اللحظة عندما تجمّع أكثر من مليون من مواطنيّ حول مبنى الرايشستاغ في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠. كانت لحظة رائعة مع أنني كنت أعي تماماً المشاكل الهائلة التي ستتطلب حلولا بعد الوحدة.

علاقات ألمانيا

س. يزعم عدد من النقاد أن علاقات ألمانيا مع الشرق هي، بالنسبة اليك، أهم من التزاماتها حيال الغرب. هل من خطر في أن تصير ألمانيا معزولة عن الغرب؟

ج. ان الذين يزعمون ذلك هم اما جهلة واما سيئو النية، وفي كلتا الحالين تصعب محاورتهم بالعقل.

لقد فزت في انتخابات البوندستاغ[٢] في مارس (آذار) ١٩٨٣ بسبب موقفي من بعض الامور ومنها نشر صواريخ أمريكية متوسطة المدى في ألمانيا. وكان الهدف الاساسي من هذا النشر ترسيخ دعائم حلف شمال الاطلسي ووقف تعاظم التسلح السوفييتي. وقد تظاهر مئات الالوف من الالمان آنذاك احتجاجا على هذه السياسة. وذات صباح، بينما أنا عائد الى منزلي في الطائرة التي نقلتني من باحة المستشارية، تجمع نحو ٣٥٠ ألف شخص على ضفتي الراين في تظاهرة احتجاج اتهمتني بأنني أتبع سياسة ستؤدي الى الحرب. وحين يرى المرء ذلك العدد الضخم من الناس، يتساءل: "هل من الممكن أن يكونوا جميعهم على خطأ وأنا على صواب؟"

لكن اقتناعي كان راسخاً بأن العلاقات الوثيقة مع الولايات المتحدة شرط للسلام والحرية في بلدنا وفي القارة الاوروبية كلها. كان علينا، ببساطة، أن نوضح للقيادة السوفييتية انها لا يمكن ان تذهب أبعد من تلك الحدود. ولذا من الخطأ أن يشكك أحد في سياستي الملتزمة روابط ثابتة مع الغرب ومع التحالف الاطلسي.

أما بالنسبة الى أوروبا، فقد كنت طوال حياتي السياسية – وأنا أتعاطى السياسة منذ أيام الدراسة – أنظر الى وحدة ألمانيا والى توحيد أوروبا على أنهما هدفان مترادفان ووجهان لعملة واحدة. وخلال سنواتي التسع في منصب المستشار الاتحادي، عملت أكثر من معظم القادة على دعم المسألة الاوروبية. وفي ٣١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩٢ سنحقق "السوق الاوروبية الواحدة." وفي مؤتمر قمة المجموعة الاوروبية الذي سينعقد في ماستريشت في ديسمبر (كانون الاول) سنقر اتحاداً اقتصاديا ونقدياً، واتحاداً سياسياً كذلك. ان القوتين الرئيسيتين الدافعتين وراء هذا التطور هما الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران وأنا.

يعتقد البعض أنني أنفق مالا كثيراً

(٢) Bundestag مجلس النواب الالماني الغربي قبل اعادة توحيد المانيا.



المستشار الالماني هلموت كول بين رؤساء تحرير الطبعات الاوروبية لـ"ريدرز دايجست" ومعهم جون د. بانيتزا مدير تحرير الطبعة الامريكية.

على عملية التطور الاوروبي، لكن الالمان هم الذين يحصدون الفائدة العظمى من الاسرة الاوروبية. اذ سيذهب ما بين ٥٥ و٦٠ في المئة من صادراتنا الى دول المجموعة الاوروبية هذه السنة، ومن الطبيعي أن تتحمل الدولة الاقوى اقتصاديا والمنتفعة الاولى، الحصة الكبرى من الاعباء.

توحيد أوروبا

س. أي دول تتوقع أن تنضم تالياً الى المجموعة؟

ج. انني أتوقع أن تنضم أسوج (السويد) – كما النمسا – الى المجموعة سنة ١٩٩٥، وأتكهن أيضاً بأن تطرح هذه المسألة بقوة في نروج، بعد انضمام أسوج. وأفترض أن يبدأ الجدل نفسه في فنلندا أيضاً.

وعند منعطف القرن نكون دخلنا حواراً مع تشيكوسلوفاكيا وبولونيا والمجر (هنغاريا). وأستشرف أوروبا موحدة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا بتعداد سكان ينيِّف على ٤٠٠ مليون بحلول السنة ٢٠١٠.

س. سيدي المستشار، يخشى بعض الاوروبيين، ولاسيما نحن البريطانيين، أن تكون لالمانيا تحفظات من تعجيل وتيرة توحيد أوروبا ومن تعميم نقد أوروبي موحد. فهل هذا صحيح؟ واذا كان كذلك، فلماذا تلزم المانيا الصمت؟

ج. لقد أنجزنا تقدما ملحوظاً في الاشهر الاخيرة. وبوشر عقد المؤتمرات الحكومية المشتركة حول الوحدة الاقتصادية والنقدية، والوحدة السياسية كذلك، في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩٠. وتقدمنا خلال تلك الفترة في مجال الوحدة الاقتصادية والنقدية أكثر مما تقدمنا في مجال الوحدة السياسية. لكننا، نحن الالمان، نعلق أهمية خاصة على تحقيق نتائج مرضية في مجال الوحدة السياسية

PHOTO: PRESSE-UND INFORMATIONSAMT DER BUNDESREGIERUNG, BUNDESBILDSTELLE, BONN

أيضاً. لقد تكوّن لدي أنطباع بأن هناك اختلافاً أكبر في الرأي في بريطانيا حيال هذا الموضوع، مما نجد هنا. اذ ان كل الاحزاب الالمانية الرئيسية تحبذ الوحدة السياسية كما الوحدة الاقتصادية والنقدية.

س. قد تضعف معدلات الفائدة المرتفعة في ألمانيا اقتصادات أوروبا. ألا تشعر ألمانيا ببعض المسؤولية عن مساعدة جيرانها في مكافحة البطالة؟

ج. تدل معدلات الفائدة الى أن لدينا مصرفاً مركزياً مستقلاً لا يخضع لتوجيهات الحكومة، والتزامه الوحيد هو ضمان الاستقرار النقدي. ويجني جميع الذين اعتمدوا المارك الالماني قاعدة للتعامل، في أوروبا، فوائد كبرى نتيجة استقلالية مصرفنا المركزي وسياسته الحكيمة وبعد نظره.

اننا نواجه مشاكل موقتة لاننا نمول عملية التوحيد الالمانية ونساهم أكثر من أي بلد آخر في عملية التنمية في أوروبا الشرقية. كلا الامرين مكلفان، لكنني متفائل بمردودهما. وللمقارنة، بلغت المساعدات الامريكية لالمانيا في اطار "مشروع مارشال" ٨٠٠ مارك ألماني (٥٠٠ دولار) للفرد، بينما نكون نحن أنفقنا خلال الاشهر الثمانية عشر الممتدة حتى الميلاد (٢٥ ديسمبر ١٩٩١) ٦١٠٠ مارك ألماني (٣٧٥٠ دولارا) لكل فرد من ١٦ مليونا في الاقاليم الاتحادية الجديدة وحدها.

ان انفاقاً حكومياً كهذا يساهم في ارتفاع معدلات الفائدة، لكن شركاءنا في المجموعة الاوروبية – كذلك الذين خارجها – يجنون فوائد ضخمة نتيجة توحيد ألمانيا. لقد ازدادت صادرات جيراننا الينا بنسبة ٢٠ في المئة في الاشهر الستة الاولى من هذه السنة (١٩٩١).

سياسة الدعم

س. ثمة مفاوضات تجارية دولية، مثل "غات،"[٣] مهددة لان المجموعة الاوروبية غير مستعدة للحد من سياسات الدعم والاعانات المالية. هل تؤيد رفع كل أنواع الدعم؟

ج. ان نجاح جولة مفاوضات "غات" هذه السنة مهم لنا جميعا – للامريكيين، وللاوروبيين، وخصوصا لدول ما يسمّى العالم الثالث المنسية عادة. اننا نخفض الدعم في القطاع الزراعي، ولكن تبقى هناك فروق بين الزراعة في الولايات المتحدة وأوروبا وضمن دول المجموعة الاوروبية. فهناك نحو ١١ مليون مزارع في أوروبا، وأقل من ثلاثة ملايين في الولايات المتحدة. وتبلغ مساحة المزرعة المتوسطة في بريطانيا ١٥٠ هكتاراً، بينما لا تتجاوز ١٥ هكتاراً في المناطق الغربية من ألمانيا. وليس من السهل تسوية هذه الفروق، لكنني أعتقد أننا نسير في اتجاه صحيح.

ستتسبب سياسة حماية المنتجات

(٣) «GATT» وهو الاتفاق العام للتعريفات والتجارة.

الوطنية في كارثة لنا جميعاً. فكلنا في حاجة الى أسواق مفتوحة، وقوة الاقتصاد الالماني تكمن، الى حد بعيد، في أننا استطعنا دائماً مواجهة المنافسة.

س. هل ينطبق ذلك أيضاً على سياسة دعم القطاع الصناعي في كل دولة؟

ج. أود هنا التمييز بين الدعم المالي الموقت والآخر الدائم. فاذا استخدمت المعونة لاطالة أمد وضع معين لا جدوى منه اقتصادياً، فتلك في رأيي سياسة خاطئة. لكننا ملزمون حاليا تقديم معونات الى المناطق الاتحادية الجديدة والا فكيف نقوِّم اقتصاداً أسيئت ادارته كلياً؟

اذا زرتم مناطق الصناعة الكيميائية في ساكسوني - انهالت، فستعاينون وضعاً بيئيا كارثياً، لأن النظام البائد لم يفعل شيئا للبيئة طوال ٤٠ سنة، ولن تستثمر الشركات أموالا هناك قبل أن تنظف المواقع. وكل الذين يرغبون في الاستثمار يقولون ان ذلك يجب أن يتم بتمويل حكومي، وهم على حق. وسيعود ذلك بالفائدة على المجتمع عموما، لان كل انسان معرض للخطر من هذه الارض الملوثة، وليس الشركات الجديدة فقط. ويمكن اعتماد هذا المبدأ في كل الحقول تقريبا.

س. سيدي المستشار كول، هل تشارك الاوروبيين في مخاوفهم من هيمنة اقتصادية يابانية؟

ج. انني من محبذي الاسواق المفتوحة، ولا أفهم المخاوف القائمة بسبب الاجتهاد الياباني. لست "معقداً" من اليابانيين. انهم شعب مجتهد وذكي، لكنهم لم يوهبوا عقلا أكثر منا.. واذا استخدمنا عقلنا فستتوافر لنا الفرص نفسها.

مشاكل اوروبية

س. الناس قلقون أيضاً من تنامي نفوذ ألمانيا ومن مركزها المهيمن داخل المجموعة الاوروبية ومن علاقاتها مع أوروبا الشرقية. هل هناك مبرر لهذا القلق؟

ج. يمكن فهم بعض هذا القلق تماماً. فنحن في موقع جغرافي سياسي فريد، لاننا محاطون بأكبر عدد من الجيران في أوروبا ولقراراتنا نتائج مباشرة عليهم. في الواقع هناك أوروبيون أكثر مما يظن الناس عموماً، سعيدون باعادة توحيد ألمانيا، لان غالبية الشعوب الاوروبية أدركت أن تقسيم ألمانيا كان رمزاً لتقسيم أوروبا أيضاً. ولكن يجب ألا ننسى مشاعر شعوب هولندا واللوكسمبور وبولونيا حيث خلفت النازية دماراً مرعباً. قد تكون هذه المشاعر مجحفة، ولكنها موجودة.

ثم هناك أولئك الذين يتحدثون عن مخاوف، وحقيقة مشاعرهم حسد من نجاح ألمانيا اقتصاديا. في أي حال، يعتقد كثيرون أن الالمان مجتهدون - مع أنهم لم يعودوا يرهقون أنفسهم بالعمل -

وما لقي الاجتهاد مرة ارتياحا واسعاً. واذا اشتكى الناس من أن الالمان أقوياء جداً، فكل ما أستطيع قوله: "ساعدونا اذاً! دعونا نضع سقفاً أوروبيا لهذه القوة!"

س. لكن هذا السقف الاوروبي سيغطي أيضاً أجانب من خارج المجموعة الاوروبية، ويتوقع تدفق مزيد من المهاجرين، في حين يتنامى التوتر العرقي والاثني. فكيف تستطيع أوروبا مواجهة هذا الوضع الصعب؟

ج. بادراك حقيقة أننا لسنا قارة مفتوحة للهجرة. إننا نحتاج الى قانون أوروبي موحد خاص بالهجرة واللجوء مبني على مبدأ أن كل من يعاني اضطهاداً في بلده لاسباب سياسية أو عرقية أو دينية مقبول هنا من دون شروط. لكننا لن نستطيع حل مشاكل سري لانكا بالسماح للبعض باحضار سري لانكيين على متن طائرة "جامبو" وانزالهم في فرنكفورت والقول لهم: "ستتولى الدولة الالمانية الاهتمام بكم." علينا أن نساعد الناس في بلادهم بحيث يقررون البقاء بها. لا يمكن أن تكون سياسة حكيمة تلك التي تضطر الناس في أنحاء العالم الى ترك أوطانهم بدافع الفقر وطلب اللجوء الى مجتمعات ذات ثقافة غريبة عنهم.

س. ما هي الاجراءات التي ترتئيها لمكافحة الجريمة المنظمة في أوروبا؟

ج. تمثل هذه المشكلة تحديا هائلا. ويقلقني أن أوروبيين كثيرين - بمن فيهم الالمان - لم يدركوا بعد أبعاد مافيا المخدرات الدولية. يملك هؤلاء المجرمون رساميل ضخمة، وتبلغ مداخيلهم السنوية ٣،٦ مليارات مارك (٢،٣ مليار دولار) في المانيا وحدها، وهم يستخدمون أساليب ذكية لـ"تبييض" أموالهم[٤] المتدفقة الى أوروبا، وخصوصاً الى الدول الغنية مثل المانيا. ان المستوى الذي وصلت اليه مافيا المخدرات في الابتزاز والرشاوى يشكل خطراً مرعباً.

حضضت دول المجموعة الاوروبية تكراراً على انشاء قوة شرطة مشتركة مزودة أحدث المعدات وأكثرها تطوراً ومخولة العمل عبر الحدود الدولية لمواجهة مافيا المخدرات بكل الوسائل القانونية المتاحة. وقد تقررت خطوة أولى في هذا الاتجاه في قمة المجموعة الاوروبية في اللوكسمبور.

أما على المدى الطويل، فانني أحبذ وضع قوانين لمكافحة الجريمة المنظمة على مستوى أوروبا كلها، كما أؤيد انزال عقوبات قاسية بالمهربين ومصادرة كل ممتلكاتهم. يجب أن نضرب هؤلاء الناس حيث تكون الضربة موجعة. ان الوقت يدهمنا في حربنا عليهم.

س. تواجه أوروبا آفة أخرى هي التلوث. هل علينا أن ندفع ثمن النمو الاقتصادي بتدمير البيئة؟

(٤) التبييض يعني تصريف الاموال غير المشروعة بوسائل تضمن اخفاء مصادرها.

ج. كلا، خصوصاً أننا بتنا ندرك أن من الخطأ – حتى من وجهة نظر اقتصادية ومالية – أن نؤذي البيئة. ان نوعية مياه نهر الراين، مثلاً، هي الآن كما كانت في العام ١٩٣٠. انني لا أثق بالنشرات الرسمية مقدار ثقتي بالسمك الذي يسبح هناك، وقد عاد السمك الى النهر. انني أذهب الى هناك خلال عطل نهاية الاسبوع وأتنزه على ضفة الراين وأحس سعادة غامرة عندما يقول لي الصيادون: "لقد عاد هذا النوع من السمك، ونحن لم نره منذ سنوات!" وسيأتي يوم تصبح السباحة ممكنة ثانية في مياه الراين.

لكن عملية التنظيف هذه كلّفت أكثر من ١٠ مليارات مارك (٦ مليارات دولار) في العقود الاخيرة. ونحن اليوم أذكى قليلاً، اذ لم نعد نسمح بتلويث مياه الراين. والى ذلك، ساهمت التقنيات التي طورت أثناء عملية تنظيف النهر في جعل ألمانيا رائدة في تكنولوجيا البيئة التي يمكن تصديرها الى أنحاء العالم. بكلام آخر، يمكن أن تؤدي السياسات البيئية السليمة الى فوائد اقتصادية ملحوظة.

س. بعد زوال تهديد حلف فرصوفيا، هل تعتقد أن حلف شمال الاطلسي بات ترفاً لا ضرورة له؟

ج. لا، قطعاً. سنظل في حاجة الى حلف شمال الاطلسي للدفاع عن مستقبلنا. هناك سوء فهم لاهداف هذا الحلف. فهو، منذ تأسيسه، لم يحمل مضامين عسكرية، بل سياسية. ان حلف شمال الاطلسي هو، في جوهره، اتحاد أمم تتشارك في الايمان بقيم واحدة، أما المظهر العسكري فقد أضفي عليه عندما تحالفت هذه الدول في دفاع مشترك.

سنظل في حاجة الى الجيوش مستقبلاً، مع أن عديدها سيخفض، لان الجيش ضروري لضمان حرية الدولة والحفاظ على سيادتها. لذا ناقشنا، خلال مؤتمر قمة الحلف في روما في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩١، استراتيجية تتوافق والوضع الجديد. لكن الحلف باقٍ.

نعمة العائلة الكبيرة

امضى الممثل الامريكي ميل غيبسون سني حداثته في بلدة بيكسكيل بولاية نيويورك، وعاش "كما لو كان يحلم." لم يكن نجم فيلم "هاملت" يوماً كشافاً او لاعباً في فريق رياضي. وما يتذكره بارتياح هو ذلك الشعور المفعم بالغبطة الذي تمنحه الحياة العائلية: زيارة دكان مثلجات، تسلق أشجار، قفز بين التلال. ويضيف غيبسون، وهو السادس بين احد عشر شقيقاً وشقيقة: "كنت امضي معظم الوقت مع ثلاثة من أشقائي لتقاربنا في العمر. وكنت واثقاً بأنني ساجد طريقي الخاصة يوماً وأنجح في مضمار ما." وهو يعتبر هذا التوازن من حسنات العائلات الكبيرة. وغيبسون نفسه اب لستة. يقول: "انه أمر رائع، فالمرء يدرك أنه لا يحصل على كل شيء. انه يحظى دوماً بما يحتاج اليه، لكنه لا يحظى دوماً بما يتمناه، كما يتعلم الا يبالغ في الزهو."

ج.ل.

احذروا الدجّالين!

الرأي العام متخم بنصائح صحية مربكة ومتناقضة. فكيف نميز بين الحقيقة والتضخيم؟

نتمتع في هذا العصر بحياة أطول وأكثر عافية، ومع ذلك تطالعنا عناوين اخبارية منذرة بالسوء: "الباحثون يربطون بين مادة الالمنيوم ومرض الزهايمر." "ثمة صلة بين القهوة وارتفاع معدل الكولسترول." وبسبب النشرات المنذرة، الغامضة أحيانا، تتحول الهموم الصحية الصغيرة أخطاراً كبيرة، وتخمينات الوقاية من المرض وسائل شافية "مضمونة."

ويعزى جزء من المشكلة الى أن وسائل الاعلام كثيراً ما تذهب بعيداً في التنويه بنتائج أبحاث على أنها انجازات طبية كبرى.

ففي مؤتمر صحافي عقد عام ١٩٨٥، أبلغ ثلاثة علماء فرنسيين الى المراسلين أن العقار "سيكلوسبورين" يبدو فاعلا في وقف نمو فيروس "الايدز." واستندوا في اعلانهم الى مراقبتهم اثنين من مرضى "الايدز" أخضعا للعلاج مدى ثمانية أيام. ومن غير التفات الى غياب أي دراسة فعلية، بدا الاعلان كافياً لوسائل الاعلام وتصدر عناوين الصحف في العالم.

وتوفي أحد المريضين في غضون أيام، وتبين أن السيكلوسبورين لم يكن ذلك الدواء العجائبي الناجع.

ويؤدي الجسم الطبي دوراً بارزاً في الترويج لمثل هذه الاخبار. وتلقى الدعاية تشجيعا من الجامعات والمستشفيات والمراكز الطبية (الساعية الى الحصول على منح مالية). ويطلق أهل الطب أحكاماً عامة استناداً الى دراسات محدودة، ويروجون لعلاجات جديدة مطلوبة، مستعينين لذلك بتأثير الاحصاءات في الرأي العام، بصرف النظر عن قيمتها العلمية. وبسبب هذا التضخيم في الترويج، بات كثيرون من الناس عاجزين

عن ادراك صدقية التحذيرات الصحية والادوية "الشافية." كتبت الصحافية الين غودمن: "ماذا تعلمت؟ أن لا أركض كفاية، فأموت شابة بنوبة قلبية؟ أم أن أبالغ في الركض فأموت من دون أن أخلق ذرية؟ ان الرأي العام متخم بنصائح ومعلومات صحية مربكة ومتناقضة."

هنا خمسة ارشادات حكيمة تساعدكم على التمييز بين الحقيقة والوهم:

١. افهموا الارقام. اشار الكاتب الامريكي الفكاهي مارك توين الى أن "ثمة ثلاثة أنواع من الكذب: الكذب، والكذب اللعين، والاحصاء." ويصحّ هذا القول غالباً في المزاعم الصحية المفرطة، اذ يلجأ الصحافيون باستمرار الى خدعة احصائية تعرف بـ"الخطر النسبي" وهو اختزال يلخص بدقة احتمالات اصابتك بمرض معين.

والمؤسف أن الخطر النسبي يمكن أن يفقد الاشياء اتساقها، لانه لا يبرز الا نصف الحقيقة. وقد حدث ذلك حين حذر مسؤولون في الحكومة الامريكية شاربي الحليب غير المعقم من خطر تعرضهم لالتقاط الجرثومة (البكتيريا) القاتلة "سلمونيلا دوبلن" أكثر ١٥٠ مرة من أولئك الذين يتناولون الحليب المعقم.

ولكن فاتت المسؤولين الاشارة الى مدى احتمال التقاط الجرثومة من الحليب غير المعقم، وهو احتمال ضئيل جداً الى حد لا يستحق اثارة الذعر.

فاذا كانت احتمالات اصابتكم بعلة ما ضعيفة جداً - حتى إن زادت عشر مرات على احتمال اصابة سواكم - فلا تقلقوا للأمر ولا يضنينكم الارق.

٢. اعرفوا محدودية الدراسات الطبية. غالبا ما تكون الدراسات الطبية محددة على نحو ضيق جداً تنتفي في اطاره فائدة تعميمها. ومثال ذلك دراسة نشرت في "أميريكان جورنال أوف إبيدميولوجي" جاء فيها: "هل تشكل الزوجة المثقفة خطرا على صحتك؟" واذ وجد الباحثون ترافقا بين رجال تزوجوا نساء مثقفات ونسبة مرتفعة من الموت المبكّر، ادعوا أن الزوجات المثقفات يدفعن أزواجهن التعساء الى القبر.

ولكن يظهر أن لا قيمة لهذا الاستنتاج. فالرجال الذين يختارون زوجات مثقفات يتمتعون، على الارجح، بخصائص مميزة اخرى تساهم في دفعهم الى حتف مبكّر، كمسؤوليات عمل ضاغطة ترهق صحتهم وكيانهم. ولا سبيل الى معرفتكم كل ذلك في غياب مزيد من المعلومات.

اذاً، كيف السبيل الى الانتقال من النظرية الى الحقيقة الثابتة؟

ببطء، ومن طريق تراكم الادلة الدامغة تدريجا.

شغل كويلر هاموند منصب كبير اختصاصيي علم الاوبئة في الجمعية الامريكية للسرطان أكثر من ثلاثين سنة. وكانت دراسته لنحو ١٨٨ الف رجل، التي وضعها بالاشتراك مع دنيال هورن ونشرت عام ١٩٥٤، الاولى تقيم تلازما

وثيقا بين التدخين وسرطان الرئة. وكشفت الدراسة أن المفرطين في التدخين يتعرضون للاصابة بالمرض ٢٠ مرة اكثر من الذين لا يدخنون. وتبع ذلك مزيد من الدراسات التي أثبتت أن سرطان الرئة ينمو حيث تتجمع المواد المسرطنة المحتواة في الدخان.

واستنادا الى نتائج هذه الابحاث الجبارة تخلى ملايين الامريكيين عن التدخين. وهذا بلا شك انتصار كبير للبحث الطبي المسؤول، لكنه يذكّرنا بمدى صعوبة اثبات الحقائق الطبية.

٣. تقبلوا فرادتكم. لا توضع الدراسات الطبية استنادا الى وضع ميكانيكي معين في الاربعين من عمره يعيش مع ولديه المراهقين في بلدة صغيرة، بل هي تتناول، على الارجح، اشخاصا متوسطي الاعمار يقطنون مدينة كبيرة. وقد يفقد البحث أهميته حين يكون الناس الذين شملتهم الدراسة مختلفين عنكم.

ويمثل ذلك عقبة رئيسية في طريق تطوير استراتيجية صحية تقوم على البحث السريري. وعلى سبيل المثال، كان برنامج المعالجة الكيميائية لمريض بالسرطان يستند، ماضيا، الى دراسات عن مرضى ذوي أورام مشابهة. والمؤسف ان المعالجة غالبا ما كانت اقل فاعلية متى اختلف حال أحد المرضى اختلافا بينا عن حال الشخص "العادي" في الدراسة.

أما اليوم، فصارت معالجة أنواع فردية من السرطان ممكنة في بعض الحالات. فتنزع خلايا خبيثة من الورم وتعرّض لعقاقير عدة بهدف تحديد العناصر المكافحة للسرطان التي تثبت فاعليتها في قتل هذا الورم المحدد.

هذه هي المقاربة الصحيحة التي يتعين عليكم اعتمادها لتقرير أي علاج أو أي نظام حمية يجب اتباعه. انكم، في أوجه كثيرة، تعرفون أنفسكم أفضل من أي طبيب. وعندما تختلف آراء الاختصاصيين وأحكامهم، اعتمدوا على حدسكم واتبعوا نصيحة الطبيب الذي تثقون به.

٤. كونوا ملمين بالسجل الطبي لعائلتكم. كان ونستون تشرشل، رئيس الوزراء البريطاني الاسبق، يحب الاطعمة الدسمة والشراب الممتاز ويتحاشى النشاط الجسدي. ولو نحن أخذنا بالبيانات الصحية الحالية لبان لنا أن تشرشل قضى قبل وفاته بوقت طويل. لكنه في الواقع عاش ليبلغ التسعين.

من جهة أخرى، حافظ آرثر آش، نجم كرة المضرب، على لياقة بدنية ممتازة ولم يتعاطَ التدخين. ومع ذلك عانى نوبتين قلبيتين ولمّا يتجاوز الاربعين.

فما تفسير هذا التناقض؟

الوراثة. ان ارثنا البيولوجي يهيئنا لالتقاط بعض الامراض ويحمينا من أمراض أخرى. والى الآن لا نملك طرقا محددة لتقويم الاستعدادات الوراثية

للاصابة بمرض ما. وأفضل الدلائل الوالدان والاجداد والاشقاء والشقيقات والأعمام والعمات والاخوال والخالات. فاحترسوا اذا كان أحد الأنسباء الأقربين يعاني مرضا ما. أما اذا كان أحد من أفراد عائلتكم لم يمت بمرض القلب قبل السن الخامسة والستين، فذلك مدعاة الى التخفيف من قلقكم.

٥ . احذروا الدجالين. ان بعض مبالغات الباحثين تصبح أحيانا كذبا عاريا لدى وكلاء دجالين يسعون الى ربح سريع. وثمة كتب حول الحمية تصبح أكثر رواجا بالايهام أن الحمية التي تتضمنها تشفي أمراضا معينة أو تمنع الاصابة بها من طريق مضاعفتها فاعلية جهاز المناعة. لكن ثمة مشكلة واحدة، وهي أن أنظمة الحمية الخاصة لا تقوّي جهاز مناعة الجسم الى حد ملحوظ.

لا تقتنعوا بأحدث النصائح الصحية الا بعد التبصر في الاخطار المحتملة وفي الفوائد المفترضة. وبمقدار ما يكون التغيير المقترح في نمط حياتكم جذريا، يجب أن تكون أسئلتكم أكثر الحاحا. ثمة فارق واسع بين تناول بضعة أقراص من الفيتامين يوميا واتباع نظام حمية يقتصر على تناولكم فواكه بقية حياتكم.

فماذا تفعلون لتتمتعوا بحياة اكثر عافية؟

أولا، وظفوا طاقتكم في تمارين تعود عليكم بمردود صحي واضح. فاذا كنتم تدخنون، أقلعوا عن التدخين. واذا كنتم بدناء، أسقطوا عنكم تلك الكيلوغرامات الزائدة. واذا كان أحد الامراض يسري وراثيا في عائلتكم، احترسوا وحاولوا تخفيف امكانات الاصابة به.

ثانيا، ركّزوا اهتمامكم على الأمور التي تشعركم بالثقة بأنفسكم وبأنكم مفعمون بالحياة. فالعافية هي في حسن تنظيم أمور حياتكم وليست فقط في شعوركم باللياقة البدنية وفي عدد السنين التي تعيشونها. ومن الصعب أن تخطئوا الغاية اذا التزمتم نشاطات صحية. وستجدون الحياة حلوة.

الدكتور روبرت تايلور ■

خطبة غريبة

التقيت الرجل الذي اصبح زوجي عندما كنت أعمل امينة مكتبة. كان ياتي كل اسبوع للاطلاع على احدث المجلات. فاستلطفني واستلطفته.

وحضر ذات يوم، بعد سنة من اللقاءات، وبدا يفتش في ادراجي. فسألته عما يبحث، فلم يجب.

اخيراً أخرج واحداً من الاختام التي استخدمها في ترميز الكتب وقال: "لم اجد خاتم خطبة مناسبا. لذا ساكتفي بهذا!" وختم ظاهر يدي بأحرف كبيرة: "ممنوع التداول".

ر.ش.





(فوق) متطوعون يوزعون الطعام.
(الى اليمين) "زبائن" يقفون في صف امام احد مراكز التوزيع.

مطاعم المحبة

هنا يأكل الفقراء ويشبعون ويلقون وجوهاً باسمة وأيدي ممدودة لانتشالهم من عثرات الزمان

قبيل السابعة والنصف صباحا يطأ جورج بليزو حرم مستشفى كبير في منطقة كرملين – بيسيتر من ضواحي باريس، ويتبع لافتات "مطاعم المحبة – استراحات المحبة"[١] المؤدية الى مبنى صغير.

وفي الداخل تغلب البساطة على المكان حيث تتوزع طاولات متداعية وكراس غير متشابهة. ويفضي مطبخ صغير الى مستودع مليء بالمعلبات وصناديق الكرتون.

يحمل جورج دفترا وقلما وينصرف

(١) Les Restaurants du Cœur, Les Relais du Cœur

الى التحقق من الحصص: ١٨٠٠ رغيف، ٣٠٠٠ علبة سردين، ١٢٠٠ فطيرة سمك، ١٠٠٠ شريحة لحم، ٥٠٠٠ برتقالة. وسرعان ما يكتمل شمل فريق العمل. هنا شاب قوي البنية ينبري الى انزال صناديق المعكرونة من شاحنة. وهناك معلم مدرسة يتكفل بتقطيع الخبز، وهنالك تقني متقاعد يصلح مصباحا كهربائيا متدليا من السقف ويتجاذب أطراف الحديث مع ربات بيوت يملأن أكياسا صغيرة رزاً. أما جورج فهو رجل أعمال متقاعد في الثانية والستين من العمر.

لكن هذا المكان ليس مطعما عاديا رخيصا. فبين العاشرة والنصف صباحا والثانية عشرة والنصف بعد الظهر يوزع عشرات المتطوعين نحو ١٢٠٠ وجبة معلبة على عائلات جائعة و١٠٠ كيس غذاء على مشردين. وهو ليس سوى واحد من ١٣٧٤ مركزاً تأسست في أنحاء فرنسا وامتدت فروعها الى بلجيكا. ويوزع المتطوعون البالغ عددهم ١١٤٠٠ ما معدله ١٦٠ طنا من الطعام يوميا على ٣٦٦ الف "زبون" مسجلين وعائلاتهم. ويزيد عدد الوجبات الموزعة طوال أشهر الشتاء الثلاثة على ٢٧ مليونا.

أسس كولوش، الممثل الفرنسي الهزلي الراحل، هذه الحركة عام ١٩٨٥. وبفضل تغطية اعلامية كبرى ودعم شعبي عارم توسع نطاقها من مراكز قليلة الى شبكة فاعلة انتشرت في البلاد كلها وحظيت بتأييد شخصيات نافذة أمثال الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران والرئيس السابق فاليري جيسكار ديستان ووزير الموازنة ميشال شاراس. وخصها نجوم سينمائيون، أمثال جيرار ديبارديو وعمر الشريف، بالوقت والمال والموهبة، وشارك كثيرون منهم في برامج فنية خيرية أرصد ريعها لدعم هذه الحركة. وأظهر استطلاع للرأي أن ما يزيد على سبعة فرنسيين من أصل عشرة أبدوا استعداداً للمساهمة في نشاطاتها، مما يؤكد أن "مطاعم المحبة" هي احدى القضايا الانسانية الأكثر شعبية في تاريخ فرنسا.

والى حملة توفير الطعام للمحتاجين في فصل الشتاء، آثر ١٢٨ فرعا منذ مارس (آذار) ١٩٨٩، تشريع أبوابها على مدار السنة وتوسيع خدماتها. وتمنح "استراحات المحبة" هذه روادها دعما معنويا وتقدم اليهم مشورة قانونية وتساعدهم في مجالات السكن والعمل. كما يؤمّن بعضها برامج تدريب ومآوي موقتة. ويقول بول هودار رئيس هذه الشبكة الفرنسية: "ان توزيع الطعام لا يكفي. نحن نريد مساعدة الناس على النهوض من عثراتهم."

سيرة كولوش. لا تزال هذه المنظمة تحتفظ بلمسة مؤسسها كولوش الذي ثار على كل تقليد. ولد ميشال كولوتشي عام ١٩٤٤ في مونروج إحدى الضواحي الباريسية البائسة، وشب فيها وترعرع وعانى الفقر المدقع. وتوفي والده المهاجر الايطالي وكان بعد وأخته طفلين طريي

العود، قربتهما أمهما وخبرا الكفاح ضد الجوع والحرمان اللذين لم يهادناهما قط.

عمل كولوش بلا شهادات ولا تدريب في مجموعة وظائف مختلفة. وكان ذكاؤه يحاكي طباعه حدة. وفي العام ١٩٦٩، وكان في الرابعة والعشرين، ساهم في انشاء "كافيه دو لا غار"[٢] وهو ناد مسرحي فكاهي سرعان ما تحول مركزا لصقل المواهب الناشئة. وفيه قدم كولوش للمرة الاولى مشاهد مسرحية عاصفة ساخرة على طريقة الكاتب الفرنسي فرنسوا رابليه، نمّت شخصيته الفنية المتميزة. وهو مثل في عشرين فيلماً سينمائيا بين ١٩٦٩ و١٩٨٥ وأصبح أحد أغلى الممثلين الفرنسيين أجراً.

حقق كولوش نجاحه في وقت كان نظام الانعاش الاجتماعي الفرنسي يجهد لاحتواء مجتمع من المتبطلين، بمن فيهم "الفقراء الجدد" وهم أفراد الاسر الفرنسية المتوسطة الحال التي أصابها العوز. وكانت المناطق الشمالية والشمالية – الشرقية هي الاكثر تأثراً في الثمانينات بعد انهيار صناعتي التعدين والنسيج. ولم تكن حال الساحل الغربي بأفضل كثيرا، إذ أدى تقلص نشاط الحركة الملاحية الى ضعف الاقتصاد المحلي.

ذات يوم من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥ تأثر كولوش برسائل وردت عليه من معجبين يناشدونه مساعدة عائلات جائعة. وأثناء تقديمه برنامجه الذي كان يبث مباشرة من اذاعة "أوروبا – ١"[٣] انحنى على المذياع وقال: "يتمّ اتلاف فائض المواد الغذائية للحفاظ على أسعار السوق... ربما نستطيع نحن انقاذ ما تبقى... وانشاء مطعم كبير... ربما هذا الشتاء... يقدم الطعام مجاناً."

وللحال انشغلت خطوط الهاتف في المحطة وبدأت الحوالات ترد في البريد. وكان هنري ناليه، وزير الزراعة آنذاك، استمع الى البرنامج عارفاً أن المستودعات ملأى فعلا بمخزون أغذية، بموجب السياسة الزراعية التي تتبعها المجموعة الاوروبية. وتسنى، بمساعدته، تحرير فائض الطعام، وجُند فريق من المتطوعين، وولدت "مطاعم المحبة."

اغتنم كولوش فترات البث خلال الأسابيع التالية لحشد دعم شعبي واستقطاب مسؤولين حكوميين. وعندما عرض اتحاد زراعي تقديم حمولة قطار من البيض، بشرط تأمين القطار، طلب كولوش علناً مساعدة وزير النقل جان أورو، وحصل عليها. وسرعان ما تدفق المتطوعون لنقل المواد الغذائية وخزنها وتوزيعها.

أكثر من طعام. بحلول ديسمبر (كانون الاول) بدأت حملة التوزيع الشتوية الاولى. واستخدمت شاحنات قُدمت الى المؤسسة في نقل فائض الاغذية، وما أضيف اليه من مساهمات فردية، الى نقاط توزيع موقتة شملت كنائس ومدارس وخيما. وسارع الفريق العامل في المقر

(٢) Café de la Gare
(٣) Europe 1

الرئيسي في باريس الى وضع خطوط عريضة لمهمات المتطوعين في المراكز التي انتشرت عفوياً في أنحاء فرنسا وفي بلجيكا.

لكن كولوش أدرك أن هناك حاجة الى مبادرة أوسع وأشمل. وبدعم من نائب رئيس مجلس الشيوخ بيار - كريستيان تتينجيه، التقى كولوش عدداً من أعضاء المجلس واقترح عليهم مشروع قانون يمنح المساهمات الانسانية اعفاءات ضريبية. وأُقر هذا القانون عام ١٩٨٨ وعرف بـ"قانون كولوش" وهو يعفي كل الهبات التي يصل حجمها الى ٥٢٠ فرنكا (نحو ١٠٠ دولار) من ٥٠ في المئة من الضريبة المقررة.

ولهذا القانون تأثير بالغ الاهمية في شبكة المراكز، لأن الواهبين من عامة الشعب يساهمون بما يزيد على ثلث دخلها الاجمالي السنوي. وقد بلغت قيمة مساهماتهم سنة ١٩٩١ ٤٥ مليون فرنك (نحو ٨ ملايين دولار). وقدمت المجموعة الاوروبية فائض أغذية بقيمة ٥٦ مليون فرنك (نحو ١٠ ملايين دولار) فضلاً عن المبالغ التي جمعها الفنانون (١٠ ملايين فرنك) والمساعدات الحكومية (٥ ملايين فرنك) لتجمع موازنة بلغت ١١٦ مليون فرنك (نحو ٢٠ مليون دولار). ويتألف فريق الادارة بكامله من متطوعين، باستثناء خمسة موظفين يتقاضون أجراً. وتكتفي الشبكة بسقف نفقات منخفض لا يتجاوز ٧ في المئة من موازنتها.

وعلى رغم انتقادات كولوش الحادة للمجتمع، وبداهته الساخرة، فجع الجميع بوفاته في حادث دراجة نارية عام ١٩٨٦. وتقول أرملته النشطة فيرونيك كولوتشي التي تولت زمام الامور بعده وهي اليوم الرئيسة الفخرية للمنظمة: "روح كولوش لن تفارقنا أبداً."

ويضيف كريستيان وهو متطوع في الثانية والثلاثين عاطل عن العمل يساعد في افراغ المؤن في مركز كرملين - بيسيتر: "لقد حقق كولوش انجازاً رائعاً. وما نجده هنا يتخطى الطعام... اننا نجد انسانيتنا."

أثر طيب. تأسست "مطاعم المحبة" على مبدأ أن كل من يطلب طعاما يُعطاه، على أن تكون حاجته حقيقية صادقة. و"يغربَل" المرشحون وتسجل أسماؤهم. وفيما ينتظر معظم "الزبائن" في مراكز التوزيع للحصول على حصصهم الغذائية، يغتنم المتطوعون هذه اللحظات القليلة للتقرب منهم وكسب ثقتهم. ويقول روبير دوفلاندر مدير منطقة با - دو - كاليه في شمال فرنسا: "نكتفي خلال الزيارة الاولى بالابتسام والقاء التحية. ولكن عندما يعودون ثالثة ورابعة فانهم يبدأون افضاء القليل عن أوضاعهم. وحين تتوطد معرفتنا بهم نقول لهم: لدينا فكرة نستطيع العمل عليها معاً. وهكذا نساعدهم ليساعدوا أنفسهم."

ويوضح لوسيان ميرغاليه مدير "استراحات المحبة" الثلاث في مرسيليا، أن الفقراء الجدد لا يتمتعون

عموماً بسوى مهارات عملية بدائية، وهم، في خضم احساس مغرق بالفشل، عرضة لانهيار يمكن أن ينتهي بهم في فلك التشرد والمرض وتعاطي المخدرات والكحول، وحتى الموت. وكثيرون من هؤلاء، على غرار برتران، لا يزالون في مستهل حياتهم العملية.

بدا برتران متوتراً لدى وصوله الى المركز وعيناه حائرتان وقد حمل قبعته بيده. وباح هذا الشاب الأشقر القوي بسره، فقال انه يبحث عن عمل ولا يملك مالا لشراء طعام. ولمس لوسيان رغبة برتران في الحديث، فقدم اليه قهوة وراح يستدرجه الى الكلام.

ولد برتران في شمال فرنسا، وترك المدرسة وهو في السن الرابعة عشرة ليعمل في منجم فحم. ولما واجه ظروف العمل القاسية الشرسة والاحتمالات الضئيلة في التقدم، ترك المنجم والتحق بالجيش الفرنسي. وبعد خدمة ١٢ سنة تزوج ابنة عامل منجم وانتقلا للسكن في مرسيليا. وقررا تأسيس عائلة اعتماداً على راتب برتران الذي عمل حارساً والاجر الذي تتقاضاه زوجته من عملها مدبرة منزل، الى مساعدة سكنية حكومية.

لكن زوجته توفيت بعد سنة بداء السرطان، ووضع المنزل الحكومي في تصرف زوجين آخرين، ومرض برتران. ولما خرج من المستشفى بعد ثلاثة أشهر وجد نفسه بلا مأوى وبلا عمل. فبدأ حياة تشرد. وأخيراً وجد وظيفة اخرى كحارس في شركة، الى أن أغلقت هذه أبوابها. أما اليوم فيقول وقلبه مفعم بالامل: "لقد قُبلت في برنامج جديد لمدربي كلاب."

غادر برتران المركز محملا كيسين مليئين بالبقالة. ورددت جدران السلَّم أصداء امتنانه الصادق: "شكراً! شكراً!" فاهتمام الآخرين به ترك أثراً طيباً في حياته. ويقول لوسيان ميرغاليه: "يقف برتران على قابي قوس من الضياع مجدداً. لكنه، بفضل المساعدة المستمرة التي يمده بها متطوعو المركز، سيتسلح بالشجاعة اللازمة للمضي قدماً."

<u>هدف البقاء</u>. شكلت "مطاعم المحبة" في مرسيليا قبل خمس سنوات وحدة جوالة لتوزيع الطعام، بتحويل حافلة غرفة طعام متنقلة تصل الى مزيد من المتشردين. أما اليوم فتجوب حافلتان المدينة خمس مرات في الاسبوع وتقدمان الطعام الى ١٠٠ شخص كل يوم. وانتشرت هذه الطريقة، وباتت ٣٨ عربة تجوب أنحاء فرنسا لهذه الغاية، وهي، لبعض الناس، صلتهم الوحيدة بأشخاص آخرين. وتقول ماري سيسكو المتطوعة في حافلة تجوب باريس: "زبائننا لم يختاروا طوعاً سُكنى الشوارع، وهم ليسوا سعداء فيها."

لقد عرف كثيرون، أمثال أندريه، حياة منتجة وناجحة قبل تراكم الويلات عليهم ودفعهم الى الشارع. كان أندريه رساماً هندسياً، لكنه أصيب ذات يوم في حادث اصطدام، فسحقت رجله وبقي طريح الفراش في المستشفى طوال ثمانية

"مطاعم المحبة" في لبنان

بدأت "مطاعم المحبة" في لبنان عام ١٩٨٣ بعد عمليات تهجير واسعة شملت عدداً من المناطق اللبنانية. وافتتح أول مطعم مجاني داخل مبنى مدرسة في حي شعبي بضاحية سن الفيل، تحت شعار "أهلا وسهلا." وكانت سيدات متطوعات يطبخن في منازلهن ويأتين بالطعام الى المدرسة.

لفتت هذه البادرة صانعي خير فأنشأوا "جمعية أصدقاء مطاعم المحبة" برعاية رئيس الجمهورية السابق شارل حلو. وكان أول أعمالها بناء قاعة كبيرة في ملعب المدرسة في سن الفيل تستوعب ٥٠٠ ضيف. واليوم، بعد ثماني سنوات، بلغ عدد "مطاعم المحبة" خمسة وعشرين موزعة في مناطق مختلفة من لبنان. وهي تقدم الطعام يوميا الى أكثر من ٣٠٠٠ شخص، كما تقدم وجبة فطور الى نحو ١٢٠٠ تلميذ في أربع مدارس ابتدائية مجانية. وتنظم حفلات في مواسم الاعياد، وتقدم هدايا وأدوية ضرورية الى مرضى مسنّين.

فكيف يؤمن المال اللازم لتغطية تكاليف هذه المطاعم؟ تجيب السيدة انطوانيت قازان أمينة سر "جمعية أصدقاء مطاعم المحبة": "يساهم أعضاء الجمعية في جزء من الموازنة. وترد علينا تبرعات من مواطنين مقيمين ومغتربين. كما تأتينا، منذ أشهر، مساعدات عينية من جمعية التضامن الفرنسية – اللبنانية بالتعاون مع وزارة الزراعة الفرنسية." ويتبرع مواطنون بوجبة كاملة، ويشاركون ضيوفهم في تناول الطعام.تضيفالسيدة قازان: "شعار مطاعم المحبة هو التضامن الاخوي والمشاركة بين الموسرين والمعوزين. هنا يجلسون الى مائدة واحدة، أغنياء وفقراء، شبابا وشيوخا، ليتناولوا معا لقمة طيبة."

يوسف عجوز في التسعين يختصر معاناة رواد "مطاعم المحبة" بكلمات بسيطة معبرة: "جنى العمر ضاع في لمحة بصر. لكننا، في مطاعم المحبة، وجدنا من يقدم الينا لقمة ودواء بحب وحنان."

مي عبود أبي عقل

الى الراغبين في المساهمة، ترسل التبرعات الى الحسابين الآتيين:
- الشركة الجديدة لمصرف سوريا ولبنان – رقم الحساب ١٩٠٠٠٥٠٣٠١٦١٤
- بنك ناسيونال دو باري (BNPI) – رقم الحساب ١٣٩٥٢١٨٩٣٠١

أشهر. وما كادت فترة نقاهته تنتهي حتى توفيت زوجته فجأة. فغلبه الحزن وحاول الانتحار مرتين الى أن انتهى في مستشفى للامراض العقلية. ولما غادره وجد نفسه في الشارع بلا عمل ولا مسكن. وأقسى من ذلك حرمانه رؤية ابنته، يقول: "اشتقت اليها كثيراً، لكني لا أريد أن تراني وأنا في هذه الحال."

تقول دومينيك نيسيم الناطقة باسم "مطاعم المحبة – استراحات المحبة": "ان لدى أمثال أندريه فرصا كبيرة للنهوض من كبوتهم والعودة الى مجتمعهم اذا ما ساعدهم المتطوعون على تخطي كآبتهم والعثور على مسكن ثابت."

ولقد تعلم أندريه، من خلال احتكاكه بالفريق، أن الناس سيبتسمون له غالبا إن هو ابتسم. ويقول ممتنا: "أروع هدية ينالها المرء هي أن يبتسم له آخرون."

خصصت الحكومة الفرنسية عام ١٩٨٨ معاشاً شهرياً من نحو ٢٠٠٠ فرنك (نحو ٤٠٠ دولار) لأولئك الذين لا دخل لهم أو ذوي الدخل المتدني أو الذين انتهت مدة افادتهم من تعويض البطالة أو الذين لم يعملوا قط. ويفيد الآن نحو ١،٢ مليون شخص من هذا المعاش، ومع ذلك يضيع كثيرون من الذين تحق لهم الافادة منه في تعقيدات المعاملات الادارية اللازمة، أو هم يجهلون وجود هذه المساعدة.

وبما أن المعاش خطوة أولى نحو الاندماج في المجتمع، فان ملء الطلبات للافادة منه هو وظيفة أساسية في "استراحات المحبة." وقد أعطى هذا المجهود نتائج جيدة: ففي المقر الرئيسي الاقليمي في بوي – دو – دوم بكليرمون فران وسط فرنسا وجد ١٨ مرشحاً من أصل ١١٠ وظائف ثابتة، فيما يعمل الآخرون في المركز.

وبمبادرة من لوي غير، المدير الاقليمي، جهز مركز كليرمون فران بمشاغل للخياطة والطبخ والتعليب والنجارة، واستحدثت فيه دورات تعليمية للقراءة والكتابة والحساب والتدبير المنزلي. وحولت الارض التي وهبتها البلدية بستاناً مساحته ١٨ ألف هكتار يعلّب نتاجه في مشغل تابع للمركز، على أن يوزع لاحقاً على المعوزين.

بعد الغداء، انصرفت سيلفي البالغة من العمر ٢٣ عاماً الى تجفيف الصحون في مطبخ المركز. وهي قدمت الى المركز قبل ثلاث سنوات، وكانت شريدة جائعة. فبعدما فقدت والديها وهي طفلة، عانت الاهمال والاستغلال. ولما بلغت السادسة عشرة، وكانت أمية، عملت في فندق محلي. لكن صاحب الفندق كان يضربها، وهو رماها لاحقاً في الشارع. أما اليوم فقد منحها أصدقاؤها الجدد في المركز هدفاً للبقاء، وأتاح لها عملها المشاركة في مجتمع بدا كأنه نبذها ذات يوم.

دعم معنوي. في بلجيكا، تأسس "اتحاد مطاعم المحبة" عام ١٩٩٠، وهو شبكة ناشطة في المدن الرئيسية في المنطقة الناطقة الفرنسية. ويضم الاتحاد ٤٠٠ متطوع ويستقبل ١٠٠٠ زبون مسجل ويوزع اكثر من ٩٠ ألف وجبة طعام في كل حملة غذائية في الشتاء. وهو، على غرار نظيره الفرنسي، يلقى دعماً كبيراً من فائض الحصص الغذائية الخاصة بالمجموعة الاوروبية. ويقول جوزي هابار وهو عضو في البرلمان الاوروبي يرعى "مطاعم المحبة" الناشطة في مدينة لياج: "من الواجب وهب فائض المجموعة الاوروبية ما دام هناك أناس جياع."

أطلقت الشبكة الفرنسية عام ١٩٩٠ برنامجا لاصلاح الشقق التي هي دون المعايير السكنية المطلوبة. وبتأمين بدلات الايجار سيتسنى للفريق وضع المحتاجين في مساكن ثابتة. ويلاحظ جاك ماربيت، مدير شبكة "باريس الكبرى"، أن أي شخص متمرس

ومستعد نفسياً للعمل لن يحصل على وظيفة ما لم يغتسل ويحلق ذقنه قبل اجراء مقابلة. ويضيف: "إذا أمّنا له مكان اقامة، فذلك سيساعده على الانطلاق."

هذا النوع من الدعم يحقق الكثير. ولقد نجحت ميراي، وهي شابة قصدت مركز كرملين – بيسيتر، في الحصول على وظيفة ثابتة. وعبرت عن لسان حال كثيرين حين كتبت الملاحظة الآتية: "أنتم لم تقدموا الينا الطعام والشراب فحسب، بل رحبتم بنا بابتساماتكم وأسيتمونا في غمرة وحدتنا ويأسنا، فأثبتّم أن الانسانية لا تزال موجودة وأعدتم الينا ثقتنا بأنفسنا."

دون كولوكيتاس ■



المعجب الاول

يروي السناتور وليم كون ممثل ولاية ماين الامريكية، وكان نجما في رياضة كرة السلة، ان حبه لهذه الرياضة بدا بتاثير من والده. فهو كان في السادسة من عمره حين بدا والده اصطحابه الى المباريات. ومع الوقت صار الأب يقود سيارته مسافات طويلة لمشاهدة ابنه يلعب.

ويتذكر السناتور: "حين دخلت المدرسة الثانوية، صار ابي يحضر جميع التدريبات، فيسدي الي تعليمات صارخا: "مرّر الكرة!" أو "ارمِ الآن!" ولم يكن اي من الآباء الآخرين ليفعل ذلك، فكنت اشعر باحراج، خصوصا عندما بدا زملائي يتهكمون حول هذا الموضوع.

"اخيرا اعترفت الى ابي بانني اتمنى ان يتوقف عن الحضور، فلم يبدِ استياء، وبدا أنه امتنع فعلا عن الحضور.

"وفيما كنت اتمرن ذات شتاء، داخلني شعور بأن احدا يراقبني. التفتُّ الى نافذة هناك، فاذا أبي واقف خارجاً ينظر الى الداخل وقد غطاه الثلج. انفطر قلبي شفقة. ولم نتكلم في الموضوع البتة، لكنني منذ ذلك اليوم بتُّ اتمرن وشعور يخالجني بأن احدا في الخارج يتطلّع اليّ."

م.ا.

سكرتيرة نشيطة

عجلت سكرتيرتي الجديدة في طبع رسالة على الآلة الكاتبة، وقدمتها الي لأوقعها. وحين قراتها لاحظتُ خطا صغيرا في الطبع لم أبالِ به، فوقّعتُ. لكن السكرتيرة اكتشفت غلطتها قبل أن تضع الرسالة في البريد، فعمدت الى تصحيح الخطا، ثم وضعت الرسالة على طاولتي مرفقة بكلمة: "الرجاء اعادة توقيعها."

ر.ا.

نظرة متكابرة ووقفة أرستقراطية وقوة لا تلين. اعتبرت هذه الصقور، منذ القدم، رمزاً للحرية

تناهت الصرخة من علٍ، واندفع السهم الاسود المريَّش فوق حافة الجرف ثم اختفى هابطاً نحو الأرض في صيده الصباحي. ترى، متى يعود؟

وقفت على قنة الجبل التي تذروها الريح، فرأيت الانهر تحتي خيوطاً فضية، والبحيرات بقعاً أرجوانية. وبدت الهضبة في غابة سان خوان الوطنية، جنوب غرب ولاية كولورادو، فاتحة الاخضرار بأجمات القصعين والسنديان. وتراءت، في مستوى أعلى، غابات صنوبر البونديروسا الفيروزية تحدها منحدرات زرقاء من أشجار البيسية (الراتنجية).

فجأة دوى وقع كضربة سوط، كسيف يشق الهواء، تناهى من كائن منجليّ الشكل اندفع كسهم نحو قمة تشيمني روك[1] المكوَّنة من قبتين مستدقَّتين من الحجر الرملي تعلوان منصة صخرية ضيقة طويلة. وتبعت الصوت صرخة، أجابتها أخرى. فرأيت، عبر المنظار، طائرين يتسابقان الى نقطة التقاء.

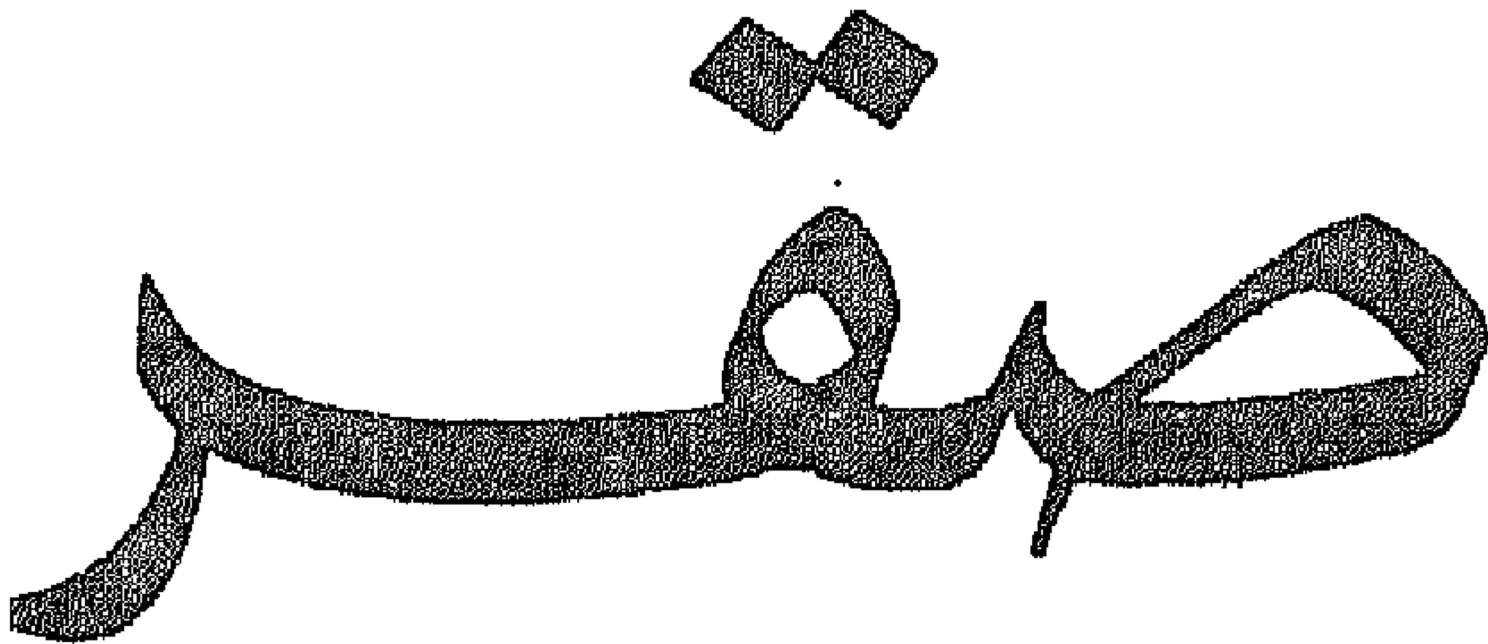
انقلب أحدهما ليلتقط شيئاً حمله الطائر الآخر. ثم استدار عائداً الى تشيمني روك حاملاً ما جناه، فيما راح رفيقه يجوب الهواء دائراً فوقه.

مرة أخرى، أثارني مشهد أحد أسرع كائنات الأرض: الصقر الامريكي الجوَّال.[2]

اعتُبرت الصقور الجوَّالة، منذ القدم، رمزاً للحرية لما تتسم به من جمال وقوة وشجاعة. ولها، الى ذلك، نظرة كبرياء شرسة ووقفة أرستقراطية تضعانها في مصاف "أبطال" عالم الطيور. وهي تتميز بأجنحة طويلة مستدقَّة وظهور اردوازية الزرقة وصدور بيضاء ووجوه موسومة ببقع كهرمانية السواد كأنها خوذة على رأس له شكل رصاصة.

رد المعتدي. شوهد الطائران، أوائل السنة، يبنيان عشا فوق تشيمني روك. وهما فردان من جنس معرض للانقراض، وآخر ستة أزواج من الصقور المتبقية

(١) Chimney Rock
(٢) Falco peregrinus



آنذاك في كولورادو. لذلك عينتني دائرة الحياة البرية في الولاية لمراقبة الصقور واقتراح حلول مناسبة للحفاظ عليها.

سَمَّيتُ الذكر آرثر، تيمناً بالعاهل البريطاني الذي أحب الصقور. وطبيعي أن أطلق على أليفته اسم زوجة آرثر، جينيفر، أو جيني.

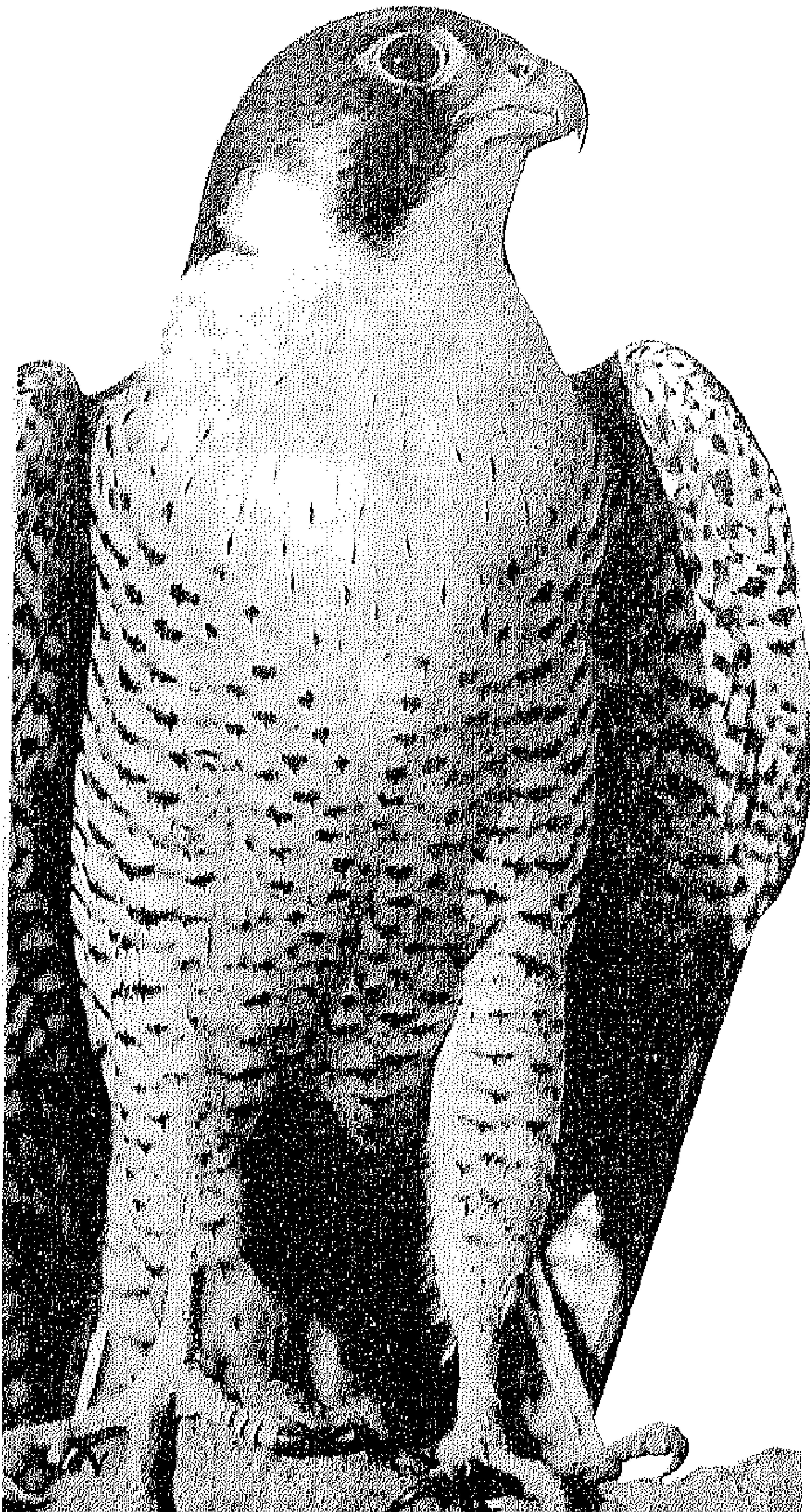
عندما وصلت الى هناك في أوائل يونيو (حزيران) كان الصقران فقسا أربع بيضات. وكانت جيني تبقى مع الفراخ معظم الوقت لحمايتها، فيما ينطلق آرثر باحثاً عن طعام.

وفي يومي السادس شاهدت آرثر يدور في الهواء على علو شاهق، ثم ينطلق كسهم نحو نسر ذهبي[٣] يفوق حجمه أضعافاً ليطرده من منطقة نفـوذه. والنسور هي من ألدّ أعداء الصقور لأنها تدمر أعشاشها وتقتات صغارها أحياناً. واذ انقضّ آرثر على النسر، انقلب هذا على ظهره وأبرز مخالبه. فأمسك آرثر براثن خصمه غير هيّاب، وهوى الاثنان على نحو لولبي. وما لبث النسر أن انفلت ليواصل اعتداءه متحدياً.

لكن الأمر لم يطل، اذ اندفعت جيني من العش لتنصر أليفها. وكمنجلين في حركة ثنائية، تناوب الصقران الهجوم، فانقلب النسر على جنبه مخافة أن يصيبه أحدهما، مما أتاح هجوم الصقر الآخر على جنبه المكشوف. وسرعان ما انكفأ النسر هارباً.

وقفت مشدوهاً أمام ما رأيت. لقد تجلّت في طيران الصقرين طاقة صرف كأنها انقضاض صاعقة حلّ بعدها هدوء.

(٣) Aquila chrysantha



الجبل

لم يُقهر! نمت الفراخ وكثّف آرثر وجيني صيدهما. وفي ٢٠ يونيو (حزيران) اختفت جيني. وازدادت خشيتي بمرور الايام اذ لم أجد لها أثرا. كنت أعلم أن زوجي الصقور يتلازمان لسنوات ولا يفترق واحدهما عن الآخر إلا خلال فترة وجيزة من فصل الشتاء. فالى أين ذهبت جيني؟

وبحلول ١ يوليو (تموز) بات آرثر غريب الاطوار، مقلاً في الصيد، يهيم وحيداً لساعات بعد إطعام الصغار. وذات يوم سمعته ينادي أليفته بحنان: "اتشاب! تشاب!" فلا يلقى إلا تنهد الريح جواباً.

جثم آرثر منتصباً، وانتفض مديراً وجهه الى السماء، ثم انكمش على ذاته مطلقا صرخة تحاكي عويل حيوان جريح. شقّت الصرخة عُنان السماء ورددتها منحدرات الصلصال في الأسفل. كان ذلك حزناً لا ريب فيه.

في ذلك اليوم أبى آرثر مغادرة تشيمني روك. كذلك فعل في اليوم التالي. توقف عن الصيد وعن الأكل، وقبع في مجثمة على قمة الجرف، من الشروق الى الغروب، كأنه تمثال مهجور.

إن اختفت جيني فعلا فلن يتمكن آرثر من ايجاد بديلة منها قبل السنة التالية. وإن استمر منكفئاً عن الصيد، فلن يبقَ لصغاره أمل في الحياة.

اذذاك وجدت من الضروري مكالمة رئيسي. فقدت سيارتي مسافة ١٥ كيلومتراً الى مقهى "لوست كانيون" حيث أقرب هاتف. وعندما أنهيت المكالمة أمسكتني صاحبة المقهى من ذراعي سائلة: "هل سمعتك تقول انك ضيَّعت أحد صقورك؟"

أجبتها: "نعم."

قالت: "علمتُ ذلك! قرب منزلنا عمود هاتف كان يجثم عليه صقر كل يوم. وذات صباح لاحظت ريشاً متناثراً عند قاعدة العمود. أعتقد أن أحدهم قتله."

بدا الوضع في تشيمني روك ميؤوساً منه، اذ بقي آرثر مسمراً الى مجثمه لا يحاول حتى طرد النسور الروميَّة[٤] الحائمة فوقه. وفي التاسع من يوليو (تموز) اختفى آرثر. فخيل الي أنها النهاية.

وفجأة رأيته آتياً بالطعام!

بين ليلة وضحاها، تخلص آرثر من عقدته وبدا مقوداً بحيوية وعزم جديدين. وراح يعمل بلا انقطاع من الفجر الى العصر. وخلال الاسبوع التالي تحسن صيده على نحو ملحوظ. لقد نفض عنه اليأس ولم يُقهر!

تحت النجوم. في منتصف يوليو (تموز) لمحت فرخين يطلان من عشهما. فعلمت أن الفرخين الآخرين قضيا جوعاً. لكني كنت محظوظا اذ وجدت عشاً تدب فيه الحياة. قدَّرت من حجم الصقرين الصغيرين أنهما ذكران في أسبوعهما السادس. وكان جلدهما اكتسى رقعاً مضحكة من الزَّغَب.

كان الاثنان لا يفترقان. فان درج أحدهما زحف الآخر وراءه. فما كان مني

(٤) Cathartes aura

إلا أن سميت الفرخ الشجاع بولد ليوبولد (أي ليوبولد الشجاع) وسميت ظلَّه ألبرت.

بدا الاثنان على أهبة الطيران، اذ راحا يضربان الأرض بأجنحتهما ويقفزان صارخين من دون أن يجرؤا على الاقلاع. وبعد محاولات طيران خرقاء شجعهما آرثر على اللحاق به في تحليق بهلواني. وبانتهاء شهر يوليو (تموز) اتسعت ذخيرتهما من فنون التقلُّب والدوران والانقضاض، وكلها تقنيات معتمدة في الصيد.

نما ريش الصغيرين، وكانا يلهوان خلال فترات غياب آرثر عن الجرف. وكانت لعبتهما المفضلة التظاهر بتبادل الطعام في الهواء، بحيث يتماسكان بمخالبهما وهما طائران، ثم يهويان مدوِّمين نحو الأرض، وفي اللحظة الأخيرة ينفلتان مطلقين أصواتاً حادة كطفلين يركبان قطاراً أفعوانياً.

خلال الاسبوع الاول من أغسطس (آب) بدأ الصقران الصغيران ممارسة الصيد. وبانصرام الشهر شرعا يقضيان بعض الوقت منفصلين بحيث لم يعد واحدهما "يتكل" على الآخر إلا خلال الليل. وكان ألبرت لا يخلد الى النوم وحيداً. ومتى حلّ الغسق، كان يترك كل شيء ليجد ليوبولد، فيجثم الاثنان تحت النجوم ينتظران عودة آرثر.

صرخة آرثر. حل الاسبوع الثالث من أغسطس (آب) وغادر بولد ليوبولد، السبّاق دائما، تشيمني روك ليبدأ ارتحاله الشتوي الى المكسيك. لا أدري ما كان شعور ألبرت ازاء هجران ليوبولد. فهو لم يُظهر رغبة في التزحزح، وكان في الامسيات يجثم قرب وكره كأنه ينتظر رجوع أخيه. وأخيراً رحل هو أيضاً.

ومع اقتراب الشتاء كان عليّ انا أن أرحل بدوري. وإذ مشيت ببطء منحدراً عن الجبل، طالعتني صفحة تشيمني روك قاحلة سمراء محمرة بفعل أشعة شمس المغيب في منتصف سبتمبر (أيلول). وسمعت صرخة آرثر في البعيد. وعلمت أنه لا بد عائد الى هذا المكان مهما طال به العمر. فحب الصقر الذكر لمجثمه الجرفيّ هو الرابط الأقوى في حياته، يفوق حتى تعلُّقه بأليفته.

في الربيع التالي عاد آرثر الى دياره مع أليفة جديدة، سمّيتها ليدي، بقيت معه أربعة مواسم متتالية.

وذات عام لم يعد آرثر وأليفته الى تشيمني روك، فبقي عشهما غير مسكون. ويلاحظ مراقبون، منذ سنوات، صقوراً تحوم على ارتفاع شاهق فوق الهضبة من دون أن تحطّ، كأنها تحاول أخذ قرار ما.

أتراها تختار تشيمني روك؟

أتراها من سلالة آرثر؟

مارسي كوترل هول ■

كل انسان يشكو من ذاكرته، ولا احد يشكو من آرائه.

فرنسوا دو لاروشفوكو، سياسي واديب فرنسي

أضواء من عالم الطب

التلفاز وانسداد الشرايين

■ تفيد دراسة حديثة أن احتمال ارتفاع معدلات الكولسترول في الدم هو أعلى لدى الاطفال الذين يمضون أكثر من ساعتين يومياً امام شاشات التلفاز منه لدى الاطفال الذين يمضون وقتاً اقل. وقد كانت الاوقات التي يمضيها الاطفال امام التلفاز مؤشراً لارتفاع معدلات الكولسترول اصدق من مؤشرات خطرة كالسمنة والتغذية الدهنية واصابة احد في العائلة بارتفاع في معدل الكولسترول او بمشاكل في القلب.

في دراسة شملت ١٠٦٦ ولداً ومراهقاً، اكتشف الدكتور كيرت غولد وزملاء له في جامعة كاليفورنيا ان ٥٣ في المئة من الأحداث الذين سجلوا معدلات كولسترول عالية (٢٠٠ مليغرام) افادوا انهم يشاهدون برامج التلفزة ساعتين او اكثر يومياً. ويوضح الدكتور غولد: "ولدى الاحداث الذين فاقت معدلات الكولسترول في دمهم المئتين، ترافق الافراط في مشاهدة برامج التلفزة مع تاريخ عائلي من النوبات القلبية او الكولسترول العالي في تسع حالات من عشر."

ويرى الدكتور غولد ان مشاهدة عروض التلفزة لاوقات طويلة ترفع معدلات الكولسترول في الدم لانها تثبط الرغبة في التمارين الرياضية، ولانها تروّج لأطعمة غير صحية عبر اعلانات تشجع الاولاد على تناول ماكولات سريعة اثناء مشاهدة العروض ليعودوا ويستهلكوا اطعمة عالية الدهنية لاحقاً.

نشرة "جمعية القلب الامريكية"

إنعاش المدخنين

■ على المدخنين ان يتوقعوا قضاء وقت طويل جداً في غرفة الانعاش بعد خضوعهم لجراحة. هذا ما يشير اليه تحليل سجلات ٣٢٧ مريضاً اجريت لهم جراحات في مركز مونماوث الطبي في لونغ برانش بولاية نيوجرزي. اذ امضى ٧ في المئة من غير المدخنين أكثر من ساعتين في غرفة الانعاش، في مقابل ١٩ في المئة من المدخنين. وامضى ٣٨ في المئة من غير المدخنين اقل من ساعة، في مقابل ٢٣ في المئة من المدخنين.

ويرى الدكتور ديفيد هاندلين، الاختصاصي بالتخدير الذي اجرى التحليل، دوراً هامشياً لعناصر كانت تعتبر مؤثرة في عملية الابلال، بما فيها نوع الجراحة ونوع المخدر والعمر والسمنة. ويوضح الدكتور هاندلين ان ردود فعل (ارتكاسات) الجهاز التنفسي لدى المدخنين قد تعود الى طبيعتها بسرعة اقل، كما ان هؤلاء ربما يكونون عرضة لانخفاض حاد او ارتفاع حاد في ضغط الدم.

مجلة "فيزيشان ويكلي"



هل تبحث عن ميكانيكي نـــزيه؟

معلومات قيمة تجنبك الوقوع في شراك المرائب

يشبه أخذ سيارتك الى ميكانيكي زيارتك طبيب اسنان. فقد يكون الأمر موجعا وأكثر كلفة مما كنت تحسب، وينتهي بك الى حال من الحذر. ولكن اذا عرفت كيف تميز بين مرأب جيد وآخر رديء، فيمكنك أن تحظى بخدمة نزيهة وكفية. اليك عدداً من النصائح في هذا السبيل:

١ . **تزود توصيات**. حين كنت أكتب مقالات تتناول شؤون السيارات في صحيفة محلية، طلبت مرة من القراء تزويدي أسماء مرائب يثقون بها. ووضعت قائمة اخترت فيها ٤٥ ميكانيكيا ومرأبا وعرضتها مجانا على كل

من يرغب فيها، فتلقيت أكثر من ألف رسالة يطلب أصحابها القائمة. ولم يُبدِ أي منهم عدم رضاه لاحقا. وقد عزز ذلك لدي قيمة النصيحة المخلصة.

لن تستطيع الاعتماد على اقتراحات أصدقائك متى كنت مسافراً. وفي هذه الحال يمكنك أن تفيد من رجال شرطة محليين أو موظفي استقبال في فنادق أو موظفين في محال قطع غيار السيارات.

أجريت قبل أربع سنوات مسحاً لمرائب في الولايات المتحدة، بتكليف من الـ"ريدرز دايجست." وتوقفت أثناءه في مقهى بجانب الطريق وطلبت من النادلة أن تدلني الى ميكانيكي جيد. فأشارت علي بواحد، وحذرتني من آخر. فقصدت الذي زكته وحصلت على خدمة احترافية نزيهة. ثم عرجت على الميكانيكي الذي حذرتني منه فواجهني بفاتورة فيها بدل خدمة وثمن قطع غيار لا حاجة بي اليها.

٢. تحقق من المرأب وكفايته. لا يمكن أي مرأب اجادة كل أنواع الاصلاحات. فلا تقصد مرأبا صغيراً متوقعاً اصلاح أجهزة قياس سيارتك، مثلاً، أو معرفة عطل طارىء في محركها.



عاين المرأب أولاً. هل هو نظيف ومنظم؟ ان المظهر يقدم أحياناً دليلا على نوعية العمل.

ثم تحدث الى المدير والاختصاصيين هل تلمس منهم اهتماماً بمشكلتك؟ وهل يضمنون عملهم بكفالة خطية؟ اطلب معرفة كلفة الاصلاحات إن لم تر لائحة معلقة تبين ذلك. واسأل الزبائن هل هم مواظبون. فمن المستبعد أن يعود هؤلاء الى المحل الذي غشهم.

أخيراً، راقب حركة المرأب، فالحركة الناشطة قد تدل على الثقة وجودة العمل.

٣. انتبه للعدة. إن اصلاح السيارات العصرية ذات التقنية العالية يحتاج الى معدات متطورة.

ولا بد، في مرأب ذي اختصاصات شاملة، من أن يكون لكل تقني عدة يدوية كاملة. ويستحسن أن تشمل معدات المرأب حفرة لضبط "ميزان" العجلات، وأخرى للتشحيم وتغيير الزيت، ورافعات هيدروليكية، ومخرطة لشحذ اسطوانات الكوابح، ومحللا لتشخيص أعطال المحرك.[1]

والمحللات الفضلى تختصر عمل مجموعة من الخبراء في تشخيص مشاكل المحرك. وعدد الرسائل التشخيصية التي يبثها المحلل دليل على مدى فاعليته. فمنها ما يبث ١٠٠ رسالة فقط، في حين أن الاجهزة الاكثر دقة تبث ما يصل الى عشرة آلاف.

(١) Engine analyzer

ذات مرة تعمدت احداث عدد من الاعطال في سيارة. فأرخيت حزام المولد (الدينامو) وعبثت بشمعات الاشتعال (البوجيه) ونزعت أنبوب مضخة البنزين، وقصدت ثلاثة مرائب، وكل منها مجهز بمحل مختلف. فكشف المحل الافضل كل الاعطال، بينما لم يكشف المحلان الآخران الا العطل في شمعات الاشتعال، وأشارا خطأ الى وجود أعطال أخرى.

ومن الادوات المفيدة الاخرى جهاز مسح يدوي يوصل بكمبيوتر المحرك ويحدد الخلل بدقة. اسأل مدير المرأب عما اذا كان لديه جهاز كهذا يمكن وصله بسيارتك.

٤. احصل على اكثر من تشخيص. اذا استعظمت الكلفة المقررة لاصلاح عطل، أو شككت في صحة تشخيصه، استشر مرأبا آخر. لكن اياك أن تكشف لهذا نتائج التشخيص الاول، دعه يتبين العطل بنفسه، اذ يجوز أن يفيدك المرأب الاول أن سيارتك تحتاج الى ابدال صمام بكلفة ٥٠٠ دولار، بينما يؤكد لك الآخر أن اصلاح دافع الصمام المكسور بكلفة لاتتعدى ٩٥ دولاراً هو كل ما في الامر. وطبيعي أن تأمل ان يكون المرأب الثاني محقاً، ولكن من المفيد أن تستشير مرأباً ثالثا حين يكون الرأيان الاولان متناقضين. ومتى اتفق مرأبان على نوع العمل المطلوب، فالاحتمال الارجح هو أن يكونا كلاهما على صواب.

ان التسلح بأكثر من رأي هو فضلى الطرق لضمان اصلاح عطل بكلفة عادلة، خصوصا اذا كان التخمين الاول غالياً.

٥. احذر الغش. يتألف ناقل السرعة الآلي (ترانسمسيون) من مجموعة معقدة من أجهزة التعشيق والتروس والسدادات والممرات.[٢] لا يعرف الشخص العادي شيئا عنها. وهو لذلك يشكل مجالا رحبا للغش أكثر من أي جزء آخر في السيارة.

قد يبسط ميكانيكي عديم الضمير وعاء الناقل الآلي أمامك ويشير الى الجسيمات المعدنية المترسبة فيه دليلا على أن الناقل آخذ في التلف. لكن هذا التلف المعدني أمر طبيعي ناتج أساسا من اجتياز السيارة مسافة الـ٣٠٠٠ كيلومتر الاولى. وما لم تلاحظ وجود شظايا أو أجزاء معدنية كبيرة، فلا داعي الى القلق.

وثمة وسيلة أخرى للغش يلجأ اليها الميكانيكيون، وهي أن يحملوك على توقيع تفويض بالعمل أو يهملوا تسليمك نسخة عن بيان يحدد الاصلاحات المطلوبة. فاذا لم ينظم الميكانيكي بيان عمل أو تقديراً بكلفة الاصلاح، أو تحاشى تحديد السعر النهائي، فابحث عن مرأب آخر، ذلك لانه يريد أن يترك المجال مفتوحا لتحميلك مزيداً من الاعباء ما ان تصبح السيارة في عهدته.

(٢) Clutches, gears, seals and passages

تسلمت رسالة قبل فترة من أرملة في الحادية والسبعين قصدت احدى محطات الخدمة لضبط سيارتها، ولكن فاتها ان تطلب نسخة عن بيان بالاصلاحات. فاستغل ميكانيكيو المحطة هذا الامر لاضافة ٧٠٠ دولار كلفة اصلاح مكيف الهواء الذي كان في حال جيدة.

ان العروض الخاصة التي يعلن عنها في الصحف وتبدو مبالغا في صحتها هي عادة كذلك. بعضها بمثابة طعم يستدرجك الى الافادة من صيانة بسعر متدن، وما ان يبدأ العمل على سيارتك حتى يطالعك المرأب بضرورة اجراء اصلاحات لم تكن في الحسبان.

قصد أحد أصدقائي محطة معروفة كانت تعلن تقديم خدمة تشحيم وغيار زيت وفحص لسلامة السيارة، مجاناً. وبعدما أفاد من "العرض الخاص" أبلغ الى صديقي أنه في حاجة ملحة الى كوابح ودعائم أمامية جديدة. لكنه كان من الحكمة بحيث "أكل الطعم ولم يعض الصنارة."

ثم عاد بعد بضعة أشهر الى المحطة نفسها للافادة من العرض الخاص مرة أخرى، فقيل له ان سيارته في حاجة الى نوابض جديدة، ولم يأت أحد على ذكر الكوابح أو الدعائم، مما ترك لديه انطباعاً أن المرأب خصص ذلك الشهر لترويج النوابض.

واثارة الذعر فن آخر يلجأ اليه بعض الميكانيكيين وسيلة للخداع. فاحذر الذين يقولون لك: "لو كنت مكانك لما ركبت هذه السيارة كيلومتراً آخر" أو "هذه المحركات تسبب لنا متاعب دائماً." فاذا شككت في الأمر غادر المكان للحال.

واعلم أن اللوحات التي تشير الى أن السيارة هي "من خارج المنطقة" توحي الى الميكانيكيين غير الامناء سهولة ممارسة الغش الذي يمكن أن يصل الى حد تخريب السيارة، كقطع أحزمة المراوح أو ثقب الاطارات أو رش الزيت على ممتصات الصدمات للايهام أن الزيت يتسرب منها، أو أخذ قياس منقوص لزيت المحرك وزيت ناقل السرعة بعدم دفع قضيب القياس الى القعر. فاذا لم تلاحظ أي عطل من هذا النوع قبل دخول المحطة، فغالب الظن ان سيارتك لا تحتاج الى اصلاح.

وأخيراً، رافق الميكانيكي حين يقود السيارة في جولة اختبارية. فبذلك تكون في وضع أفضل لمعرفة أعراض الخلل فيها، ولمراقبة عمله تحسباً.

وأذا حظيت بميكانيكي كفي، مستقيم، جدير بالثقة، فواظب على زيارته ولا تتخل عنه وإن تكن خدمته أغلى قليلاً. فذلك يوفر عليك، في المدى البعيد، كثيراً من المال والمتاعب.

روبرت سيكورسكي ■

ثمة حدود لا يبقى الصبر بعدها فضيلة.

أدموند بورك، سياسي وفيلسوف بريطاني

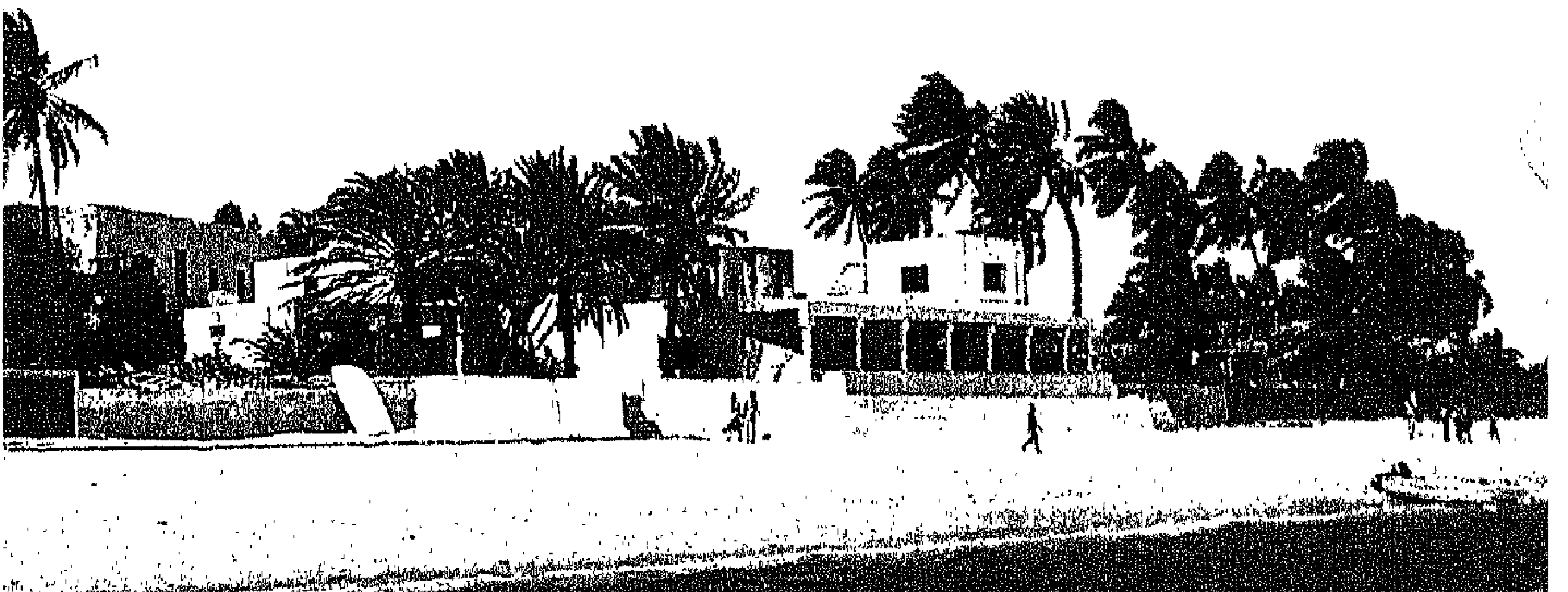
ساحل المرجان

"لن نكفّ عن الاستكشاف. وسينتهي بنا المطاف دائماً الى حيث بدأنا، فنتعرَّف الى المكان للمرة الاولى"

ت.س. إليوت، شاعر وناقد بريطاني

أعدّ نفسي محظوظاً لاني ولدت في كينيا. فقد بقيت هذه الجنة الافريقية زاداً لي في الغربة، على رغم أني هاجرت منها صغيراً. اختزنتُ في ذاكرتي سحر البلد والناس ولون الشمس والسماء وشفافية الضوء. وأعادني اليها الحنين أخيراً في رحلة الى ماضيّ.

ولدت في نيروبي، الاّ أنني تعلقت ببلدة مومباسا الساحلية وبجو "ألف ليلة وليلة" الذي يطبع الحياة فيها. وكان يحلو لي في صباي أن أركب قطار الليل المسافر من نيروبي الى مومباسا، عبر السهول الاستوائية الزاخرة بالطرائد، نزولا الى الساحل من ارتفاع ١٨٣٠ متراً، مروراً بمحطات تحمل أسماء غريبة ذات وقع موسيقي مثل "سامبورو" و"السلطان حمود" و"متيتو آندي" و"مارياكاني." وأغفو ثم أفيق لأرى أن الاجمات والمراعي أفسحت لأشجار



المانغو الخضراء الظليلة ونخلات جوز الهند الباسقة. وألمح في نهاية المطاف زرقة المحيط الهندي ومجموعة محببة من البيوت والجوامع منتثرة حول المرفأ.

مرّ فيض هذه الذكريات في خاطري وانا على رصيف محطة نيروبي. وقرأت لافتة معلقة هناك تنبه الى أن غرفة الانتظار هي لركاب الدرجة الاولى وحدهم.

وكانت المقطورة التي ركبتها بسيطة جدّاً، وبعيدة جداً عن مقطورات الدرجة الاولى المريحة التي عُرفت في الماضي. الا أن أموراً بقيت على حالها. فما زال مضيف في بزة رسمية يعلن موعد العشاء عازفاً لحناً ساحراً على آلة الزيلوفون.[1]

أخبرني جدي، وهو طبيب، أن البريطانيين أنشأوا مع مطلع القرن السكة الحديد التي تربط بحيرة فكتوريا في أوغندا بالساحل الشرقي لافريقيا. وهو رافق مراحل بنائها، وقص علي ضروب الصعاب التي تخللت العملية، ومنها أن أسدين هاجما عمال المحطة في تسافو وافترسا ١٠٠ منهم قبل أن يطلق كبير المهندسين النار عليهما ويرديهما.

نهضت مع الفجر ورفعت مصراع مقطورتي الخشبي لأجد أننا نعبر السهول. وكان ضباب أبيض كثيف يرتفع من العشب ومن الشجيرات الشائكة، ولم يلبث أن تبخر مع طلوع الشمس مخلفاً دقائق متبلرة امتزجت بالهواء فإستحالت الرؤية عبره آية من الروعة، لكأن المرء واقف على عتبة اللانهاية. وتلالأ الضوء في الافق في دفق فضي عكس أشكالا خادعة تظنها تموجات مياه. وتجمعت غيوم نيِّرة في السماء الباهتة كأنها أسوار عالية من اللؤلؤ.

وتبقى مومباسا، كما وصفها الكاتب كارين بليكسن "لوحة جنة بريشة طفل": منازل ذات سطوح حمر بنيت من مرجان أو حجر بلوني المغرة والمشمش، تقوم في موازاة الزرقة الصفيرية الوامضة لمياه المحيط. أما مدخل حيدها المرجاني فيشكل مرفأ بحريا طبيعيا أصبح، لجماله، ميناء مهما ومنتجعا سياحيا.

رائحة يأس وحزن. الساحل الكيني مشبع بقصص التاريخ. فقد كان التجار العرب والفرس يأتون اليه بالسجاد الشرقي والحجار الكريمة والتوابل، فيقايضونها بالذهب والعاج وجلود الحيوانات. وهم بنوا الجوامع والبيوت الانيقة وملأوها فضة وخزفاً وحريراً. كما جعلوا أفارقة كثيرين يعتنقون الاسلام. وأدى تزواجهم بالنساء المحليات الى نشوء قبيلة جديدة تدعى السواحلية[2] يتصف أفرادها بالوسامة ويتميزون بثقافة ولغة موسيقية غنائية معبرة أصبحت اللغة المشتركة لشرق افريقيا.

بعد وصولي الى مومباسا توجهت جنوباً الى منطقة شيموني حيث زرت، برفقة دليل، المغاور الضخمة الشديدة

(١) Xylophone. آلة موسيقية مؤلفة من صف من القضبان الخشب يعزف عليها بضرب قضبانها بمطرقتين خشب صغيرتين.
(٢) Swahili

الرطوبة والملأى بالخفافيش التي كان الرقيق يخبّأون فيها قبل تهريبهم على متون المراكب الشراعية. وفي القرن التاسع عشر فرض البريطانيون حصاراً على الساحل في محاولة لوقف هذه التجارة اللاانسانية. وغالباً ما أفلتت المراكب بمن فيها. أما إذا حوصرت، فكان بحارتها يلقون الرقيق في البحر. قال لي دليلي السواحلي: "ان رائحة اليأس والحزن التي تعبق بها هذه المغاور لا تلطفها ريح ولا تنقيها مياه محيط."

أشجار "مقلوبة." يتميز الحي القديم في مومباسا بشبكة من الدروب والازقة وبشرفات معلقة غنية بالنقوش وأبواب خشب عربية الطراز تزينها أفراس نحاسية. لقد طبع هذا المكان بسحر خاص في الماضي البعيد، اذ كان يزدحم برجال عرب متمنطقين بخناجر معقوفة ونساء محجبات متشحات في زي أسود يعرف بالـ"بوي بوي." وفي الميناء، كانت ترسو المراكب الشراعية العربية التي طالما حلمتُ بركوبها في رحلات سندبادية. كان قباطنتها "يدردشون" مع التجار حول اكواب لا تحصى من القهوة الحلوة المنكهة بالزنجبيل، وبحارتها ينشطون في تحميل البضائع أو افراغها.

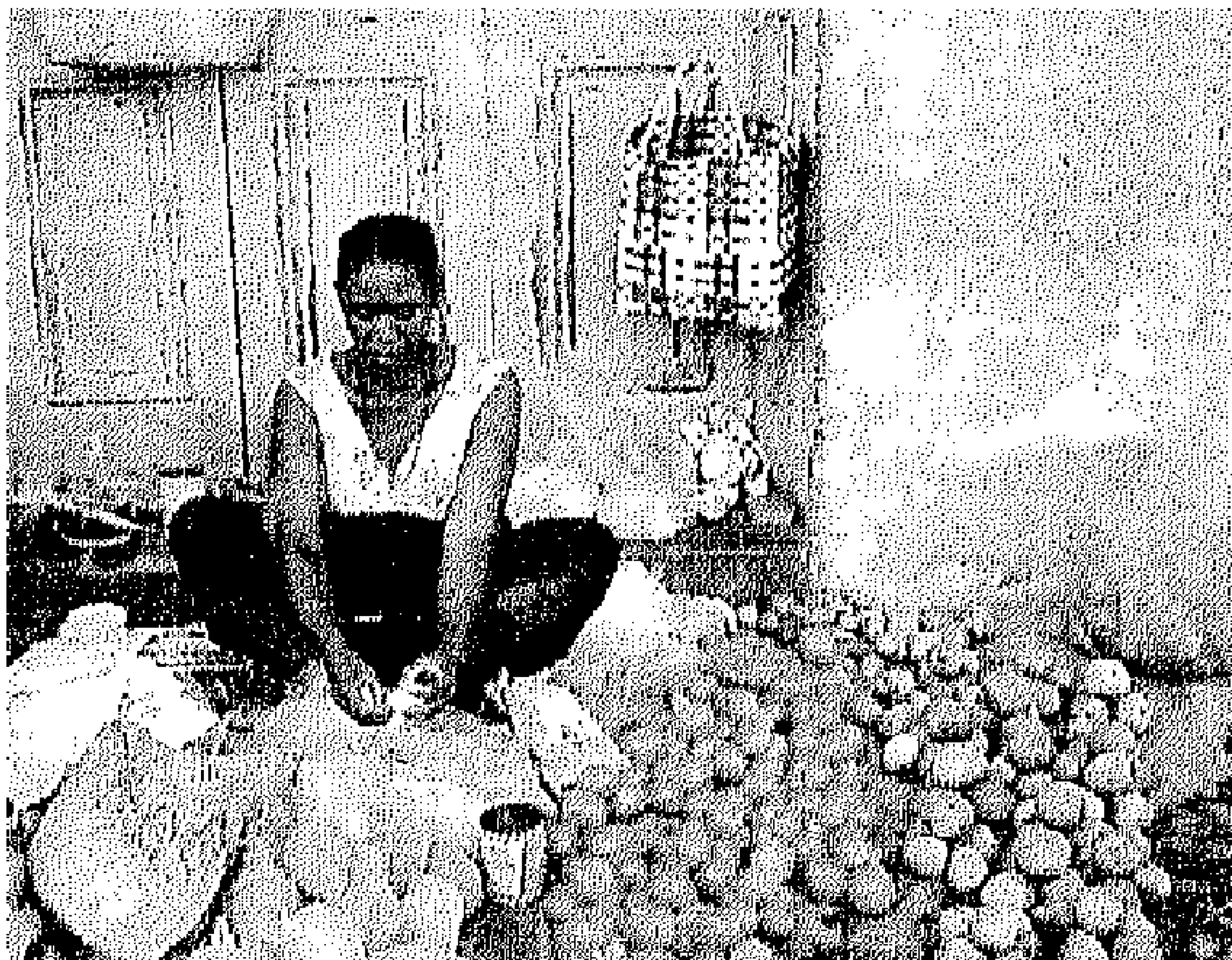
أما اليوم فالمكان خراب. دكاكين صياغة الذهب والفضة وحوانيت الحلوى عفاها الزمن وأُبدلت بمحال لبيع الهدايا.

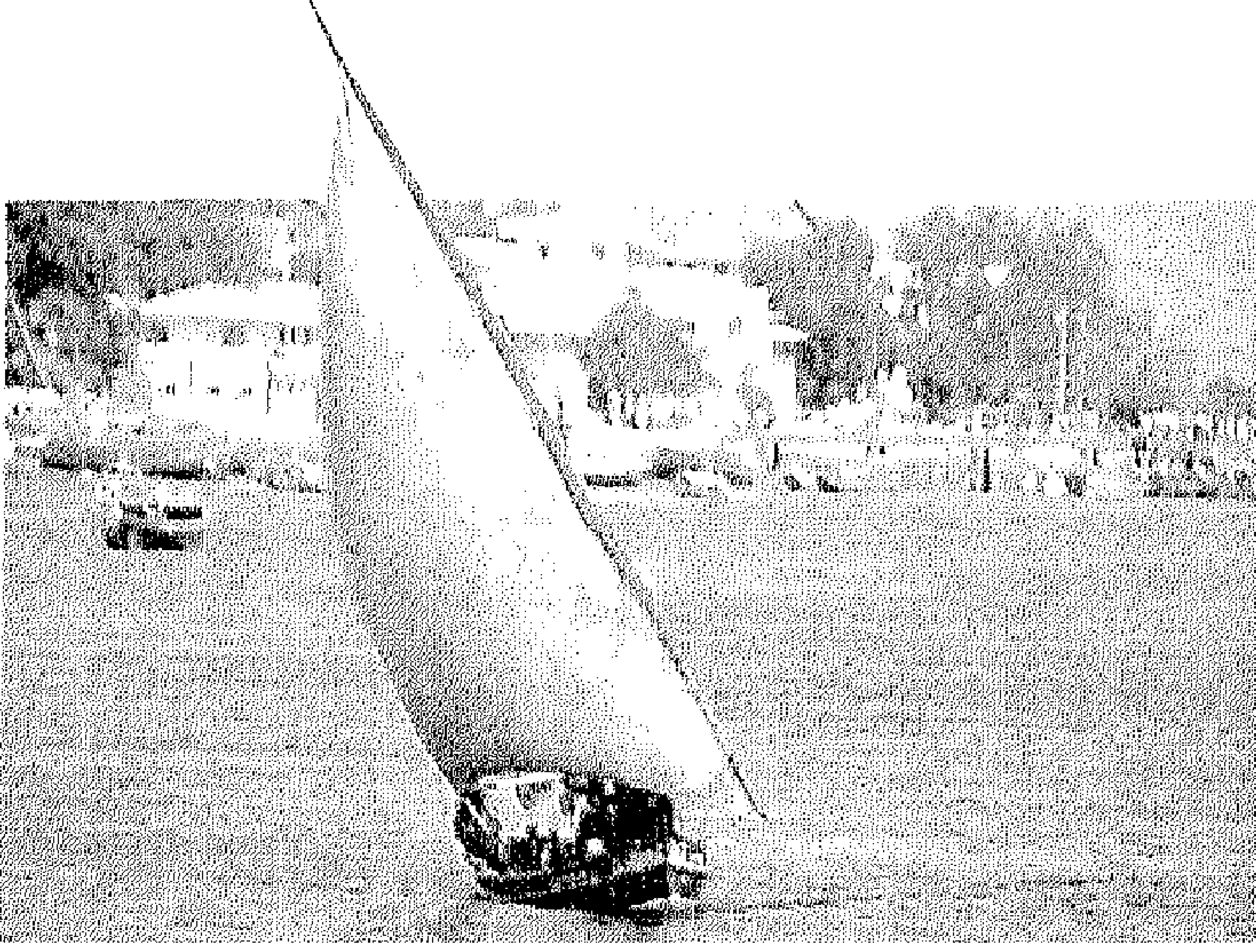
لكن مومباسا تبقى نقطة مثالية لاستطلاع "ساحل المرجان" المتسم بغرابته وغموضه. نزلت في فندق على الشاطىء شمال البلدة، ورحت أتأمل الامواج تتكسر وراء الحيد المرجاني راسمة خطاً أبيض متعرجاً ومحدثة ما يشبه الرعد حتى إن انعدمت الريح. وتمكن السباحة هناك عندما يكون المدّ عاليا، لان الحيد البحري يشكل عائقا دون وصول سمك القرش وغيره من الضواري الى الشاطىء.

ذهبت في رحلة مع بعض السياح الى ماليندي، البلدة الساحلية العريقة في القدم وأذكرها ايام طفولتي مرفأ صيد قليل الحركة، ومنازل حجر ومرجان ذات سطوح من سعف النخيل.

كنت ووالدي نصيد السراطين في الصخور تحت العمود الذي رفعه فاسكو دا غاما حيث حط رحاله عام ١٤٩٨. ولا يزال العمود قائما، لكن الواجهة البحرية تزدحم اليوم بالمرابع والفنادق.

وأعادني الحنين الى الشاطىء الذي أحببته طفلا، جنوب مومباسا. فاستعنت





بدليل عربي توجه بي في سيارة مستأجرة نحو معدِّية نهرية راسية في ليكوني. فطالعتنا أيكة من أشجار الباوباب (التبلدي) الاستوائية. ولأن اغصانها العارية من الاوراق تشبه الجذور، يقول سكان المنطقة إن الله عز وجل زرعها رأساً على عقب.

عبرنا النهر في المعدِّية. وفي طريقنا الى شاطىء دياني مررنا بمزارع الكاشو وجوز الهند حيث امتلأ الجو برائحة الكاشو العطرة. ولدى وصولنا الى المنعطف المؤدي الى الشاطىء شاهدنا "غابة" من اللافتات الاعلانية لفنادق وأندية للرياضة المائية وأكواخ لقضاء العطل.

يمتد شاطىء دياني عشرة كيلومترات، شريطاً من الرمل الفضي الناعم، محدودباً نحو المحيط، تظلله أشجار جوز الهند وتضفي عليه شجيرات البوغنفيلية والغاردينيا والدفلى والبونسيانة لمسات استوائية أخيرة. ولا يعرف التلوث طريقه الى المنطقة التي لا تشهد حركة قوية حتى في ذروة الموسم السياحي. اللهم الا ما يثيره باعة البطاقات والطوابع التذكارية من مضايقات للسياح. وهم يقبلون، بل يلتمسون، مقايضة بضاعتهم بـ"سروال أو حذاء أو قميص إذا لم تكن تحمل نقوداً."

يصل عرض الشاطىء أثناء الجَزْر الى سبعين متراً، ويزدان بأصداف [illegible]عة يحظَّر التقاطها الاَّ على التجار المرخص لهم قانوناً.

رفيق عربي. أمضى المستكشفون البرتغاليون في القرن السادس عشر ثلاث سنوات في بناءِ أعظم حصن في مومباسا. وهو الآن متحف ومَعْلم وطني. وقد انتهى بناؤه، مبدئياً، عام ١٥٩٥. لكن طبقته الطينية الخارجية تتهاوى في كل مكان فيه، كما أن بقعاً كبيرة من العفن الاسود تشوه الجدران المائلة التي تبلغ سماكتها مترين ونصف متر والتي كانت في الماضي زهريَّة قاتمة. لكن الحصن يبقى في ذاكرتي البناء الاكثر مهابة ورمزاً لمجد الهندسة والعمارة العسكريتين.

تجولت لبعض الوقت ثم جلست على مقعد حجري تحت أحد أبراج الحصن في مواجهة المحيط. وانضم الي رجل عربي جاء ليتأمل غروب الشمس مثلي. كان مسناً، ناحلاً، ذا لحية بيضاء ملساء مستدقة وعينين بنيتين باسمتين ويرتدي

زيّه التقليدي المؤلف من عباءة بيضاء وكوفية مطرزة. تحادثنا بالسواحلية، فسألته: "هل تذكر اللون الزهري للحصن في الماضي؟"

أجاب: "لقد اكتسبت الجدران هذا اللون لأنها شربت غروب الشمس كل يوم على امتداد أجيال. لكنها شاخت وشحبت، وقلة تذكر بهاءها السابق. هذا قدر الاشياء كلها."

واذ غطست الشمس في المياه المحمرة انساب صوت مؤذن من جامع قريب. فتركني أنيسي العربي للصلاة.

تركت كينيا صغيراً وعدت اليها راشداً، وأدركت أن تعلقي بهذه الارض هو اليوم أقوى من أي وقت مضى، على رغم سني غربتي الطويلة. وقد سرني أن كينيا لم تفقد عظمتها وبراءتها وغموضها على رغم تغيرات سطحية رافقت تقدم العصر.

وأختتم بقول سواحلي مأثور يلخص طبيعة الحياة المتنعمة بالراحة وقلة الانشغال على ساحل كينيا: "هركة هركة هايني بركة (الحركة لا تجلب البركة)."

هيوبرت دي سانتانا ■



صرخة مستجابة

أعمل ساعياً لدى شركة خاصة للبريد السريع. وفيما أنا أغادر مبنى ذات يوم، تلقيت رسالة بواسطة جهاز الاستقبال الالكتروني تبلغني بوجوب تسلّم رزمة من شركة لم أكن سمعت اسمها من قبل. فتطلعت نحو السماء مبتهلا: "يا الهي! الى أين يفترض بي أن أتوجه؟" وفي تلك اللحظة تلقيت اتصالا جديداً يفيدني بعنوان الشركة.

وكان رجل واقفاً على مقربة مني، فرأى وسمع. واذا به يرفع يديه الى السماء ويصرخ: "لماذا لا تستجيب لي أبداً؟"

د.د.

صاحب نخوة

نشأتْ في مصنع الكيميائيات، حيث أعمل مشرفاً، مشكلة معقدة لم يكن أحد من العمال المناوبين واجهها من قبل. فاقترح أحدهم: "قاسم هو أقدمنا. ولا بد أنه صادف هذه المشكلة من قبل. لماذا لا نسأله عندما يحضر للنوبة المسائية؟"

وعندما حضر قاسم شرحت له المأزق وسألته ما اذا كان واجه حالة مشابهة، فأجابني: "نعم!"

قلت: "حسناً، وماذا فعلت؟"

فرد العامل المسن: "تركتها للنوبة التالية!"

ف.هـ.

دائرة المعارف

أحبت العرب جميل الكلام والعبارة. هنا عبارات صارت مضارب أمثال.

نار القِرَى. هي مذكورة على الحقيقة لا على المثل، وهي من أعظم مفاخر العرب وأشرفِ مآثرها، وهي النار التي كانت تُرفع للسفر ولمن يلتمس القِرَى، فكلما كان موضعها أرفع كانت أفخر، والأشعار فيها كثيرة.

صَوْلة الجَمل. تقول العرب في أمثالها: أصوَلُ من جَمَل، ومعناه أعَضّ، يقال: صالَ الجملُ، وعضّ الكلب وعقَر افصَح. وفي الحديث: "إن العرف لينفع عند الجمل الصَّوَّال والكَلْب العقور."

نقيع الحنظل. يُضرَب مثلا لما يوصف بالمرارة والكراهة، لأنّ الحنظل أمرّ شيء وأكرهُه، قال عنترة:

والخيل ساهمةُ الوجوهِ كأنما
سُقيت سوابقها نقيعَ الحنظلِ

خَبْط عَشْواء. يُضرَب مثلا لمن أصحابه منه بين مُعافى ومُبتلى، ولمن يصيب مرّة ويُخطىء أخرى. والعشواء الناقة التي لا تُبصِر ليلا، وهي تطأ كل شيء.

نخوَة العَرب. لم تَزل العربُ تتميز عن سائر الأمم بالنّخوة لما كانت تختصّ به من السماحة والفصاحة والشجاعة، حتى إنّ النّعمان بنَ المنذر ترفَّع عن مُصاهرة سلطان أبرويز إذ كان من العَجَم. ولمّا بعث الله تعالى صفوة خلقِه وخاتمَ رسُله منهم ازدادت نخوتُهم وصارت مثلا، كما قال الشاعر:

* لُؤْمُ النَّبيطِ ونخوَةُ العَرَبِ *

سَرق العقعق. يُضرَب به المثل، فيقال: أسرَق مِن عَقْعق، لأنّ له حِذْقا بالاستلاب وسرعة الخطف. ومن حِذقه أنه لا يستعمل ذلك في ما ينتفع به، فكم من عِقد ثمين خطير، وكم من قُرْط شريف نفيس، قد اختطفه من بين أيدي قوم، فإما رمى به بعد تحليقه في الهواء، وإما جرّه ثم لا يلتفت إليه أبداً.

عَيثُ الغيث. يُضرب مثلا لما يعمّ خيرُه ويخصّ شرّه. وذلك أنّ الغيث على إغاثته الخلق، وإحيائه الأرض بعد موتها، ربما ضرّ الخلْق بهدْم البيوت، وتخريب العُمران، وتعويق المواعيد، وإيذاء المسافرين. وقد أنشد الشيخ أبو الفتح البُسْتِيّ:

لا ترجُ شيئا خالصا نفعُهُ
فالغيثُ لا يخلو من العَيْثِ

كذب الدّلّال. يقال إنّ أمر الدّلّال لا يتمشى بغير الكذِب، فهو يثابر عليه. ويقال: لكلّ أحدٍ رأسُ مال، ورأسُ مال الدّلّال الكذب. ويروى أنه أولُ من دلّ إبليس حيث قال: ﴿هل أدُلُّك على شجرةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلى﴾.

ثقل الدَّين. يُضرب به المثل، كما قال ابن الرومي:

وثقيل كأنه ثقلُ دَين
يتعدّاه طالعا كلّ عيْنِ
حَمّل اللهُ ثِقلها ثِقلها ثُمّ
براه علاوة الثَّقَلَيْنِ

ويُروى أن لقمانَ قال لابنه: يا بُني، حملتُ الصخْر والحديدَ فلم أحمل أثقلَ من الدَّين، وأكلت الطيبات، وعانقتُ الحِسان، فلم أصِب الذَّ من العافية، وذُقتُ المرارات، فلم أذق أمرَّ من الحاجة الى الناس.

صوْلة الكريم. يقال: اتّقوا صوْلة الكريم إذا جاع وصولةَ اللئيم إذا شَبع. ويقال: نعوذ بالله من صوْلةِ الكريم إذا جاع، وضربة الجبان إذا خاف.

عَرَق القِرْبة. من أمثال العرب في عَرَق القربة: لقيت من فلان عَرَق القِربة، أي شدَّة ومشقَّة، وأصله أنَّ حاملَ القربة يتعب في حملها وثِقلها حتى يعرَق جبينه، فاستعيرَ عرَقه في موضع الشدّة والتعب.

غضَب العاشق. تُشبّه به سحابة الصيف، وتشبَّه سحابةُ الصيف بغضب العاشق في سرعة الانحلال.

وكان الهمذاني يقول: غَضب العاشق أقصر عُمراً مِن أن ينتظر عُذْرا.

غرابُ البَيْن. قال الجاحظ: غراب البَيْن نوعان: أحدهما غِربان صغار معروفة بالضّعف واللؤم، والآخر كلّ غراب يُتشاءم به، وإنما لزمه هذا الاسم لأنّ الغراب إذا بانَ أهلُ الدار وقع في مواضع بيوتهم يلتمس ما تركوا، فتشاءموا به، وتطيّروا منه، إذ كان لا يعتري منازلهم ألا إذا بانوا، فسمّوه غرابَ البيْن، واشتقوا من اسمه الغُربة والاغتراب، وليس في الأرض بارحُ ولا قعيدُ ولا شيء مما يتشاءم به إلاّ والغراب عندهم أنكد منه.

وللبديع الهمذانيّ فصل في ذكره يليق بهذا الموضع وهو: ما أعرف لفلان مثلا إلاّ الغراب، لا يقع إلاّ مذموما على أيّ جنب وقع، إن طار فمقسّم الضمير، وإن وقع فمروِّع بالنّذير، وإن حجلَ فمشية الأمير، وإن شحج فصوتُ الحمير، وإن أكل فدَبْرة البعير.

تفاريق العصا. تضرب مثلا للمحقّرات يُحتاج إليها ويُنتفع بها، قالت غَنيّة الأعرابيّة:

احلِف بالمَرْوَة حقًّا والصَّفا
أنك خيرٌ مِنْ تفاريق العَصَا

تقولُه لابنها، وكان غازيا كثير التعرض للناس، مع ضعف أمر ودقة عظم. فواثَبَ فتى فقطع الفتى أنفه، فأخذت غنيّة ديةَ أنفه، فحسُن حالُها بعد فقر مُدقِع، ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت ديته، فزادت حسن حال، ثم واثب آخر فقطع شفته، فأخذت ديتها، فلما رأت ما صار عندها من المال – وذلك من كسب جوارح ابنها – حَسُن رأيها فيه وذكرته في أرجوزتها.

وسئل ابن الاعرابي عن تفاريق العصا فقال: العصا تُقطَع فتصير سواجير، ثم تقطع فتصير أوتادا، ثم تقطع فتصير كل قطعة شظاظا، ثم تقطع فتصير مهارا، وهو العود يُجْعَلُ في فم الفصيل لئلا يرضع أمه.

نَقْش الحجر. يُضرب مثلا لما يثبت ويبقى ولا يضمحل. ومن أمثال المؤدبين: التعلم في الصغر كالنقش في الحجر، والتعلم في الكبر كالكتابة في الماء.

وسمع الاحنف بهذه الكلمة فقال: الكبير أكبر عقلا لكنه اكثر شغلا.

كيف علقتُ أنا ابنة المدينة في مطعم للحيوانات؟

كنت أنا وزوجي نحلم دائما بانبات غذائنا. وكثيراً ما تصورت نفسي أمرر اطباقا من الخضر الطازجة الى مدعوينا مرفقة برسالة متواضعة: "من نتاجنا." لكننا اليوم، بعدما اشترينا مزرعة، نجهد نهارنا في جر أكياس ثقيلة الى قطيع من خمسة وأربعين حيواناً مسمناً لا عمل لها سوى التمتع بنشوة الهضم. فكيف علقت أنا ربيبة المدينة، في إدارة "مطعم" يقدم سلطة الى كائنات لا نفع منها.

مزرعة مجانين

بدأنا بصديقتنا "الخاصة." وكانت كارثة لم نتعلم منها شيئاً. فبعد موسم امضيناه في الحرث والتسميد والتسييج وفي حصاد يقصم الظهر انتجنا حبة بندورة (طماطم) كاملة الاوصاف. كانت حبة جيدة اذ سلمت من القوارض التي خلفت آثار قواضمها في كل الحبات الاخرى.

ثم جئنا بالمعزى. لقد أحببنا دائما جبنة المعزى، وتصورنا أن عدداً قليلا منها سيدر لبناً لذيذ الطعم فيما هو يتواثب مرحا كحيوانات أليفة فاتنة. وهكـذا وافقت على تسلم معزاتين معتوهتين هما لولو ولولوبيل.



ولئن كنت أعلم أن المعزى لا تنتج، تلقائيا، قطعاً بيضاء نظيفة من الاجبان الجديدة، فما كنت أجهله هو أن على "المسؤول" عن رعايتها التورط في مسائل الحلب ومشاكل الارضاع، وفي العلاقات "العاطفية" أيضاً. ولا يعطي الماعز حليبا الا متى تزاوج. ولم يكن في بلدتنا ذكر ماعز سوى "باكي" الذي تصل رائحته الى بعد أمتار. وفي زيارته الأولى للشقيقتين ألحق أضراراً بالحظيرة قدرت بألفي دولار، قبل ان يلتهم الثلاثة عتبة النافذة. وهكذا ألغيت العلاقة الغرامية.

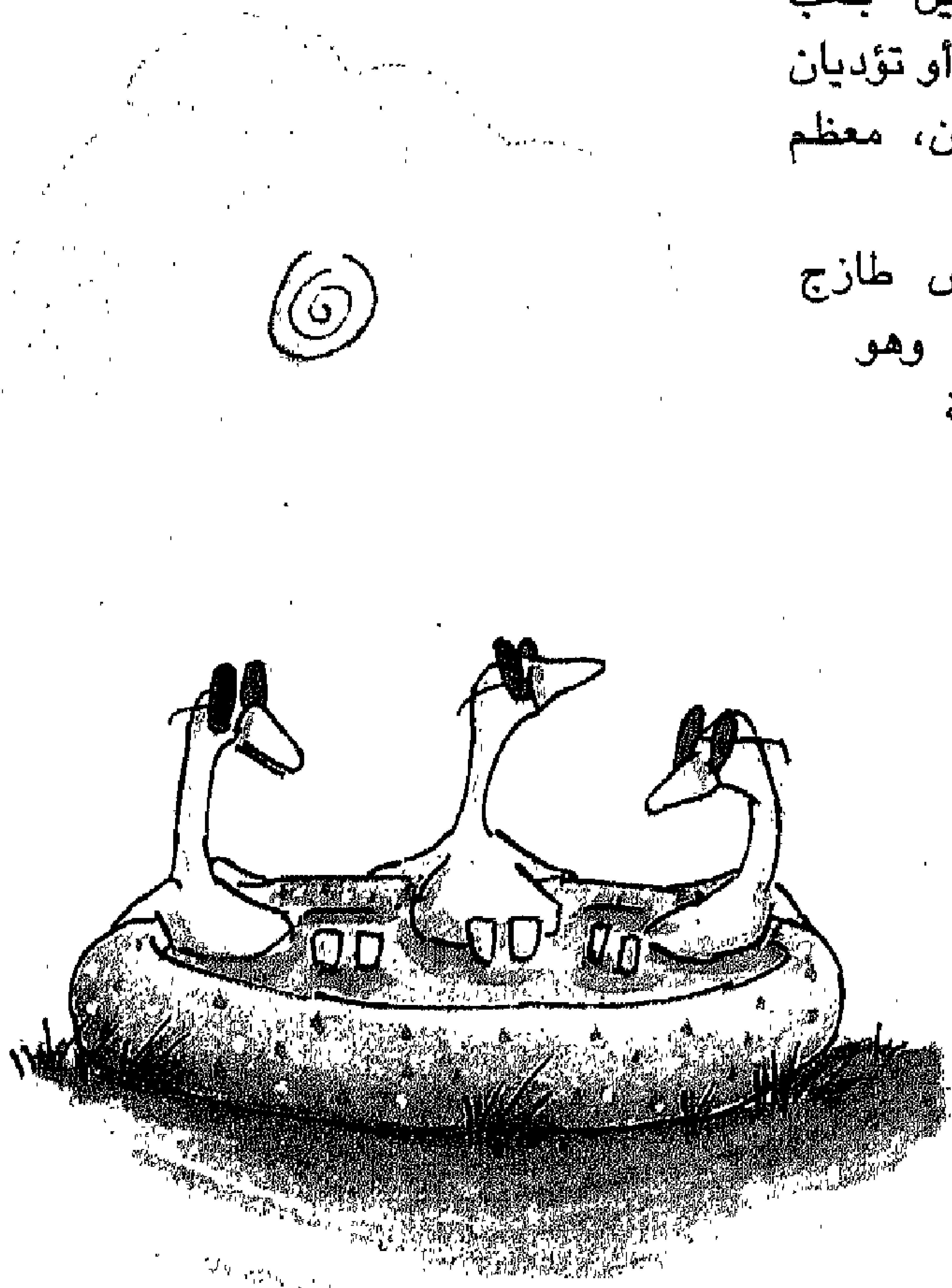
والآن تسلينا لولو ولولوبيل بلعب ماعزي في مرجتنا. فتتناطحان أو تؤديان رقصات غريبة. لكنهما تكتفيان، معظم الوقت، بالمضغ والتبرز.

ثم راودنا حلم تناول بيض طازج نجمعه دافئاً في الصباحات. وهو حلم تحقق في ٨٣ دجاجة حمراء مزعجة. وبعد انفاق بضع مئات من الدولارات لاطعامها، اذا هنالك ذات صباح بيضة بنية دافئة حريرية الملمس تحت دجاجة كادت تقطع يدي حين مددتها لتناول البيضة.

وسرعان ما علمت أن طيور الدجاج كائنات سيئة الطباع. حتى الديك خذلنا. كنا نتوقع أن يوقظنا بصياحه الأبي. ولكن توجب علينا، في "مزرعتنا المزيفة" كما نسميها، ايقاظه ظهراً رغماً عنه.

ومع الدجاج جاء الاوز، أقل الحيوانات شأناً. وقد اخترناها للحال اذ قرأنا عن "فراخ تولوز" في كتاب مصور عن الطيور.

فراخ! احتوت هذه الكلمة جاذبية تعيد الى الأذهان ايقاعات غرف الحضانة. لكن فراخي الخمسة الصغيرات ذوات الزغب الأخضر المصفر سرعان ما قاقت وأكلت لتغدو إوزات سمينات تزن الواحدة



منها تسعة كيلوغرامات. وزينت لي نفسي فترة انها ستهاجر جنوباً لتمضية فصل الشتاء، اذ كنت شاهدت شريطاً وثائقياً بعنوان "طيران اوز الثلج المدهش." وخطر ببالي أن اسجل طيران إوزاتي على شريط فيديو. لكنها كانت تحسن الطيران بمقدار ما أحسنه أنا، فترفرف مسافة أمتار انحداراً لتستقر في حوض مطاط تسبح فيه.

وألفيت نفسي منقادة الى ادارة منتجع للاوز. لكن أفكاراً أخرى كانت تراود زوجي. فقد همس لي وفي عينيه نظرة شريرة: "العيد على الابواب، والاوزات تسمن."

فراعتني كلماته. كيف يمكنه التفكير في شي حيوان اعتبرني حاميته؟

تبعتني الاوزات الى بركة قريبة بعدما أكد لي الجيران انها ستنسى مزرعتنا وتستقر في البركة ما ان تلامس مياهها. لكنها غادرت البركة في طابور واحد عندما غادرت أنا، اذ التفت فرأيتها رافعة رؤوسها الرمادية الحمقاء متواثبة فوق العشب الطويل، لا تطمح الى أكثر من اقتفاء وطء قدمي.

تأثرت بما حصل. لقد أمست اوزاتنا حيوانات مدللة تثير الاشمئزاز، بعدما سقط زغبها واخشوشنت أصواتها. حتى الذكر الوحيد آرنولد نقر رجلي عندما أدرت له ظهري. لا أريد أن أصدق أن الأوز يعمر ٣٠ عاماً، وربما أكثر.

أنا اليوم أشتري خضراً طازجة. وأختار اوزتي من سوق اللحوم. وأحصل على البيض وجبنة الماعز من متجر للمأكولات الفاخرة. أدفع دولارين ثمن نصف دزينة من البيض الطازج، لكنها مع ذلك أرخص من البيض الذي أنتجته والذي كلفني ٣٠٠ دولار البيضة الواحدة.

وأعظم من ذلك أنني أستطيع ان أشوي اوزة واطريها بالزبدة وأتمتع بنكهتها، مطمئنة الى أنها ليست آرنولد. فآرنولد هناك، في الحوض الصغير، يسبح مع رفيقاته.

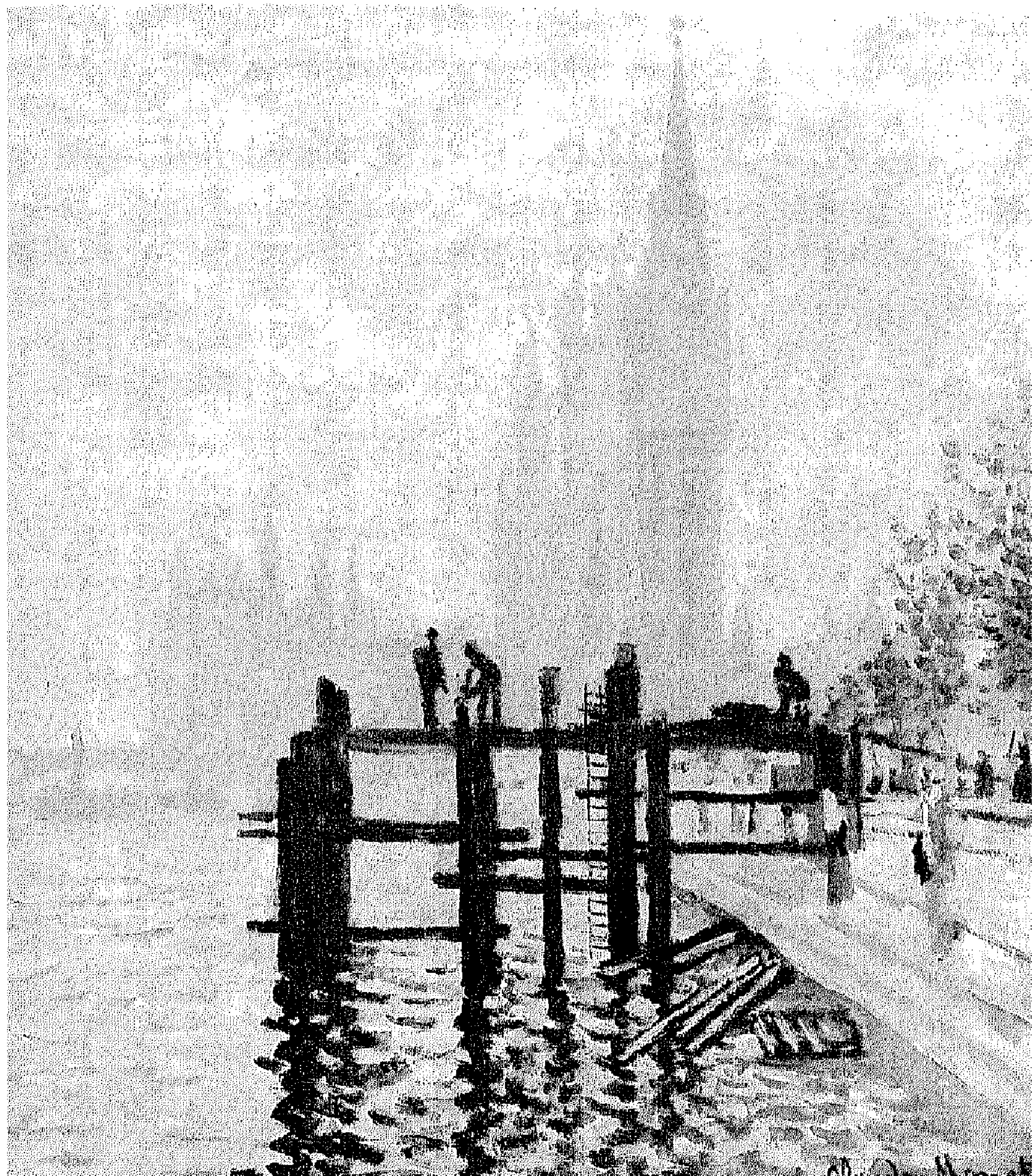
لورا كاننغهام ■

أبو العائلة

عملتُ فترة في محل لتاجير أفلام الفيديو. وذات مساء دخل رجل المحل واختار فيلماً وتوجه الى الواجهة الزجاجية ورفعه عالياً في يده. وما لبث ان عاد واخذ شريطاً آخر الى الواجهة ورفعه عالياً ثم اعاده الى الرف. وبعد عدة جولات "مكوكية" كان جميع من في الداخل يتطلعون اليه.

وعندما اخذ الرجل حاجته وانصرف، ذهبتُ الى الواجهة، فرايته يقترب من سيارته. وكان داخل السيارة بضعة أولاد يضجون ويمدون أيديهم لانتزاع الافلام التي ساعدوه في انتقائها.

ب.د.



"نهر التايمز تحت مبنى وستمنستر"، للرسام كلود مونيه.

الألوان

كيف بدت لندن في عيون مونيه وبيسارو وسيزلي؟



سديم رائع من الالوان الزرق والبنفسجية والرمادية، تطل منه جسور لندن ممتدة فوق نهر التايمز ومباني البرلمان عبر نور الشمس والضباب، وتتوهج حدائق كيو اخضراراً، ويزهو قصر هامبتون.

هذه هي لندن كما رأتها أعين الرسامين الانطباعيين الكبار كلود مونيه وكميل بيسارو وألفرد سيزلي.

الانطباعية ولندن؟ أن هذا الفن الاكثر شعبية يوحي الى معظمنا صوراً ومناظر متألقة لباريس وضواحيها والقرى المجاورة المنتشرة على ضفاف النهر، عالماً من الجمال في لقطات إبداع. الا أن علاقة مميزة قامت بين الانطباعيين ولندن. وهم أنتجوا بعضاً من أروع المناظر التي رسمت للمدينة على الاطلاق.

زار ألفرد سيزلي لندن صيف ١٨٧٤ ورسم نحو ١٥ لوحة تعد من أجمل لوحاته، معظمها لقصر هامبتون ومولسي، وثمة لوحتان لزوارق على نهر التايمز ولوحة صغيرة لشارع المال في قلب العاصمة.

قدم بيسارو ومونيه الى لندن للمرة

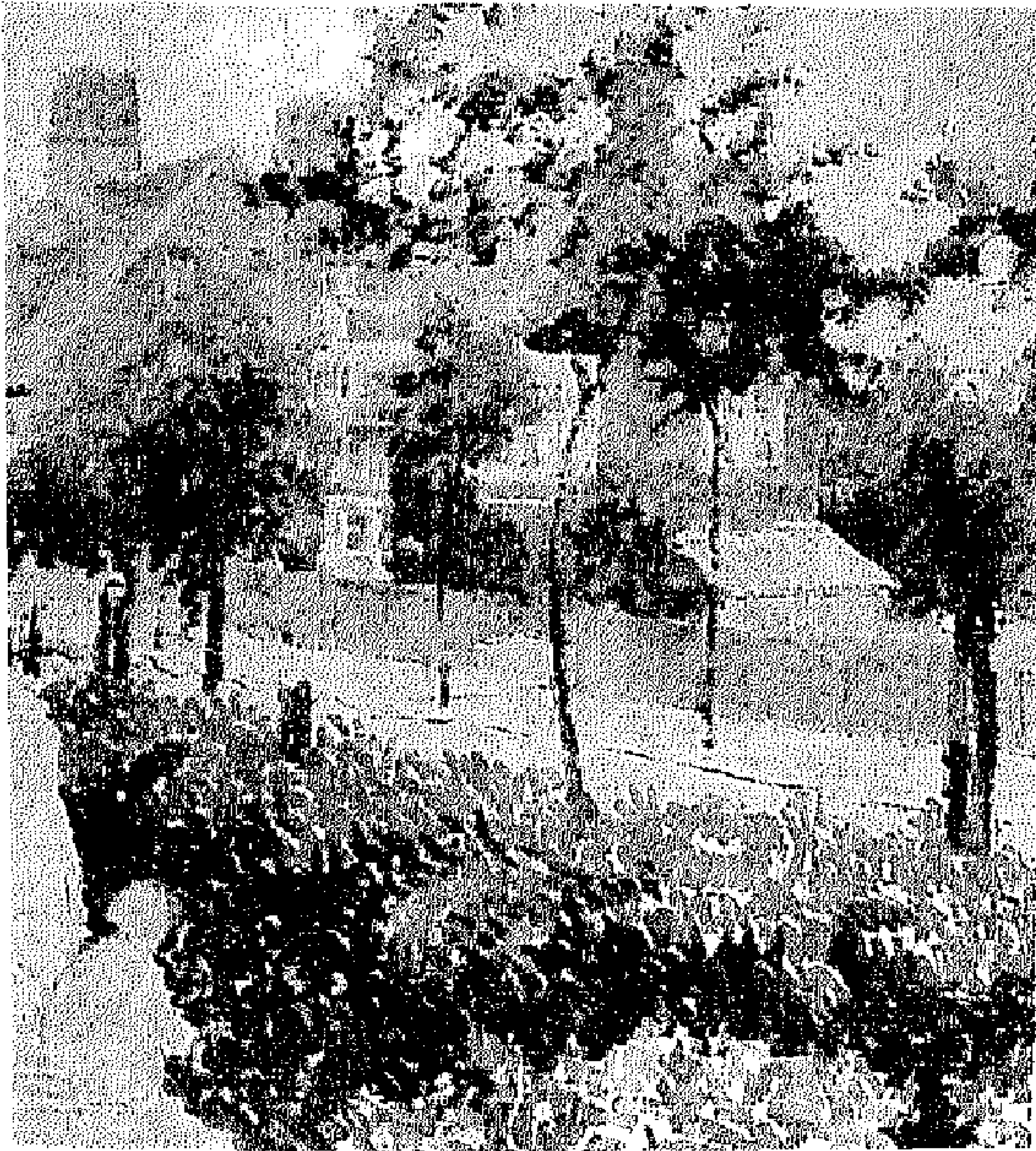


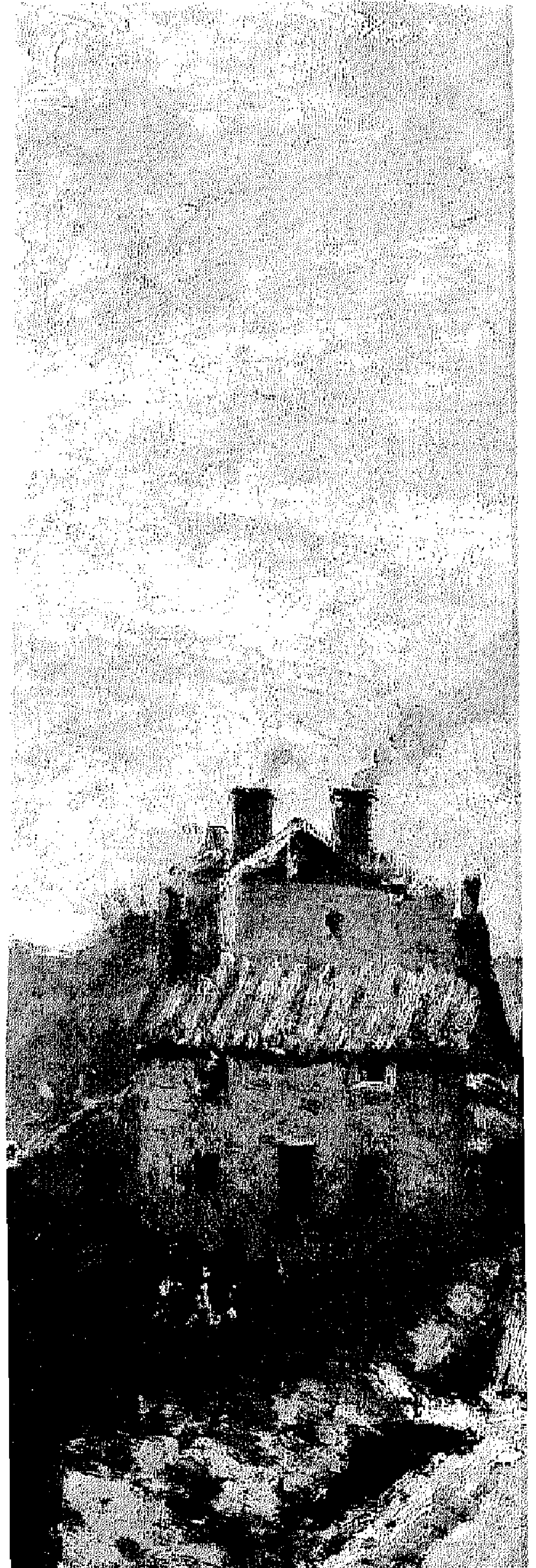
الاولى عام ١٨٧٠ هربا من الحرب الفرنسية – البروسية، وكان ذلك قبل أربع سنوات من ظهور الحركة الانطباعية وتسميتها التي جاءت في سياق ما بات معروفاً بالمعرض الانطباعي الاول الذي أقيم في باريس عام ١٨٧٤.

مكث الرسامان في لندن أقل من سنة، وأحضر بيسارو زوجته وولديهما وأقاموا في جنوب لندن. وهو أشار لاحقاً الى مدى افتتان الرسامَيْن بمناظرها الطبيعية. وذكر أن مونيه كان يرسم المتنزهات فيما أقام هو في ضاحية لور نوروود السحرة دارساً مظاهر الضباب والثلج والربيع.

في هذه الرحلة الاولى، وكانا في أول عهدهما بالرسم، توثقت أواصر الصداقة بين الفنانين. وفي زيارات بيسارو ...

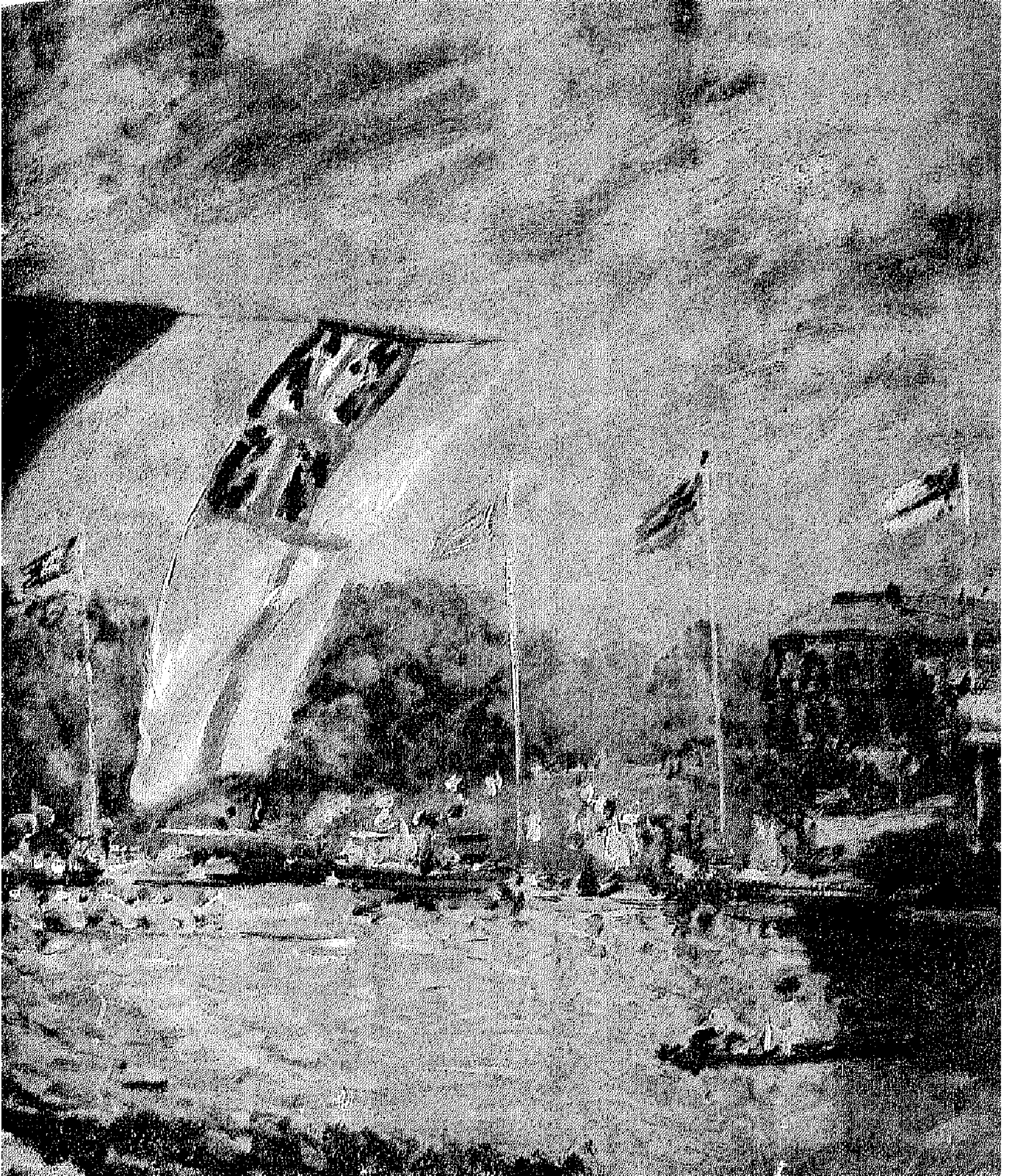
PHOTO: ASHMOLEAN MUSEUM OF ART AND ARCHEOLOGY





THE NATIONAL GALLERY, LONDON

(فوق) بدفورد بارك في غرب لندن.
(الى اليمين) فوكس هيل في اعلى نوروود جنوب شرق لندن.



يوم عاصف على نهر التايمز في لوحة "سباق الزوارق في مولسي" للرسام الفرد سيزلي.

للندن رسم ٣٥ لوحة معظمها للضواحي: قطار منطلق على سكة حديد في دوليتش نافثاً دخانه عالياً. مباريات كريكيت. مهرجان شعبي في بدفورد بارك احتفالاً باليوبيل الالماسيّ للملكة فكتوريا.

لكن مونيه يبقى أهمّ الرسّامين



الانطباعيين تعلقاً بلندن وأكثر زوارها مواظبة. ففضلاً عن تردده عليها للقاء أصدقاء وحضور أعمال فنية، خصص ثلاث زيارات جدّية للرسم، فأبدع ثلاث مجموعات من اللوحات كرست جميعها لمناظر لندن.

قدم مونيه الى لندن خريف ١٨٩٩، وعاد اليها ثانية شتاءً في أوائل ١٩٠٠ حيث بقي الى أوائل الربيع، وثالثة في الفترة نفسها من العام ١٩٠١. وكان في كل من زياراته ينزل في فندق سافوي ويرسم مناظر نهر التايمز. ومن غرفة في مستشفى سانت طوماس على الضفة الجنوبية للنهر رَسَم لوحات لمباني البرلمان.

وبلغ مجموع ما رسمه مونيه نحو مئة لوحة بينها نحو ٤٠ لجسر واترلو و٣٥ لجسر السكة الحديد في تشارينغ كروس و٢٠ لقصر وستمنستر. وعاد بهذه كلها الى محترفه في جيفرني بفرنسا حيث عكف على اكمالها واعادة رسمها مستعينا بذاكرته.

أراد مونيه أن يبرز لوحات متكاملة تمثل سلسلة من المعالم حول نهر التايمز وتثير لدى الناظر اليها حساً بأبعاد الضوء المتغير وبمرور الزمن. قال: "لاحظت عيني المتمرسة أن مظاهر الاشياء تتغير في ضباب لندن أكثر وأسرع مما تفعل في أي جو آخر." لذلك جاء في الشتاء لكي يضمن مراقبة الضباب الكثيف. وفي لندن استلهم هذا الرسّام الانطباعي الفرنسي العظيم مجموعة من مناظر مدينية هي من أروع ما رسم.

مارينا فيزي ■

بابار حبيب الصغار

كيف تُفهمون أولادكم أن الحياة قد تكون ظالمة ولكن عليهم أن يعيشوها بشرف ومرح؟ وكيف يفهمون أن عليهم التغلب على المآسي العائلية التي تحصل أحياناً، والاقتداء بالخير على رغم أن الشر ينتصر أحياناً؟

في امكانكم افهامهم هذه الامور من خلال سرد قصة على مسامعهم. وهذا ما فعلته أم فرنسية شابة تدعى سيسيل دي برونوف عشية صيف في العام ١٩٣٠ عندما كان ابنها ماتيو (٤ اعوام) يعاني أوجاعاً في معدته وأخوه لوران (٥ اعوام) يطالب بسماع قصة. فاختلقت لهما قصة عن فيل صغير يسرح ويمرح في الغابة الى جانب أمه، الى أن أتى صياد شرير وقتل الام فشرد الفيل الصغير الذي هام على وجهه يبكي وحيداً. لكنه كان شجاعاً وعرف أن الحياة ستستمر. وتمكن أخيراً من شق طريقه الى مدينة كبيرة حيث اصبح لديه صديق واكتسب ثقافة جيدة وكبر ليصير فيلا شاباً رصيناً. ثم عاد الى الغابة.



احد الرسوم في قصة "تعرفوا الى بابار وعائلته."

حلّق في منطاد وركب ظهر حوت
وسبر الكهوف الجوفية
وطار الى الفضاء الخارجي
لكنه بقي مخلصاً لعائلته
وفياً لاصدقائه الملايين



SCHALL

جان برونوف.

لوران برونوف.

COURTESY OF RANDOM HOUSE

بابار

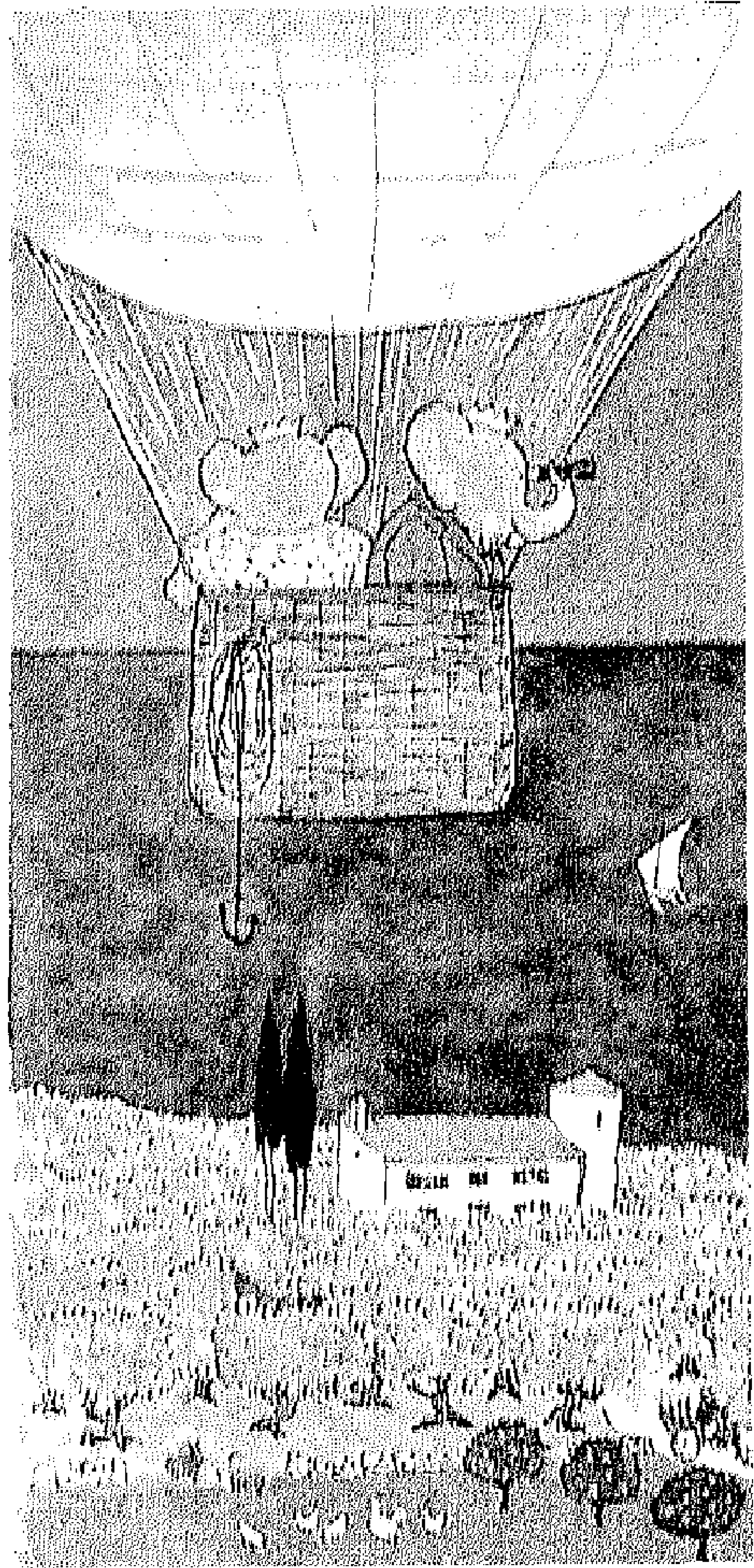
أحب الطفلان القصة ورؤياها في اليوم التالي لوالدهما جان الذي أحبها بدوره، وهو من أطلق على الفيل اسم "بابار" وكتب مغامراته. ويقول الناقد والكاتب موريس سنداك انه من خلال كتابة هذه القصص استهلّ جان "عملا غيَّر وجه الكتاب المصوّر الى الابد." وقد أُنجزت حتى الآن ١٩ رواية عن بابار ترجمت الى ١٨ لغة ونالت اقبالا عالمياً.

كان من السهل على الطفلين أن يتعرفا الى نفسهما من خلال مواكبتهما بابار. فقد عاشا هما أيضا بالقرب من غابة كبيرة تقع خارج بلدتهما شيسي. وكانت باريس تبعد عنهما مسافة ثلاثين كيلومترا فقط. وجعل والدهما من بابار نموذجا للاب الذي يود أن يكون هو على مثاله، لطيفا دمثا متفانيا مغامرا.

فيل باريسي. كان جان داي برونوف رساما شابا موهوبا ولكن غير ناجح. وقد أثارت فيه رواية الفيل اليتيم في الغابة حبه للالوان الغنية النابضة بالحياة، وأظهرت لمسته الخفيفة التي تغير بضربة قلم التعبير في عيني بابار الصغيرتين من الاسى الى السعادة ومن الفضول الى المكر.

ألّف جان كتب بابار بمساعدة ابنيه اللذين كانا تارة مشاهدين وطورا معاونين. فإن خالجه شك في بعض التفاصيل لجأ اليهما طالبا النصح. كان يسألهما عن ألوان ثياب "الشخصيات" مثلا. كما كانت لهما آراء في اختيار الحيوانات التي يجب اظهارها تكرارا. فهناك مثلا "زفير" القرد الصديق، وأقرباء بابار "أرتور" الشقي بلباسه البحري و"سيليست" الجميلة و"كورنيليوس" الجنرال الحكيم والفيل الوحيد الذي يحفظ عن ظهر قلب كلمات النشيد الوطني في لغة أفيال الماموث المنقرضة.

احدى الشخصيات الرئيسية في الرواية هي العجوز التي عثرت على بابار في المدينة ومدت له يد العون. كان



COURTESY OF HACHETTE



رسم ملوّن لمقتل أم بابار في "قصة بابار." (الى اليمين) بابار وزوجته سيليست في منطاد فوق البحر في قصة "رحلات بابار."

شعرها أبيض وأنفها طويلا كأنف "بينوكيو"، لكنها في الحقيقة شديدة الشبه بسيسيل دي برونوف، رقيقة وعملية وتجيد العزف على البيانو. وقد حرصت هذه العجوز على أن يرتدي بابار أفخر الملابس وأن يلقى خير عناية. ولم تقف في طريقه يوم تملكه الحنين الى الغابة فعاد اليها وتزوج سيليست. ولدى وصوله الى الغابة بدا وقوراً بلباسه الاخضر وعاداته "الباريسية" مما حدا الفيلة على انتخابه بالاجماع ملكاً عليها بعد وفاة الملك العجوز من جراء تناوله فطراً ساماً.

بعد انجاز الرسوم المائية كان جان دي برونوف يجمعها في دفتر كبير ويدون على هوامشها تعليقات شارحا تطور القصة.

وفي العام ١٩٣١ خطر ببال شقيق جان وصهره، وكانا ناشرين لمجلة، أن أطفالا آخرين قد يحبون مشاركة لوران وماتيو في بهجتهما، فأعدا العدة لنشر "قصة بابار" في مجلد قبل الميلاد.

تولع الاطفال وذووهم منذ البداية باطار القصة الساحر وفكاهتها اللطيفة. صحيح أن بابار شخصية غريبة، اذ لا يحدث كل يوم أن يدخل فيل متجراً أنيقا ليشتري قبعة مستديرة ووقاء لحذائه. لكنه من ناحية أخرى يبعث على الثقة. وهو عندما

يمشي في الشارع الكبير يبدو أطول من البشر بفارق رأسه فقط، اذ تعلم السير على قدمين واستعمال خرطومه لامساك كوب ماء على العشاء أو لقيادة سيارة. كان بابار مهذبا معسول اللسان وهادئا ودودا يمكن الاعتماد عليه.

لاقى الكتاب نجاحا فوريا في فرنسا. وعندما تصفحه ناشر أمريكي في احدى المكتبات الفرنسية افتتن به وسارع الى زوجته لكي تترجم له القصة. ونشر الكتاب في نيويورك ولاقى نجاحا تجاريا مماثلا.

موت بابار! اكتفى جان دي برونوف بتأليف كتاب واحد جديد في السنة يعالج فيه "الملك الشاب" أنواع التحديات والمعضلات.

بنى بابار مدينة نموذجية لرعاياه أطلق عليها اسم سيليستفيل (مدينة سيليست). وجعل كل منزل فيها يشرف على النهر. وابتكر استراتيجية لصد جيش غاز من وحيد القرن. واقتحم مرة عاصفة ثلجية قاسية بحثا عن منزل "بابا نويل" لانه أراد أن تحصل الفيلة الصغيرة على هدايا للميلاد على غرار الاطفال الصغار.

بحلول العام ١٩٣٧ ظهرت خمس كتب عن بابار. وبعدما ذاع صيت جان دي برونوف في فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة، وكان في السابعة والثلاثين من عمره، شرع في تأليف رواية "بابار في المنزل" لتحضير لوران وماتيو لتقبل شقيقهما الجديد تييري. وقد روى هذا الكتاب كيف ترعرعت توائم بابار الثلاثة "بوم" و"فلورا" و"ألكسندر" في كنف أسرة حنونة ومهذبة أيما تهذيب.

في تلك الفترة بدأ جان يعاني أوجاعا متواصلة في ظهره تبين لاحقا أنها ناتجة من سل في العظام. وكان العلاج الوحيد المتوافر تلك الايام اللجوء الى مناخ الجبل. فدخل جان عام ١٩٣٦ مصحا في جبال الالب. وبعد فترة قصيرة ظهرت رواية "بابار في المنزل" بالاسود والابيض في حلقات متسلسلة في مجلة "ديلي سكتش" اللندنية. وتقرر تعقيبها بمجلد كامل الالوان. لكن جان بات خائر القوى وعاجزا عن حمل فرشاة.

ويتذكر لوران يوم ودّع والده في أواخر سبتمبر (أيلول) ١٩٣٧ ليلتحق بمدرسته في باريس: "ما زلت أسمع الصوت الذي انبعث من بين شفتيه. كان همهمة، كأنه حاول أن يقول: أرجوكم لا تذهبوا." وتوفي جان بعد أقل من ثلاثة أسابيع، وكان لوران آنذاك في الثالثة عشرة من عمره، فواجه سخرية القدر تماما كما فعل بابار الصغير يوم قضت أمه.

عام ١٩٣٨ نشرت دار "هاشيت" في فرنسا رواية "بابار في المنزل" بألوان أضافها فنان في اشراف شقيق جان. ولوّن لوران صفحتين من الكتاب، وكان منذ العاشرة من عمره يملأ دفاتره برسوم فيلة. واتفق الجميع على أن مشهد الحضانة ذاك، حيث اجتمعت الاسرة بكاملها حول الاطفال، كان لافتا ومفعما بالحياة اكثر من سواه. ولكن عندما سألت

دار "هاشيت" سيسيل عما اذا كانت تحبذ اكمال السلسلة أجابت بأن بابار مات بموت زوجها.

بيع المنزل في شيسي ذلك العام، وانهار العالم باندلاع الحرب. وتعين على عائلة برونوف أن تتدبر أمرها وسط الحرمان والخوف من الاحتلال.

مغامرات جديدة. نجح لوران عام ١٩٤٤ في امتحانات البكالوريا* وكان تواقاً الى دخول عالم الفن على خطى والده وقال: "أنا حالم مثل أبي." وعلى رغم أنه كان موهوباً وبارعاً مما أتاح له عرض أعماله في "غاليري مات" في باريس أواخر الاربعينات، الا أنه لم يتخل عن رسم فيلة ترقص وتغوص في الماء وتلعب بكرة المضرب. فبابار كان جزءاً من عائلته ومن دفء الماضي يوم كان والده على قيد الحياة يصطحبه للتزلج وركوب الزوارق ولعب "الغميضة" والاستماع الى القصص. وهو شهد ولادة بابار ونشأته. ويقول لوران اليوم: "ان احياء بابار يعني، الى حد ما، احياء أبي."

عام ١٩٤٦ فكر لوران في انتاج كتاب والاستعانة بشخصيات ابتكرها والده على أن ترسم وتلوّن بأسلوب والده. وفرحت والدته كثيراً بالفكرة. واذ لم يكن مهيأ بعد لتكريس كتاب لبابار نفسه، فقد وضع كتاباً حول "أرتور" ابن عم بابار. كانت القصة بعنوان "ابن عم بابار: أرتور الشقي" وتمحورت حول الشقي الصغير الذي فر الى مطار سيليستفيل بينما كان بابار وأولاده الثلاثة المهذبون على شاطىء البحر. تسلق أرتور ذيل طائرة ليختبر المنظر من علٍ، وأقلعت الطائرة. فأشفق عليه أحد الركاب الفيلة فاستعمل تقنية "من خرطوم الى خرطوم" وجذبه داخل الطائرة من خلال النافذة. غير أن الطيار العصبي أعطاه مظلة ورماه خارج الطائرة. وانتهت رحلته بهبوط سليم.

هبط أرتور في غابة نائية تسكنها حيوانات الكنغر المضيافة. وعاش سعيداً بينها، لكن الفيل الصغير الطيب داخله شعر بضرورة العودة الى الوطن على رغم ادراكه أن توبيخاً صارماً ينتظره. فانطلق واجتاز مناطق مجهولة محفوفة بالمخاطر. ووصل أخيراً الى بلدة عربية. ومن كان ينتظره هناك؟ بابار طبعاً الذي بحث عنه طويلاً. وانتهت المغامرة بجلسة سعيدة حول أطباق من الفاكهة والفطائر.

ان التفاني الذي أبداه بابار في البحث عن أرتور ينسجم وتصرفاته المثالية، اذ أكثر ما يميزه عن سواه الاخلاص، أو ما يسميه لوران دي برونوف "الصداقة الحارة."

بعد انجاز "ابن عم بابار: أرتور الشقي" كرّس لوران وقته لبابار. وترافق الاثنان طوال ٤٥ سنة ملؤها الاخلاص. عاش لوران حياته على طريقة بابار، فكانت هانئة تخضع لسلطة الضمير. وتزوج بعد انجاز كتابه الاول وأنجب

(*) البكالوريا هي الشهادة الرسمية بانتهاء مرحلة التعليم الثانوي في المنهاج التربوي الفرنسي.

ولدين واستمر في تأليف مغامرات جديدة.

أب مثالي. كان انجاز كتاب واحد يستغرق سنة كاملة، منذ ولادة الفكرة حتى آخر لمسة تضفى على اللون والحوار. وربما استوحيت أحداث القصة أثناء نزهة في حديقة المنزل أو من مناظر استمتع بها لوران في رحلاته أو من خلال صور.

قلّة من القراء لاحظت تغيُّر الكاتب، مما سهل على لوران "ارتداء عباءة والده." لكن العنصر الاهم هو أن لوران لم يرث فن والده فحسب، بل قيمه أيضاً. فهو طُبع بالحنان والعاطفة والواجب والمسؤولية والتزم قيم العائلة المحافظة. فجسَّد بابار بصدق وهو يلعب مع أولاده أو يقف وزوجته متشابكي الذراعين يحدقان الى القمر.

لكن هذا لا يعني أن بابار لم يكن مغامراً أيضاً. فقد حلّق في منطاد وركب ظهر حوت وسبر الكهوف الجوفية وطار الى الفضاء الخارجي وعثر على الـ"وولي وولي"، وهو جنس جديد من الحيوانات، وصادف شبح البارون باردولا. لكنه في النهاية كان يعود دائماً الى منزله حيث سيليست والاولاد والطعام الجيد وموسيقى فرقة الفيلة العسكرية.

لوران اليوم في الخامسة والستين، وما زال محافظاً على جسمه الناحل الرشيق. ويعمل يومياً على طاولة رسم في منزل كبير قديم ضمن حرم جامعة وسليان في كونيتيكت حيث تعلّم زوجته الثانية الكاتبة فيليس روز مادة الادب.

ظهر ملك الفيلة خلال السنتين المنصرمتين على جمهور العالم من خلال فيلم سينمائي وبرنامج تلفزيوني. ويعتقد برونوف أن ما من سبب يحول دون استمرار بابار، فسيبقى على الدوام الاب والمستكشف ورجل الدولة والصديق المتسامح الهادىء الصارم الوفي في آن. ان وقع أحد أبنائه في الماء وواجه مشكلة فهو لن ينتظر السباح المنقذ بل سيغوص بنفسه لينتشله. واذا حصل حدث مثير في سان فرنسيسكو أو في قصر مهجور فسيذهب لمشاهدته. وستبقى مروج قصره "بونترومب" خضراء متقنة على الدوام. وستعانقه أجيال أخرى من الاولاد لانه يمدها بالدفء والسعادة.

روبرت فرنيك ■

أسرعي يا زهرة

كنتُ جالسة الى مكتبي في المخزن الكبير حين لمحتُ يداً تمتد فوقي لتلتقط الميكروفون (المذياع) الذي نتوجه به الى الزبائن. فلم أكلّف نفسي عناء التطلع لمعرفة صاحب اليد، مفترضة أنه احد المديرين المساعدين. وما لبثتُ أن سمعتُ صوت رجل يلعلع عبر مكبِّر الصوت: "أسرعي يا زهرة، فانا جاهز للذهاب."

ب.ي.

عبارات تجترح معجزات

تأخذ ثانية من وقتك لكن تأثيرها يبقى أبداً

أسرَّت مدبرة منزل شابة الى جارتها لعبارات الآتية: "قد أعتاد على لامبالاة لآخرين بما أقوم به عندما أبلغ المئة من عمري. ولو أن زوجي يطريني بين حين وآخر لكانت حياتي أسعد بكثير."

قليلون بيننا الذين يدركون كم نحن بحاجة الى التشجيع في حين أن علينا التنعم، من وقت الى آخر، بحرارة الثناء والا فقدنا ثقتنا بأنفسنا.

جميعنا بحاجة الى من يشعرنا بأننا مثار اعجاب ومصدر عون. ولكن كيف لنا أن ندرك أننا، زملاء أو أصدقاء، موضع تقدير اذا لم تسمع كلمات المديح؟

على من يريد تحسين علاقاته بالآخرين ان يبدي لهم تفهما ووداً خالصاً. وتعبيراً عن هذا التفهم، ومن اجل منح الآخرين شعوراً بالاهمية والتقدير، لا بد ان نبرز فيهم ميزات تستثير الاعجاب والثناء ونعددها لهم.

يحتفظ كل منا بصورة ذهنية عن ذاته. وعلينا أن نعايش هذه الصورة الذاتية ونحبها حتى نجد الحياة مرضية الى حد ما. وعندما تصبح هذه الصورة مدعاة فخر، نمتلىء ثقة ونشعر بأننا أحرار في أن نكون ما نحن ونعيش حياتنا على افضل وجه. ولكن حين نخجل من صورتنا الذاتية نعمل على إخفائها بدلا من التعبير عنها ونتحول اشخاصاً عدائيين يصعب التعاطي معهم.

وتحدث معجزة للمرء الذي يجزل احترام ذاته، إذ يصبح، فجأة، أكثر لطفا وتعاونا ويزداد حبه للناس. فالمديح هو بمثابة عملية صقل تبقي الصورة الذاتية لماعة متألقة.

ولكن، ما علاقة هذا بثنائك على الآخرين؟

إنها، في الواقع، علاقة وثيقة جداً. فانت تملك القدرة على اجتراح هذه المعجزة لدى الآخرين، وحين تزيد من احترامهم لانفسهم، تدفعهم الى التعلق بك والتعاون معك.

حرارة تذيب الجليد. نصح اللورد شسترفيلد[1] ابنه أن يحذو حذو دوق دي نيفرنوا[2] الذي قال: "سوف تدرك أن من يحمل الناس على الشعور بالرضا عنه هو الذي يجعلهم يرضون أولا عن أنفسهم."

يمكن تأثيرات المديح ان تكون كبيرة جداً في الواقع. فقد أوفد مرشد روحي للاهتمام بشؤون رعية لقبت "الثلاجة" لما عرف عن أفرادها من تحفظ حيال الغرباء، فارتأى تحاشي توجيه الانتقادات إليها وشرع، عوض ذلك، يرحب بالزوار اثناء القائه عظاته ويثني على ابناء رعيته لسلوكهم الودي. ومع الوقت تمكن من رسم الصورة التي أرادها ان تترسخ في اذهان ابناء الرعية مانحاً اياهم شهرة في الجوار تجعلهم قدوة للآخرين الامر الذي دفعهم الى التخلي عن عدائيتهم ازاء الغرباء.

المديح والصدق. تزداد فاعلية المديح اذا ما تلازم والصدق. فبعد يوم عمل شاق، ليس هناك ما يثلج صدر الاب مثل رؤيته اولاده وقد التصقت وجوههم بزجاج النافذة مترقبين عودته بصمت يضج بصدق التقدير والاعجاب.

ويساعد الاطراء في إزالة التوتر الذي يولده الاحتكاك اليومي مع الناس. ولا يصح هذا في أي أمر كما في الزواج. الا ان الاطراء قد يحظى بأقل نسبة من التقدير في المنزل الزوجي بخلاف أماكن أخرى. والزوج الحريص دائماً على التفوه بعبارات التشجيع في الوقت المناسب يبدو انه ألم باحدى اهم متطلبات الحياة العائلية السعيدة.

والاطفال، خصوصاً، متعطشون للثناء والتقدير. احرصوا على ايجاد ما يستحق الثناء لدى أولادكم وستكتشفون تحسنا ملحوظا في تصرفاتهم وقدراتهم.

ان التشجيع، من خلال الاطراء، هو الوسيلة الافعل لجعل اولادكم يبذلون أفضل ما في وسعهم.

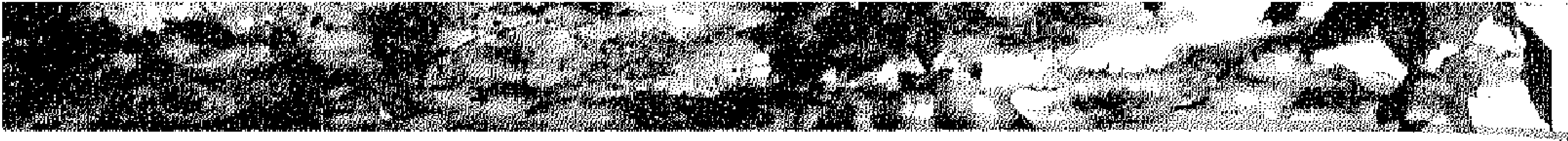
وكما يجد الفنانون متعة في اضفاء الجمال على الآخرين، كذلك سيجد من يمارس فن الاطراء ان هذا عطية للواهب والمتقبل على حد سواء. وقد صح المثل القائل: "ان الازهار تترك بعض أريجها في يد من يهبها."

غوتفريد ر. فون كروننبرغر ■

(١) مؤلف ورجل دولة بريطاني (١٦٩٤ - ١٧٧٣) في كتاب "رسائل ايرل شسترفيلد الى ابنه."
(٢) السفير الفرنسي في روما آنذاك.

نحن لا نربي أبطالا، بل ابناء. واذا عاملناهم كأبناء فسوف يغدون ابطالا، وإن في عيوننا نحن.

ولتر شيرا، والد احد رواد مركبة "ابولو" الماهولة الاولى



جنون المخدرات



بؤرة المخدرات المفتوحة في نيدل بارك حيث يعيش ٣٠٠ مدمن ويتوافد الوف آخرون.

تساهلت السلطات السويسرية طويلا حيال تجارة المخدرات وتعاطيها بحجة أن المدمنين يحتاجون الى تفهم وليس الى عقاب

ذات صباح قارس البرد من يناير (كانون الثاني) بدا جورج متردداً وهو يعبر جسر المشاة الحديد الذي يعلو نهر ليمات ويؤدي الى بلاتسبيتز، الحديقة العامة في زوريخ. قال لي هذا الشاب الناحل ابن الخمسة والعشرين: "يعتريني شعور مخيف عندما أعبر فوق هذا النهر. ففي الجهة المقابلة أحصل على المخدرات، ولكن هناك ايضاً تتربص بي عصابة من الألبان هددت بقطع عنقي إن انا لم ادفع ما علي... ولا قدرة لي على الدفع."

PHOTO: SIPA — PRESS

لكن الحاجة الماسة الى حقنة جديدة استبدت بجورج، فانطلقنا الى وجهتنا. وعندما ولجنا الحديقة رأينا عشرات الرجال والنساء يحقنون انفسهم بالمخدرات. ومشى في اتجاهنا، مترنحاً، رجل ممتلىء الجسم استعان بكلتا يديه لغرز ابرة في عنقه. ثم مال وهوى، فارتطم رأسه بالرصيف ومكث بلا حراك والمحقنة عالقة بجلده.

توجه جورج نحو كوخ أحاط به حشد من المدمنين المترنحين. هناك حصل على محقنة نظيفة مجاناً، واشترى مخدراً من تاجر ينتظر في الخارج. ثم عاد بعد ثلاث دقائق وجلس على حافة حجرية وكشف عن ذراعه اليسرى التي ملأتها الكدمات وشدها بشريط ضاغط حتى انتفخ وريد، ثم غرز الابرة بتأن تحت مرفقه.

***

حديقة بلاتسبيتز المعروفة باسم "نيدل بارك" (أي حديقة الابر) هي أسهل أسواق المخدرات منالا في العالم. تبلغ مساحتها ٦٨ ألف متر مربع وتقع على ملتقى نهري سيل وليمات قريباً من المتحف الوطني والمحطة المركزية للسكك الحديد في المدينة، وتبعد بضع مئات من الامتار عن بانهوفستراس أحد أفخم الشوارع التجارية في العالم.

وتتم في هذه الحديقة، على مدار اليوم، عمليات بيع وشراء واستهلاك للحشيشة والهيرويين والكوكايين وغيرها من أنواع المخدرات. ويعيش فيها، حتى في فصل الشتاء، نحو ٣٠٠ مدمن من دون ملجأ أو مراحيض أو وجبات طعام منتظمة. ويعرّج على الحديقة نهاراً ما معدله ٢١٠٠ مدمن وآخرون ممن يتعاطون المخدرات اتفاقا. وقد يصل عدد هذا الحشد الى ٤٠٠٠ في عطل نهاية الاسبوع.

وترتكب في هذه السوق الصاخبة يومياً اعتداءات وسرقات وأعمال اغتصاب. وقد قضى ١٧ مدمناً في السنتين الاخيرتين بسبب تناولهم جرعات مفرطة، وقتل أربعة آخرون بينهم شاب يدعى بيتر وهو بائع مخدرات في الثالثة والعشرين كان دائم الالحاح على أمه المريضة بالسرطان لتمده بالمال. وحين توسل اليها من جديد قال لها: "أرجوك، انها المرة الاخيرة." وبعد أيام عثر على جثته طافية في نهر ليمات وقد أوثقت يداه ورجلاه وكُمَّ فمه بشريط لاصق. واعترف مدمنان في التاسعة عشرة والثالثة والعشرين بأنهما قتلا بيتر على أثر شجار.

"سكّرا سكّرا"

ولد جورج وترعرع في بلدة صغيرة من كانتون أرغوفيا. وكان والده تقنياً كادحاً ووالدته نادلة، وكانا يحلمان بمستقبل باهر لابنهما. لكن هذا لم يبرع في العلم، وترك المدرسة وهو في السن الخامسة عشرة، وبدأ التمرس طاهياً في مطعم في بلدة مجاورة. وكان كل مساء، في طريق العودة الى منزله، يمر أمام "مركز الشباب المستقل" في زوريخ الذي أغلق لاحقاً

بسبب تفشي ادمان المخدرات فيه. وسرعان ما راح جورج يتردد على المركز بانتظام وبدأ يدخن الحشيشة.

ولما بلغ السادسة عشرة جرب الهيرويين، ولم يلبث أن تخلى عن تعلم مهنة الطهو. واكتشف والداه أمره أخيراً وانكرا بنوّته بعدما سرق سيارة والده ومبلغاً من المال. واتصلا بالشرطة وأودع جورج اصلاحية في مدينة بال.

وفي السنوات الست التالية سجن جورج غير مرة، وأرسل الى مدارس إصلاحية في كانتوني سان غال وبرن. وتعلّم البستنة في هذه الاصلاحيات. ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره تدبّر وظيفة وخطب شابة تعرّف اليها في بلدة صغيرة على مقربة من زوريخ. لكنه غرق مجدداً في حال من الاكتئاب اذ قضت خطيبته نتيجة تناولها جرعة مفرطة من المخدرات، وانتهى به الامر في نيدل بارك.

***

ظلت حديقة بلاتسبيتز طوال قرن فسحة للنزهات العائلية، بمروجها الجميلة المظللة بأشجار الدلب والقيقب والزيزفون. ثم بدأ المدمنون عام ١٩٨٥ يترددون اليها بعدما طردتهم الشرطة من أماكن تجمعهم على ضفاف نهر ليمات وبحيرة زوريخ. وبحلول العام ١٩٨٨ أحكموا سيطرتهم على الحديقة. وها هي اليوم قد غطت أنحاءها محاقن وعلب طعام فارغة، ولطخت ممراتها المرصوفة بقع دم تسربت من المحاقن المرمية، وصارت مرتعا للجرذان. وترى، أينما نظرت، ملاعق وأكوابا من الورق وإبراً وغير ذلك من المقتنيات الشخصية متناثرة هنا وهناك. وفي هذا المكان يحضر "كوكتيل" من الهيرويين والكوكايين ويعبأ في المحاقن عبر فلترات السجائر.

ويتجول تجار المخدرات في أرجاء الحديقة ويبيعون بضاعتهم ويروجون لها من غير أن يخشوا رجال الشرطة الحاضرين أحيانا.

وترتفع أصواتهم معلنة: "سكُر! سكُر!" ويختلط مراهقون شاحبون وشبان متأنقون بمروجين مخدَّرين فقدوا كل احساس، فيما يتمدد مدمنون آخرون على العشب أو يفترشون الارض الصلبة، لا يرد عنهم البرد سوى بطانيات رقيقة.

حقل مغناطيسي

يقول جورج: "اجوب المنطقة التجارية كل صباح مستجديا المال. وفي ساعتين او ثلاث ساعات اجمع نحو ١٠٠ فرنك (٧٠ دولارا) فاعود الى نيدل بارك واحصل على اولى جرعتين او ثلاث احتاج اليها يوميا." ويضيف: "التسول شاق جداً، لكنه افضل من السرقة او الاتجار بالمخدرات أو ممارسة البغاء." ويبقيه جمع المال وشراء الهيرويين منشغلا حتى حلول الليل، فينام مفترشاً أرض الحديقة او ياوي الى "ليتندورف" وهو مجمع ثكن مجاور للمشردين.

***

تتقبل سلطات المدينة واقع نيدل بارك اعتقاداً منها أن المدمنين ليسوا مجرمين

بل مرضى يحتاجون الى مساعدة. لذا، وعلى رغم حظر تعاطي المخدرات في سويسرا، لا توقف شرطة زوريخ وغيرها من المدن السويسرية أحداً، عادة، بتهمة حيازة المخدرات. وبما أن القانون السويسري لا ينص الا على معاقبة من يبيع المخدرات بكميات كبيرة بالسجن مدداً طويلة، فقد درج تجار المخدرات في بلاتسبيتز على حمل كميات صغيرة من المخدرات يسهل التخلص منها أو الادعاء بأنها للاستهلاك الشخصي. ويقول برنار فازر رئيس قسم مكافحة المخدرات في شرطة زوريخ: "لقد أحطنا المدعي العام علماً بتجار المخدرات والمدمنين، لكن تعاطي المخدرات يعتبر مجرد جنحة خفيفة، فليس هناك ما تستطيع الشرطة أن تفعله."

وأظهرت التحريات الدورية التي تجريها الشرطة أن نصف الذين يتعاطون المخدرات هم دون السن الثانية والعشرين. وتبين عام ١٩٩٠ أن ٢١ في المئة فقط من المدمنين هم من سكان زوريخ، في حين قدم ٤٧ في المئة من مناطق أخرى في كانتون زوريخ ومن كانتونات سويسرية أخرى. ويمثل المدمنون الاجانب نسبة ١٢ في المئة، بينما لم تحدد عناوين الباقين. ويوضح توماس هاغ رئيس قسم الشرطة الجنائية في المدينة: "ان هذه الارقام تثبت أن بؤرة المخدرات في زوريخ حقل مغناطيسي يسهل فيه العثور على وسطاء وتجار."

ولما كانت مبيعات المخدرات تقدر بثلاثمئة مليون فرنك (نحو ٢٠٠ مليون دولار) فقد نشطت الجريمة المنظمة في نيدل بارك.

وفي العام ١٩٩٠ أوقف ٣٦٢ تاجر مخدرات بينهم ١١٤ سويسرياً و٦٠ تركياً و٥٠ يوغوسلافياً و٣٠ ايطاليا.

وعبر السنين، تغيرت سياسة المخدرات جذرياً في زوريخ. ففي البدء لاحقت السلطات السوق غير المشروعة أينما حاولت أن تجد موقعاً، الى أن استقرت في بلاتسبيتز حيث اعتقدت السلطات أنه يسهل احتواؤها. وترى الحكومة الحالية للمدينة ضرورة السماح ببقاء بؤرة المخدرات هذه "في الوقت الحاضر" ومساعدة المدمنين من خلال الحاقهم ببرامج تأهيل شاملة يمولها القطاعان العام والخاص.

وكانت النتيجة أن نشط نحو ٤٠ مؤسسة رسمية وخاصة في تأمين استشارات نفسانية وفرص عمل وعناية طبية للمدمنين. وللمثال، افتتح في الحديقة فرع لـ"البرنامج الرائد لمكافحة الايدز" في كوخ يؤمن للمدمنين مساعدة طبية ومحاقن مجانية. (أظهرت الاحصاءات أن نحو ٢٠ في المئة من المدمنين في الحديقة يحملون فيروس الايدز.) كما يوزع البرنامج "طواقم" ابر يحتوي كل منها على ثلاث محاقن ومطهر ومواد كيميائية لاذابة المخدرات وتعليمات عن الطريقة الصحيحة للحقن تنتهي بعبارة "جرعة منشطة!"

يؤكد جورج: "أنا ضد نيدل بارك. فهي مكان فاسد. وقد حاولت مراراً التخلص من عادة الادمان لأبدأ حياتي من جديد، لكنها خطوة صعبة، خصوصاً أن هناك متجراً كبيراً للمخدرات يؤمن كل الخدمات مجاناً"

مهزلة قانونية

اقترحت سلطات المدينة في مايو (أيار) ١٩٩٠ إنشاء ثلاث "غرف جرعات" حيث يحقن المدمنون أنفسهم تحت إشراف طبي. وتقول اميلي ليبرهر وهي عضو في مجلس الشورى في المدينة: "هذه الغرف مهمة جداً طبياً، فهي تساعد على تفادي انتشار الايدز." والى ذلك، تبرر حكومة المدينة اقتراحها بحاجة المدمنين الى أمكنة دافئة في الشتاء لحقن أنفسهم، حيث تتوافر ابر نظيفة واشراف طبي جاهز. ويدعو الجزء الثاني من مشروع ليبرهر المقترح، والذي تبلغ موازنته ٢٦ مليون فرنك (١٨ مليون دولار) الى توسيع نظام الدعم الحالي وإنشاء مراكز استشارات جديدة ومقاهٍ ووضع برامج عمل وتسهيلات سكنية تشرف عليها السلطات.

وفي ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩٠ صوّت سكان زوريخ ضد انشاء "غرف الجرعات"، لكنهم وافقوا على الجزء الثاني من المشروع "الاجتماعي."

وتقدمت ليبرهر باقتراح أكثر اثارة للجدل حين دافعت عن فكرة توزيع الهيروبين تحت اشراف طبي على الاشخاص الذين بات صعباً عليهم التخلص من الادمان. وفوق ذلك، تعهد مجلس شورى المدينة في بيان نشر في يوليو (تموز) ١٩٩٠ العمل على جعل تعاطي المخدرات قانونياً.

ونتيجة ذلك بدأ صبر سكان زوريخ ينفد. وحذر المدعي العام لينو ايسيفا من عواقب هذه الخطوة قائلا: "ان الدفاع عن حرية تعاطي المخدرات يعني إطالة عمر هذه البؤرة وإضفاء الشرعية على ترويج المخدرات واستسلام مجتمعنا لتجارها."

ويقول هاغ: "لقد عانى ألوف المواطنين مساوىء هذا الوضع. ففي العام ١٩٩٠ وحده ارتكب مدمنو المخدرات أكثر من ٤٠ عملية نشل و٣٠٠ عملية سرقة وأكثر من ٣٠٠٠ سطو في زوريخ للحصول على المخدرات."

وازداد العنف في أرجاء المدينة. ففي العاشرة من مساء ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠ هاجم رجلان شابة كانت تهمّ بركوب قطار في محطة زوريخ، على مرأى من شهود لم يتدخلوا خوفاً. وهما ضرباها على وجهها وانتزعا حليها وأجبراها، تهديداً بسكين، على مرافقتهما الى نيدل بارك حيث اعتديا عليها.

ويزداد خوف السكان بارتفاع نسبة الجرائم المرتبطة بالمخدرات. جانيت زلفيغر قيِّمة على مبنيين سكنيين في الوسط التاريخي لمدينة زوريخ، وهي لا تجرؤ على الخروج بمفردها بعد الحادية عشرة ليلا خوفا من الاعتداءات. وتنصرف في الصباح الى إزالة المحاقن

المرمية في فناء المبنيين قبل عبور أولادها الباحة في طريقهم الى المدرسة.

ويعيش أصحاب المتاجر والمطاعم هاجس هرب الزبائن والتعرض المتكرر للسرقة. ويشتكي أحدهم من الوضع السائد قائلا: "يسرق المدمنون كل ما تقع عليه أعينهم. وقد تعرضنا للسرقة خمس مرات في شهرين."

ويستبد القلق بالأولياء والمعلمين الذين يخشون تأثير اغراءات المخدرات في أولادهم وطلابهم. ويقول اميل غرابير وهو استاذ في مدرسة مهنية مجاورة وعضو في برلمان المدينة: "ان نيدل بارك كارثة حلت بنا. لقد اجتاح المدمنون مدرستنا وراحوا يحقنون أنفسهم في المراحيض ويسرقون السيارات من المرأب." وتخضع مداخل المدرسة للحراسة، وقد سيّج فناؤها احتياطاً.

وتنامت نقمة السكان وعلت تساؤلاتهم حول أسباب انتشار بؤرة المخدرات وارتفاع نسبة الجرائم بهذه السرعة على رغم الملايين التي تنفق لمعالجة الوضع. ويقول هانز فراي رئيس مركز "فرنكنتال" لاعادة تأهيل المدمنين: "ان سياسة المساعدة المكثفة المتبعة منذ ١٩٨٩ تجعل المدمنين أكثر اتكالا على المجتمع." ويضيف هاغ: "لم يعد المدمنون في حاجة الى مواجهة مشاكلهم. فمنذ بدأ مجلس مدينة زوريخ تقديم خدماته اليهم عام ١٩٨٩ في بلاتسبيتز، اتسعت بؤرة المخدرات واجتذب نيدل بارك مدمنين من أنحاء سويسرا والدول المجاورة. ان في هذا الدعم مؤشراً لقبول رسمي، ان لم يكن تشجيعاً على تعاطي المخدرات."

وأكد مندوبو شرطة زوريخ في قرار أصدر في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠ أن السياسة المتبعة في معالجة قضية المخدرات تهزأ بالقانون. وأعلن دنيال فوهرر رئيس اتحاد الشرطة المدنية: "يقع اللوم على مجلس المدينة إن هو تقبل واقع المخدرات."

وفي ٣ ابريل (نيسان) ١٩٩١ أعلن أولي فيدر المدعي العام لكانتون زوريخ أن شرطة المدينة ستكثف عملياتها ضد الجانحين المدمنين.

"أنا مصاب بالايدز!"

يقول جورج: "أنا مصاب بالايدز، ولا أعلم ما اذا كان لدي أمل بالشفاء. ولكن في وسع الذين لا يحملون هذا الفيروس أن يبدأوا حياة جديدة. الامر منوط بهم. وأهم من ذلك، يجب تحذير الشباب من مخاطر تعاطي المخدرات، وإن جرعة واحدة، وابعادهم عن نيدل بارك الكفيل بتدمير حياتهم."

***

يقدر عدد مدمني المخدرات في سويسرا بنحو ١٥ ألفاً. وقد ابتليت مدن سويسرية أخرى مثل بال وبرن وسان غال ببؤر مخدرات. ولكن ليس هناك مكان يتجلى فيه البؤس كما في نيدل بارك. وواضح أنه آن الاوان للسيطرة على هذه الآفة.

فماذا يتعين على السويسريين أن يفعلوا؟

□ أن يقولوا "لا" للمخدرات. يؤكد هوغ: "ان رفض كل أنواع المخدرات هو الطريقة الوحيدة لمحاربة الادمان." وعلى الأولياء والمعلمين والشرطة والقادة السياسيين شن حملات منسقة لاطلاع الجمهور علي مخاطر المخدرات ووضع عراقيل تصعّب الحصول عليها.

□ وقف نشاط تجار المخدرات. تعمل دول اوروبية، مثل ايطاليا وأسوج (السويد) وهولندا، على أخذ اجراءات صارمة في حق تجار المخدرات ومدمنيها. حري بسويسرا ايضا ملاحقة تجار المخدرات ومحاكمتهم بفاعلية أكبر. يقول هوغ: "لانجاز هذه الخطوة، علينا زيادة العناصر والموارد في دوائر الشرطة والجمارك ومكافحة المخدرات." ويشدد بيتر سبالتي، العضو في مجلس الشورى الوطني، على أهمية محاربة المافيا العالمية للمخدرات من خلال دعم "صندوق الامم المتحدة لمكافحة تعاطي المخدرات."

□ وضع حد للشقاء في نيدل بارك. يقول اميل غرابير: "ان نفض بؤرة المخدرات العلنية يعني إبعاد الفضوليين والقادمين الجدد فقط." لذا يتوجب اخلاء الحديقة من المدمنين الاجانب أيضا وإعادة المدمنين السويسريين الى مجتمعاتهم للعلاج. فبتطبيق هذه التدابير تصبح زوريخ في موقع أفضل يخولها مساعدة مدمنيها هي ووضع حد لبؤرة المخدرات في نيدل بارك.

□ مساعدة المدمنين ليساعدوا أنفسهم. وهذا يعني تأمين برنامج علاج شامل للمدمنين في مركز اعادة تأهيل خاص وليس داخل بؤرة مخدرات مشرّعة الابواب، وتحميلهم تبعة أعمالهم وإرغامهم، عند الحاجة، على الخضوع للعلاج أو على تنفيذ فترة عقوبة.

إن إزالة نيدل بارك وبؤر المخدرات في أجزاء أخرى في سويسرا هي مسؤوليتنا. لكن لا يمكن التعويل كليا على البرامج التي تمولها الحكومة.

ان الانتصار في هذه الحرب على المخدرات يتطلب تصميما ومثابرة من المسؤولين والتزاما من الشعب.

***

تراود جورج احلام حلوة ايضا: "سوف اتخلى عن المخدرات قريبا، واستقر في الجبل مع اصدقائي. امنيتي أن اصبح حرفيا فنيا وان اعزف على الغيتار وابتعد عن المشاكل. انا لا احتاج الى شفقة. لقد تعلمت ان احدا لا يستطيع مساعدتي ما لم أساعد نفسي."

رينه غييه ■

لن يتمكن علماء الارصاد الجوية من حل اسرار الطقس حتى يفهموا العلاقة الحميمة بين المطر وعطلة نهاية الاسبوع.

ش. س.



عمل الزوجة مشروع انتحار؟

الواجبات المنزلية لا تُمهل والوظيفة تأكل ساعات النهار والاولادُ يأكلون ويمرضون ويشاغبون فماذا يفعل الزوجان العاملان؟

تشتكي ايمي فيلن: "لدي وظيفة جيدة وأنا سعيدة مع زوجي وقد رزقنا الله ولدين رائعين، لكننا نكاد لا نمسك زمام حياتنا العائلية، إذ ان ارتباطاتنا اليومية تقيدنا بحيث بات كل شيء معرضا للانهيار."

ايمي مدرّسة في الحادية والاربعين من العمر، وزوجها دون محام في الثانية والاربعين، ولهما ولدان: ديفيد (٨ أعوام) وكاترين (٣ أعوام). وحين تكون الامور "على ما يرام" توقظ ايمي زوجها صباحا بعد أن تستحم. ثم تملأ فنجان قهوة مخصصا للاستخدام اثناء الانتقال في السيارة، وتنطلق الى مدرستها في تمام السابعة والثلث. ويوقظ دون الولدين ويعد لهما طعام الفطور، ثم يوصل ديفيد الى المدرسة وكاترين الى روضة الاطفال، ويتوجه الى مركز عمله في الوسط التجاري للمدينة.

تصطحب ايمي الولدين بعد انتهاء

الدوام المدرسي، فتوصل ديفيد الى النادي الرياضي، في طريقها الى المنزل حيث تعد العشاء قبل أن تعود الى النادي لاحضار ديفيد، وتبقي الطعام ساخناً الى حين وصول زوجها أو حتى يشعر ديفيد وكاترين بالجوع. ولا يكاد الولدان يغفوان حتى يكون التعب استبد بالزوجين فيتهالكان على سريرهما وينامان.

لكن الامور لا تسير دائما على هذا المنوال، وإذا بالمشكلات تتوالى الواحدة تلو الاخرى بوتيرة تفقد الصواب. فتلمّ بأحد الولدين وعكة صحية، أو يطول اجتماع ما، أو تشهد الطريق الرئيسية ازدحاماً في حركة السير. وفي كل مرة يضطر دون وايمي الى التلاعب ببرامج مواعيدهما ومعاناة كآبة وقلق يعرفهما كل زوجين عاملين. ويحدث أحيانا أن يصب أحدهما جام غضبه على الاخر.

يقول دون: "نحاول ألّا ندع الاجهاد يؤثر في علاقتنا، ولكن من المستحيل أن تبرع في عملك وأن تكون والداً وزوجاً ناجحاً في آن. فالتوتر ينال منا احيانا وننهار."

ولا توفر وطأة الاجهاد أحداً، لكن الازواج العاملين يتعرضون لضغوط لم تكن شائعة في الماضي. ويصعب حاضراً انشاء أسرة من دون تأمين دخلَيْن. وعلى كلا الزوجين أن يعملا ويتقاسما المسؤوليات الاسرية. ولكن من شأن تضارب هذه الالتزامات المزدوجة أن ينال من القدرات الكفاحية لأي انسان.

يقول آلن الكين مدير "المركز الاستشاري لمعالجة الاجهاد" في مدينة نيويورك، إن بعض الازواج العاملين الذين يستشيرونه لا يتحادثون أكثر من ١٥ دقيقة يوميا، ويقتصر معظم حديثهم على مسائل منزلية كدفع الفواتير والاهتمام بالأولاد. ويضيف: "لقد بلغ بهم الانهاك حداً اضطرهم الى العزوف عن نشاطات تدخل المرح الى علاقاتهم."

وتتمثل الاشارة الاولى الى تدهور العلاقة بين الزوجين العاملين في فتور العلاقة الجنسية بينهما. ولكن تسبقها أعراض أخرى مثل حدة الطبع ونفاد الصبر وافتقاد روح الدعابة والأرق وتناول الكحول أو الادوية على نحو متزايد وشعور عام بأن الحياة لم تعد حلوة. ويشرح الكين الأمر: "إن لم تستمتعا بأوقاتكما خارج السرير، فمن الصعب أن تجدا هذه المتعة في العلاقة الجنسية."

اذاً، ماذا يمكن الزوجين العاملين أن يفعلا؟

اليكما ما يقترحه الخبراء:

١. **ضعا قائمة.** يقول الكين: "يعتقد معظم الازواج أنهم يعرفون أسباب انزعاج شركائهم، لكنهم غالبا ما يجهلونها في الحقيقة."

ليخصص كل منكما نصف ساعة لوضع قائمة بالامور التي تزعجه، ثم قارنا القائمتين. فقد تفاجأان. واقسما القائمة قسمين: الامور التي يمكنكما تغييرها والامور التي تعجزان عن تغييرها. وليكن جزء من دعائكما:

"امنحني يا رب صفاء لتقبل الامور التي لا أستطيع تغييرها، وشجاعة لتغيير الامور التي أستطيع، وحكمة لأفرّق بين هذه وتلك."

٢. **دققا في موازنتكما**. ما هو المبلغ الذي تحتاجان اليه فعلا؟ يقول ريتشارد فريدمان وهو اختصاصي بمعالجة الارهاق وأستاذ في الطب النفساني في جامعة نيويورك: "قد لا تكونان، كلاكما، مضطرَّين الى العمل دواما كاملا. قد لا تتمكنان من شراء سيارة جديدة أو تمضية اجازة خارج البلاد إن لم يعمل أحدكما طوال النهار، ولكن من المحتمل جداً أن تشعرا بسعادة أكبر."

رأت ديبي شوستر، وهي محامية في الثلاثين من عمرها، أن التحاقها بكلية الحقوق لم يترك لها سوى وقت قصير جداً تمضيه مع زوجها وطفلهما. لذا آثرت، بعد تخرجها، العمل دواما جزئياً.

وتقول: "لا أزال اتمنى لو تتاح لي فترة أطول مع زوجي، لكن العمل دواماً جزئياً يؤاتينا مادياً، وهو خير تسوية بين العائلة والمهنة."

وماذا اذا توجب على الزوجين كليهما العمل دواما كاملاً للتمكن من دفع المستحقات؟ إن من شأن تدوين المصاريف أن يخفف الضغط على نحو ملحوظ.

كارين هامر معلمة سباحة في السابعة والاربعين من عمرها، وهي تتولى دفع فواتير العائلة. لكن زوجها فرانك يغتاظ إن هو لم يطلع على طريقة انفاقها المال. لذا تدون كارين في دفتر صغير كل النفقات الشهرية، بدءاً بأقساط ثمن المنزل والسيارة وصولا الى الهدايا ووجبات الطعام خارج المنزل. وتقول: "تساعدنا هذه الطريقة على معرفة وجوه انفاق المال، مما يخفف قلقنا."

٣. **ضعا سلم أولويات**. لنفترض أنك اتفقت مع صديق على الذهاب الى السينما، لكن زوجتك طلبت منك البقاء في المنزل مع الأولاد لأنها دعيت فجأة الى عشاء عمل. فأي منكما أحق بالخروج؟

يقول فريدمان: "إن أي تعديل في البرنامج يسبب توتراً، ولكن ليس اذا اتفقتما على الأولويات. وتبرز المشاكل عندما تبقى الأسباب مبهمة، أي عندما يقول أحد الزوجين للآخر: "لقد طرأ علي شاغل، وعليك تغيير مشاريعك." ومن منا لا يستاء من تلقي أوامر كهذه؟"

غالبا ما تتقدم المسؤوليات المهنية على سواها. ولكن من الضروري إعطاء مشاكل الشريك الأولوية. يقول ك. ديفيد جنكينز أستاذ الطب النفساني والعلوم المسلكية في جامعة تكساس: "ان الدعم المتبادل عنصر أساسي في العلاقات. أطلب من زملائك في العمل أن يقاطعوك، أيا تكن مشاغلك، عندما تتصل زوجتك وتقول إن الامر مهم."

٤. **أعيدا تقويم مسؤولياتكما**. ألقيا نظرة جدية على أوضاع العمل

العائلة والالتزامات الخارجية. ما الذي تستطيعان الاستغناء عنه أو تقاسمه أو انتداب آخرين للقيام به؟ ربما يستطيع أحد الزملاء أن ينجز جزءاً من التقرير الذي تعده. أو قد تتفق مع أولياء آخرين على تناوب ايصال الاولاد الى تمارين كرة القدم. وما رأيك في إعادة النظر في رئاستك تلك اللجنة؟

كونا عادلين خصوصاً في توزيع المهمات المنزلية اليومية. ضعا لائحة بكل ما يجب انجازه، ثم تفاوضا على إمكان اقتسام الأعباء بانصاف.

وينصح فريدمان: "ان الاوقات التي يمضيها الازواج العاملون ثمينة جداً. حاولا الا تغرقا في الاعمال التافهة. واذا كانت موازنتكما تجيز لكما استخدام بعض الأشخاص، فلِمَ لا تكلفان احد أولاد الجوار تنظيف الفناء أو تأتيان بمدبرة لتنظيف المنزل؟"

٥. اقتطعا أوقاتاً كافية للحظات الحميمة. يقول الكين: "درج الازواج على منح شركائهم البقية الباقية من اليوم، لذا اجتمعا متى كنتما تتمتعان بنشاط." وإن تملككما التعب في المساء فتواعدا على تناول الغداء معاً في اليوم التالي. تابعا اعلانات الحفلات الموسيقية والمسارح، واشتريا بطاقات قبل الاوان. خططا لقضاء أيام العطل معاً.

تعمل ماري سويفت (٣٥ عاما) مساعدة قانونية، وزوجها توماس اختصاصي بالبصريّات. وقد اتفقا مع عائلتين اخريين على الاستعانة بحاضنة أطفال لعشيات أيام السبوت، على أن يدفعوا لها أجرة أربع ساعات اسبوعيا، ولو لم يحتاجوا اليها. وهذا الاتفاق مربح للعائلات الثلاث، حتى إن قررت عدم الخروج في أسبوع معين، وهو مربح كذلك للحاضنة التي أمنت لنفسها دخلا ثابتا.

اجعلا التمارين جزءاً منتظما من حياتكما اليومية. تنزها معا والعبا كرة المضرب وتعلما أنواع الرقص. فالتمارين تحدث تغييراً في الجسم يحسِّن المزاج ويخفف الضغط.

وأهم من ذلك التخطيط للعلاقة الجنسية. والاعتقاد بأن العلاقة العفوية هي فضلى العلاقات الجنسية على الاطلاق مجرد خرافة، فضلا عن أن انهماك كثيرين من الأزواج العاملين في أعمالهم ومشاكلهم يجعلهم عاجزين عن التصرف عفويا. فاذا لم يحددوا مواعيد للعملية الجنسية عجزوا عن ممارسة الجنس. وتقول لوان كول وهي اختصاصية بالمعالجة في سان فرنسيسكو: "ان التخطيط يحسِّن الاداء عادة، اذ يوفر الوقت لامور تعزز المزاج الجيد."

٦. استعينا بعنصر المفاجأة. غالبا ما يقع الأزواج في الرتابة ولا يبادرون الى تحسين الأمور. ويشرح الكين: "اني أطرح هذا السؤال باستمرار: ما الذي تستطيع فعله الآن

ويحظى باستحسان زوجتك؟ وعندما يخبرني الزوج بما في امكانه أحضّه على تنفيذه. فالمفاجآت السارة هي دائماً خطــوة فــي الاتجــاه الصحيــح." و"المفاجأة" تعني كسر "الرتابة." فإن اعتمدتما الاحتفال بالمناسبات الخاصة بتناول العشاء في مطعم، غادري عملك باكراً واعدّي وليمة فاخرة في المنزل. أو فاجىء زوجتك بأمر ما تشتكي هي أنك لا تفعله أبداً.

من يدري؟ فبعد تعزيز علاقتكما بحيث تصمد وسط البرامج اليومية، قد تتمكنان من التلاعب بأزمات العمل ومواجهة ازدحام حركة السير والوصول الى المنزل لتفاجأا بحوالة مرفوضة وتتحملا أولادا مشاغبين وتحتفظا، على رغم ذلك، بنشاط كاف للمزاح واقتراح قضاء "فاصل" حميم مع ذلك الشخص المميز الذي أمضى، هو أيضا، يوماً مضنيا.

مايكل كاسلمان ■



شارع الانس

غداة ولادة طفلتي انطلقت الى عملي في توزيع البريد. وعندما اقتربت من أول منزل في شارعي المفضل، حيتني ربة البيت بابتسامة وناولتني كيساً كبيراً قائلة: "سوف تحتاج اليه."

كانت على حق. فاذ سرت من أول الشارع الى آخره كانت هدية تنتظرني على كل صندوق بريد، من ثياب اطفال الى حرامات محوكة باليد الى احذية لطفلتي الجديدة.

ج.ن.

توأمان!

يعمل زوجي مندوباً لشركة تبيع ادوات منزلية. كان في أحد مخازن الشركة ذات يوم، فرأى زوجين مهتمين بثلاجة. اقتربا منه مستوضحين، فاخذ يعدّد لهما مزايا الثلاجة ومواصفاتها.

وبعد قليل توجه زوجي الى مخزن آخر للشركة يقع في شارع مجاور. ولم ينقض نصف ساعة حتى دخل الزوجان اياهما لمقارنة الاسعار. وكان موظفو المبيعات مشغولين، فاهتم زوجي بالاجابة عن أسئلتهما. وحين انهى حديثه سألته المراة: "اتدري ان ثمة بائعاً آخر يشبهك تماماً يعمل في مخزن قريب؟"

فرد زوجي مازحاً: "انه شقيقي التوام."

قالت المرأة: "في هذه الحال، سوف نأتي اليك انت عندما نقرر الشراء، فانت افضل كثيراً من شقيقك."

ب.هـ.

كتاب الشهر

مغامر في حياة ملكة

بقلم تشارلز و. سميث

مُغامِرٌ في حَياة مَلِكة

جنى جوزف وايتسايد بويل ثروة لا يستهان بها ابان "حمّى الذهب" في منطقة كلونديك بكندا. أما ما استهواه فعلا فكان حب المغامرة التي عاشها "مرتزقاً" يحلّ حيثما يلوح بارق ربح أو متعة أو إثارة. وهذا ما حمله عام ١٩١٧ الى روسيا التي عمّتها اضطرابات الثورة، ومن ثم الى رومانيا الغارقة في الحرب حيث وقع في غرام ملكة جميلة رومانسية اسمها ماري، كرس خدماته لها ولقضيتها باعثاً في الأذهان صورة الفرسان النبلاء في بلاطات ملوك بريطانيا. وهذه قصتهما وقصة الظروف العاصفة التي جمعتهما، وهي تستند الى سِيَر منشورة وتلقي بعض الضوء على حياة هذا الكندي الفاتن.

ILLUSTRATIONS: GREG RUHL



٧ مارس (آذار) ١٩١٨

عزيزي جورج،

قُطعت عنا الامدادات وتعرضنا للخيانة وأحاط بنا الاعداء من كل جانب، فاضطررنا الى الاستسلام على رغم الروح المعنوية العالية التي تحلى بها جنودنا. أما أنت فلسوف تحارب وتنتصر، ويوم تنتصر لا تنسَنا. وحتى حلول تلك الساعة المباركة، استودعك الله يا جورج. فأنا على وشك مواجهة مصير اكثر سوادا مما يسعني تصوره. وكم كنت افضل الموت مع جيشنا حتى الرجل الأخير على الاعتراف بهزيمتي. كيف لا وفي عروقي دم انكليزي.

ابنة عمك المحبة،

ميسي.

- رسالة الى جورج الخامس ملك بريطانيا من ماري ملكة رومانيا.

ليس عجباً أن تستسلم ماري، ملكة رومانيا الانكليزية المولد، لليأس والقنوط. فجيوش القوى المركزية - ألمانيا والنمسا وهنغاريا وتركيا وبلغاريا - زحفت الى عمق البلاد. وسقطت العاصمة بوخارست وأُخلي البلاط الملكي ومقر القيادة العسكرية ونقلا إلى بلدة ياشي المتاخمة لحدود مقاطعة بيسارابيا الروسية. وفي ٧ مارس (آذار) ١٩١٨، يوم كتبت ماري رسالتها، أُجبر زوجها الملك فرديناند على توقيع معاهدة سلام أولية جائرة.

ولم يكن ممكنا تلقي أي مساعدة من روسيا، حليفة رومانيا الأقرب في تلك الآونة، إذ تنازل القيصر نقولا الثاني - نسيب ماري - عن عرشه قبل سنة وسجنه البولشفيون هو وعائلته، وأجرت الحكومة الثورية مفاوضات في شأن معاهدة سلام مع ألمانيا وأعلنت الحرب على جيش رومانيا المنهك.

وسط هذه الأجواء الكئيبة، وصل ضابط كنديّ قوي البنية أزرق العينين الى بلاط رومانيا مساء ٩ مارس (آذار) ١٩١٨. خلع معطفه المبلل ومشى عبر قاعة الاستقبال وجزمته الموحلة تلطخ السجاد الفاخر.

تقدمت ماري (٤٣ عاماً) والعيون تتابعها، لتحية المقدَّم جوزف وايتسايد بويل، وسألته بوجه جميل متعب: "هل جئت لمقابلتي؟"

أجاب بويل: "لا يا سيدتي. جئت لمساعدتك. لكم أنت في حاجة الى مساعدة!" ثم تناول يدها الممدودة بقبضة محكمة.

وقد صرَّحت ماري لاحقاً: "تفاهمنا لحظة تصافحنا، وكأننا لم نكن يوما غريبين." في تلك الأمسية جلستْ ماري مع جو بويل لساعات. وقد جاء في مذكراتها: "فتحت

له قلبي. وعندها همَّ بالذهاب قلتُ إن الجميع تخلوا عني، فرد بهدوء: أنا لن أفعل. وكانت قبضته حين صافحني قوية كالحديد."

لم يكن جو بويل فارسا شاباً يخطر بدرع برّاقة. فهو بلغ الحادية والخمسين من عمره وجنى ملايين الدولارات من ذهب كلونذايك. لكنه أقسم أن ليس من قوة سترغمه على التخلي عن ماري ما دامت هي وبلادها في حاجة إليه، وأحسَّ عندئذ بالحب الحقيقي يتسرب الى قلبه للمرة الأولى في حياته.

العروس الطفلة

وُلدت ماري ألكسندرا فكتوريا، الملقبة ميسي تحببا، يوم ٢٩ أكتوبر (تشرين الأول) ١٨٧٥ في إيستويل هاوس، وهو قصر ريفي في مقاطعة كنت البريطانية من الضخامة بحيث لم يتسنَّ لها ولشقيقاتها الثلاث استكشاف جميع غرفه. وكان والدها الفرد، دوق ادنبره وثاني أبناء الملكة فكتوريا، قائداً بحريا وأرستقراطيا وسيما نموذجيا ورياضيا صموتا.

وكانت والدة ميسي، الروسية المولد وابنة القيصر ألكسندر الثاني، زوجة غير سعيدة كرَّست نفسها لأولادها. ذكرت ماري: "أحبَّتنا ماما بعاطفة قوية. كانت ماما هي التي نلوذ إليها، ماما هي التي تقبِّلنا قبل أن ننام، ماما هي التي توبخنا أو تثني علينا."

وفي العام ١٨٨٦، عندما بلغت ماري الحادية عشرة من عمرها، أُولي والدها قيادة الأسطول الملكي في البحر الابيض المتوسط. فانتقلت العائلة الى جزيرة مالطة حيث استقرت في قصر تحوطه حدائق عابقة برائحة الياسمين وزهر الليمون. وكان بين رواد القصر الدائمين ابن عمها جورج الذي عمل ضابطاً بحريا بامرة الدوق. وقد دعت ميسي الأمير، الذي صار لاحقا الملك جورج الخامس، صديقها المحبوب. وكانت هي بلا ريب ابنة عمه المفضلة.

تبادل الاثنان رسائل كثيرة أثناء غياب جورج في البحر. وهو كتب الى ماري من بريطانيا عام ١٨٨٨: "إني مشتاق إليك كثيرا يا حبيبتي ميسي." وكان واضحا للعائلة البريطانية المالكة أنّ جورج ينتظر ميسي الصغيرة الحلوة لكي تكبر وتصبح زوجته. وباركت الملكة فكتوريا هذا "التدبير" وزكَّته.

بيد أن خططا أخرى كانت تراود والدة ميسي، فالدوقة الكبيرة كانت تزدري المجتمع البريطاني وتكره عائلة زوجها، وقد صممت ألا تترك مستقبل ماري بين يدي حماتها.

وراحت تبحث سراً عن زوج مناسب لابنتها. فوقع اختيارها على ولي عهد رومانيا الأمير فرديناند ابن عم القيصر فلهلم الثاني ملك بروسيا وامبراطور المانيا، مما أفرح

ملك رومانيا كارول الذي فقد ابنه الوحيد وهو في السن الرابعة واختار ابن اخيه فرديناند وارثا له. فماري أميرة من نسل ملكي وتتمتع بجمال فتي وشعر ذهبي وعينين بلون الياقوت الأزرق. انها مثالية لانجاب أطفال ملكيين.

وكان فرديناند يكبر ماري بعشر سنين، شابا انطوائيا خجولا مترددا تركّز اهتمامه على دراسة علم النبات.

وفي صيف ١٨٩٢ اصطحبت الدوقة الكبيرة ابنتها الى ميونخ لاتاحة فرصة لفرديناند كي يتودد اليها. تقول ماري: "جُمِعنا معا في كل سانحة. كنا يافعين في جو من الحب، وكان الفصل ربيعا ووجه أمي بادي السعادة والترقب."

وفي مايو (أيار) عرض عليها فرديناند الزواج، فقالت نعم.

كتبتْ ماري لاحقا: "بتلك النَعم وقّعتُ قدري." وسرعان ما أدركتْ أن أهواءهما غير متوافقة. فهي أحبت ركوب الخيل والخروج الى الطبيعة، فيما نزع فرديناند الى الاهتمامات الفكرية.

وتزوجا في ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٨٩٣، وكانت العروس في السابعة عشرة من عمرها.

كان شهر العسل كابوسا. وبكلمات مرهفة شرحتْ ماري في مذكراتها أن فرديناند "كان مغرما على نحو رهيب يقارب القساوة. حاولتُ بأسلوبي غير الناضج التجاوب وعاطفته المشبوبة، لكنني كنت جائعة وعطشى الى ما هو أعمق."

وبعد سنوات أخبرتْ جو بويل: "تزوجت صغيرة جداً، ولمّا يستيقظ بي شيء."

أنجبتْ ماري في ١٥ أكتوبر (تشرين الأول) وارثاً لفرديناند سمي كارول. واذ تمددت في سريرها الكبير سمعت دوي مدافع الابتهاج خارج القصر.

"ذهبتُ الى البحر"

وُلد جو بويل في تورونتو بكندا عام ١٨٦٧، وكان والده مربّي خيول مرموقاً من أصل إيرلندي. أحب الصبي صيد الأسماك والسباحة والملاكمة وركوب خيول والده في أرياف وودستوك في اقليم أونتاريو حيث ترعرع.

وفي العام ١٨٨٤ سافر وشقيقيه الى مدينة نيويورك للعمل في اسطبلات الوالد، ففتنته السفن السامقة الأشرعة في ميناء المدينة، وصادق قبطان سفينة كندية وافق على استخدامه نوتيا عادياً. وهو أمره: "اذهب أولا وأخبر عائلتك بما تنويه، ثم عد من فورك." وكانت السفينة تستعد للابحار بعد ساعتين.

ركض الفتى الى منزله فلم يجد أحداً هناك، فكتب رسالة موجزة الى أهله: "ذهبتُ إلى البحر. لا تقلقوا. جو." وكان ذلك آخر ما عرفته عنه العائلة لثلاث سنوات تالية.

وعلى متن السفينة، اكتشف بويل في نفسه قدرة على قيادة الرجال في الازمات. وحدث أن فقدت السفينة صاريها وسط عاصفة هوجاء ضربتها في المحيط الهندي، وبدأ الماء يتدفق اليها. وبعد أيام من النزح المضني بدأ البحارة المرهقون يتركون المضخات استسلاما، فلمَّ جو شعثهم ونصَّب نفسه آمراً على عمليات الضخ. وأخيراً وصلت السفينة الى أحد الموانىء مترنحة وبحارتها ما زالوا يضخون الماء وقد رفعوا فيها شراعا مرتجلا.

اكتشف بويل في نفسه أيضا مقدرة على كسب المال. وكان، إلى صوته الجهوري الجميل وذخيرته الواسعة من الأغاني الإيرلندية، يتقن العزف على آلة البانجو. فشرع يقيم حفلات موسيقية يؤمها البحارة أثناء فترات الانتظار الطويلة في الموانىء. كما كان ملاكما جيداً من الوزن الثقيل، فنظَّم حفلات ملاكمة استأجر لها قاعات محلية. وغالبا ما كان يراهن بكامل مردوده على الورقة الاقوى: هو.

وفي خريف ١٨٨٧ قام بويل، وقد بلغ العشرين من عمره وامتلأت جيوبه مالا، بزيارة غير متوقعة لاخيه ديفيد في نيويورك. وخلال حفلة استقبال أعدها أخوه لتكريمه التقى مطلقة شابة فاتنة اسمها ملدريد راينور كانت أما لطفل وذواقة للفرو الباهظ الثمن، حتى انها عُرفت بلقب "مِنْك".[1] وسرعان ما طلب بويل المتهوِّر يدها. ولم تمض ثلاثة أيام حتى تزوجا.

هجر بويل البحر. وفي السنوات اللاحقة أنشأ تجارة مزدهرة في قطاع عَلَف الحيوانات في نيويورك وتولى ادارة أحد نوادي الملاكمة. وهناك التقى فرانك سلافن "جلاد سيدني"، وكان بطل العالم في الملاكمة للوزن الثقيل ومنقبا سابقا عن الذهب في أوستراليا.

وفي العام ١٨٩٧ شاعت أخبار عن اكتشاف عظيم للذهب على امتداد نهر كلونדايك في اقليم يوكون بكندا. في ذلك الوقت كان بويل انفصل عن زوجته، فصفَّى موجوداته مانحا ملدريد معظم ما يملك، على أن يتولَّى هو رعاية ولديه الأكبرين، جو الابن وفلورا، اللذين اصطحبهما الى دار والديه في وودستوك. ثم رحل مع "الجلاد" سلافن بهدف تنظيم سلسلة حفلات ملاكمة لتمويل انطلاقهما الى كلونדايك. بيد ان هذه الجولة اخفقت تماما. ولكن في فكتوريا، ميناء الانطلاق الى حقول الذهب، وافق ممولان على رعايتهما ضمن بعثة تستهدف وضع معالم لدرب سالكة الى يوكون عبر ممر "وايت باس" غير المستكشف.

كانت سكاغواي الواقعة في لسان الاسكا جنوبا مستوطنة هزيلة من الخيم والاكواخ عندما خوَّض بويل وشريكه في مياه شاطئها منتصف يوليو (تموز) ١٨٩٧. لكنها كانت

(١) المنك حيوان فرائي ثديي لاحم.

حية بأقاصيص عن ثروات تنبش من قيعان الجداول حول داوسون. وفي ٢٠ يوليو (تموز) قاد بويل ١٦ رجلا من سعاة التنقيب و ٢٥ جواداً محملة بالمؤن نحو ممر وايت باس المفترض ان يكون عُوينً ومُسِح على الاقل. لكن الدرب لم تكن مرئية الا في ما ندر، مما اضطر الرتل الى شق طريقه صعوداً طوال ثلاثة أيام منهكة عبر منزلقات تكسوها الجلاميد الصخرية، فيما راحت الجياد تخبّ متعثرة في الوحول النازّة.

وفي أغسطس (آب) وصل بويل وسلافن الى داوسون وهما لا يحملان سوى ٢٢ دولاراً. وكانت عروق الذهب في جدولي بونانزا والدورادو في داوسون استنزفت كلها تقريبا، لكن اعمالا كثيرة كانت متوافرة لرجال المعاول والرفوش الاقوياء. وسرعان ما وجد الشريكان عملا في حقل "الدورادو ١٣" الذي يملكه بيل غايتس المتأنق صاحب "صالون مونتي كارلو."وهناك عثر بويل على أول كتلة ذهبية ملكها، وتعلم فنون الاستتبار، وهو استخلاص دقائق الذهب بغسل الرواسب الغرينية.

بيد ان البحث عن حثالة الذهب لم يكن غاية طموحات بويل. فالثروة الحقيقية، في نظره، كانت في التنقيب الهيدروليكي، وهذا يعني تشغيل آلات جرف كبيرة لرفع الرواسب من القاع، وتوظيف مال كثير، والحصول على امتيازات تنقيب واسعة النطاق. فكيف يتسنى له كل ذلك؟

جاب الشريكان تلال كلونددايك. ولم يمض الخريف حتى استطلعا ما يزيد على عشرة آلاف هكتار على امتداد ١٣ كيلومتراً من النهر. ومع اقتراب صقيع الشتاء أخذ بويل قراراً خطيراً: أن يبقىَ سلافن في المنطقة لتسجيل حقوقهما التنقيبية، فيما ينطلق هو الى الساحل ومنه الى أوتاوا للحصول على عقد إيجار آلات هيدروليكية.

انطلق بويل في صحبة بيل غايتس "صعوداً" عبر نهر يوكون على متن قارب مطاطي سرعان ما حاق به الجليد الطافي وأعاق مساره. فشق الرجلان طريقهما بجهد والحرارة دون الصفر، حتى وصلا الى كارمكس بوست حيث التقيا جمعاً صغيراً من الرحالة التائهين. وهناك قرر الجميع تقاسم مؤنهم والانطلاق سيراً بقيادة بويل. فمضوا طوال ٢٥ يوماً يشقون طريقهم بصعوبة بأحذية الثلج وسط الثلج العميق ولا من خيمة او موقد يقيانهم برد الليالي. قادهم بويل كأنهم مساجين موثوقون بسلسلة. وفي مرحلة من الرحلة خاض بويل نهراً بعمق الخصر، ثم عاد وحمل رفاقه ورُزَمهم، كلا بدوره، عبر النهر. وبعد شهر من الترحال المضني وصل الجمع الى الساحل وركبوا باخرة متجهة الى سياتل في ولاية واشنطن الامريكية.

ومن هناك اتجه بويل الى اوتاوا حيث عرض مشروعه على وزير الداخلية الديناميكي كليفورد سيفتون الذي وعده بالدعم لاعتقاده الراسخ بوجوب انماء منطقة كلونددايك بجهود كندية.

ولدى عودة بويل الى داوسون في السنة اللاحقة وجد تشتتا في الهجمة على الذهب. واذ ادرك ان الذهب ليس الطريق الوحيد الى الثروة، تحول الى استثمار الغابات الواقعة في نطاق حقوقه التنقيبية. وانشأ منشرة وراح يبيع الاخشاب للمنقبين لبناء الاكواخ والقنوات الاصطناعية. وازدهرت تجارته وجنى مالا وفيرا. ثم اقام مستودعا ورصيفا لتحميل السفن وتفريغها، واستحصل على ١٧ حق استتبار وعلى نصف منحة هيدروليكية، كما اشاد مبنى كبيراً عند مصبّ جدول بير كريك اعتمده مقراً عاما لعمليات تنقيب مستقبلية.

لكن عقد ايجار التجهيزات الهيدروليكية لم يُبتّ الا في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٠٠، في وقت غادر المنطقة معظم المنقبين العاملين هناك منذ العام ١٨٩٨، اذ ولّى زمان المنقب اليدوي.

وشهدت داوسون تحولا الى مجتمع عائلي مستقر له مستشفاه ومدارسه وطرقه المعبدة ومدرَّجه الرياضي وحفلاته الانيقة. وفي العام ١٩٠٢ أكثرت صحيفة البلدة من تغطية أخبار بويل: عن ركوبه جياداً في حلبات السباق، وعن حفلة ملاكمة بين بويل وسلافن اللذين حافظا على صداقتهما على رغم انحلال شراكتهما. في هذا الوقت كان بويل في الخامسة والثلاثين من عمره، رجلا طويلا أسمر وسيم القسمات. وجاء في الصحيفة أنه "سيظهر في الحلبة للمرة الاخيرة، وعلى الجنس اللطيف، إن شاء رؤيته، حضور المهْرجان."

وفي العام ١٩٠٥ قبل بويل عرضا من شركة تعدين في ديترويت لتمويل مشروعه التنقيبي، على رغم ان ذلك عنى تجريده من السيطرة على شركة التعدين الخاصة به. ولمَّا لم يكن من الصنف الذي يقبل دور "الرجل الثاني" فقد عاد الى وودستوك والى عائلته.

لكن تلك لم تكن نهاية العلاقة بين جو بويل وكلونديايك.

اختبار قوة

كانت وليَّة العهد ماري في التاسعة عشرة من عمرها عندما انجبت طفلتها اليزابيثا. وبدأت تثور على الحكم الجديد للملك كارول وعلى القيود التي فرضها على تنقلاتها. وامتلأت نفسها مقتاً للقصر الكئيب "حيث لا زهور ولا مكان مريحاً ولا كرسي صالحاً للاسترخاء."

ولم يكن يُسمح لها بتربية ابنها وابنتها، ذلك لان كارول وزوجته اليزابيث – الشاعرة الغريبة الاطوار الملقبة "كارمن سيلفا" – اعتبرا ورثة العرش ذخائر وطنية تنبغي تنشئتها وفق مفاهيمهما الخاصة وعلى ايدي أناس يختارانهم. وعندما انتقلت ماري

وفرديناند الى قصر كوتروسني عام ١٨٩٦، تولى الملك والملكة اختيار خدمهما وافراد حاشيتهما.

في ذلك العام دُعيت ماري وزوجها فرديناند الى بطرسبرج لحضور حفلة تتويج نسيبيها القيصر نقولا الثاني والكسندرا. وكانت زيارة البلاط الروسي، بالنسبة الى ماري، "كالانتقال من الظلام الى نور الشمس الباهر." كما كانت حفلة التتويج "حلماً اكثر منها حقيقة."

لم تعرف ماري قبل زواجها سوى نزر يسير عن حياة المجتمع الراقي. وها هي مدعوة الى جولة من الحفلات المترفة والرحلات ومآدب العشاء في ضوء القمر. كانت عيون المعجبين تلاحقها وهي ترقص الفالس فوق الرخام الابيض في "قاعة الفرسان" وأضواء ثريا الكريستال الضخمة تتلألأ منعكسة على جدائل شعرها الذهبي. وكان معظم هؤلاء المعجبين من الضباط "اللامعين، الحيويين، العاطفيين، الشجعان، المتّقدين حرارة روسية." وكان اكثرهم اتّقاداً نسيبها الضاحك ذو الصوت الأجش الدوق الكبير بوريس. تقول ماري: "الروس سريعو الالتهاب. وللمرة الأولى تكشفت لي تلك القوة التي هي قوة المرأة. وقد سرني ذلك الاكتشاف."



وسرعان ما عادت ماري الى بوخارست حيث "لم أجد فرحاً حقيقياً الا في رؤية ولدي." بيد ان الملك كارول لم يلبث ان بدل موقفه وأرخى عطفه على تلك الفتاة الانكلو – ساكسونية التي يستطع تحطيم ارادتها، فعينها في خريف ١٨٩٧ رئيسة فخرية لفوج خيالة.

فرحت ماري كثيراً بهذا المنصب، وراحت تركب فرسها كل يوم في حقل التمرين خلف القصر، مرتدية بزة الفوج الزاهية الحمراء الذهبية الازرار، فيستقبلها الفرسان

بالهتافات. واذ غدت فارسة جسورة متمرسة، راحت تتدرب مع الفرسان على لحن فالس خاص بالفوج وتتقدمهم فخورة في العروض.

كان ركوب الخيل بالنسبة الى ماري ضروريا "كالطعام والنوم." وهذا، في الواقع، هو ما علّمها حب وطنها الثاني. كتبتْ: "استيقظ حب رومانيا في نفسي وانا على متون الخيل."

وكانت الاميرة الفتيَّة كلما انتقل البلاط الى منتجع سينايا في اعالي جبال الكاربات، تركب فرسها في رحلات طويلة وسط المروج وغابات الصنوبر الكثيفة. واحتكّت خلال رحلاتها هذه بقرويين رومانيين وجماعات من الغجر الرُحَّل الذين غدوا مواضيع أساطير كثيرة كتبتها ونشرتها لاحقا.

في غضون ذلك، راح أعضاء البلاط يغمزون من قناة ماري ويتساءلون عما اذا كان ركوبها الخيل يتهدد واجباتها كمنجبة أطفال ملكيين. وهي نادرا ما كانت تركب الخيل جانبيا كما يليق بالسيدات. بيد ان ماري انجبت في مطلع القرن العشرين اربعة اطفال آخرين: بنتين هما مينيون واليانا وصبيين هما نقولا وميرسيا، وقد قضى هذا بداء التيفوئيد وهو في الثالثة من عمره.

وفي مارس (آذار) ١٩٠٧، وكانت ماري في الثلاثين من عمرها، ثار فلاحو رومانيا على الاقطاعيين مطالبين بقسمة اكثر عدلا للارض. وأدت هذه الثورة، التي مُحقت بقسوة، الى يقظة ماري سياسيا، فراحت تستطلع شؤون بلدها. وكان لها في ذلك حليف غير متوقع هو الملك كارول. فلقد أدرك الملك العجوز أن ماري امرأة ذكية وصاحبة شخصية قوية، فأولاها ثقته. وهكذا غدت ماري قوة وراء العرش يُحسب لها حساب.

ولم تمضِ سنوات حتى اغتيل الارشيدوق فرانز فرديناند ولي عهد النمسا في سارايفو في صربيا يوم ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩١٤. وكانت هذه الجريمة هي الشرارة التي أغرقت العالم في حرب ضروس وغيرت حياة ملايين البشر، بمن فيهم ماري وليَّة عهد رومانيا ومنقب ذهب مغامر في يوكون البعيدة عُرف آنذاك بلقب "ملك كلوندايك."

ذهب كلوندايك

اكتشف جو بويل خلال فترة ابتعاده الطوعي عن يوكون أن جزءا من الصفقة التي عقدها مع شركة التعدين في ديترويت لا يخلو من الاحتيال. فثار سخطا ورفع أمره الى القضاء. وبعد معركة قانونية دامت سنتين ربح القضية. وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٠٩ عاد الى كلوندايك مالكا غالبية الأسهم ومديرا لشركة كلوندايك الكندية للتعدين.

وكان بويل خلال فترة ابتعاده عن يوكون يخطط لبناء "جرافة بارجة" هي الكبرى

في العالم من حيث احتواؤها على ٧١ مجرفة عملاقة قادرة على رفع ما يزيد على ١١ ألف متر مكعب من الرواسب يومياً. ومتى جُمعت هذه المجرفة وجب تثبيتها في موضعها بعمود فولاذي هو من الطول والثقل بحيث ان المشككين عقدوا رهانات على انه لن يُرفع أبداً. وقد كتبت فلورا، ابنة بويل، بعد سنوات: "بلغت نسبة الرهان ثمانية الى واحد على أن جو بويل لن يتمكن من ارساء هذا العمود الضخم في موضعه من دون رافعة. لكنه فعل. واستطاع، بواسطة أسلاك معدنية وبضعة جياد وفريق من الرجال، إرساء العمود البالغ وزنه ٣٠ طناً في موقعه بيسر ورشاقة كما لو كان عموداً أوسط يرفع في خيمة سيرك."

دارت الجرافة العملاقة مزبدة في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٠ معيدة بويل الى مهنة التنقيب عن الذهب. ثم اضيفت اليها جرافتان هائلتان، فازدهرت الاعمال وغدا بويل ثرياً.

ولكن بحلول العام ١٩١٣ ضرب النكد العائلة. ذلك لأنَّ بويل، بعد طلاقه من ملدريد عام ١٩٠٧، تزوج إلما لويز همفريز وهي مقلِّمة أظفار التقاها في أحد فنادق ديترويت. وكان ظهور زوجة الأب في حياة فلورا صدمة لها، زادها ما أعلنه بويل من وجوب تركها المدرسة في تورونتو والعودة الى يوكون والى منزل العائلة في بير كريك. إذذاك لم يكن بد من حلول الكراهية في نفس فلورا إزاء إلما.

ولما كان جو رجلا ودوداً كريم النفس، فقد حاول جهده أن يجعل الحياة سعيدة في بير كريك. فأقام حفلات ومآدب وغير ذلك من ضروب اللهو والتسلية. لكنه، مع تفاقم الشجار بين فلورا وإلما، راح ينشد الهدوء في السير وحيداً مسافات طويلة.

كتبت فلورا لاحقا: "لربما كان أفضل لوالدي ألا يتزوج أبداً، هو المقاتل بالفطرة والسعيد أبداً في خضم الأحداث الخطيرة. لم يكن في هذا الرجل الضخم، الفائر الدم، المغامر، ما يحدوه على الاستقرار مع زوجة وعائلة."

كان بويل في السابعة والاربعين من عمره لدى اندلاع الحرب العالمية الاولى، فلم يلتحق بالخدمة الفعلية لتقدمه في السن. إلا أنه جمع نخبة من متطوعي يوكون ودربهم وجهزهم على حسابه، فألَّفوا وحدة من الجيش الكندي خدمت في فرنسا وحازت أوسمة كثيرة.

وبحلول العام ١٩١٦ عاد بويل يتلهف لخوض المعارك. فترك أعماله في عهدة ابنه وأخيه ديفيد ويمم شطر لندن حيث نال، بالحيلة، رتبة مقدَّم فخريّ في الميليشيا، وحاول اقناع كبار ضباط الجيش بارساله الى فرنسا. ولما يئس من المحاولة تناهى اليه من مهندس صديق اسمه هربرت هوفر (أصبح لاحقاً رئيساً للولايات المتحدة) أن "لجنة المهندسين الأمريكية" تبحث عن رجل يساعد الجيش الروسي في تشغيل

شبكة سكك حديد خفيفة خلف خطوط الجبهة الشرقية. فاستغلّ بويل الخبرة التي اكتسبها في مجال السكك الحديد الخفيفة في كلونديك، وتطوَّع فرجاً بالسانحة.

وذات صباح مشرق من يونيو (حزيران) ١٩١٧، خطا صياد الثروة جسوراً في شوارع بطرسبرج ولمّا تمضِ ثلاثة أشهر على سقوط القيصر نقولا الثاني. كان لافتاً للنظر ببزّة الضابط الجديدة وسيفه التقليدي وشاراته المقتطعة من ذهب كلونديك الخالص وبقامته المديدة ووجهه الصارم. كان المقدَّم جوزف بويل وايتسايد على وشك خوض مغامرته الكبرى التي ستنيله وسام الخدمة المميزة ووسام الحرب وستة أوسمة أخرى ولقب دوقية وحب ملكة لا يموت.

تاج من خيوط

أحدثت الحرب انقساماً مؤلماً في العائلة الرومانية المالكة. فلقد مالت ماري ومعظم اتباعها الى بريطانيا وروسيا بفعل قرابة الدم التي تربطها بهذين البلدين. الا أن زوجها فرديناند وحماها الملك كارول، وهما من الأمراء الهوهينزولرنيين،[٢] دانا بالولاء الى المانيا، وكذلك فعلت زوجة كارول الالمانية الاصل. وقد حضّت المانيا والنمسا الملك كارول على التعبئة العسكرية ضد روسيا، فلبى الملك الروماني النداء، وكان سبق أن تدرب في الجيش البروسي وآمن أن المانيا لا تُقهر.

ولكن في اجتماع عقده المجلس الملكي في ٣ أغسطس (آب) ١٩١٤، عارض الوزراء رأي الملك، فيما بقي فرديناند صامتاً خشية معاداة عمه أو زوجته. وأخيراً أعلن رئيس الوزراء يون براتيانو أنَّ رومانيا ستقف على حياد، على أن تستعد للحرب، وربما لخوض الحرب الى جانب الحلفاء.

خرج كارول من الاجتماع مهيض الجناح. وبعد أسابيع قليلة، في ٥ أكتوبر (تشرين الاول)، مات أثناء نومه. وعندما أقسم فرديناند يمين الولاء للدولة أمام البرلمان في اليوم التالي، قوبل بعاصفة من التصفيق. وتتذكر ماري: "فجأة دوى اسمي في الملأ: ريجينا ماريا! ريجينا ماريا!" فأزاحت الملكة الجديدة حجاب الحداد عن وجهها، "وتواجهنا حينئذ، أنا وشعبي. وفي تلك الساعة علمت أن الفتاة التي جاءت من وراء البحار لم تعد غريبة. كنتُ لهم بكل قطرة من دمي!"

بقيت رومانيا على الحياد سنتين. وفي ١٧ أغسطس (آب) ١٩١٦ وقّعت معاهدة مع الحلفاء تعهدت بموجبها إعلان الحرب على المانيا والامبراطورية النمسوية — الهنغارية. ولم تمضِ عشرة أيام حتى زحفت الجيوش الرومانية على ترانسلفانيا. غير أن الحملة كانت قصيرة الامد إذ سقطت مدينة براسوف في أيدي الالمان في

(٢) هوينزولرن اسرة المانية حاكمة انتسب اليها ملوك بروسيا من ١٧٠١ الى ١٩١٨ واباطرة المانيا من ١٨٧١ الى ١٩١٨.

٩ أكتوبر (تشرين الاول) مما اضطر الجنود الرومانيين الى التراجع عبر ممرات جبلية وعرة ومعهم ألوف اللاجئين. وفي ٢٢ أكتوبر (تشرين الاول) استولى الالمان على كونستانتا، الميناء الرومانية الوحيدة الصالحة للامدادات. وكتب مراسل صحيفة "لندن تايمز": "لقد ضاعت رومانيا المسكينة."

في غضون ذلك جالت ماري على المستشفيات حاملة معونات للجرحى. وكانت تعاتب فرديناند بقسوة لملازمته مقر قيادة الجيش وعدم زيارته الجنود في الخطوط الامامية. كتبت: "أواه، ليتني أنا الملك! لكنتُ الآن بينهم حقيقة لا مجرد اسم!"

سقطت بوخارست في ٦ ديسمبر (كانون الاول)، وهربت الاسرة المالكة والحاشية والحكومة والقيادة العسكرية الى ياشي على حدود روسيا، ونقل الاحتياط الذهب ومجوهرات التاج ومحفوظات وزارة الخارجية الى روسيا لحفظها. ومع حلول رأس السنة ١٩١٧ كانت بقايا الجيش الروماني لا تزال صامدة بعناد في جبهة طولها ٥٠٠ كيلومتر جنوب شرق مولدافيا، محاصرة بين الجبال ونهر الدانوب "كجوزة بين فكي كماشة" بحسب تعبير رئيس الوزراء البريطاني الراحل ونستون تشرشل.

عمَّت الفوضى ظروف الحياة في ياشي، وهي مدينة ريفية كان يقطنها ٧٠ ألف نسمة فاضطرت فجأة الى استيعاب نحو ٢٥٠ الف لاجىء، الى جميع أجهزة الدولة الحكومية والعسكرية.

وفي فبراير (شباط) استشرى وباءا الجدري والتيفوئيد، ولم يمضِ فصل الشتاء حتى قضى ٣٠٠ الف شخص. وخدمت الملكة وأولادها في المستشفيات حيث حُشر كل ثلاثة جنود في سرير وكانت جروحهم تُضمَّد بالنشارة لعدم توافر مياه ساخنة لغسل الملاءات والضمادات. وفي أجنحة التيفوئيد مدت الملكة يديها لمصابين على فراش الموت. ولمَّا نُصحت بوضع قفازات واقية قالت بازدراء: "لا يسعني تركهم يقبِّلون مطاطاً." وكانت متى حل الليل تقف في دلو ماء وتخلع ثيابها وتبدلها تخلصاً من القمل.

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) زارت جنودها في الخنادق. وكتبت لاحقا: "عندما جلست معهم في مخابئهم، أخبروني كم تمدهم رؤيتي بقوة وبرغبة في الصمود حتى الرجل الأخير. شعرت إذذاك بغصَّة تتنامى في حنجرتي."

كان واضحاً أن الجيش لن يصمد طويلا. وفي ٩ ديسمبر (كانون الاول) وقَّعت رومانيا هدنة مع "القوات المركزية" وبدأت المفاوضات على معاهدة سلام.

احتفل فرديناند وماري في يناير (كانون الثاني) ١٩١٨ بالذكرى السنوية الخامسة والعشرين لزواجهما. وللمناسبة، قدَّم وفد سيدات الى الملكة تاجا من خيط فضي جدلنه لتضعه على رأسها بدلا من مجوهرات التاج المحفوظة في موسكو (والتي صادرها البولشفيون ذلك الشهر مع احتياط رومانيا من الذهب).

وفي مارس (آذار) وقعت معاهدة سلام أولية أرغمت رومانيا بموجبها على التنازل عن مناطق واسعة من أرضها لهنغاريا (المجر) وبلغاريا، وتسليم نفطها الى شركات المانية لثمانين عاماً، وتسديد نفقات جيش الاحتلال فيها، وإجلاء جميع بعثات الحلفاء للحال. وقد نفذ كل ذلك، ولكن نُسي رجل اسمه جوزف بويل أقسم الّا يهجر الملكة وعقد العزم على البقاء في خدمتها حتى النهاية.

[illegible]

بعد أيام على وصول بويل الى بطرسبرج في يونيو (حزيران) ١٩١٧، حدد مبادىء عمل أساسية. وعندما طلب منه المسؤولون الروس إدارة شؤون سكة حديد مورمانسك وأرشنغل، كان جوابه فظاً اذ أعلن أنه لن يدير سكة حديد بُنيت على عظام رجال مسخَّرين، وقد حُددت مهمته بتنظيم السكك الحديد الخفيفة خلف الخطوط الأمامية، وهو لن يرضى مهمة سواها. وأصرّ على منحه صلاحية تامة.

كانت السكك الحديد وأنظمة النقل بواسطة الجياد في الخطوط الأمامية في حال مزرية. فأرسل بويل برقية الى لندن طالباً عُدد صيانة وقاطرات وحافلات ومنسقاً لحركة سير القطارات ووحدات من السكك الحديد التابعة للجيش الكندي وجرارات "كاتربيلر" تحل مكان جياد العربات التي كانت تنفق بمعدل ٧٠٠ في الشهر.

وفيما كان بويل ذات يوم يتفحص السكة الحديد في تارنوبول، اقتحمت قوات المانية مواقع الجيش الروسي وبددت الجنود ففروا في كل اتجاه. ولما اكتشف بويل فرار جميع العاملين في مقر القيادة الروسية، تولى هو القيادة. وأقام، بمساعدة ضابطين روسيين، نطاقاً من المراكز الدفاعية حول البلدة تجوبه دوريات بريطانية مؤلّلة وتدافع عنه كتيبة مؤلفة من نساء روسيات أقسمن على القتال حتى الموت. وصمدت البلدة مدة أربعة أيام.

ولدى وصول تعزيزات غادر بويل البلدة الى رومانيا حيث كان الجيش مضعضعا والامدادات معدومة بسبب الحصار المضروب على السكك الحديد والفساد المستشري بين نُظّار المحطات. فلم يجد سبيلا الى فك الحصار سوى اعتماد النقل المائي، فحمَّل أسطولا صغيراً من قوارب الجرّ الخفيفة بالمؤن، وأرسله عبر بحيرة يالبوخ المستطيلة الى أحد خطوط السكك الحديد العابرة بيسارابيا الى الحدود الرومانية. ونجحت هذه الوسيلة في نقل مئات الاطنان من الامدادات يومياً.

ولدى عودة بويل الى مقر قيادة الجيش الروسي التقى النقيب جورج هيل، وهو عميل سرّي بريطانيّ يتكلم الروسية سبق أن عاش في كندا. فتصادق الرجلان وشهدا معاً ثورة ١٩١٧ التي أتاحت للبولشفيين انتزاع السلطة في بطرسبرج.

وفي العاصمة الروسية أوكلت "اللجنة الثورية" الى بويل مهمة عاجلة هي حل "عقدة موسكو." فقد حُشد نحو ١٠ آلاف مقطورة في باحات تجميع غصَّت بها، مما حال دون دخول القطارات المدينة وخروجها منها محمَّلة أطعمة وإمدادات حربية، فحصلت مجاعة عاناها سكان موسكو وبتروغراد (كما باتت بطرسبرج تسمى آنئذ) والجنود المرابطون في الخطوط الأمامية. إذذاك عمد الآمر العسكريّ البولشفيّ في موسكو الى ايلاء بويل سلطة كاملة على طواقم السكك الحديد في المدينة آمراً جميع عناصرها باطاعته.

اعتمد بويل نهجاً لا يرحم. فأمر بقلب القطارات المحمَّلة بضائع غير أساسية فوق الأرصفة، وإزاحة المقطورات الفارغة عن الخطوط ودحرجتها الى الحقول. وإذ وجد بويل نفسه في محيطه الطبيعي، خلع رداءه الطويل وانخرط في العمل مع عمّال السكك المتصببين عرقاً. وراقبه المترجم الروسيّ مدهوشاً وهو يُطلق الأوامر ويشجع العمال بأغنيات مثيرة من أيام كلونديك. ولم تمضِ ٤٨ ساعة حتى عادت عجلات القطارات الى الدوران.

وانطلاقاً من مركزه الجديد مفوضاً للسكك الحديد، عمد بويل الى إرسال امدادات الى الجيش الروماني المُبتلى الذي كان في أمس الحاجة اليها. وبدأ، مع النقيب هيل، تنظيم شبكة من العملاء السريين تولت أعمال تخريب وجمع معلومات عن النشاطات الالمانية والبولشفية. ونمت هذه الشبكة المدعومة بأموال بريطانية وفرنسية، وظهرت أهميتها في الاشهر اللاحقة.

وابل من نار

ابّان الشغب الذي شهدته بتروغراد في ديسمبر (كانون الاول) وفد سفير رومانيّ مهتاج الى بويل ومعه طلب مروِّع: هل يستطيع استرجاع مجوهرات التاج والاحتياط النقدي ومحفوظات وزارة الخارجية الرومانية ونقلها الى ياشي؟

كانت تلك مهمة من النوع الذي يصعب على بويل وهيل مقاومته.

علم الاثنان أنَّ الذهب ومجوهرات التاج محفوظة بأمان داخل قصر الكرملين في موسكو، وأن البولشفيين لا يعتزمون إعادتها الى أصحابها. كما علما أنَّ المحفوظات والأوراق النقدية مودعة خزائنَ مصرف الدولة. فقصد الرجلان الحاكم العسكري البولشفيّ في موسكو، مورافييف، وطلبا منه ترخيصاً بنقل هذا الكنز، مذكِّرينه بأنه مدين لهما بحلّ "عقدة موسكو." فلم يكن من الحاكم، وقد أعجبته جسارتهما، إلَّا أن منحهما الترخيص المطلوب.

نظم بويل عملية النقل بالسكك الحديد، فيما تولى هيل اخراج الأوراق النقدية من

صناديقها الفولاذية وتوضيبها في سلال من أماليد مجدولة ونقلها في مزالج عبرت الشوارع المكسوة بالثلوج الى مستودع محطة السكك الحديد. وهناك صادر بويل "لأغراض عسكرية" أربع مقطورات صندوقية[٣] بينها اثنتان مليئتان بامدادات طبية، ووصلها بالعربة ٤٥١ المجهزة ببهو خاص ومطبخ وطاه وحجرات وجدران مقاومة للرصاص. ثم عمد الرجلان الى تكديس المال في العربة ٤٥١، والمحفوظات في المقطورات الفارغة، ووصلا العربات الخمس بقطار بطيء للبريد.

وفيما القطار يتحرك منطلقاً قفز اليه مترجم بويل الروسي، النقيب تولستوي، ليحذره من مكيدة تدبر لفصل العربات تلك الليلة لدى بلوغ القطار محطته الأولى. فتسلق بويل وهيل سطح العربة ٤٥١ وقبعا ينتظران في الظلام. ولدى توقف القطار تسلل رجل تحت العربة وفصلها عن القطار.

يذكر هيل: "نزلنا بهدوء الى الأرض وزحفنا كلّ من جانب. وفي الظلام سمعت قبضة الكولونيل تهشم وجه الرجل الذي انطرح أرضا كلوح خشبي." ثم وصل بويل العربة، فانطلق القطار زاحفا عبر الأرياف الملتفة بالثلوج.

ولدى وصول القطار الى مدينة بريانسك، كانت المعارك على أشدها بين جنود بولشفيين وجنود أوكرانيين يتنازعون السيطرة على محطة السكك الحديد. واندفع القطار عابراً المحطة بسرعة قصوى وسط وابل من رصاص البنادق والرشاشات. وعندما توقف خارج المدينة تبين أن ٤٠ من ركابه أصيبوا بجروح. وكانت العربة ٤٥١ سالمة وعلى جنباتها آثار رصاص كثير.

وعندما اقترب القطار من حدود بيسارابيا عجب بويل إذ رأى عرباته تُحوَّل الى مسار جانبي. وسرعان ما صعد اليه ضابط بولشفي قال لبويل إنه وصحبه في قيد التوقيف. ولضمان عدم إتيانهم أي حركة، طوّقهم الضابط الروسيّ بسرية مدافع ميدان ووضع مفرزة حرس في غرفة الانتظار.

هبت في تلك الليلة عاصفة عاتية، فأقام بويل في العربة ٤٥١ حفلة غناء صاخبة لابعاد الشبهات عن خطة للهرب. وأرسل الى الحرس ابريقا من الشاي المنكّه بكمية كبيرة من الشراب الكحولي. وفي غضون ذلك، وجد هيل على المسار الجانبي قاطرة خاصة بتحويل مسار القطارات من خط الى آخر، وكانت دائرة تنفث البخار.

تسلل بويل وهيل الى الخارج، وأمرا طاقم التحويل، بقوة السلاح، بوصل القاطرة الى العربة ٤٥١ والمقطورات الصندوقية. ثم أمر بويل المهندس بتحويل القطار الصغير الى الخط الرئيسي. وبعد عشرين دقيقة ظهرت أنوار حمراء تومض في المدى المظلم أمامهم، ورأوا حواجز خشبية تقام على تقاطع، ورجالا مسلحين واقفين الى

(٣) المقطورة الصندوقية مسقوفة وذات ابواب جانبية منزلقة.

جانب السكة. وللحال غرز بويل مسدسه في ظهر السائق فيما صرخ هيل بالروسية: "اقتحم الحواجز!" وعندما رأى بويل أن الخوف شل الرجل دفعه جانباً، بينما فتح هيل صمام المخنق. فاندفع القطار الصغير مخترقاً الحواجز.

ولم تكن تلك آخر المشاكل، إذ فيما اقترب القطار من الحدود الرومانية لاحت أمامه عقبة ضخمة. فسارع بويل الى ضغط الكوابح ولكن بعد فوات الأوان. انجرف القطار وسط الأبخرة والشرارات وغيوم الأغبرة عبر كومة عملاقة من التراب حيث توقف مترجرجاً. وفيما راح الرجال ينهضون من سقطاتهم انهمر على جنبات القاطرة وابل من الطلقات النارية من مركز للجيش الروماني. فصرخ هيل وهو متكوِّم في قمرة القيادة: "نحن أصدقاء! نحن أصدقاء!" ولم تمضِ لحظات حتى توقف إطلاق النار.

وصل القطار الى ياشي ليلة عيد الميلاد. ووقف بويل يراقب الكنوز التي نقلها عبر ٢٤٠٠ كيلومتر من دون حامية في بلاد خلو من القانون، ينقلها ههنا ٢٥٠ رجلا من شرطة السكك الحديد وقوة من سلاح الفرسان الروماني.

وبعد انقضاء مهمته انصرف الى تمضية ليلة ميلاد هادئة على متن العربة ٤٥١. لقد كانت تلك سنة طويلة قاسية.

"العم جو"

زار رئيس الوزراء الروماني بويل في ياشي وأخبره أنَّ الجنود الروس يفرّون بالألوف ويعيثون في الريف الروماني، ولا بد من تجريدهم من السلاح وإعادتهم الى موطنهم. فهل يستطيع بويل، بما له من علاقات جيدة مع الروس، تعجيل هذه العملية؟

قرر بويل إجراء اتصال مع الدكتور كريستيان راكوفسكي عضو المجلس الأعلى للشؤون الروسية – الرومانية في أوديسا. لكنه حين بلغ تلك المدينة كان القتال اندلع بين رومانيا والبولشفيين، وكان راكوفسكي سجيناً سياسياً سابقاً في رومانيا، فلم يكن في مزاج يسمح بالبحث في وقف إطلاق النار.

بيد أن ذلك لم يردع بويل الذي لم ينفك، طوال خمسة أيام، عن محاولة إقناع راكوفسكي بمساعدته. وأخيراً رضخ هذا لطلبه. وتوصل الاثنان الى وضع مشروع معاهدة تتضمن تبادل أسرى بمن فيهم ٥٠ ضابطاً ووزيراً ومسؤولا رومانياً أودعوا أحد سجون أوديسا و٤٠٠ ثائر بولشفيّ سجنوا في رومانيا.

وعلى الأثر هرع بويل الى ياشي للحصول على توقيع الحكومة الرومانية على معاهدة الهدنة، ووصل اليها قبيل مغادرة بعثات الحلفاء. وكان يحق للمقدَّم الكندي مغادرة البلاد معهم، الا أنه آثر البقاء، إذ ليس من قوة كانت لترغمه على ترك ماري. وفي اليوم التالي، ١٠ مارس (آذار)، عاد الى أوديسا لتنظيم عملية تبادل الأسرى.

وكانت أوديسا في حال من الغليان مع اقتراب دخول الجيش الألماني اليها. وعلم بويل أن الاسرى الخمسين الذين جاء لانقاذهم باتوا رهائن لدى مجموعة بولشفية تدعى "سرية الموت" على متن السفينة "إمبيراتور ترايان."

علم بويل ذلك من ايثل بانتازي، زوجة احدى الرهائن، وهي مواطنة له من هاملتون في أونتاريو (كندا). فركض معها الى رصيف الميناء حيث نادى القائد البولشفي – وهي تترجم له – طالبا إنزال السجناء. فأُنزلوا، وعندما أصبحوا على الرصيف حاول بعضهم الهرب، فأومأ القائد الى رجاله بفتح النار.

وللحال بدأ الحراس يدفعون الرهائن الى السفينة، فهرع بويل الى المعبر الخشبي. نظر الى أعلى فرأى حارسين على متن السفينة يضربان رجلا عجوزا بأعقاب البنادق. فصرخ مناديا إيثل: "لا يسعني احتمال ذلك. إني ذاهب معهم."

ارتقى بويل المعبر وثبا، وأمسك مهاجمي العجوز ضاربا رأسيهما معا، ثم رماهما أرضا والحراس يراقبون مذهولين. بعد ذلك نادى سائر الرهائن للصعود الى السفينة مصرا على الابحار معهم.

وبعد ثلاثة أيام رست السفينة في ميناء ثيودوسيا الروسي على البحر الاسود. وهناك علم بويل أن "سرية الموت" تعدّ لتسيير الرهائن الى سقيفة ذخيرة "تنفجر مصادفة." وبمساعدة من أحد المسؤولين السوفييت في البلدة، نقل بويل السجناء الى سفينة شحن قريبة. ثم رشا القبطان للابحار بهم الى رومانيا، بأموال قدمها نائب القنصل البريطاني.

ولدى عودة بويل الى ياشي ألفى نفسه بطلا قوميا. وأغدقت عليه الصحف لقب "منقذ رومانيا" ومنحه الملك فرديناند "الوسام الأعظم لتاج رومانيا." بيد ان الجائزة الحقيقية بالنسبة اليه كانت لقاءه ماري مجددا.

لم تقبل ماري، في قرارتها، معاهدة السلام التي أُجبر فرديناند على توقيعها، ولا الحكومة المؤيدة لألمانيا. فاستأذنت زوجها في الاعتزال في مقرها الريفيّ في كوتوفانستي لتمريض الجرحى في مستشفى عسكري قريب. وسرعان ما لحق بها بطلها الكندي. وهناك قضيا فترة وجيزة ملؤها السعادة. كانت ماري تصطحبه في رحلات طويلة على متون الخيل وسط الأرياف المترامية. وكانت هي وأولادها يمضون الأمسيات مستمعين الى أغنيات بويل الايرلندية وقصصه المثيرة عن أيام الهجمة على الذهب، مما أتاح لماري الاطلال على عالم ساحر مجهول. وأحب الاولاد ذلك الكندي الكبير القلب الذي دعوه "العم جو."

في ذلك الربيع تعمقت العلاقة بين ماري وبويل الذي لم يترك مناسبة الا حاول فيها رفع معنويات ماري. وهي دوّنت في مذكراتها بتاريخ ٢٢ مايو (أيار) ١٩١٨: "كنت على



وشك الخروج لتناول طعام الغداء عندما سمعت هدير محرك، وأصواتاً، ووقع أقدام رجولية ثقيلة على سلمي الخشبيّ الطويل، و... بويل. أوه! كم سرتني رؤياه!" ولطالما تحدث الاثنان عن مستقبل رومانيا، ولطالما طرح بويل أفكاراً عن الاصلاح الاجتماعي. كان مستاء من قدر الفلاحين، فحضّ الملكة على الضغط على فرديناند لتعجيل برنامجه المتعلق بالاصلاح الزراعي ومنح الشعب حق التصويت.

وتجاهل بويل القيود التي فرضتها عليه الحكومة الموالية لألمانيا. وعندما أمر الماريشال الالماني أوغست فون ماكنسن وزيرَ الحرب الروماني بأن يُعلِم بويل بوجوب خلع بزته الكندية "وإلا أمرتُ برميه بالرصاص"، جاء جواب بويل نموذجياً: "قل له أن ليس من ألمانيّ حيّ سيجبرني على خلع بزتي. فأنا أحمل مسدس كولت فردياً، وأعدك بحفر ثقوب في أول الماني يتعرض لي بالأذى، جنرالا كان أم نفراً."

كان هذا التحدي يناغم ما اعتمل في نفس ماري من ثورة. فهي أقامت في يونيو (حزيران) احتفالا لتكريم جنود رومانيا الذين سقطوا في الحرب، على رغم معارضة الحكومة لهذا الاحتفال. وأوردت في مذكراتها: "كان الضابط الأجنبي الوحيد في

القاعة هو المقدَّم بويل الذي دعوته قبل علمي بوجوب إقصاء الحلفاء." أما بويل فبدا فخوراً غير آبه لما راود الآخرين من أفكار حول سبب وجوده هناك.

جاشت عواطف ماري وهي واقفة أمام عرشها في ثياب الاسعاف وبيدها شمعة، وراحت تجيل نظرها في أرجاء القاعة المزينة بأعلام الافواج. وكتبت في مذكراتها لاحقاً: "انبجست الدموع من عينيّ وبكيت. ولكن حين نظرت الى أولئك الرجال الأقوياء الحزيني العيون الصابرين الذين حملوا الاعلام، قلت في نفسي: سوف يحيا هذا الشعب، يجب أن يحيا. ولسوف أعمل لذلك قلباً وروحاً."

"بعض حزن"

تابع بويل خدمة بلد ماري بعدما مُنح لقب "دوق ياشي." فأشرف على إعادة ١٠٠ ألف جندي روسي الى موطنهم بعد تجريدهم من السلاح. كما ذهب في عدة رحلات سرية الى بيسارابيا التي صوَّتت غالبية أهاليها في ابريل (نيسان) للعودة الى الوحدة مع رومانيا. وفي هذه الاثناء استكمل بويل اعداد شبكة استخبارات من ٥٠٠ عميل نفذ بعضهم أعمالا تخريبية في السكك الحديد بهدف انهاك قوات الاحتلال الالمانية والنمسوية والبولشفيين. وجمع آخرون معلومات عسكرية وسياسية نقلها بويل الى الحلفاء. وبفضل شبكته هذه، وبتمويل من الحلفاء، استطاع بويل منع وقوع كميات كبيرة من الذخائر والتجهيزات العسكرية التي تركها الجيش القيصري السابق في بيسارابيا، في أيدي الألمان. وحوَّلها الى "الجيش الأبيض" المناهض للبولشفيين.

عمل بويل سنة وبعض سنة بأقصى طاقته. وفي ١٨ يونيو (حزيران) ١٩١٨ بعد رحلة استطلاعية جواً الى كيشينيف عاصمة بيسارابيا، انهار على أثر سكتة دماغية (فالج) ونُقل الى مستشفى محلي حيث تمدد عاجزاً وقد شُلَّ نصفه الايمن وتعثَّر نطقه.

صعقت ماري لدى سماعها النبأ. وقالت لاحقاً: "أحسست قلبي يموت داخلي. بويل! صديقي الكبير القوي الذي لا يُقهر!"

ولما تحسنت حال بويل قليلا راح يصارع إعاقته مستمداً قوة من مخزون طاقته. وذكر مترجم شاب يدعى بول شفشفادزي أنه "كان يمضي ساعات أمام مرآة يدوية وهو يقوِّم بأصابعه الجانب المصاب في وجهه حتى عاد الى طبيعته. ثم طلب مرآة طويلة راح يقف أمامها كل صباح ويمرن ذراعه وساقه الكسيحتين مجبراً اياهما على أداء حركتهما الطبيعية. ويوم استطاع حلق ذقنه ممسكا الموسى بيد ثابتة، تهلل فرحاً."

دعت ماري صديقها بويل الى قضاء فترة نقاهة في المقر الملكي الصيفي في بيكاز الواقعة في أعالي جبال الكاربات. ولما وصل الى هناك في ١ أغسطس (آب) بدا "كما

كان تقريبياً، ومع ذلك لم يكن هو تماماً. كانت أحكامه واضحة وحججه دقيقة كما عهدتها ومواقفه متسمة بطابع المشاكسة اياه، لكن شيئاً ما غادره، شيئاً من ذلك الايمان الرائع بقوته. كما انسلّ بعض حزن الى كيانه."

عكفت ماري على زيارة بويل مرتين يومياً، تحادثه وتتناول معه طعام العشاء. وسرعان ما استرد ثقته بنفسه. ومع حلول الخريف واقتراب الحرب من نهايتها، عاد بويل الى ادارة شبكة الاستخبارات.

وعلى أثر توقيع الهدنة في ١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٨ عاد الملك فرديناند والملكة ماري الى بوخارست مع جنودهم في موكب نصر مهيب تهادى في الشوارع المزينة بالأعلام وسط الجموع الهاتفة. لكنه كان نصراً فارغاً إذ كان جنود الاحتلال نهبوا المدينة والأرياف وشحنوا الى المانيا ما يزيد على مليوني طن من القمح ومليون طن من النفط و٩٠٠ قاطرة. ومع اقتراب فصل الشتاء واجهت رومانيا خطر مجاعة.

لم يألُ بويل جهداً في تنظيم أعمال الاغاثة. وفي ديسمبر (كانون الأول) يمم شطر بريطانيا مصطحباً الأمير نقولا لدخول مدرسة إتون. ولدى وصوله الى باريس زار صديقه هربرت هوفر، رئيس مجلس الأغذية التابع للحلفاء، وأقنعه بارسال ثلاث بواخر محملة امدادات اغاثة الى رومانيا بأقصى سرعة ممكنة.

وفي لندن أخذ بويل الأمير نقولا الى قصر باكنغهام لمقابلة نسيبه الملك جورج الخامس. وكتب العاهل البريطاني رسالة الى ماري جاء فيها عن بويل: "إنه رجل رائع، كأنه لا يعرف الخوف."

وفي مارس (آذار) وصلت ماري الى لندن لدعم قضية الاغاثة، وفي جعبتها قائمة طلبات عملية تضمنت ٢٤٠٠ عربة محملة بذور قمح، وتحديداً قمح مانيتوبا، وتشكيلة واسعة من الآلات الزراعية. وهي أوضحت أن الثورات تنبع من بطون جائعة.

مكثت ماري في قصر باكنغهام حيث أقامت حفلات فطور باكرة لأقطاب المال والسياسة والجيش وكل من قد يساعد في دعم قضية رومانيا. وهي خطة أعجبت ابن عمها، غير أن دهاءها السياسي الفاعل وتوددها الى الصحافة وخروجها على المألوف أمور فاجأت الملك البريطاني الذي اعتاد في بلاطه قواعد تشريفات صارمة.

ولدى عودة ماري الى بوخارست حضّت بويل على الرجوع لمساعدتها في معالجة المعضلات السياسية والاقتصادية المتنامية. فوصل الى رومانيا في يونيو (حزيران) ١٩١٩ ممثلا للبعثة التجارية الكندية وللصليب الأحمر الكندي.

لم يتصل بويل وهو في بريطانيا بشركة التعدين التي يملك معظم أسهمها والتي باتت متورطة في مشاكل قانونية. فهو كان في الماضي يحب خوض المعارك القانونية، لكنه غدا كأنه قرر صرف النظر عن حقول ذهب كلوندايك الى الأبد. وهو كتب رسائل

الى والديه في وودستوك، إلا أنه لم يكتب الى زوجته، وذلك يخالف طبيعته النبيلة. فهو كان متورطاً في الأحداث المثيرة التي عمت أوروبا ما بعد الحرب، وصارفاً اهتمامه الى الذهب الأسود: النفط.

وقبيل عودته الى بوخارست طلبت منه مجموعة "رويال داتش/شل" التفاوض مع المسؤولين الرومانيين على مشتريات نفطية كبرى من حقول بلويستي الغنية. فراقته العملية لما تعد به من توفير نقد صعب لازم لاسترداد الاقتصاد الروماني عافيته.

ولكن بحلول العام ١٩٢٠ كان بويل جلب على نفسه عداوة كثيرين في الاوساط السياسية الرومانية، امتعضوا من أفكاره وغاروا من نفوذه لدى العائلة المالكة. وانتشرت أقاويل عن سمعته واتهامات باطلة عن جنيه أرباحاً طائلة من صفقات النفط. وفجأة غدا "منقذ رومانيا" متطفلاً أجنبياً انتهازياً.

وتطور الوضع الى أزمة، ولم يبقَ مفر من رحيل بويل، وتُرك أمر ابلاغ هذا القرار الأليم الى ماري التي كتبت لاحقاً: "بعدما صنعوا منه بطلاً، تحاملوا عليه محاولين تلطيخ شرفه. حاربتهم بقوة، لكني، في النهاية، اضطررت الى الاستسلام."

صعق الخبر بويل. وهو قبل القرار بلباقة، اذ كانت كبرياؤه ترباً عن الرد وشهامته تستنكف التسبب لماري في مزيد من الاحراج.

وبعد مغادرته رومانيا في صيف ١٩٢٠ واصل وماري تبادل الرسائل. وهي كتبت اليه رسائل طويلة حافلة بالهذر واللغو عنها وعن أولادها. وتابع هو أداء خدمات صغيرة للعائلة المالكة. وبعد مضي سنة كتب الى ماري: "لا تجعليني ظلاً يخيم على حياتك، فلستِ مدينة لي بشيء. أنتِ من كانت دائمة العطاء. وأنا شاكر لك، ولك محبتي. تذكري هذا فقط."

قطار شاير

لم يستكن بويل طويلاً. فعلى رغم تأميم السوفييت حقول نفطهم، وجدوا أنفسهم في حاجة ماسة الى تكنولوجيا وأموال رأسمالية لتشغيل هذه الحقول. ودعا لينين الغرب الى تقديم عروض أسعار لابرام عقود نفطية. وطلبت مجموعة "شل" في بريطانيا من بويل التفاوض نيابة عنها.

بدأ بويل منقبضاً عندما ركب القطار ربيع ١٩٢٢ مع صديقه القديم جورج هيل في رحلة مرهقة امتدت مسافة ٩٦٠ كيلومتراً عبر جبال القوقاز، انطلاقاً من تيفليس ووصولاً الى حقول النفط في باتوم. وكان القطار مثقلاً بالحمولة ومعداته منهكة بفعل الحرب. وكانت خلف عربة بويل حافلة تقل عدداً من كبار المسؤولين السوفييت. ولاحظ هيل أن عدد الحراس كان مضاعفاً.

ارتقى القطار قمة أحد المسالك، ودخل نفق "سورام" الطويل، وتابع نزولا بزاوية شديدة الانحدار. وما هي الا لحظات حتى زعقت صفارات الانذار الموزعة على مسافات داخل النفق، منبهة مهندس القطار الى ضرورة ضغط الكوابح.

جلس هيل على سريره وصفارات الانذار تدوّي في أذنيه، اذ شعر بأن القطار يزداد اندفاعا بدلا من أن يتباطأ. ثم راحت الحافلة تترجح ودوت صفارة المحرك فيما اندفع القطار بسرعة خاطفة داخل النفق. لقد أفلت زمامه!

ولم تمضِ لحظات حتى خرج القطار الى النور متخبطا مهتزاً. واخترق احدى المحطات وصفارة محركه تدوي بجنون، ثم هبط في منحدر "أمان" نحو وهدة ضيقة ثُبتت في نهايتها صادّات مقواة لتخفيف الصدمات.

خرج بويل وهيل عبر نافذة محطمة ليجدا في الوهدة محركاً محطماً وثلاث عربات مهشمة. وعلا صراخ الركاب المحتجزين في العربات، فنزل الرجلان الى الوهدة لمساعدة الناجين.

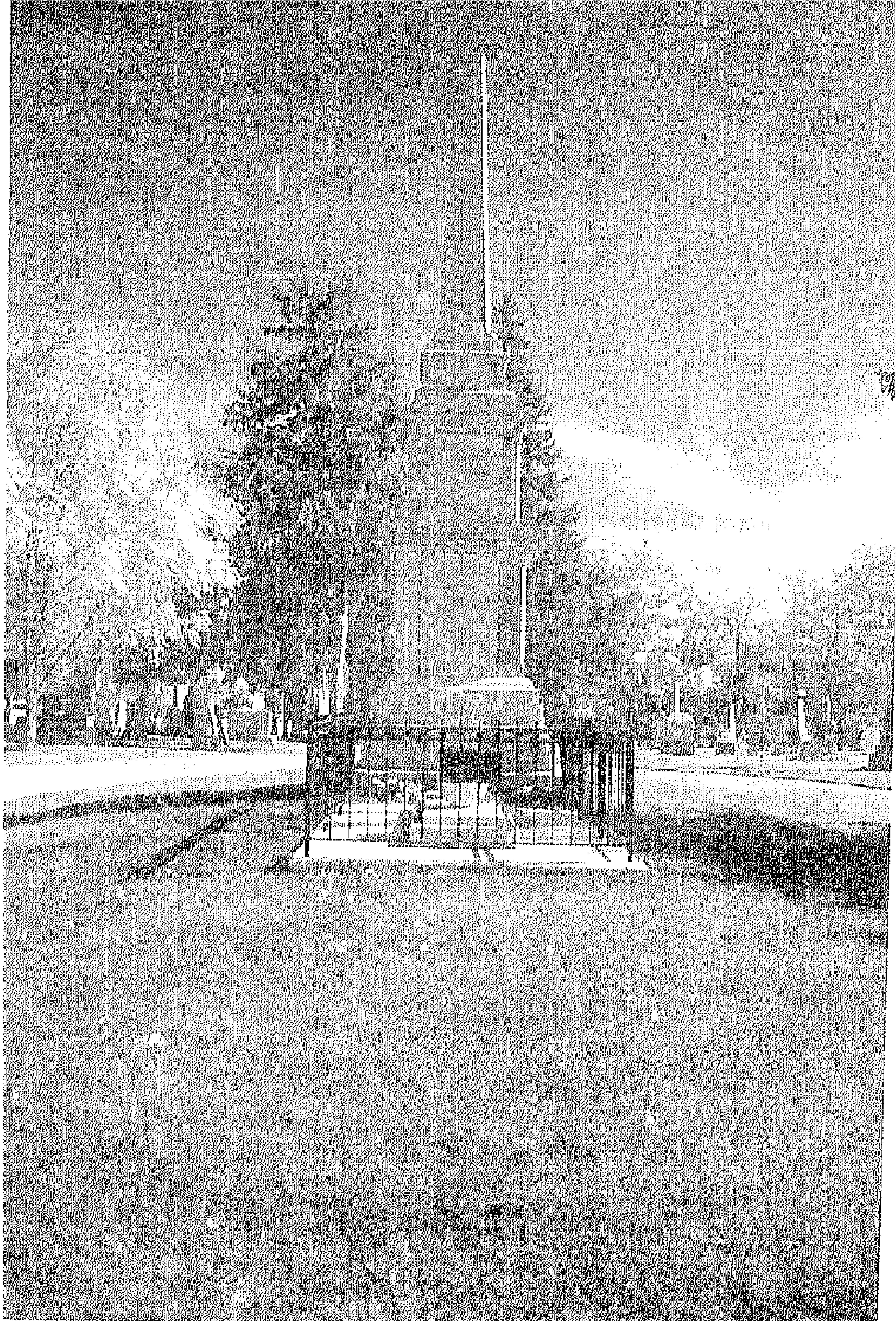
وخلص أحد التحقيقات لاحقاً الى أن ثمة من تلاعب بالكوابح في المحطة السابقة، قبل نفق سورام، في عمل تخريبي استهدف اغتيال المسؤولين السوفييت الذين نجوا جميعاً.

امتقع وجه بويل على نحو مروع، لكنه بدا كأنه لم يصب الا برضوض بالغة. وتابع وهيل رحلتهما الى باتوم براً، والى القسطنطينية بحراً. ثم ضاق تنفسه وتورمت ساقاه حتى اضطر الى شق سرواله.

استدعى بويل طبيبا في القسطنطينية، فأشار عليه بضرورة استشارة اختصاصي بالقلب. ولتخفيف ألمه، حزَّ الطبيب في ظهره شقوقا متقاطعة وضع فوقها أكواباً زجاجية ساخنة التصقت بجلده كعلق وراحت تسحب الدم. وفي اليوم التالي تقلص الورم. ولما عاد بويل الى لندن استشار طبيب قلب، فنصحه بأن يرتب شؤونه ويخلد الى الراحة في احدى دور العناية.

وفي فبراير (شباط) ١٩٢٣ انتقل بويل الى العيش في بيت صديق قديم من أيام كلوندايك يدعى تيدي بردنبرغ، في هامتون هيل قرب لندن. وهو لم يعد رجلا غنياً اذ أنفق معظم ثروته في رومانيا ولم يتلقَّ أي أجر من الجيش. وكان، الى ذلك، متورطا في نزاع قانوني مع شركة "شل" حول أجوره. وتدهورت صحته وتقلص جسمه العريض وتهدلت ثيابه على جسده المنكمش.

حافظ بويل، ظاهرياً، على تفاؤله المعهود. لكنه، في قرارته، بات رجلا متوحداً. كان يحدوه الشوق الى ماري وبلادها، بيد أن كبرياءه استنكفت أن تراه ماري في مثل هذه الحال من الضعف والوهن. وهو كتب اليها رداً على دعوتها اياه لزيارة رومانيا: "أود أن



ضريح جو بويل في وودستوك، اونتاريو.

تتذكري الرجل الذي كنته. فأنا لم أعد جو بويل الذي تعرفين."

ومثل محارب قديم يتحسس أزوف ساعته، كتب بويل في ١٣ أبريل (نيسان) رسالتين وضعهما تحت وسادته. وعندما انبلج صبح اليوم التالي صافياً مشمساً قال: "أود النهوض،" ثم رفع رأسه وجلس على الفراش. وعندما التفتت ممرضته الواقفة قرب النافذة رأته يسقط على وسادته.

لقد مات جوزف بويل الشجاع وهو في السادسة والخمسين من عمره.

PHOTO: TED TOWN

تولى تيدي بردنبرغ أمر الرسالتين. كانت الأولى موجهة اليه وفيها شكر لرفقته وطلب لمراسم دفن بسيطة، والثانية كلمة وداع الى ماري.

كتب مترجم بويل ديمتري زفيغنتزوف رسالة الى ماري روى فيها تفاصيل أيام بويل الأخيرة. وبعد ستة أسابيع تلقى من ماري رسالة طويلة جاء في احدى فقراتها: "ما زال بويل حيا في نظري. أراه في الاشجار والسماء والبحر والشمس واندفاع الريح حول منزلي."

وفي أغسطس (آب) زارت ماري قبر بويل في باحة صغيرة خلف منزل بردنبرغ، فلم يعجبها. فأبلغت الى بردنبرغ أنه سيتلقى قريبا بضع صناديق كبيرة. وبعيد وصول الصناديق جاءت هي للاشراف على وضع بلاطة صوّان فوق القبر نُقش عليها شعار "وسام ماريا ريجينا" وسطران اقتبستهما الملكة من قصيدة للكاتب والشاعر الكندي روبرت سرفيس كان بويل يحبها كثيرا:

رجل له قلب فايكنغ[٤]
وبساطة إيمان طفل.

لم تنسَ ماري بطلها الكندي، وظلت تزور ضريحه كلما زارت بريطانيا. وهي نشرت سيرتها الذاتية قبل سنوات من وفاتها في يوليو (تموز) ١٩٣٨، وضمَّنتها مقطعاً مؤثراً عن تلك الايام الكالحة من مارس (آذار) ١٩١٨ عندما أقسم بويل أن يقف الى جانبها. وقد اختصرت حياة بويل في أربع كلمات معبرة: "رجل إن قال فعل."[٥]

(في أوائل الثمانينات رفعت مجموعة من المواطنين في وودستوك التماساً إلى السلطات لاعادة رفات بويل الى وطنه كندا. وفي ٢٩ يونيو (حزيران) ١٩٨٣ أقيم لبويل مأتم عسكري ووُوري رفاته في مقبرة في المدينة التي أمضى فيها أيام صباه.)

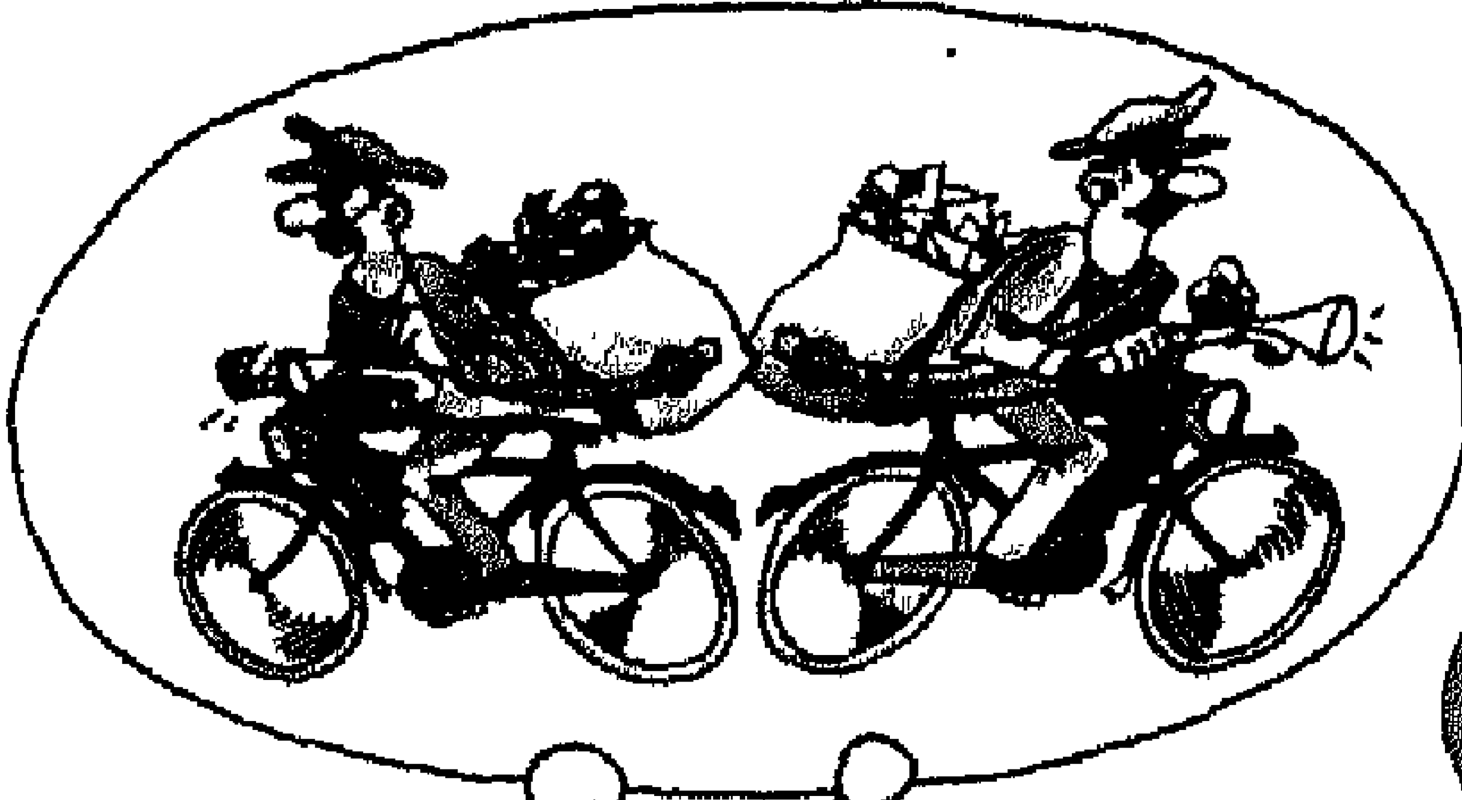
(٤) الفايكنغ محاربون اسكندينافيون غزوا شواطىء اوروبا بين القرنين الثامن والعاشر.
(٥) Ein Mann, ein Wort

تشارلز و. سميث ■

ترجمة فريد شديد

ACKNOWLEDGMENTS: «JOE BOYLE, KING OF THE KLONDIKE,» BY WILLIAM RODNEY, COPYRIGHT © 1974 BY McGRAW-HILL RYERSON LTD.; «THE SOURDOUGH AND THE QUEEN,» COPYRIGHT © 1983 BY LEONARD W. TAYLOR, STODDART PUBLISHING CO. LIMITED. USED BY PERMISSION; «WHO WAS JOE BOYLE?» BY FLORA ALEXANDER BOYLE, MACLEAN'S (JUNE 1, 15 AND JULY 1, '38); © 1938 BY MACLEAN HUNTER LTD.; «THE STORY OF MY LIFE,» COPYRIGHT © 1934 BY CHARLES SCRIBNER'S SONS, COPYRIGHT RENEWED © 1962 BY HER ROYAL HIGHNESS PRINCESS ILEANA. USED BY PERMISSION; «ORDEAL, THE STORY OF MY LIFE,» COPYRIGHT © 1935 BY CHARLES SCRIBNER'S SONS, COPYRIGHT RENEWED © 1963 BY HER ROYAL HIGHNESS PRINCESS ILEANA. USED BY PERMISSION; «THE LAST ROMANTIC,» COPYRIGHT © 1984 BY HANNAH PAKULA, TOUCHSTONE / SIMON & SCHUSTER, INC.; «GO SPY THE LAND: BEING THE ADVENTURES OF I.K.8 OF THE BRITISH SECRET SERVICE» AND «DREADED HOUR,» BY CAPT. GEORGE A. HILL, D.S.O., 1932 AND 1936 BY CASSELL AND COMPANY, LTD.; «ROUMANIA IN LIGHT AND SHADOW.» BY ETHEL GREENING PANTAZZI, COPYRIGHT © BY McGRAW-HILL LTD. USED BY PERMISSION.

اكتب واربح





هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- ★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- ★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- ★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- ★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست". بيروت.



"فطور العصافير" - زيتية للفنانة الالمانية غبرييل مونتر